مجلة الأزهر

٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٩٠

المجلد السابع والستون ـ القسم الثاني

السنة ١٤١٥هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25907497 / 25899823
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail: info@saqifat-alsafa.org

ع ٢٢٢٦ ٢
دوريات

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فاضل خفاجة

• المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

أسرع العقوبة

علماؤنا الكرام الذين توفروا على سَبْرِ رُوح هذا الدين ، وأتاح الله - عز وجل - لهم أن يتعرفوا إلى مراميه استطاعوا - رحمهم الله - أن يبلوروا قواعد عدة ، ومحدودة فى نفس الوقت تهدى المسلم إلى سلوك طريق لا يضل فيها أبدا ، من ذلك قولهم :

« أسْرَعُ عقوبة ينالها المذنب عدم إحساسه بذنب ارتكبه »

ولقد نمر - بهذه العبارة - فلا نلتفت إليها ، ولا تحظى منا بتفكير ، ولا تصيب منا استجابة وهذا إهمال منا خطير .

إن الواقع الذى نعيشه ، ونمارس حياتنا فيه يرينا من أنفسنا ، ومن غيرنا من الناس أمثلة عجيبة :
فنحن نرتكب الذنب من الذنوب ، ولا نهتم به ، ولا نراه ذنبا مطلقا .
ونحن نأثم بالذنب من الذنوب فنراه هينا لن يؤذينا ، أو يؤذى غيرنا من الناس .
ونحن نأتى الذنب من الذنوب بتجاوزنا ما لنا من حق ، ثم نهدد ونتوعد من يقف فى طريقنا متناسين أن ما لدينا من قوة وسلطان أو نفوذ أَوْلَى أن يدعونا إلى تذكر قدرة الله ـ تعالى ـ علينا .
وقد نقترف الذنب ونفخر به ، ونعلنه ، وقد ستره الله ـ علينا ـ برحمته .
ومنا من يعمل الذنب ويرمى غيره به .

بل مِنَّا ـ وكم يُؤْسِينا ـ من يعلن انه سوف يفعل (كذا) الليلة ، أو غدًا .. يعلن ـ ببساطة ، وقد تصحبها قِحَةٌ أو سخرية ، أو استهزاء ـ عن ذنب يمارسه فى المستقبل القريب .. أو البعيد .. ويقترف ـ إذا طال عُمرُه ـ إلى اليوم الموعود ـ ما وعد من خطيئة .
ومنا من يأتى الذنب ، فإذا لَفَتَّ نظره إلى تحريمه سخط وتألم ثم ثار يرميك بِتَعْنِيكِهِ[1] وإفساد لذته .

ومنا من يقارف الذنب ويتحدى أى إنسان يمنعه منه !
ومنا من يغطى ذلك كله فيأتى الذنب يريد به أن يطمس معالم الإسلام فيلبس الحق بالباطل ، ويُزَوِّرُ على الناس فى دينهم ، فنرى (الممثل) يقرأ الآية ، أو يذكر اسم الله ، وهو يؤدى عملا خبيثا ليس من الدين فى شىء .

ونظرة إلى هذه الذنوب ، وما هو فى دائرتها مما لا يستطاع حصره ـ أسْرَعَتْ عقوبتُها إلى فاعليها دون أن نشعر ، وفى ذلك البلاء أى بلاء ، ذلك أن العبد الكيس مراقب لنفسه دقيق فى محاسبتها ، ولما كان لابد أن يخطىء ، كان أسرع إلى استغفار مولاه فيغفر له ، وهذا الذى فات أولئك المذنبين الذين لم يبالوا بذنوبهم ، أو عدّوها هينة ، أو تجاوزوا بها ما ليس لهم من حق ، أو افتخروا بها ، أو ضاقوا بالنصيحة فيها ، أو تحدوا بها الصالحين من عباد الله ، أو أعلنوها غبنا للإسلام ، نَسُوا الله فأنساهم أنفسهم .
وهذا الشعور بالذنب ، ومابنبغى أن يعقبه من استغفار هو الفارق السهل جدًا والصعب جدًا.

---

(١) عَنْكَهُ : عَنَّفَهُ وأوقعه فى مَشَقَّة ، والعامة ـ فى مصر ـ تقول : عَكْنَنَهُ .

وفى الكتاب العزيز :

﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ النمل ٤٦ .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء (١١٠) .

﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ المزمل ٢٠ .

وفى النساء يخاطب المولى – عز وجل – رسوله – ﷺ – فيقول :

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الممتحنة ١٢ .

وكم أولى بنا أن نتمتع بقلوب فياضة بالمشاعر ، فنستغفر ذنوبنا عقب وقوعها فيغفرها المولى – سبحانه – لنا ، ، وكتابه الكريم فيه أكثر من أربعين موضعا قُرِنَتْ فيها المغفرة بالاستغفار ، ولن يخلف الله وعدا ولا عهدا .

وإلى أنفسنا التى تتهاون بالذنب ، أو لا تحس به نذكرها قوله – تعالى – :

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ القمر ٥٣ أى مكتوب .

وأبو هريرة – رضى الله عنه – يروى لنا تحذير رسول الله – ﷺ – من المفاخرين بالمعصية وأضرابهم ممن على شاكلتهم ، فيقول – عليه الصلاة والسلام :

« كل أمتى مُعَافاةٌ إلا المجاهرين [أى المستهزئين بالذنوب] وإن مِن الإجهار أن يعمل العبدُ بالليل عملا ، ثم يصبح قد ستره ربه فيقول : يافلان قد عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ... ويصبح يكشف ستر الله عنه » رواه مسلم ٨/٢٢٤ .

وأما من كان منا يعلن ما سوف يرتكب من ذنب فليذكر قوله – تعالى – :

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ سورة البقرة

قال المفسرون : (أحاطت به خطيئته أن يموت وهو يمارس الخطيئة) ومعروف أن المرء يُبْعَثُ على ما مات عليه .

نسأل الله – تعالى – توبة نصوحا ومغفرة – من فضله – لا تدع لنا ذنبا . إنه سميع مجيب لطيف خبير .

د. على أحمد الخطيب

مع الإمــام الأكبر

فى ذكرى الإسراء والمعراج

أين ثالث المساجد ؟

بقلم الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ .

أول الإسراء

هذه الآية من سورة الإسراء ، وغيرها مما جاء فى سورة (النجم) تهدينا إلى تلك المعجزة التى أفاء الله بها على رسوله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، حين تعاهد الطغيان وتغلب على قريش . فتعاقدت فى صحيفة قرروا فيها مقاطعة رسول الله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحصاره مع من اتبعه من المؤمنين ، ونفذوا وعيدهم ثلاث سنوات متتابعات احتمى فيها النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه فى شعب من شعاب جبال مكة ، ولم يستسلموا أو تهن عزائمهم ، أو يضعف إيمانهم بالإسلام ، بل صبروا وصابروا ، وثابروا على الدعوة إلى هذا الدين القويم ..

وما أن انفك هذا الحصار حتى مات أبو طالب عم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم ماتت زوجه خديجة ، وقد كانا له سنداً فى دعوته . وبموتهما تكاثرت عليه ومن حوله إساءات قريش ،

فذهب إلى الطائف يدعو إلى دين الله الإسلام ، فإذا به يجد قوماً قد قست قلوبهم ، فأغروا به سفهاءهم ، فشكا إلى ربه متضرعاً بالمأثور من قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ،يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ، إلى بعيد يتجهمنى أو إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ... » .

وفى ظلال هذه الأنواء كانت رحمة الله برسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالإسراء والمعراج تسرية وتثبيتاً لقلبه ، وتأييداً لدعوته واستجابة لتضرعه .

كانت الرحلة المباركة تقريباً له وتكريماً ، فقد أُعْطى بها وفيها ما لم يُعْط أحد من الأنبياء قبله ، حيث أكرمه الله بإمامة الأنبياء فى بيت المقدس ، وفرضت الصلاة عليه وعلى أمته : خمس فى الفعل وخمسون فى الأجر ، ومنح وأمته : خواتيم سورة البقرة ومضاعفة الحسنات .

ومن ثم كان لهذه الرحلة أثران عظيمان ..

أحدهما :

تثبيت قلوب المؤمنين الذين آمنوا بالله وبرسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعوته إلى الإسلام ، وكبت المشركين وخزيهم ، فما أن عاد من رحلته المباركة وأذاع عليهم نبأها وما شاهده من مسرات وما ناله وأمته من خيرات ورحمات ؛ حتى كذبوه وسخروا منه بالرغم من أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وصف لهم بيت المقدس وصفاً دقيقاً ، مع أنه لم يسبق له رؤيته قبل الإسراء إليه ، بل وبالرغم من أنه أخبرهم بما ضل من رواحلهم الآتية بتجارتهم عن طريق القدس وغير هذا من واقعات ومشاهدات لوقائع يعلمونها .

والأثر الآخر لهذه الرحلة : الإسراء والمعراج ، استظهار عهد الله وميثاقه على الأنبياء من قبل ليؤمنن به ولينصرنه ، كما فى قول الله ـ سبحانه ـ من سورة آل عمران :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

وكان هذا إيذاناً وإعلاناً عاماً للإنسانية بختم النبوة والرسالات بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعموم دينه وشريعته للزمان والمكان فى كل عصر وأوان .

بهذا كانت رحلة الإسراء والمعراج إبرازا لمكنون هذا العهد .

كما كانت منهجاً للحياة ، ووسيلة لتخطى العقبات ، وجهاداً للنفس حتى تستقيم فتقيم

الفرائض ، وتلتزم بالفضائل وتتزكى من أوضار الحياة .

وإذ تمر هذه الذكرى المباركة بالمسلمين اليوم ، عليهم أن يراجعوا مواقعهم بين الأمم وموقفهم من دينهم الإسلام ومبادئه وشريعته ، وما هم عليه من تراخ واستسلام لما فرضه عليهم أعداؤهم من اغتصاب القدس والأرض التى باركها الله ، وتشريد أهلها ومطاردتهم فى كل مكان واحتلالها بالغرباء .

ليذكر المسلمون أن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، وأنه ظل مصوناً منذ تسلمه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وظل المسلمون فى رحابه حراساً له وسدنة لأعتابه وأن فيه ازدهرت حلقات العلوم والمعارف الإسلامية .

وليذكر المسلمون حال المسجد الأقصى اليوم ، وتناقض المواقف من حوله بين أهله وأوليائه ومغتصبيه ، وليعلموا أن القصور والتقصير ـ فى شأن حمايته واسترداده آمناً مصوناً مكرماً ـ نقض لعهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وصنيع صلاح الدين الأيوبى ؛ إذ أنه فى عهدة وذمة الأمة الإسلامية بكافة شعوبها حكاماً ومحكومين ؛ سيسألون لدى أجيال الأمة القادمة لِمَ ضيعوه وتخلوا عن حمايته ؛ فهو أرض الله وديعة لديهم ، وهو عرضهم الذى عليهم حمايته ، إنه كان غاية مسرى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبدء معراجه فهو تاج للأمة .

فى ذكرى الإسراء والمعراج ـ على المسلمين ـ أن يتخلوا عما وقعوا فيه من خلافات وتناقضات فرقت جمعهم وأضعفت كيانهم ؛ وليعملوا جميعاً على إنهاء هذه الفرقة استقراراً للأخوة الإسلامية ، واستمراراً لنمو الأمة وعزتها وسيادتها ، وليتدخلوا بالوفاق لإنهاء كل آثار الحروب النفسية والمادية وليتجاوزوا عما كان أملاً فيما سيكون ، وليتوقف القتل والاقتتال فى : أفغانستان ، وفى الجزائر ، وفى الصومال ، ولينزل المتقاتلون عند حكم الإسلام عقيدة وشريعة ، وليذكروا أن الله أمر بالتعاون على البر والتقوى ففى سورة المائدة قول الله ـ سبحانه :

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ .

وقوله ـ سبحانه ـ فى سورة آل عمران : ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ .

وقوله ـ سبحانه ـ فى سورة الأنفال : ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

ولنذكركم بموقعة أحد حين انخلع الرماة من فوق الجبل طلباً للغنيمة ونكوصاً عن وصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالبقاء فى مواقعهم ، ليأخذوا العبرة ويصبروا حتى يصلوا إلى الغاية المرتقبة بإذن الله ، ولا يختلفوا على ما هو أهون من النصر .

في هذه الذكرى المباركة :

يحذر الأزهر الشريف الشعوب الإسلامية قاطبة من خطر الخلافات المذهبية لا سيما فى الفروع التى لا تخل بأصول العقيدة والشريعة ، فإن الله قد أمرنا فى كتابه وعلى لسان رسوله بحسن الجوار والتعامل مع غير المسلمين من المواطنين ، فأولى أن نحسن ـ نحن المسلمين ـ التعامل والحوار مع أنفسنا دون اعتبار لخلاف مذهبى أو إقليمى ، وأن على علماء الأمة وكل وسائل الإعلام فيها أن يعملوا على جمع الكلمة وصفاء القلوب ، وأن ينصحوا ويقولوا للناس حسنا ، دون أن يثيروا خلافات أو اختلافات ، فقد عانت الأمة من هذه الاختلافات والفرقة والشتات وشيوع الفتن ؛ حتى بين أفراد الأسرة الواحدة .

وإن على الآباء والأمهات أن يرعوا الله فى أولادهم ، وأن يقوموا نحوهم بالمسئولية التى حملهم الله إياها ، فيربوا أولادهم على الدين والأخلاق والآداب الإسلامية ، إنهم من الأمانات المضيعة فى هذا العصر ، إذ ليست المسئولية نحوهم فى الطعام والشراب والكسوة فحسب ، ولكن مع هذا ، التربية وغرس الدين والفضائل . وكما ورد فى الأثر : « **ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم** » .

لا تشتغلوا بالجدل الذى يوغر الصدور ويزرع البغضاء ، واطلبوا الحق من العلم : والرأى من أهله .

يا قومنا أجيبوا داعى الله، ولنعلم أننا فى حاجة إلى استرداد الاستقرار النفسى لشبابنا؛ ليحمل الأمانة التى يجب أن نؤهله لها ، ولا يكون هذا بالصورة المشوهة التى يعرض بها الإسلام وشريعته والتشكيك فى المصادر والانحراف فى التأويل .

ولنذكر أن مصر قائدة ورائدة لأمتها الإسلامية فى عالم اليوم ، فلا ننزل بمكانتها العلمية بالجدل والمراء فى أمور لا يفيد منها الإسلام .

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

فتوى للإمام الأكبر

حكم القصر فى الصلاة الرباعية وجمع التقديم أو التأخير

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة السيد/ محمود محمد السعدنى من الإسكندرية مساكن المتراس الشعبية بلوك (٢) مدخل (٣) شقة رقم (٤٧) يسأل عن مدى صحة ما قاله أحد الشيوخ له (بالمنوفية) التى كان مسافراً إليها من الإسكندرية وهو يصلى الصلاة العادية التى فرضت عليه ، قال له : (صلّ صلاة القصر ، ولا مانع من أن تصلى الظهر مع العصر) .

والجواب :

أنه لما كان من قواعد الإسلام العامة التيسير ورفع الحرج عن الناس فى عباداتهم ومعاملاتهم فقد شرع الله (للمسافر) أن يقصر الصلاة (الرباعية) فقط وهى (الظهر ، والعصر ، والعشاء) بأن يصلى كلاً منها ركعتين بدلاً من أربع إذا بلغت مسافة سفره (ستة عشر فرسخا) ذهاباً فقط فى مذاهب المالكية والشافعية والحنابلة ، وهى تقابل ٨١ كيلو متراً (واحد وثمانين متر تقريباً بالمصطلح المعاصر للمسافات) .

أما فى مذهب الحنفية فالمسافة مقدرة بالزمن وهو ثلاثة أيام من أقصر أيام السنة ، ويكفى أن يسافر فى كل يوم منها من الصباح إلى الزوال ، والمعتبر : السير الوسط أى سير الإبل ومشى الأقدام ولا عبرة فى هذا المذهب ، بتقدير المسافة بالفراسخ على المعتمد ، ولكل أدلته ويحسن لمن يرغب المزيد الرجوع إلى كتب فقه هذه المذاهب .

وقد ثبتت مشروعية قصر الصلاة الرباعية بالكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب : فقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾(١) .

والضرب فى الأرض السفر فيها .

وأما السنة : فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : (قد فرضت الصلاة ركعتين ركعتين بمكة فلما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة

(١) من الآية رقم ١٠١ من سورة النساء .

زاد مع كل ركعتين ، ركعتين ، إلا فى المغرب فإنها وتر النهار ، وصلاة الفجر لطول قراءتها وكان إذا سافر صلى الصلاة الأولى أى التى فرضت بمكة[٢]) .

وقد روى عمران بن حصين قال : شهدت الفتح مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقام ثمانى عشرة ليلة لا يصلى إلا ركعتين ثم يقول لأهل البلد (صلوا أربعاً فإنا سفر)[٣] .

وأما الاجماع : فقد أجمعت الأمة على مشروعية القصر من حيث المبدأ ..

وقد ذهب المالكية والشافعية والحنابلة : إلى أنه يشرع للمسافر أن يجمع بين الظهر والعصر تقديماً فى وقت الظهر بأن يصلى العصر فى وقت الظهر قبل أن يدخل وقت العصر أو يجمع بينهما تأخيراً ، بأن يؤخر الظهر عن وقته ويصليه مع العصر فى وقت العصر ، ومثل الظهر والعصر فى ذلك المغرب والعشاء فيجمع بينهما تقديماً أو تأخيراً ، لا فرق فى ذلك بين كونه نازلاً أو سائراً .

ويشرع للمسافر الجمع تقديماً أو تأخيراً إذا بلغ سفره مسافة القصر أى ستة عشر فرسخاً عند الشافعية والحنابلة وأما عند المالكية فيشرع له الجمع سواء بلغ سفره مسافة القصر أى ستة عشر فرسخاً أم لا .

هذا وللمسافر أن يختار فى الجمع ما هو أيسر له وأهون عليه من جمعى التقديم والتأخير . وقد استدل هؤلاء الأئمة الثلاثة على مذهبهم بما يلى :

١ ـ ما روى عن معاذ[٤] « أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان فى غزوة تبوك إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر حتى يجمعهما إلى العصر يصليهما جميعا وإذا ارتحل بعد زيغ الشمس . صلى الظهر والعصر جميعاً ثم سار وإذا ارتحل قبل المغرب أخر المغرب حتى يصليها مع العشاء وإذا ارتحل بعد المغرب عجل العشاء فصلاها مع المغرب .

٢ ـ وروى مالك فى الموطأ[٥] عن معاذ « أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخر الصلاة فى غزوة تبوك يوماً ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً » .

قال الشافعى[٦] فى الأم : قوله ثم دخل ثم خرج لا يكون إلا وهو نازل وللمسافر أن يجمع نازلاً ومسافراً وقال ابن قدامة فى المغنى[٧] بعد ذكر هذا الحديث ؛ قال ابن عبد البر هذا حديث صحيح ثابت الإسناد وأنه أوضح دليل فى الرد على من قال : إنه لا يجمع إلا من جد به السير وهو قاطع للالتباس ، وقد جاء غير ذلك من الأحاديث الدالة على مشروعية الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء تقديماً أو تأخيراً بسبب السفر وغيره بشروط ذكرها الأئمة الثلاثة ودونها الفقهاء كل فى كتب مذهبه .

---

(٢) رواه أحمد والبيهقى وابن حبان وابن خزيمة ورجاله ثقات .

(٣) رواه أبو داود ـ الشرح الكبير مع المغنى جـ ٢ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ط دار الكتاب العربى ، وانظر نيل الأوطار للشوكانى جـ ٣ ص ٢١١ ط دار الحديث .

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذى ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٣ ص ٢١٣ ط دار الحديث .

(٥) من حديث رواه مالك فى الموطأ ـ الموطأ جـ ١ ص ١٤٣ ط دار احياء الكتب العربية .

(٦) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٢ ص ٥٨٣ باب إذ ارتحل بعدما زاغت الشمس .

وذهب الحنفية : إلى أنه لا يجوز الجمع ـ بسفر أو غيره ـ بين صلاتين فى وقت واحد إلا بين الظهر والعصر تقديماً بعرفة للحاج الذى يصلى خلف إمام المسلمين أو نائبه ، وبين المغرب والعشاء تأخيراً بمزدلفة للحاج .

وقد استدلوا لمذهبهم :

بقول ابن مسعود(٨) : « والذى لا إله غيره ما صلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاة قط إلا لوقتها إلا صلاتين جمع بين الظهر والعصر بعرفة وبين المغرب والعشاء بجمع أى بالمزدلفة » .

لما كان ذلك ، كان المستخلص مما تقدم :

أنه يشرع للمسافر أن يقصر الصلاة الرباعية وهى الظهر والعصر والعشاء دون الثنائية : وهى الصبح ودون الثلاثية : وهى المغرب اتباعاً لفعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويُعتَبر هذا تخصيصاً لحديث جبريل فى مواقيت هذه الصلوات وعدد ركعاتها فى السفر وهذا باتفاق هؤلاء الأئمة وان كانوا قد اختلفوا فى بعض شروط القصر ، وفى حكم قصر الصلاة الرباعية من حيث الوجوب أو أنه سنة أو أنه مجرد رخصة : فقال الحنفية : القصر واجب ، وقال المالكية : القصر سنة مؤكدة آكد من الجماعة فإذا لم يجد المسافر مسافراً يقتدى به صلى منفرداً قاصراً ، وقال الحنابلة : القصر جائز وهو أفضل من الإتمام ، وقال الشافعية : القصر جائز وهو أفضل من الإتمام إن بلغ سفره ثلاث مراحل فأكثر ولم يُختَلف فى جواز قصره فإن لم يبلغها أو اختُلف فى جواز قصره (كملاح يسافر فى البحر ومعه عياله فى سفينته وكمن يديم السفر مطلقاً) فالإتمام أفضل له .

ويشرع للمسافر ـ أيضاً ـ أن يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء فى وقت أيهما شاء تقديماً أو تأخيراً فى مذاهب الأئمة مالك والشافعى وأحمد وفى مذهب أبى حنيفة لا جمع إلا فى عرفة ومزدلفة .

وأما فرض الصبح فلا يجمع مع فرض آخر بأى حال كما لا يقصر كما ثبت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

هذا :

وأنه وإن كان لكل مذهب فيما سلف دليله ووجهته وكلهم من رسول الله ملتمس ، لكن الأولى الأخذ بما ذهب إليه الشافعية والحنابلة ـ على وجه الإجمال ـ من جواز القصر ، باعتباره رخصة فى قول الشافعية ، وليس من العزائم أى الواجبات أو الفرائض كما يقول مذهب الحنفية وإذا أخذ بهذا ـ وهذا ما أميل إلى العمل به ـ أى بأن القصر مجرد رخصة تؤتى أو تترك وتكمل الصلاة الرباعية فمن أتم هذه الصلوات الرباعية لم يجز له الجمع بين صلاتين ـ تقديماً أو تأخيراً ـ فى وقت أى منهما لارتباط الجمع بالقصر فى السفر .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

---

(٧) المغنى لابن قدامة مع الشرح الكبير جـ ٢ ص ١١٥ وانظر الموضع السابق فى فتح البارى .

(٨) رواه الشيخان .

كلمة الإمام الأكبر فى :

مؤتمر القاهرة الدولى

لجراحة العظام والإصابات

بكلية طب البنات - جامعة الأزهر

٢١ - ٢٤/١١/١٩٩٤م

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .. وبعد ..

فإن المؤتمرات الطبية محافل للتبادل العلمى والتحاور فى شأن الجديد المفيد مما اكتشف أو استحدث من المهارات التى توفر لصحة الإنسان قدراً أوفى من الأمن النفسى ، والعافية الجسدية ، وتعاونه على المواجهة والتخلص مما ينتابه من المصاعب الصحية ، التى قد تعوقه عن إنجاز مهامه فى إثراء الحياة الإنسانية بالعلوم والمبتكرات النافعة .

إن منهج الإسلام نحو الحفاظ على صحة الإنسان الجسدية والنفسية قد جعل للوقائيات أهمية بالغة ، ولم يغفل الوسائل العلاجية وإنما زكاها ونماها ، وحث على الحرص على أهمية الدقة فى التشخيص للأدواء تمهيداً للتعرف على الدواء ، وأنتم أيها السادة والسيدات تلتقون اليوم فى هذا المؤتمر

فى رحاب الأزهر الشريف الذى زاول طلابه وعلماؤه علوم الطب المتنوعة فى مراحله التعليمية منذ أن أقيم بنيانه من أكثر من ألف عام ، وفتحت أبوابه لحلقات العلوم فى كل عصر ومن بينها الطب بوسائله المتطورة من عصر إلى عصر .

ولقد تبلورت تنظيماته الدراسية منذ عام ١٩٦١م وصار فى جامعته ثلاث كليات للطب إحداها كلية الطب للبنات التى ينعقد مؤتمركم هذا بدعوة منها .

وإذا كانت النهضة الطبية المتواكبة ، بل والمتواثبة قد نمت نمواً باهراً ، وواكبتها الوسائل المعاونة من الصيدلة والمنتجات الدوائية إلى الأجهزة الطبية المستظهرة لما يسبح فى بحار وأنهار وعظام الجسد الإنسانى الذى هو صنع الله ـ سبحانه ـ الذى أتقن كل شىء ـ إذا كان هذا ـ فإن الله قد وجه بنى الإنسان فى القرآن إلى أن ينظروا فى جسده ليتعرفوا على خالقهم فقال ـ سبحانه ـ :

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ومَنْ أحق بالاستبصار وأولى من الأطباء على تنوع التخصصات ليزدادوا معرفة بأن الله سبحانه هو الخالق للإنسان وهو الذى ﴿ عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فيزدادوا إقبالاً على الحفاظ على صحته .

إن الإنسانية تنتظر منكم المزيد من التجربة والعلم المفيد ؛ لتسلم مما يحيط بها فى عصر ضاقت فيه الأرض وفزعت من عمل الإنسان الذى امتطى الطائرات ومراكب الفضاء يجوب بها الآفاق بحثاً عن كواكب أخرى يستعمرها ليستثمرها إرضاء لنزواته وطموحاته .

السيدات والسادة :

ما أجمل محافل العلم والعلماء إذا استثمرت لإثراء الحياة الإنسانية بريئة من الأمراض الجسدية والنفسية ، وكانت مزدانة بالعروض العلمية النافعة .

أرحب بحضراتكم فى القاهرة بلد الأزهر الشريف ، وفى رحاب كلية الطب للبنات التى سعت إليكم مرحبة بجمعكم العلمى ، مزدهرة بمقدمكم .

ولكم من الله التوفيق .

بيان من الأزهر الشريف

بشأن المنكوبين بالسيول

نحمد الله ـ سبحانه ـ ونرضى بقضائه وقدره ولا نقول إلا ما علمنا إياه فى قرآنه حيث يقول تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ سورة البقرة

ها هى السيول الجارفة قد هدمت الدور ، وأتلفت ما فيها من متاع ولباس ، وشردت المواطنين وأفزعتهم ، وصاروا بغير زاد ولا ملابس .

أضيروا فى ممتلكاتهم وفى أمتعتهم وفى أنفسهم .

فيجب علينا جميعاً أن ننهض لمواساتهم ، وتخفيف مصابهم فى الأنفس والأموال والثمرات .

وذلك إنما يكون بالمسارعة إلى التبرع بالأموال والأغذية والأغطية والفرش .

وفى الدولة جهات الإغاثة الموثوقة تتولى قبول الهبات والزكوات لإسعاف هؤلاء المنكوبين ، ودفع الضر الذى وقع بهم ، فعلى كل مواطن أن يهىء نفسه وأسرته بالاستغناء عن جزء من المصروفات يسعف بها هؤلاء المنكوبين ، على هؤلاء الذين ينفقون الكثير فيما يضر ولا ينفع ، كالسجائر وأمثالها أن يتبرعوا بطعام وكساء وإسكان هذه الأسر التى أصابتها السيول .

إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد شبه الأمة بالجسد الواحد فقال : ﴿ **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** ﴾ .

وهؤلاء المنكوبون أعضاء فى جسد هذه الأمة وجزء من هذا الشعب المصرى المتعاطف المتآلف ـ هؤلاء ـ لهم حق دفع ما وقع عليهم من ضير ، بنجدتهم .

إن المسارعة إلى مواساة هؤلاء المضرورين بالسيول واجب إنسانى ووطنى ودينى .

فكونوا أيها المصريون على ما عهد فيكم من نجدة وكرم تبتغون به وجه الله وتحمون مواطنيكم المضرورين لا سيما وفصل الشتاء قادم .

ولقد دعا القرآن الكريم الناس إلى التعاون على الخير .

فقال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ .. ﴾ .

وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه الخير .

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

مع سورة المجادلة

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ
مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾

العامل فى الظرف « يوم يبعثهم » هو كلمة مهين ــ أى إن الذين يحادون الله ورسوله أعد لهم عذاب مهين يوم يبعثهم الله ، وهو وعيد لهؤلاء المحادين ، ويجوز أن يكون الظرف منصوباً بفعل محذوف تقديره : اذكر ، أى اذكر ذلك اليوم لهؤلاء المحادين ، ففى ذكره لهم وتذكيرهم به ما يردعهم عن هذه المحادة ، ويمكن أن يكون هذا الفعل المقدر من الذُّكر ــ أى التذكير ، ففيه إذن تسلية لرسول الله ﷺ فهو إذن بمعنى تذكر فى نفسك أن هؤلاء لن يفلتوا من العقوبة ، وأن وراءهم عذاباً يهينهم ويذلهم .

« يوم يبعثهم الله – تعالى – جميعاً : أى مجتمعين فى صعيد واحد يرى بعضهم بعضاً ويتذكر كل منهم ما كان بينهم من هذا التناجى ، أو هى حال مؤكدة ، أى يبعثهم جميعهم لا يغيب منهم أحد – وفى هذا البعث ينبئهم بأعمالهم القبيحة السيئة ، وإنباؤهم بها إما : بكشف أسرارها على رءوس الأشهاد ، أو بتذكيرهم بها ، يقال لهم : فعلتم كذا وكذا ، وكلا الأمرين مما يزيد فى خزيهم ويبعث الأسف والحسرة فى نفوسهم .

« أحصاه الله ونسوه » : أحصاه الله – سبحانه – وعده عدا ، وهم قد نسوه ، أو الجملة حال ، أى والحال أنهم نسوه وغاب عن ذاكرتهم ، والمؤدى واحد فى التقديرين – ثم ختمت الآية بما يؤكد إحصاء الله لكل أعمالهم ، لأنه على كل شىء شهيد ، أى مطلع على كل عمل لا يغيب عن علمه شىء ، وينطوى هذا التذييل على تبشير المؤمنين وتشجيعهم على العمل الصالح كما ينطوى على إخافة المحادين وتهديدهم ، فالله يعلم عمل أولئك وعمل هؤلاء لا يغيب عنه شىء ، ويجزى على كل عمل بما يستحقه من الجزاء .

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ » هذا تقرير لشمول علمه – سبحانه – والرؤية علمية ، أى قد علمت أن الله محيط علماً بكل شىء فى السموات وفى الأرض ، وأعادت الآية لفظة « ما » تأكيداً لإحاطة العلم بكل شىء فيهما . واستؤنف الحديث بشىء تفصيلى لبيان بعض الجزئيات مما يعلمه : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ... ﴾

يكون بمعنى يوجد ، فهو فعل تام ، ومن – فى كلمة من نجوى زائدة ، أى : ما توجد مناجاة بين ثلاثة إلا والله رابعهم ، وزيادة « من » تفيد التوكيد أى أيَّة نجوى قصيرة أو طويلة ، مهموسة أو مجهورة ، فالله – سبحانه – لا يغيب عنه شىء ؛إنه يعلم السر وأخفى ، بل إنه يعلم من كل إنسان ما توسوس به نفسه ، والنجوى : مصدر من التناجى ولا فعل مجرداً له ، والكلمة مأخوذة من النجوة وهى ما ارتفع من الأرض ، وينبت وينفرد عما حوله ، لأن المتناجيين يخلوان وحدهما ، وسرهما يصان ويبتعد به عن الناس ، و « ثلاثة » ثلاثة إذن بدل أو نعت .

ومعنى إلا هو رابعهم ، وإلا هو سادسهم ، أنه معهم بعلمه واطلاعه عليهم فهو – سبحانه – لا يحل فى مكان ولا يحيط به ظرف ، والمعية هنا رهبية ، إذ هى إشعار بوجود الله مع المتناجين على أى حال أو عدد كانوا ، وذلك مستفاد من « من » الزائدة ، على نحو ما فى قوله تعالى : « ما يأتيهم من رسول » ، « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ، – فهم معرضون عن كل آية .

وقرىء ما تكون من نجوى بتأنيث الفعل ، والتذكير أولى .

« ولا خمسة إلا هو سادسهم ، أى نجوى خمسة إلا هو معهم سادساً لهم . وقرىء ثلاثة

وخمسة بالنصب على الحال ـ لأن كلمة نجوى تدل على مضمر أو محذوف ، تقديره يتناجون ، ويمكن أن تؤول نجوى بمتناجين .

وتخصيص الثلاثة والخمسة بالذكر ؛ لأن جماعة من المنافقين كانوا يتحلقون للتناجى مغايظة للمؤمنين ، وكانوا على هذا العدد ، فقيل لهم : إن الله يعلم سرهم ونجواهم ، ثم قالت الآية :

« ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم »

ـ فإن كان هؤلاء الذين تحلقوا على هذا العدد فقد يكونون فى موقف آخر أكثر أو أقل ، ولكن الله ـ سبحانه ـ معهم فى أى مكان أو زمان يكونون .

جاء عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنها نزلت فى ربيعة وحبيب بنى عمرو ، وصفوان بن أمية ، كانوا يوماً يتحدثون ، فقال أحدهم ؛ إن الله يعلم ما تقول، وقال آخر : يعلم بعضاً ولا يعلم بعضاً ، وقال الثالث : إن كان يعلم بعض ما نقول فهو يعلم الكل ، وعلى هذا فالآية لم تنزل فى المنافقين ، بل نزلت فى المشركين .

وقيل إنما ذكر هذا العدد ، لأن هذا ما جرت عليه العادة من أهل النجوى والتشاور فى كبار الأمور ، فلا يحضر كل واحد هذا الجمع وإنما يحضره طائفة مختارة من أولى النهى والأحلام ، أو ذوى التجارب ، ويبدأ عددهم باثنين ويزيد إلى خمسة أو ستة حسبما تقتضى حالهم ، ولا يكونون عادة أكثر من ذلك ، واستأنس أصحاب هذا الرأى بأن عمر بن الخطاب اختار أهل الشورى ستة وجعل ابنه معهم مرجحاً فقط إذا تساوى الجانبان .

ولست أميل لهذ الرأى ، وعمر اختار الستة الذين مات رسول الله ﷺ وهو راض عنهم ، وكان القرشيون يجتمعون فى دار الندوة أعداداً كثيرة قد تزيد على العشرين ، وإنما كانوا يمنعون الصبية الذين لم يبلغوا الحلم . وإذن فتخصيص هذا العدد إما لما كان من ابنى عمرو ، وصفوان أو لما كان من عمل المنافقين أو هو لهما ، ثم قالت الآية : « ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم » فدلت الآية على الاثنين والأربعة ، وما هو أكثر من ذلك أو أقل . وفى مصحف عبدالله : إلا الله معهم » ، وقرىء أيضاً « ولا أدنى من ذلك ولا أكبر » .

« ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم » : ينبئهم بعملهم على ملأ الناس إظهاراً لسبب عقوبتهم وتوبيخاً لهم .

وقد بدئت الآية بأن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وختمت بأنه بكل شىء عليم » ، وفى بداية الآية ونهايتها دليل إحاطة علم الله بكل موجود .

وكان اليهود والمنافقون ينفردون ـ على مرأى من المسلمين ـ فيتهامسون ويتغامزون بأعينهم ويشيرون إليهم ، وما يقصدون من ذلك إلا إغاظتهم يوهمونهم أن أقاربهم وذويهم أصيبوا بشر ، وشكا المسلمون ذلك إلى رسول الله ﷺ فنهاهم عن هذه النجوى ، ولكنهم عادوا إليها . فنزل قول الله ـ تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ ... ﴾ إلخ .

والاستفهام إنكارى تعجبى .. أى قد رأيت حال هؤلاء القوم ، وأوثر الفعل المضارع فى

« تر » للدلالة على تكرر عودهم وتجدده ، فهم لا ينقطعون عنه ، ومناجاتهم كانت كلها آثاماً :

﴿ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾

والإثم : كل ما حرمه الله ، ـ وكانت مناجاتهم آثاماً ؛ لأنهم كانوا يفترون على المسلمين وينسبون إليهم من الأفعال والأقوال السيئة ما هم منه بريئون ، وعدوانهم : تعديهم قانون الله وتعديهم الحق ، وتحريض بعضهم بعضاً على إيذاء المسلمين ، وكانوا يتحاضون على مخالفة تعاليم الإسلام وما جاء به النبى الكريم ﷺ .

وآثرت الآية ذكر « الرسول » ؛ إغاظة لهم وتأكيداً لرسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهذا معنى لا يتحقق إذا قيل : « ومعصيتك » ، وهو نص واضح على أنهم لا يتحاضون على معصية إنسان مجرد إنسان ، وإنما يتحاضون على معصية رسول بعثه الله ليطاع ، وهو لا يأتى بشىء من لدنه ، وإنما هى رسالة الله :

﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ .

أى زيادة على تناجيهم السيىء الذى سبق كانوا إذا جاءوا إلى رسول الله ﷺ قالوا : السام عليكم . بدلاً من : السلام عليكم ، والسام : هو الموت ، فهو دعاء عليه فى ثوب تحية ، وكانوا جماعة من اليهود قالوا له ذلك فقال : وعليكم .

عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن أناساً من اليهود دخلوا على رسول ﷺ ، فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم ، فقال : وعليكم ، وغضبت السيدة عائشة ، فقالت : عليكم السام ولعنكم الله ، وغضب عليكم وفى رواية : « عليكم السام والذام واللعنة » ، فقال لها رسول الله ﷺ : « أن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش » ، فقالت : « ألا تسمعهم يقولون : السام ؟ » ، فقال : « أو ما سمعت أقول : وعليكم » . فأنزل الله ـ تعالى :

﴿ وَإِذا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِما لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ الله ﴾ الآية .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ حيا بالسلام ، وتكرر ذلك فى آى القرآن الكريم فى قوله : سلام على المرسلين ، قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وجاء فى التشهد : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، وهى تحية أهل الجنة التى يستقبلهم بها الملائكة ، فرسول الله ﷺ دينه الإسلام وتحيته السلام .

﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ .

أى يقولون فيما بينهم : هلا يعذبنا الله بسبب ما نقوله من التحية الكاذبة ، وبما نتحدث به عنه من السوء والسباب ، يريدون لو كان محمد نبياً حقاً لنزل علينا عذاب الله ـ تعالى ـ بسبب ما نقوله له وبسبب ما نتحدث به عنه .

ويمكن أن تكون جملة « فى أنفسهم » بمعنى أنهم يهمسون بذلك فى أنفسهم ، وتجول هذه الأفكار فى خواطرهم ، فقد اطلع الله ـ سبحانه ـ على هذه الخواطر وطالعهم بها وهو يعلم السر وأخفى وورد الله ذلك بقوله : ﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أى يكفيهم عذاب جهنم يدخلونها يصلون حرها ويصطلون بها فإن الله ـ سبحانه ـ لا يعاجل بالعقوبة فى الدنيا ، وبئست جهنم عاقبة لهم .

القرآن أعلى مستويات الفصحى

بقلم د / جمال عبد العزيز أحمد (*)

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب تبصرة وذكرى لأولى الألباب ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ربّ الأرباب ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشّعاب ، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم المآب .. وبعدُ .

إن الله ـ سبحانه ـ أنزل هذا الكتاب تبياناً لكل شىء ، وجعله قيما لا عوج فيه ، وقال عنه :

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت / ٤٢) .

وقال فيه :

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء / ٨٢)

وبعد :

فإن القرآن الكريم لا يحتاج فى بيان صحته إلى شهادة العلماء ، أو تصديق العِلْم القديم أو الحديث ، فهو فوق العلم وفوق العلماء ، بل هو مصدر العلوم والمعارف قاطبة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وفيما يتعلق بلغة القرآن الكريم ؛ فإن هذا القرآن أعجز أرباب الفصاحة وأساطين البيان ، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فما استطاعوا وما فعلوا ؛ بل إنه تحدى الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بمثله فقال :

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ سورة الإسراء

(*) المدرس المساعد بقسم النحو والصرف كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

وبنزول هذا القرآن وصلت اللغة العربية إلى أعلى مستوى لها فى تاريخ الفصاحة ، وأصبح القرآن الكريم هو النموذج المثالى الأسْنَى الذى يحتذيه العلماء ، ويقتبس منه الشعراء والخطباء والبلغاء ، ويُجَمِّل به المتحدثون أحاديثهم ، حتى إنهم سَموا الخطبة التى تخلو من القرآن الكريم ـ أو من بعض آياته ـ بالبتراء أو العوراء . وصار القرآن الكريم فى علوم العربية محور الدرس والبحث ، ومعيار الصواب والخطأ ، فهو المصدر الأول للاستشهاد عند النحاة واللغويين فما ورد فى القرآن الكريم هو الصواب ؛ بل هو أصوب الصواب ، ثم يليه الحديث النبوى الشريف ، ثم من بعد ذلك بدرجات كلام العرب شعراً ونثراً .

فهذه المصادر كلها كانت موجودة قبل أن يأتى النحاة واللغويين ، وحين أراد علماء العربية أن يميزوا بين الخطأ والصواب فى كلام الناس . ولاسيما بعد تطرق ظاهرة اللحن فى المجتمع الإسلامى الأول عقب مجىء الفتوحات ودخول الأعاجم بين العرب الخلص ـ كان عليهم أن يؤولوا إلى معيار معين يقيسون به هذا الكلام فهل يلتمسونه فى كلام المولدين الذين اختلطت دماؤهم بدماء غير عربية ، أم يلتمسونه فى الأجيال التى ملأ اللحن مسامعها ؟ أم فى أولئك الذين رُبُّوا فى بيئات اختلط فيها العربى بالدخيل ، أم يلتمسونه لدى هؤلاء العرب الخلصاء الذين أخذوا اللغة من منابعها الأصيلة ؟!

لقد كان على العلماء ـ وهم بصدد البحث عن اللغة العربية الفصحى أن يأخذوها من مصادرها الصافية التى لم تتطرق إليها شائبة من شوائب اللحن أو الكلام الدخيل ، فكان القرآن الكريم هو معيارهم الأول ؛ لأنه ـ فضلا عن كونه قرآنا بلسان عربى مبين ـ هو كلام خالق السموات والأرض ، وخالق اللغات كلها . ومن ثَمَّ اتخذ العلماء على اختلاف توجهاتهم واختصاصاتهم من القرآن الكريم مرجعا يحتكمون إليه عند الاختلاف ، وأصلا يبنون عليه أحكامهم ومسائلهم ، وخرجت العلوم العربية: نحوا ولغة وصرفا وبلاغة فى كنف القرآن ورحابه ، ولم يك ثمة قواعدُ للنحو أو الصرف قبل نزول القرآن ؛ بل استقاها العلماء من القرآن نفسه ثم من غيره من كلام العرب ، وجعلوها معيار الصواب والخطأ ، والقبول والرفض فيما يدرسونه من كلام الناس .

● فمن الخطأ الفادح والافتراء الواضح أن يُدَّعَى أن فى القرآن خطأ من جهة النحو ، كيف والقرآن الكريم هو المهيمن على العربية كلها ؟ ولولاه ما خرجت هذه اللغة إلى الوجود ، فإذا قيل : إن القرآن الكريم وقعت فيه بعض الأخطاء النحوية من نحو قوله ـ تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

(النساء/ ١٦٢)

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾

(المائدة/ ٣٨)

(ولم يقل يديهما على التثنية) .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾

(المائدة/ ٦٩)

﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾

(طه / ٦٣)

﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(المنافقون / ١٠)

إذا قيل هذا فهو قول يكشف عن بُعْدٍ عن الإلمام بقواعد العلم والمعرفة ، وخرق لقواعد الانصاف والموضوعية ؛ لأن هذه المواضع قد فرغ منها البحث العلمى وقتلها العلماء درساً واستقصاء ، وقالوا فيها كلمتهم البينة الكاشفة التى أزالت الشبهات ومحت الأباطيل ولكننا نوردها من باب « التذكير بالفائدة » وإيقاف قرائنا على باب من العلم بالقرآن يكشف عن ضروب من البيان العربى .

● أما قوله تعالى :

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

(النساء / ٦٢)

فقراءة الجمهور « والمقيمين » بالياء[١] ، وهو المختار لأجل الرسم مع موافقة له ، وهو منصوب على المدح والاختصاص لبيان فضل الصلاة بتقدير « أمدح وأعنى »انظر (سبيوبه)[٢] ، تقول الخِرْنِق ـ امرأة من العرب :

لا يَبْعَدَن قومى الذين همُ
سَمُّ العُداة وآفةُ الجُزْرِ
النازلين بكل معترك
والطيبون معاقِدَ الأُزْرِ

فنصب « النازلين » على المدح[٣] .

قال الهمدانى[٤] : « والمختار قراءة الجمهور (والمقيمين) لما للعرب فى النصب على الاختصاص والمدح من الانحراف والميل » .

وقال الزجاج[٥] : « ولسيبويه والخليل وجميع النحويين فى هذا بابٌ يسمونه باب المدح ـ يقصد قراءة و« المقيمين » ـ قد تبَّينوا فيه صحة هذا وجودته .

وقال النحويون : إذا قلت : « مررت بزيد الكريم » ، وأنت تريد أن تخلص زيدًا من غيره فالجر هو الكلام ؛ حتى يُعْرَفَ زيدٌ الكريمُ من زيد غير الكريم ، وإذا أردت المدح والثناء نصبت فقلت : « مررت بزيدٍ الكريمَ » كأنك قلت : « إذكر الكريم » .. وعلى هذه الآية ؛ لأنه لما قال : « يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » علم أنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، فقال : و« المقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » على معنى : « أذكر المقيمين الصلاة ، وهم المؤتون الزكاة » .

ومن ثم يتضح أن قراءة النصب « والمقيمين » ، والتى قيل : إن فيها خطأ نحويا هى القراءة المتواترة ، وأن قراءة الرفع

(١) الإتحاف ١٩٦ ، والقرطبى ١٤/٦ ومشكل إعراب القرآن ٢١٢/١ ـ ٢١٣ والتبيان ٤٠٨/١ وزاد المسير ٢٥١/٢ ـ ٢٥٣ .

(٢) الكتاب ٢٤٨/١ ـ ٢٤٩ .

(٣) الفريد فى إعراب القرآن المجيد ٨١٩/١ .

(٤) الفريد ٨١٩/١ .

(٥) معانى القرآن وإعرابه ١٣١/٢ ـ ١٣٢ .

« والمقيمون » من القراءات الشاذة[٦] ، وإذا صحت القراءة ، واتصل سندها فلا يجوز إنكارها أو ردها .

● وأما قوله ـ تعالى : « السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما .. » فقد قيل : إن « أيديهما » بالجمع واردة على سبيل الخطأ ، وكان الصواب أن ترد على التثنية فيقول : « يديهما » ، وقد ردّ العلماء على ذلك الوهم من قبلُ بردود شافية حيث قال المنتجب بن أبى العز الهمدانى[٧] : « إنما وضع الجمع موضع الاثنين لأنه ليس فى الإنسان سوى يمين واحدة كالرأس والقلب والبطن والظهر ، وما هذه سبيله يُجْعَل الجمعُ فيها مكان الاثنين لعدم اللبس ، واجتزاءً بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف ، وفى التنزيل « فقد صَغَتْ قلوبكما » ولو ثنّى ما كان فى الشيء منه واحدٌ لكان جائزا لا أعرف فى ذلك خلافا عند أهل العربية ، وقد جمعهما الشاعر فى بيت واحد ، فقال :

وَمَهْمَهَيْنِ قَذْفَيْنِ مَرْتَيْنِ
ظَهْرَاهما مثلُ ظُهور التُّرْسَيْنِ

فأتى بالتثنية والجمع .

● وأما عن قوله ـ تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون والنصارى .. » فقيل : إنها وردت بالرفع « الصابئون » ، وكان الصواب أن تروى بالنصب « والصابئين » ، وقد بيّن العلماء ذلك بقولهم : « إن قراءة الرفع « الصائبون » هى قراءة الجمهور[٨] ، ومن هنا لم ينصّ عليها أحدٌ لشهرتها ، لأنهم إنما ينصّون فى القراءات على ما فيه خلاف ، أما المتفق عليه والذى لا اختلاف فيه بين أئمة القراء فلا يعولون عليه ، وقالوا ـ فى قراءة النصب « والصابئين » إنها شاذة فى الرواية ، صحيحة فى القياس[٩] .

وفى توجيه قراءة الرفع « والصابئون » أقوال ، منها :

الأول : وهو قول سيبويه[١٠] أن النية فيه التأخير بعد خبر إن ، وتقديره : « ولا هم يحزنون والصابئون » كذلك فهو مبتدأ والخبر محذوف . ومثله :

فمن يَكُ أمس بالمدينة رَحْلُهُ
فإنى وقَيَّارٌ بها لغريب

(أى فإنى لغريب وقيّار بها كذلك) .

والثانى : أن « إنّ » بمعنى « نعم » ، فما بعدها فى موضع رفع ، أى والصابئون كذلك .

والثالث : أن يكون قوله : « من آمن بالله واليوم الآخر » خبرا للصابئين والنصارى ، وتقدّر « للذين آمنوا والذين هادوا » خبرا مثل الذى أظهرت للصابئين والنصارى كقولك : «زيدٌ وعمروٌ قائمٌ» فيجوز أن تجعل قائما خبرا لعمر ،

---

(٦) المحتسب ٢٠٣/١ ـ ٢٠٤ ومختصر فى شواذ القران لابن خالويه ٣٠ .

(٧) الفريد ٣٧/٢ ـ ٣٨ .

(٨) البحر المحيط ٥٣١/٣ والكشاف ٦٦٠/١ ومشكل إعراب القرآن ٢٣٢/١ ـ ٢٣٣ ومعانى القراءات ١٤٩/٢ وزاد المسير ٩١/١ ـ ٩٢ والقرطبى ٢٤٦/٦ والبيان ٢٩٩/١ ـ ٣٠٠ والطبرى ١٤٧/١ والدر المنثور ٧٥/١ والمحتسب ٢١٧/١ .

(٩) التبيان ٤٥١/١ ـ ٤٥٢ .

(١٠) الكتاب ٢٩٠/١ .

وتقدر لزيد خبرا آخر مثل الذى أظهرته لعمرو ، ويجوز أن تجعله خبرا لزيد ، وتقدر لعمرو خبرا آخر كقول بشر بن أبى حازم ـ وهو من شواهد سيبويه .

وإلا فاعلمـــوا أنّـــا وأنتم
بُغَـــاةٌ ما بقينـــا فى شقـــاق

فقولـه : « بُغَـاةٌ » يجوز أن يكـون خبرا للثانى ، ويقدر للأول خبرًا ، ويكون التقدير وإلا فاعلموا أنّا بغاةٌ ويجوزُ أن يكون خبرا للأول ، ويقدر للثانى خبرا على ما قدمنا .

● هذا من ناحية توجيه قراءة الرفع نحويا ، لكنْ يبقى أن أورد هذه اللطيفة التى تبين وجه الاعجاز القرآنى فى قراءة الرفع « والصابئون » فإن هناك ثلاث آيـــات متشابهان وردت فيها كلمـــة الصابئين ، هى :

١ ـ « إن الذيـن آمنـــوا والذيـــن هادوا والنصارى والصابئين » (البقرة/ ٦٢) .

٢ ـ « إن الذيـن آمنـــوا والذيـــن هادوا والصابئين والنصارى » (الحج/ ١٧) .

٣ ـ « إن الذيـن آمنـــوا والذيـــن هادوا والصابئون والنصارى » (المائدة/ ٦٩) وهى ما نحن بصدد الحديث عنه .

فالنصارى مقدمون على الصابئين فى الرتبة ؛ لأنهم أهـل الكتـاب ، فَقَدَّمهـم فى البقـــرة ، والصابئون مقدمون على النصارى فى الزمان ؛ لأنهم كانوا قبلهم ، فقدّمهم فى الحج ، وراعى فى المائدة المعنيين ، فقدمهم فى اللفظ وأخرهم فى التقديـــر ، لأن تقديـــــره « والصابئـــــون كذلك »[١١] .

● وأما قوله ـ تعالى : « إنّ هذان لساحران » بتشديد نون «إنّ » ، « وهذان » بالألف ، فهى قراءة عامة القراء (أى جمهورهم) ، وفى صحة قراءة « إنّ هذانِ » فى العربية وجوه كلها حجة منها[١٢] :

الأول : أنها وردت على لغة كنانة ، وهم بنو الحارث بن كعب الذين يجعلون ألف الاثنين فى الرفـع والخفض والـنصب على لفـظ واحـد ، كقولك : « أتانى الزيدان ، ورأيت الزيـدان ، ومررت بالزيدان ، وهو ما ذهب إليه الأخفش الكبير أبو الخطاب ، وأنشد الفراء[١٤] للمتلـمس بيتا حجة فى ذلك :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى
مَسَاغًا لناباه الشجـاع لصمَّمـا

---

(١١) البرهان فى متشابه القرآن بتحقيق الدكتور السيد الجميلى ونشرته مجلة الأزهر الغراء (٢٤/١) ، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القـرآن مسألـة ٣٥ ص٣٠ والنـووى مسألـة ٣٣ ص ١٨٠ .

(١٢) الغاية فى القراءات العشر ٣٢٢ والاقناع فى القراءات السبع ٦٩٩/٢ والنشر فى القراءات العشر ٣٠٨/٢ والسبعة لابن مجاهد ٤١٩ والمبسوط فى القراءات العشر ٢٤٩ والتيسير للدانى ١٥١ والتذكرة فى القراءات العشر ٥٣٤/٢ ومعانى القراءات ١٤٩/٢ ـ ١٥١ والحجة لابن خالويه ٢٤٣ ـ ٢٤٤ والعنوان فى القراءات ١٢٩ والكشف عن وجوه القراءات السبع ١٠٠/١ والبحر المحيط ٢٥٥/٦ وتأويل مشكل القرآن ٣٦ ـ ٣٧ وحجة القراءات لأبى زرعة ٤٥٤ ـ ٤٥٦ والبيان ١٤٥/٢ وزاد المسير ٢٩٧/٥ ، ٢٥١/٢ .

(١٣) إعراب النحاس ٣٤٢/٢ ، ٤٤/٣ ـ ٤٥ ومعانى القراء ٨٣/٢ أو معانى الأخفش ٤٠٨/٢ والتبيان ٨٩٤/٢ ـ ٨٩٥ وشذور الذهب ٥٠ ـ ٥٢ والقرطبى ١٤٤/١١ ومغنى اللبيب ٣٨ والكتاب لسيبويه ٤٧٥/١ .

(١٤) معانى القرآن ١٨٣/٢ .

وقال أبو عبيد : ويروى للكسائى يقول : هى لغة بلحارث بن كعب ، وأنشد :

تزوَّدَ مِنا بين أذناه طعنة
رعته إلى هابى التراب عقيم

والثانى : وهو قول بعض النحويين إن ههٰنا هاءً مضمرة ، والمعنى « إنه هذان لساحران » .

والثالث : أن « إنّ » بمعنى « نعم » ، أى نعم هذان لساحران ، قال ابن قيس الرقيات :

وَيقُلْنَ شَيْبٌ قد علاك
وقد كَبِرْتَ فقلْتُ : إنَّه
(أى قلت نعم)

وفى الطبرى[15] (عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : لا أحصى كم سمعت رسول الله ﷺ على منبره يقول : « إنّ الحمدُ لله .. » برفع الحمد ، قال أبو جعفر[16] :العرب تجعل « إنّ » فى معنى « نعم » كأنه أراد « نعم الحمدُ لله » وذلك أن خطباء الجاهلية كانت تفتتح فى خطبتها « بنعم » قال الشاعر :

قالوا : غدرت فقلت : إنّ وربما
نال العُلَى وشفى الغليلَ الغادرُ
(أى نعم وربما)

وقال أبو إسحاق الزجاج[17] : وأجود ما سمعت فى هذا أن « إنّ » وقعت موقع « نعم » ، وأن اللام وقعت موقعها ، أو المعنى نعم هذان لهما ساحران .

وذكر ابن خالويه[18] : أن القراء أجمعوا على تشديد نون « إنّ » إلا ابن كثير وحفصا عن عاصم ؛ فإنهما خففاها ، وأجمعوا على لفظ الألف فى « هذان » إلا أباعمرو ؛ فإنه قرأها بالياء ، فالحجة لمن شدّد فى « إنّ » وأتى بالألف فى « هذان » أنه احتج بخبر الضحاك عن ابن عباس « إن الله ـ تعالى ـ أنزل هذا القرآن بلغة كل حى من أحياء العرب ، وهذه اللفظة بلغة بلحارث بن كعب خاصة ؛ لأنهم يجعلون التثنية بالألف فى كل وجه لا يقلبونها لنصب ولا خفض قال شاعرهم :

إن أباها وأبا أباها
قد بلغا فى المجد غايتاها

فلما ثبتت هذه اللغة فى السواد بالألف وافقت هذه اللغة فَقَرءُوا بها ولم يغيروا ما ثبت فى المصحف ، وحجة من قرأها بالياء ما روى عن عائشة ويحيى بن يعمر أنه لما رُفِع المصحف إلى عثمان قال : أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها ، فإن قيل : فعثمان كان أولى بتغيير اللحن فقل : ليس اللحن ههٰنا إخطاء الصواب ، وإنما هو خروج من لغة قريش إلى لغة غيرهم .

● وأما قوله ـ تعالى ـ : « فيقول ربِّ لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأَصَّدَّقَ وأكنْ من الصالحين » فقد أجاب العلماء عن وجه الشبهة فيه بقولهم :

(١٥) تفسير الطبرى ١١/٢١٨ .
(١٦) إعراب القرآن للنحاس ١/٤٤ ـ ٤٥ .
(١٧) معانى القرآن وإعرابه ٣/٣٦٢ ـ ٣٦٣ .
(١٨) الحجة لابن خالويه ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

قرأ أبو عمرو وحده : « وأكون » بواو بعد الكاف مع نصب النون ، وقرأ الباقون (وهم الجمهور) « وأكُنْ » بجزم النـــون من غير واو »[19] .

وفى توجيـــه قراءة « وأكـــنْ » قال أبو منصور[20] : « عطف » « وأكون » على قوله : « فأصدقَ » وأما قراءة « وأكنْ » فهو معطوف على موضع « فأصدق » ولو لم يكن فيه الفاء ، ومثله :

فأبلـــونى بليّتكـــم لعلّـــى
أصالحكـــم وأستـــدرجْ نويّـــا

فقوله : « وأستدرج » جزم لأنه عطفه على موضع الجزم لو لم يكن فيه « لعلى » ، فعطفه ـ على قراءة وأكن ـ على موضع « فأصدق » لأن موضعه قبل دخول الفاء جزم أى إن أخرتنى أصدقْ وأكنْ[21] ، ومثل ذلك قراءة من قرأ : « من يضلل الله فلا هادى له ويذرْهم فى طغيانهم يعمهون »[22] بسكون راء « ويذرهم » لما كان « فلا هادى له » فى موضع فعل مجزوم حُمِلَ « يذرْهم » عليه ، وأما قول أبى عمرو « وأكون » فإنه حمله على لفظ « فأصدق » وذلك أن « لولا » معناه « هلا » ، وجواب الاستفهام بالفاء يكون منصوبا ، وكان الحمل على اللفظ أولى لظهوره فى اللفظ وقربه مما لا لفظ له فى الحال .

● وإذ قد ثبت فى هذه الآيات أن القراءات فيها صحيحة سبعية أو عشرية متواترة فلا مجال للطعن فيها أو ردّها لأنها استوفت أركان القـــراءة الصحيحة ، فقد وافقت العربيـة ولـو بوجـه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها ، فلا يحل لأحد إنكارها أو ردها ؛ لأنها الأحرف التى نزل بها القرآن ، ووجب على الناس جميعا قبولها ، وهـذا ما صَرّح به أئمـة التحقيق من السلف والخلف ولا يعرف عن أحد منهم خلافه[23] .

إن أئمة العربية لا تعمل فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية ، بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل والرواية وأنه إذا ثبت عنهم القراءة بشىء لم يرده قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها .

● أما إنكار الحجاج وغيره من أهل اللغة لهذه القراءات فأمر مردود ومنكور عند أهل اللغة المعتبرين الذين عليهم الاعتماد سلفا وخلفا ؛ لأنهم يوجهونها ويستدلون بها ، وأنّى يسعهم إنكار قراءة تواترت أو استفاضت عن رسول الله ﷺ إلا قلةُ لا اعتبار بها ولا معرفة لها بالقراءات ولا بالآثار ، جمدوا على ما علموا من القياسات ، وظنوا أنهم أحاطوا بجميع لغات العرب ، أفصحها وفصيحها . وقد نقل السيوطى عن قوم من النحاة

(19) الحجة فى القراءات السبع ٣٤٧ ومعانى القراءات ٧١/٣ ـ ٧٢ والنشر ٣٨٨/٢ والغاية ٤١٣ والمهذب ٢٨٩/٢ .
(20) معانى القراءات ٧١/٣ ـ ٧٢ .
(21) معانى الفراء ١٦٠/٣ .
(22) الأعراف/ ١٨٥ .
(23) النشر ٩/١ ومنجد المقرئين ومرشد الطالبين ١٥ .

المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة فى العربية ، وينسبونهم إلى اللحن قال : « وهم مخطئون فى ذلك فإن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التى لا مطعن فيها ، وثبوت ذلك دليل على جواز فى العربية ، وقد رد المتأخرون ومنهم ابن مالك على من عاب عليهم ذلك بأبلغ ردّ واختار جواز ما وردت به قراءاتهم فى العربية مستدلا به »[٢٤] .

وأما ما نُقل عن السيدة عائشة وسيدنا عثمان بن عفان ــ رضى الله عنهما ــ من أن ما ورد فى هذه القراءات إنما هو لحن وستقيمه العرب بألسنتها ، وأنه من عمل الكُتّاب أخطئوا فى الكتاب (يعنى فى الكتابة) فَرَدُّنا عليه أن نقول كما قال السلف من علمائنا الأجلاء[٢٥] :

« معاذ الله ! كيف يُظَنّ أولًا بالصحابة أنهم يلحنون فى الكلام فضلا عن القرآن ، وهم الفصحاء اللُّدُّ ؟! ثم كيف يُظنُّ بهم ثانياً فى القرآن الذى تلقوه من النبى ﷺ كما أنزل وضبطوه وحفظوه وأتقنوه ، ثم كيف يظن بهم ثالثاً اجتماعهم كلهم على الخطأ فى الكتابة ؟! ثم كيف يظن بهم رابعاً عدم تنبههم ورجوعهم عنه ؟!

ثم كيف يُظن بعثمان ــ رضى الله عنه ــ أن يقرأه ولا يغيره ، ثم كيف يُظن أن القراءات استمرت على مقتضى ذلك الخطأ ، وهو مروى بالتواتر خلفا عن سلف ؟ هذا مما يستحيل عقلا وشرعا وعادة .

ثم إن هذا الأثر ضعيف والإسناد فيه اضطراب وانقطاع ــ كما يذكر الإمام السخاوى[٢٦] ــ ؛ لأن عثمان ــ رضى الله عنه ــ جعل للناس إماما يُقْتَدَى به ، فكيف يرى لحنا ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها ، وقد كتب مصاحف سبعة ، وليس فيها اختلاف قط إلا فيما هو من وجوه القراءات وإذا لم يقمه هو ومن باشر الجمع فكيف يقيمه غيره ؟

وقد ذكر ابن تيمية[٢٧] أن هذا الخبر المنقول عنهما باطل ولا يصح من وجوه :

أحدها : أن الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات ، فكيف يقرّون اللحن فى القرآن مع أنهم لا كلفة عليهم فى إزالته .

الثانى : أن العرب تستقبح اللحن غاية الاستقباح فى الكلام ، فكيف لا يستقبحون بقاءه فى المصحف .

الثالث : أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بألسنتها غير مستقيم ؛ لأن المصحف الكريم يقف عليه العربى والعجمى .

الرابع : أنه قد ثبت فى الصحيح أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب « التابوت » بالهاء على لغة الأنصار فمنعوه ، ورفعوه إلى عثمان ــ رضى الله عنه ــ فأمره أن يكتبه بالتاء على لغة قريش .

كذلك أنكر الطبرى[٢٨] هذه الرواية المنسوبة إلى عائشة ــ رضى الله عنها ــ وعقب بأنه « لو

(٢٤) الاقتراح ٤٩ .
(٢٥) الإتقان ٧٥/١ ، ٧٢/٢ والاقتراح ٥٠ ــ ٥١ .
(٢٦) نقلا عن ابن هشام فى شذور الذهب ٥٠ .
(٢٧) انظر مجموع الفتاوى ١٥٣/١٥ .
(٢٨) تفسير الطبرى ١٩/٦ .

كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب إن يكون فى كل المصاحف غير مصحفنا الذى كتبه لنا الكاتب الذى أخطأ فى كتابته بخلاف ما هو فى مصحفنا .. ولو كان ذلك خطأ من جهة الخط لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ يعلِّمون من علموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن ولأصلحوه بألسنتهم ولقنوه الأمة تعليما على وجه الصواب ، وفى نقل المسلمين جميعا ذلك قراءة على ما هُوَ به فى الخط مرسوما أدلّ الدليل على صحة ذلك وصوابه وأن لا صنع فى ذلك للكاتب .

كذلك أنكرها المهدوى[٢٩] فى شرح الهداية وذكر أه هذا قول لم يصح ، ولا يوجد فى القرآن الكريم حرفٌ واحدٌ إلا وله وجه صحيح فى العربية وأن القرآن محفوظ من اللحن أو الزيادة أو النقصان .

ويرى ابن هشام[٣٠] أنها رواية « بعيدة الثبوت عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ لأن هذه القراءات كلها موجهة وهى قراءة جميع السبعة ، فلا يتجه القول بأنها خطأ لصحتها فى العربية ، وثبوتها فى النقل » .

وأحسن ما يقال فى أثر عثمان ـ رضى الله ـ تعالى عنه ـ بعد تضعيفه بالاضطراب الواقع فى إسناده والانقطاع ، أنه وقع فى روايته تحريف ، فإن ابن أشته أخرجه فى كتاب المصاحف من طريق عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر قال : « لما فرغ من المصحف ، أتى به عثمان فنظر فيه ، فقال : لقد أحسنتم وأجملتم أرى شيئا سنقيمه بألسنتنا » فهذا الأثر إشكال فيه[٣١] ، فكأنه لما عرض عليه عند الفراغ من كتابته رأى فيه شيئا على لسان قريش كما وقع لهم فى « التابوت » و « التابوه » فوعَدَ بأنه سيقيمه على لسان قريش ـ كما ذكر ابن خالويه[٣٢] ـ ثم وفىّ بذلك كما ورد من طريق آخر أورده السيوطى .

ولعل من روى الأثر حرَّفه ، ولم يتقن اللفظ الذى صدر عن عثمان فلزم ما لزم من الإشكال ، وفى الإتقان للسيوطى فصل بعنوان « معرفة على كم لغة نزل القرآن » ، وفصل آخر بعنوان « فيما وقع فى القرآن بغير لغة الحجاز » أورد فيه عدداً كبيراً من لغات القبائل ذكر منها كنانة وهذيل وحمير وجرهم وأزدشنوءه وخثعم وكندة وغيرها[٣٣] .

وليست هذه المزاعم بجديدة على القرآن الكريم ، فقد هَرَف بها من قبلُ كثرةٌ من أعداء الإسلام وأهل البدع والأهواء ، وقد كان بعض المعتزلة يذهب إلى أن قراءات القرآن من قبيل اجتهاد القراء ، وتبعهم فى ذلك بعض النحاة ، فقاموا بتخطئة القرآن واتهامه باللحن والخروج عن اللغة الصحيحة المعروفة عند العرب ظنا منهم أن القرآن جاء بهذه اللغة من قِبَلِ نفسه .

(٢٩) نقلا عن شذور الذهب ٥١ .
(٣٠) شذور الذهب ٥١ .
(٣١) الاقتراح ٥١ والإتقان ١/٧٥ ، ٢/٢٧ ومابعدها .
(٣٢) الحجة فى القراءات السبع ٢٤٤ .
(٣٣) الإتقان ٢/٨٩ ـ ١٠٤ .

لكن المحققين من العلماء أجابوا عن هذه المزاعم ، وكشفوا عن وجه الحق فيما أثاروه من خلافات ، وليس كل خلاف فى تراثنا العربى أو الإسلامى دليلًا على صحة الآراء المذكورة فيه ، فثَمّ خلاف هو من قبيل خلاف التنوع ، وهو الذى تكون فيه كل الآراء محتملة للصواب ، مختلفة من حيث اللفظ متفقة من حيث المعنى ، كقول بعض المفسرين : إن المقصود بالصراط المستقيم فى الفاتحة هو الإسلام ، وقول آخرين : إنه القرآن ، وقول فئة ثالثة : إنه طريق النبيين والمرسلين .

فهذه خلاقات تكاد تكون واحدة من حيث المعنى ، وهى من قبيل التنوع ، فهذه لا بأس بها ولا غبار عليها ، وهى تعود على البحث العلمى بالخير والفائدة للمتعلمين .

وهناك خلاف آخر هو من قبيل التضاد لا تكون فيه الآراء كلها محتملة للصواب بل لابد أن يكون أحدها صائبا والآخر مخطئا ، كالخلاف فى مسائل الحلال والحرام فإذا اختلف العلماء حول مسالة ، وقال بعضهم : إنها حلال ، وقال آخرون : إنها حرام ، وهى مسألة بينة واضحة فلابد أن يصح أحد الرأيين ، ويكون الآخر مخطئا .

وفى خلافات علمائنا كثيرٌ من هذا القبيل ، ومنه خلاف أهل الحق مع أهل الباطل والأهواء والبدع ، ومنه خلاف جمهور أهل السنة والجماعة مع أهل المذاهب غير السنية ، وكذلك خلاف جماعة المسلمين أو جمهرة العلماء مع الشواذ والخارجين عما اتفقت عليه الأمة .

ولا يصح أن نجعل الآراء والمعتقدات الفاسدة والأقوال الضعيفة الواهية المتهالكة أصلا نستند إليه عند الاستدلال والاحتجاج لمجرد أن أحداً من الناس قالها أو أن عالماً من العلماء ذكرها حتى ولو كان من علماء القرون الأولى ، فتلك فيها أصحاب الحق والحجة والبرهان ، وفيها كذلك أهل الباطل والكذب والبهتان .

قبس من أنوار النبوة

لا تحل المسألة إلا لأحد ثلاثة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

« عن قبيصة بن مخارق الهلالى ـ رضى الله عنه ـ قال : تحملت حمالة ، فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها : فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة ؛ فنأمر لك بها .

ثم قال : يا قبيصة : إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة :

رجل تحمل حمالة ؛ فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك .

ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله ؛ فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ـ أو سدادا من عيش .

ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة ؛ فحلت له المسألة حتى يصيب قواما أو سدادا من عيش ، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها » .

(رواه مسلم وأبو داود والنسائى)

المفــردات :

١ ـ الحمالة (بفتح الحاء) : ما يتحمله الإنسان عن غيره من مال يستدينه ويدفعه لإصلاح ذات البين .

٢ ـ الجائحة : الآفة التى تهلك الأموال والثمار والدور كالزلزال ، والسيل ، والإعصار ، أو غير ذلك من المصائب العظيمة .

٣ ـ قواما من عيش : القوام (بفتح القاف) ما يقوم بالحاجة وما تقوم به معيشته .

٤ ـ الفاقة : الحاجة والفقر .

٥ ـ الحجا : العقل .

جرت سنة الله فى هذا الوجود ، أن يبتلى بنى الإنسان بالخير أو الشر فتنة وامتحانا وابتلاءً ، كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ : « وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً » (الأنبياء/ ٣٥) والابتلاء قد يكون بالسراء والضراء ، وبالنعماء والبأساء ، وبالشدة والرخاء ، وبالسعة والضيق ، وبالفرج والكرب ، وبالصحة والسقم ، والحلال والحرام ، والطاعة والمعصية ، والابتلاء : بما هو خير أشد وطأة ، وأثقل عبئا ـ وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر ـ حيث إن القلة هى التى تصبر وتصمد للابتلاء بالخير ؛ فقد يصبرون على الفقر والحرمان ، ولكن القليل منهم من يصبر على

الابتلاء بالغنى والعطاء والثراء ، وما يغرى به من متاع ، وما يثيره من شهوات وأطماع

ومما أثر عن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : « بلينا بالشدة فصبرنا ، وبلينا بالرخاء فلم نصبر » .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ قضى أن يختبر عباده بما يعطيهم من خير أو شر ، وكان ابتلاؤه بالخير دقيقا جدا قل من ينجح فيه ؛ فإن شكروا فى الخير والنعيم ، وصبروا فى الشر والبلاء فأولئك هم الفائزون ، وإن أبطرتهم النعمة وجزعوا من الابتلاء فهؤلاء هم الخاسرون .

إن الشكر على النعماء والصبر على البلواء صفة أهل الإيمان الصادق كما قال ﷺ فيما رواه مسلم : « عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » .

والرسول ﷺ يذكر لنا الذين يباح لهم أن يسألوا الناس المعونة والمساعدة بما يزيل كربتهم ، ويقضى حاجتهم ، ويدفع الضر عنهم .

وفى أول من تحل لهم المسألة وتجوز عليهم الصدقة ، رجل تحمل حمالة : أى أن المال الذى يتحمله الإنسان فيستدينه ويدفعه لإصلاح ذات البين ، ودفع نزاع قائم بين فريقين ، فيأخذ من الزكاة والصدقة ما يسد به ذلك الدين وإن كان غنيا ، وفى ذلك ترغيب فى مكارم الأخلاق ، وكانت العرب إذا تحمل أحدهم حمالة بادروا إلى معونته ودفعوا إليه ما يسد به دينه ، وتبرأ به ذمته ، وإذا سأل الناس لذلك لم يكن نقصا فى قدره ، بل يعد من مفاخره .

والرجل الثانى : ممن تحل لهم المسألة ـ أصابته جائحة ، ونزلت به مصيبة عظيمة ـ حادثة أو آفة أهلكت الزرع أو الماشية ـ أو غير ذلك ـ كالسيول والأعاصير والزلازل ؛ فيحل له أن يسأل الصدقة ويطلب المعونة ، ويجب إعطاؤه من الزكاة المفروضة وغيرها حتى يستغنى ويستقيم أمره ثم يمسك .

والثالث : رجل أصابته فاقة وحاجة وعوز بعد غنى ، وشهد ثلاثة من عقلاء قومه بفقره بعد أن كان غنيا . يباح له السؤال وأن يطلب من الناس معونته ، حتى يصيب قواما وسدادا وكفاية ، وما زاد عن الحاجة فهو سحت وحرام .

وروى أصحاب السنن : أن النبى ﷺ قال : « إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة : « لذى فقر مدقع » ـ ما يفضى بصاحبه إلى الدقعاء أى : التراب وهو كناية عن شدة الفقر ـ « أو لذى غرم مفظع » ـ الغرامة : الفظيعة ـ « أو لذى دم موجع » ـ هو : الدية التى تلزمه ولا يستطيع أداءها .

« لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى » رواه الترمذى .

والمرة : القوة والشدة ، والسوى : الصحيح الأعضاء ، أو القادر على الكسب .

وهكذا يعلم الإسلام أبناءه التعفف والترفع ويدفعهم إلى العمل مهما كان . « ولأن يأخذ أحدكم حبله إلى الجبل فيحتطب على ظهره فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » رواه الشيخان وغيرهما .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .

من
تراث
علمائنا

النسخ في الشريعة الإسلامية

بقلم أ.د/ محمد سعاد جلال

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته ، وبعد :

١ ـ للمناسبة الملحوظة فى منهج البحث بين الدلالة اللغوية للكلمة ، والاصطلاح المؤسس عليها ، يلزمنا تحقيق الدلالة اللغوية لكلمة النسخ ، والمعنى الاصطلاحى الذى يريده علماء الأصول منها ، ذلك المعنى الذى يظل بسبيل من النظر إلى المدلول الأول دائما

بيان النسخ :

يطلق النسخ فى اللغة على الإزالة : يقال نسخت الشمس الظل إذا أزالته ، ونسخت الريح آثار القدم إذا أزالته ، ونسخ الشيب الشباب كذلك .

ويطلق على النقل والتحويل ، يقال : نسخت النحل العسل إذا نقلته من خلية إلى خلية .

ومن دلالة النسخ على النقل استعمالهم الكلمة فى تناسخ المواريث ، لانتقالها من قوم إلى قوم ، وتناسخ الأرواح لانتقالها بذاتها من بدن إلى بدن ، عند من يرون ذلك مذهبا .

وكعادة الأصوليين دائما ، أو كما هو طابع الثقافة الإسلامية ، فى اتجاهها إلى الدقة المتناهية ، والتمييز الفاحص بين الحقائق ، اختلف العلماء أى هذين المعنيين المذكورين هو المعنى الحقيقى دون الآخر ، أهو الإزالة ؟ أم هو النقل ؟ ليس للكلمة عند الاستعمال إلا هذان المعنيان ، فلابد أن يكون أحدهما هو الحقيقى دون الآخر ؛ دفعا لفرض اشتراكهما فى لفظ واحد يدل على كل منهما ؛ لأن اشتراك المعانى تحت لفظ واحد تعدد وضعه لكل منها . مما يأباه واجب الحكمة فى وضع اللغات[1].

ونحن نختار ما ذهب إليه الإمام الرازى من أن معنى النسخ هو الإبطال .

قال الرازى :

(فقد رأينا اللفظ مستعملا فى المعنيين على

(١) عبدالعزيز البخارى : شارح البزدوى .

سواء ، فالتمسنا مرجحا ، فوجدنا النقل أخص من الإبطال لأنه حيث وجد النقل فقد عدمت صفة وحل عقيبها صفة أخرى ؛ فإن مطلق العدم أعم من عدم يحصل عقيبه شيء آخر ، وإذا دار اللفظ بين العام والخاص كان جعله حقيقة فى العام أولى)[٢] .

ولكن لم يقل لنا الرازى : لماذا يكون جعل اللفظ حقيقة فى المعنى العام أولى من جعله كذلك فى المعنى الخاص ؟ .

ولعله تركنا لنفهم أن المعنى العام من قبيل البسيط ، فيكون فى مراحل تطور الكلمة سابقا على المعنى الخاص الذى يعد ـ لاشتماله على المطلق وزيادة من قبيل المركب ، فيترجح أن تكون الكلمة حقيقية فى المعنى الأسبق وجودا ، وقد ورد من ذلك قوله ـ تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾. فليس ها هنا معنى إلا الإزالة والإبطال ، والأصل أن نفهم ذلك على أنه حقيقة اللفظ لا مجازه ؛ لأن ذلك موجب الإطلاق .

٢ ـ وقد يكون اختلاف الأصوليين فى تعريف الكلمة من الجانب اللغوى أيسر يسرا من اختلافهم الذى تقدم عليه الآن فى بيان معناها الأصولى . ولن نستطيع الدوران كثيرا وراء اختلافاتهم المتشعبة على ما ترى عند الآمدى ، وعبدالعزيز البخارى شارح البزدوى ، ولكنا سنقتصر على ذكر طائفة من التعريفات المعتبرة عند أصحاب الفن . والمقصود من ذلك إنما هو إيجاد أدلة طائلة لإيضاح الفكرة ، وتمثيل وجهات نظر أصحاب المذاهب المختلفة :

أولا : هذا التعريف الذى اختاره الغزالى ، ولعله يمثل وجهة نظر المذهب الشافعى ، وإن كان الآمدى يضع لنفسه تعريفا مستقلا عنه :

(النسخ هو : الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم ، على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه) .

ويلزمنا شرح هذا التعريف المفصل ، الذى نؤثره كما آثره الغزالى ـ برغم بعض المآخذ التى وجهت إليه .

فعند استعراض عملية النسخ نفترض وجود خطابين شرعيين ، أثبت كل منهما حكما شرعيا أحدهما متقدم والآخر متأخر عنه ، إذا ظهر المتأخر من قبل الشارع دل ظهوره على زوال الحكم الثابت بالخطاب المتقدم ، وانتهاء مدته فى علم الشارع ، وأن اعتبار تكليفنا به قد بلغ أجله ، ويسمى الحكم الزائل منسوخا ، والخطاب الذى دل على زواله ناسخا .

ويشترط أن يكون الحكم المنسوخ حكما شرعيا ـ لا حكما عقليا : فرفع ما يسمى بالإباحة الأصلية ، أو براءة الذمة الثابت بحكم العقل ، إذا وقع بخطاب شرعى لا يسمى ذلك نسخا ؛ لأن إيجاب العبادات فى الشرع ابتداء يزيل حكم العقل من براءة الذمة ، ولا يسمى ذلك نسخا .

ويشترط أن يكون الخطاب الثانى ، وهو الناسخ متأخرا عن الأول فى الزمان ، فلو كان

(٢) الفخر الرازى ـ محمد بن عمر ـ صاحب التعبير .

موصولا به كالاستثناء ، والشرط ، والغاية ، لا يكون شيء من ذلك ناسخا ولا التقييد به نسخا . بل قد يسمى فى بعض الاصطلاحات تخصيصا ، وفى بعضها بيان تغيير .

وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ﴾ وقوله – تعالى : ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ ، وقوله – تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ . إلى آخر هذه الأمثلة الجزئيات .

ونشترط أن يكون الخطاب الأول المثبت للحكم المنسوخ مصوغا بصورة تدل على استمرار الحكم الثابت ، حتى يتصور أن يكون الخطاب الناسخ دالا على عدم استمراره ، وكاشفا لما حجب عنا من انتهاء التكليف به . فلو فرضنا أن هذا الخطاب المتقدم قد كان مصوغا بصورة تفيد التأقيت لما صح أن يكون حكمه منسوخا عند زواله ، وطروء خطاب بعده يناقضه .

قال – تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، إن هذا النص أو هذا الخطاب يفيد تأقيت الحكم الثابت به ، فلو فرضنا أن خطابا آخر لحق به من قبل الشارع عند غروب الشمس يقول : (كلوا واشربوا) لما اعتبرت هذه العملية نسخا ؛ لأن الخطاب الثانى لم يرفع شيئا باقيا من حكم الخطاب المتقدم .

كما يشترط فى هذا الخطاب الأول أيضا ألا تأخذ صياغته صورة التأبيد كقوله ﷺ : (الجهاد ماض إلى يوم القيامة) ، وكقوله – تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ فإن مثل هذا الخطاب لا يلحقه النسخ ؛ لأن صيغته التى أعلنها الشارع عن نفسه أبانت أنه ليس فى علمه احتمال نسخ مثل هذا الحكم .

ويضاف إلى هذا الموضع أيضا – أن النسخ لا يلحق واجبات العقول : فيمتنع من أمر الشارع أن يسوق خطابا يتضمن نسخ الحكم بوجود الله ، أو بوحدانيته ، أو بتنزيهه عن الولد والشركاء . أو يتضمن نسخ الحكم بوجوب شكر المنعم ، وما شاكل ذلك من الأمور التى يكون تحققها مما يحكم العقل بوجوبه . وإن خالف فى هذه المسألة التى يبدو – كأنها بدهية – بعض أصحاب المذاهب[3] .

ثانيا : عرف بعض الحنفيين النسخ بقوله : (هو بيان انتهاء الحكم الشرعى المطلق الذى فى تقدير أوهامنا استمراره ، لولاه – أى – لولا هذا البيان – بطريق التراخى) .

ويمكن فهم هذا التعريف على ضوء شرح التعريف السابق ، وإن اختلف عنه باستعمال كلمة « البيان » بدلا من كلمة الخطاب فى التعريف السابق ، وربما كانت هذه الكلمة فى موضعها أدق من « الخطاب » ؛ لأنها أشمل لصور النسخ من جهة إذ تشمل صريحا ما كان من النسخ عمليا بفعل النبى ﷺ : كالذين رووا أن النبى ﷺ أمر بقتل شارب الخمر إذا شربها للمرة الرابعة – فجاؤوه بإنسان شرب الخمر للمرة الرابعة ، فلم يقتله[4] – فكان ذلك نسخا بالفعل لا بالخطاب ، فأولى أن يسمى النسخ بيانا ، وإن كان فعله ﷺ لا يعرى من أن يكون فى معناه خطابا .

(٣) ابن حزم فى الإحكام .

(٤) الآمدى – الإحكام – النسخ .

ومن جهة أخرى : فإن كلمة « البيان » أكثر كشفا لفلسفة النسخ ، وهو أنه على الحقيقة بيان من الله لما كان حجب عنا من حقيقة بعض ما كلفنا به . ويرى ابن حزم أن النسخ نوع من أنواع تأخير البيان ؛ لأن تأخير البيان عنده ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : يقع على اللفظ المجمل ، يظل على إجماله حتى يحين وقت التكليف بحكمه ، فيرد عن الشارع ما يفسره للمكلف .

وثانيهما : عمل كلفنا الله به فى وقت معين لا نظنه مستمرا ــ وقد سبق فى علم الله أنه سينقلنا عنه إلى التكليف بغيره فى وقت آخر ، فإذا جاء هذا الوقت الآخر ، بين لنا ما كان غائبا عنا من علمه ، واستأنف تكليفنا بحكم غير هذا الحكم المتقدم .

وفى تقرير هذا المعنى ، يسوق لنا البزدوى إحدى عباراته الرصينة إذ يقول : (وهو ــ أى النسخ ــ فى حق صاحب الشرع بيان محض لمدة الحكم المطلق الذى كان معلوما عند الله ، إلا أنه أطلقه فصار ظاهره البقاء ، فى حق البشر ، فكان تبديلا فى حقنا ، بيانا محضا فى حق صاحب الشرع ، وهو كالقتل لأنه بيان محض للأجل ؛ لأنه ميت بأجله بلا شبهة فى حق صاحب الشرع ، وفى حق القاتل تغيير وتبديل) .

ثالثا : وللغاية التى توحى بها كلمة « البيان » دون كلمة (الخطاب) فى تفسير النسخ جاء تعريف ابن حزم الظاهرى : « النسخ : بيان انتهاء زمان الأمر الأول فيما لا يتكرر . ويريد بغير المتكرر الذى يدخله النسخ ما كان الخطاب به مطلقا . ويريد بالمتكرر الذى لا يعتبر . بيان انتهاء زمانه نسخا ، ما كان الخطاب به دالا على التأقيت .

ثم نقل تعريفا آخر عن بعض العلماء ــ عرفنا عن طريق الآمدى ــ أنه من المعتزلة قال : (إن النسخ : استثناء الزمان الثانى من إطلاق الفعل على التأبيد) وهو ظاهر .

وأكثر هذه التعريفات ــ تدور على معنى واحد ، وهو أن النسخ : بيان لانتهاء حكم وضع فى علم الله على قدر زمان معين ، وليس اعتراضا على حكم وضع على قدر الزمان كله .

وهو المعنى ذو الأثر الذى سنصحبه معنا إلى مناقشات قادمة .

الاستدلال على ثبوت النسخ

١ ــ يلمح الدارس لموضوع النسخ من خلال الأقوال التى نجدها منقولة عن الصحابة والتابعين ، كابن عباس .. وابن مسعود ، وعكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم ، ومن تأصيل الأئمة ، وعلماء الأصول من سنيين وشيعة وظاهرية ومعتزلة ــ أن مسألة النسخ كانت واقعا مستقرا فى التفكير الإسلامى ، وأن الجو الفكرى المتبادل بين المختلفين فى مواد المسائل المنسوخة والناسخة ، إنما تنهض شاهدا على أن موضوع النسخ من الموضوعات التى سلم بوجودها المسلمون من أول الأمر فى الشريعة الإسلامية . وأن أية محاولة طارئة ومتأخرة فى الزمان ترمى إلى القول بعدم وجود النسخ فى الشريعة ، أو فى القرآن إنما هى محاولة مفتعلة على ذلك الوضع المستقر لفكرة النسخ ، مهما اصطنع لها أصحابها من المبررات ، ومهما تهيأ لهم من محاولات الاستدلال .

إنه لمن الصعب أن تصدق أن ابن مسعود ، وابـن عبـاس ، وعلى بن أبى طالب وغيرهـم يتكلمـون فى الـنسخ ، ويختلفـون فيمـا بينهم اختلافات تصل إلى حد إعلان المباهلة حول بعض الآيات .. فيقول ابن مسعود فى بعض واقعات النسخ : من شاء باهلته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد سورة النساء الطولى ، أى فنسخت الآية التى يعنيها . ثم يكون النسخ فى آيات القرآن أو فى السنة أمرا غريبا وخطأ واقعا فى الدين .

ومهما لاحظنا أن من المنقول عنهم فى الناسخ والمنسوخ ما لا ينطبق عليه حد النسخ عند الأصوليين ، فإن حديث هؤلاء الصحابة والتابعين عن النسخ حديثا مستقرا متبادلا فيما بينهم ، فى الوقائع إلى يتدار سونها كاف وحده فى الدلالة على وجود مبدأ النسخ ، وثباته فى الشريعة الإسلامية .

٢ ـ وحين يتحـدث الكتـاب المسلمـون عن المنكرين للنسخ لا يذكرون فى المقام الظاهر من حديثهـــم إلا اليهود ، ويشيرون بمنتهى عدم الاكتـراث إلى بعض مجهـل من المسلـــمين ، لا يعـرف أشخاصهـم ، ولا زمـان وجودهـم ولا مستند رأيهم على التحديد ، كقول الفخر الرازى : (ويروى عن بعض المسلمين إنكـار النسخ) ولا يعنى بالزيادة فى تعريفهم على هذه الإشارة الوجيزة ، وكقول الإمام البزدوى على بن محمد : وقد أنكر بعض المسلمين النسخ ، لكن لا يتصور هذا القول من مسلم مع صحة عقد الإسلام .

وتستطيع أن تقدر فى هذه العبارة العنيفة ، من تغليظ الحكم ، وقسوة النظر على من ينكر وجود النسخ فى الشريعة ، هذا القول لا يتصور من مسلم مع صحة عقد الإسلام .

٣ ـ ولنبحث عن البعض المجهل الذى أشار إليه الرازى والإمام البزدوى-رضى الله عنهما : إن عبدالعزيز البخارى شارح البزدوى دلنا على هذا البعض المنكر للنسخ فى نقل البزدوى وسماه ، بأنه أبو مسلم الأصفهانى محمد بن بحر الذى نتكلم عنه فيما بعد .

فمن يكون يا ترى ذلك البعض المجهل الذى عناه الفخر الرازى ؟ أهم جماعة آخرون غير أبى مسلم ؟. أم المقصود أبو مسلم نفسه ؟

إن الفخر الرازى لا يكشف لنـا عن هذه المسألة ــ وفى أثناء در سنا للآيات التى يقع فيها الاختلاف حول النـاسخ والمنسوخ فى تفسيره الكبير لا يذكر لنا إلا اسم أبى مسلم فى الجانب الذى يتأول فيه للآيات المنسوخة ، ليخرجها عن حد النسخ .

وفى بعض المرات ذكر لنا اسما آخر هو اسم أبى بكر الأصم ، أثنـاء التوفيـق بين بعض الآيات المتنازع على نسخها ، ولكن هذا لا يكفى ؛ لأن نظن أن أبا بكر الأصم ،كان اسما آخر ينضم إلى اسم أبى مسلم فى إنكار النسخ ؛ لأن القائلين بالنسخ أنفسهم يبذلون نفس المحاولات للتوفيق بين الآيات التى تعطى التعارض بظاهرها ، نأيا عن طريق النسخ ؛ لأن النسخ باتفاق العلماء آخر ما يصار إليه فى فهم آيات القرآن ، فلعل أبا بكر الأصم هذا كان من هذا الفريق .

على أننا وقعنا مصادفة فى الإحكام لابن حزم على نص قاطع فى تحديد موقف أبى بكر الأصم .

فى أثناء نقل ابن حزم لأقوال العلماء الذين

يهذرون العمل بخبر الواحد ، ذكر نقلا عن الأصم يتضمن اعترافه بالنسخ يقينا .

قال ابن حزم : قال أبو بكر كابن كيسان الأصم البصرى : لو أن مائة خبر مجموعة قد ثبت أنها كلها صحاح إلا واحدا منها لا يعرف بعينه أيها هو قال : فإن الواجب التوقف عن جميعها . فكيف وكل خبر منها لا يقطع على أنه حق متيقن ، ولا يؤمن فيه الكذب ، والمنسخ والغلط ؟. انتهى كلام الأصم .

وظاهر أن موضع الشهادة فيه على ما نلتمس هو كلمته الأخيرة ، ولا يؤمن فيه الكذب ، والنسخ ، والغلط ، فهذا إقرار منه بموضوع النسخ .

٤ ـ إذن نستطيع أن نجزم بأن الاستقراء العلمى إلى الآن وبحسب المصادر التى بأيدينا لم يستطع أن يقدم لنامن بين علماء المسلمين اسما معينا يذهب إلى إنكار النسخ غير أبى مسلم ـ ذلك المفكر الذى يثير ضجة كبيرة فى عالم التفسير والفقه بنظريته المبتدعة فى إنكار النسخ .

وقد ترك لنا أبو مسلم من المصادر التى يتحتم أن يكون ضمنها هذه النظرية ـ كتابين أحدهما كتاب : « جامع التأويل لمحكم التنزيل » ، وهو تفسير ضخم يقع فى نحو أربعة عشر مجلدا ، كتبه على طريقة المعتزلة .

وفى نقول جولدزيهر : إنه يبلغ سبعة وعشرين مجلدا ، وقد مدحه بعض الكاتبين[٥، ٦] القدماء بأنه لم يؤلف مثله ـ وهى عبارة تقليدية لا تفيد غير التزكية لكن هذا الكاتب أشار بعد هذه التزكية إلى أن ضخامة الكتاب من بعض الفضول .

وثانى الكتابين : كتاب الناسخ والمنسوخ ، ومبلغ علمى أن هذين الكتابين لم يصلا إلينا ، وإلا كنا قد وجدنا فى رحابهما الواسعة ، ومادتهما المباشرة معرفة أوسع وأدق ، وذات أصالة بهذه النظرية الجديدة التى خرج بها صاحبها على الناس ، فى أواخر القرن الثالث ، ومطلع القرن الرابع الهجرى .

٥ ـ وقد استطاع الفخر الرازى أن يقدم لنا نماذج لمحاولات أبى مسلم فى التوفيق بين الآيات الناسخة والمنسوخة نعود إليها فيما بعد ، ولكنه لم يقدم لنا بالذات الأصل الذى اعتمده فى إنكار النسخ . إن معرفة هذا الأصل ذات خطر كبير فى تكييف الموضوع والحكم فيه ، ولا سيما بالنسبة لمن يحاولون تقليد أبى مسلم فى طريقة التوفيق بين الآيات المنسوخة والناسخة ، ويحسبون الخطب فى ذلك سهلا ، مع أن انكشاف الأصل الذى بنى عليه أبو مسلم « منع النسخ » قد يكون على درجة من ظهور البطلان ومصادمة النصوص ، كالقول بالبداء أو غيره ـ يقتضى رد مذهبه ردا قاطعا بغير التفات إلى أسلوبه فى التوفيق بين الآيات موضوع النسخ .

---

(٥) الذريعة إلى كتب الشيعة .

(٦) فى مكتبة الأزهر مخطوط باسم أبى مسلم ـ غلط فيه بعض الناس ـ لكنه ليس هو المعنىّ هنا ، بل هو رجل آخر من علماء القرن السادس .

وقد يدلنا هذا المعنى على مبلغ المجازفة ، عند من يسارع إلى الأخذ بالجانب التطبيقى لمذهب لا تعرف أصوله ولا قواعده ، التى حصل التطبيق على أساسها غير المنظور .

٦ ـ والآن يتحتم علينا أن نقدم تعريفا موجزا عن أبى مسلـــم هذا ويظهـــر من الشذرات غير التحليلية ـ التى تنقلها كتب التراجم عنه أنه كان عقلية عميقة متعددة الجوانب . وقد يفاجئنا من أمره أنه لم يكن رجلا « أكاديميا » يعيش فى محراب الدرس ، منقطعا للبحث العلمى ، على طراز الجاحظ ، أو النظام ، أو عمرو بن عبيد ، أو غيرهم من شيوخ المعتزلة ذوى المذاهب ، الذين يشاركهم نحلة الاعتزال ، بل كان رجل سياسة ودعوة وإمارة ، كما كان على حد تعريف صاحب معجم الأدباء (كاتبا بليغا مترسلا جدلا ، وكان ينظم الشعر بالفارسية فينقل للعربية) .

ومن شعره الفارسى المنقول للعربية :

يا للشباب وغصنه النضر　　والعيش فى أيامه الزهر
لو دام لى عهد المتاع به　　وأمنت فيه حوادث الدهر
لكنه لى معقب هرما　　وهو النذير بآخر العمر

ويزعم بعض كتاب الشيعة ، مثل صاحب « الذريعة » أنه كان شيعيا ؛ لأنه تولى الكتابة لمحمد بن زيد الداعى من آل البيت ـ رضى الله عنهم ـ .

ولو اعتبرنا كل محب لآل البيت ، وعاملا فى خدمتهم شيعيا ـ بالاصطلاح المذهبى ـ لكان كل مسلم غير منافق القلب شيعيا .

على أن هذا الرجل كان واليا من قبل المقتدر العباسى على أصفهان وما حولها من بلاد فارس ، وظل على ولايته حتى أخرجه منها سلطان بنى بويه سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة . فدعوى تشيعه مع عباسيته الرسمية هذه مسألة تحتاج إلى التريث .

وإن كنا نلحظ فى تاريخ الانقسامات المذهبية فى الإسلام أن المعتزلة كانوا أقرب إلى الشيعة منهم إلى أهل السنة .

ومهما يكن من أمر فإن الومضات الكاشفة التى تعبر إلينا من كتب التراجم عن هذا المفسر المتكلم الأديب تقنعنا بأنه كان ـ فى الثقافة الإسلامية ـ شخصية علمية خصبة ، شديدة الخصوبة ، وأنه كان من طراز تلك الشخصيات النادرة ، التى يلتقى فى تكوين ملكاتها العلم والفن معا .. فتكون بوسيلة الوجدان من ناحية ، وبوسيلة المنطق من ناحية أخرى ، ذات قدرة نافذة على الإدراك العميق والتأمل الشامل .

يذكره بعض أئمة المذهب الحنفى متعجبا من خلافه لعامة المسلمين فى النسخ مع تقدمه فى العلم والثقافة ، فيقول عنه : هو رجل معروف بالعلم وإن كان بعد من المعتزلة ، وله كتاب كبير فى التفسير ، وكتب كثيرة ، فلا أدرى كيف وقع هذا الخلاف منه[1] ـ أى فى النسخ وقد ولد أبو مسلم سنة أربع وخمسين ومائتين وتوفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، رحمة الله عليه .

يتبع

عمل المرأة

بين المنظور الإسلامي والقانون المصري

مسائل ترجيحية في عمل المرأة

(٢)

د / زينب صالح الأشوح

يتمثل ذلك الاتجاه فى الوسطية بين الاتجاهين السابق عرضهما فى القسمين السابقين متضمناً آراء ترجيحية ، تارة تميل إلى رفض عمل المرأة مع توخى الحذر فى الرفض التام ، وأخرى تجيز العمل كحق للمرأة ، ولكن الحذر فى ذلك الجواز يتضح فيما يعرض من قيود على استخدام ذلك . وذلك ما سوف نتبينه من العرض الموجز لبعض الأمثلة على هذا الاتجاه .

فنجد عبد المنعم حسن (١٩٨٥ ، ص ٥٧ ، ٥٨) يتحدث عن قدرة احتمال المرأة للألم ، وأنها تفوق قدرة الرجل وأن ذلك ليس فقط ظاهراً فى آلام الحمل والوضع ؛ وإنما يتجلى ذلك أيضاً فى مواضع أخرى ؛ خصوصاً فى أوقات الحرب . ومع هذا ، يرى المؤلف : أن ذلك لا يخول للمرأة الحق فى القيام بالأعمال التى أعد الرجل للقيام بها ـ ويقصد بها الأعمال خارج المنزل ـ إذ أن المرأة قد منحت تلك القدرة لإعانتها على القيام بالوظائف التى أعدت أصلاً لها ، وهى : الحمل والولادة وتربية النشء .

وتضيف الدراسة السابقة (عبد المنعم حسن ، ١٩٨٥ ، ص ١٦٥) إن المرأة قد حرمت من أعمال الحكم والقضاء وإمامة الرجال فى الصلاة ويرجع ذلك ـ وفقاً للدراسة المعنية ـ إلى أمرين هامين :

أولهما : حق الرجل فى القوامة على الرجل ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ النساء : ٣٣

وثانيهما : جعل شهادة امرأتين متساوية لشهادة رجل واحد ، فقد قال تعالى :

* نشر الجزء الأول بعدد ربيع الآخرة ١٤١٥ هـ .

﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ ﴾

سورة البقرة : ٢٨٢

على الرغم مما يفهم سابقاً أن هناك من الوظائف ما يجب أن يكون حكراً على الرجال ، فهناك بعض من الوظائف الأخرى ما يفضل الشرع أن تقوم بها النساء دون الرجال مما يوحى بأن مسألة عمل المرأة هى قضية ترجيحية ، أى تتوقف على نوع العمل ذاته وليس على ذات العمل ! فيفضل مثلاً أن تقوم المرأة بالأعمال التى إن تولاها الرجل فإنها تؤدى إلى الاختلاط والخلوة وذلك مثل الحال فى : طب وتمريض النساء ، الخياطة ، تدريس البنات ، والتفتيش على النساء فى السجون والجمارك وغيرها (عبد الرب نواب الدين ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٢) .

وقد أفتى الشيخ محمد عبد الله الخطيب (حسين شحاتة ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٣) بإباحة العمل للمرأة ، على أن يكون عملاً مناسباً وبحيث يتم فى المكان المناسب لها ، مثل : تدريس البنات أو الطب . ومع هذا فقد ذكر أن عملها لا يباح لها إلا إذا ما كان الهدف من ذلك هو إعالة نفسها أو إعالة غيرها ، وكان المجتمع مقصراً فى رعايتها كمواطنة محدودة الدخل .

وعلى نقيض ما ذكر من حرمانية عمل المرأة فى الأعمال الشاقة خاصة الحروب ، فقد أشارت إحدى الدراسات (زينب عصمت راشد ، ١٩٧٥ ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٩) إلى أنه وقت الحروب إذا اشتد الخطب فإنه يباح للمرأة أن تعمل فى الإمداد بالزاد وإسعاف الجرحى والمساعدة فى نقل القتلى ، وكذلك يمكنها أن تشارك فى قتال العدو بالسلاح . وقد استدلت على ذلك الحكم بما روى عن أمية بنت قيس الغفارية التى ذهبت مع بعض النسوة من بنى غفار للقاء النبى – صلى الله عليه وسلم – وهو يسير إلى خيبر وقالت له : يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال : على بركة الله . كما يروى : أنه فى غزوة أحد عندما اشتد الأمر واتجهت سهام المشركين إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – من كل جانب نزعت نسيبة بنت كعب سيفها من غمده وانقضت على صفوف المشركين وهى تصيح : وامحمداه ، واستمرت فى دفاعها حتى أصيبت ، وقد بارك النبى – صلى الله عليه وسلم – كفاحها ودعا لها بالشفاء وحسن الجزاء . (البداية والنهاية لإبن كثير) .

وقـد أشار حسين شحاتة (١٩٩٠ ، ص ٤٢) إلى أن هناك مجالات للعمل تتناسب وطبيعة المرأة ومن ثم فيمكن للمرأة أن تعمل بها ، كضابطة شرطة نسائية أو مشرفة اجتماعية ، غير أن هناك مجالات أخرى يرى أن فيها مزاحمة للرجل فى عمله والدخول فى وضع تنافس معه ؛ مما يستدعى منها تجنب القيام بمثل تلك الأعمال ، مثل أعمال الخلافة والقضاء ، وكذا فهناك مجموعات أخرى من الأعمال التى تعتبر غير صالحة لقيام المرأة بها بحكم طبيعة تكوينها أو بحكم

قدراتها الفعلية التى لا تستطيع الوفاء بمتقضيات تلك الأعمال والمهن وذكر أمثلة لها ومنها أعمال التشريع والمراقبة ، والأعمال الشاقة التى قد تؤثر على الجنين مثل المشاركة فى الحروب والحراسة الليلية .

ويقترح عيسى عبده (عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى ، ١٩٨٣ ، ص ٢٤٢) معياراً يمكن اتباعه لتحديد العمل المناسب للمرأة – إن كان العمل فى حد ذاته مقبولاً لها – فيقول إن العمل فى الإسلام يقدر بحسب « منفعته » للفرد وللجماعة ، وبقدر « الإتقان والإجادة » فيه . وبتطبيق ذلك المعيار فى حالة عمل المرأة يشير المؤلف إلى أنها عادة ما تواجه مشاكل خاصة تؤثر على صافى المنفعة التى تقدمها من عملها لذاتها وللمجتمع ؛ والذى يمكن أن يؤثر بسوء على إنتاجيتها ، ومن تلك المشاكل يذكر على سبيل المثال : الحمل والوضع والرضاعة .

وفيما يتعلق بالمهن والأعمال التى اعتبرت حكراً على الرجال من وجهة النظر الشرعية كما أوضح ذلك المتخصصون ، نجد دراسات أخرى (أميمة مهنا ، ١٩٨٤ ، ص ٥٥ ، الغزالى حرب ، بدون تاريخ ، ص ٢٣١) تعرض آراء مختلفة ، فقد ذكر مثلاً : أنه بينما حرم كل من : الإمام « مالك والشافعى وابن حنبل » تولى المرأة للوظيفة القضائية لنقص النساء عن رتب الولايات فقد أجاز أبو حنيفة وأصحابه قضاء المرأة فيما تصح فيه شهادتها – أى فيما عدا الحدود والقصاص – بينما يجيز الطبرى : قضاء المرأة فى كل شىء . هذا وقد روى عن عمر بن الخطاب : أنه ولى السيدة « الشفاء بنت عبدالله » ولاية الحسبة فى السوق ، بينما اعتبر القتال غير مفروض على المرأة لأنه من المفروض عليها ان تنشغل بزوجها وبحقوقه من باب أولى .

ضوابط عمل المرأة فى الإسلام :

وأياً ما بدا – منْ خلال الاستعراض السابق – من رأى علماء الشريعة ودارسيها من عمل المرأة وتحريمه إلا من استثناءات قهرية أو إباحية أو وسطية بين هذا وذاك ، فهناك إجماع على وجود ضوابط وشروط لا بد للمرأة من الالتزام بها فى حالة قيامها بالعمل خارج المنزل والتى يمكن إيجاز أهمها فيما يلى :

– أن يتم عمل المرأة فى جماعة من النساء بحيث يمكن مراقبة سلوك كل . وألا يكون فى عمل النساء مزاحمة للرجال أو اختلاطاً بهم ، وإذا كان العمل شاقاً فعلى الرجل أن يعاون المرأة فى قضائه بسرعة وبدون مقابل (محمد متولى الشعراوى ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٤ – ١٠٧ ، عبد التواب نواب الدين ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٠ – ١٠٣) .

– ويضيف نواب الدين فى دراسته السابق الاشارة إليها (ص ١١٤ – ١٢٤) شروطاً خمسة تم استنباطها من النصوص والمقاصد الشرعية كضوابط لعمل المرأة ، وصنَّفها كالآتى :

(أ) الحجاب وعدم التبرج وإبداء الزينة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾
(الأحزاب : ٥٩)

وذلك الشرط يقترن بضرورة تجنب العمل فى

المجالات التى تفرض الاختلاط أو السفور أو الخلوة كالعمل (سكرتيرات) للرجال أو قيادة سيارات الأجرة .

(ب) تجنب مواضع الفتنة والعمل المفضى إلى محظور شرعى ، فقد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء** » (رواه مسلم عن أسامة بن يزيد ، ج ٤ ، ص ٢٠٩٧) .

(جـ) أن يكون عملها بإذن من الولى (أباً أو زوجاً) بدليل قوله تعالى :

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ النساء : ٣٤

(د) ألا يستغرق العمل (غير المنزلى) وقتها أو جهدها أو يتنافى مع طبيعتها ، وتجنب الأعمال الشاقة التى تنتطوى على مخاطرة بحيث تؤثر على الوقت المتاح لها فى القيام بأعمال المنزل أو على قدرتها فى إنجاز تلك الأعمال (الموكلة والملزمة بها أساساً) على الوجه المطلوب وبالشكل الكافى الملائم . ومن تلك الأعمال الواجب على المرأة تجنب القيام بها : أعمال البناء والنجارة والحدادة والحراسة العامة .

(هـ) ألا يكون فى عمل المرأة تسلطاً على الرجال أو ولاية عليهم أو قيادة لهم مثل الإمامة والوزارة والشرطة ، ويستدل على ذم مثل تلك الأعمال بالحديث الشريف « **لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة** » (اخرجه البخارى عن أبى بكرة ج ٦ ، ص ١٠) .

ـ ومن الضوابط التى يضيفها أبو ذر القلمونى (بدون تاريخ ، ص ١٨٣) كحكم شرعى لقيام المرأة بعمل خارج منزلها ، عدم السير وسط الطريق وفى زحمة الرجال فقد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **استأخرن فإنه ليس لكن أن تحتضن الطريق ، عليكن بحافات الطريق** » (أخرجه الترمذى فى السنن) . وإذا تطلب العمل التعامل مع الرجال فيكون ذلك مع تجنب الصوت المغرى المثير امتثالاً لقوله تعالى :

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الأحزاب

ـ ويؤكـــد سالم البهنساوى (١٩٨١ ، ص ٨٦) على ضرورة تجنب الخلوة بين الرجل والمرأة فى مكان العمل مستدلاً بالحديث الشريف « **لا يخلون رجل وامرأة** » (رواه البخارى) ، كما يحذر من استمرار عمل المرأة فيما يتحقق به تسلية الرجل أو خفض إنتاجيته (ص ٨٨) .

ـ ولقد نصح الشيخ محمد عبدالله الخطيب (حسين شحاتة ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٣) بأنه فى حالة عمل المرأة كضرورة ، يجب عليها تجنب القيام بعمل يخرجها عن خصائصها كأنثى ، ويضيف حسين شحاتة (ص ١٠٦) نصيحة أخرى : أن لا يتطلب عملها هذا السفر بدون محرم

ـ ويعتبر استيلاء الزوج على راتب زوجته محل خلاف بين العلماء ؛ ففضيلة الشيخ الشعراوى يرى أن وقت الزوجة ملك للزوج .. ومن هنا يجيز أخذ راتبها[1] ، هذا الرأى[2] بينما يرى آخر عدم جواز أخذ مرتب الزوجة إلا برضاها ، فإذا أخذ الزوج منه شيئاً كرهاً يعتبر غصباً (محمد البهى ، ١٩٧٩ ، ص ١٢) .

(١) سماعاً من حديث تليفزيونى .

٢ ـ تشغيل المرأة فى التشريع المصرى :

بعد استعراض أهم المضامين المتعلقة بعمل المرأة فى الشريعة الإسلامية ، يثار تساؤل هام وهو : إلى أى مدى ينطبق هذا على الواقع العملى ؟ وقد وجد أن الإجابة على ذلك التساؤل يمكن استبناطها من خلال نوعين من التحليل .

أولهما : يتناول التشريع المصرى ومعالجته لتشغيل النساء .

والآخر يقوم على أساس إجراء دراسة ميدانية لرسم صورة واقعية عن طبيعة عمل المرأة فى مصر ، والآثار الفعلية المختلفة له ومدى توافق ذلك مع ما اقتضته الشريعة الإسلامية الغراء . وذلك على اعتبار (مصر كدراسة) حالة بحيث يمكن أن تكون نموذجا لدراسات مماثلة فى المستقبل فى بلدان العالم الإسلامى الأخرى . ونظرا لأن التشريع هو الأداة المباشرة التى يمكن استخدامها لتنفيذ أحكام الشريعة فسوف يتم تناول الجزء الأول من التحليل ـ المشار إليه آنفا ـ فى الفصل الحالى على أن نقوم بالجزء الآخر من التحليل فى حينه .

تشير الدراسات المختصة إلى أن الأصل فى قانون العمل والنصوص الدستورية هو المساواة بين الرجل والمرأة ، وخلافا لهذا ، فالاجزاء المستثناة فى تشريع العمل المصرى قد أعدت كمميزات إضافية تستفيد بها المرأة العاملة وحدها . (نبيلة رسلان ، ١٩٩٢ ، ص ٤ ـ ٦ ، عزت عبدالله البندارى ، ١٩٩٠ ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، أنور العربى ، ١٩٨٧ ، ص ٤٩ ، ٥٠) .

وكما أوضحت إحدى الدراسات (نبيلة رسلان ، ١٩٩٢) فالقانون المصرى للعمل قد تضمن نصوصا صريحة على المساواة فى معاملة المرأة العاملة مع الرجل العامل وذلك فى المواضع الآتية :

١ ـ المساواة فى التعريف ، فقد تضمنت المادة ١٤٣ من قانون العمل تعريفا واحدا لكلا الجنسين المشاركين فى مجال العمل « يعتبر حدثا فى تطبيق أحكام هذا الفصل الصبية من الإناث والذكور البالغين اثنى عشرة سنة كاملة وحتى سبع عشرة سنة كاملة » .

٢ ـ المساواة فى الأجر ، وذلك كما نصت المادة ١٥١ من قانون العمل أنه « مع عدم الإخلال بأحكام المواد التالية تسرى على النساء العاملات جميع النصوص المنظمة لتشغيل العمال دون تمييز فى العمل الواحد منهما » .

٣ ـ المساواة فى مجال العمل من الأعمال ومواعيد العمل ، فتشير الدراسة المذكورة إلى أن هناك قاعدة عامة يتضمنها القانون تجيز للمرأة القيام بممارسة جميع الأعمال التى يجوز للرجل القيام بها ، كما أن إجازة إعطاء العمال فترة راحة تتخلل ساعات العمل اليومية ينطبق على الجنسين على حد سواء .

٤ ـ المساواة فى الأجازات ، فقد تضمنت المواد ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٠ من القانون رقم ١٣٦ لعام ١٩٨١ قاعدة عامة تعطى المرأة حق التمتع بذات الأجازات المتاحة للرجل .

وكما أشرنا ، فإن هناك أجزاء مستثناة تم تضمينها لقانون العمل المصرى كنوع من المميزات

الإضافية التى تمنح للمرأة العاملة دون الرجل على أساس اختلاف التكوين الطبيعى للمرأة عنه للرجل مما يجعل بعض الأعمال غير مناسبة للمرأة لأنها شاقة ويمكن أن تضر بصحتها وكما أشارت الدراسات المختصة ، فقد روعى صياغة القواعد العامة والمستثناة للقانون على أساس عدم الإخلال بأحكام الشريعة الإسلامية وعدم تجاهل التقاليد والقيم الأخلاقية فى المجتمع .

وفيما يلى نستعرض صورة موجزة عن تشغيل المرأة كما ورد ونُظِّم فى قانون العمل المصرى : (أنور العربى ، ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ ، عزت عبدالله الشبراوى ، ١٩٩٠ ، نبيلة رسلان ، ١٩٩٢) .

نص القانون المصرى رقم ٨٠ لعام ١٩٣٣ على حظر تشغيل النساء فى بعض الأعمال فى مجالى الصناعة والتجارة ، ثم جاء فى المادة ١٣٢ من القانون رقم ٩١ لعام ١٩٥٩ وجوب حظر تشغيل النساء فى الأعمال الضارة لهن صحيا أو أخلاقيا ، وتم تأكيد ذلك فى المادة ١٥٣ من قانون العمل الجديد ، هذا وقد أصدر وزير الدولة للقوى العاملة والتدريب القرار رقم ٢٢ لعام ١٩٨٢ حيث حظر فى البند الأول منه تشغيل النساء فى البارات ونوادى القمار والشقق المفروشة التى لا تخضع لإشراف وزارة السياحة والعمل فى الملاهى وصالات الرقص إلا من كن راقصات أو فنانات فى سن الرشد . ويترتب على تشغيل المرأة فى عمل من الأعمال المحظور تشغيلها فيه بطلان عقد العمل ، باعتبار أن القواعد المقررة لهذه القيود قواعد آمرة متعلقة بالنظام العام فضلا عن توقيع العقوبة الجنائية على صاحب العمل المخالف لتلك القواعد وهى غرامة لاتقل عن خمسة جنيهات ولا تزيد على عشرة .

تضمنت المادة ١٥٢ الوقت الذى يسمح فيه للمرأة أن تعمل فيه ، ذلك الوقت الذى روعى فى تحديده أن يكون وقتا مأمونا نسبيا مع تجنب الأوقات المتأخرة من الليل أو المبكرة جدا من الصباح حيث تزيد احتمالات تعرضها لمخاطر بشكل أو بآخر . فقد نصت المادة ١٥٣ على أنه لا يجوز تشغيل النساء فى الفترة ما بين الساعة الثامنة مساء والسابعة صباحا إلا فى الأحوال والأعمال والمناسبات التى يصدر بتحديدها قرار من وزير الدولة للقوى العاملة والتدريب .

أما المادة التالية من قانون العمل فقد تناولت المجالات التى يسمح للمرأة أن تعمل بها بحيث لا يتعارض ذلك مع قدراتها الطبيعية . فوفقا للمادة ١٥٣ لا يجوز تشغيل النساء فى الأعمال الضارة لهن صحيا أو أخلاقيا وكذلك فى الأعمال الشاقة أو غيرها من الأعمال التى تحدد بقرار من وزير القوى العاملة والتدريب .

وفيما يتعلق بأجازات الوضع ذكر فى المادة ١٥٤ أن للعاملة التى أمضت ستة شهور فى خدمة صاحب العمل الحق فى إجازة وضع مدتها خمسون يوما بأجر كامل تشمل المدة التى تسبق الوضع والتى تليها بشرط أن تقدم شهادة طبية مبينا بها التاريخ الذى يرجح حصول الوضع فيه . ولا تستحق العاملة هذه الأجازة لأكثر من ثلاث مرات طوال مدة خدمتها ، كما لا يجوز تشغيل العاملة خلال الأربعين يوما التالية للوضع .

واستطرادا للنقطة السابقة تضيف المادة رقم

١٥٥ أنه فى خلال الثمانية عشر شهرا التالية لتاريخ الوضع يكون للعاملة التى ترضع طفلها ـ فضلا عن مدة الراحة المقررة ـ الحق فى فترتين أخريين لهذا الغرض لاتقل كل منهما عن نصف ساعة وللعاملة الحق فى ضم هاتين الفترتين* وتحسب هاتان الفترتان الإضافيتان من ساعات العمل ولا يترتب عليهما أى تخفيض فى الأجر .

فى المنشأة التى تستخدم خمسين عاملا فأكثر ، أعطت المادة ١٥٦ العاملة الحق فى الحصول على اجازة بدون مرتب / بأجر لاتزيد على سنة وذلك لرعاية طفلها وتمنح هذه الأجازة ثلاث مرات طوال مدة خدمتها .

وحتى يتوافر للعاملة حق العلم بحقوقها كعاملة ، الزم صاحب العمل ـ وفقا للمادة ١٥٧ ـ بأن يلصق فى أمكنة العمل نسخة من نظام تشغيل النساء كما ورد فى القانون المعنى وذلك فى حالة تشغيله لعاملة أو أكثر .

ولحل مشكلة تغيب المرأة العاملة عن بيتها ولديها طفل صغير ، فقد أوجبت المادة ١٥٨ على صاحب العمل الذى يستخدم مائة عاملة فأكثر فى مكان واحد أن ينشىء أو يعهد إلى دار حضانة بإيواء الأطفال بالشروط والأوضاع التى تحدد بقرار من وزير الدولة للقوى العاملة والتدريب كما تلتزم المنشآت التى تستخدم أقل من مائة عاملة فى منطقة واحدة أن تشترك فى تنفيذ الالتزام المنصوص عليه فى الفقرة السابقة بالشروط والأوضاع التى يحددها وزير الدولة للقوى العاملة والتدريب .

وقد أشارت المادة ١٥٩ إلى أنه يستثنى من هذا الفصل العاملات فى الزراعة البحتة) كما أنه قد ورد بداءة فى المادة ٣ من القانون أن تلك الأحكام لاتسرى على :

(ا) العاملين بالجهاز الإدارى للدولة ووحدات الإدارة المحلية والهيئات العامة .

(ب) عمال الخدمة المنزلية ومن فى حكمهم .

(جـ) أفراد أسرة صاحب العمل وهم الزوج والزوجة وأصوله وفروعه الذين يعولهم فعلا .

وفى مشروع قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة ، تضمنت المادة ٧٠ حكما يتعلق برعاية المرأة العاملة فجعل من حق « العاملة » الحصول ـ بناء على طلبها ـ على إجازة لرعاية طفلها لمدة عامين فى المرة الواحدة ولثلاث مرات طيلة حياتها الوظيفية .

وكمزيد من ضمانات حماية ورعاية الأم العاملة نصت المادة ٧١ من المشروع على مد إجازة الوضع إلى ثلاثة أشهر بحد أقصى شهرين بعد الوضع حيث أنه ثبت علميا عدم كفاية مدة « الشهر » كإجازة للوضع كما وردت مسبقا فى المادة ٤٩ من القانون رقم ٥٨ لعام ١٩٧١ .

وتحقيقاً لنفس الهدف السابق ذكره ـ أعلاه ـ ومراعاة لظروفها الاقتصادية والاجتماعية ولطبيعة تكوينها ، فقد تضمنت المادة ٧٢ حكما يجيز الترخيص للمرأة العاملة بأن تعمل نصف الأيام الرسمية للعمل مقابل نصف الأجر المستحق لها ويصبح لها نصف المستحق لها من أجازات اعتيادية ومرضية مع احتساب مدتها بالكامل فى حساب المعاش أو المكافأة على أن يخصص من أجرها المخفض قيمة اشتراكها فى المعاش على أساس أجرها الأصلى وذلك فى مقابل أن تتحمل الحكومة حصتها كاملة .

يتبع

الإسراء والمعراج

من المعجزة إلى العلم الحديث

بقلم الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح*

الإسراء : رحلة أرضية قدسية ، بدايتها : المسجد الحرام بمكة .. ونهايتها : المسجد الأقصى بالقدس .. فى مسافة تبلغ : ٢٥٠٠ كيلومتر تقريباً : على البراق الذى يطير ، ويضع حافره ؛ عند منتهى بصره ؛ فهو طائرة المصطفَيْن الأخيار ، دون أن يحدث للجسد الشريف ما يعوق طبيعته ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾(١) ..

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه : أن النبى ﷺ قال : « أوتيتُ بالبراق ، وهو دَابَّةٌ أبيض ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته فسار بى ، حتى أتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التى تربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد ، فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت : فجاءنى جبريل : بإناء من خمر ، وإناء من لبن : فاخترت اللبن ، قال جبريل : أَصَبْتَ الفطرة »(٢) .

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : « لما أتى النبى ﷺ المسجد الأقصى قام يصلى ، فإذا النبيون أجمعون يُصَلُّون معه »(٣) .

---

*عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

(١) الإسراء

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤٥/١ كتاب الإيمان .

(٣) أخرجه الإمام أحمد .

وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : « وبعث له آدم فمن دونه من الأنبياء فأمهم »(٤) .

وفى رواية أخرى : « أخذ جبريل بيده ﷺ فقدمه فصلى بهم ركعتين ثم قال جبريل : يا محمد ، أتدرى من صلى خلفك ؟ قال : لا ، قال : كل نبى بعثه الله ـ تعالى ـ فشرع يقول : الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل عَلَيَّ القرآن فيه تبيان لكل شىء ، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتى وسطاً ، وجعل أمتى هم الأولون والآخرون وشرح لى صدرى ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحاً خاتماً »(٥) .

لقد كان الإسراء ـ بهذا المعنى الصحيح ـ حفل تتويج وتكريم للنبى محمد ﷺ فى أطهر وأقدس المقامات ، وفى مشهد من الملائكة والأنبياء ، وإشعار بنقل الريادة الدينية ، والقيادة الروحية من أنبياء بنى إسرائيل إلى خاتم الأنبياء والمرسلين .

والمعراج : رحلة قدسية سماوية .. بدايتها : المسجد الأقصى إلى السموات السبع العلا إلى سدرة المنتهى ، إلى المستوى الأعلى حيث سمع صريف الأقلام ، ومناجاة الملك العلام ، وفرض الله ـ تعالى ـ عليه وعلى أمته الصلوات ، وأمدَّه بالأنوار والنفحات ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ (١٥) إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ (١٨) ﴾(٦) .

وعن ابى ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال : « ثم عُرِجَ بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام »(٧) .

وكم رأى رسول الله ﷺ فى هاتين الرحلتين الأرضية والسماوية من آيات ربه ما لا يحيط به فهم ، ولا يحصره بيان فها هى صور الخير وثواب فاعلها ، وصور الشر وعقاب مقترفها كل ذلك قد تجلَّى له ، اعانة من الله له على تأدية ما أُمِرَ به من إصلاح وتهذيب وإقامة للأمة على الأدب الدائم والحسن القائم فيما جاء به من خير وإسعاد (هى أشبه ما تكون بوسائل إيضاح تربوية) .

لقد أطلعه الله ـ عز وجل ـ على أمثلة من عالم الأسرار ضُرِبَتْ لأنواع شتى من الحكم والحقائق التى ينتهى إليها فى عالم الظاهر من شئون العباد .. وكان ﷺ يسأل جبريل ـ عليه السلام ـ عن مغازيها فيكشف له عن أسرارها .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ « أُتِىَ بفرس يجعل كل خطوة معه أقصى بصره فسار وسار معه جبريل ، فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تُضَاعَفُ لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه ، ثم أتى على قوم تُرْضَخُ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يُفَتَّرُ عنهم من ذلك

---

(٤) السيوطى ـ الدر المنثور ٢٠١/٥ مختصراً .

(٥) نفس المصدر ٢٠١/٥ .

(٦) النجم : ١٣ ـ ١٨ .

(٧) أخرجه البخارى .

شىء قال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين تثاقلت رءوسهم عن الصلاة المكتوبة ، ثم أتى على قوم على أدبارهم رقاع وعلى أقبالهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام إلى الضريع والزقوم ورضف جهنم قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد »[٨] .

والإسراء معجزة قبل كل شىء ، وبما أنه معجزة فهو لا يخضع ـ بحال ـ للقوانين الطبيعية أو ما نسميه النواميس الكونية ولقد يكون جانب منه يمكن تفسيره فى ضوء ما وصل إليه العلم الحديث من تحويل المادة إلى طاقة ، واحتمال النجاح فى تحويل الطاقة إلى مادة مرة أخرى لكن الإسراء والمعراج معجزتان تخرقان كل هذه النواميس ، وإلا ما كانتا معجزتين .

ومع هذا : فقد استطاعت البشرية ، بفضل ما منحها الله تعالى من عقول متفتحة أن تجعل ما كان يُعَدُّ من قبل حلماً أو كالمعجزة أمراً واقعاً فركبت الهواء كأنها تطاول ضياء الشمس والقمر وسَخَّرَت الماء فى البحار والمحيطات تجرى من فوقه ومن تحته كأنها الحيتان والأسماك وأقامت من الراديو خطيباً يسمع أهل الأرض ، ونقلت إلى المستمع ـ مع الصوت ـ الصُّوَر والحركات بالألوان الطبيعية ، وطاولت بصواريخها وأقمارها الصناعية وسفن الفضاء وسَّيرت أدوات الهلاك والدمار فى الجو إلى مسافات بعيدة وتمكنت من إنزال الإنسان فوق القمر ثم العودة به إلى الأرض وهو يحمل بعض الأجزاء من ترابه وخاماته الطبيعية وهى الآن تحاول غزو « المريخ » بل ونقلت إلينا صوراً عن طبيعته ومعالمه .. فعلت الإنسانية هذا كله بعقلها الموهوب من خالقها .. فهل يكون هناك أدنى شك عند عاقل منصف فى أن الله تعالى أسرى بنبيه محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعرج بروحه وجسده إلى ما فوق السموات السبع العلا .. أفمن أسقط الرطب جنياً من النخلة الجرداء لمريم البتول بعد ولادتها عيسى عليه السلام .. ومن أبصر عمر بن الخطاب وهو يخطب على منبر النبى ﷺ بالمدينة المنورة فأراه قائده (سارية بن زنيم الكنانى) وهو فى بلاد الفرس مكشوف الجناح .. فقال له : يا سارية الجبل .. الجبل ، فسمعه قائده ، ونفَّذ مشورته فى الحال ، مِمَّا كان سبباً فى انتصار جيش المسلمين .

أَمَن أكرم هؤلاء وليسوا بأنبياء أيعجزه أن يكرم حبيبه ، ونبيه محمداً ﷺ بمعجزة الإسراء وآية المعراج !!

سبحانك ربى ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٩]

ما يستفاد من رحلتى الإسراء والمعراج :

لقد جنى المسلمون من هاتين الرحلتين المباركتين أعظم الفوائد ، وأطيب الثمرات منها :

---

(٨) أخرجه الحافظ البزار .

(٩) فصلت : ٥٣ .

١ ـ أن الله تبارك وتعالى لا يتخلى عن عباده المؤمنين الصادقين مهما ألَّمت بهم الشدائد وأحاطت بهم المحن ، وادلهمت أمامهم الخطوب ، فقد جرت سنته معهم أن يجعل لهم من الشدة فرجاً ، ومن الضيق مخرجاً ، ومن العسر يسراً ، ومن الذل عزاً ، ومن الخوف أمناً ، ومن الهزيمة نصراً ..

٢ ـ أثبت المؤمنون أنهم أقدر من غيرهم فى التصديق والتسليم ، والإيمان والإذعان ، والنجاح فى الامتحان ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾(١٠) .

٣ ـ الربط بين المسجد الحرام بمكة ، والمسجد الأقصى بالقدس ، بل الربط بين الجزيرة العربية والشام برباط الإسلام جامع الرسالات السماوية ، وفى هذا إشارة إلى اتساع رقعة الإسلام ، وانتشار تعاليمه السامية ، ومبادئه الحقة ، وقوانين العدالة ، وتشريعاته الحكيمة فى ربوع البلاد وغيرها .

٤ ـ الترغيب فى الجهاد ، وبيان فضل الاستشهاد فى سبيل الله ، يتجلى ذلك فى بعض المشاهد التى مُثِّلت للنبى ﷺ فى طريق مسراه ، والتى تضمنت الكثير من العظات والعبر تُرَغِّب فى الخير ، وتُنَفِّر من الشر ..

٥ ـ بالإسراء أصبحت مدينة القدس مهبط الرسالات جزءاً من المقدسات الإسلامية ، وأصبح مسجدها المبارك أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال .

وفى هذا إشارة إلى حمايتها ، وتطهيرها من كل رجس أو دنس أو احتلال أجنبى إلى أن يرث الله الأرض ، ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

٦ ـ الصلاة عماد الدين ، ومعراج الواصلين ، ومناجاة رب العالمين ، نور للبصائر ، وتهذيب للنفوس ، وطهارة للقلوب والجوارح ، وشكر لله ـ عز وجل ـ وصلة بين العبد وربه ، ولمكانتها فى الدين فرضت ليلة الإسراء والمعراج من فوق سبع سموات .

٧ ـ إن الحياة عقيدة وجهاد ، ولا عقيدة بلا جهاد ، يذود عنها ويحمى حماها ، ولا جهاد بلا عقيدة يدافع عنها ، ويناضل فى سبيلها .. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

(١٠) الإسراء : ٦٠ .

الجن وماله فى الإنس

لفضيلة الشيخ / عطية صقر

الجن : كيفيتهم خلقا وحياة :

١ ـ الجن ـ : كما يقول الدميرى فى كتابه ـ حياة الحيوان الكبرى : أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، لها عقول وأفهام وقدرة على الأعمال الشاقة .

٢ ـ وهم خلق موجودون بالنصوص الثابتة فى القرآن والسنة والإجماع . والعقل لا يحيل ذلك .

٣ ـ وهم أصناف ، فقد روى الطبرانى بإسناد حسن عن أبى ثعلبة الخشنى أن النبى ﷺ قال : « الجن ثلاثة أصناف : فصنف لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء ، وصنف حيات ، وصنف يحلون ويظعنون » أى يمشون ويتحركون ، وكذلك رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد . وجاء فى حديث رواه ابن أبى الدنيا عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « خلق الله الجن ثلاثة أصناف ، صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض ، وصنف كالريح فى الهواء ، وصنف كبنى آدم ، عليهم الحساب والعقاب » .

• الكاتب: عضو، مجمع البحوث الإسلامية ، ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر .

وإذا كان اسم الجن يطلق على الهوام المؤذية يمكن فهم هذا الحديث بسهولة ، وهو ما رواه مسلم أن النبى ﷺ نهى عن إرسال الأطفال بعد غروب الشمس إلى العشاء ، لأن الشياطين تنبعث فى هذه الفترة . وكذلك ما رواه البخارى ومسلم عن أبى لبابة ـ رضى الله عنه ـ « أن النبى ﷺ نهى عن قتل الجنَانِ التى فى البيوت ، إلا الأبتروذا الطُّفْيَتَين ، فإنهما اللذان يخطفان البصر ويطرحان أولاد النساء » والطُّفْيَتان ـ بضم الطاء ـ الخطان الأبيضان على ظهر الحية ، والأبتر قصير الذَّنَب . وقال النضر بن شميل : هو صنف من الحيات أزرق مقطوع الذنب ، لا تنظر إليه حامل إلا ألْقَتْ ما فى بطنها . « حياة الحيوان الكبرى للدميرى » .

٤ ـ والجن مستترون ، وقد يتشكلون بأشكال مختلفة ، وتحكم عليهم الصورة كما قال العلماء ، قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾

سورة الأعراف : ٢٧

وقد تشكل شيطان فى صورة آدمى أراد أن يسرق من الصدقة التى كان يحرسها أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ . ولما أخبر النبى ﷺ به عرَّفه أنه شيطان ، رواه البخارى .

٥ ـ وهم من ذرية إبليس على المشهور ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ﴾

سورة الكهف : ٥٠

٦ ـ والجن مكلفون كالبشر ، ومحاسبون على أعمالهم كما يحاسب بنو آدم ، وجاء ذلك فى القرآن الكريم مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾

سورة الأنعام : ١٣٠

وقوله : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾

سورة الرحمن : ٣١

٧ ـ ومنهم من آمن ، ومنهم من كفر ، وقد ثبت أنهم سمعوا القرآن من النبى ﷺ ، قال ـ تعالى :

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾

سورة الجن : ١ ، ٢

وقال :

﴿ وإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا .. ﴾

سورة الاحقاف : ٢٩

وقال على لسانهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾

سورة الجن : ١١

وثبت فى الحديث أن النبى ﷺ ذهب إليهم وتحدث معهم ، ففى صحيح مسلم أنه قال :« أتانى راعى الجن فذهبت معه ، فقرأت عليهم القرآن » ، وفيه أنهم سألوه الزاد فقال : « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه ، تأخذونه فيقع فى أيديكم أوفر ما كان لحما ، وكل بَعْرٍ عَلَفٌ لدوابكم » ثم قال النبى ﷺ لأصحابه ـ رضوان

الله عليهم : « فلا تستنجوا بهما ، فإنهما طعام إخوانكم » .

كيف يراه البشر :

٨ ـ إن عدم رؤيتنا للجن إنما هو رؤيتهم على حقيقتهم ، وقد يخص الله نبيه بأن يراهم كذلك أحيانا ، وقد قيل : إنه لم يرهم فى أول الأمر ولم يُحِسَّ بأنهم يستمعون القرآن منه ، والله هو الذى أخبره بأنهم يستمعون . ثم بعد ذلك رآهم وكلَّمهم حين ذهب إليهم ، إمَّا على حقيقتهم وإما بأشكال أخرى ، وذلك ممكن لغير النبى ﷺ ، كما سبق ذكره فى رؤية أبى هريرة له وهو يريد أن يسرق من زكاة رمضان . وروى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال : « إن عفريتا من الجن تفلَّت علىَّ البارحة يريد أن يقطع علىَّ صلاتى ، فَذَعَتُّه ـ أى خنقته ـ وأردت أن أربطه فى سارية من سوارى المسجد فذكرت قول أخى سليمان فأطلقته » ، وجاء فى رواية مسلم قوله : « والله لولا دعوة أخى سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة » كما جاء فى رواية النسائى بإسناد جَيِّد : « أنه خنقه حتى وجد بَرْدَ لسانه على يده » .

٩ ـ إن إبليس أقسم حين طرد من الجنة لاستكباره على أمر الله بالسجود لآدم ـ أن يغوى الناس أجمعين . إلا عباد الله المخلصين .

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾

سورة الحجر : ٣٩ ، ٤٠

وقد حذرنا الله منه بمثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾

سورة فاطر : ٦

وقوله :

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

سورة يس : ٦٠

علاقة الجن بالإنسان واتقاء شره

وثبت أن كل انسان يوكل به شيطان يطلق عليه اسم القرين . ففى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال : « ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن » قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : « وإياى ، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير » أى أسلَمَ القرين ، أو سَلِمَ النبى من شره .

١٠ ـ وإضرار الجن للإنس بالوسوسة ـ مؤكد كما فى نصوص كثيرة ، قال ـ تعالى ـ فى قصة آدم ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾

سورة الأعراف : ٢٠

وقال : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾

سورة إبراهيم : ٢٢

وإضرارهم للإنس بغير الوسوسة أمر ممكن ، شأنهم فى ذلك شأن الإنسان مع الإنسان ، وقد ثبت أن منهم المؤمنين والكافرين ، والطائعين والعاصين ، فالإيذاء ممكن من الجميع قال

ـ تعالى ـ فى الوسوسة: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ سُورَةُ النَّاسِ

ولم يرد دليل يحيل على الجن أن يؤذوا الإنس بغير الوسوسة ، وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة والمقبولة أن الجنى سرق من الزكاة ، وأنه يشارك الإنسان طعامه وشرابه والمبيت معه ولبس ملابسه ، بل عند إرادة اللقاء مع زوجته ؛ ولذلك حثنا النبى ﷺ أن نُسَمِّى الله عند الأكل والشرب ودخول البيت وخلع الملابس وإرادة اللقاء مع الزوجة .

١١ ـ واتقاء شر الجن فى الوسوسة يكون بمثل ما جاء فى قوله ـ تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

سورة الأعراف : ٢٠٠

كما يستعان على ذلك بقوة الإيمان بالله والمواظبة على العبادة والسلوك الحسن ، حتى يكون الإنسان من عباد الله المخلصين الذين نجاهم الله من سلطان إبليس .

واتقاء شره فى (غير الوسوسة) يكون بالتحصن بذكر الله وقراءة القرآن وقول : (**بسم الله الرحمن الرحيم**) عند كل أمر ذى بال ، بل فى الأمور كلها ، وهناك مأثورات عن النبى ﷺ ـ فى ذلك منها :

قوله عليه الصلاة والسلام: « من قال ـ يعنى إذا خرج من بيته : بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له : كُفِيتَ وَوُقِيتَ وهُدِيت ، وتنحى عنه الشيطان » رواه أبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم ، وقال الترمذى : حَديث حسن .

وقوله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة » رواه مسلم .

وقوله ـ ﷺ ـ فى حديث محاولة الشيطان سرقة الأموال التى كان يحرسها أبو هريرة : « إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختمها فلا يزال عليك من الله حافظ ، ولن يقربك شيطان حتى تصبح » رواه البخارى .

وقوله ـ صلوات الله وسلامه عليه : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه » . رواه البخارى ومسلم .

مس الجن جسد الإنسان ثابت

١٢ ـ وإذا سلمنا أن الجن يمكنه أن يضر الإنسان بأكثر من الوسوسة فهل يمكنه أن يضره بالمس ، أو أن يلبس جسم الإنسان كما يعبر الناس عن ذلك ، بحيث يحصل له اضطراب واختلال فى حركته أو فى عقله ؟ يقول تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾

سورة البقرة ٢٧٥

أثبتت الآية أن الشيطان يمس الإنسان فيحصل له خلل ، وهذا أمر لا يجوز إنكاره أو الشك فيه ، ولا عبرة بما يقوله بعض المعتزلة كالجبائى وأبى بكر الرازى ، من استحالة دخول الجن فى بدن الإنسان والتسبب فى صرعه . حيث لا يمكن أن توجد

روحان فى جسد واحد ، وذكر المحدث الشبلى المتوفى سنة ٧٦٩ هـ فى كتابه « آكام المرجان » ص ١٠٧ أخبارا وحوادث أيام النبى – ﷺ – تدل على الصرع بسبب مس الجن ، فدخوله فى جسم الإنسان كدخول الهواء لا استحالة فيه . كما صح فى الحديث « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » ، على أن المس لا يتحتم أن يكون بالدخول والامتزاج . فقد يكون باللمس فى موضع حساس بالجسم يحدث الخلل . كما تتأثر الأعصاب بالإبر أو الضغط ، فيكون الشلل وعدم انتظام الحركة . والذين منعوا الصرع عن طريق ملابسة الشيطان للإنسان قالوا : إن طبيعة الإنس الترابية لا يمكن أن تعيش مع طبيعة الجن النارية وإلا أحرقتها . لكن هذا الاحتجاج مردود ؛ لأن الطبيعة الأولى للجن والإنس ذهبت عنها بعض خصائصها ، بدليل الحديث السابق فى إمساك الرسول للعفريت وخنقه وإحساسه – ﷺ – ببرد لعابه على يده . فلو كانت طبيعة النار باقية لأصابت يده الشريفة ، ولاشتعل البيت والمكان والملابس نارا إذا أوى إليها الشيطان عندما لم يسم الإنسان . والأشكال التى يتشكل بها الشيطان تحكم عليه وتأخذ بعض خصائصها إن لم تأخذها كلها .

يقول ابن القيم فى الطب النبوى : الصرع صرعان : صرع من الأرواح الأرضية الخبيثة ، وصرع من الأخلاط الرديئة ، والثانى هو الذى يتكلم فيه الأطباء ، فى سببه وعلاجه ، وأما صرع الأرواح فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه ، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة ، فتدفع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها . ثم يقول ابن القيم : لا ينكر هذا النوع من الصرع إلا من ليس له حظ وافر من معرفة الأسرار الروحية ، وأفاض فى النعى على من ينكرون العلاج الروحى للصرع .

علاج المس

١٣ – وإذا ترجح أن الجن قد يصيب الإنس بالصرع فما العلاج ؟

ما دمنا قد عرفنا أن الصرع قد تكون له أسباب مادية فيمكن العلاج عند المختصين ، والعلاج من الأمراض والعلل مشروع ، بل أمر به الحديث ؛ فإن الله لم يجعل داء إلا جعل له دواء ، علمه من علمه وجهله من جهله ، وقد عالج الرسول وعولج ، وأرشد إلى التداوى عند المختصين بصرف النظر عن دينهم ، كالحرث بن كَلَدَة ، ومع مشروعية العلاج المادى شرع العلاج الروحى بالدعاء وذكر الله وقراءة القرآن ، وكل ذلك أخذ فى الأسباب ، والشفاء الحقيقى بإرادة الله – تعالى –، وأحاديث الرقى وقراءة الفاتحة على زعيم القوم وإقرار الرسول للصحابة على ذلك ثابتة .

وإذا كان القرآن الكريم شفاء كما صرحت بذلك الآيات فإن الشفاء له مجالات متنوعة ، ومنها الأمراض التى لا يوجد لها علاج مادى أو نفسى .

وتوضيح الوسيلة التى يتم بها العلاج فيه صعوبة ، ولكن من المسلم به أن قوة الإيمان

والروح المعنوية عند المريض ، وإخلاص المعالج وقوة روحه ، وقربه من الله لها دخل كبير فى التأثير على المرض ، مع مراعاة أن الدعاء الخالص لله بشفاء المريض قد يستجاب ، وبخاصة بعد قراءة القرآن أو عمل قربة من القربات ، كمن دعوا الله بصالح أعمالهم ففرج الله الكرب فى الغار .

وقد تحدث ابن القيم « زاد المعاد ج٣ ص٨٤ » عن العلاج الروحى للصرع ، وقال : لابد من أمرين ، أمر من جهة المصروع وأمر من جهة المعالج ، وأن ما يجب على المصروع هو قوة نفسه وصدق توجهه إلى الله والتعوذ من الشيطان ، الذى لا يتم الانتصاف منه إلا بقوة السلاح وصدق من يحمله ، وما يجب على المعالج هو كذلك من قوة الإيمان والتوحيد والتوكل والتقوى ، ولا يكفى فى ذلك قول باللسان ، بل لابد من قوة القلب وصفاء الروح .

ثم ذكر ابن القيم أن أكثر تسلط الأرواح الخبيثة يكون بسبب ضعف الدين وخراب القلوب من الذكر والتحصنات النبوية والإيمانية ، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه فتضر به .

ألوان من العلاج

١٤ ــ وردت آثار بعضها منسوب إلى النبى ﷺ فى علاج الصرع ، منها :

١ ــ ما رواه البخارى ومسلم أن امرأة قالت للنبى ــ ﷺ ــ : إنى أصرع وإنى أتكشف ، فادع الله لى فقال : « إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك » فقالت : أصبر ، قالت ، فإنى أتكشف فادع الله ألا أتكشف ، فدعا لها . وهنا يظهر أن الشفاء من هذا الصرع يكون بالدعاء ، وهذا حق ، فالالتجاء إلى الله بالدعاء مشروع بل مطلوب ، وهو سبحانه المستجيب له بتحقيق ما يدعى من أجله .

واستجابة الدعاء لها شروط لا تتحقق فى كل من يدعو ، ولعل مما يشير إلى بعضها قوله ــ تعالى ــ بعد ذكر دعاء أيوب وذى النون وزكريا واستجابة دعائهم :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾

سورة الأنبياء : ٩٠

وهل كل المعالجين بالدعاء على هذا المنوال ؟

٢ ــ ذكر الشبلى فى كتابه « آكام المرجان ص١٠٦ » أن العلماء تكلموا فى علاج تسلط الجن على الإنس ، لأسباب ذكروها وقالوا : لابد لإبعاد الجنى أن يُعَرَّف بأن هذا ظلم ، كنوع من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وذلك كما يُفعل مع الإنس عند ظلمه وعدوانه . وقد يستجيب فيترك المصروع .

وابن القيم « زاد المعاد ج٣ ص٨٤ » .

ذكر أن من المعالجين من يكتفى بقوله : اخرج منه ، أو بقول بسم الله ، أو بقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . والنبى ــ ﷺ ــ كان يقول : « اخرج عدو الله ، أنا رسول الله » .

وقال الشبلى « ص١٠٧ » إن هذا القول ورد فى حديث « أم أبان » الذى رواه أبو داود وغيره ، وكذلك حديث أسامة بن زيد .

٣ ـ جاء فى الكتب أن من وسائل إبعاد الجنى عن الإنسان المصروع الضرب . من ذلك حديث رواه أحمد وأبو داود وأبو القاسم الطبرانى من حديث أم أبان بنت الوازع عن أبيها أن جدها انطلق إلى رسول الله ﷺ بابن له مجنون أو ابن أخت له وطلب أن يدعو الله له ، فقال له : « ادنه منى واجعل ظهره مما يلينى » فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره حتى ظهر بياض إبطيه ويقول « اخرج عدو الله » فشفى الولد ، ودعا الرسول بماء فمسح وجهه ودعا له فلم يكن فى الوفد أحد ـ بعد دعوة رسول الله ـ ﷺ ـ يفضل عليـــه « آكام المرجـــان ص١١٣ » .

يعلق عليه الشبلى فيقول : وهذا الحديث فيه ضرب الجن . وإن لم تدع الحاجة إلى الضرب فلا يضرب . واستدل بحديث ابن عساكر عن أسامة ابن زيد ، حيث كان فى حج مع الرسول ـ ﷺ ـ وعندما هبطوا (بطن الروحاء) أتته امرأة بصبى به شبه صرع أو رعشة دائمة ، فضمه إليه وهو على الناقة وتفل فى فمه وقال : « اخرج يا عدو الله فإنى رسول الله » ثم ناولها إياه وقال « خذيه فلن ترى منه شيئا تكرهينه بعد هذا إن شاء الله » .

ثم يقول الشبلى بعد إيراد حديث رواه الدارمى فى أوائل مسنده عن أبى الزبير عن جابر بمعنى ذلك ـ : فحاصل ذلك أنه متى حصل المقصود بالأهون لا يصار إلى ما فوقه ، ومتى احتيج إلى الضرب وما هو أشد منه صير إليه .

ومن الحوادث فى الضرب أيضا ما جاء فى كتاب طبقات أصحاب الإمام أحمد « المرجع السابق ص١١٤ » أن أحمد بن حنبل عالج جارية للمتوكل كان بها صرع ، بأن أمر صاحبا له بقوله للجنى : يقول لك أحمد : إما أن تخرج من هذه الجارية وإما أن تصفع بالنعل سبعين ، فرد عليه المارد على لسان الجارية : السمع والطاعة ، لو أمرنا أحمد ألا نقيم بالعراق ما أقمنا به ، إنه أطاع الله . ومن أطاع الله أطاعه كل شىء ، فتركها ، ولما مات أحمد عاودها المارد ولم يستطع أبو بكر المروزى أن يعالجها كما عالجها أحمد ؛ لأنه لم يكن مثله فى طاعة الله .

وابن القيم فى زاد المعاد يقول ما نصه : شاهدت شيخنا ـ ابن تيمية ـ يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التى فيه ويقول : قال لك الشيخ : اخرجى فإن هذا لا يحل لك ، فيضيق المصروع وربما خاطبها بنفسه ، وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب فيفيق المصروع ولا يحس بألم ، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارا ، وذكر حادثة فى ذلك . ثم قال : وكان يعالج بآية الكرسى وكان يأمر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين ، وهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة « ص٨٤ ، ٨٥ » .

والقاضى عبدالجبار بعـــد ذكـــر حديث « الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » قال : إن هذه الأخبار صارت فى الشهرة والظهور كشهرة الأخبار فى الصلاة والصيام والحج

والزكاة ، ومن أنكر هذه الأخبار التى ذكرناها كان رادا ، والراد على الـرسول - ﷺ - ما لا سبيل إلى علمه إلا من جهته كافر .

١٥ - نأخذ من كل ما تقدم :

أ - أن الجن قد يؤذى الإنس بأكثر من الوسوسة ، وذلك بمثل الصرع والمس .

ب - أن الوقاية من أذاه تكون بقوة الإيمان وعمل القربات والتحصن بقراءة القرآن والذكر المأثور فى القرآن والسنة .

جـ - أن علاج الصرع يختلف باختلاف أسبابه ؛ فإن كان من الماديات عولج عند المختصين ، وإن كان من الأرواح عولج بالدعاء وقراءة القرآن وبالمأثور .

د - لا يفيد العلاج الروحى إلا إذا كان المعالج قوى الإيمان قريب الصلة من الله سبحانه بالتقوى بمعناها الشامل حتى يستجاب دعاؤه .

هـ - ليس كل المعالجين بالقرآن والدعاء على هذا المستوى ، وفشل منهم الكثير فى ذلك .

و - ادعاء من ليس على هذا المستوى أنه يمكنه علاج المصروعين حرام . لأنه غش وتدليس ، ففيه طلب للشهرة إن لم يكن هناك مقابل للعلاج ، وابتزاز للأموال بغير وجه حق إن كان بمقابل،وكلاهما حرام .

ز - ما يقوم به البعض من ضرب المريض ممنوع ، ما دام لم يبلغ فى السمو الروحى مبلغ من أثر عنهم ذلك - ولم يكن وسيلة للعلاج فى كل الأحوال .

ح - من ينكر مس الجن للإنس بمثل الصرع لا يكون كافرا ، لعدم قطعية الدلالة عليه فى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ وإن كان قطعى الثبوت ، **كما أن إنكار العلاج الروحى الوارد فى بعض الأحاديث لا يبرر الحكم بالكفر ، لأنها أحاديث آحاد ليست قطعية الثبوت فهى غير متواترة** ، وحكم القاضى عبدالجبار على ذلك بالكفر بناء على أنه إنكار لما علم من الدين بالضرورة كالصلاة والصيام والحج - حكم غير مسلم عند الجميع .

ط - ينبغى توعية المسلمين بتقوية إيمانهم وصلتهم بالله عن طريق التمسك بالدين عقيدة وسلوكا . حتى يحفظهم الله من تسلط الجن عليهم بالأذى ، وحتى لا يستغلهم ضعاف الإيمان بعمل الأحجبة والتعاويذ التى لا يقرها الدين .

ى - ينبغى التنبه إلى أن ما يعرض للإنسان من أزمات نفسية وعدم نجاح فى الحياة ليس كله بسبب الجن والأعمال السحرية ، الأمر الذى يجعل الكثير ممن يعرض لهم ذلك يسارعون إلى محترفى السحر ، فكثير منهم دجالون ، والواجب هو الصبر والتأنى والبحث فى أسباب هذه الأزمات ، ومحاولة حلها بالطرق المشروعة عند المختصين .

دراسة فى « الزار » العدد القادم

مؤسسات فى خدمة الإسلام

بقلم فضيلة الشيخ / زكريا أحمد نور

ما أكثر المؤسسات والهيئات ــ الرسمية والأهلية ــ التى تقدم خدمات مختلفة للمسلمين فى كل الأقطار العربية والإسلامية والأوربية والأمريكية ، وفى هذا المقال أتناول بشىء من التفصيل ثلاثا من هذه المؤسسات الإسلامية ، تحضرنى مادتها العلمية بحكم قربى من اهتماماتها وعضويتى بالأخيرة منها ألا وهى :

١ ــ الأزهر بهيئاته العلمية .

٢ ــ رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .

٣ ــ رابطة الأدب الإسلامى العالمية بالهند .

أولا : الأزهر جامعا وجامعة[١] .

يأتى الأزهر فى مقدمة المؤسسات الإسلامية التى تخدم الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع الأرض ، فهو يؤدى رسالته العلمية والروحية السامية فى خدمة العلم والدين واللغة ، منذ أكثر من عشرة قرون .

ويعتبر الأزهر أبا لجميع الجامعات الإسلامية قديما وحديثا ، وله أن يعتز بهذه الخصيصة المميزة له النابعة من ماضيه فى خدمة الإسلام ، لا ينازعه أحد فى هذا الحق ولا يخاصمه ، ولا يدانيه أحد فى هذا الاعتزاز ولا يماثله ، ذلك أنه يقدم خدماته العلمية والتعليمية بنفقات باهظة تتحملها ميزانيته وحدها .

لقد حافظ الأزهر طيلة الألف سنة ــ الماضية ــ على العلوم الإسلامية الفكرية

(١) وضع القائد «جوهر الصقلى» أساس الجامع الأزهر فى ٢٤ من جمادى الأولى ٣٥٩ هـ ، وأقيمت فيه أول صلاة جمعة فى السابع من رمضان ٣٦١ هـ ، وقد اكتمل بناؤه فى نفس العام ، وانتظمت فيه الدراسات العليا (٣٧٨ هـ/٩٨٨ م) .

والعقلية ، وعلى اللغة العربية وآدابها محافظة لا مثيل لها فى ظروف قاسية فى كثير من الأحيان ، وخدم المسلمين فى جمع أنحاء المعمورة بدون تمييز بين أجناسهم وألوانهم ومذاهبهم الفقهية خدمة بذل فيها — ولا يزال يبذل — الغالى والنفيس .

ولعل ما يميز الأزهر إضافة على خدمته العلمية والدينية — التى سيظل يؤديها بمشيئة اللهتعالى — أبد الدهر — إسهامه بنصيب وافر فى النهوض الحر بالبلاد الإسلامية وقد أدى دورا قياديا ضد الاستعمار بكافة ألوانه ومنابعه .

ولقد أراد الله — سبحانه وتعالى — لرسالته التعليمية أن تمتد فافتتح معاهد خارج جمهورية مصر العربية .

ثانيا : رابطة العالم الإسلامى :

أنشئت « رابطة العالم الإسلامى عام ١٣٨١هـ ١٩٦٢ م » إبان موسم الحج ، حيث انعقد مؤتمر إسلامى تدارس فيه المجتمعون ما آل إليه حال المسلمين فى العالم ؛ وما ينبغى اتخاذه من خطوات إيجابية لتحقيق الأهداف التى يطمح إليها كل مسلم فى هذا العصر ، ولقد توصل المجتمعون إلى قرار بوجوب تأسيس منظمة جديدة هى : (رابطة العالم الإسلامى) ، وعين المؤتمر أعضاء المجلس التأسيسى للرابطة ، وكلفهم بوضع نظامها الأساسى وتحديد أهدافها ووسائلها على ضوء قرارات وتوصيات المؤتمر ، وقد أصدر المجلس التأسيسى للرابطة بيانه الأول الذى حدد أهداف الرابطة على النحو التالى بهذا النص .

نعاهد الله تعالى على : أن نؤدى فريضة الله علينا بتبليغ رسالته ونشرها فى جميع أنحاء العالم وإن نؤكد من جديد إيماننا بأنه لا سلام للعالم إلا بتطبيق القواعد التى أرساها الإسلام ، وأن ندعو الأمم عامة إلى التسابق فى ميدان العمل لخير البشرية وإسعادها ، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين أفرادها وإيجاد المجتمع الإنسانى الأفضل وأن نشهد الله على أننا لا نريد إفسادا لأمر أحد ولا سيطرة على أحد ولا هيمنة على أحد .

وأعلن مؤسسو «رابطة العالم الإسلامى» أنهم فى سبيل تحقيق هذه الأهداف قد اعتزموا القيام بما يلى :

(أن يبذلوا قصارى جهدهم فى توحيد كلمة المسلمين وإزالة عوامل التفكك المحيطة بالمجتمعات الإسلامية المنتشرة فى بقاع الأرض ، وأن يستخدموا جميع ما يملكون من وسائل روحية ومادية وأدبية لتحقيق ما يصبون إليه فى هذا الميثاق ، وقد قرروا أن يوحدوا جهودهم لتحقيق هذه الأغراض بطريق إيجابى سليم وأن يطرحوا كل دعوى جاهلية قديمة وحديثة وأن يعلنوا أن لا شعوبية ولا عنصرية فى الإسلام .

نظام رابطة العالم الإسلامى التأسيسى :—

لقد وضع مؤسسو «رابطة العالم الإسلامى» نظاما أساسيا لها جاء فيه : إن من أهم الأهداف (الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامى عام من كبار دعاة الإسلام المرموقين فى العالم الإسلامى كله لتبادل الرأى وتنسيق الجهود وتطوير وسائل الدعوة والتبليغ على أساس من تجاربهم جميعا فى هذا الميدان) وكان أول أمين لها تم اختياره هو فضيلة الشيخ السيد محمد سرور الصبان وذلك فى عام ١٣٨١ هـ الموافق ١٩٦٢ م ، أما أمينها العام

فى الوقت الحالى فهو : الدكتور أحمد على ــ حفظه الله ــ وهو بمشيئة الله خير خلف لأحسن سلف . إن شاء الله تعالى[٢] .

ثالثا ــ رابطة الأدب الإسلامى العالمية :

مر إنشاء «رابطة الأدب الإسلامى العالمية» بمراحل عديدة إذ بدأت فكرة راودت أذهان عدد من الأدباء الإسلاميين من مختلف الجنسيات ، ثم بدأت تتجسد فى لقاءاتهم التــى بدأت عام ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ، إلى أن استقر رأيهم على تكوين هيئة تأسيسية تدرس أبعاد الفكرة وتخطط لها وتراسل من أجلها الأدباء فى سائر الأقطار الإسلامية .

رابطة الأدب الإسلامى العالمية ومولدها :

لقد كانت «الندوة العالمية للأدب الإسلامى» التى دعا اليها سماحة الشيخ أبى الحسن الندوى فى (لكنـــو) فى شهـــر جمادى الآخرة عام (١٤٠١ هـ ١٩٨١ م) مولدا لرابطة «الأدب الإسلامى العالمية» ، حيث دعى إلى هذه الندوة عدد كبير من رجالات العالم الإسلامى وفيهم كثير من المهتمين بالأدب ، وفى هذه الندوة التى أعطت دفعا قويا للأدب الإسلامى اتخذت توصية مهمة تتضمن (إقامة رابطة عالمية للآداب الإسلامية) وتعزز هذا الاتجاه فى ندوة الحوار حول «الأدب» الإسلامى التى عقدت فى رحاب الجامعة الإسلامية «بالمدينة المنورة» فى شهر رجب عام ١٤٠٢ هـ ، ثم فى ندوة الأدب الإسلامى التى عقدت فى رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى شهر رجب ١٤٠٥ ه ، وفى خلال هذه الفترة قامت الهيئة التأسيسية للرابطة بالاتصال بسماحة الشيخ أبى الحسن الندوى وعرضت عليه ما قامت به من أعمال تمهيدية واتصالات موسعة ورغبت إليه أن يتبنى إنشاء هذه الرابطة .

واستجاب سماحته بما عرف عنه من صدر رحب وبصيرة نافذة ، ووعى وحكمة بالـغين وإدراك لدور الأدب فى وجدان الأمة وترشيد مسارها وإنارة طريقها فى العود الحميد إلى الإسلام والذي هو سوغ وجودها وحصنها المنيع ، وهكذا انبثقت عن الهيئة التأسيسية لجنة تحضيرية تولت الإعلان عن قيام (رابطة الأدب الإسلامـى) ونشر هذا الاعلان فى عدد من الصحف والمجلات بتـــاريخ ١٤٠٥/٥/٢٤ هـ الموافـــق ١٩٨٤/١١/٢٤ م ثم دعت الهيئة التأسيسية إلى المؤتمر العام الأول للرابطة بعد انتساب عدد كبير من الأدباء إليها فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى وعقد هذا المؤتمر فى رحاب جامعة « ندوة العلماء » بلكنو فى الهند ، فى شهر ربيع الثانى ، عام ١٤٠٦ ه الموافق لشهر كانون الثانى يناير ١٩٨٦ م حيث تم وضع النظام الأساسى للرابطة وانتخاب مجلس الأمناء ، كما انتخب سماحة الشيخ أبى الحسن الندوى : رئيسا للرابطة وتم الترخيص الرسمى للرابطة فى مقرها الرئيسى حاليا بمدينة « لكنو بالهند » ولها أن تفتح مكاتب وفروعا فى اى مكان فى العالم :

---

(٢) الموسوعة الحركية فتحى يكن دار النشر عمان جـ ٢ .

أهداف رابطة الأدب الإسلامى :

تهدف «رابطة الأدب الإسلامى العالمية» إلى تحقيق الغايات التالية :

١ ـ تعريف الأدباء الإسلاميين ـ على اختلاف لغاتهم وأجناسهم ـ ببعضهم البعض وجمع كلمتهم وإقامة التعاون بينهم ؛ ليكونوا قوة إسلامية سلاحها الكلمة الأصيلة الملتزمة بالإسلام .

٢ ـ وتعمل «رابطة الأدب الإسلامى العالمية» على تأصيل نظرية الأدب الإسلامى وإظهار الملامح السائدة فى الأدب الإسلامى ـ قديمه وحديثه ـ .

٣ ـ وتحقق الرابطة مبدأ عالمية الأدب الإسلامى وتعمل كذلك على تأصيل نظرية النقد الإسلامى على ان تتصف بالموضوعية والإنصاف والبعد عن القوالب المستوردة والأساليب المبهمة .

٤ ـ وترسم الرابطة منهجا إسلاميا مفصلاً للفنون الأدبية الحديثة التالية : ـ القصة ـ المسرح ـ السيرة الأدبية ـ التمثيلية المسموعة ـ التمثيلية المرئية .

٥ ـ وتهتم «رابطة الأدب الإسلامى العالمية» بالتفسير الإسلامى للأدب ، وتعيد كتابة تاريخ الادب العربى من وجهة نظر إسلامية وتظهر «رابطة الأدب الإسلامى العالمية» صلة الأدب الإسلامى الحديث بالأدب القديم والرد على المحاولات الداعية إلى الانفصام بين أدب أمتنا فى الماضى والحاضر .

٦ ـ كذلك تعمل على دراسة الأدب الإسلامى المعاصر فى البلاد الإسلامية وإظهار الخصائص المشتركة للأدب الإسلامى فى العالم .

٧ ـ وتقوم رابطة الأدب الإسلامى بدراسات موسعة لعدد من الادباء الإسلاميين وبخاصة الذين صاغوا أدبهم بإحدى لغات الشعوب الإسلامية .

٨ ـ وتقوم رابطة الأدب الإسلامى بتعريف الشعوب الإسلامية بآداب بعضها بعضا بترجمة آثارها الأدبية الى عدد من لغات الشعوب الإسلامية الأخرى .

٩ ـ وتعمل على تشجيع الادب الذى يهتم بقضايا المرأة المسلمة ، وتشجيع نتاج الأديبات المسلمات .

١٠ ـ وتقوم «رابطة الأدب الإسلامى العالمية» برسم منهج إسلامى لأدب الأطفال واليافعين والشباب وتتصدى للدعوات الادبية المشبوهة المنحرفة .

وتقوم «رابطة الأدب الإسلامى العالمية» بالتصدى للدعوات الأدبية المشبوهة والمنحرفة والدفاع عن حرية الفكر والتعبير بما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية .

وجدير بالذكر أن الرابطة تصدر مجلة فصلية باسم « الأدب الإسلامى » تترجم نشاطها الفكرى فى هذه الميادين ويتم توزيعها فى أنحاء العالم .

وأخيراً فإن «رابطة الأدب الإسلامى» التى تنتشر أعضاؤها فى مختلف الاقطار العربية والإسلامية ـ تدعو سائر الأدباء الملتزمين بالإسلام أن ينضموا تحت لوائها ، كما تهيب بكل غيور على الإسلام أن يعمل على تأييدها ودعمها حتى يصبح الأدب الإسلامى رائجاً فى الأمة .

موريتانيا

بلد المنارة والرباط

تقديم / الفاغ بن محمد ولد الشيباني

يكاد الجيل المسلم اليوم لا يعرف شيئا عن موريتانيا ـ شنقيط ـ فمنذ عقود من الزمن صارت موريتانيا نكرة فى محيطها العربى والإسلامى ؛ وما ذلك إلا لأن الأمة من حولها وقعت فى وهدة تاريخية اختلت فيها الموازين وتقطعت العرا ، وأصاب موريتانيا من ذلك الكثير ...

وها نحن الرابطة الوطنية لاتحاد طلبة موريتانيا ـ نلقى الضوء على موريتانيا من حيث التسمية ، والأصول التاريخية والعرقية . وعن مؤسسيها الأوائل « المرابطين » الذين يعود الفضل لأحد قوادهم وهو (يوسف بن تاشفين) الذى ساهم فى استمرار الحكم الإسلامى فى الأندلس ـ أسبانيا الآن ـ إلى ثمانية قرون فى إحدى المعارك الإسلامية المشهورة وهى معركة الزلاقة .

كما أننا لم ننس التاريخ المعاصر لموريتانيا فتكلمنا عن تطور النظام الحاكم فى البلاد ثم تحدثنا عن موارد موريتانيا من قطاعات مختلفة وصناعات وخدمات .

آملين أن نكون قد وفقنا فى إعطاء القارىء فكرة عن هذا البلد العربى المسلم مذكرين بأن هذه السطور إنما هى مقتطفات من تاريخ هذا البلد الذى يقول عنه د . محيى الدين الصابر المدير العام السابق للمنظمة العربية للثقافة والعلوم فى علمائه ودورهم :

« كانت صورة الشناقطة وما تزال فى البلاد العربية أنهم الممثلون الأوفياء للثقافة العربية الإسلامية فى نقائها وأصالتها وأنهم سدنتها فى قاصية ديار الإسلام المرابطون فى ثغورها حفاظا عليها ونشرا لها وإشعاعا بها » .

ويقول عنهم عبداللطيف الدليشى الخالدى :

« إن من الشناقطة علماء قد لا نغالى إذا قلنا عنهم : إنهم لا يقلون أهمية عن أمثال جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا وأبى الثناء الألوسى وعثمان بن سند وأضرابهم » . الفاغ

MAURITANIE

موريتانيا

بطاقة تعريف :-

١ ـ موريتانيا جمهورية إسلامية عربية إفريقية ديمقراطية اجتماعية .

٢ ـ الإسلام دين الدولة والشعب .

٣ ـ اللغة العربية هى اللغة الرسمية .

٤ ـ اللهجات الوطنية هى : الحسانية والبولارية والسنكية والولفية .

٥ ـ الرمز الوطنى عَلَمٌ أخضر يحمل رسم هلال ونجم ذهبيين .

٦ ـ شعار الجمهورية شرف ـ إخاء ـ عدالة .

٧ ـ عاصمة الدولة هى (نواكشوط) .

٨ ـ العملة الوطنية هى الأوقية : الدولار الأمريكى = ١٠٦ أوقية والجنيه المصرى = ٤٠ أوقية .

٩ ـ عدد السكان ٢,١٠٣١٣٤ مليون نسمة .

١٠ ـ مساحة الدولة ٢,٠٣٦٠٠٠ كم٢ .

١١ ـ تاريخ الاستقلال عن فرنسا ١٩٦٠/١١/٢٨ م .

١٢ ـ أهم الموارد الاقتصادية : السمك ، الحديد ، النحاس ، الجبس .

١٣ ـ عدد المحافظات ثلاث عشرة محافظة .

١٤ ـ موريتانيا عضو بهيئة الأمم المتحدة ، ومنظمة الوحدة الإفريقية وجامعة الدولة العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامى ، ومجموعة دول عدم الانحياز ، واتحاد المغرب العربى .

لمحة تاريخية

يرجع أن اسم « موريتانيا » يرجع إلى الرومان الذين كانوا أول من أطلق اسم « مورى » على سكان شمال إفريقيا كما سموا بلادهم « تانيا » فـ (موريتانيا) اسم مكون من كلمتين « مور » وتعنى باللاتينية : الأسمر ، وكلمة « تانيا » وتعنى : « بلاد » .

وقد اصطلحت كثير من المراجع العربية على أن تسمية « موريتانيا » أطلقها الاستعمار الفرنسى على هذه المنطقة بينما اسمهـــا الأصلى « بلاد شنقيط » .

وكلمة « شنقيط » تعنى عيون الخيل فى « البربرية » ، ولعل ذلك ما يرجح أنها كانت (رباطا) للجيوش التى تتقدم لفتح بلاد السودان ، أو محطا للقوافل التجارية التى كانت تجوب الصحراء ، وهكذا اشتهرت هذه المدينة فحملت اسمها واشتهرت به .

مكانتها العلمية :

وقد نالت مكانة علمية مرموقة وشهرة واسعة حمل لواءها علماؤها الأجلاء الذين كانوا منهلا علميا رحبا فى العلوم اللغوية والدينية ، وكان لاحتكاكهم بالمشرق من خلال رحلاتهم للحج الدور الأول فى إثراء المكتبة العربية بمؤلفات فذة ، ومن أشهر هؤلاء العلماء : محمد محمود ولد التلاميد الشنقيطى الذى ذاع صيته فى مصر من خلال مؤلفاته ، ومكانته العلمية التى أهلته للتدريس فى الأزهر الشريف ، وقد كان على صداقة وثيقة مع بعض علماء مصر كالشيخ محمد عبده ، وله عدد من المخطوطات فى الهيئة العامة للكتاب المصرى .

كذلك نال كل من العالمين أحمد بن الأمين الشنقيطى صاحب كتاب « الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط » وأب ولد اخطور محمد الأمين الشنقيطى صاحب كتاب « أضواء البيان فى تفسير القرآن بالقرآن » ، وله شهرة علمية فائقة فى المشرق ، واشتهر الأخير بحلقاته العلمية فى الحرم المكى .

الأصول العرقية الموريتانية

كانت موريتانيا قبل دخول الإسلام منقسمة إلى قسمين : ففى المنطقة الجنوبية التى تتبع «مملكة غانا » كانت تقيم بعض المجموعات الزنجية على ضفاف (نهر السينغال) ، أما فى الشمال فيما يدعى « صحرء الملثمين » التى تمتد شمالا حتى (الداخلة) فكانت تقيم قبائل صنهاجة ببطونها الثلاثة : لمتونة وجدالة ، ومسوقة .

هذا ، وقد اختلف المؤرخون حول نسب صنهاجة فاتجه معظم النسابة العرب إلى أنهم قبائل عربية خرجت من اليمن فى عهد خلافة أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فوصلت إلى موريتانيا بعد مرورها على كل من مصر وإفريقية ، أو أنهم نزحوا فى عهد ملوك التتابعة فى اليمن .

ومن أشهر المؤرخين الذين قالوا (بعروبة صنهاجة) ابن الكلبى وابن الأثير وابن خلكان ، واليعقوبى والأشبيلى والمالكى .

ومن جهة أخرى رفض بعض المؤرخين عروبة صنهاجة ، واعتبروها قبائل بربرية .

ومع دخول الطلائع الأولى للفتح الإسلامى بقيادة حبيب بن عقبة بن نافع بدأت القبائل العربية تأخذ طريقها إلى موريتانيا منذ القرن الثانى للهجرة حيث بدأت عملية الاستعراب تقويها وشائج الدين ، وقد عزز ذلك بهجرة قبائل (بنى معقل) العربية المطرودة من الدولة الفاطمية فى مصر والتى دفعتها إلى الهجرة إلى شمال إفريقيا خلال القرن الحادى عشر الميلادى ، إلا أن نفوذها لم يظهر واضحا إلا فى القرن الثالث عشر حينما دخلت هذه القبائل فى خدمة دولة بنى مرين .

إذن تعتبر بداية الفترة الأولى من العصر الإسلامى بداية التركيب الحالى لسكان البلاد حيث وجدت سلالات إفريقية وأخرى عربية ، على « أن الروابط الدينية والاقتصادية والثقافية نسجت عرى وثيقة من الالتحـــام بين هذه المجموعات البشرية التى تشكل اليوم شعبا واحدا متحدا .

المرابطون رواد الثقافة العربية الإسلامية

كانت قبيلة صنهاجة المنتشرة فى شمال إفريقيا مقسمة إلى ثلاث مجموعات ، فكانت صنهاجة الشرقية سائدة على تونس والجزائر ، وكانت صنهاجة الشمالية سائدة على جهـــات من الأندلس ، أما صنهاجة الجنوبية (الملثمون) فكانت تهيمن على الصحراء الغربية الموريتانية .

وقد تهيأت بعض الظروف التى منحت صنهاجة الجنوبية مقومات للظهور فقد انهزمت صنهاجة الشرقية أمام زحف الهلاليين على ليبيا وتونس .

أما فى الشمال فقد تنامى الصراع بين الدويلات التى توارثت الخلافة الأموية فيما سمى بدول الطوائف ، كذلك انقسم المغرب بعد القضاء على (الأدارسة) ، وترتب على هذه الفوضى السياسية تدهور اقتصادى واجتماعى ودينى وأصبح الأمر يحتاج إلى إصلاح ؛ ولذا فقد كانت المقومات كلها تؤهل صنهاجة الجنوبية لذلك ، خصوصا بعد أن انتشر بينهم الإسلام عقب فتح الأندلس مما أدى إلى قيام حلف قوى جمع الملثمين جميعهم بزعامة (لمتونة) وكان هذا التوحيد فى ظل الإسلام نذيرا بموجة من التوسع صوب الجنوب حماية لهذا الحلف من عدوان (غانا) الماثل ، ثم نشر الإسلام بين القبائل الزنجية بالسودان الغربى ، وتمت مواجهة مملكة غانا الوثنية التى وصلت فى ذلك الحين إلى أوج قوتها وتوسعها . وبرغم هذا نجح الملثمون فى منازلة (غانا) ، وأمعنوا فى زحفهم حتى دخلوا « اوداغوست » واتخذوها حاضرة لهم .

استمر جهاد الملثمين الذى حمل لواءه أبو عبدالله محمد بن تومارت اللمتونى إلى أن وصل إلى يحيى بن إبراهيم الجدالى زعيم قبيلة (جدالة) ثم من بعده ابنه إبراهيم بن يحيى ، وقد رأى هذا الأخير أن الإخفاق والبلاء يرجع إلى عدم الشعور بالوحدة وسرعة تفرق الجماعة ، وأن الوحدة والجهاد لن يتحققا إلا فى ظل دعوة دينية صادقة توحد الناس وتزكى نفوسهم ؛ ولذا فقد استقدم عبدالله بن ياسين الجزولى إلى الصحراء فاغتبطت بِمَقْدَمِهِ لمتونة وجدالة واستقبلوه بالحفاوة

والتكريم ، وبذلك بدأت أولى مراحل قيام المرابطين عندما أقام عبدالله رباطا دينيا أعلن منه الجهاد ضد القبائل الخارجة على تعاليم الإسلام ، والتى كانت تهدد الدولة الإسلامية باستمرار ، وبعد أن استقر الأمر للطائفة المؤمنة بدأت تتطلع للجهاد نحو الجنوب فى غانة والشمال فى المغرب ابتداء من سنة ٤٣٤ هـ/١٠٤٢ م .

فبسط ابن ياسين سلطانه الروحى على سائر قبائل الصحراء ، وجعل السلطة الزمنية ليحيى بن إبراهيم الجدالى ، وهكذا خرج المرابطون وعلى رأسهم ابن ياسين وساروا إلى (سلجماسة) ففتحوها سنة ٤٧٧ هـ . وقاموا بإزالة المنكرات ، ورفع المكوس الجائرة ، وتطبيق أحكام الدين ، وندب لحكم سلجماسة عاملا من (اللمتونيين).

وكانت هذه الواقعة بداية لفتح المرابطين للمغرب ، وبعد وفاة عبدالله بن ياسين اتفق رأى المرابطين على اختيار قائدهم أبى بكر بن عمر اللمتونى للرئاسة مكان إمامهم المتوفى .

وقد وكل أبو بكر شئون المغرب لابن عمه (يوسف بن تاشفين) واتجه هو للجهاد فى الجنوب ضد القبائل السودانية ، ولم يكن إخضاعها بالشىء اليسير فقد استغرق جهود عشرة أعوام فى جهاد مستمر .

أما الجزء الشمالى بقيادة (يوسف بن تاشفين) فقد تابع فتوحاته الظافرة ضد المهددين للدولة ، وَهَبَّ لنجدة الوجود الإسلامى فى الأندلس ، وانتصر على الفرنجة فى (معركة الزلاقة المشهورة) مما أطال النفوذ الإسلامى لقرون ثمانية .

لقد كانت (دولة المرابطين) بحق دولة قوية نشرت الإسلام ، وأقامت صرح الثقافة العربية الإسلامية من المغرب إلى أدغال السودان .

وكان المسلمون هم روادها المؤمنون المخلصون المجاهدون ، وإليهم يرجع فضل انتشار الحضارة الإسلامية العربية ، ومن بعدهم سار على ذلك أحفادهم فظلوا على مر العصور قنطرة التواصل ، وأداة الاستمرار الثقافى فى جهادهم ودعوتهم وقد حملت المحظرة* الموريتانية ، ولا زالت تحمل لواءها وترفعه عاليا حتى اليوم .

الموقع والمساحة :

تقع موريتانيا فى الشمال الغربى للقارة الإفريقية وفى أقصى الجنوب الغربى للوطن العربى ، وتمتد الأراضى الموريتانية بين دائرتى عرض ٣٠° و١٤° غربا وبين ٢٤° و٢٧° شمالا .

وأغلب الأراضى الموريتانية تقع إلى الجنوب من مدار السرطان ، وتبلغ مساحتها ١,٠٣٠٦٠٠ مليون كم وهو ما يوازى ضعف مساحة فرنسا .

ويحدها من الغرب المحيط الأطلسى ومن الشمال الغربى الصحراء الغربية ومن الشمال الشرقى (الجمهورية الجزائرية) ، ومن الشرق والجنوب الشرقى (جمهورية مالى) ومن الجنوب الغربى (جمهورية السنغال) .

ويتميز السطح الموريتانى بظاهرة السهول المتسعة ، فهو عبارة عن سهل متسع يتضرس شيئا ما فى الاتجاه الشمالى الشرقى والجنوب الغربى ، ويظهر فوقه بين الحين والآخر مناطق مرتفعة تأخذ شكل هضاب . ذلك فضلا عن سلسلة من

* الكتاتيب .

الحافات المرتفعة بعض الشيء وهى تتجه نحو الغرب وتفصل هذه الحافات بين هضاب يصل ارتفاعها حوالى ٥٠٠ كم فوق سطح البحر ، ويزيد الارتفاع عن ذلك فى هضبة « آدرار » و« تكانت » و« لعصابة » .

وفيما عدا هذه الأجزاء المرتفعة نسبيا فى الشرق والشمال ؛ فإن بقية أجزاء موريتانيا عبارة عن أراض منخفضة لا يتجاوز ارتفاعها ٥٠٠ م فوق سطح البحر .

وبرغم أن معظم أراضى موريتانيا صحراوية إلا أنها تتميز بساحلها المطل على المحيط الأطلنطى ، والذى يبلغ طوله نحو (٦٥٠ كم) ، ويعتبر هذا الساحل بالنسبة للصحراء المترامية بمثابة نافذة لها على البحر ، وقد زادت هذه الجهة البحرية من أهمية موقع موريتانيا وفتحت لها آفاقا للاتصال بالعالم الخارجى .

تطورات النظام السياسى فى موريتانيا

١ ـ مرحلة ما قبل الاستقلال :

خضعت موريتانيا للاستعمار الفرنسى واعتبرت مستعمرة ملحقة بإفريقيا الغربية الفرنسية فى شهر يناير سنة ١٩٢٠ م . ومنذ ذلك التاريخ أصبحت خاضعة للقانون الداخلى الفرنسى على غرار أقاليم ما وراء البحار .

ويرأس الإقليم من هذه الأقاليم طبقا للقانون (وَالٍ) يمثل الحكومة الفرنسية كما يتمتع بحق انتخاب نائب فى الجمعية الوطنية الفرنسية . وقد قبلت موريتانيا فى هذه الجمعية من طرف النائب : أحمد وِلْد حُرْمَه ولد بَبَانا الذى فاز على منافسه الفرنسى رازاك يوم ١٠ نوفمبر ١٩٤٦ .

وبعد إصدار (قانون الإطار) الذى صوتت عليه الجمعية الوطنية الفرنسية فى ٢٣ يوليو ١٩٥٦ منحت موريتانيا شكلا من الاستقلال السياسى ، وتمثل فى نظام شبه نيابى قائم على مجلس حكومة منتخب من طرف الجمعية الإقليمية ، وقد نظمت انتخابات فى موريتانيا فى شهر مارس ١٩٥٧ . فاز فيها الاتحاد التقدمى الموريتانى حيث حصل على ٢٣ من ٢٤ مقعدا ، وتم انتخاب أول مجلس للحكومة فى مايو ١٩٥٧ من طرف الجمعية الإقليمية التى انتخبت أول رئيس لموريتانيا كنائب لرئيس المجلس المرؤوس من طرف الوالى الفرنسى .

ونتيجة للهزات التى عرفتها المستعمرات الفرنسية ، والمطالب المتصاعدة بمنحها الاستقلال . فقد نص الدستور الفرنسى الصادر فى ٤ أكتوبر ١٩٥٨ على إجراء استفتاء داخل المستعمرات لتحديد رغبتها فى الاستقلال .

ونتيجة للتزوير فى الانتخابات بقيت موريتانيا تحت السيطرة الفرنسية مع تمتعها بالاستقلال الذاتى ، وتحولت الجمعية الإقليمية إلى جمعية تأسيسية أصدرت (الدستور الموريتانى) الأول فى ٢٢ مارس ١٩٥٩ .

وقد أقام هذا الدستور نظاما برلمانيا ، نص على تعدد الأحزاب السياسية فظهرت للساحة أربعة أحزاب هى :

ا ـ حزب التجمع الموريتانى .

ب ـ حزب النهضة الموريتانى .

جـ ـ حزب الاتحاد الوطنى .

د ـ حزب الاشتراكيين المسلمين الموريتانيين .

إلا أن العمل بدستور ٢٢ مارس ١٩٥٩ لم يدم طويلا ، فقد جرت مفاوضات فى باريس بين الحكومتين الموريتانية والفرنسية ، انتهت بتوقيع اتفاقية فى ١٩ أكتوبر ١٩٦٠ تم بموجبها نقل سلطات الاتحاد إلى حكومة موريتانيا ، وأصبحت الدولة مستقلة فى ٢٨ نوفمبر ١٩٦٠ م .

٢ ـ مرحلة ما بعد الاستقلال :

إذا كان دستور ٢٢ مارس ١٩٥٩ م قد أقام نظاما برلمانيا ، فإن دستور ٢٠ مايو ١٩٦١ م قد أقر نظاما رآسيا ينتخب به الرئيس لمدة خمس سنوات بالاقتراع العام المباشر ، ويتمتع الرئيس المنتخب فى ظله بصلاحيات هامة تتمثل فى تعيين الوزراء وإقالتهم ، وممارسة السلطة التنظيمية وغيرها . وبعد اتحاد الأحزاب الموريتانية فى حزب واحد هو (حزب الشعب الموريتانى) إثر مؤتمر « ألاك » سنة ١٩٦٥ تم تعديل مادة ترشيح رئيس الجمهورية حيث اشترط تعديل ١٩٦٦ م أن يكون المرشح لرئاسة الجمهورية حائزا على الترشيح من الحزب الآنف الذكر .

وهكذا استمر الحكم المدنى مدة ثمانى عشرة سنة ، وربما ساعده على ذلك تغلغل الحزب الحاكم فى الأوساط الموريتانية . برغم ما واجه حكمه من تذمر تزعمته فئات مثقفة تبنت الاشتراك كحل للمشاكل الاقتصادية ، إلا أنها فى النهاية دخلت فى مفاوضات مع الحكم جرى على إثرها الاتفاق بعد قيام الحكومة بإصلاحات اقتصادية تمثلت فى تحرير الاقتصاد الوطنى بتأميم بعض الشركات الوطنية من الاستغلال الفرنسى وصك عملة وطنية قطعت التبعية النقدية للمستعمر الفرنسى .

وفى ١٠ يوليو سنة ١٩٧٨ تحركت القوات المسلحة فى انقلاب أطاح بالحكم المدنى ، وألغى الانقلابيون العمل بالدستور ، وحلوا المؤسسات السياسية وأخضعوا البلاد للحكم الاستثنائى ، وفى ظل هذا الحكم صدرت ٦ مواثيق ومشروع دستور نيابى فى سنة ١٩٨٠ ، وقد أكدت كل هذه المواثيق طَلَبَهَا المؤقت باعتبارها فترة انتقالية ينتهى العمل بها فور إقامة مؤسسات ديموقراطية ، وقد كانت تتولى اللجنة العسكرية السلطة التشريعية ، ويتمتع أعضاؤها بالحصانة البرلمانية .

وقد رافق هذا الاختصار فى المؤسسات اختصار فى الحياة السياسية ، وإن كانت قد جرت محاولة لإشراك السكان فى تسيير شئونهم من خلال تنظيم هياكل (تهذيب الجماهير) ابتداء من ١٩٨١ ، كذلك شهدت البلاد فى فترة الحكم الاستثنائى إقامة (مجالس بلدية) شملت عواصم الولايات والمقاطعات والمراكز الإدارية ، وكذلك البلديات الريفية .

٣ ـ المؤسسات الديمقراطية :

نتيجة للتغيرات العالمية التى ألقت بظلالها على مناطق عديدة من العالم ، والتى حملت متغيرا هاما تَمَثَّلَ فى رياح التغيير الديمقراطى ، عرفت بلادنا ـ ضمن الدول التى عرفت التوجه نحو النظام الديمقراطى ـ ميلاد دستور فى ٢٠ يوليو ١٩٩١ حاز على نسبة ٩٧,٩٤٪ من الأصوات فى

الاستفتاء الذى أجرى فى ١٢ يوليو من نفس السنة .

ويمكن اعتبار هذا الدستور دستورا شبه رئاسى ، تميز عن دستور ١٩٦١ بإقراره التعددية السياسية ، وإقرار ثنائية السلطة التنفيذية فى شخص رئيس الدولة ورئيس الوزراء كما تميز كذلك بثنائية السلطة التشريعية المشكلة من مجلسين هما : الجمعية الوطنية ومجلس الشيوخ ، وإنشاء مجلس دستورى له اختصاصات قضائية ، وأخيرا : النص على تشكيل هيئات استشارية كما يقر هذا الدستور مجموعة من الحقوق والحريات الأساسية للإنسان كحق المساواة وحق الملكية والحريات السياسية والثقافية والاجتماعية .

وينتخب الرئيس طبقا لهذا الدستور عن طريق الاقتراع العام المباشر لمدة ست سنوات على ألا يقل عمره عن أربعين سنة ولا يقبل الترشيح إلا إذا عضده خمسون ٥٠ مستشارا بلديا على الأقل على ألا يكونوا منتخبين فى الدوائر الانتخابية لولاية واحدة .

أما السلطة التشريعية : فهى تتألف من (٧٩ نائبا) فى الجمعية الوطنية ينتخبون لمدة خمس سنوات عن طريق الاقتراع العام المباشر .

أما مجلس الشيوخ فينتخب أعضاؤه لمدة ست سنوات ويبلغ عددهم الحالى ٥٦ عضوا .

ومنذ صدور القانون المنظم للأحزاب ، برز — حتى الآن — إلى الساحة ثمانية عشر حزبا تمثل جميع الفعاليات والاتجاهات السياسية فى البلاد ، وقد راعى القانون فى هذه الأحزاب أن تؤسس على طابع وطنى ، وحظر أى حزب يقوم على أساس عرقى أو عنصرى أو طائفى .

كذلك وجدت حرية الصحافة صداها فصدرت أكثر من عشر صحف ناطقة باسم أحزاب أو مستقلة ، وقد تجلت حرية الصحافة هذه من خلال معالجتها للقضايا الوطنية ، ونقد السياسات الحكومية ، وإيصال رأى المواطن فى جو من الحرية التامة .

ويكفى التجربة الديمقراطية الموريتانية فخرا أنها جرت فى جو سلمى وانسجام تام ، واستطاع الشعب الموريتانى أن يثبت أنه قادر على استيعاب المنحى الديمقراطى ، وتسخيره للمصلحة الوطنية فى جو ديمقراطى رزين .

الموارد الاقتصادية

تشبه البنية الاقتصادية الموريتانية غيرها من بنى الدول النامية من اعتمادها على قطاع زراعى ، واستخراجى بدرجة أولى وصناعى بدرجة ثانية ، وخدمى بدرجة ثالثة .

القطاع الزراعى :

يسود المجتمع الموريتانى بصفة عامة الطابع الزراعى وتحتل موريتانيا المرتبة الثالثة فى الوطن العربى بعد السودان والصومال .

ا — النباتى :

تمتلك موريتانيا سهولا كبيرة على نهر السنغال تقدر بـ ١٥٠ ألف هكتار و٢٠٠ ألف هكتار أراض مطرية ، بالإضافة إلى وحدات النخيل التى تستخدم الزراعة والخضروات ، ورصيدها هائل

من البحيرات الجوفية مثل (بحيرة إركيز ، وبحيرة الالث ، وبحيرة مال ، وبحيرة اديني) .. بالإضافة إلى ما قامت به الدولة ضمن خطتها الرامية إلى تطوير هذا القطاع بإنشاء مجموعة كبيرة من السدود ذات أغراض متعددة مثل التراكم فى المياه والرفع من مستوى الاحتياطى ، وتوسيع الأراضى الصالحة للزراعة . وتوليد الكهرباء ، وإنتاج أسماك المياه العذبة ، ويشتغل بالزراعة فى موريتانيا حوالى ٧١٪ من السكان .

وهذا دليل على أنها ما زالت تعتمد الوسائل البدائية ؛ مما جعل مساهمتها ضئيلة بالمقارنة مع الموارد المتاحة .

لقد شهدت السنوات الأخيرة اهتماما خاصا بالزراعة حتى أصبحت تمثل نسبة لا بأس بها من الاستثمارات المحلية ونظمت طرق الملكية ، وخصصت مبالغ كبيرة للقرض الزراعى ، وأعدت برامج لإعادة المزارعين إلى مواطنهم الأصلية ، وإيقاف زحف الرمال ، وإدخال نظام الميكنة فى الزراعة ، وقد أدت هذه الإجراءات وغيرها إلى تطوير القطاع والرفع من إنتاجيته ؛ مما خفف الضغط على ميزان مدفوعات الدولة ، وقلل من حاجة البلاد إلى الاستيراد .

ب ـ الحيوانى :

إن طبيعة الأرض الموريتانية ومناخها الجغرافى فرض عليها أن تكون ذات أهمية كبيرة ويمكن أن تقسم إلى :

١ ـ تربية الحيوانات :

تمتلك موريتانيا مساحات شاسعة من المراعى والحشائش التى تعتمد على الأمطار . وتعتمد عليها الحيوانات من بقر وإبل وماعز كمصدر للعيش الطبيعى ، ويساهم هذا القطاع بـ ٨٠٪ من دخل القطاع السكانى الذى يعتمد عليه و٦٠٪ من دخل القطاع الريفى .

ويتركز هذا النشاط فى الجنوب والوسط وهو مصدر دخل للقائمين عليه حيث يوفر لهم (اللحوم) و(الألبان) و« مشتقاتها » و(الصوف) وهى موجهة غالبا إلى الاستهلاك المحلى باستثناء اللحوم التى تصدر إلى الدول المجاورة ، وتوجد خطة مهمة لتطوير القطاع ، وإنشاء بعض الصناعات المحلية التى تعتمد عليه ـ كمادة أولية ـ مما سيرفع إنتاجية القطاع ، ويزيد من قابليته للتصدير بعد أن كانت تعترضه مصاعب جمه أدت إلى التقليل من إنتاجيته ومساهمته فى الناتج المحلى .

٢ ـ الصيد :

تمتلك موريتانيا شواطىء غنية بالأسماك نتيجة مرور (تيار كناريا) البارد وتعامد أشعة الشمس فترة طويلة من السنة مما ينبت بيئة سحرية ملائمة فى البحر . وتصنف هذه الشواطىء ضمن الشواطىء الغنية عالميا وتعتبر هذه الثروة الهائلة موجهة إلى التصدير وبالذات السوق الأوربية المشتركة واليابان ويقدر معدل الاستغلال بحوالى ٧٠٠ ألف طن . وقد كانت طرق الاستغلال فى البداية غير منظمة مما جعلها تخضع لعمليات نهب كبيرة من طرف أساطيل أجنبية مما قلل العائد من هذا القطاع . إلا أن السنوات الأخيرة شهدت إعادة صياغة القوانين ، وخطط الصيد حيث

أعدت قوات بحرية وطنية لمراقبة السواحل ورفع مستوى كفاءة المراقبة وقننت طرق التصدير ، ورُخّص لشركات وطنية باستغلال هذه الثروة الهائلة ، وإنشاء بعض المصانع الصغيرة وتطوير طرق إصدار رخص الصيد .

وأقيمت بعض الدوريات والمؤسسات التأهيلية للرفع من كفاءة العمالة ومستوى الخبرة .

وعلى الرغم من كافة الإجراءات التى اتخذت إلا أنها ما زالت حتى الآن دون المطلوب نتيجة نقص رؤوس الأموال الموجهة إلى هذا القطاع الهام الذى باستغلاله استغلالا كاملا يمكن أن يغطى حاجات الوطن العربى من الأسماك .

ويضاف إلى أسماك المياه المالحة أسماك المياه العذبة التى توجد فى نهر صنهاجة (النهر الفاصل بين موريتانيا والسنغال بصفة طبيعية ، وبالإضافة إلى بعض التجارب فى (بحيرة اركيز) و(منطقة كوركول) .

القطاع الصناعى

يمكن تقسيم هذا القطاع إلى :

أ ـ **استخراجى** :

حيث يتوفر لموريتانيا ثروة معدنية هائلة تعرضت ـ لسنوات ـ من الاستغلال البشع من طرف مؤسسات أجنبية ، وإن كانت مازالت مصدرا ـ أوَّليًّا ـ فى تمويل الميزانية العامة وهى :

١ ـ الحديد :

وقد اكتشف سنة ١٩٠٠ واستغل من طرف (شركة ميفرقا) الأجنبية سنة ١٩٥٢ ثم أصبح خاضعا لشركة وطنية هى (اسنيم) فى ٢٩ نوفمبر ١٩٧٤ م وتعتبر (كدية الجل) هى المنبع الأول لهذه الثروة سواء من حيث جودة الحديد المستخرج ، أو من حيث نسبة الحديد فى الصخور ، والتى تعتبر طبقا للمقاييس العالمية أكبر النسب .

وتنقل هذه الخامات عبر أطول سكة حديدية لنقل الحديد فى العالم ويصدر عبر ميناء شحن خاص فى (أنواذيبو) ويبلغ حجم الإنتاج حوالى ١٢ مليون طن ، ويعتبر هذا القطاع القلب النابض فى الشمال من حيث العمالة المستخدمة أو الخدمات المقدمة .

وقد استخدم كمصدر للمادة الأولية لمصانع أُنجِزتْ فعلا مثل (مصنع البلورات الحديدية) فى (انواذيبو) الوحيد من نوعه فى العالم العربى ـ ومصانع فى طور الإنجاز لإعادة صناعة الحديد وبعض الأدوات الصغيرة .

٢ ـ النحاس :

اكتشف قرب (اكجوجت) وتقدر الاحتياطيات بحوالى ٢٫٣ مليون طن منها ٨ مليون طن (مكسدة) بالنحاس ، وقد كانت الشركة المكلفة باستغلال هذا المنجم تقوم بتقديم الكثير من الخدمات مجانا مثل الكهرباء والماء ... لسكان المنطقة .

٣ ـ المعادن الثمينة :

ويأتى الذهب على رأسها وإن كان استغلاله ما زال ضئيلا وتعترضه كثرة التكاليف .

٤ ـ الجبس :

الذى اكتشف فى شمال (نواكشوط) ويقدر مخزونه بحوالى ٤ مليار طن ، وتستغله الشركة العربيـة للمعـادن (ساميـا) وقـد أصبـح من الصناعات التى أصبحت تحتل مركزا مهما فى الناتج المحلى من جهة وفى سلم الصناعات من جهة ثانية .

ب ـ التحويل :

لقد جربت موريتانيا ما عرف فى البلاد النامية بسياسة الإحـلال محل الـواردات والصناعـات الموجهة إلى التصدير وأقيـمت عدة صناعـات تحويلية تقوم بصناعة بعض السلع التى تستهلك مباشرة أو بعض السلع الوسيطة وقد وجهت الاستثمارات الخاصة والمختلطة إلى هذا المجال مما أدى إلى ظهور مشاريع كان لها البقاء ، وأخرى ماتت نتيجة عوامل عدة كان أهمهـا عامـل (ضيـق السوق) حيث أصبحت هذه المصانع مخيرة بين الإنتاج بسعر أعلى من سعر السلعة المستوردة ، أو تتحمل خسارة ناجمة عن ضيق توزيع التكاليف الثابتة ، ولا تستطيع تحملها ، ولم يعد أمام هذه المصانع إلا التوقـف ، أو البـحث عن أسواق عربية ، أو مجاورة ما زالت تحتاج إلى إرادة عربية شاملة .

ويشتغل بالصناعة حوالى ٩٪ من السكان ، وما زالت هذه الصناعة النسبية منخفضة مما جعل الاهتمامات الحالية توجه إلى الرفع من إنتاجية هذا القطاع ونسبة المستخدمين والفنيين الوطنيين .

قطاع الخدمات :

ما زال (قطاع الخدمات) ضيقا فى المجتمع فهو يستوعب حاليا حوالى ٣٠٪ من السكان .

وموريتانيا تمتلك طبيعـة خلابـة تجمـع بين الشمس المدارية والصحـراء الهلاليـة وواحـات النخيل التى خرجت من الجبال والوديان والتربة المنتقلة مما يجسد المجد العريق والتراث الشنقيطى .

بالإضافة إلى الآثار القديمة التى تزخر بها المنطقة والتى تعتبر أثرا للشناقطة ودورهم فى نشر الإسلام فى إفريقيا السوداء .

فى الحق إن موريتانيا تعتبر أرضا زراعية خصبة ذات معادن وفيرة وعمالة متوفرة وقوانين استثمار وحماية ملائمة لا ينقصها إلا رؤوس الأموال التى بتوفرها يمكن أن تستغل هذه الموارد بطاقـاتها القصوى مما يعود بالفضل على الدول العربيـة بشكل عام . وسط برنامج عربى شامل بهدف التعاون العربى المشترك .

الرابطة الوطنية لاتحاد طلبة موريتانيا

الإسراء والمعراج في الأدب العربي والأدب السواحيلي

بقلم الأستاذ/ عادل رفاعي خفاجة

زاد عناد المشركين واشتد أذاهم لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبخاصة بعد موت عمه أبى طالب وزوجته خديجة أم المؤمنين ــ رضى الله عنها ــ ، وأغروا به سفهاءهم يرمونه بالحجارة حتى أدموا قدميه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فتوجه إلى الله يدعوه : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملَّكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، اللهم إنى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل علىَّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

فكانت رحلة الإسراء والمعراج تسرية عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتشريفاً ونظرة حانية من رب العزة عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فينطلق فى طريق الدعوة إلى الله بكل قواه .

وقد نالت قصة « الإسراء والمعراج » حظاً وافراً من اهتمام الكتاب والشعراء فى العالم العربى والإسلامى ، فألهمت العديد منهم ؛ فصاغوا قصائد تعتبر من عيون الشعر الإسلامى ، ويمكننا القول أن كثيراً من الكتاب والشعراء المسلمين ــ قديماً وحديثاً ــ كان حريصاً على تناول تلك المعجزة ؛ حتى يعطر قلمه بالحديث عنها . فممن كتب ــ قديماً ــ عن الإسراء والمعراج فى السيرة النبوية : ابن هشام ، وابن كثير وابن الأثير وغيرهم .

وحديثاً تناول الكثير تلك الرحلة القدسية ، ومنهم من أفرد لها مؤلفاً مستقلاً ، نذكر منهم : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبدالرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق وفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم وغيرهم كثير .

أما أشهر من تناولها شعراً فهو الإمام شرف الدين أبو عبدالله محمد البوصيرى فى بردة المديح المباركة ، وهى قصيدة تقع فى مائة واثنين وثمانين بيتاً مطلعها :

أمِنْ تَذَكُّر جيرانٍ بذى سَلَـــم
مَزَجْتَ دَمْعًا جَرى مِنْ مُقْلةٍ بَدَم

ولعل البردة أعظم قصائد المديح على الإطلاق ، وقد سماها المؤلف « الكواكب الدرية فى مدح خير البريـــة » خصص بعض أبيـــاتها عن الإسراء والمعراج .

وقد نالت البردة اهتمام الكتاب والشعراء على السواء ، فقدم كثير من الكتاب شروحاً لها . أما الشعراء الذين عارضوها[1] فيعدون بالعشرات ومن أشهر مَنْ عارضوا البردة ربُ السيف والقلم محمد سامى البارودى الذى سمى قصيدته « كشف الغمة فى مدح سيد الأمة » ومطلعها :

يا رائد البرق يمم دَارَة العلـــم
واحْدُ الغمام إلى حيّ بذى سلم

وأمير الشعراء أحمد شوق فى قصيدته « نهج البردة » التى مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

وقد قدم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ سليم البشرى شرحاً لها تحت عنوان « وضح النهج » . وقد تناولت هذه القصائد جميعها الإسراء والمعراج كعنصر من عناصر المديح فى أبياتها .

أما فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فقد كتب قصيدته التى مطلعها :

يا ليلـــة المعـــراج والإسراء
وحى الجلال وفتنـــة الشعـــراء

وهى قصيدة تتكون من (٢٢٤) مائتين وعشرين وأربعة أبيات ، وقد تناولت القصيدة بشكل رئيسى مراحل الإسراء والمعراج وإنكار قريش لها وتصديق المؤمنين بها فى شكل مبهر أخاذ يحوطه جلال المناسبة وقدسية المشاهد والمواقف .

وفيها يستعطـــف الشاعـــر ليلـــة الإسراء ويستحلفها بالله أن تقص عليه هذا الحديث العطر عن رسول الله ـ صلى الله عليـــه وسلـــم ـ وألا تضن بالحديث ؛ لأن البخل ليس من شيمة الكرام .

(١) عارضه فى الشعر أى باراه وأتى بمثل ما أتى به (لسان العرب ـ مادة عَارض) .

فيقول :

قُصى بربك لا تضنـــــى
فالبخـل ممقـوت لدى الكرمـــاء
قصى حديث رسولنـــا خير الملا
قصى علينـــا أطـيب الأنبـــاء

وعلى مدى ثمانية عشر بيتاً يستمر الاستعطاف من الشاعر حتى ترق ليلة الإسراء بعد طول دلال .

فيقول :

رقَّتْ ولبَّت وانحنتْ طربا معى
قد أمطرتنـــى سحرهـــا ودوائى

ثم تنساب أبيات القصيدة فى رقة وعذوبة وجلال فى مثل قوله :

ساروا إلى الأقصى يُنَـــارُ بركبهم
كالشمس فوق القبـــة الزرقـــاء
قطعـوا الفيـافى والقفـار كطرفـــةٍ
للـــــعين أو كإشارة الإيماء

وقوله :

دخـل النبـى البيت بدرا ساطعا
فأعـــاره نورا يراه النَّـــائى

وكذلك فى قوله :

وإذا بموسى بينهم متهلـــــــل
ومحمـــد كالزهـــرة الفيحـــاء

الإسراء والمعراج فى الأدب السواحيلى :

وكما نجد فى الأدب العربى تلك الوفرة من الإنتاج الأدبى التى تتناول الإسراء والمعراج نثراً وشعراً ، فإننا نجد ما لا يقل عن ذلك النتاج الأدبى فى الأدب السواحيلى .

وإن المطلع على الأدب السواحيلى ليدهشه هذا الكم الهائل من القصائد التى تتناول مدح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتسجل غزواته ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ولعل الإسراء والمعراج من أهم المناسبات التى حظيت باهتمام الشعراء السواحيلين فكتبوا فيها العديد من القصائد ، وتفاخروا فى إلقائها فى الاحتفالات الشعبية والدينية .

ومن هذه القصائد التى خصَّت الإسراء والمعراج بالذكر ووظفت كل أبياتها لهذا الغرض .

قصيدة (محمد كيجوما) وتقع فى (٦٦٠) ستمائة وستين بيتاً ، وقصيدة (يوسف أولينجا) التى تتكون من (٥٣٧) خمسمائة وسبعة وثلاثين بيتاً .

أما قصيدة (محمد جامبينى) فقد اكتملت فى (٣٠٠) ثلاثمائة بيت .

وتأتى أقصر هذه القصائد فى النهاية (لمحى الدين البروى) وهى أكثرها تركيزاً على الأحداث دون إطالة ، وتقع فى (١١٣) مائة وثلاثة عشر بيتاً . يقدمها الشاعر فى وزن (Ukawafi) وهو من الأشكال القديمة للشعر السواحيلى ويتكون البيت من أربعة أسطر ، ويشتمل السطر على

خمسة عشر مقطعاً وهو وزن شائع ، وأكثر استخدامه فى الشعر الدينى .

وفيها يبدأ الشاعر ـ كما هو معتاد فى القصائد الدينية ـ بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله وأصحابه .

ثم يقول فى البيت الرابع :

عندما حان الوقت لتجلى ربنا
لجاه النبى ، نزل جبريل
وكان النبى نائما ، فجاءه وأيقظه :
استيقظ ولا تنم ، فالمولى يطلبك سريعا

ويستعرض الشاعر المراحل التى تضمنتها رحلة الإسراء والمعراج فى أسلوب سهل ميسور ، يبعد عن الصنعة اللفظية ـ التى قد تخرج المعنى عن الصحة طلباً لرونق اللفظ ـ مستعينا باللفظ السهل الجزل واستخدام بعض المحسنات الجمالية والوزن الدقيق والقافية المتقنة ليجذب سامعه ويشد انتباهه كما فى البيت السادس والثلاثين :

ثم ذهبوا[٢] ورأوا جميع الأنبياء
فحيوه بالسلام الجميل
ثم وصلوا إلى البيت العظيم ، ودخلوا
بيت المقدس ، البيت المعظم

و البيت التاسع والثلاثين :

قال جبريل : تقدم فأنت الإمام
الأنبياء خلفك ، تقدم للأمام
السعادة لك ، والشرف والتعظيم
فأنت الشفيع المختار ، لكل الطيبين الأخيار

وبعد ، فذاك بعض ما فى هذه القصيدة ، وقد تحاشينا إثبات أبيات لا توحى للوهلة الأولى بمراد التكريم الذى يريده الشاعر فبدا لفظها على غير ما يتوقعه الأسلوب العربى .

وما سقنا إلا نموذجاً من نماذج عديدة للشعر السواحيلى الملىء بالقصائد الدينية التى إن دلت على شىء فإنما تدل على روح إسلامية عالية ونفوس ورعة تقية .

* * *

(٢) الأصل أن يكون الفعل مسنداً إلى المثنى : سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسيدنا جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، لكن ضمير المثنى نادر فى غير العربية حيث يستخدم الجمع ليدل على المثنى أيضاً .
يتوقعه الأسلوب العربى .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

السـؤال :

جدتى لها ثلاثة بنين وبنتان ، والتركة ٨ ثمانية قراريط أرض زراعية كتبت هذه الأرض للبنتين فقط بعقد بيع مسجل فى الشهر العقارى ، وهذه الأرض أخذها أخ للبنتين بالإيجار القانونى . فهل من حق البنتين التصرف فى هذه الأرض ، وهل لباقى الاخوة الحق فى هذه الأرض أم لا ؟

عبده بن محمد الجوايدى

إسنا ـ الجوايدة

الجـواب :

فما دام العقد مسجلاً فلا كلام لأحد فى هذا .

السـؤال :

إذا توفت الزوجة ولم يكن لها ولد أو بنت وتركت عفش حجرة نوم قائمة باسمها فهل من حق الزوج أن يأخذها أم هى من حق أهلها ؟

ع.م.ب ـ إسنا

الجـواب :

للزوج النصف فرضاً لعدم وجود الفرع الوارث ، والباقى للأم السدس إن كان لها اخوة وللأب الباقى ، وإن لم يكن لها أم فللأب النصف الباقى كله ، وإن لم يكن لها أب ولها أم ولها اخوة فللأم السدس ، والباقى للاخوة تعصيبا للذكر ضعف الأنثى ، وإن لم يكن لها أب ولا أم فالباقى وهو النصف يكون للاخوة للذكر ضعف الأنثى .

والله أعلم .

السـؤال :

ما حكم تسوية أحد القبور بالأرض وبناء مسجد عليه دون الإشارة إلى اسم صاحبه ؟ أفيدونا أفادكم الله .

و . ع . ع

الجـــواب :

المنصوص عليه شرعاً ان الجبانة إذا بطل الدفن فيها بالاستغناء عنها بأرض أخرى أو بأى سبب آخر ، فإن كان لا يزال بها عظام فهى على ما هى عليه ، لبقاء المنفعة التى من أجلها وقفت ، إذ لا يجوز نبشها شرعاً فى هذه الحالة .

وإن اندثرت بحيث لم يبق بها عظام أو لم يدفن فيها أو فى بعضها ، ولا يرجى أن يعود الدفن فيها فى وقت من الأوقات فإنه يجوز لولى الأمر أن يتصرف فيها بما فيه المصلحة العامة للمسلمين .

ومن ثم يقاس على هذا القبر المنوه عنه بالسؤال إذا كان لا يزال به عظام للميت فهو على ما عليه ولا يجوز نبش القبر شرعاً فى هذه الحالة .

أما إذا اندثر بحيث لم يبق به عظام ولم يدفن فيه أحد بعد ذلك فإنه على رأى الإمام محمد بن الحسن والذى رؤى به العمل فى هذا الشأن فإنه يجوز لولى الأمر أن يتصرف فى هذه المقبرة بما فيه المصلحة العامة للمسلمين والتى منها بناء المسجد .

السـؤال :

هل إبليس كان من الملائكة أم أنه شيطان منذ بداية خلقه ؟

أفيدونا أفادكم الله

سعيد على البرقانى

الجـــواب :

يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ...**﴾ الآية ٥٠ من سورة الكهف . فقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **إلا إبليس كان من الجن**﴾ أى خانه أصله ، فإنه خلق من مارج من نار ، وأصل الملائكة من نور ، كما ثبت فى صحيح مسلم : « **خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم** » ونبه ـ سبحانه وتعالى ـ ههنا على أنه من الجن أى على أنه خلق من نار . كما قال : ﴿ **أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾ قال الحسن البصرى : « **ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، ولأنه أصل الجن . كما أن آدم ـ عليه السلام ـ أصل البشر . رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه . والله أعلم .**

السـؤال :

ما حكم الشرع فى صندوق التكافـل الاجتماعى الخاص بنقابة التجاريين ؟

أولاً : تم تخفيض مبلغ التكافل بنسبة ٢٥٪ نتيجة انخفاض معدل العائد على الاستثمار وذلك بعد مضى عام واحد من إنشاء الصندوق ، مع وعد بإعادة النظر كل خمس سنوات كما هو موضح على الوجه الأول من صورة الصك المرفق بهذا الخطاب .

ثانياً : يبدو أن النقابة لا تستثمر هذه الأموال فى عمل ما ، وذلك بدليل أن القائمين على الصندوق قاموا بتخفيض مبلغ التكافل عندما انخفض سعر الفائدة ؟

خالد محمود عبده شبرا الخيمة

الجـــواب :

التكافل الاجتماعى نوع من التعاون الذى يقوم على التسامح ـ فهو جائز شرعاً ؛ أما التعامل فى المال الذى يجمع ويدخر للمشتركين فى التعاون ـ فالمسئول عن كيفية التعامل فيه هو المشرف عليه لا على أعضاء التكافل ـ والله أعلم .

من أعلام الأزهر

فضيلة الإمام الأكبر
عبد الرحمن تاج

٢

في بحوثه العلمية

(١٨٩٦ – ١٩٧٥ م)

الشيخ عبد الرحمن تاج

رحمه الله

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

قرأ الدكتور عبد الرحمن تاج كتب التراث قراءة الفاحص المتأمل ، لذلك تدور بُحوثه العلميّة على مناقشةِ كثيرٍ من آراء السابقين مناقشة النظير للنظير ، وليس ذلك عن ادعاء مُتطاولٍ ، بل عن ثقة بما يعلم ويقرر . ونحن نُحبُّ أن يكثر فينا من يناقشون الآراء المتوارثَة عَنْ دراية فاحصة ، وعن ثِقةٍ بالغة لها ما يؤكدُها ، من طولِ النظر ، وسعةِ الاطلاع واستقلالِ الفهم ، أما الثقة التى لا تعتمدُ على الاطلاع وبُعد النظر ، فأهوِنْ بها ، إذْ لَا تُنتج غير الهباء .

وقد لحظتُ أنّ الدكتور فيما يعالجُ من مسائل الفقه والتفسير يميل إلى تأييد ما قرره الفاقهون من الأسلاف ، أماّ فى مسائل اللغة والأدب والنحو فهو ذُو صيالٍ واثب ، إذ يُخطِّيءُ الأئمةَ من أعْلام هذه الفنون فى قوة لا تعرفُ التراجع ! قد ناقَشَ نفراً من أعلام المعاصرين منهم الأستاذ الإمام محمد عبده ، والأستاذ الفقيه عبد الوهاب خلاف ، والعلامَّة المجدد الشيخ محمود شلتوت ، ويطولُ البحثُ لو تتبعْتُ مناقشتَه لهؤلاء الكبار ولكنى أكتفى بمثلين مُوجزين لِمناقشته للأستاذ الإمام ، وإن كنتُ أجدنى بعد المُراجعة الدقيقة لآراء الشيخ عبد الرحمن أميلُ إلى ما قَرر الأستاذ الإمام ، وَلَا عَليْه ، ولا عليّ .

يقول[1] الإمام محمد عبده فى شرح الطير الأبابيل بسورة الفيل ؛ ببعض التصرف :

(١) تفسير جزء عم للأستاذ الإمام ــ سورة الفيل .

« وفى اليوم التالى فَشافِى جند الجيش داء الجدرى والحصبة ، قال عكرمة : وهو أوَّلُ جدريٍ ظهر ببلاد العرب ، وقد فَعلَ الوباء بأجسامهم ما يَندر وقُوع مثله ، فكانَ لحمهُم يتناثر ويتساقط فذعر الجيش وصاحبه ، وولّوا هاربين ، وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أنّ ذلك الجدرىّ أو تلك الحصبة نشأتْ من حجارةٍ يابسة سقطتْ على أفراد الجيش بواسطة فِرَقٍ

عظيمة من الطير ، مما يرسلُه الله مع الريح ، فيجوزُ لك أن تعتقد أنّ هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض ، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس ، الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل الحيوانات فإذا اتصل بجسدٍ دَخلَ فى مسامِّهِ ، فأثار فيه تلك القُروح التى تنتهى بإفساد الجسم وتساقُط لحمه ، وإن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يُعَد من أعظم

جنود الله فى إهلاك من يريد إهلاكه من البشر ، وأن هذا الحيوان الصّغير الذى يسمونه الآنَ بالميكروب لا يخرج عنها ، وهو فِرَقٌ وجماعات لا يُحصى عددها إلا بارئُها ، ولا يتوقف ظهورُ أثرِ قدرة الله ـ تعالى ـ فى قهر الباغين على أن يكون الطير فى ضخامة رءوس الجبال ، فلِلّه جندٌ من كل شىء » .

أما الأستاذ عبد الرحمن تاج فيقول(٢) : لكنْ هل يمكنُ أن يحمل لفظ الطّير على البعوض والذباب ؟ وأن يكون المراد بحجارة السجيل ما

يعلقُ بأرْجل ذلك البعوض أو الذباب من المواد المسمومة ، التى تشتمل على جراثيم الأمراض الفتّاكة ، ثم تكونُ ملامسةُ أرْجل البعوض أو الذباب لجسم الإنسان هى المرادُ بالرّمى بالحجارة !! لَا نظنّ أحداً من أئمة التفسير يُجيز مثلَ هذه الاحتمالات ، لا مِن طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ... إلى أنْ قال : إن حادثة مَرض الجدرى أو الحصبة وفشوّه فى الجيش لم تتفق عليه الروايات » .

وإذا لم أكن ممن يجوز أن يتصدّر للفصل فى خلاف بين إمامين كبيرين فإنّنى أتساءلُ فحسب : لماذا لا يُمكن حملُ لفظِ الطّيْر على البعوض أو الذباب ؟ ولماذا لا تَحملُ هذه الطيور الصغيرة تُرابا مسموماً يصل إلى الجسم عن طريق المسام فيأتى عليه ؟ وإذا كَان أئمة التفسير من السابقين لم يهتدُوا إلى مِثْلِ ما اهتدى إليه الإمام ، فماذا عليه إذا تحدث بما فتح الله عليه به دون أن

يُخطّىءَ أحداً من سابقيه ؟ وأن يقول فى مَبْدِأ تفسيره « يجوزُ » بمعنى أنّه لا يجزم بِتخطئة تفسير سابق !؟

عَلى أنّ الاحتياطَ الدقيق فى قبولِ هذا الرأى قد عبّر عنه الأستاذ عباس محمود العقاد حين قال(٣) قد تكون محاولات التوفيق مأمونةً معقولة كقولِ

---

(٢) الشيخ عبد الرحمن تاج وبحوث قرآنية لغوية ص ٨٠ وما بعدها .

(٢) مجلة الرسالة ـ العدد ٧٤٧ ـ ١٩٤٧/١٠/٢٧م .

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ فى تفسير الطيْر الأبابيل بجراثيم الأمراض الّتى تسمّى بالميكروبات ، فالميكروباتُ موجودةٌ لا شك فيها ، والإصابةُ بها محقّقة لذلك فى مُشاهداتٍ مجرّبة ، لا تَقبل الجدال ، فإذا قالَ المفسر كما قال الأستاذ الإمام : إنّ هزيمة أصحاب الفيل كانت من فعل هذه الجراثيم ، فذلكَ قولٌ مأمونٌ على سبيل الجوازوالترجيح ، لا علَى سبيل الجزم والتوكيد ، لأنّ الحفريّات التاريخيّة قد تكشفُ لنا غداً عن حجارةٍ من سجيل ، أُصيب بها أصحاب الفيل فجعلتهم كعصف مأكول » .

٢ ـ ذهبَ الأستاذ الإمام فى تفسير سورة القدْر إلَى أنّ هذه الليلةَ المباركة قد امتازتْ بالسموّ والشّرف والرّفعة ؛ لأن القرآن قد نَزَل فيها ، ولولَا ذلك لكانتْ مثلَ غيرها من الليالى ، وهُو فى هذا المنْحى قد تَابَع نفراً من سابقيه ، ولكنّ الأستاذ عبد الرحمن تاج أَلحّ فى إبطال هذا الاتجاه ، ليُثبتَ أنّ لهذه الليلة شرفَها وقدرها قبلَ أن يُشرق نُور القرآن بها ، وأنها لهذا الشرف قد اختيرت من بين الليّالى لينزل فيها كتاب الله ، فهى معروفةٌ بمكانتها قبل أن تُختار لنزول القرآن ؛ هذه ناحية ، أما الناحية الأخرى فقدْ ذهَب الإمام إلى أنهّا سُميتّ ليلة القدرٌ من التّقْدير ، لأنّ الله قدْ ابتدأَ فيها تقدِير دِينه ، وتحديدَ الخُطّة لنبيّه فى دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه » ولم يرتَضِ لشيخ عبد الرحمن هذا القول وقالَ فى تفنيده : وغريبٌ جدا أن يُحمل التقدير على ذلك المعنَى الذى لا يَخرج عمّا يتعلّق بالوحى والرسالة وتحديد أحكام الشريعة ! وكأنِىّ بالدكتور قد ظنّ أنّ ما يتعلّق بالوحى والرسالة وتحديد أحكام الشريعة شيءٌ أقلُّ مما تتسّع له ليلةُ القدر ؟ وهلْ كانت أعمال رسول الله جميعها خارجةً عن نطاق الوحى والرسالة وتحديد أحكام الشريعة ! أىّ شيء أكبر من الوحى والرسالة ! وعلى أى ركيزةٍ قام الإسلام بغير الوحى ؟ لقد كتبَ الدكتور أربعَ عشرة صحيفة من مجلة الأزهر[٣] ليبسط الرأى المخالف وما كانتِ المسألة من الغموض بحيثُ تستدْعى هذا الإسهاب ، ولا أنكرُ أنّه ألم إلماماً شافيا بما تَوَجَّهَ لبسْطه ، ولكنّ الأَمر من الوضوح بحيث لا يستدعى الإطناب .

فإذا تركْنَا ما ننقده من آراء الشيخ إلى ما نحبّذه ونرتضيه ، فإنّنا نجد فُنونا مبتكرة متعددة من الآراء الدقيقة والبحوث العميقة ، أُحْسَن الأستاذ إبداعَها على نحوٍ شاف مستوعب ، والاستيعابُ الشّافِى من أوضح مزاياه فهو يكتب المقال ، وكأنّه يشرحُ درساً للطلاب ، إذ يبتدىء غالبا بتحديد مناطه ، وتلخيص عناصره ، ثم يُوالى الحديث عنها عُنْصراً عُنصراً فى قوةِ استشهاد ، وبراعة استدلال ، وقد يَشعُر القارىء ببعضِ التكرار ، ولكنه يعذر الكاتبَ فى نهجه المدرسىّ إذ يحاول أن يُقنع كلّ قارىء بما يُبديه من رأى ، فإذا توهّم غُموضَ عبارة ، أَعادَ معناها على وجهٍ أيْسر

(٣) مجلة الأزهر شوال ١٣٧٢ هـ .

وأوضح ، حتّى يتيقّن من الامتلاِء والارتواء ، وهَذا منحى أعهدُه فى كثير من الدارسين .

كتبَ الشيخ بحثاً ضافيا عن السجع وتناسب الفواصل ، وما يكونُ من ذلك فى القرآن الكريم ، وقد ارتَضَى وجهة من يُثبتُ وجودَ السّجع فى القرآن ، وأيّدها بما بَسَطَ من أدلّة شافية ، وأنَا أعجب كيف صَارتْ هذه القضيةُ مع وضوحها السّافر مجالاً لتشعبّ الجدل ، وانشقاق الأفكار ، إذ أنّ من يتعرضُ لها بالحديثِ يَتْبَعُ التسلسلَ التاريخى لأقوالِ المخالفين ، ويردّ عليهَا ، ثم يجىء من يزيد القول ومَن يقومُ بالردّ عليه فتتراكُم أحمالٌ ثقيلة بعضها فوق بعض ، والأمر بالنظرة الواعية لا يتحمل كلّ هذا العناء ! وأنا قَد دَرستُ هذه القضية فى بعضٍ ما كتبت(٤) ، ولكنّى أفدتُ الجديد فيما كَتبهُ الشيخ حين تساءل : بماذا نُفسّر موقفَ الذى يُنكر إنكاراً شديداً أن يكونَ فى القرآن سجعٌ أو تناسبُ فواصل ؟ ثم أجابَه بأنّ الانتصار إلى مذْهب الأشاعرة هو الذى دَعَا الأعلَام من أنصارِ هذا المذهب مثل « الباقلانى » وسواه إلى التّمسك بهذا الإنْكار ، قالَ الأستاذ تاج ـ رحمه الله :(٥) إنّ فى جو مسألةِ السّجع مسألة أُخرى هى مسألة خلق القرآن ، وما جَرى فيها من الخلاف القديم الذّى كان شُؤْماً على فريق من الناس ، وفتنةً لآخرين ، وليس فى هذا الذى نقوله شىءٌ من المبالغة ، فهذا بعضُ ما يقولُونه فى تلك الكلمات « هل يجوز استعمال السّجع فى القرآن ؟ خلافٌ ! والجمهور على المنع ، لأنّ أصلَه من سجع الطير فشرُف القرآن عن أن يُستعار لشىء منه لفظٌ أصله مهمل ، ولأجل تشريفه من مشاركة غيره الكلام الحادث فى وصفه بذلك ، ولأنّ القرآنَ من صفاته ـ تعالى ـ فلَا يجوزُ وصفه بصفةٍ لم يرد الإذنُ بها ، يقول الشيخ : وهذِه كلماتهُم بنصّها ليستْ فى حاجة إلى شرحٍ وتعليق ، غير أنّا نقول إنها لم تَسْعد بالانتصار والغلبة حتى فى أصل موطنها ، وهو موضوع خلق القرآن » .

هذا ما أضافه الرجل مما لا يعرفه نفرٌ من الدارسين ، وقد أصاب مقطع الصواب حين قرر(٦) أن سجع القرآن وتناسبَ فواصله مبرّأً من التكلف والعسر ، ومبرّأً من أنْ يكون مقصوداً لذاته بحيث يكون الاهتمام به ، أعظم من الاهتمام بالمعنى ، ولذلكَ لا يُسارُ إليه فى القرآن من طريق إرادة معنى بعيد الاحتمال ، أو معنى يكون غيره أقربَ وأولَى بالمقام ، ومحال أن تُستخدم فى سبيله ألفاظٌ جوفاء ، أو ملتويةٌ لا تستقيم فى دلالاتها على المعنى المراد » .

ومن الفصول الطريفة ذات الصلة الوثيقة بكتاب الله ما نشره الشيخ تحت عنوان (اللؤلؤ والمرجان ومن أىّ البحار يستخرجان) تفسيرا

(٤) البيان القرآنى للدكتور محمد رجب البيومى ص ١٥١ وما بعدها .

(٥) عبد الرحمن تاج ، بحوث لغوية وقرآنية ص ١١٥ للأستاذ أبى بكر عبد الرازق .

(٦) عبدالرحمن تاج بحوث لغوية وقرآنية ص ١١٦ للأستاذ أبى بكر عبدالرازق .

لقول الله ـ عز وجل ـ :

مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ (٧)

ومناطُ هذا البحث الطريف يدورُ حولَ مرجع الضمير فى قوله ـ تعالى ـ : « منهما » إذ الظاهُر الواضُح أنّه يعود إلى البحرين معا ، وقد اتّفق أهلُ الاختصاص من علماء الطبيعة والأحياء ، ومعهم المفسّرون على أنّ المرجانَ لا يكونُ إلاّ فى البحر الملح ، أما اللؤلؤُ فقد قالوا قديماً إنه لا يُستخرج إلا من الملح أيضاً ، فاضطروا إلى تأويل الآية بما يفيد أن المراد بالخروج منهما هو الخروجُ من أحدهما ، وهو استعمالٌ سائغ فى اللّغة ، وقد قالَ الشيخ ـ رحمه الله ـ إنه تأويلٌ بعيد كما لا يخفى ، ولا ينبغى أن تحمل عليه الآية الكريمة ، وأبعد منه ما قيل : من أن مياهَ البحار جميعها سواءٌ كانت ملحةً أو عذبةً فهى من ماء السماء وهو ماءٌ عذب فيمكن أن يكون اللؤلـؤُ مستخرجـاً من هذه العُذُوبة ! وقفّـى الشيخ بتأويل ثالث لم يجز قبوله أيضاً ، ثم جهر الشيخ بالجديد الطريف حين قال تعقيباً على ما تقدم(٨) : لا يجبُ أن نقفَ عندماَ وقف عنده المفسّـرون ، بل نرجع لأهل الذكر من ذوى الاختصاص ، وقد قَرروا اليوم فى صَراحةٍ كاشفةٍ أنّ اللؤلؤ كما يُستخرجُ من الماء الملح فى البحار والمحيطات ، يستخرجُ أيضاً من الأنهار ، إذ تَعيشُ قواقعُه فى مجارى الأنهار الجبلية فى المناطق المعتدلة من نِصف الكرة الشمالى ، وتشتهر بذلك اسكتلندة وويلز وأيرلنده وسكسونيا وبوهيميا ولابلاند وكنـدا وجهـات كثيرة فى الولايـات المتحدة ، وأيضاً فى جهاتٍ من الصين واليابان ، وهكذا يصل العلم أخيراً إلى الحقيقة ، ويقرر العلماء فى تلكَ الشئون الكونية قضايا خلصتْ لهم بالبحث والتنقيب والتحليل والمشاهدة ، وهى قضايا قال فيها القرآن كلمته قبل ذلك بقرون وقرون » وفى البحث إفاضةٌ وإشباع لا يُغنـى عنهما هذا الإيجاز .

أما المجهود الرائع الذى استغرقَ وقتا حافلا من حياته المباركة قبل خمس سنواتٍ من رحيله ، فهو ما خص به حروف الزيادة ، التى أكد النحاة وقوعها فى كتاب الله الكريم ، إذ رأى الدكتور أن كثيراً مماّ قيل عن زيادة هذه الحروف موضعُ نظرٍ جادّ قد يعصف به ، إذ توسّـع النحاة ومعهم المفسّرون فى هذا الباب توسُّعاً لا مبرر له إذ استسهلوا القول بالزيادة عن النّظـر فى أسرار التركيب الأسلوبّى للآية ! والدكتور لا يمنع أن يرد فى القرآن شئٌ مما عُهِد فى اللّغة زيادتُه للتوكيد أو غيره ، ولكّنه يمنع أن نستسهل القولَ بالزيادة دون فحص ، وقد أكّد أنّه يمتنع القول ـ فى أى آية قرآنية ـ بأنّ كلمةً ما زِيدتْ لمجرد تحقيق التناسب بين الفواصل أو رءوس الآية فهذا لغوٌ يتنزه عنه القول المعتاد لدى البلغاء فضلاً عن القول المعجز فى كتاب الله ، كما أنّ القائلين بالزيادة

(٧) سورة الرحمن ١٩ ـ ٢٣ .

(٨) البحوث والمحاضرات للدورة الثالثة والثلاثين سنة ١٩٦٧ م ص ٩٨ .

لا يعنون أنّ نقصها لا يخلّ بتمام المعنى ، فهى ليستْ مهملةً على نية السقوط ، بل لا بّد لها مِن نكتة بلاغية .

وفى هذا النطاق كتب الشيخ بُحوثا دسمة حولَ « لاَ التى قيل : إنها زائدة وليست كذلك » وكذلكَ حول دعوى الزيادة فى (مّا) و (إذْ) (وإذا) والواو ، والفاء ، (ثمّ) وهى بحوث شاقّة مضنيةً اسَتْوجبت مُنازلَة الفحول من أعلام النحو واللّغة والتفسير ، كما استلزمت حصر الآراء المتضاربة ، ومحاولة الترجيح بينها ، بل استلزمتْ مناقشة مفسّرٍ واحد فى رأيين متعارضين ساقهما سهوا فى نصّ واحد ! ولا نستطيعُ أن نلخص زبدةً لما قيل فى كلمة واحدة ، لأن تلخيص الحقائق النحوّية والبلاغية مما يتعذر ، فلَيس المجالُ مجالَ إسهاب يُوجز ويكَتنْز ، ولكنه مجال علمى شاقّ وضعت ألفاظه وضعاً دقيقاً يخلّ بها أنْ يَغيب منها حرف واحد ، ولكىْ يقف القارىء على دقائقِ فصلٍ واحد أكتفى بذكر رءوس العناصر الخاصة بباب (لا) التى قيل إنها زائدة وليست كذلك » حيث بُدىِء البحثُ بمقدمةٍ دقيقةٍ تُفصح عن تحرير المقصود من الزيادة ، ويلى ذلك فصولٌ عن « لا التّى ذُكِرت فى الجملة الواحدة مرتين ، مع الفصل بينهما ، ومناقشة الزمخشرى والفخر الرازى والطبرى فيما قالوه مشفوعةً بترجيح رأى جديد ، ثم فصلٌ عن (لا) الواقعة مع أن المصدرية بعد فِعلِ (منع) ومناقشة الطبرىّ وابن يعيش والطبرسى والزمخشرى والفخر الرازى على النسق السابق وقد طال هذا الفصل حتى شمل بضع صفحات من مجلة مجمع اللغة العربية ذات القطع الكبير ، فإذا انتهى الدارس من هذا الفصل قصد إلى البحث فيما قيل عن (لا الزائدة للتوكيد) جاريا على سننه فى المناقشة والترجيح ومساجلة الأئمة من المفسرين ، ثم ينتقل إلى (لا الواقعة بعد أن المصدرية المسبوقة بلام التعليل) فيفيض بالمساجلة كديدنه ويختم القول بالقسم الخامس الخاص بما ذكرت فيه (أداة النفى (لا) مرتين جاءت ثانيتهما مع ثانى الأمرين فى مجال التسْوية) وهو أفْسحُ الفصول مدى فى تعقب الآراء ، وَهَذا مثلٌ واحد ، لبابٍ واحدٍ يشمل ما قيل عن لا الزائدة وحدها وقد توالت الأبواب الأخرى عن حروف الزيادة على هذا النسق المشبع المستفيض ، وفى مجال التعقيب بمؤتمر المجمع ، حظى البحث بالتقدير المنصف ، ودعا المتحدثون فضيلة الدكتور تاج إلى مواصلة البحث فى حروف الزيادة جميعها على هذا الطراز الشامل المستوعب ، وقال الدكتور إبراهيم مدكور[9] : إن الشيخ قدّم لنا ما يجب أن ندرسه على مهل لأن فيه من الاستيعاب والعمق ما يستأهل معاودة النظر إليه إذ يضيف سنداً جديداً إلى مصادر التفسير ، ويفتح باباً هامّا فيه » .

وبملاحظة آثار الدكتور تاج العلمية نلمس أنه لا يكتب غير الجديد ، إذ لا بد من إضافة علمية تشع فيما يقول ، وقد كان أثناء مشيخته للأزهر يخطب فى المناسبات الدينية كالهجرة والمولد وما

(٩) الشيخ عبد الرحمن تاج وبحوث قرآنية ولغوية ص ١٥٢ للأستاذ أبى بكر عبد الرازق .

ينحو منحاهما ، وتلك المناسبات المتكررة فى محافلها الخطابية لا تتسع لدقائق البحث المبتكر ، ولكن الرجل كان يضمن كلماته هذه معانى جديدة ، وآراء قشيبة مما يصور اهتمامه بالقول الجاد ، وأصحاب هذا الاتجاه لا تكثر مؤلفاتهم العلمية ، لأنهم يحاسبون أنفسهم على ما يدونونه من معارف ، فإذا لم يجد ما يستحق أن يضاف من المبتكر الطريف ، آثروا السكوت دون أن يسودوا صحائف مشتهرة تجمع المعارف المتداولة ، وحبذا لو سادت هذه النظرة بين من يتصدون للتأليف العلمى ، فلخير للكاتب أن يصدر كتابا واحدا يحمل طابعه الخاص من أن يصدر عشرين كتابا تنقل المسلمات المشتهرة دون إضافة ، ولأصحاب المؤلفات القليلة من الأئمة وزنهم الراجح لأن ما أبدعوه على قلته يستعاد ويستجاد .

وقد أخبرنى بعض من تلقوا دروس التشريع بكلية الحقوق جامعة عين شمس على الدكتور عبد الرحمن تاج أنه كان يؤلف كل عام كتاباً يجمع محاضراته المنهجية ، ويفرقه على هيئة (ملازم) يتلقاها الطلاب أثناء العام تباعاً دون أن تجلد فى سفر مستقل ، فليت الذين يجمعون هذه المذكرات يقدمونها للنشر ، حرصاً على ما تنفرد به من مسائل فى قضايا الشفعة والبيوع والمواريث والطلاق ، وقد أشار الأستاذ على الخفيف إلى هذه البحوث المخطوطة فى كلمته المجمعية ، إشارة من يضعها موضع التقدير ، فهل سترى النور من جديد ؟

طرائف ومواقف

شريف

للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

«القضاة ثلاثة»

دعا الخليفة سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ عبدالله بن عمر وطلب إليه أن يشغل منصب القضاء ، فاعتذر وألح عليه الخليفة ـ رضوان الله عليه ـ فثابر على اعتذاره ؛ وهنا سأله سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ أتعصينى ؟؟

فأجاب ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ: كلا ؛ ولكن بلغنى أن القضاة ثلاثة :

قاض يقضى بجهل فهو فى النار .

وقاض يقضى بهوى فهو فى النار .

وقاض يجتهد ويصيب فهو كفاف ؛ لا وزر ، ولا أجر .

وإنى لسائلك بالله أن تعفينى .

وأعفاه سيدنا عثمان بعد أن أخذ عليه العهد ألا يخبر بهذا أحداً ، وذلك لعلم سيدنا عثمان بمكانة ابن عمر فى أفئدة الناس ؛ وإنه ليخشى إذا عرف الأتقياء الصالحون عزوفه عن القضاء أن يتابعوه وينهجوا نهجه ، وعندئذ لا يجد الخليفة تقياً يعمل قاضياً .

حذار من الشرك الأصغر

قال الإمام على ـ رضى الله عنه ـ: « يعطى العبد على نيته ما لا يعطى على عمله ؛ لأن النية لا رياء فيها » .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لمن رآه يطأطىء رقبته خشوعاً : ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ، ليس الخشوع فى الرقـاب ، وإنما الخشوع فى القلب .

ورأى أبو أمامة رجلا يبكى فى المسجد فى سجوده فقال : « أأنت تفعل ذلك لو كان هذا فى بيتك » .

وقال إبراهيم بن أدهـم : ما صدق الله ـ تعالى ـ من أراد أن يشتهر .

« ياليتها كانت القاضية »

مرض أحد النحويين ، فزاره أحد أقاربه من الأعراب ؛ فسأله عما يشكو منه ؟

فقال النحوى : حمى جاسية ، نارها حامية ، منها الأعضاء واهية ، والعظام بالية .

فقال له الأعرابى :
لا شفاك الله بعافية ، يا ليتها كانت القاضية .

حقيقة

أَمَتُّ مطامعــــى فأرحتُ نفسى
فإن النفسَ ما طمــعت تهون
وأحييتُ القنــوع وكان ميتــاً
ففـــى إحيائـــهِ عرضى مصون

لماذا لا استغفر ؟

حج أعرابى فكان لا يستغفر والنـــاس يستغفرون ، فقيل له فى ذلك ؛ فقال : كما أن تركى الاستغفار مع ما أعلم من عفو الله ورحمته ضعف ، كذلك استغفارى مع ما أعلم من إصرارى لؤم .

حَقّاً

قالوا : جَالِسِ العلماء ، فإنك إن أصبت حمدوك ، وإن أخطأت علموك ، وإن جهلت لم يعنفوك، ولا تجالس الجهلاء، فإنك إن أصبت لم يحمدوك ، وإن أخطأت لم يعلموك ، وإن جهلت عنفوك وإن شهدوا لك لم ينفعوكْ .

الصَّدِيقُ يُعرَفُ عِنْدَ الضِّيق

قيل لبعض الفضلاء كم لك من صديق ؟
قال : لا أعلم لأن الدنيا مقبلة علىَّ والأموال موفورة لدىَّ .. ولكن أعرف ذلك عند زوالها .

مَا بقى مِن لَذَّاتِ الدُّنيَا

قال ابن المنكدر :
ما بقى من لذات الدنيا إلا ثلاث :
قيـام الليـل ، ولقـاء الإخـــوان ، وصلاة الجماعة .

حَتَّى نَفُوزْ

قال يحيى بن معاذ : من أقر لله بإساءته جاد الله عليه بمغفرته .
ومن لم يَمنّ على الله بطاعته أوصله إلى جنته .
ومن أخلص لله فى دعوته منَّ الله عليه بإجابته .

الأعرابى ... والأدب

قال أعرابى لابنه : يا بنى ، الأدب دعامة أيد الله بها الألباب ، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب ؛ والعاقل لا يستغنى ــ وإن صحت غريزتـــه ــ عن الأدب المخرج زهرتـــه ، كما لا تستغنى الأرض ــ وإن عذبت ــ عن الماء المخرج ثمرتها .

دُعَاء

اللهم إنى أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر ، وأعوذ بك من شر ما يلج فى الليل ، وشر ما يلج فى النهار ، وشر ما تهب به الريح ، وشر بوائق الدهر .

من روائع الماضي بمجلة الأزهـــر

مشكلة التشرد والأوضاع الاجتماعية

م / أحمد طه السنوسي

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات

فى المجتمع آفات ثلاث هى الجهل والفقر والمرض ، ويعتبر التشرد الابن الشرعى لهذه الآفات الثلاث . وعنه تتولد آفات لا حصر لها لا تقل خطراً عنها والأمة الإسلامية ـ شأن كل أمة ـ تريد أن ترتقى بأبنائها مراقى النجاح والفلاح والنفع العام .

غير أن الأمر قد يخرج من يدها أحياناً لقصور فى الإمكانات أو ضعف فى الموارد ، فينحرف بعض أبنائها عن الجادة ، ويتشردون فالتشرد أسهل السبل التى لا تكلف المتشرد شيئاً ، وفى التشرد إظهار الدولة بمظهر منحط ولكن الإسلام عالج هذه المشكلة كما تبين من كلمة فضيلة الاستاذ

لكل مجتمع أدواؤه ومشكلاته ، والتشرد داء من أدواء المجتمع ، ومشكلة من مشكلاته ، ولا يحدث هذا الداء فى مجتمع ما اعتباطاً دون سبب ، إنما يأتى نتيجة لمجموعة من الدواعى والعلل ، كلها ترجع لاعتبار واحد ، ليس يعدو اضمحلال الأحوال الاقتصادية ؛ إذ المجتمع كتلة متجانسة متساندة ، فإن اختل وضع من أوضاعه أثر ذلك فى سائر أوضاعه .

والسبب الأول لوجود التشرد ، هو انتشار الفقر ، بما يلحقه من انخفاض المستوى المعيشى ؛ لأن قلة الدخول تضطر بعض الناس إلى سلوك طريق التشرد ، ويتعلق بذلك ضعف الانتاج ، وتفاوت الثروات ، إذ من مقتضى ذلك أن تقل وسائل التعيش ، ولا تتلاءم مع الزيـــادة فى السكان ، وتقتصر أماكن العمل على فئات قليلة من الأفراد ، فتحل البطالة بين الفئات الأخرى ،

والنتيجة الطبيعية للبطالة تشرد العاطلين ؛ إذ العاطل لا يجد أمامه إلا أحد سبيلين : إما أن يتبع سبيل الجريمة ليحصل على قوته وقوت من يعوله ، وإما أن يشرد فى دروب المجتمع هو ومن يتبعه من الأطفال .

وكذلك انتشار الجهل يؤدى - كنتيجة منطقية - للتشرد ، وذلك أن الجهل وانتشاره يشجع بعض الأفراد على استغلاله فى الآخرين من الجهال ؛ وذلك باحتراف الشعوذة بطرقها المختلفة ، وباتباع التسول فى أنحاء البلاد .

ولا تقتصر أسباب التشرد على الفقر والبطالة والجهل ، بل الواقع أن انخفاض المستوى الخلقى له أكبر الدخل فى خلق نوع يعتبر من أهم أنواع التشرد ، ونقصد به تشرد الأحداث ؛ وذلك أن من شأن الانحطاط الخلقى نشوء مرض آخر من أمراض المجتمع ، هو مرض (الدعارة) ، وهذا المرض أهم ممول للتشرد ، ويتبين هذا من الإشارة إلى ما يترتب على الدعارة من الاتصال الجنسى بين الغاوين والفساق ، وينشأ من ذلك مجموعة من الثمرات البشرية غير الشرعية التى يكتب عليها القدر أن تكون تلك المشكلة الحالة التى تهدم كيان الأوضاع الاجتماعية ، ونقصد بها مشكلة تشرد الأحداث .

ولا شك أن العقيدة والدين يتعلقان تعلقا مباشراً بالحالة الخلقية ، إذ الوازع الدينى هو « المنظم » الطبيعى والأساسى لنشاط الأفراد الاجتماعى ، ومن مقتضى وجوده وتأصله فى نفوسهم رفع المستوى الخلقى الذى يؤدى بدوره إلى القضاء على التشرد باعتباره مرضاً اجتماعياً خطيراً .

والمجتمع عادة لا يخلو من عجزة لا يستطيعون العيش ولا الكسب ، لنقص فى أعضائهم الجسمية ، أو لانهدام فى قواهم البدنية أو العقلية ، وهؤلاء إذا لم توجد لهم سبل العيش والتنظيم ، يصيرون عنصراً حيوياً من عناصر التشرد ، ومن هذا يتبين أن مشكلة التشرد تتشعب إلى شعبتين : أولاهما مشكلة تشرد الأحداث ، وثانيهما مشكلة تشرد البالغين ، ونعنى بذلك من يتعدون الخامسة عشرة من أعمارهم ، ويدخل فيهم صحاح الأجسام وناقصوها كما يدخل ضمنهم العجزة والضعفاء .

أما عن تشرد الأحداث ، فله مظاهر وحالات متعددة ، منها أن يوجد الحدث متسولا سواء فى الطريق أمام المحال العامة ، ومن التسول أن يعرض سلعاً تافهة يتظاهر بالاتجار فيها ، ومنه كذلك أن يقوم بألعاب بهلوانية يحاول بها استدرار عطف الناس فى الطرقات والمقاهى ، ومن مظاهر تشرد الحدث أن يمارس جمع أعقاب لفائف التبغ والأوراق والخشارة المهملة فى الطرقات ، أو أن يقوم بالأعمال المتصلة بالفسق والدعارة أو القمار أو القيام بخدمة القائمين بهذه الأعمال ، وكذلك يعد من الأحداث المشردين:الصغير الذى يعرف بسوء السلوك ويكون مارقاً من سلطة أبيه أو وليه أو وصيه أو أمه . ويدخل كذلك ضمنهم من لا يكون له محل مستقر من الصغار ، أو من يعتاد منهم على المبيت فى الطرقات ، أو من لا يكون له وسيلة مشروعة يتعيش منها ، أما المتشردون البالغون ، فهم أولئك الذين ليست لهم وسائل مشروعة يتعيشون منها ، فلا ينطبق وصف التشرد

على من كان من ذوى الحرف والصناعات المعروفة ولا يجد فى يوم من الأيام له عملا .

***

والوسائل غير المشروعة للتعـــيش كثيرة ومتنوعة :

منها أعمال وألعاب القمار التافهة ، ومنها الشعوذة ، ومنها العرافة ، ومنها التسول والشحاذة ، ولا يخفى انطباق كل هذه الوسائل على ما يلقاه الفرد فى الطرقات والمحلات العامة من تسول المتسولين متظاهرين بأداء الخدمات للغير ، أو بعرض الألعاب المختلفة ، أو بيع الأشياء التافهة ، وما يلقاه من اكتناه الغيب بضرب الرمال ، وقراءة الأكف ، واستطلاع النجم ، وفتح الكتب ، وقلب أوراق اللعب ، وكشف الأثر (الأطر) !

ويتبين خطر التشرد وضرره فى وجهتين : أحداهما معنوية ، والأخرى مادية ، أما الوجهة المعنوية فتتلخص فى أن المجتمع يحكم على أحواله من رقى أو انحطاط بما يكون فى أنحائه من متشردين أو خلوه منهم ، وأن المجتمع الذى يهمل أمر هؤلاء المتشردين إنما هو مجتمع مضطرب ، وأن وجود أمثال هؤلاء فيه يعطى صورة سليمة عن حالته المالية والاقتصادية ، إذ لو كان فى بحبوحة من العيش لندر فيه هؤلاء ، كما أن وجودهم يعنى انخفاض المستوى العلمى والثقافى ، كما تتلخص فى أن هؤلاء المشردين من البشر ، وهـم كذلك مواطنون فى المجتمع ، لهم حقوقهم التى يجدر أن ينالوها كما ينالها سواهم من أفراده ، كما يلاحظ أن وجود تلك الطائفة من الأفراد المشردين أضحى من الأمور التى يشمئز منها المواطنون ، لأنهم قذى فى عين الدولـة ، ووصمـة فى جبين الميادين والطرقات والمحلات العامة ، تلك الوصمة التى لا ترتضيها دولة ناهضة ترغب أن تعطى للأجانب إذا نزحوا أو وفدوا إليها صورة طيبة عن نهضتها وكرامة أبنائها ورفعة مجتمعها وعدالـة التنـظيم الاجتماعـى الـذى تسير عليه باعتبارهـا أمـــة متحضرة ، إلى غير ذلك من الاعتبارات المعنوية .

أما الوجهة المادية ، فيلاحظ بشأنها أن المجتمع مجموعة معينة من الأفراد ، يعيشون سويـا فى إقليمه ، على أساس من تقسيم العمل والتعاون فيما بينهم ، وأن دخلهم وعيشهم منوط بما يقومون به من أعمال وخدمات ، فإذا تخلف واحد منهم عن العمل وظل باقياً بين ظهرانيهم ، فإنما يعنى ذلك أن يعيش عالة على تلك المجموعة التى تحيا وإياه ، ومن شأن ذلك أن ثمرات الإنتاج والعمل تعود أو توزع على المشتغلين وغير المشتغلين ، ومعنى ذلك انخفاض المستوى المعيشي ، نظراً لقلة طاقة العمل وكثرة الأفراد الذين يوزع عليهم الدخل الناتج من هذه الطاقة ، كما أن تسليم تهيئة العيش لهؤلاء المشردين العالة ــ وهم قادرون على العمل ــ يدعو إلى التكاسل من جانب القائمين بالعمل والإنتاج ، لأنه يستوى فى نظرهم أن يعملوا وألا يعملوا ، وهذا الكلام لا ينطبق إلا بالنسبة لتلك الفئة من المشردين التى تستطيع القيام بالعمل والمساهمة فيه مع سواها من الفئات ، ولا ينطبق إذا وضعنا فى الاعتبار طبقة العجزة مثلا ، أو طبقـة النساء الضعيفات أو ذوى العاهات التى تعوق عن الكد والعمل ، ويظهر كل ذلك فى صورة واضحة ، إذا ذكرنا أن القضاء على مشكلة التشرد بتجنيـد المشردين القادرين فى المساهمة فى الأعمـــال

والخدمات فى المجتمع من شأنه أن يزيد الإنتاج ، ويؤدى ذلك إلى تحقيق الرفاهية الاقتصادية للأفراد أو رفع مستوى معيشتهم ، ومن شأن هذا ـ فضلا عن سعادة كل أفراد المجتمع وتحقيق العدالة الاجتماعية بينهم ـ أن يرفع الدولة إلى الذروة التى تليق بالكرامة ، والنهضة التى يرضاها التطور والمدنية الحديثة .

كما أنه يلاحظ أن انتشار المشردين فى أرجاء البلاد ، يشجع على انتشار الأوبئة والأمراض العامة ، لأن المشردين سواء أكانوا صغاراً أو كباراً نساء أم رجالا هم مرتع خصب لتفشى الأمراض ، لما يحوط حالتهم من انحطاط ووهن فى القوى الجسمية والذهنية ، بما يترتب على ذلك من إهمال القواعد الصحية ، أو مراعاة الصحة البدنية ، ولا شك أن الإنتاج القومى يتوقف على صحة أبدان القائمين بالعمل ، ومن شأن القضاء على التشرد المحافظة على هذه الصحة لمنع عدوى الأمراض التى ينشرها المتشردون ـ من الانتشار .

***

ولقد حاول المسلمون هنا وهناك علاج مشكلة التشرد بوسائل شتى . منها فرض النظام الخاص بالإجراءات التقويمية بالنسبة للمشردين الأحداث ، ومنها إنشاء الملاجىء فى أنحاء البلاد لضم المشردين والمعوزين . على أننا نرى أن هذه الإجراءات التقويمية لم تكف ولن تكفى لحل مشكلة تشرد الأحداث ، كما أن إنشاء الملاجىء لا يعدو فى نظرنا إلا أن يكون علاجا لصنف خاص من فئات المشردين ، ونقصد به العجزة وذوى العاهات ، بل إن ناقصى الأعضاء اهتمت بمشكلتهم البلاد الراقية ، وأوجدت لهم من الأعمال ومن صنوف الراحة ما يهيىء لهم حياة سعيدة ، وما يجعلهم مصدر خير وفائدة لا مصدر شقاء وضرر للمجتمع . مثال تهيئة الأعمال :

ما نسمعه ونقرأه من قيام كفيفى البصر بأعمال يدوية منتجة يأتونها فى حذق ومهارة بعد تمرين وتوجيه . ومثال تهيئة الراحة :

وما نسمعه ونقرأه من نضوج المبتكرات والمخترعات إلى الحد الذى تستطيع أن تقدم لنا فيه طرقا وآلات لتقويم فاقدى السمع والنطق المعلومات والتعبيرات ، وأخرى لتعليم العميان القراءة والكتابة ومعرفة الأوقات بوساطة ساعات ابتكرت خصيصا لهم ، إلى غير ذلك من الآلات والمبتكرات !

ويتلخص علاج مشكلة التشرد والقضاء عليها ـ فى نظرنا ـ فى القضاء على الأسباب التى أوجدتها وساعدت على نشرها ، وعلى هذا يكون العلاج عن طريق إصلاح الأوضاع الاقتصادية فى المجتمع ، وهذا الإصلاح يؤدى إلى رفع مستوى العيش ، ومن شأن هذا الأخير رفع المستوى الخلقى والتربوى ، ولابد للوصول إلى كل ذلك من الاهتمام بالدين والعقيدة ، وغرسها فى نفوس النشء والاهتمام بها فى المدارس والمعاهد والمصانع ، فضلا عن مكافحة الدعارة والفسق ، وإيجاد الوسائل الكفيلة بالتطويح بالبطالة ، والعمل على زيادة الإنتاج ، وهذا الأخير يؤدى إلى القضاء على الفقر والجهل ، وهما من الأسباب الرئيسية لتفاقم مشكلة التشرد فى مختلف المجتمعات !

به أتغنى

شعر: أ. محمد عبد الرحمن صان الدين

تغنيت بالإسلام حين عرفته … وإنى لعرق المسلمين سليلُ[1]
على ملة الإسلام بين عشيرتى … نشأت ، ووعيى للأمور كليل
فلما نما عقلى وزادت حصيلتى … من العلم والعرفان بان السبيل
فهمت به حبا تملك مهجتى … وهل تجحد النور المبين عقول ؟
ولكن دين الله ليس توراثا … ولا نِحْلة دقت عليها طبول
بل الدين آيات تجلّى جلالها … على صدقها قد قام فيها دليل
ألا إنه الوحى الذى مَدَّ ظله … وللوحى ظل فى العقول ظليل
أجل إنه الينبوع فاض نميره … به يرتوى فى الظامئين غليل
وكلٌّ إلى سلساله العذب ظامىء … وكلٌّ بعيد عن هداه ضليل
لقد خط للدنيا نظام حياتها … وليس له فى العالمين مثيل
ودين على الإنصاف قام بناؤه … لَدِين له الطبع السليم يميل
رأيت به الإنسان يسمو ويرتقى … ففيه إلى عز الحياة سبيل
يسوس بنى الدنيا برفق ورحمة … وزجر بحزم ليس عنه بديل
نظام وتشريع ، وضبط بحكمة … بظل فروع قد نَمَتْها أصول
وحسب بنى الإنسان أن شريعة … أتتهم من الرحمن فيها شمول
فما صد عن ينبوعها غير جاحد … وما عابها إلا غبى جهول

* * * * *

فقل للذى يحيا بغير عقيدة … شريدا بصحراء الحياة يجول
كئيبا من الأهوال يقتل نفسه … فرارا ، كأن العيش غول تغول
تعال إلى الإسلام تظفر بواحة … ففيه من القيظ الممضّ مَقيل
إذا مَدَّ فى هذى الحياة رواقه … أحس بعز النفس فيه ذليل
ولا تنظر الإسلام فى أدعيائه … فما كل من يطلى الجبين جميل
وما كل منسوب إليه بصادق … ولا كل من أبدى الجلال جليل
ولكن خُلْق المرء عنوان دينه … وليس من الإسلام إلا نبيل

ليلة الإسراء

شعر د/ محمد عبد المنعم خفاجى

ليلة أي ليلة هي بالنور وبالعطر ذكرها علوى
كل ساعاتها عظيم جليل وعظيم صباحها والعشى
وقف الدهر خاشعاً فى حماها وهدى الأرض نورها الأحمدى
رحلة حفها الضياء وصارت فى الليالى ـ بهاؤها أبدىّ
واصطفاها رب السماء وجبريل هو الحادى والبراق المطى
رحلة جندها الملائك والله اجتباها وسُرَّ فيها النبىّ
والنبيون خشع والسماء ازينت والصحراء ماء ورى
سدرة المنتهى مداها وكل الكون بالحمد والثناء دوى
ولصوب السماء طار وجبريل على ركبه الأمين القوى
يا رسول الإله شرعك بالهدى وبالحق والخلود حرى
يا نبى السماء دينك للحب وللعدل والإخاء سمىّ

سبحان من أسرى به

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

سار البُراق تحفه الأنوار ... يحدو خطاه ملائك أطهار
يسرى على اسم الله لا متخوفاً ... خطراً تسببه له الأسفار
كلا ولا اهتز الفؤاد للحظة ... فالقلب نبض كيانه استقرار
لله أنت مسافر قد ذللت ... لركابه العقبات والأخطار
لله أنت مسافر وعشاؤه ... أمن وظلمة ليله أنوار
ألقى على الرحمن كلَّ عنائه ... فالله جل جلاله القهّار
يتأمل الملكوت فى إطلالة ... تسمو بها الخلجات والأفكار
هذى السموات العوالى والفضا ... والبيد والفلوات والأغوار
هذى الرواسى والينابيع التى ... قد فجرت والنبت والأنهار
والليل فى حلل الضياء نجومه ... متألقات والمدى الدوَّار
سبحان من خلق الوجود بحكمة ... وعنت له الأقدار والأسرار
والقدس محراب الصلاة كأنها ... عند اللقاء الروضة المعطار
المرسلون وهم حداة مسيرة ... هى خير ما جادت به الأقدار
يستقبلون محمداً وقلوبهم ... يطغى عليها الحب والإكبار
صلى بهم فتعانقت أرواحهم ... أبناء آدم إخوة أبرار
حتى إذا شاء الكريم تفتحت ... لقدومه الأبواب والأستار
يرقى على اسم الله تأنس روحه ... ويحيطه التكريم والإيثار
يدنو فتمتلئ الجوانح بالهدى ... والضيف يغمر قلبه استبشار
والله ما كذب الفؤاد ولا طغى ... كلا ولا زاغت به الأبصار
والله ما ضل الرسول ولا غوى ... كلا ولا جمحت به الأفكار
والله ما نطق الرسول عن الهوى ... فالقول فصل والحديث منار
أوحى إليه الله ما أوحى فلا ... زيف ولا لغو لديه يثار
ورأى من الآيات ما يسع الورى ... علما به تتواتر الأخبار
ماذا يقول المنكرون وقد خبت ... أوهامهم وتبدد الإنكار ؟
ورأوا على متن الفضاء سفائنا ... تسرى وتبحر فى المدى الأقمار
هل يدركون مصيرهم ومسيرهم ... هل يدركون الكون كيف يدار
سبحان من أسرى به فتَشَبَّثَتْ ... بالنور مهجته وطاب جوار

الآنَ يرحمني الله

شعر/ محمدى حسين الشافعى

أَتَرَنَّحُ كَالطَّيْرِ جَرِيحاً .. مَكْلُومَ الْقَلْبْ
أَنْفَاسِى زَفَرَات حَرَّىٰ .. كَالدَّنِفِ الصَّبّْ
وَالصَّمْتُ يَصِيحُ بِأَعْمَاقِى .. يَخْتَرِقُ الدَّرْبْ
.. وَأَكَادُ أُمَزَّقُ .. إِلَّا أَنْ يَرْحَمَنِى الرَّبّْ

★ ★ ★

الضِّيقُ يَكَادُ يُمَزِّقُنِى أَشْنَعَ تَمْزِيقْ
.. أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فِى وَجْهِى مِنْ فَرْطِ الضِّيقْ
مَا عُدْتُ أَرَىٰ فِى دُنْيَاىَ الْمُعْتِمَةِ بَرِيقْ
أَمْسَيْتُ كَأَنِّى فى لُجَجِ الْأَمْوَاج غَرِيقْ

★ ★ ★

نَادَانِى صَوْتٌ : لَا تَيْأَسْ مِنْ رَوْحِ الله
« وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ » .. وَتَضَرَّعْ فِى كُلِّ صَلَاةْ
مَازِلْتَ صَغِيرًا لَا تَدْرِى مَدْلُولَ (الْآه)
..لِلْكَوْنِ إِلَهٌ .. فَتَذَكَّرْ : لِلْكَوْنِ إِلَهْ ..

★ ★ ★

نَادَيْتُ .. وَقَلْبِى مُنْفَطِرٌ .. أَلْتَمِسُ الْعُذْرْ
يَارَبَّ الْعِزَّةِ سُبْحَانَكَ .. أَلْهِمْنِى الصَّبْرْ
... فَأَتَانِى الْفَرَجُ مِنَ الْمَوْلَى بِطُلُوعِ الْفَجْرْ
وَخَرَجْتُ مِنَ الْمِحْنَةِ بَطَلًا .. أَتَقَاضَى الْأَجْرْ ..

تحيّة للأزهر الشريف

لفضيلة الشيخ / صالح محمد سيد على (*)

قلت فيها :

قل لمن بالأسفار يطوى الرحابا　　　حط « بالأزهر الشريف » الركابا
وإذا رحت للرياض ورودًا　　　فرد النيل عذبه المستطابا
واغتنم فى « مصر العروبة » علمًا　　　فهْى بالعلم فاقت الأترابا
كعبة المجد فى ثراها وأضحى الـ　　　ـمجد من برجها يباهى السحابا
أنا فى تربها لقد ذبت حُبًّا　　　وعلى حبها رضيت العتابا
سجل التاريخ المجيد علاها　　　وطوت فى تاريخها الأحقابا
تجتلى درّها وتكشف فى أطـ　　　ـوارها ما يحيّر الألبابا
وبدت بالسخا تمُدّ سناها　　　طبق السهل نورُه والشعابا
هذه دورة الأئمة والوعـ　　　ـاظ تسقى الرواد شهدًا مذابا
ديننا منبع السلام وحصن ال　　　أمن يحمى الحجا ويفدى الرقابا
إنما العز وحدة الصف والإسـ　　　ـلام يأبى فى هديه الأحزابا
فلنحافظ على سماحته والـ　　　ـدين رفق لايقبل الإرهابا
واقبلوا هذه القوافى لكم من　　　وفد كينيا يرجو بها انتسابا
صغتها كى أشارك الحفل شكرا　　　فاعذرونى إن جاء مدحى اقتضابا
وإلينا أتت رعاية شيخ الـ　　　ـجامع الأزهر الشريف احتسابا
شيد العلم مجّد الفهم حتى　　　قد تَسَمَّى به فعز وطابا
نحن فى ظله نباهى ونفدّ م　　　يه فداء لايعتريه اضطرابا
بل ونفْدى أمانة الله حتّى　　　تورث المجد شيبها والشبابا

(*) الشاعر خطيب وإمام مسجد الرياض بمدينة (لامو كينيا) وعضو الدورة السابعة والعشرين للأئمة والوعاظ التى تنظمها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف فى الفترة من ١٩٩٤/١١/١م إلى ١٩٩٥/١/٣١م .

العلوم الكونية

الحسين بن سينا

ومآثره في العلوم الكونية

بقلم أ.د. أحمد فؤاد باشا (*)

نبذة عن حياة ابن سينا :

هو : أبو على الحسين بن عبدالله بن سينا ، ويلقب بألقاب عديدة لنبوغه فى كثير من فروع المعرفة ، لكن لقب « الشيخ الرئيس » أصبح عَلَمًا عليه لا ينصرف إلى سواه ، ويُعرف عند الافرنج باسم « أفيسينا » Avicenna

ولد ابن سينا فى قرية « خرميشن » من ضياع « بخارى » سنة ٣٧١ هـ/ ٩٨٠م ، وتوفى فى « همذان » فى يوم الجمعة الأولى من شهر رمضان سنة ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٧م . وكان ابن سينا يحب الحياة عريضة قصيرة ولا يحبها ضيقة طويلة ، فأقبل على طلب العلم بحماس منقطع النظير ، وتعمق فى مختلف مجالات المعرفة ، واشتهر بين أقرانه وتلاميذه بسرعة الفهم وقوة الذاكرة وكثرة الإنتاج العلمى ، فصنَّف من المؤلفات والرسائل ما جعله من أشهر العلماء على مر العصور .

ولقد ترجمت بعض هذه المؤلفات إلى اللاتينية وسائر اللغات الأجنبية مثل : الانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والعبرية وغيرها ، وبقيت لعدة قرون المرجع الأول والرئيسى لدراسى الفلسفة والطب فى جامعات الغرب .

(*) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة .

منهجه العلمى :

يتضح من دراسة المؤلفات العلمية العديدة التى خلفها علماء الحضارة الإسلامية أن المنهج التجريبى فى أدق تفاصيله المعروفة لنا حالياً كان هو أسلوب البحث عن الحقيقة فى مجالات العلوم الكونية ، وكان ابن سينا الطبيب الفيلسوف يرى أن التجربة علم له أصول وفروع ، ويجب على الطبيب أن يلم بها قبل أن يشرع فى تشخيص المرض وعلاجه ، بحيث تكون ممارسة الطب وفق أسلوب منطقى ، وكان لهذا الاتجاه العلمى التجريبى أثره البالغ فى محاربة الشعوذة والتنجيم ومكافحة تجار الطب الذين كانوا يدعون معرفة المرض ، والتنبؤ بمستقبل المريض بمجرد النظر إلى بوله ، ويستعينون على ذلك بإرسال الجواسيس لاستكشاف أخبار مرضاهم البسطاء والتقاط أسرارهم ، حتى إذا ما جاء هؤلاء المرضى إليهم أسروا لهم بما عرفوه مدعين أن البول فضاح الأسرار ، لذلك حذر ابن سينا تلاميذه من المبالغة فى أمر استعراض البول ، وأكد على أهمية اتباع المنهج التجريبى والتريث قبل استخلاص النتائج فيقول : « علينا ألا نثق بنتائج تحليل البول إلا إذا توافرت الشروط التالية : أن يكون البول أول بول من المريض ، ــ أى بول الصباح ــ ، على ألا يكون المريض قد شرب ماء بكثرة أو أكل ما يمكنه تلوين بوله « كالزعفران » . كذلك يجب على المريض ألا يقوم بحركات خاصة أو يتبع نظاماً على غير عاداته كالتأخر فى النهوض أو الإمعان فى التعب ، لأن مثل هذا يؤثر كثيراً فى تركيب البول ، كما أن القىء والدوخة يؤثران على تركيبه .. إذن فالنتائج التى نصل إليها من تحليلنا للبول تعتمد على لونه وكثافته ورائحته ، ورغوته ومدى صفائه أو تعكره » .

ومن الطبيعى أن لا يقتصر استخدام المنهج التجريبى على علم دون آخر ، فقد احتكم ابن سينا إلى هذا المنهج فى مختلف الميادين المتعلقة بالعلوم الكونية ، حيث ألف كتاباً فى « إبطال النجوم » ، وأقام الحجة على بطلان دعاوى المشتغلين بالصنعة التى تحول المعادن الخسيسة كالرصاص إلى معادن نفيسة كالذهب والفضة ، فذكر فى كتابه « الشفاء » أن أصحاب الصنعة ليس فى أيديهم أن يقلبوا الأنواع قلباً حقيقياً ، لأن جواهرها تكون محفوظة ، وإنما تغلب عليها كيفيات مستفادة بحيث يغلط فى أمرها ، وقد يصل هذا التغيير حدًّا من الإتقان بحيث يظن معه أن المعدن قد تحول بالفعل وبجوهره إلى غيره . ويوضح ابن سينا أن ما يبدو لنا بعد الصبغ أنه ذهب أو فضة ليس فى الحقيقة ذهباً أو فضة ولكنه شديد الشبه بالذهب والفضة فى احمرار لونه أو بياضه ، وما الصفات التى يقال عنها إنها إذا أضيفت أو حذفت تحولت الأشياء إلى بعضها البعض ، إلا صفات محسوسة عرضية ، وليست فواصل حقيقية تميز نوعاً من نوع .

وأكد ابن سينا منهجه التجريبى فى البحث العلمى باستخدام الأجهزة والأدوات التى تيسر القياس الدقيق ، مثل: آلة الرصد ، وأدوات العمليات الكيميائية كالتقطير والترشيح والتصعيد وغيرها ، وأشار فى مؤلفاته إلى عدد كبير من المركبات الكيميائية التى تم تحضيرها من أصول نباتية أو حيوانية أو معدنية .

طابعه الإيمانى :

من فضل الله على عبقرى الحضارة الإسلامية أن هيأ له بيئة طيبة للتربية الدينية السليمة ، فحفظ « القرآن الكريم » ، وأتقن اللغة العربية وهو فى العاشرة من عمره ، وكتب أكثر مؤلفاته باللغة العربية ، وتعمق فى علوم الشريعة والحكمة ، وكان يقول متعبداً : « وكلما كنت أتحير فى مسألة أو لم أكن أظفر بالحد الأوسط فى قياس ، ترددت إلى الجامع ، وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى فتح لى المغلق ، وتيسر المتعسر .. وكنت أرجع بالليل إلى دارى وأضع السراج بين يدى أشتغل بالقراءة والكتابة .. ومتى أخذنى أدنى نوم أحلم بتلك المسألة بعينها ، حتى إن كثيراً من المسائل اتضح لى وجوهها فى المنام » .

ويذكر أن ابن سينا اتجه فى أواخر حياته إلى قراءة « القرآن الكريم » وتفسيره ، فكان يختمه مرة كل ثلاثة أيام ، وتخلى عن الدنيا وحطامها ، فباع جميع ممتلكاته وتصدق بها على الفقراء والمساكين ، وتفرغ لعبادة ربه إلى أن وافاه الأجل المحتوم .

وحديثنا عن الطابع الإيمانى لدى ابن سينا يؤكد ما تميز به المنهج العلمى الإسلامىّ من نضج وعقلانية فى الجمع بين مختلف الملكات الإدراكية التى منحها الله للإنسان ليفيد منها فى تحصيل العلم النافع .

أهم مؤلفاته :

مؤلفات ابن سينا كثيرة ومتنوعة[1] ، وهى بصفة عامة تمتاز بالدقة والتعمق والسلاسة وحسن الترتيب ، وتتناول قضايا المنطق والفلسفة والرياضيات ، والإلهيات والطب والموسيقى والفيزياء ، والفلك وعلوم الأرض ، والنبات والحيوان والمعادن وغيرها ، ويعتبر كتاب « القانون » فى الطب وملخصه « أرجوزة فى الطب » أشهر مؤلفات ابن سينا على الإطلاق . وقد أحصيت كلمات « القانون » فبلغت مليون كلمة ، بينما صيغت « الأُرجوزة » فى ١٣٢٩ بيتاً .

ويعتبر كتاب « القانون » لابن سينا نموذجاً رائداً فى فن التأليف الطبى من ناحية التبويب وجودة العرض ومنطقية الترتيب ، وذلك بالمقارنة مع الكتب الطبية الحديثة ، فالكتاب يقع فى خمسة أجزاء تتناول علوم التشريح ووظائف الأعضاء وطبائع الأمراض والصحة والعلاج ، وينقسم كل جزء إلى أبواب ، أسماها ابن سينا فنوناً ، والفنون مقسمة إلى مقالات أو تعاليم ، والتعاليم مقسمة إلى فصول .

ولقد عرض ابن سينا نفسه مضمون منهجه العلمى فى مقدمة الكتاب بقوله : « رأيت أن أتكلم أولا فى الأمور العامة الكلية فى كلا قسمىْ الطب ، أعنى القسم النظرى والقسم العملى ، ثم

(١) أحصى المؤرخون مائتين وثلاثة وعشرين كتاباً لابن سينا توجد فى ست وخمسين مكتبة باستانبول ، بالإضافة إلى العديد من الشروح والترجمات لهذه الكتب ، كذلك يذكر المؤرخون أسماء عدد من مؤلفات ابن سينا المفقودة ، منها : الموسوعة الضخمة التى سماها « كتاب الإنصاف » وكانت تقع فى عشرين مجلداً وتضم ثمانية وعشرين ألف مسألة من المسائل الفلسفية ، ولم يبق منها إلا نتف قليلة (راجع أسانيد المقال) .

بعد ذلك أتكلم فى كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ثم جزئياتها ، ثم بعد ذلك فى الأمراض الواقعة بعضو عضو : ابتدىء أولا بتشريح ذلك العضو ومنفعته ، ثم إذا فرغت من ذلك ابتدأت فى أكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته ، ثم دللت بالقول المطلق على كليات أمراضه وأسبابها ، وطرق الاستدلال عليها وطرق معالجتها .. فإذا فرغت من هذه الأمور أقبلت على الأمراض الجزئية ودللت أولا فى أكثرها أيضاً على الحكم الكلى فى حده وأسبابه ودلائله ، ثم خلصت إلى الأحكام الجزئية ، ثم أعطيت القانون الكلى للمعالجة ، ثم نزلت إلى المعالجات الجزئية » .

واشتهر كتاب القانون فى أوربا شهرة عظيمة ، حيث ترجم إلى اللاتينية كاملا ، وطبعت أجزاء من هذه الترجمة عدة مرات قبل القرن السادس عشر ، وترجم الكتاب أيضاً إلى العبرية ، ولا تزال طبعات كثيرة منه تظهر فى الشرق والغرب .

من مآثره فى العلوم الكونية :

حَظِىَ مجال الطب والصيدلة بالعديد من الاكتشافات التى تمت على يد الشيخ الرئيس ابن سينا ، حيث يعزى إليه ، على سبيل المثال لا الحصر : اكتشاف داء « الفيلاريا » المعروف باسم « مرض الفيل » ، ومرض الجمرة الخبيثة المسببة للحمى الفارسية ، كما فرق بين الأمراض المتشابهة فى أعراضها ، مثل الالتهاب الرئوى والبللورى ، والمغص المعوى والكلوى ، وحصى الكلى والمثانة .

وأظهرت الدراسات الحديثة فى تاريخ علم الطب **أن ابن سينا كان أول من اكتشف طفيلية** « الأنكلستوما » **وسماها** « الدودة **المستديرة** » ، وتحدث عن أعراض المرض الذى تسببه فى الفصل الخامس الخاص بالديدان المعوية من كتابه « القانون » .

وقد أخذ جميع المؤلفين فى علم الطفيليات بهذا التصحيح فى المؤلفات الحديثة ، كما أخذت به مؤسسة « روكفلر » الأمريكية التى تعنى بجمع كل ما يكتب عن هذا المرض الذى أعاد « دوبينى » اكتشافه بايطاليا عام ١٨٣٨ م ، أى بعد ابن سينا بنحو ثمانمائة عام .

وكذلك أولى ابن سينا أهمية خاصة لطب الأمراض العصبية وأثر الوهم والعوامل النفسية فى إحداث الأمراض العضوية ، ودرس النبض وحالاته دراسة وافية ، وقال : « علينا أن نعلم أن أحسن العلاجات وأنجعها هى العلاجات التى تقوم على تقوية قوى المريض النفسانية والروحية ، وتشجيعه ليحسن مكافحة المرض ، وتجميل محيطه وأسماعه بما عذب من الموسيقى ، وجمعه بالناس الذين يحبهم » ، وقد أكدت الدراسات الحديثة لنشاط الخلايا العصبية بواسطة التخطيط الكهربائى للمخ انفعال هذه الخلايا مع سماع النغم .

وفى مجال الفيزياء حدد ابن سينا عناصر الحركة وأنواعها ، وفرق فى كتاب « الشفاء » بين الحركة الطبيعية والحركة القسرية فقال : « .. وكل جسم متحرك فحركته إما من سبب من خارج وتسمى حركة قسرية ، وإما من سبب من نفس الجسم ، إذ الجسم لا يتحرك بذاته ، وذلك السبب إذا كان محركاً على جهة واحدة على سبيل التسخير فيسمى طبيعة » .

وعن مقاومة الوسط الذى يتحرك فيه الجسم يقول ابن سينا فى طبيعيات كتابه «الشفـاء» : « فإنك ستعلم أن مقاومة المنفوذ فيه هى المبطل للقوة المحركة » . وبالنسبـة لقانـون « الـقصور الذاتى » المنسوب لاسحق نيوتن فى القرن السابع عشر الميلادى؛ فقد سبق ابن سينا إلى القـول بفكرته لتفسير مدافعة الجسم عن استمراره فى الحركـــة المنتظمـــة ، وذلك فى « الإشارات والتنبيهات » حيث ذكر ما نصه : « إنك لتعلم أن الجسم إذا خلى وطباعه ولم يعرض له من خارج تأثير غريب ، لم يكن له بد من موضع معين وشكل معين ، فإذن فى طباعه مبدأ استيجاب (الثبات فى) ذلك » . ويقول أيضاً : « الجسم له فى حال تحركه ميْل (أى مدافعة) يتحرك به ، ويحس به الممانع ولن يتمكن من المنع إلا فيما يضعف ذلك فيه ، وقد يكون من طباعه ، وقد يحدث فيه من تأثير غيره فيبطل المنبعث عن طباعه إلى أن يزول فيعود انبعاثه » .

ويقـول فى موضع آخــر من طبيعيـــات « الشفـاء » ، المقالـة الرابعـة : « ... ولـيست المعاوقة للجسم بما هو جسم ، بل بمعنى فيه يطلب البقاء على حاله من المكان أو الوضع »[٢] ..

وأثبت ابن سينا أن التصور المعروف عن المادة حتى عصره ضلال لاشك فيه ، فقال : « إننا لو قسمنا جسماً إلى نصفين ، ثم قسمنا كل نصف إلى نصفين ومضينا فى القسمة هكذا فلابد أن نمضى إلى غير نهاية ، وهو مستحيل ، أو لابد أن نصل إلى جزء لا يتجزأ وهو كذلك مستحيل ، وكل تصور محال فهو باطل بلا جدال » .

وقد ظهر أن عبقرى حضارة الإسلام كان على حق لأننا توصلنا فى عصرنا إلى أن أجزاء المادة تنتهى إلى جزء صغير يتجزأ ولكنه ينقلب إلى حركة إشعاع لا يحدها الجسم الذى كانت فيه .

ولابن سيناآراء أخـرى متقدمـة فى مختلـف الظواهر الكونية مثـل :الضوء والشفـق وقـوس الألوان والهالة الشمسية ، والـزلازل والبراكين وغيرها .

ولقد شهد بفضله كثير من مؤرخى العلم المنصفين أمثال « ماكس مايرهـوف » و« دى بور » و« سيجريـــد هونكـــه » و« جورج سارتون » وغيرهم .

وما أحوج الناشئة من أبناء أمتنا الإسلامية إلى معرفة هذه الجوانب المضيئة من حياة أسلافهم الذين شيدوا واحدة من أطول الحضارات التى عرفها التاريخ البشرى ، حتـى يشعـروا بحجـم المسئولية الملقاه على عاتقهم فى النهوض بأمتهم من مستنقع التخلف الذى تسربلت فيه زمناً طويلا ، واللحـاق بركـب الحضارة المعـاصرة وترشيـد مسيرتها لما فيه خير البشر أجمعين .

(٢) يمكن الوقوف على أهمية هذه النصوص عندما نقـارنها بقانون الحركة الأول المنسوب لاسحق نيوتن ونصه : « كل جسم يظل على حالته من السكون أو الحركة المنتظمة فى خط مستقيم ما لم تؤثر عليه قوة خارجية تغير من حالته » .

عرض وتعليق الأستاذ /
أحمد عبد الهادى الأبيض (*)

يقع الكتاب فى (٧٢) صفحة من القطع الوسط ١٧٨×٢٤ سم برقم الايداع ٩٢/٧٧٦٦٢

فى المقدمة يتحدث المؤلف عن قضية نقل وزراعة الأعضاء الآدمية وأسباب تحريم ذلك . لما يترتب عليها من خطورة لتعلقها بالجسد الإنسانى الذى خصه الله سبحانه وتعالى بالتكريم حيا وميتا ، وبيان مخالفة مثل هذه العمليات لظاهر الشرع ، ومبادىء الدين الإسلامى الحنيف ، علاوة على مخالفتها للحقائق الطبية ، وآداب المهنة وتعارضها مع المبادىء الخلقية والعرف الجارى بين الناس . وبيان خطورة هذه العملية سواء على الإنسان المنقولة إليه هذه الأعضاء ، أو المنقولة منه .. الخ .

فى الفصل الأول : يتحدث المؤلف الطبيب عن مكونات الإنسان من جسم وروح ، وقلب ، وأن أعضاء الإنسان من سمع وبصر وغيرهما تتساوى مع جميع البشر فى كل موقع وزمان .

والروح : هبة من الله لجسم الإنسان . ومثّلها الباحث بالحرارة فى داخل الجسم بحيث إذا

* اخصائى أول إعلام دينى بإدارة إحياء التراث بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

مات الإنسان برد جسمه وأصبح لا حرارة فيه .
والقلب : هو تلك المضغة الصغيرة . وصلاحها يكون بتقوى الله سبحانه وتعالى وفسادها فى البعد عن تقواه .. ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ ــ الرعد آية ٢٨ .

وأودِ الباحث كثيرا من الآيات القرآنية التى تؤيد بحثه ، وأن الإنسان ليس ملك لنفسه ، بل ملك لخالقه ، وما دام لا يملك نفسه فلا يجوز له أن يتصرف فى جسده أو أعضائه بما لا يرضى خالقه سواء كان ذلك فى حالة حياته أو وصبة تنفذ بعد مماته .

الفصل الثانى : يوضح الباحث أن الإنسان لا يملك من جسده شيئا مطلقا حيا أو ميتا وإنما هو ملك خالص لله ــ تعالى ــ ، ولا يجوز له أن يتصرف فيه حيا وميتا ؛ لأنه بذلك يكون قد خان الأمانة التى استأمنه الله عليها وهى جسده قال ــ تعالى ــ : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يس . الآية ٨٣ وقال ــ تعالى ــ : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ المائدة الآية ١٢٠

ثم بين فى هذا الفصل بعض الحقائق والجوانب الشرعية والطبية التى تتعلق بموضوع نقل الأعضاء الأدمية ، وهى .

أولا : تحريم نقل الأعضاء المأخوذة من الأحياء :
أكد الأئمة الأربعة وجمهور الفقهاء ذلك التحريم مصداقا لقوله ــ تعالى ــ :
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء الآية ٧٠)
والله نهى عباده عن ذلك بقوله : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ (البقرة الآية ١٩٥) ، ونهى الرسول ــ ﷺ ــ أيضا عن ذلك بقوله ﷺ : « إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء تتداووا ولا تتداووا بحرام .

ثانيا : تحريم نهب الأعضاء من المريض الذى يكون فى حالة غيبوبة عميقة أو توقف المخ عن العمل وهو ما يسمى بالموت (الإكلنيكى) أو موت المخ وذلك على الرغم من الغيبوبة العميقة إلا أنه ما زال حيا بدليل أن الروح ما زالت تبعث الحرارة فى جسم ذلك الإنسان ، وإن الذى يقوم بهذا العمل يكون عقابه عقاب القاتل الحقيقى من وجهة نظر الإسلام والقانون الجنائى .

ثالثا : تحريم أخذ الأعضاء من المحكوم عليهم بالإعدام . وصورته أن يقوم الطبيب بنقل قلب المحكوم عليهم بالإعدام قبل موتهم المحقق ومفارقة أرواحهم لأجسادهم ؛ وهذا مخالف للقانون الجنائى « ٤٧٣ ، ٤٧٤ » علاوة على مخالفته للائحة السجون مخالفة جسيمة ، والتى تنص على : (أن يقوم طبيب السجن مع الطبيب المندوب من النائب العام بجس نبض المحكوم عليه بالاعدام لمعرفة المدة التى استمر فيها النبض ملموسا بعد الشنق ثم تترك الجثة معلقة لمدة ثلاثين دقيقة بعد وقوف حركة النبض ، ثم تنقل إلى المشرحة للغسل والتجهيز مع عدم تشريح الجثة إلا إذا طلبت النيابة العامة ذلك) .

رابعا : تحريم أخذ الأعضاء من الجسد بعد الوفاة إلى أجساد الاحياء لأن ذلك يعتبر من المثلة التى

جرمها الرسول - ﷺ - بقوله : « إيّاكم والمثلة » وكان صلوات الله عليه وسلامه يأمر المسلمين فى غزواته بسرعة دفن القتلى من المسلمين والكفار على السواء لحرمة الميت ؛ ولأن الجسد ملك لله تعالى .

أما من يقول : إن نقل الأعضاء يماثل فى عمله نقل الدم ، فإن الدم يعوضه الجسد ويتجدد ، والعضو ليس كذلك . وليس الحال فى العضو كذلك

الفصل الثالث : وفيه يتحدث المؤلف عن المفاسد والفتن والمآسى المرتبطة بنقل الأعضاء الآدمية والمترتبة عليها :

من ذلك ظهور سوق قذرة لتلك الأعضاء للتجارة فيها بالبيع والشراء ، هذا إذا كانت بين الفقراء والأغنياء، أو بين ناس لاتربطهم ببعضهم رابطة قرابة .

أما بين الأقرباء فيترتب عليها إضافة مريض جديد إلى الأسرة فضلا عن انتشار عدم الثقة فى الأطباء المعالجين ، وبخاصة عندما تنتشر إشاعات حول بعض الأطباء مما يؤدى إلى حوادث كثيرة لا يعلم مداها إلا الله - سبحانه - علاوة على انتشار كثير من الأمراض التى تصيب المجتمع من جراء هذه العملية . وقد ذكر المؤلف عديدا من هذه الأمراض ص ٣٦ ، ٣٧ ، فمنها :

● مضاعفة جراحة الأوعية الدموية فى عمليتى انتزاع العضو - أولا - ثم زراعته فى جسم المريض الثانى .

● الالتهابات فى الأعضاء المختلفة .. ومنها الإلتهاب الرئوى المتقدم الذى يحدث بعد زرع الكلى .

● تزايد الأورام السرطانية فى أعضاء الجسم المختلفة فى حالات ما بعد زراعة الأعضاء بأكثر من مائة ضعف عن الحالات العادية لأسباب غير معروفة .

● والعديد من المضاعفات الأخرى بالقلب والغدد الصماء والجلد وغيرها .. الخ .

فى الفصل الرابع والأخير : ركز الباحث فى هذا الفصل على النقاط التالية :

أولا : فى محاولة زرع الأعضاء يقوم بعض الأطباء بإخفاء المخاطر والمضاعفات التى تنشأ عن عمليات زرع الأعضاء عن مرضاهم حتى يتصور بعض هؤلاء المرضى أن زرع عضو لهم هو نهاية متاعبهم ، وبداية لعودة الحياة الطبيعية لهم . بينما يكون هذا بداية المتاعب للمريض لأن بعض الأجسام ترفض قبول العضو المزروع وإذا قبله الجسم فإن الأدوية التى تعطى للجسم لمنع رفضه لذلك العضو المزروع تسبب كثيرا من المخاطر الصحية للمريض - وقد تقدم شىء منها - وبالنسبة لمن أخذ منه العضو يصيبه كثيرا من الأمراض نتيجة ضعف جسمه وتعرضه للأمراض لقلة المناعة عنده .

ثانيا : الحاجة إلى توجيه اهتمام الدوائر العلمية والطبية لتحديد سبل الوقاية والعلاج للفشل الكلوى والكبدى نظرا لازديادهما وغيرهما من الامراض ؛ إذ يجب توجيه النظر إلى مسببات تلك الأمراض وهى :

(١) إلقاء المخلفات الصناعية ومخلفات الصرف الصحى وغيرها فى نهر النيل .

(٢) رش ثمار الفاكهة كالخوخ والعنب والتفاح وغيرها بالهرمونات التى تصل إلى جسم الإنسان فتحدث به الضرر .

(٣) استخدام مكسبات الطعم واللون التى ينشأ عنها الأمراض .

(٤) استخدام المواد الحافظة كالتى.تحفظ الألبان والجبن التى يترتب عليها ضرر بالجسم .

(٥) انتشار النفايات الكيماوية والصناعية والمشعة التى يجرى تلويث المياه بها فى مصر .

(٦) الإفراط فى استخدام الأدوية الضارة وبخاصة المضادات الحيوية . لما يترتب على ذلك من ضرر للجسم .

(٧) عدم التوعية المستمرة بهذه الأمراض وغيرها وعدم العمل على الاكتشاف المبكر لها حتى يمكن علاجها .

ثالثا : اختلاف علماء الدين حول حكم نقل الأعضاء .

أورد الباحث أراء بعض علماء الدين الذين يؤيدون ويجيزون .. نقل هذه الأعضاء من جسم الإنسان إلى إنسان آخر وهؤلاء قلة ورأيهم لا يعتمد على دليل قطعى بالحوار وآراء هذا الفريق يناقض بعضهما بعضا وذكر أيضا أراء الجمهور من علماء الدين الذين يمنعون نقل الأعضاء ويعتبرونه حراما وقد أورد لهم الأدلة القطعية .. عكس رأى الأخرين .

الفصل الخامس : فى هذا الفصل أورد وثائق بآراء بعض علماء الدين القائلين بجواز نقل الأعضاء ، والرد عليها مع اثبات المؤلف للوثائق المبينة لهذا التناقض من الاجازة تارة والمنع أخرى .

كذلك أورد أيضا أراء المانعين وذكر أدلتهم التى تتسم بالقوة والرجحان اللذان يحفظان المجتمع ويقويان بنيانه ، والذى أميل إليه ما ذهب فريق المانعين ، ومعهم المؤلف الذى قدم حقائق طبية بحتة لما يترتب عليه نقل الأعضاء .

والله ولى التوفيق

البنسلين وعلاقته بالحمى الروماتيزمية

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

٢

تطرقنا فى المقال السابق ، إلى الحديث عن الوقاية الثانية ، من مرض الحمى الروماتزمية . وتحدثنا عن حساسية البنسلين المستخدم فى هذه الوقاية ، ونستأنف الحديث ـ فى هذا العدد ـ عن حساسية البنسلين .

أعراضها :

يشعر المريض فى البداية بتوقُّع حدوث خطر شديد وشيك : Impending Doom ، مع زيادة فى سرعة نبضات القلب : Tachycardia ، وفى معظم الحالات قد يظهر طفْحٌ جلدى Skin Rash ، وقد يكون مصحوباً بـ (هرش)[1] : Itching ، فى جميع أجزاء الجسم ، أو فى أجزاء معيَّنة منه ، خاصة فى الجزء الداخلى من الفخِذ : Inner aspect of the thigh وفى الأعضاء التناسلية : Genital Region .

وفى الحالات الشديدة ، قد يحدث تُورم بالحنجرة laryngeal Oedema ، مؤدياً إلى الاختناق ، وحشرجة الصوت ، وقد يحدث أيضاً ضيق فى الشعب الهوائية Brochospasm مما يؤدى

(*) ماجستير فى طب الأطفال .

(١) يفيد هذا اللفظ فى عامية مصر استخدام الإنسان إحدى يديه أو كلتيهما فى حَكّ جزء من جسده . ومنه المثل : « ما حك جلدك مثل ظُفرك » .

إلى صعوبة فى التنفس Respiratory distress ، كذلك يحدث أيضا احتقـــان بالأنـــف Nasal congestion أو تورُّم بالـغشاء المخاطى المبطـــن للأمعـاء Gastrointestinal swelling ، مؤديـاً لحدوث إسهـــال Diarrhea وآلام بالبطـــن : Abdominal Cramps .

وفى بعض الأحيان يحدث اتساع بالأوعيـة الدموية Vasodilatation مؤدياً للإصابة بالصداع Headache وهبـــوط فى الضغـــط الدمـــوى Hypotension وإغماء Syncope .

ونظراً لأن الإصابة بتفاعلات الحساسية قد تتكـرر ـ بعـد اختفـاء الأعـراض ـ فى خلال (٨ ـ ٢٤) ساعة بعد تعاطى العقار ، يلزم حَجْز المريض بالمستشفى لمدة ٢٤ ساعة ، مع وضعه تحت الملاحظـة الدقيقـة إذا أُصيب بحساسيـــة البنسلين .

● كيْفيتا تشخيص إمكانيـة حدوث حساسيـة البنسلين :

قبل حقن المريض بالبنسلين لابد من التأكد من عدم إمكانية حدوث حساسية من العقار بعد حقنه وذلك عن طريق :

١ ـ الاستـفسار عن حدوث تفاعـــلات حساسية سابقة بعد تعاطى هذا العقار ، وذلك بسؤال المريض عن حدوث أعراض تفاعلات الحساسية هذه فى خلال الثلاثة أيام الأولى بعد الحقن بالعقار .

ويعد هذا الاستفسار غاية فى الأهمية نظراً لقلة الاختبارات التشخيصية الموجودة .

أو :

٢ ـ القيام بعمـل اختبـار حساسيـة الجلـد للبنسلين : Penicillin Allergic Skin Test ويتم هذا عن طريق حقن ٣ مفاعلات Reagents فى الجلد Intradermal فى الجزء الداخلى من أحـد الذراعيْن بكمية ضئيلـة تتـراوح بين (٠,٠٢ ـ ٠,١ سم٣) ، وهذه المفاعلات تشمل :

(١) البنسلين طويل المدى غير المُطوَّر .

(٢) المكـــون الأساسى (الجزء الأعظـــم) للبنسلين طويل المدى .

(٣) المكون غير الأساسى (الجزء الأصغر) للبنسلين طويل المدى .

ويتم حقن مُفاعليْن للضبط Control فى الجزء الداخلى من الذراع الآخر هما :

(١) الهستامين (كضابط موجب) Positive Control .

(٢) محلول ملح (كضابط سالب) Negative Control .

وذلك حتى لا يحدث خطأ فى [illegible] ص إمكانية حدوث حساسية البنسلين .

وتتم قراءة اختبار حساسية البنسلين بعد حوالى عشرين دقيقة من الحقن ، ويُعدُّ الاختبار موجباً (أى مشيراً لإمكانية حدوث تفاعلات حساسية بعد الحقن بالبنسلين طويل المدى) عندما يحدث

إحمرارٌ Erythema ، يحيط بمكان الحقن بمساحة لا تقــل عن ١ ــ ٢ مم (ملليمتــر) (طولا وعرضاً) ، ويعد الاختبار سالباً (أى مشيرا لعدم إمكانية حدوث حساسية بعد الحقن بالبنسلين) إذا لم يحدث إحمرار حول مكان الحقن .

* * *

ومن الجدير بالذكر أن اختبار حساسية الجلد للبنسلين طويل المدى يستطيع تشخيص إمكانية حدوث حساسية للعقار فى خلال عشرين دقيقة بسهولة ؛ إذ هو ذو حساسية عالية ، ولكنه قد يحمل خطر حدوث تفاعلات حساسية ــ بسيطة أو شديدة ــ نتيجة لحقن واحد أو أكثر ، من المفاعلات الثلاثة فى الجلد .

* * *

من المؤسف أن اختبار الحساسية فى (مصر) يتم بحقن مفاعل واحد فقط فى الجلد ، وهو البنسلين الخام غير مُطوَّر كعنصر وحيد لإجراء اختبار الحساسية ، نظراً لعدم توافر المفاعلَيْن الآخرين ، مما يُقلّل كثيراً من حساسية وأهمية اختبار حساسية البنسلين ، كوسيلة لتشخيص إمكانيـة حدوث تفاعلات حساسية بعد الحقن بالبنسلين طويل المدى .

طريقة اختبار أخرى :

من الجدير بالذكر أيضاً ، وجود طريقة أخرى للقيام باختَبار حساسية البنسلين ــ غير الحقن فى الجلـد ــ وذلك عن طريـق وضع نقطــة من المفاعلات الثلاثة على الجلد ، ثم يتم وخْز أو خَدْش الجلد فى مكان نقطة العقار . وهذه الطريقة أقل حساسية من طريقة حقن المفاعلات فى الجلد ، ولـكنها أقـل خطـورة منها فى تسبب حدوث تفاعلات حساسية .

ويتم اللجوء إلى هذه الطريقة الأخيرة (قبل طريقة الحقن) ، إذا كان المريض يعانى من حدوث تفاعلات حساسية شديدة سابقة ، بعد الحقن بالبنسلين طويل المدى ، لتجنب حدوث تفاعلات حساسية شديدة ، بعد إجراء اختبار حساسية البـنسلين بواسطـة الحقـن الجلـدى ، وإذا كان الاختبار سالباً يتم إجراء الاختبار بواسطة الحقن الجلدى .

٣ ــ قيـاس نسبـة الأجسام المضادة « هـ » الخاصة بالبنسلين : Penicilloyl Specific ige فى المصل . والاختبار المستخدم حاليا يعد ذا أهمية محدودة ، ولهذا يعد ــ فى الوقت الحاضر ــ أفضل وسيلة حسَّاسة ، فعالـة ، سهلـة ، لتشخيص إمكانية حدوث تفاعلات حساسيَة للبنسلين ، وذلك بالجمع بينها ، وبين الاستفسار ، عن سابقة حدوث تفاعلات حساسية ، فى خلال الثلاثة أيام الأولى بعد الحقن بالعقار .

وإلى مقالنا التالى حيث نختتم هذه الحلقات بالحديث عن مرض الحمى الروماتزمية ، بإلقاء الضوء على علاج حساسية البنسلين ، وعلاج مرض الحمى الروماتزمية معاً .

«وَيخلق مَا لا تعلمُونَ ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد . د/ نجوى السيد أحمد

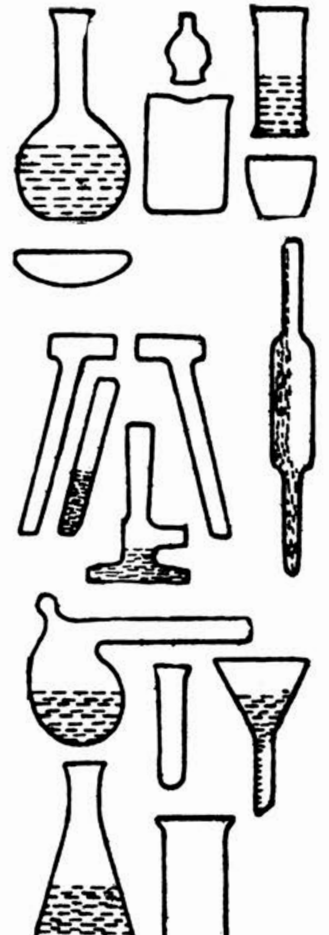

سيارة تعمل بالطاقة الشمسية

قامت إحدى شركات الطاقة الكهربائية فى ولاية «تكساس» بتطوير سيارة شمسية ذات مقعدين يمكنها أن تستخدم الخلايا الشمسية وتسير بسرعة ٦٠ كيلومتراً فى الساعة ، أما إذا استخدمت معها محركات من الطاقة الكهربائية والتى يتحكم فيها كمبيوتر فيمكنها أن تسير بسرعة ١٢٠ كيلومتراً فى الساعة ، وهذه السرعة تجعل السيارة ضمن السيارات المسرعة فى العالم .

مدفع لإطفاء الحريق

تم إنتاج أحدث مدفع يتم استخدامه لإطفاء النار فى أماكن الحرائق الكبيرة ، ويحمل المدفع فوق سيارة الاطفاء ويمكن توجيهه نحو مركز النيران بسهولة وبدون أى توقع للخطأ ، ويتميز المدفع بأنه يتحكم فى سرعة وصول مادة الإطفاء إلى الحريق كما أنه يحمى رجال الإطفاء من التعرض للنيران ، ويعطى مجالا أكبر لرؤية واضحة لموقع الحريق خلال مكافحة النيران .

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث .

تليفـون للرأس

اختـرع خبراء الاتصالات فى « السويـد » تليفونـاً جديـداً يريح اليديـن خلال المحادثـات التليفونية ، ولا يسبب أيَّة أضرار للجسد ، وهو عبارة عن سماعة تعلق بالقرب من الأذن ومتصلة بزر كبير مزود بمفتاح تحكم إلكترونى لرفع أو خفض الصوت القادم عبر السماعة إلى جانب ميكرفون صغير لنقل الكلام إلى الطرف الآخر .

آلة حديثة لقطع الخزف

تم تصنيع أحدث آلة لقطع الخزف بسرعة كبيرة وبدقـة متناهيـة ، والآلة مزودة بشوكـة الخدش ذات الحافـة المدببـة المصنوعـة من « التنجستون » ، حيث يتم خدش القطعة الخزفية المراد تشكيلها ثم تفصل بسهولة .

الليزر لتحسين إنتاجية الحبوب

أعلنت أكاديمية العلوم السوفيتية أن إنتاجية القمح والشوفان يمكن زيادتها ــ إلى حد كبير ــ بعد تعريض التقاوى إلى نبضات من أشعة الليزر ، حيث يتم تعريض تقاوى الحبوب لأشعة الليزر الزرقاء الناتجة من « الهيليوم » « والكادميوم » لمدة ساعتين ثم تعرض التقاوى لأشعة الليزر الحمراء الناتجة من « الهيليوم » «والنيون » لمدة ساعتين ، وبهذه الطريقة يمكن الحصول على إنتاجية أكبر للقمح بجانب احتواء حبوبه على نسبة عالية من البروتين .

الهندسة الوراثية لإيقاف نمو الخلايا السرطانية

أعلن فريق من العلماء الاستراليين أنهم تمكنوا بعد تجارب استمرت عدة سنوات من وقف نمو الخلايا السرطانية بواسطة وقف عمل الجينـات المسببة للمرض ، وذكر أحد الأساتذة بالجامعة القومية الاسترالية أن إحدى عمليات الهندسة الوراثية التى طورها فريقه أوقفت بدرجة كبيرة الورم الليفى فى المعمل حتى أن الخلايا السرطانية عادت إلى حالتها الطبيعية الحميدة ، وقد استخدم الفريق البحثى مورِّثًا (جيناً) يشبه « الجين » المسبب للأورام ودعموه بمادة كيميائية حيوية لتنشيطه فأدى ذلك إلى حدوث معركة جينات تمكن خلالها من الجين المسبب للسرطان وحوله إلى جين خامل .

الحيوانات الصَّدفية لرصد تلوث المياه

ابتكرت « هولندا » جهازاً جديـداً لقيـاس التلوث فى المياه يعتمد على استخدام الحيوانات الصَّدفيـة المعروفـة « ببلـح البحـر » فى رصد التلوث . والجهاز الجديد يتألف من ثمانية من هذه الحيوانات الصدفية مزودة بآلة « إليكترونيـة » تقيس مقدار انفراج صدفات « حيوان » البحر عن بعضها ، وعندما تظل ست من أصل الثمانى صدفات مقفلة لمدة خمس دقائق ينطلق جرس إنذار منبهاً إلى أن تغييرا قد حدث فى الماء ، ويعتمد الابتكار الجديد على طبيعة حيوان « بلح البحر » وحيث يترك صدفتيْه منفرجـتين لدخـول الماء وخروجه ولكنه بمجرد أن يشعر بتغير فى البيئة مثل التلوث يقوم بإغلاقهما .

دواء جديد لعلاج الصدفية

حصلت إحـــدى الشركات الأمريكيـــة للمستحضرات الطبية على موافقة إدارة الأغذية والأدويـة الأمريكيـة بالبـدء فى إجـراء تجارب إكلينيكية على استخدام دواء جديـد موضعـى لعلاج داء « الصدفية » الجلدى عن الإنسان الذى يتميز بظهور بقع حمراء وقشور على الجلد .

وقالت الشركة : إن هذه هى المرة الأولى التى يصل فيها دواء إلى المرحلة التجريبية من النوع الذى ينتج بالاستعانة بأساليب متطورة باستخدام الكمبيوتر .

برامج «كمبيوتر» لاكتشاف الخلل الذى يحدث فى الآلات

تمكنت إحدى الشركات البريطانية من إنتاج برامج كمبيوتر يمكنها اكتشاف الأخطاء والعيوب فى الآلات الضخمـة والأجهـزة التـى تعمــل بمحركات توربينية أو غازية وتجنب الكـوارث الناتجة عن هذه الأخطاء ، تقوم البرامج على فكرة إيجاد التشخيص الهندسى وتـدوينها فى برنـامج «كمبيوتر» شخصى حيث يتم تركيـب أدوات الاستشعار الالكترونيـة فى الجهـاز أو الماكينـة وتوصل «بالكمبيوتر» ، وتم تطوير البرنامج لتقييم المعلومات الناتجة عن هذا التوصيل ؛ وبذلك يتم توفير تكاليف الإصلاح الباهظة لهذه الآلات .

تربة جديدة تقاوم الآفات

اكتشف العلماء فى مجال الزراعة باستراليا نوعاً جديداً من التربة أطلق عليها اسم « الطين الأحمر المعقم » يحمى جذور النبات من الآفات ويساعدها على النمو ، مما يجعله وسيلة المستقبل للسيطرة على الآفات والأمراض التى تهاجم النباتات ، ذكر العلماء أن هذا الطين يتم إنتاجه عن طريق تحرك المورثات « الجينات » فتتكـون مادة بيولوجيـة قادرة على إبادة الحشرات التى يتعرض لها النبات ويعطيه مقاومة طبيعية ومستمرة .

أحدث جرار زراعى صغير

صمم الاتحاد الصناعى بـ« لينينجراد » جراراً صغيراً يمكنه تنفيذ ٩٠ عملية مختلفة فى مجالى الزراعة والمرافق العامـة مثـل : حش الحشائش والأعشاب ونشر الخشب وتنفيذ أعمال التحميل والتفريغ وتسوية الطرق ونقل المشحونات .

والجرار سهل القيادة ؛ لأن جميع عجلاتـه موجهة تدور إلى اليسار واليمين فيتحرك بدون دوران وله ٨ سرعات ، وتبلغ أقصى سرعة له ٢٥ كم فى الساعة ، وتتيح وحدة تغيير الاتجاه الخاصة به فرصة الانتقال مباشرة من الأمام إلى الخلف مهما كانت سرعته ، كما أنه يوفر الراحة للسائق ، وتحتوى « كَبِينَتُه » على ثلاجة .

اللغة والنقد والأدب

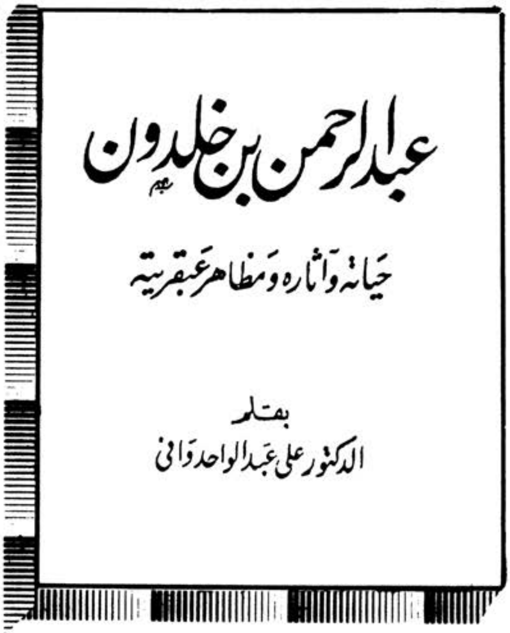

عرض وتقديم
عبدالسلام ابراهيم ناصف

تعرض المجلة فى هذا العدد لكتاب الأستاذ الدكتور على عبدالواحد وافى « أستاذ علم الاجتماع » بالجامعة المصرية ، وأحد عُمُدِهِ ـ رحمه الله ـ .

والكتاب بعنوان : (عبدالرحمن بن خلدون) ـ حياته ، وآثاره ، ومظاهر عبقريته ، ويقع فى ثلثمائة وثمانية وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، ويحتوى على بابين .

الأول منه على أربعة فصول يتحدث فيه المؤلف عن حياة ابن خلدون بدءاً من مولده ونشأته وتلمذته وتحصيله العلمى ، ثم عرج إلى مرحلة الوظائف الديوانية والسياسية ، فمرحلة التفرع للتأليف ، وأخيراً مرحلة التدريس والقضاء .

وفى الباب الثانى ويشتمل على تسعة فصول ، يوضح فيها آثار ابن خلدون ، ومظاهر عظمته وخصص الفصل الأول فيه لتقرير أن ابن خلدون منشىء « علم الاجتماع » وبقية الفصول لإظهار عبقريته فى العلوم والمعارف الأخرى

ويجدر بنا ـ ابتداء ـ أن نتعرف على المؤلف فهو الأستاذ الدكتور على عبدالواحد وافى أحد رواد « علم الاجتماع » فى مصر وأحد أعلامه .

الذى ولد فى ٣ من مارس ١٩٠١ « بأم درمان بالسودان » ، حيث كان والده يعمل بها ـ ثم التحق بالمعاهد الأزهرية عقب عودته ـ ثم بكلية دار العلـــوم وتخرج فيها عام ١٩٢٥ . وكان أول الناجحين بها فأوفدته وزارة المعارف إلى « جامعة السوربون » التى حصل منها على درجة « الليسانس فى الفلسفة » ثم حصل على درجة الدكتوراه فى

«علم الاجتماع» فى مايو ١٩٣١ـ بعدها عين مدرسا لعلم النفس والتربية والاجتماع فى «كلية دار العلوم» وكليات الآداب ـ وأنشأ بها قسم الاجتماع ـ وله فيه مؤلفات فاقت الخمسة والأربعين مؤلفا ، ولقد انضم لمجمع اللغة العربية فى مايو ١٩٨٤ .

وظل يعمل فى خدمة العلم ـ حتى وافته المنية فى أواخر عام ١٩٩٠ ـ رحمه الله ـ رحمة واسعة .

مهد المؤلف للكتاب بمقدمة قصيرة تنحصر فى رغبة المؤلف فى كشف عبقرية ابن خلدون التى أرست (قواعد علم الاجتماع) أو (السيسولوجيا Sociology) وفيما خلفه من آثار فى كل ميادين المعرفة والعلوم ـ برغم ما تعرض له من فتن ومكايد ومؤامرات طوال حياته المضطربة ، ورغم انشغاله بالعديد من الوظائف السياسية والديوانية والقضائية ، فقد خلف تراثاً فى كل ميادين المعرفة لا يجاريه فيه أحد قبله ولا بعده ـ فقد كان فريداً فى عبقريته .

ولنمض إلى الكتاب حيث الباب الأول الذى يتحدث فيه : عن حياة ابن خلدون ، وفيه الفصول الأربعة التى أشرنا إليها .

وفى الفصل الأول يتحدث عن مرحلة المولد والنشأة والتلمذة والتحصيل العلمى .

التعريف به : هو أبو زيد ولى الدين عبدالرحمن بن خلدون المالكى الحضرمى من أصل عربى عاشت أسرته بالأندلس ـ ثم نزحت منها إلى تونس بعد اضطراب أحوالها .

مولده : ولد ابن خلدون بـ(تونس) العاصمة فى غرة رمضان عام (٧٣٣) سبعمائة وثلاثة وثلاثين للهجرة النبوية ، والذى وافق يوم السابع والعشرين من مايو عام اثنين وثلاثين وثلثمائة وألف للميلاد (١٣٣٢م) ، ولازالت الدار التى ولد بها قائمة حتى الآن تشغلها مدرسة الإدارة العليا بتونس .

نشأته : نشأ ابن خلدون فى بيئة دينية اهتمت بتحفيظه القرآن الكريم وتجويده بأحد مساجد تونس القديمة الذى لا يزال قائماً بها ، ويعرف بمسجد «القبة » ـ وكان أبوه ـ رحمه الله ـ هو مُدَرِسُهُ الأول إلى جانب العديد من العلماء والمشايخ الذين نزحوا من الأندلس إلى تونس واستقروا بها ـ وقد درس على أيديهم العلوم العربية والشرعية ، والفسلفية والطبيعية والرياضية وتعمق فى دراسة أمهات كتب : التفسير والسنة والفقه المالكى ، والتاريخ والأدب والشعر ، وغيره من فنون العرب وعلومهم فى سن لا يجاوز العشرين من عمره ـ حتى نكبت تونس ـ مع بقية بلاد المشرق والمغرب ـ بمرض الطاعون الجارف عام ٧٤٩هـ فهجرها علماؤها ومشايخها ـ مما أدى إلى انقطاعه عن الدرس والتحصيل .

وفى الفصل الثانى الذى يتحدث عن مرحلة الوظائف الديوانية والسياسية فى المغرب والأندلس (٧٥١ ـ ٧٧٦هـ) (١٣٥١ ـ ١٣٧٤) نعلم أن ابن خلدون اتجه إلى العمل بعد انصرافه عن التعليم ـ فتبوأ العديد من وظائف المغرب أدناه

وأوسطه وأقصاه ؛ غير أنه كان يحلم بمناصب أعلى فيتوق لوظيفة «الحجابة» التى تماثل وظيفة رئيس الوزراء .

وتلك النزعة جعلت البعض يلومه ، وعندما لم يُشبع المغرب طموحاته ورغباته ، وضاق عليه بالمناصب الرفيعة هاجر منه إلى الأندلس موطن أسرته ونزل « بغرناطة » التى كان بينه وبين حاكمها ووزيره علاقة وطيدة وصداقة متينة فاستخدماه سفيراً لهما ، وقرباه من مجلسيهما ، لأكثر من ثلاثين شهراً غادر الأندلس بعدها إلى « بنجاية » فى المغرب الأوسط حيث مُنِحَ (وظيفة الحجابة) التى كان يحلم بها ـ إلا أن عدم الاستقرار السياسى الذى غير الحكومات وبدل الدول أجبره على النزوح إلى « بسكره » على مشارف صحراء « الجزائر » الكبرى فلجأ إلى المطالعة والبحث من جديد بعيداً عن مهاترات السياسة والدسائس والمؤامرات ـ لكن الحنين إلى الجاه والسلطان فى الوظائف جعله يهاجر عام ٧٧٦ هـ إلى الأندلس مرة أخرى ـ فنـــزل «بغرناطة » ولم يجد ضالته المنشودة فغادرها فى نفس العام وعاد من حيث أتى .

وفى الفصل الثالث : مرحلة التفرغ للتأليف ٧٧٦ ـ ٧٨٤ هـ ١٣٧٤ ـ ١٣٨٢ م .. نتبين أن ابن خلدون نزل « بتلمسان » حيث كان أخوه فى خدمة أميرها ـ وقد رغب فى القراءة والتحصيل والتفرغ للتأليف ، واستطاع أن يهرب بأسرته إلى قلعة بنى سلامة فى مقاطعة « وهران » وتبعد نحو ستة كيلومترات إلى الجنوب الغربى من مدينة « فراندا » الحالية Frenda بدولة الجزائر ، فاستقر بها مع أسرته زهاء أربعة أعوام ألف فيها كتابه الشهير « العبر » وقدم لهذا المؤلَّف ببحث عام فى شئون الاجتماع الإنسانى وقوانينه ـ وهو الذى اشتهر فيما بعد باسم (مقدمة ابن خلدون) ـ وكان يشتمل على خطبة الكتاب (مقدمة) فى سبع صفحات ، ومقدمة فى فضل علم التاريخ فى ثلاثين صفحة ؛ وستة أبواب فى شئون العمران فى ستمائة وخمسين صفحة .

كان ابن خلدون يود أن يقتصر بحثه على تاريخ المغرب ـ لكنه عاد ووسع نطاقه ليشمل تاريخ جميع الأمم الشهيرة ـ ولذا أطلق عليه اسم « العبر ، وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » .

استغرق إعداد الكتاب نحو أربع سنوات (٧٧٦ هـ ـ ٧٧٩ هـ) ولما كانت القلعة شحيحة المراجع فقد انتقل منها إلى تونس (٧٨٠ هـ) حيث عكف على البحث والتأليف والتدريس لكثرة المخطوطات والمؤلفات والكتب ، وحيث يكثر العلماء والمشايخ المهاجرون من الأندلس بالإضافة إلى راحته النفسية ؛ إذ هى موطنه ومسقط رأسه ـ وفيها نقح كتابه الشهير ثم أهداه لسلطانها اعترافاً منه بفضله وفضل تونس ـ وطلب منه السماح له بأداء فريضة الحج عن طريق مصر فوافقه وأعانه عليها وأبحر إلى الإسكندرية عام ٧٨٤ هـ وقوبل بترحاب وتعظيم ، ولم يمكث بها كثيراً ولم يجهز

نفسه للحج وإنما اتجه إلى القاهرة حيث المعرفة والعلم والثقافة وحيث «الأزهر» فاتخذ من أروقته مدرسة يلتقى فيها بتلاميذه ومريديه ـ وتصدر حلقة الدرس ، وكان يدرس الحديث والفقه المالكى إلى جانب تدريس نظرياته الاجتماعية التى لاقت قبولا وصل مداه إلى السلطان « برقوق » الذى عينه فى منصب تدريس الفقه المالكى بمدرسة القمحية عام ٧٨٩ هـ .

وفى عام ستة وثمانين وسبعمائة للهجرة خلع عليه السلطان لقب « ولى الدين » وأولاه منصب **(قاضى قضاة المالكية فى مصر) .**

توخى ابن خلدون فى أحكامه العدالة وعدم المحاباة والمساواة بين الجميع ؛ مما أثار حفيظة **الحاقدين الذين وَشَوْا به عند السلطان فما لبث أن عَزَلَهُ فى العام التالى ، وعندما عزم على أداء فريضة** الحج عام ٧٨٩ هـ ووفقه الله إلى أدائها ، عاد فى العام التالى إلى القاهرة ؛ حيث عين فى منصب كرسى الحديث بمدرسة « ضرغتمش » بجوار جامع ابن طولون ، ثم ولى إلى جانبه وظيفة (شيخ خانقاه) بيبرس « تكية بيبرس » وفى عام ٨٠١ هـ عين فى منصب (قاضى قضاة المالكية) للمرة الثانية ـ وقد تمكن من زيارة (بيت المقدس) والأماكن المقدسة بها خلال شغله لهذا المنصب الذى عزل منه عام ٨٠٣ هـ وكان الوضع السياسى المتقلبْ يؤثر على استقراره بهذا المنصب ـ فكان يعزل منه بعد تعيينه فيه ـ إلا أنه كان مع تلاميذه ومريديه لا ينقطع عنهم ولا عن حلقة التدريس والبحث والتأليف حتى وافته المنية .

وفاته : توفى ابن خلدون فى السادس والعشرين من رمضان عام ٨٠٨ هـ الذى يوافق ١٦ مارس ١٤٠٦ م ـ كان يعيش فى حى (بين القصرين) وحى الروضة بالمنيل .

مدفنه : دفن ابن خلدون فى مقابر الصوفيين خارج باب النصر فى اتجاه الريدانية « العباسية » ولا يعرف موقع قبره بهذه المنطقة على وجه اليقين .

الأزهر والمراصفة والأدب

مراصفة آخرون .. نابغون

- ٤ -

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

الشيخ : زين المرصفى
الشيخ : أحمد شرف الدين المرصفى
الشيخ : محمد أبو سليمان المرصفى
الشيخ : محمد عبد الوهاب المرصفى
الشيخ : محمد أنور المرصفى

مازال فى جعبة قرية (مرصفى) الكثير من الأعلام من نجباء أبنائها ، وهم ، كما يقول الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، فى التأليف العربى ، ليسوا أبناء أسرة واحدة ، كما قد يخطر على البال لأول وهلة ، ولكنهم أبناء قرية واحدة .. وقد لا يكون بينهم من القرابة أكثر مما يكون بين أهل القرية الواحدة ، ولكن هذه النسبة تضمهم جميعا فى الفضل ، إلى سلك واحد ، وهم يرجعون ذلك إلى مئات من السنين ، منذ قام للأزهر جدار للتعليم الدينى فى مصر[1] .

وقد قام الأستاذ محمد عبد الجواد ـ وهو يعد كتابه عن الشيخ حسين المرصفى ـ بزيارة قرية (مرصفى) ، واتصل بكثير من علمائها ومتعلميها ، وقد صحَّح نسبة كتاب (القول المراد من بانت سعاد » الذى نسبه (سركيس) فى معجمه ص(١٧٣٧) إلى الأستاذ محمد حسن نائل المرصفى ، والحقيقة أنه من تصنيف (السيد محمد حسن قدوسة المرصفى) ـ خريج دار العلوم سنة ١٨٩٤ ـ الذى كان مدرسا بالمدرسة السعيدية وقد قال الشيخ محمد عبد الوهاب حلاوة فى تقريظه :

شرحت ـ وشرحك القـــــول المراد فبان الشعـر عن : (بانت سعـــاد..)

(١) انظر كتابه أعلام من الشرق والغرب ، ص ٧٠

ويقول الشيخ التفتازانى بعدد الأهرام الصادر فى فبراير سنة ١٩٣١م ـ فى حديث الصيام ـ عن أستاذه الشيخ سيد بن على المرصفى : « هذه القرية الكبيرة ، الواقعة إلى جوار (بنها) أخرجت لمصر ـ وللعلم والعربية ـ منذ أجيال ، عشرات من حملة ألوية الأدب والفضل .. فمن يذكر المرحوم الشيخ زين المرصفى ، يذكر مفخرة من مفاخر الجيل الماضى ، ومن يذكر الشيخ حسين المرصفى ، يذكر النبوغ والعبقرية .. وكذلك أهل (مرصفى) ، من المشتغلين بطلب العلم أو بخدمته ، يتقنون كل ما يعرضون له بالدرس(٢) .

١ ـ والشيخ زين المرصفى الذى تحدث عنه التفتازانى ، ترجم له أحمد تيمور باشا فى كتابه : (تراجم أعيان القرن الثالث عشر) ، وكان يجيد الفرنسية ، التى تعلمها حين ذهب مع الأمير حسين كامل ـ تلميذه ـ إلى (فرنسا) ، كما اتفق ذلك من قبل لرفاعة الطهطاوى حينما ذهب إليها إماماً للبعثة التى أوفدها محمد على إلى فرنسا ، وقد جاء زين المرصفى إلى القاهرة مع أبيه الشيخ أحمد ، أيام عباس الأول ، ليتولى الأب وظيفة فى دائرة هذا الخديوى ، فحفظ القرآن والمتون ، وطلب العلم بالأزهر ، حتى صار علما من الأعلام ، وله مع الشيخ جمال الدين الأفغانى مواقف مشرفة . وقد اختير عضوا بالمجلس العالى بنظارة المعارف ، مع الشيوخ : حسين المرصفى ، ومحمد عبده ، وحسُّونة النواوى ، وذلك بمقتضى الأمر العالى الصادر فى ٢٨ من مارس سنة ١٨٨١م وكان له أخ أديب وشاعر ، هو : عثمان المرصفى ، وللشيخ زين المرصفى من المؤلفات :

١ ـ منظومة من ٣٣ بيتا ، فى آداب البحث .

٢ ـ التحفة الحسينية فى القواعد النحوية (نظم) وضعها وهو بباريس سنة ١٨٧٥م ويقول فى آخرها :

واقْطُفْ ثمار النحـــو من هذا ، وَفِـــى جنـح الدجى اسْتَغْفِرْ لزيْـن المرصفـــى(٣)

٢ ـ ومن نوابغ (مرصفى) فضيلة الشيخ أحمد شرف الدين المرصفى :

كان مدرساً بالأزهر ، وانتدب محاضراً بدار العلوم ، فى التفسير والحديث ، ويُقال إن الزعيم (سعد زغلول) كان من تلاميذه النجباء(٤) .

٣ ـ ومنهم أيضا الشيخ محمد أبو سليمان المرصفى : تلقى العلم بالأزهر ، الذى تخرج عليه جمْع من العلماء ، فمن تلاميذه : العلَّامة الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية ، والشيخ محمد البنا السبكى ، والشيخ مؤمن الشبلنجى ، مؤرخ عصره ، صاحب كتاب (نور الأبصار فى مناقب بيت النبى المختار)(٥) .

(٢) انظر كتاب (الشيخ الحسين بن أحمد المرصفى) للأستاذ محمد عبد الجواد ط دار المعارف سنة ١٩٥٢ ص ٢٠ .
(٣) المصدر السابق ص ١٢٦ .
(٤) المصدر السابق . (٥) المصدر السابق ص ١٢٨ .

ويقول الأستاذ محمد عبد الجواد ، الذى شاهد أهل قرية (مرصفى) عن كثب : « يظهر أن ظاهرة حفظ القرآن الكريم ، لاتزال سائدة فى (مرصفى) ، فترى الفلاح فى حقله ، لا ينفك عن تلاوة القرآن ، وهو يسوق الساقية ، أو يشتغل بضَفْر الخوص وجَدْله »(٦) .

« والقرية – كما ذكر صاحب الخطط – تمتلىء بالمساجد ، وتكتظ بالجماعات الصوفية ، ويكثر فيها الأولياء الصالحون » .

ويذكر على مبارك فى الخطط (جـ ١٢ ص ٤٠) عن قرية (مرصفى) أن لأهلها اعتناءاً زائداً بتعليم أولادهم القراءة والكتابة ، فيعلمونهم فى المكتب ، ثم يُلحق كثير منهم بالأزهر .

ويتحدث الأستاذ محمد عبد الجواد عن أعلام قرية (مرصفى) فى القرن العشرين ؛ فيذكر منهم الشيخ محمد عبد الوهاب حلاوة المرصفى ، وكان الشيخ محمد هذا من العلماء الأفاضل ، فقيها ومحدثا ، وشاعراً .. حفظ القرآن والمتون وهو ابن عشر سنين ، وألحقه والده بالأزهر ، وأشرف عليه ابن عمه : الشيخ الحسين المرصفى ، وتلقى عنه ، وعن مشايخه ، ومن مؤلفات هذا العالم الجليل :

(ا) كتاب الشمائل النبوية .

(ب) نصرة الدين فى الرد على المبشرين .

(جـ) تخميس همزية البوصيرى ، التى يستهلها بقوله :

كيف ترقى رَقيَّكَ الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء وكان تخميسه فنيا رائعا ، وقد قرظه الشيخ حمزة فتح الله .

(د) تشطير البردة ، وله قصائد أخرى رائعة فى مدح الرسول ﷺ .

٥ – وآخر من تحدث عنهم الأستاذ محمد عبد الجواد – السيد محمد أنور المرصفى ، نجل محمد حسن نائل المرصفى ، الذى تحدثنا عنه فى العددِ الماضى من الأزهر .

وقد وَالَى : محمد أنور المرصفى إصدار المجلات التى كان يصدرها والده ، بعد وفاته .

ويذكر الأستاذ عبد الجواد ، فى ختام كتابه عن الشيخ حسين المرصفى ، مرجعا حيًّا بالقرية ، هو الشيخ الصياد حواش المرصفى ، مأذون قرية مرصفى ، إذ يعتبر بحق قاموسا تاريخيا لأهل مرصفى ، وعلمائها خاصة ، وأعيانها عامة ، يقول : وقد لازمنى فى رحلتى إلى مرصفى يوما وليلة ، فعلمت عن القرية ما لم يعلمه كثير من أهلها(٧) .

ونختتم الحديث عن المراصفة والأدب والأزهر ، ونحن نتمنى أن يقوم الكرام الكاتبون ، فى شتى أنحاء القرى والمدن ، بالكتابة عن أساطينهم فى شتى العلوم والمعارف والآداب ، لتظفر المكتبة العربية بموسوعة عن أعلام مصر ، الذين نعتز بهم ، ونحرص على السير على منوالهم ، لا تقليدا حرفيا لهم ، ولكن للاحتذاء بهمهم العلياء ، والانتفاع بتراثهم الباقى على مر الزمن .

(٦) المصدر السابق ص ٢١ .

(٧) المصدر السابق ص ١٤٣

بين المجلة والقارىء

إعداد وتقديم د / محمد عبد الحكيم محمد

الأخلاق المحمدية وآثارها فى التربية

تعتبر مدحة الكبير المتعال لسيدنا رسول الله ﷺ بقوله : « وإنك لعلى خلق عظيم » سورة (ن / ٤) ، شهادة عظمى له ﷺ بالخلق الرفيع ، فهذا الجانب فيه ﷺ كالمحيط الممتد الذى كلما أرجعت فيه البصر لم تجد له نهاية ، وكم كان « هرقل » امبراطور الروم فطناً عندما سأل « أبا سفيان » عن رسول الله ﷺ أمام نفر من قومه : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال أبو سفيان : لا ، فعلق هرقل قائلا : « إنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله » وهكذا .

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

حول أثر الأخلاق المحمدية فى التربية والتوجيه كتب الشيخ / مصطفى فتح الباب ، أحد أئمة المساجد فى بنى مزار بالمنيا :

ربّى النبىّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ صحابته على أن قوام الإسلام « حسن الخلق » فهو الحارس الأمين ، والسياج المتين ، الداعى إلى الصدق فى القول ، والوفاء بالوعد ، والإخلاص فى العمل ، وأداء الواجب ، ومساعدة الضعيف ، والاعتماد على النفس ، والمثابرة على العمل ، والمحافظة على الوقت ، ومراعاة العدالة فى أمورهم ، وطاعة الله ورسوله ، والأخوة للمؤمنين ، وإعظام الجار وتكريمه ، والسمو عن صغائر النفس الإنسانية كالحقد والشحناء والتمادى فى الباطل .

كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنموذجاً فريداً فى كل أقواله وأفعاله ، فقد سئلت أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن خلق رسول الله فقالت : كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط

بسخطه[1] ولم تبالغ السيدة عائشة – رضى الله عنها – لأن القرآن لم يذكر آية قيمة من القيم الأخلاقية إلا وكان لها مكانها الثابت فى شخصية الرسول – عليه الصلاة والسلام –

ووصفه ابن أبى هالة بقوله : « كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح[2] ، وكان ﷺ أصدق الناس لهجة ، وأوفاهم ذِمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عِشرة ، وأشدّ حياء من العذراء فى خِدرها ، خافض الطرف ، أكثر نظره التفكير ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، وكان ﷺ يحفظ جاره ويكرم ضيفه ، لا يمضى له وقت فى غير عمل لله .

يُحب التفاؤل ويكره التشاؤم ، وكان أرحم الناس وأشدهم إكراماً لأصحابه ، متواضعاً جمّ التواضع ، يعود المريض ، ويحب المساكين ، ويجالسهم ويشهد جنائزهم ، ولا يحقر فقيراً لفقره ، ولا يتميز على أحد من أصحابه ، فضرب لهم أروع الأمثلة العملية فى أفعاله وأقواله حتى أحبوه أكثر من أولادهم وأزواجهم ، بل أكثر من أنفسهم فجزاه الله – تعالى – خيرما جازى به نبياً عن أمته ورسولاً عن قومه ، ولقد انعكست هذه التربية النبوية العملية على أصحابه – رضوان الله عليهم – بما لا يتسع المقام لذكره .

العين حق

اختلفت الأقوال – بين مؤيد ومعارض – فى تأثير ضرر عين العائن للمعيون ، وكذلك الضرر الذى يقع على المحسود من الحاسد ، وهذه محاولة طيبة من الأستاذ/ محمد نجيب لطفى – من الفيوم – العدوة – لإثبات أثر العائن والحاسد وتأييده بالأحاديث النبوية الصحيحة :

لن أتعرض فى هذه العجالة لأقوال أهل العلم من المحدثين والفقهاء الذين يؤيدون أثر العين والحسد فى المعيون والمحسود ، إنما أكتفى بقول الله – تبارك وتعالى – على لسان سيدنا يعقوب : « وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ » (يوسف/٦٧) ، وبقوله – تعالى – : « وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » (الفلق/٥) ، ومن الأحاديث النبوية اكتفى بما يلى :

١ – عن عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها – أن النبى ﷺ قال : « استعيذوا بالله من العين فإن العين حق » رواه ابن ماجة ، الحديث برقم (٣٥٠٨) .

ولو لم يكن للعين ضرر من العائن للمعيون لما أمر النبى ﷺ أمته أن تستعيذ بالله من العين ولما أكد أن العين حق .

(١ ، ٢) راجع « شرح الشفا » للقاضى عياض .

٢ ــ عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « العين حق » . الحديث متفق عليه . رواه البخارى (١٠/٢٠٣) ومسلم فى السلام « باب الطب » ، وهذا الحديث ــ أيضا ــ دليل على تأثير عين العائن فى المعيون .

ولو لم يصح عن النبى ﷺ سوى هذا الحديث بهذا اللفظ البليغ المعبر لكان كافياً للإيمان بتأثير عين العائن فى المعيون ، لكن ينبغى العلم بأن إصابة المعيون كشفائه ، كل بتقدير الله ــ تعالى .. فأما أن تكون العين ذات أثر ذاتى .. فلا .

قال ــ تعالى : « وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ » (البقرة/١٠٢) فإنه لا يقع فى ملك الله ــ تعالى ــ إلا ما يريده .

لا يطلب تطبيق المذاهب الهدامة فى مجتمع إسلامى إلا من كان قاصراً فى معرفة الإسلام ، أو هارباً من المسئولية التى يلقيها الإسلام على كاهله فى طلب الاستقامة ، وأداء الأمانة وتحقيق العدل ، والمساواة بين الناس .

من أجل هذا لا يملُّ دعاة الباطل من مهاجمة الإسلام ، ورميه بالجمود تارة ، وباتهام رموزه وعلمائه تارة أخرى ، حول هذا المعنى كتب الأستاذ/ أحمد محمود الطباخ المدرس الأزهرى « بالبحيرة » :

تنوير أم تعتيم ؟

إنهم ينتهزون واقعنا الذى نعيشه فى تلك المرحلة العصيبة الراهنة ثم يمزجون الأمور ويخلطون المفاهيم وينشرون الظلام باسم النور والجهل باسم العلم ، والكفر باسم الإسلام هؤلاء .. أما يكفيهم ما تعانيه الأمة من ويلات وعلل وأدواء ؟

أما يرون أعداء الإسلام من خارجه لم يتركوا فرصة لمستزيد من داخله ؟

لقد ابتلى الإسلام بتيارات هدامة وقوى باغية ، وجهل من بعض أبنائه يدفعهم إلى تصرف غير مسئول .

نسأل الله ــ عز وجل ــ معرفة سليمة بدينه الذى تكفل بحفظ كتابه الكريم .

من الهدى النبوى ﷺ فى الشراب

وأسهم الطالب / داود الطيب خليفة ـ معهد أبو تشت الأزهرى بقنا ـ بهذه الفوائد فى مجال الطب النبوى .

أخرج الإمام أحمد فى مسند ٣٣٨/١ عن ابن عباس أن النبى ﷺ سئل : أى الشراب أطيب ؟ قال : الحلو البارد .

كذلك قالت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها : كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ : الحلو البارد .

وكان من هديه ﷺ الشرب قاعداً ، وصح عنه أنه نهى عن الشرب قائماً ، وذكر ابن قيم الجوزيه فى كتاب « الطب النبوى » بعض آفات الشرب قائماً ، منها : أنه لا يحصل به الرى التام ولا يستقر فى المعدة حتى يستفيد منه الكبد على الوجه الأكمل .

من إبداعات القراء

صرخة الأقصى ﷺ

فاضت شجـونى حين حلّ الموعـدُ
يا مسجـداً أسرى إليـه محمـدُ
كم من سنين وقـد مضت يا أمتـى
والمسجـد الأقصى بنـا يستنجـد
لكننـى رغـم العـداوة كلهـا
فى ساحتى طفل شجـاع ساجـد

نجاح عبد القادر سرور(*)
مدرس ثانوى بكوم حمادة / بحيرة

(*) نرحب بالشاعر الصاعد صديقاً للمجلة وفى انتظار إبداعات أخرى .

ردود وتعليقات

● **القارىء / أشرف صفوت أمين محمد ـ بتجارة القاهرة فرع بنى سويف :**

فى كلمتكم « خطبة النساء » تناولتم كثيراً من السلبيات التى تعوق إتمام الزواج فى مجتمعنا وتفتح الباب لغوائل الشهوة ، كنقض العهود والمغالاة فى المهور ، والحقيقة أنها مشكلة تواجه مجتمعاتنا وتحتاج من الآباء فهماً مستوعباً لأبعادها حتى يمكنهم تذليل عقباتها .

● **القارىء / عاطف عبد المنعم عصر ـ منيا القمح شرقية :**

ما أثرته من نقاط تتناقض مع البديهيات المسلم بها والمعلومة من الدين بالضرورة ، ولا تحتاج التحويل إلى لجنة الفتوى .

● **القارىء / محمود محمد أحمد أبو الدهب ـ بكلية التربية ـ جامعة الأزهر :**

مرحباً بك صديقاً دائما وفى انتظار أفكاركم ،

مع الاهتمام بالإسناد العلمى وتخريج الأحاديث .

● القــارىء/ ش . ع . ا ـ أبــو حماد ـ شرقية :

● القارىء/ شريف صلاح مجاور خليفة ـ جامعة الاسكندرية :

أحلنا رسائلكم إلى جهة الاختصاص .

● القارىء/ أبو الخير سيد عبد اللطيف مرسى ـ إهناسيا الخضراء ـ بنى سويف :

تلقينا كلمتكم عن « حرمة استحلال أموال الناس » .. ونرجو أن يتسع المجال لنشرها .

● القارئة/ سحر يحيى عبد الحميـد ـ كليـة أصول الدين ـ أسيوط :

محاولتك الشعرية طيبة من ناحية التعبير ، وتحتاج إلى بذل المزيد من الجهد فى دراسة أوزان الشعر وبحوره .

● القارىء/ عماد إسماعيل عبد المجيد ـ طب الأزهر ـ بأسيوط :

نرحب بكـم صديقـاً للمجلـة وفى انتظـار مشاركتكم ، والعمل على إصدار صحيفة أخرى تعضِّد رسالة « مجلة الأزهر » قيد البحث وأما عن الحديث الذى أشرتم إليه فسوف نعود إلى تحقيق مكانته من الصحة فى مراجعه ، إلى جانب دراسة أخرى ستقدم فى القضية فى أعداد قريبة .. مع خالص التقدير .

● القارىء/ عماد عبد العظيم ـ الفيـوم ـ قرية الأعلام :

مرحباً بكـم وبرسائلكـم ، ونرجـو الاهتمام بتخريج الأحاديث النبوية كاهتمامكم ببيان موقع الآيات القرآنية .

● القارىء/ السيد فخر الديـن حسنين ـ الحاصل على إجازة التدريس ـ جامعة الأزهر :

كلمتكم « معنى آية من كتاب الله » كلمة جيدة ولكن نرجو الاهتمام بالإسناد العلمى فى الفكـــرة والآية والحديث ، وفى انتظـــــار اسهاماتكم .

● القارىء/ عاشور محمد محمود أحمد ـ نجع حمادى ـ قنا :

نشكركم على تحيتكم الرقيقة ويمكنكم الاتصال بأى مكتبة إسلامية كبرى فى المركز أو المحافظة بشأن أسماء الكتب المطلوبة وأسعارها ، ونرجو المعذرة فيما طلبت لأنه خارج عن حدود تخصص المجلة .

● القارىء/ السيد على على عمر ـ بلقاس ـ دقهلية :

نأسف .. فليس لدينا قسم لمبيعات المجلة بعد نفادها من الأسواق ، كما أنها فى الغالب يتم توزيعها دون مرتجعات .. رجاء المعذرة .

● الشاعـر/ سمير عبـد الله محمـد حسنين ـ المدرس الثانوى بالأزهر :

مرحباً بكم صديقاً دائماً للمجلـة ورجـاء إرسال المزيد من نتاجكم الشعرى .

● وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يلتقى وسفير « الولايات المتحدة الأمريكية » بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر ـ بمكتب فضيلته السيد/ إدوارد بوكر « سفير الولايات المتحدة الأمريكية فى القاهرة » ، وقد استوضح السيد السفير من فضيلة الإمام الأكبر خلال اللقاء حكم الإسلام فى تأثير الإرهاب والتطرف على قضية السلام فى الشرق الأوسط ، وحقوق الإنسان إزاء موضوع الختان مشيراً إلى ما أثارته محطة « CNN » بإذاعتها لفيلم عن هذا الموضوع .

وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر عن تلك الاستفسارات بأن : الإسلام يحترم حقوق الأفراد والشعوب فى الحرية والاستقلال وتحرير الأرض المغتصبة مؤكداً على أن الإسلام لا يقر أية عمليات إرهابية من أى طرف من الأطراف ، وأنه يدين أية محاولة لعرقلة السلام وعدم استتباب الأمن .

وحول موضوع الختان (الخفاض للبنات) قال فضيلته : بأن الختان مقرر فى الإسلام حيث أوضحته السنة النبوية المطهرة ، وأن الأزهر قد أعلن موقف الإسلام من تلك القضية ، وأن الخطأ فى التطبيق لا يعيب القاعدة المقررة فى هذا الشأن .

كذلك أشار فضيلته إلى أن ما فعلته محطة « CNN » من إذاعتها وعرضها لفيلم تُجرى خلاله عملية « ختان » وتزامن هذا مع انعقاد « المؤتمر الدولى للسكان والتنمية » فى القاهرة ما هو إلا استفزاز لمشاعر المسلمين ، وسخرية من شعب مصر ، وهو عمل مصطنع من هذه المحطة خاصة وأن مصر تقدمت إلى المؤتمر بورقة بما تراه فى هذا الموضوع مؤكداً على أن هذا الصّنيع الذى أقدمت عليه تلك القناة التليفزيونية يعد أمراً لا يجوز فى ممارسة العمل الإعلامى .

الإمام الأكبر يستقبل الأمير بندر آل سعود

استقبل فضيلة الإمام الأكبر سمو الأمير بندر آل سعود سفير « المملكة العربية السعودية » فى « واشنطن » ومدير جائزة الملك فيصل يرافقه الدكتور العثيمين الأمين العام للجائزة حيث تم خلال اللقاء بحث فكرة إقامة ندوة بالقاهرة فى رحاب الأزهر الشريف ، يتم خلالها لقاء الفائزين بجوائز جائزة الملك فيصل فى خدمة الإسلام ، وفى الدراسات الإسلامية ، والأدب العربى .

وقد اتفق على الإجراءات التى تتبع نحو تحقيق هذه الفكرة .

خطة جديدة للتوعية الدينية بالمحافظات

تقرر أن يبدأ خلال الشهر الحالى تنفيذ خطة جديدة للتوعية الدينية بجميع المحافظات من خلال عقد الندوات الدينيــة والفكريــة بالمدارس والجامعات والتجمعات الشبابية .

جاء ذلك فى الاجتماع الموسع الذى عقد بقاعة الاجتماعات ـ بالأزهر الشريف ـ برياسة فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر ـ ، وحضور السادة : وزراء التعليم والأوقاف والإدارة المحلية والسيد الأستاذ رئيس الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة وممثلــو وزارات قطــاع الأعمــال والداخلية ، والشباب والرياضة والشئــون الاجتماعية .

طالب فضيلة الإمام الأكبر خلال الاجتماع كافة الوزارات والمؤسسات والهيئات المعنية فى الدولة بمساندة خطة التوعية الدينية الشاملة باعتبارها خطة قومية لنشر الفكر الدينى المستنير فى شتى أنحاء البلاد .

كذلك طالب فضيلته القائمين على تنفيذ الخطة بضرورة الالتحام بالجماهير ومناقشة القضايا المثارة على الساحة مشيراً فى هذا الصدد إلى أن مصر مستهدفة بما لها من ثقل فى العالم الإسلامى بأزهرها ، وعلمائها .

ثم طالب فضيلته العلماء برصد محاولات خلخلة الصفوف وإثارة الفتنة مؤكداً على ضرورة مواجهة ذلك بالحجة المؤصلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفــة بعيــداً عن الخطب والمحاضرات التقليدية حتى تأتى الخطة بالنتائج المرجوة .

وسوف تتحرك قوافل التوعية الدينية والفكرية التى تضم صفوة كبيرة من العلماء فى كافة التخصصات لإجراء حوارات مفتوحة مع الشباب فى المدارس ، والجامعــــات ، والشركات ، والمصانع ، والأندية ، ومراكز الشباب والسجون فى مختلف المحافظات على مستوى الجمهورية .

شهد الاجتماع فضيلة الشيخ سيد سعود ـ وكيل الأزهر ـ ، وفضيلة رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر ولفيف من قيادات الدعوة بالأزهر الشريف ، ووزارة الأوقاف .

الإمام الأكبر يلتقى والسيد وزير خارجية « جزر القمر »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد الوزير / السيد محمد سقاف وزير خارجية « جزر القمر » وذلك بمكتب فضيلته .

تناول اللقاء بحث أوجه التعاون بين الأزهر الشريف وجمهورية « جزر القمر » فى المجالين : الدينى والتعليمى ، ومدى إسهام الأزهر فى عملية تعريب « جزر القمر » بعد انضمامها لجامعة الدول العربية لإحلال اللغة العربية تدريجياً محل اللغة الفرنسية فى شتى المجالات .

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر فى ختام اللقاء عن سعادته للقاء السيد الوزير ، ووعد ببحث ودراسة كافة الأمور التى تم طرحها خلال اللقاء بمعرفة الجهات المعنية فى الأزهر الشريف تمهيداً لدعم سبل التعاون بين الأزهر ، وجمهورية « جزر القمر » فى مجالى التعليم والدعوة .

الإمام الأكبر يتفقد أحوال المتضررين

من السيول بصعيد مصر

قام فضيلة الإمام الأكبر على رأس وفد على مستوى عال ضم فضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف ، وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد يوسف رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد بشير رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف ، وعدد من أساتذة الطب البشرى بجامعة الأزهر بزيارة لمحافظات : المنيا وأسيوط وسوهاج وقنا ، ومدينة الأقصر للوقوف ـ على الطبيعة ـ على الآثار التى خلفتها السيول التى تعرضت لها محافظات الصعيد خلال شهر نوفمبر الماضى .

وقد بدأ الوفد جولته بزيارة معسكرات الإيواء العاجل التى أقامتها وزارة الدفاع بتلك المحافظات حيث قام فضيلة الإمام الأكبر ، وفضيلة وزير الأوقاف بتسليم الأسر المتضررة بكل محافظة الإعانات اللازمة التى خصصت لهذا الغرض ، وقد بلغت تلك الإعانات نحواً من مليون جنيه بواقع خمسمائة جنيه لكل أسرة متضررة بتلك المحافظات .

كذلك عقد الوفد عدة لقاءات مع القيادات الدينية والشعبية والتنفيذية بالمحافظات ؛ شهدها السادة المحافظون حيث قاموا بالشرح للآثار التى خلفتها السيول وجهود الدولة والمجتمع لمواجهتها .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى جميع اللقاءات على ضرورة قيام القادرين بمد يد العون والمساهمة إلى جانب جهود الدولة التى لم تدخر جهداً فى مواجهة آثار تلك الكارثة ، وعلى ضرورة بدء العمل فى كافة المواقع مشيراً إلى أن اليسر لابد أن يأتى دائما بعد العسر كما أوضح ذلك القرآن الكريم .

وطالب فضيلته الكافة بالتعاون على بناء الدور التى تهدمت وإصلاح المزارع التى أهلكت ، وأشار إلى أن أمتنا ـ شأنها دائماً ـ أن تكون مع الحوادث أكثر تضامناً ومع الضرر أكثر نفعاً وألمح فضيلته فى هذا الصدد إلى أن هذه المحنة يجب أن تدعونا إلى أن نذكر ونتذكر ما وقع من أخطاء فى حياتنا أو فى صلاتنا بالله ـ سبحانه وتعالى ـ مؤكداً على ضرورة أن نراجع أعمالنا وأقوالنا .

استغرقت زيارة الوفد للمحافظات التى أصابتها السيول ثلاثة أيام فى ختامها قام الوفد بزيارة لمدينة الأقصر ، وهناك تم عقد لقاء دينى مع علماء الدعوة شهده السيد رئيس المجلس الأعلى لمدينة الأقصر .

الإمام الأكبر يشهد الحفل الختامى

لتدريب : « الأئمة والوعاظ » الوافدين

شهد فضيلة الإمام الأكبر الحفل الختامى للدورة التدريبية السادسة والعشرين « للأئمة والوعاظ » الوافدين من العالم الإسلامى ليكونوا قادرين على مواجهة التيارات الفكرية والتصدى لحملات التشكيك ضد الإسلام .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة بهذه المناسبة : دعا فيها الأئمة والدعاة من الدارسين أن يكونوا قدوة حسنة فى أقوالهم وأفعالهم وأن يستفيدوا من العلم الذى نهلوا منه ، مؤكداً على أنه لا خير فى علم لا عمل به ، كما أوصى فضيلته بأن يعملوا لله جاهدين فى نشر رسالة الإسلام ، وأن يكونوا دائماً على صلة فيما بينهم وألا تنقطع صلتهم ببعضهم بمجرد عودتهم إلى أوطانهم .

ثم قام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع الشهادات على الأئمة المشاركين فى الدورة ، كما أهدى فضيلة الإمام الأكبر لكل دارس « مكتبة إسلامية » تحوى العديد من أمهات الكتب والمراجع .

شارك فى الدورة أكثر من أربعين داعية يمثلون دول : سيرلانكا ، والكاميرون ، ونيجيريا ، وساحل العاج ، وروسيا ورواندا ، واستراليا .

حضر الحفل السيد مساعد وزير الخارجية للشئون الثقافية والدينية ، وفضيلة الشيخ محمد يوسف عفيفى الأمين العام للجنة العليا للدعوة ورئيس الإدارة المركزية ، ومدير مكتب ـ شيخ الأزهر ـ وفضيلة الشيخ المشرف على مدينة البعوث ، وسفراء الدول المشاركة فى الدورة .

علماء الأزهر الشريف يشاركون فى تطوير التعليم العام

عقد فضيلة الإمام الأكبر اجتماعاً موسعاً حضره السادة جمع من علماء الأزهر والجامعة الذين وقع عليهم الاختيار للمشاركة فى أعمال لجان تطوير مناهج التعليم بوزارة التربية .

وقد تدارس فضيلته معهم المهمة الموكلة إليهم فى تلك اللجان مؤكداً على ضرورة الاهتمام بمناهج « التربية الدينية » و« اللغة العربية » من خلال مزاعاة الأصول التربوية وحضور الشخصية الإسلامية والعربية فى المناهج التى تقرر تطويرها .

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ سيد سعود ـ وكيل الأزهر الشريف ـ ، وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة رئيس الإدارة المركزية ـ لمكتب شيخ الأزهر ـ .

الإمام الأكبر يلتقى وقيادات

التعليم بالأزهر الشريف

عقد فضيلة الإمـام الأكبر اجتماعـاً موسعـاً حضره مديـرو المناطـق الأزهريـــة والإدارات ومستشارو المواد المختلفة ؛ تم خلاله استعراض ومناقشة كل ما يتعلـق بأمـور التعـليم بالمعاهـد الأزهرية والوقوف على المعوقات التى تعترض مسيرتها .

كان من بين الموضوعات التى تمت مناقشتها ما تم تنفيذه من القرارات التى اتخذت فى الاجتماع السابق ـ خاصة ـ ما يتعلق منها بموضوع الأبنية التعليمية التى اسندت إلى « شركات المقاولات » والوقـوف على مدى انجاز تلك الشركات أو تقاعسها .

كذلك تمت مناقشة ضرورة مشاركة مجالس الآباء بالمناطق الأزهرية وقيامها بدور فعال فى حل المشكلات التى تواجه الطـلاب بالمعاهـد الأزهرية .

كما تمت مناقشة الخطة الشاملة لمتابعة الدراسة بالمعاهد الأزهرية التى أعدها قطاع المعاهد ويتم تنفيذها بمعرفة المناطق التعليمية الأزهرية للوقوف على مدى التزام المعاهد وانضباط العملية التعليمية طوال العام الدراسى ، حيث تقرر فى هذا الصدد أن يخطر قطاع المعاهد بنتائج الزيارات الميدانية التى يقوم بها مديرو المناطق وموجهو العموم بصفة منتظمة .

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ وكيل الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وفضيلة رئيس الإدارة المركزية لمكتب ـ شيخ الأزهر ـ والسادة وكلاء الوزارة لقطاع المعاهد .

الإمام الأكبر يستقبل « سفير أندونيسيا » فى القاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد (بورى مونا) سفير أندونيسيا بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر وأندونيسيا حيث عرض السيـد السفير موضوع المنح الدراسية ، ومعادلـة الشهـادات الدراسية للمدارس الإسلامية فى أندونيسيا .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر ببحث الموضوع بعد موافاة الأزهر بأسماء الطـلاب وشهـاداتهم وعرضها على لجنة المعادلات بالأزهر الشريف .

وفى نهاية اللقاء نقل السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهـر ـ تحيات بلاده حكومة وشعباً ، وشكره وتقديره على ما يقدمه الأزهر الشريف للعالم الإسلامى .

على هامش أعمال المجلس الإسلامى العالمى

للدعوة والإغاثة

إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

عقدت « الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة » اجتماعها السادس بالقاهرة بتاريخ ٩ ـ ١٠ نوفمبر ١٩٩٤ برعاية السيد / الرئيس محمد حسنى مبارك ، وبرياسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر ـ ورئيس المجلس ، وشهدها الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف نائباً عن الأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء ، والأستاذ الدكتور عصمت عبد المجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية ، والأستاذ الدكتور وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بالأردن ، ونائب الأستاذ الدكتور حامد الغابد أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامى .

حضر الاجتماع وفود ثمان وأربعين منظمة وهيئة دولية إسلامية وخيرية ونحو عشرين ومائة هيئة ومنظمة دولية ، وقد بلغ عدد الحاضرين نحو ثلاثمائة مشارك يمثلون تلك المنظمات .

بدأت الجلسة الافتتاحية بآيات الذكر الحكيم

وقد ترأس فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر ـ ورئيس المجلس الجلسة حيث ألقى فضيلته كلمة جاء فيها : أرحب بحضراتكم جميعاً فى هذا اليوم المبارك الذى نفتتح فيه أعمال « الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة » فى دورتها السادسة ، هذا المجلس الذى كان أملا فأصبح واقعاً يجتمع تحت لوائه أكثر من أربعين هيئة ووزارة تعمل فى سبيل الخير والتنوير للعقول ، ونشر الدعوة الإسلامية ، هذه الهيئات التى يكتمل بها هذا المجلس تسعى فى الأرض للخير دائماً ونسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يزيدها قوة وترابطاً .

إن مهمة المجلس الأولى هى التنسيق فى عمل الدعوة والإغاثة وسائر مصالح المسلمين الاجتماعية ويشارك المجلس فى أنشطة الهيئات الدولية جميعا . تلك التى تسعى لصالح الإنسانية وتعمل على جمع الكلمة ، وعلى وحدة الصف حتى يقف العالم الإسلامى شامخاً متضامناً متكاملا ؛ هذا ما يسعى إليه هذا المجلس ويود أن يكون تنسيقه عملا

وعاملا مهما فى إنجاح هذه المهمة ، مهمة التنسيق حتى تصل إلى الأهداف التى نرتجيها إن شاء الله .

كذلك ألقى السيد المشير / عبدالرحمن سوار الذهب كلمة أوضح فيها سيادته أهداف المجلس . والدور الذى يقوم به فى مجالات تبليغ الدعوة الإسلامية ، ونشر قيمها الإنسانية فى العالم ، وطالب سيادته بتدعيم المجلس بكل الوسائل حتى يستطيع القيام بالدور الهام المنوط به .

ثم ألقى بعد ذلك السيد السفير / الهادى حنيتش كلمة الأستاذ الدكتور حامد الغابد « أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامى » التى أكد فيها على نضامن المنظمة وتعاونها مع المجلس فى سبيل خدمة مصالح الأمة الإسلامية .

ثم ألقى الأستاذ كامل الشريف « الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة » بيان الأمانة العامة الذى رحب فيه بالحاضرين فى القاهرة ، بلد ـ الأزهر الشريف ـ والحضارة العربية الإسلامية ، وأعرب سيادته عن شكره وشكر المنظمات الإسلامية الأعضاء بالمجلس لحكومة مصر الرشيدة برياسة الرئيس محمد حسنى مبارك للدعم الكبير الذى تقدمه مصر لكل القضايا الإسلامية ، ولاسيما احتضانها للمجلس كمنظمة دولية مما أكسبه مكانة عالية ، وأعانه على السير فى سبيل تحقيق أهدافه ، كما قدم سيادته الشكر للأزهر الشريف ، ولفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وإلى وزارة الأوقاف لما يجده المجلس من تدعيم ورعاية .

وفى ختام كلمته قدم سيادته تعازيه وتعازى المنظمات الإسلامية العالمية فى أنحاء العالم إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى ضحايا الكوارث الطبيعية الأخيرة حيث أعلن سيادته عن تضامن المنظمات الإسلامية الإغاثية مع الضحايا والمتضررين ، ومد يد المساعدة الممكنة لهم .

وفى ختام الجلسة ألقى الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف كلمة الأستاذ الدكتور عاطف صدقى ـ رئيس مجلس الوزراء ـ التى وجهها سيادته للحاضرين ورحب فيها بضيوف مصر التى تؤيد كل عمل إسلامى مخلص يعلى مبادىء الإسلام والتسامح والحب والسلام ، ويحفظ حقوق الإنسان فى الأمن والحرية والكرامة ، وأشاد سيادته بدور المجلس فى مجالات الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتقديم المساعدات الإنسانية إلى المتضررين والمحتاجين متمنياً للمجلس والاجتماع كل النجاح والتوفيق .

أعمال الهيئة

ثم واصلت « الهيئة التأسيسية للمجلس » اجتماعاتها التى استغرقت على مدى يومين أربع جلسات ، ناقشت فيها بيان الأمانة العامة وتقارير السادة رؤساء اللجان المتخصصة حيث استعرضت عدداً من القضايا الإسلامية المطروحة على الساحة ، وجهود المجلس فى مجالات الاتصالات الخارجية والندوات الدولية والمشروعات الإسلامية المشتركة ، وبعض المشروعات المالية والإدارية ، منها مناقشة : إعادة انتخاب الأستاذ/ كامل الشريف أميناً عاماً للمجلس للمرة الثالثة ولفترة جديدة .

بيان بالإنجازات

هذا وقد استمعت الهيئة التأسيسية إلى بيان الأمانة العامة للمجلس الذى تناول ما تم انجازه فى عدد من الدول الإسلامية فى مجال الإغاثة بأنواعها المختلفة من إغاثة عينية : كالغذاء والكساء والدواء والإيواء والخدمات الإنسانية : ككفالة الأيتام والأرامل والمهاجرين ، والخدمات الثقافية والتعليمية : كبناء المساجد والمراكز الإسلامية والمدارس والخدمات الأساسية : كالطرق والمياه والمنازل واستصلاح الأراضى الزراعية ومراكز التأهيل .

عدوان صهيونى على الحرم الإبراهيمى

كذلك استمعت الهيئة إلى تقرير المؤتمر العام لبيت المقدس « بشأن » الإجراءات العدوانية التى ارتكبتها السلطات الإسرائيلية بالاستيلاء على جزء من الحرم الإبراهيمى فى الخليل ، وتحويله إلى كنيس يهودى ، كما استمعت الهيئة إلى بيان « الأمانة العامة » فى هذا الشأن وناقشت باهتمام بالغ أبعاد وأخطار هذه الجريمة وأصدرت بيانا فى هذا الشأن طالبت فيه حكومات الدول الإسلامية باتخاذ الإجراءات الكفيلة بدفع هذا العدوان ورد الحق إلى نصابه ، والحفاظ على وحدة الحرم الإبراهيمى الشريف مسجداً لا يجوز تجزئته أو سلب أى جزء منه باعتباره وقفا على المسلمين لأداء الصلاة ، وطلب العلم .

كما ناشد البيان « جامعة الدول العربية » « ومنظمة المؤتمر الإسلامى ، « ومنظمة الأمم المتحدة » إدانة هذا العدوان الذى يستفز مشاعر المسلمين ، وأن تتخذ الإجراءات العملية الكفيلة بإيقاف هذا العدوان ، وفقا للصلاحيات المقررة فى مواثيقها ، كما ناشد البيان الشعوب والهيئات والمنظمات الإسلامية دعم الشعب الفلسطينى بكل وسائل الدعم الممكنة للوقوف فى وجه هذا العدوان الصهيونى الصارخ ، وأشار البيان إلى أن المسلمين كانوا – وما يزالون عبر العصور – يحافظون على المقدسات الدينية لغير المسلمين ويكفلون حرية ممارسة الشعائر الدينية للجميع إيمانا منهم بتعاليم الإسلام الحنيف ، وأنهم يتوقعون من الدول الغربية أن تقف بحزم ضد الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على المقدسات الإسلامية والنصرانية فى فلسطين حرصا على الحق وتأكيدا لاحترام الأديان السماوية ومقدساتها .

المنح الدراسية ومشكلات الوافدين

كذلك ناقشت « الهيئة التأسيسية » المقترحات التى تقدمت بها « لجنة التعليم والدعوة » بشأن المنح الدراسية ومشكلات الوافدين فى الجامعات المصرية ، وما يتعلق بها من : مسكن وإعاشة وعلاج ، كذلك مشكلات الخريجين وتأهيلهم وتوفير المال اللازم لعودتهم إلى بلادهم بعد التخرج ووسائل الاتصال بهم بعد التخرج حيث قررت الهيئة الموافقة على مقترحات اللجنة ودعوة المنظمات المعنية بالمنح الدراسية إلى لقاء لمتابعة هذه التوصيات ووضع الخطوات لتنفيذها .

كذلك قررت « الهيئة التأسيسية » احالة المشروعات الأخرى المقدمة من اللجان المتخصصة إلى المنظمات الأعضاء لدراستها ، والنظر فى تمويلها أو التعاون مع المنظمات فى تنفيذها وإخطار الأمانة العامة بما يتم .

وعهدت إلى الأمانة العامة تقديم كل مشروع على حدة مرفقا به الدراسة المتوفرة عنه ثم إرساله إلى المنظمات المعنية .

الحملة ضد المسلمين فى فرنسا

كذلك استعرضت « الهيئة التأسيسية » أبعاد الحملة الإعلامية فى فرنسا ضد المسلمين الفرنسيين وما تبع ذلك من إجراءات إدارية ، وخاصة ما يتصل بقضية « الحجاب » حيث دعت الهيئة التأسيسية الحكومة الفرنسية إلى مراجعة هذه الإجراءات على ضوء تاريخها العريق فى الحرية الشخصية وحقوق الإنسان ، وطالبت الهيئة الحكومة الإسلامية ، والمنظمات الشعبية بذل المساعى لدى الحكومات الفرنسية من أجل احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية .

مؤتمر من أجل القدس

وبشأن عقد مؤتمر خاص « بالقدس » اطلعت الهيئة التأسيسية على بيان الأمانة العامة فى هذا الشأن وإلى تقرير السيد الأمين العـام وإلى مداخلات الأعضاء والمشاركين فى الاجتماع ، وانتهت إلى إصدار عدة توصيات كان من أهمها : التأكيد على ضرورة عقد هذا المؤتمر لبحث ما تتعرض له من أخطار التهويد والحفريات وتغيير البنية الأساسية ، وعزلها بغرس المستوطنات حولها ، ولوضع « القدس » فى مكانتها الأثقة فى ضمير واهتمامات الشعوب الإسلامية على أن يتم عقد المؤتمر قبل مؤتمر القمة الإسلاميـة فى « كراتشى » فى العاشر من ديسمبر ١٩٩٤ ؛ وعهدت الهيئة إلى المؤتمر العام « لبيت المقدس » ومؤتمر العالم الإسلامى « بكراتشى » « والأمانة العامة » لوضع خطة عقد المؤتمر .

وقد أصدر المجلس بيانا بشأن « القدس » ناشدت فيه « الهيئة التأسيسية » الدول الإسلامية والعربية أن تنسق جهودها مع المنظمات الدولية لإيقاف الإجراءات الإسرائيلية وتأكيد الحقوق العربية الإسلامية فى القدس ، وأكد البيان أنه على إسرائيل ان تدرك أن العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يتعلقون « بالقدس » قبلة المسلمين الأولى وحرمهم الثالث ، ومسرى رسولهم الكريم ﷺ ، وأحد العواصم التاريخية ومركز الحضارة الإسلامية عبر عصور متعددة .

قرارات الهيئة التأسيسية

هذا وقد اصدرت « الهيئة التأسيسية » العديد من القرارات والتوصيات وكان أهمها :

- دعم وتكثيف المشاريع الصحية والتعليمية والإغاثية فى فلسطين المحتلة .
- دعم وتمويل مشروع « بناء كلية الدعوة والعلوم الإسلامية » (بام الفحم) .
- دعم وتمويل مشروع « كلية القدس المفتوحة » .
- دعم « مدرسة النهضة الإسلامية » فى مدينة القدس
- الإشادة بجهود مكتب التنسيق الإسلامى فى (زعرُب) و(بيشاور) وغيرها من المكاتب وبالدور التنسيقى القائم بين المنظمات المشاركة فيها وبتوجيهاته الإيجابية فى التعاون مع المنظمات الدولية الإنسانية العاملة فى البوسنة والهرسك .

● حث المنظمات الأعضاء على تدعيم نشاطات مكاتب التنسيق الإسلامية لأداء رسالتها الإنسانية .

● التأكيد على ضرورة استمرار تقديم الإغاثة الإنسانية العاجلة إلى المهجرين الأفغان « والطاجيك » من خلال مكتب التنسيق الإسلامى فى « بيشاور » وخاصة مع قدوم الشتاء وتعرض هؤلاء المهجرين إلى ظروف قاسية .

● التأكيد على ضرورة متابعة (قضية كشمير) وتمكين الشعب الكشميرى من ممارسة حقه فى تقرير مصيره بالوسائل التى أقرتها الأمم المتحدة ، ودعوة الهند إلى الانصياع لقرارات الأمم المتحدة تجنبا للفتن الطائفية ، وحفاظا على علاقاتهما الطيبة العريقة بالعالم الإسلامى .

● الإشادة بدور الأزهر الشريف ولجنة مسلمى إفريقيا فى ميدان توفير احتياجات « نيجيريا » من الإغاثة العاجلة للمساعدة فى إعادة ما دمرته الحرب الأهلية هناك .

● أعربت الهيئة عن اهتمامها بتأكيد الهوية العربية الإسلامية فى (إرتريا) والإشادة باستعداد الأزهر لتوفير المدرسين والمعلمين إلى المدارس الإسلامية فى إرتريا .

● أعربت الهيئة عن تمسكها بوحدة الأراضى السودانية ورفضها لكل الدعاوى والمؤامرات الرامية إلى تقسيم السودان ، وفصل الجنوب السودانى عن الشمال ، ودعت الشعب السودانى إلى إحباط مؤامرات التقسيم والانفصال بتمسكه بوحدته القومية ووحدة ترابه الوطنى .

هذا وقد وافقت « الهيئة التأسيسية » بالإجماع على تجديد انتخاب السيد الاستاذ كامل الشريف أمينا عاما « للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة » للمرة الثالثة ولفترة جديدة .

برقية ورسالة إلى السيد الرئيس

وقد بعثت « الهيئة التأسيسية » فى ختام أعمالها برقية شكر وتقدير للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك على جهود مصر الكريمة فى رعاية المجلس منذ إنشائه وتبرعها بالأرض اللازمة لبناء مقر المجلس ، ومنحه الحصانات والامتيازات كمنظمة دولية تعمل فى القاهرة مما أكسبه المكانة العالمية المرموقة .

كما بعثت برسالة أخرى لسيادته أعربت فيها عن مشاعر الحزن والأسى لما أصاب الشعب المصرى الكريم من جراء الكوارث الطبيعية التى ألمت به ، والإعلان عن تعاطف وتضامن الهيئات والمنظمات الأعضاء بالمجلس مع المتضررين والمضابين وأسر الشهداء ، معربة عن استعدادها لتقديم المساعدات الإنسانية الممكنة استجابة لواجبات الأخوة والتضامن مع الشعب المصرى الشقيق .

برقية لسمو الأمير محمد الفيصل

كما بعثت الهيئة التأسيسية » ببرقية شكر لسمو الأمير محمد الفيصل آل سعود على تبرعه السخى لإقامة المرحلة الأولى من مقر المجلس بالحى العاشر « بمدينة نصر » بالقاهرة .

وفى ختام المؤتمر أدى السادة الحضور صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر الشريف بحضور فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر الشريف ـ والأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف .

أنبـــاء وآراء

م / محمد محمد عتريس إبراهيم

من القدس بعث الكـاتب نيجـل سيفـى (Spivey) إلى الملحـق الأسبوعـى لصحيفـة « فاينانشال تايمز » الشهيرة رسالة بعنوان : « رحلة إلى قلب الصهيونية » جاء فيها من الأنباء الهامة ما يشعر بأننا فى غفلة ، وما يدعونا إلى مراجعة النفس .

(١) قال الكاتب إنه سافر إلى الجزء الشمالى من صحراء النقب مدعواً لإلقاء محاضرة فى جامعة بن جوريون بمدينة بير شيبا[٢] . وكانت التعليمات الصادرة إليه ألا يرتدى سترة ولا رباط عنق ، ويكتفى بالقميص احتراماً لشخصية ابن جوريون[٣] الزعيم الإسرائيلى الذى كانت الجدية ديدنه (كما يقول الكاتب) والذى نبذ السترة ورباط العنق فلا يكونا عائقين عن التشمير عن ساعد الجد . وهكذا صبغ ابن جوريون رائد بناء هذه المدينة بصبغته الشخصية .

(٢) هذه المدينة أنموذج للأهداف الصهيونية : سكان جدد يصلون إليها كل أسبوع بانتظام ، والعمل يجرى تبعاً لذلك فى إقامة مساكن جديدة ومدارس جديدة وطرق جديدة ، والجامعة متخصصة فى البحث عن كيفية استخراج المياه ، وفى « بير شيبا الصحراء تتراجع أمام الزراعة » .

(٣) اليهود الروس يتدفقون على إسرائيل بأعداد ضخمة إلى حد أن علب اللبن فى محال البقالة تحمل إرشادات الاستعمال مكتوبة بالحروف الروسية ؛ ورغم هذا السيل المستديم من اليهود الروس المتدفقين على إسرائيل ، فليست هناك دلائل واضحة على وجود بطالة رغم الاستمرار فى استخدام العمالة العربية الرخيصة فى الأعمال اليدوية .

(٤) يجرى تعليم اللغة العبرية وفق أسلوب فنى مكثف ناجح نجاحاً جلياً .

(٥) مع أن اليهود مشهورون بالخشونة وذلاقة اللسان وحدته ، إلا أن الشقاق بينهم ضئيل إلى أدنى حد !

(٦) أخذوا الكاتب إلى إحدى المزارع الجماعية (كيبوتسيم ، وحدتها كيبوتس) . **« لقد تعلمت من قبل كيف أتعرف على أعضاء هذه المزارع ، أعرفهم بسيماهم : الجدية والصرامة اللذين يولدهما نظام الحياة فى الكيبوتسيم »** .

(٧) كثير من هؤلاء الذين تربوا فى هذه المزارع (أو المستوطنات) الجماعية يواصلون الطريق إلى المناصب العليا فى إسرائيل . وكثير من أعضاء مجلس الوزراء الإسرائيلى مظهرهم يعطى الإحساس بأنهم أشخاص يعرفون كيف يحرثون الحقل ، والسبب فى ذلك أن الكثيرين منهم قضوا حقيقةً سَنوات الشباب فى حراثة الأرض وزرع الصحراء .

(٨) منذ عام ١٩٦٧ ، وبعد احتلال الضفة الغربية ، لم يعد مطابقاً للحال وصف هذه المزارع الجماعية (أو بالأحرى : (المعسكرات) بأنها مستوطنات حدود (أى تقع على حدود الدولة) ، لكن العاملين داخلها يعيشون بعقلية المحارب (المتخندق) فى معسكر تحوطه المدرعات . وهم يتبادلون جميعاً نوبات الحراسة على امتداد ساعات اليوم . وكل مدرسة يلاصقها مخبأ تحت الأرض مبنى بالخرسانة المسلحة .

أثارت هذه الأنباء الأشجان والفكر . فى اجتماع استضاف رئيس وزراء اسرائيل كان بعض مرافقيه يرتدون « الطاقية » ، ولما سئلوا عن سبب ارتدائها قالوا إنها لباس أعضاء الحزب الدينى فى إسرائيل لا يخلعونه أبداً . فالطاقية وكذا القميص الذى اكتفى به ابن جوريون ؛ باتا رمزاً لمعنى معين يمثل الهوية ويحقق لها البروز ، ويبعث على الاحترام . فالزى ليس مجرد شكل وحسب ، كما يروج سيئو النوايا ، وإنما هو جزء جوهرى من المضمون .

وما بالنا لا نبدأ بأنفسنا ؟ ترى هل يضيق البعض بنقد الذات ؟

إلى صحراء النقب يصل إسرائيليون جدد كل يوم ، والحقول تزحف على الصحراء التى تتراجع وتنحسر . أما نحن ففى سباق محموم إلى تدمير الرقعة الخصيبة التى ساقها الله لنا من هضاب البحيرات والحبشة عبر النيل العظيم وعبر آلاف السنين . زرعناها أعمدة خرسانية وامتدت مبانى المدن والقرى من جميع الجهات ليتصل بعضها ببعض ملتهبة ومدمرة كيلو مترات من الحقول الخضراء كانت تنتج لنا الطعام !

وجامعة ابن جوريون فى صحراء النقب متخصصة فى البحث عن استخراج المياه . أما نهر النيل وفروعه وقنواته فألقينا فيها العوادم والنفايات السامة المتخلفة عن المصانع ومجارى الصرف الصحى ، وأصبحت خطراً محدقاً بصحة النبات والحيوان والإنسان ـ أنخرب بيوتنا بأيدينا ؟

سيل اليهود الروس ينهمر ـ الآن ـ كل يوم ـ

على إسرائيل ، تلك البقعة الصغيرة المساحة ، المحدودة الموارد ـ أنّى لها أن تستوعب كل تلك الملايين ؟ أما برح أهلها عاكفين على حلم إسرائيل الكبرى الممتدة من الفرات إلى النيل ؟ وهل السوق الشرق أوسطية ، التى تعنى فتح أسواق المشرق العربى والمغرب العربى للاستثمارات الإسرائيلية وللمنتجات الإسرائيلية ، جزء من برنامج استيعاب ملايين الإسرائيليين ؟ أما الناس فى المساحات الشاسعة من الأراضى العربية من حول إسرائيل فضائقون ذرعاً بمواليدهم لا يريدون لهم أن يأتوا إلى الدنيا ، وضائقون ذرعاً بشبابهم ويأبون عليهم أن يتزوجوا وأن ينجبوا .

البرامج مكثفة لتعليم اللغة العبرية لكل إسرائيلى . إسرائيل تبعث من غابر الزمان لغة اندثرت ، تفرضها على نفسها لغة رسمية : لا تخاطُب ولا تكاتُب بغيرها . لقد رأى جارنا اللدود أن أصوله ، أى لغته ودينه ، إذا فرضهما على نفسه فإنهما سيمكنانه من أن يفرض نفسه على من حوله ؛ هذا فى الوقت الذى تخرج فيه على صفوفنا طغمة العلمانيين وفلول الشيوعيين ،تروج للكتابة بالعامية ، إسهاماً إجرامياً من جانبهم فى العمل على تفريق الأمة العربية وضرب وحدتها ـ ذلك أن العربية الفصحى توحد بين الدول العربية ؛ أما اللهجات المحلية فيها فمختلفة لا يفهمها إلا أبناؤها المتحدثون فى دولتهم .

ويبغى هؤلاء الكيد للقرآن الكريم بالكيد للغته .

كناطح صخرة يوماً ليوهنها
فما وهنت وأوهى قرنه الوعل

واليهود رغم أنهم مشهورون بالخشونة وحدة اللسان ، إلا أن الشقاق بينهم ضئيل إلى أدنى حد . قبل إنشاء دولتهم كان الشقاق بينهم قد بلغ مداه ، لكنهم رفضوا أن يسيل دم يهودى بيد يهودى آخر ، وأقاموا على هذا المبدأ لا يحيدون عنه . ولا عيب أن نتعلم من أعدائنا ـ غير أننا لسنا بحاجة لأن نتعلم من يهود ؟ فعندنا كتاب الله وسنة نبينا الكريم :

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾

سورة النساء : ٥٩

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** »

ألم يأن لنا أن يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه ؟ هل نتعلم أن يصبر بعضنا على بعض عندما نختلف فى الرأى ؟ وهل نتعلم كيف نتعايش ويطيق بعضنا بعضاً .

الإسرائيليون يتسمون بالجدية ، وهمهم منصرف إلى تحقيق طموحات قومية كبيرة . وعلى الجانب الآخر نجد أنفسنا منغمسين فى اهتمامات صغيرة .

الإسرائيليون يتبادلون نوبات الحراسة على امتداد ساعات اليوم . ما هذا الرباط[1] الذى تعيشه يهود ؟ وكأنما نما إلى علمهم قوله تعالى :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

سورة البقرة : ١٩٥

قال الزمخشرى فى « الكشاف » : روى أن رجلاً من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس : ألقى بيده إلى التهلكة . فقال أبو أيوب الأنصارى : نحن أعلم بهذه الآية ، وإنما نزلت فينا ، صحبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا ، فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها ، رجعنا إلى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها ، فكانت التهلكة الإقامة فى الأهل والمال وترك الجهاد . جاء فى « التفسير الوسيط » لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر : الآية تحذير للمسلمين من التقصير فى الإعداد للقاء الأعداء ، حتى لا يصيبهم بغتة مكروه يهلكون فيه . والمعنى : ولا تتسببوا - بتهاونكم وغفلتكم - فى إلقاء أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة ، ومن ذلك ترك الغزو ، والتقصير فى إعداد الجنود والقادة ، وإهمال التحصين والتهاون فى الإنفاق .

بالأمس القريب وجه الرئيس مبارك فى خطاب له حديثاً إلى منتدى عملية السلام مع يهود ، فقال إن ثمانين بالمائة من قوات الجيش الإسرائيلى ترابط فى صحراء النقب على حدود سيناء ، فرئيس البلاد على علم بحقائق الأمور ، وينبه أبناء الوطن إليها .

هل نغرق فى حب الدنيا ، ونحن نلهث فى صفوف طويلة للحصول على « الآيس كريم » المستورد من أمريكا ، ونبنى أبراجاً تبلغ مساحة الشقة فيها مئات الأمتار وثمن الواحدة ملايين من الدولارات (الأهرام الاقتصادى ، ٣ أكتوبر ١٩٩٤) ؟ وهل نهدر الوقت والاهتمام والجهد فيما لا طائل من ورائه فى زمان وعالم لا مكان فيهما لمستهتر أوْ لاهٍ - ألا فيلحذر الغافل أن يؤخذ على غرة !

---

(١) رابَط مُرابطة ورِباطاً : لازَمَ الثغر وموضعَ المخافة .
والمرابطة : الجماعة من الناس والخيلة تلزم الثغر مما يلى العدو .
والثغر : الموضع يُخاف منه هجوم العدو

Le Sens Global de la Surate Al Fatiha

par Islam Abdel Raouf
Rania Nabil El Moghazy

Allah, dont Les Noms sont sacrés, nous a enseigné comment il faut Le louer, Le glorifier et Lui rendre l'hommage dont Il est digne. Il a dit ce qui a comme signification:

Oh Mes servituers, si vous voulez M'exprimer votre gratitude et Me rendre hommage, alors dite: Louanges à Allah Seigneur des deux mondes. Remerciez-Moi pour Mes bienfaitset Mes faveurs envers vous; Je suis Allah Le Majestieux, Le Glorieux, Le Maître, L'Unique Créateur, Seigneur des humains, des dinnes et des anges, Seigneur des cieux et des deux mondes.

Je suis Le Miséricordieux, Plein de Miséricorde, dont La Clémence englobe toute chose, et dont La Grâce s'est répandue sur toutes les créatures.

Qu'Allah, Seigneur des deux mondes, - exclusivement digne d'adoration -, Soit honoré et remercié, en raison des bienfaits accordés à Ses serviteurs: en les créant, en leur assurant la subsistance et la perfection des sens, en guidant les créatures vers la joie en ce monde et dans celui de l'Au-delà.

Allah est en effet Le Maître dont nul ne peut atteindre La Souveraineté; Il est celui qui reforme les affaires de Ses serviteurs, grâce à un système établit dans cet Univers, entièrement profitable au monde des humains, des plantes et des animaux: Un soleil sans lequel il n'y aurait ni vie ni mort, une nourriture apportant la subsistance aux humains, des eaux assurant la vie des plantes et des animaux.

Il est Le Maître de la rémunération et du jugement , disposant du Jour Dernier tel un propriétaire disposant de ses biens; Il dit: «Que votre culte Me soit vouée exclusivement; et dites: Oh pour Toi notre Seigneur nous nous humilions, nous nous soumettons, nous nous apaisons, nous nous recueillons, nous Te vouons exclusivement le culte.

De Toi notre Seigneur nous implorons l'assistance pour T'obéir et pour être agrée par Toi, car Tu est Le Seul digne de tout honneur et toute glorification. Nul autre que Toi ne possède la pouvoir de nous venir en aide.»

Oh Allah, affermis notre cœur dans l'Islam, Ta religion véridique, avec laquelle Tu as envoyé Tes Prophètes et Tes Messagers, ainsi que le dernier des Prophètes.

Affermis notre foi, et fais que nous suivions la voie des élus, celle des Prophètes, des justes, des martyrs, des saints, quelle belle compagnie!

Oh Allah, fais que nous ne soyons pas parmis les désorientés qui se sont écartés de la bonne voie, ceux qui ne suivent pas la voie droite, ni parmi ceux qui se sont égarés de Ta juste Jurisprudence, ceux qui ont renié Tes Signes, Tes Messagers et Tes Prophètes, ils ont donc mérité Ta malédiction et Ta colère jusqu'au Jour Dernier.

Soumission sont dûes à Allah - qu'il soit éxalté - Il est celui qui soulage les peines , Il est le maître des âmes, Il les dirige et apaise en cas de préoccupation et de peine .

Quand tous les échappatoires sont bloquees dévant le Musulman , il fait ses ablutions , demande la protection d'Allah contre Satan et se diritge vers lui en disant : " Allahou Akbar " , Alors Satan s'éloigne de lui et la miséricorde d'Allah arrive à son aide, car il est près de ses bienfaiteurs .

La prière est l'un des fruits de la nuit du voyage nocturne et l'Ascension du Prophète Mohammad (b.s) dont il faut se rappeler en nous soumettent encore plus à Allah , Le Créateur , Le Bienfaiteur , Possesseur de l'immense grâce et cela en lisant le Coran qui nous guide à suivre la voie droite du Prophète (b.s) et à nous soumettre aux ordres d'Allah .

C'est grâce à cela que la nation Islamique assure son unité pour être comme le corps lorsque l'un de ses organes se plaint tout le reste du corps est en fièvre et en éveil .

La Bénédiction et le salut sont dûs a notre maître Mohammad et le dernier des Prophètes et des Messagers .

Note :

(1) " Il l'a vu " il s'agit de Gibril .
(2) Une Rak'a : unité de prière composée de deux géneflexions et de deux prosternations .

*****

la rapidité d'un éclair et qui a étè découvert actuellement] .

Ce voyage est un des signes d'Allah dont tous les actes sont parfaits . Le Coran nous explique dans la Sourate , " La Famille de ' Imran , 81 " , comment tous les messages d'Allah se confirment mutuellement, et comment les premiers ont aplanis le chemin à ceux, qui vont les suivre . Selon les hadiths de la Sunna concernant ce voyage , le Prophète (b.s) a présidè à une prière de deux Rak'as (2) avec les autres prophètes dans la Mosquée de Jérusalem .

Cette Imamat confié au Prophète Mohammad (b.s) était une preuve concrète de l'adhésion des autres prophètes à l'Islam qui était le dernier mot d'Allah envoye aux humains , après tous les autres messagers qui ont preparé les humains a le recevoir .

Le voyage nocturne (Al Israa) et l' Ascension (Al Mi'rag) constituent un évènement miracleux , qui à eu lieu a peu près vers la moitié du Message de Mohammad qui a durée 23 ans . Ce voyage agit comme un remedè qui a dissipé les maux précedents , et l' élement qui a aidé à la consolidation du Message dans l'avenir .

Le Prophète (b.s) a vu quelques- uns des miracles divins dans les royaumes des cieux et de la terre , ce qui l'a aidé a affronter les complots des incroyants en minimisant leur force . La résultat de ce voyage dont Mohammad (b.s) a étè témoin , est que la prière a étè décretée dans le plus haut des cieux et sur le point cumulaut de l'Arbre lotus de l'Aboutissement .

A cet égard le Prophète a dit : " Ce qui m'est le plus cher c'est la prière " . Ainsi lorsqu'il était préoccupé , il avait recours à la Prière , et disait : " Belal , apaise nos âmes par la prière " . La vraie dévotion et la

les écritures des arabes .

C'est ainsi que l' état de siège imposé aux musulmans prit fin . Au fil des jours , divers incidents se succédèrent jusqu' à ce que l'évènement grandisce du voyage nocturne et l'ascension du prophète eurent lui . En fait , Allah , par miséricorde à l'égard de Son Prophète , a voulu qu' il soit témoin de certains de Ses Signes .

L'axension du Prophète a étè en effet soulignée par le Coran dans la surate de Al Najm (L'étoile) : (Il l'a vu (1) en verité , une autre fois à coté de l'Arbrelotus de l'Aboutissement auprès duquel se trouve Le Jardin de la Demeure ; au moment oû l'Arbrelotus était enveloppé par ce qui le couvrait ... Il a vu les plus grands Signes de son Seigneur) [V.13 a 18] .

De tels verset affirment en effet la véracité de cet évènement : le Prophète (b.s.) , corps et ame , a bel et bien fait ce voyage au cours duquel les limites séparant les forces spirituelles des forces physiques commencaient a se dissiper . Tout ce qu' on considerè comme possible dans le monde spirituel n'est pas impossible dans les mondes matériels . A notre épóque , grâce aux découvertes de la science moderne concernant les mystères de l'existence , la nature de la matière , est devenue aussi mysterieuse que celle de l'âme . Nul autre qu' Allah , Souverain de la terre et des cieux , ne connait l'étendue de l'une ni de l'autre .

Nous les musulmans nou croyons au voyage nocturne du Prophète Mohammad (b.s.) de la Mosquée Sacrée de la Mecque a la Mosquée très eloignée de Jérusalem , voyage durant lequel il fut emporté sur le dos d' "Al Boraq" [le mot Boraq est dérivè du mot "éclair", c'est à dire la charge électrique utilisée dans ce voyage , cela veut dire que le Prophète (b.s) a voyage grâce à un moyen de transport qui avance avec

société tous ceux qui s'étaient convertis à l'Islam ; il était interdit de leur acheter ou de leur vendre , ou de contracter des mariages avec eux .

Un document à cet égard , affirmant leur convention , fut suspendu à l'intérieur de la ka'ba .

En vue de mettre en application un tel traité, ces impitoyables arrògants voulurent imposer leurs croyances a leurs compatriotes, obligeant ainsi le Prophète (b.s.) et ses alliés à chercher refuge auprès de la tribu de Banou Hashem .

Tous les membres de la tribu de Abdel Motalib, qu'ils soient musulmans ou non , prirent leur parti , à l'exception de abou Lahab qui, s'opposant à la tribu de Banou Hachem , se joignit au Qoraichites .

Quoiqu'ils souffraient du manque des moyens de subsistance , les musulmans assiégés , aspiraient au soutient qu'Allah a promis à ceux dont la foi est sincère et font preuve d'endurance .

En effet, la ferme foi en Allah et dans le message de Mohammad remplissant le coeur des musulmans assiégés , les incitait à supporter une telle épreuve avec patience durant trois ans . Ils tenaient meme, en dépit de leur souffrance , à convertir les pèlerins à l'Islam en leur transmettant le message de Mohammad (b.s) .

Ainsi, leurs efforts furent courronnés de succés : les alliés de l'Islam devinrent de plus en plus nombreux alors que les puissants , s'opposant les uns aux autres , connurent des dissidenses . Les uns, s'interrogant sur la justesse de leur jugement revinrent sur leur engagement . Un Qoraichite alla meme jusqu' à déchirer le document du traité que les termites avaient entièrement rongé , à l'exception des mots " Au nom d'Allah notre Seigneur " , employés souvent comme prélude dans

En Commemoration du Voyage nocturne et de l'Ascension du Prophète Mohammad

Par : Rania Nabil el Moghazi
Eslam abdel Raouf Mohammad

Le voyage nocturne de la Mecque juisqu'à Jesusalem fait par le Prophète (B.S) , puis l'ascension du Prophète (b.s) au septième ciel constitiuent un évènement marquant dans l'histoire de son message .

Le coran a en effet souligné cet évènement grandiose dans le vesset 1 de la surate AL ISRAÂ :

(Gloire à celui qui a fait voyager de nuit Son serirteur de la Mosquée Sacrée (la Ka' ba) a la Mosquée très éloignée à Jerusalem dont nous awons béni l'enceinte, afin de lui montrer certains de Nos Sigines)

Cet évènement a en fait eu lieu alors que les grands et les puissants de la Mecque avaient cherché à resserrer l'étau autour des musulmans , en voyant l'Islam prendre plus de vigueur et sa réputation dépasser les frontierès de la Mecque .

Les Qoraichites , se rendant compte que les pérsecutions perpétrées et les souffrances qu'ils faisaient endurer aux disciples de Mohammad n'avaient - pas réussi à affaibbir la foi des musulmans , ni à arretêr l'extension de l'Islam , eurent recours à un moyen plus efficace : un traité , dont les clauses etaient signées par leurs chefs , banissait de la

REVUE
AL AZHAR

Vol. 67 Part VII

Rajab 1415 Hijrah, December 1994

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

In a preliminary introduction to giving alms, the researcher makes sure that in every society there are two kinds of people: the able and the unable, the fortunate and the unfortunate. The highly productive and the unproductive and so on, All these should have the right to enjoy the fruits for their own work. However, the society should not forget the rights of the poor and those in need because they are the responsibility of the entire community. They have a right in the wealth of the rich. The researcher reiterates the word <u>right</u> not a charity

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾

24. And those in whose wealth is recognized right
25.for the (needy) who asks and him who is prevented (for some reason from asking).

From this verse, it is concluded that it is not within the power of the wealthy to deny the poor "Zakat" which means purity and increasing. This implies that "Zakat" or alms giving is to purify the wealth from illegal gains.If however, after alms giving is collected from the wealthy, it was found that the needs of the poor has been fulfilled, it then becomes mandatory on the those wealthy people to pay more in the form of charity or benevolence until the re quirements of the poor are completely satisfied. Charity is a matter entirely left to the intention of the believers, whereas, "Zakat" is a matter imposed on the state.

the researcher ends by saying that the poor may not be able to appeal to the authorities for help. This is clearly seen in many Muslim and modern societies where social benefits go unclaimed by the needy and the deserving . The Muslim is made to feel responsible for the poor whom he knows. It is a well known fact in Islamic tradition that : He whoever goes to bed on a full stomach while his neighbour goes hungry , is not a Muslim ."

Islam in foreign media

Part III

by: Magdi A. Bashire

The researcher, in these few lines offers an exiting image of economic freedom in Islam, a product of economic justice. Islam's instance on this kind of freedom stems form the fact that every individual is responsipole for the results of his behaviour. Therefore it lays emphasis on the right to property and ownership, a matter inherent in the teachings of the prophet Islam, however, has restricted the means of gaining wealth. A good wealth could be formed either by hard work or by using and risking one's capital in legitimate means of trading. The absence of these legal means would make gains illegal except, of course, if acquiring the fortune by inheritance or being a gift

The need for risking one's wealth should never be achieved by the monopoly of essential commodities. It is equally unacceptable and illegal to make vast and tremendous profits by exploiting innocent people. This is clear in the prohibition of salesmen from the town selling their products at higher price than that of the market to nomads or villagers outside the city relying basically on the ignorance of those buyers. The profit made from such transactions is illegal. When one gathers a lot of wealth through acceptable means, this wealth is not to be his property but, rather, as the researcher explains, he is a trustee of this wealth whose the real owner is 'Allah' the Almighty with this concept, one can use, enjoy or spend money but not to waste or destroy it. Ownership, however is considered in Islam to be ultimately that of the community and therefore, the interests of society have to be protected against and from the greediness of powerful individuals.

than those that are revolting and disgusting. And by so doing, they would have substituted the real actual words for ones that are ambiguous and indirect, since the former are quite offensive being loathsome. This technique is known in English as Euphemism, that is using pleasant wording.

The draft or the recommendations presented by the secretariat of the conference to the delegations to be admitted, stipulate the permission of great offenses and vile deeds.

But the draft used the word Homosexuality in place of both the two words Somody and Lesbianism, Extramarital Sex instead of Adultery and the term Premarital Sex in place of Fornication. Thus the secretariat of the conference used words that do not carry any shadow of revolting connotations found in such words as Lesbianism, Somody and Adultery.

This deceitful, sly and wily methods used in the wording with the intention of propagating foul goods that is in itself corrupting, led to a waste of time. A whole week or even nine days from the period of the conference has been spent in discussing one paragraph only : paragraph 25, chapter 8. This paragaraph stipulated that abortion should not be encouraged as a means of family control, rather governments should deal with abortion and regard it as one of the most important matters concerned with health. The representative of the Vatican city state went through a vicious fight in order that the wording of this paragraph should not carry any interpretation that could be taken as a stipulation of the right to abortion.

As for development, which is the second part of the title of the conference, hardly any time was left for its discussion and was given nothing out of the sum of the 17 billion dollars allocated by the document of the conference to the program of Reproductive Health in the world, that is the programs of birth control and contraceptives.

In the field of wording and ambiguity, the secretariat of the conference coined a new term which is "Single-parent-family" and asked for its recognition. Of course it is taken for granted that a family cannot have a child without the existence of both parents : the father and the mother. However, pregnancy nowadays in the west, is mostly fornication after illegal sexual intercourse and promiscuity became very common. A woman could now get pregnant by an illegal father whose identity, place of residence and country are unknown. When she gives birth, the child is named after his mother and legally carries her name, and that's how the family becomes a single-parent-family.

The blaze of sex, with all its abnormalities and pervertiness, has overwhelmed the people of the west and it started now to harvest their lives. It also seems that the west is fully intended on dragging with it those that are facinated by its materialistic civilization, dragging them into the swarthiness of the stinking swamp.

ON THE ENGLISH WORDING OF TERMS

MENTIONED AT THE ICPD HELD IN CAIRO

Written by Mohamed M. Atris Ibrahim
Translated by : Dr. Laila Abdel Razik

Some Islamic countries had reservations concerning some of the words that were used in the text dealing with the world program mentioned in the documents of the conference concerning the stabilization of the population increase after the year 2000. This is a very complicated program and highly costing. The document has alloted a sum of 17 billion dollars for the program of reproductive health in the world in the year 2000 to be increased to 21.7 billion in the year 2015.

A lot of arguments have been raised about what is meant by reproductive and sexual health. Some Islamic countries are of the opinion that the new meaning has many connotations related to pornography and licentiousness, which made them refuse that term. Commenting on this point, the financial representative of the London Times, Mark Nicholson said : "Most of the negotiations that took place in the conference concentrated on how to get rid of the bad connotations while, at the same time, using the international definition as set by the western specialists in health affairs; this definition being important for a completely new field, the field of health care." Consequently, we find the transference of interest from the concentration on reproduction to a broader notion that includes mother's health and woman's rights together with the recognition of both the pleasure and rapture necessary for their sexual life.

The Vatican city state, together with some other stern Catholic countries have protested against using the expression of Reproductive Health with the aim of getting rid of what could be taken as an acknowledgment of abortion.

This wording and others that will be mentioned later, entail ambiguity and equivocation. It could be said taht this is done intentionally. For perhaps those heading the secretariat of the conference aimed at using words that bear pleasant connotations

Only believers could accept and comprehend the Prophet's (MPBUH).

Holy Journey, up held by Allah the great, to watch the seven skys. In the first sky, he saw Adam (PBUH), the second, Jesus and John (PBUTH), the third, Joseph (PBUH); the fourth, Idris (PBUH); the fifth, Harun (PBUH); the six, Moses (PBUH); the seventh and last sky, Ibrahim (PBUH), "the father of all prophets". Moreover, Prophet Muhammad was able to watch many seens of doomsday and the conditions of people designated to Heavens and those designated to Hell. The most important incident, on that night, was the assigning of the five prayer to every muslims.

On one hand, disbelievers would say that it is impossible for such a story to have happened. On the other hand, believers find it logical and could have easily happened. Believing doesn't envolve hearts only, but involves minds together with hearts. Hearts of believers say that Allah can do anything at anytime, regardless of how and why he does it. Innate and pure intellects confirm this fact, too. For it is a false asumption to believe that the sense of man is the measure of things. This would be a subjective way of viewing reality, while the modern scientific view is merely objective. To clarify; if we can percieve what happened to prophet Muhammad (MPBUH), with our narrow individual materialistic measures, we are hence using a false mirror which receives rays in an irregular manner, distorting and discolouring the true vision of reality. What happened is something beyond our sensual perceptions and the laws ruling nature on earth. However, since science says that "velocity - speed — is directly proportional to power", therefore, Allah the Most Powerful can easily let overwhelming actions happen in no time.

If we are talking about "Allah", we are talking about the Eternal and the Most Great Creator of the Universe Who manipulats laws of nature according to His own will. His manipulation of laws of nature is limitless, and since he is the Sole Creator Who has no partner, therefore, no contradictions may occur. Thus, Prophet Muhammad's (MPBUH) "Journey by night and his bodily ascension" is a phenomena that deserves investigation. It could lead us to construct higher correlations among the various scientific methods of measuring the validity of any phenomena which may happen in our universe. At the end, science will be a firmly consolidating asset to Faith.

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

"Glory to (Allah) Who did take His servant for a Journey by Night from the Sacred Mosque to the Farthest Mosque, Whose precinds We did bless-in order that We might show him some of Our signs for He is the one Who Hearteth and Seeth (all things)." * Sura XVII Bani Isra-il, or Al Israa'." Verse number 1.

* The Holy Quran — An Interpretation of A. Yusuf Ali English translated version.

A JOURNEY BY NIGHT

(Al Israa' & Al Mi'raj)

Presented by : Wiaam Kamal Gabr

One day, Abu Jahl — one of Prophet Muhammad's Uncles - passed by the messenger of Allah (MPBUH) while he was sitting in the mosque and asked him cunningly if he had learned something new last night. Prophet Muhammad (NPBUH) answered positively that Allah the Great had taken him on a journey by night to the "Farthest Mosque".

Abu Jahl unbelievingly said : "But how come you are among us at this moment ?!"

When Abu Jahl announced that to the rest of the tribe; some believed and others accused the Prophet (MPBUH) of lying. The disbelievers couldn't comprehend that prophet Muhammad (MPBUH) could have gone on a journey from Mecca to Palestine and return the same night. This is quite a long journey, that even a caravan would take at least two months to complete. In fact, they denied the great Divine Poetency and Allah support to his messenger, who did not travel all this journey on the back of a camel but rather on the back of a unique Mystic courser accompanied by Angle Gabriel (PUH).

It wasn't a fakery but a true story with more than one indicator to ascertain it's authenticity. For example; Prophet Muhammad (MPBUH) sold them about a camel that ran away from the caravan in a specific place in the desert.

Moreover; the messenger (MPBUH) told them about Quraish's merchant caravan that was preceeded by a grey camel with two different blazes in forehead.

The Prophet's truthfulness was then proved after the disbelievers sent their men to find out, and confirmed despite this confirmation of what he said. The Prophet's (MPBUH) truthfulness, the disbelievers couldn't understand how Muhammad (MPBUH) was able to spend only one night going to the "Farthest Mosque" and returning to Mecca, let alone comprehending the ascension journey, Mi'raj which also occured in the same night.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 67 Part VII

Rajab 1415 Hijrah,

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

CONTENTS

1.A journey by night (Al'Israa &Al Mi'raj)
By : Wiaam Kamal Gabr.
2. On the Wording of Terms Mentioned at the ICPD Held in Cairo
by : Dr. Laila Abdel Razik.
3. Islam in Foreign Media
by : Magdi Basheer.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهــــرس

الموضـــوع — الصفحة

● الافتتاحية (اسرع العقوبة)
لفضيلة الدكتور على أحمد الخطيب ٨٦٥
● مع الإمام الأكبر
- فى ذكرى الإسراء والمعراج ٨٦٨
- فتوى فى حكم القصر فى الصلاة الرباعية ٨٧٢
- كلمة فضيلته فى مؤتمر جراحة العظام .. ٨٧٥
- بيان من الأزهر لإغاثة المنكوبين ٨٧٧
● مع سورة المجادلة
للأستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى ٨٧٨
● القرآن أعلى مستويات الفصحى
أ/ جمال عبد العزيز أحمد ٨٨٢
● قبس من أنوار النبوة
(المسألة لاتحل إلا لأحد ثلاثة)
لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم ٨٩٢
● النسخ فى الشريعة الإسلامية
أ.د محمد سعاد جلال ٨٩٤
● عمــل المــرأة
د. زينب صالح الأشوح ٩٠١
● الإسراء والمعراج
«من المعجزة إلى العلم الحديث»
لفضيلة الشيخ/ عبد المنصف محمود ٩٠٨
● الجن وماله فى الإنس
لفضيلة الشيخ/ عطية صقر ٩١٢
● مؤسسات فى خدمة الإسلام
لفضيلة الشيخ/ زكريا أحمد نور ٩٢٠
● موريتانيا .. بلد المنارة والرباط
تقديم الفاغ بن محمد ولد الشيبانى ٩٢٤
● الإسراء والمعراج فى الأدب
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٩٣٥
● الفتــاوى
إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فودة ٩٣٩
● من أعلام الأزهر
(الشيخ عبد الرحمن تاج) .
أ.د. محمد رجب البيومى ٩٤١
● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٩٤٨
● من روائع الماضى
(أ/ أحمد طه السنوسى)
للأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات ٩٥٠
● الشعر والشعراء
- به أتغنى ٩٥٤
- ليلة الإسراء ٩٥٥
- سبحان من أسرى به ٩٥٦
- إلا أن يرحمنى الله ٩٥٧
- تحية للأزهر ٩٥٨

العلـوم الكونيـة

● الحسين بن سينا
أ.د. أحمد فؤاد باشا ٩٦٠
● أسباب تحريم نقل وزراعة الأعضاء
عرض وتعليق أ/ أحمد عبد الهادى الأبيض ٩٦٥
● البنسلين وعلاقته بالحمى الروماتيزمية
د. جيهان أحمد مصطفى ٩٦٩
● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد د. نجوى السيد أحمد ٩٧٢

اللغة والأدب والنقد

● عبد الرحمن بن خلدون
عرض الأستاذ/ عبد السلام ناصف ٩٧٦
● الأزهر والمراصفة والأدب
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ٩٨٠
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم/ د. محمد عبد الحكيم محمد .. ٩٨٣
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذ/ مصطفى عبد المجيد ٩٨٨
● على هامش أعمال
المجلس الإسلامى العالمى
للأستاذ/ عمر البسطويسى ٩٩٣
● أنباء وآراء
للأستاذ/ محمد محمد عتريس ٩٩٨
● القسم الفرنسى ١٠٠٨
● القسم الإنجليزى.......................... ١٠١٥

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

ثلاث في أصحابها

من ساداتنا التابعين الأوائل محمد بن كعب ابن سليم بن أسد القرظي ، رأى جمعاً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسمع منهم وروى عنهم .

تميز - رحمه الله - تعالى - بأكثر من ميزة ، حسبنا منها هنا ثنتان :

دراسته في القرآن الكريم دراسة واعية ذات مقدرة على الجمع والإحاطة والشمول ، ثم طرحه تلك الدراسة في كلمات جامعة تستمد صدقها من كتاب الله - تعالى - تحسبها إذ تقرؤها - أنها من أيسر السهل لكنها - بحق - السهل الممتنع ، إلا على من أنعم الله - سبحانه - عليه من أمثال محمد بن كعب القرظي الذي قال عنه ابن سعد - صاحب الطبقات : كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً .

الثانية : حصيلته ـ فى الحديث الشريف .

ونحن ـ بصدد دراسته فى كتاب الله ـ تعالى ـ نقول ـ نقلاً عن ابن حجر[1] :

« جاء عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من طرق ـ أنه قال ـ عليه الصلاة والسلام :

« يخرج من أحد الكاهِنَيْن رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحدٌ يكون بعده » .

قال ربيعة : فكنا نقول : هو محمد بن كعب .

والكاهنان الواردان فى الحديث هما : قريظة والنضير .

من روائع ابن كعب ونظراته فى الكتاب العزيز قوله :

« ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه كُنَّ عليه : الْبَغْى والمكر والنَكْث ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾[2]

أسندها النسفى ـ رحمه الله ـ تعالى ـ مع الآية الأولى فى موقعها من سورة يونس إلى محمد بن كعب ، وذكرها ابن قتيبة فى (عيون الأخبار) غير مسندة ١/١١١ .

ونشط ابن قتيبة ـ رحمه الله فجمع ـ فى نسقها ـ ضروباً من الحكم ، فقال :

« وقرأت فى كتاب للهند : لا ظفر مع بغى ، ولا صحة مع نَهَم ، ولا ثناء مع كِبْر ، ولا صداقة مع خَبٍّ[3] ، ولا شرف مع سوء أدب ، ولا بِرَّ مع شُحّ ، ولا اجتناب محرَّم مع حرص ، ولا محبة مع زَهْو ، ولا ولاية حُكْم مع عدم فقه ، ولا عُذْرَ مع إصرار ، ولا سلامة مع ريبة ، ولا راحة قلب مع حسد ، ولا سؤدد مع انتقام ، ولا رياسة مع غَرارة وعُجْب ، ولا صواب مع ترك المشاورة ، ولا ثبات مُلك مع تهاون وجهالة وزراء » .

وليس عسيراً رَدُّ ما نقل ابن قتيبة إلى الثلاث من كتاب الله ـ عز وجل ـ فإن البغى ـ وحده ـ كفيل بجمع معظمها من كِبْر ولؤم وشح وسوء أدب ووُلوغ فى الحرمات وزهوٍ وجهل ... إلخ .

نسأل الله ـ تعالى ـ غفراناً ورشداً .

د. علي أحمد الخطيب

(١) التهذيب : ٩ / ٤٢١ .

(٢) الآيات على الترتيب : يونس ٢٣ ، فاطر ٤٣ ، الفتح ١٠ .

(٣) الخَبّ : الغاش المخادع .

مع الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

ليلة النصف من شعبان

بقلم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وأبو داود :

عن عائشة رضى الله عنها قالت :

كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم . وما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر صياما منه فى شعبان .

وفى رواية لأبى داواد قالت :

كان أحب الشهور إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان .

وفى الحديث الذى رواه أبو داود والنسائى عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت :

لم يكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان كان يصله برمضان .

وفى هذا دليل على ما كان لشهر شعبان فى الإسلام من مكانة خاصة بين الشهور فهو شهر النفحات والفيوضات والبركات .

وفى الحديث الذى رواه النسائى عن أسامة بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ قال :

قلت يارسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال : ﴿ ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم ﴾ .

قال الشوكانى : ولعل الحكمة فى صوم شهر شعبان أنه يتعقبه شهر رمضان ، وصومه مفترض فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكثر من الصوم فى شعبان قدر ما يصوم فى شهرين من غيره لما يفوته من التطوع الذى يعتاده بسبب صوم رمضان .

ومن الأحداث العظيمة التى وقعت فى هذا الشهر المبارك تحويل القبلة فى الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة .

ففى الصحيحين عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ قال :

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ، ﴾

البقرة ـ ١٤٤

فتوجه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود :

﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ .. سورة البقرة

فصلى مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل ثم خرج بعد ما صلى ، فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر يصلون نحو بيت المقدس فقال وهو يشهد أنه صلى مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال :

« بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة » .

وفى رواية للنسائى عن سعيد بن المعلى ، أن أول صلاة صليت إلى الكعبة كانت : (صلاة الظهر) .

وقد ضبط أهل الحديث والسير أن الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام كان فى شعبان من السنة الثانية للهجرة .

وقد امتن الله على المسلمين باختياره المسجد الحرام قبلة لكل مصل ، فقال تعالى :

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ ..

البقرة ـ ١٤٤

ومن مكارم هذا الشهر المبارك ما روى عن ليلة النصف منه ، وما كان يخصها المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعبادة متميزة تبيانا لفضائلها .

ففى الحديث الذى رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« يَطَّلع الله على جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلَّا لمشرك أو مشاحن » ..

وفى رواية الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« يَطَّلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين : مشاحن أو قاتل نفس » ..

وعن عائشة رضى الله عنها قالت :
« قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك فرجعت ، فسمعته يقول فى سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك إليك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال : ياعائشة ، أو ياحميراء : أظننت أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد خاس بك ! قلت : لا والله يارسول الله ، ولكنى ظننت أنك قبضت لطول سجودك ، فقال : أتدرين أى ليلة هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « هذه ليلة النصف من شعبان ، إن الله عز وجل يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم » .. رواه البيهقى وقال إنه مرسل جيد .

ومعنى (خاس بك) أى غدر ، وكأنه صلى الله عليه وسلم يقول لها : « أظننت أننى قد غدرت بك وذهبت إلى إحدى نسائى فى ليلتك ! ..

هذه الأحاديث وغيرها تُعْلِى من شأن ليلة النصف من شعبان ، وتعظم ذلك اليوم وتدعو المسلمين إلى الإقدام على طاعة الله فيها وصوم يومها ؛ طلبا لرحمة الله ومغفرته واستزادة من مرضاته ، واستقبالا لخيره الذى لا ينقطع عمن تاب إليه وأناب ، فإنه سبحانه يوفى الطائعين الصابرين الصائمين أجرهم بغير حساب ، وخير ما يُعْبد به فى هذه الليلة المباركة الصلاة وتلاوة القرآن والدعاء بما يفتح الله به فى هذه الليلة المباركة على المسلم فى خشوعه وعبادته ، وخير الدعاء ماعلّمنا الله إياه فى القرآن ، وما ورد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلنحرص على إحياء هذه الليلة بالطاعة والصلاة ، وتلاوة القرآن ، والاستغفار ، والتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، وسائر أنواع الذكر ، وعلى صوم يومها كما أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

هذا ولم يؤثر عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ دعاء خاص فى هذه الليلة .

ولعل الأولى التأدب بأدب القرآن ، والتزام ما جاء فيه من أدعية جرت بها آياته ، وما أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جوامع الدعاء إذ بها تتنزل الرحمات ، وتقضى الحاجات ، وتنغلق أبواب الشرور والآفات ، ومن أدب الدعاء : الإخلاص ، والإقبال على الله ، فادعو الله مخلصين له الدين ، وأقبلوا على الله ـ لاسيما ـ فى مواسم الخير والبر يكن الله معكم بالحفظ والرعاية والتوفيق .

شيخ الأزهر
(جاد الحق على جاد الحق)

فتوى للإمام الأكبر

فيما إذا كان عدم الإنجاب يجيز فسخ الزَّواج

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من السيد / أحمد .م.ا ـ قال المستفتى :

بتاريخ ٢٢ / ١٠ / ١٩٩٢ تم عقد قرانى على آنسة ، على مؤخر صداق قدره ألفا جنيه مصرى ، وتم تحرير قائمة منقولات زوجية بمبلغ وقدره ثمانية آلاف جنيه . وتم الدخول وعاشرتها معاشرة الأزواج مدة تزيد على العام ونصف العام ، وكانت طيلة هذه الفترة تخبرنى باستمرار بنزول دم الحيض عليها وكان والداها يؤكدان ذلك بإخبارى بأنها مرهقة من الحيض كلما قمنا بزيارتهما .

وذات يوم فوجئت بها تصارحنى القول بأنها مريضة بمرض خلقى وهى قد ولدت به وهو عبارة عن ضمور بالرحم ، ووجود مبيض واحد فقط وتكيّس بالمبيض الآخر ، مما نتج عنه عدم نزول دم الحيض عليها مطلقا طيلة حياتها ، وبالتالى انقطاع الأمل بتاتا فى الإنجاب لعدم حدوث حمل ، وهذا ثابت بتقارير قدمتها لى بتواريخ سابقة على زواجنا بأكثر من سبع سنوات ، ومن هول المفاجئة لم أصدق ما سمعت فقمت بعرضها على صفوة الأطباء المختصين بأمراض النساء فأكدوا لى بعد التحاليل والمناظير باستحالة الحمل والإنجاب .

لذلك نلتمس من سيادتكم إصدار فتواكم طبقا للرأى الراجح من الجمهور وشرح الأدلة الثابتة له فى الأسئلة الاتية :

١ ـ هل هذا العقد به غرر وتدليس وغش ؟ وهل يجوز فسخ العقد لذلك ؟ .

٢ ـ هل هذا العقد لازم أم غير لازم لتخلف خيار العيب ؟

وهل ما بالزوجة من عيب يجيز فسخ العقد مع العلم أن ما بها لا يمنع الاستمتاع ولكنه يتعدى إلى عدم الإنجاب وهو الهدف الأول من الزواج ، وخصوصا أن الإنجاب من الأصول الشرعية التى حافظت عليها الشريعة الإسلامية ؟

وهل احتمال الغرر والتدليس والغش والعيب يعطى الحق للزوج فى ردّ هذه الزوجة ؟ مع الرجوع على وليها الذى غرّر بالزوج بالمهر ؟

٤ ـ وما هو حق الزوجة فيما دون بقائمة المنقولات مع العلم أن الزوج تكفل بها كلها إلا

أدوات المطبخ الخفيفة ، وهو عبارة عن أثاث لثلاث حجرات وصالة والأدوات الكهربائية ؟

٥ – وماهى الحقوق المالية التى تستحقها هذه الزوجة من نفقات ؟

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام .

(أحمد.م.ا)

(والجواب)

أولا :

المبادىء :

شرع الله سبحانه وتعالى الزواج سكنا للزوجين ، ومودة ورحمة بينهما قال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك[٢]

فينبغى أن يكون أهم ما يقصده الرجل عند تخيره الزوجة ، أن يتخير ذات الدين والخلق ، فإن اجتمع مع الدين جمال أو مال أو حسب كان ذلك خيرا وأهنأ ، وشأن الدين أن يدفع الافتتان بالجمال والمال والحسب .

ندبت الشريعة الإسلامية إلى أن يرى الخاطب وجه مخطوبته وكفيها لتصح رغبته فيها ويطمئن إلى التزوج بها من غرر أو تدليس يجعله يندم أو يعدل عن خطبتها قبل إتمام الزواج بها ، فقد روى عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال له النبى – صلى الله عليه وسلم : « **انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما** »[٣] أى يصلح الزواج بذلك وتكون به الألفة والوفاق وتحصين النفس وإعفافها .

عنى فقهاء الإسلام ببيان معنى الزواج ، ففى المذاهب الأربعة اختلفت عباراتهم فى تحديد معنى النكاح ، ولكنها كلها ترجع إلى معنى واحد : « وهو أن عقد النكاح وضعه الشرع ليرتب عليه انتفاع الزوج ببضع الزوجة وسائر بدنها ، من حيث التلذذ »[٤] .

فأثر عقد الزواج حل استمتاع كل من الزوج والزوجة بالآخر الاستمتاع الطبيعى الذى تدعو إليه الفطرة ، وليس أثره ملك الزوجة ذاتها ، ولا ملك منفعتها .

ذكر الفقهاء من شروط انعقاد الزواج أنه يشترط فى المعقود عليها أن تكون محلا لعقد الزواج ومحلية المعقود عليها عقد الزواج أن تكون أنثى محققة الأنوثة فلا ينعقد الزواج بالخنثى المشكل وهو الذى لا يستبين أمره ، فلا هو رجل حتى يلحق بالرجال ولا أنثى فيلحق بالنساء ، فلو أجرى عقد الزواج على خنثى مشكل كان عقدا باطلا من أساسه لعدم تحقق شروط الانعقاد وهو محلية المعقود عليها للزواج .

كما يشترط فى المعقود عليها ألا تكون محرمة على العاقد تحريما قطعيا لا شبهة فيه ، فإذا كانت محرمة عليه كان زواجه بها باطلا ، لعدم المحلية الأصلية أيضا وذلك مثل المرأة التى هى للرجل كأمه وبنته

(١) الآية ٢١ من سورة الروم .

(٢) صحيح البخارى كتاب النكاح .

(٣) كتاب أحكام الاحوال الشخصية للدكتور / عبد الرحمن تاج ص ١١ .

(٤) الفقه على المذاهب الأربعة الجزء الرابع ص ٢ قسم الأحوال الشخصية .

وأخته وعمته وخالته ومثل المرأة المتزوجة بزوج آخر وكذلك من أساسه[٥]

جاء فى الفقه الإسلامى ، من شروط الزواج أن تكون المرأة المعقود عليها محلا للعقد بالمعنى الخاص وهو ما يسمى بالمحلية الفرعية ، وهذه المحلية غير تلك المحلية الأصلية التى جعلت شرطا فى الانعقاد ، فإذا لم تتحقق هذه المحلية الفرعية كان العقد فاسدا ، وذلك بأن تكون المرأة المراد العقد عليها من المحرمات على الرجل بدليل ظنى ، أو كان تحريمها مما يخفى ويشتبه أمره . وذلك كزوج المعتدة من طلاق بائن وتزوج أخت المطلقة التى لا تزال فى العدة ، وكالجمع بين امرأتين كلتاهما محرم للأخرى كالعمة وبنت أخيها . فالزواج فى هذه الحالات فاسد لعدم المحلية الخاصة ، ولا يحل فيه الدخول بالمرأة ، ويجب التفريق جبرا إن لم يتفرقا اختيارا[٦] .....

قال فقهاء المذاهب الثلاثة المالكية والشافعية والحنابلة : أن للزوج خيار فسخ الزواج إذا كان بالزوجة عيب من العيوب الآتية : « البرص ـ الجذام ـ الجنون ـ الرتق ـ القرن »لأن تلك العيوب مانعة من استيفاء المنافع التى من أجلها شرع الزواج إما حسا كما فى « الرتق والقرن » وأما طبعا كما فى الجذام والبرص والجنون ، ومعنى الرتق انسداد مدخل الذكر من الفرج فلا يمكّن من الجماع سواء كان الانسداد بغدة لحم أو بعظم ، والقرن شىء يبرز فى الفرج ـ كقرن الشاة[٧] ، أو معناه غدة تمنع المخالطة .

أما الفقه الحنفى فيقرر أنه لا خيار للزوج بسبب عيوب الزوجة مطلقا ، فلا ينفسخ بها الزواج ، لأنها غير مانعة من حصول المقصود من الزواج ثم هى عيوب قد ينفع فيها العلاج ، فيزول به المانع ، هذا إلى أن الزوج يستطيع فراق زوجته بالطلاق ، فلا حاجة إلى الفسخ[٨] .

اتفق فقهاء الإسلام على أن عقم المرأة وعدم انجابها ليس عيبا فيها يمنع الزوج من حصوله على حقه فى الاستمتاع ببضعها أو التلذذ بجميع بدنها ، لذلك فليس للزوج خيار فسخ عقد زواج زوجته التى لا تنجب لأن الإنجاب وعدمه مرده إلى إرادة الله القائل فى كتابه الحكيم :

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[٩] .

ثانيا :

على ما تقدم من مبادىء نجيب على أسئلة السائل بما يلى :

أ ـ ليس بعقد زواج السيد / أحمد . م ا. والسيدة التى تزوجها غرر وتدليس وغش لأن كلا الزوجين مكلف بالبحث عن الآخر لتتحقق رغبتهما باختيار كامل ، وما ذكره الزوج من عدم إنجاب زوجته لعدم حيضها لا يعد من العيوب التى تجيز للزوج فسخ العقد ، ولأن الزوج لم

---

(٥) أحكام الاحوال الشخصية للمرحوم الدكتور عبد الرحمن تاج ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٦) المرجع السابق ص ٥٤ .

(٧) الجزء الرابع من فقه المذاهب الأربعة ص ١٨٣ .

(٨) أحكام الاحوال الشخصية ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٩) الآيتان ٤٩ ، ٥٠ من سورة الشورى .

يذكر فى سؤاله أنه سأل الزوجة أو أهلها قبل العقد عن حالة الحيض أو الإنجاب فأجيب بخلاف ما ظهر له بعد العقد ، لهذا فلا يفسخ عقد الزواج المسئول عنه ، لا اختيارا ولا جبرا لأن الزوج يملك طلاق زوجته ولا يوجد وجه شرعى للفسخ فى هذه الواقعة .

ب ـ هذا العقد لازم لاستكماله شرط انعقاده وشرط صحته المبينين فيما سبق ، وليس هناك عيب يجيز خيار الفسخ للزوج حيث اعترف باستمتاعه بزوجته ، وحصوله على المقصود من الزواج بها ، وعدم الحيض والإنجاب لا يعتبران عيبا كما سبق بيانه .

ـ ليس فى الزوجة المسئول عنها عيب (من العيوب المبينة فيما سبق) أو غش أو تدليس يعطى الحق للزوج فى رد زوجته ، والرجوع على وليها بالمهر ، بل مهر الزوجة وجب بالعقد وتأكد بدخول الزوج واستمتاعه بها وتمكينها إياه من نفسها كما قرر الزوج فى سؤاله ، واعترف به مما يؤكد به أن الدخول الشرعى بها تحقق بينهما فى الماضى .

د ـ ما يوجد فى بيت الزوجية من أثاث ونقولات هو على ما اتفق عليه الزوجان ، وما أقر به الزوج خاصا بالزوجة فهو لها ، ومن حقها دون منازع .

ه ـ طالما أن الزوجية قائمة بين الزوجين ، والزوجة سلمت نفسها محتسبة لحقه ولم تمنع نفسها عنه فهى مستحقة للنفقة ـ بأنواعها وفقا للعرف ـ اعتبارا بحال الزوج يسرا وعسرا لقول الله ـ تعالى :

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴾(١٠)

وقوله : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾(١١)

وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما رواه أبو داود :

﴿ أطعموهن مما تأكلون واكسوهن مما تكتسون ولا تضربوهن ولا تقبحوهن ﴾(١٢) .

هذا هو ما يجرى عليه قضاء الأحوال الشخصية فى مصر بنص المادة ٢٨٠ من المرسوم بقانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ بلائحة ترتيب المحاكم الشرعية .

هذا إذا كان الحال كما ذكر بالسؤال والله سبحانه وتعالى أعلم .

٢٣ جمادى الآخرة ١٤١٥ ه
٢٧ نوفمبر ١٩٩٤ م

شيخ الأزهر الشريف
(جاد الحق على جاد الحق)

(١٠) من الآية ٦ من سورة الطلاق .
(١١) الآية رقم ٧ من سورة الطلاق .
١٢) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢١٦ .

كلمة
فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
فى
مؤتمر كلية الطب السادس
لجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

السيد الأستاذ الدكتور على عبد الفتاح وزير الصحة .
السيد الأستاذ الدكتور نقيب الأطباء السيد الأستاذ الدكتور عميد كلية الطب .
السادة الحضور السلام عليكم ..

أرحب بكم جميعا وأشكر السيد الدكتور وزير الصحة على تشريفه وحضوره وكلمته ولعل عنوان المؤتمر يدعونا إلى أن نداوى ما يجرى فى مجتمعنا من الدخول فى حوارات ومناوشات دون التثبت من أصل الموضوع سواء أكان تحديد الطبيب للمرض أو الكشف عن المكان الذى به المرض وتحديده ، هو تماما أصل القضية المعروضة فى الاجتماعات الأخرى للحوار أو النزاع وبكل أسف ساد مجتمعنا الآن حوارات ومهاترات دون التثبت من القضية التى تناقش ، ويتبقى أن نعود إلى أصولنا وإلى أن نترك المجالات دائما لأهل العلم يتحدثون فى فروعهم التى تخصصوا فيها وأن لا تكون القضايا العلمية مثار جدل على المستوى العام لمن يدرك ومن لا يدرك ، بل إنى أوصى المتخصصين بأن

لا يتحدثوا فى قضية من القضايا قبل أن يعدوا موضوعها وأن يعرفوا جوهره وأطرافه ومحاذيره حتى لا يضل الناس بما يقرءون أو يسمعون .

إن فى مجتمعنا الآن مهاترات كثيرة فى وسائل الأعلام ومقترحات متضاربة تشكك الناس فى معلوماتهم الأولية فى سائر القضايا .

نحن الآن فى حاجة إلى ترتيب أوضاعنا الاجتماعية والصحية والإنسانية ، وكل هذا يدعو أهل العلم فى كل فرع أن يدرسوا وأن يعرضوا على الناس ما تثبتوا من صحته وفائدته ، وأن يكف هؤلاء الذين يتحدثون بغير علم عما يقولون أو ما يعدون له حتى تستقر أفهام الناس على ما ينفعهم وحتى لا نشكك الناس فى دينهم أو فى عقائدهم وفى عاداتهم المستقرة .

أمر آخر : ينبغى أن ننظر إلى الوارد إلينا بحذر سواء كان عادات أو تقاليد ، وأن تكون لنا سماتنا التى نعرف بها ، فما رأينا أحدا يتخلى عن عاداته أو أخلاقياته التى اكتسبها سواء فى دينه أو تراثه وينحو نحو الآخر لمجرد التقليد ، وإلا فما أشبهنا بالغراب الذى حاول أن يقلد العصفور فلم يعد غرابا ولم يصر عصفورا .

نحن الآن فى تقليدنا لما يفد إلينا تماما أشبه بالغراب فى قفزاته ، فليس بغراب ولم يتحول إلى عصفور كما أراد .

نحن فى حاجة أن نحذر من تفجير قضايا فى مجتمعنا لنشغل الناس بها وننشغل عن إصلاح أنفسنا وإصلاح بلدنا فى كل مساراتها التى تحتاج إلى توافق وتكاتف وإلى التواصى بالحق وبالعدل فى سبيل أن نصلح أنفسنا .

أيها السادة أرحب بكم فى هذا اليوم الطيب وأوصيكم أهل الاختصاص بأن تقبلوا على موضوعكم بجدية ، وأن تعلنوا على الناس ثمرات بحوثكم ليطمئنوا إلى أن هذه المؤتمرات التى تعقد هنا فى هذه الكلية ليست مجرد مظهر وإنما هى للبحث وللحقيقة ولإفادة الناس .

مرة أخرى أرحب بكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شيخ الازهر الشريف

(جاد الحق على جاد الحق)

مع سورة المجادلة

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا
تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ
بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ (٩) إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ
مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا
إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ (١٠) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾

ندّدت الآية السابقة بتناجى اليهود والمنافقين ، ورغم أنهم نُهوا عن النجوى ظلوا يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ، وهنا تأمر الآية المؤمنين أنهم إذا تناجوا ــ فى أنديتهم أو فى أنفسهم ــ ألّا يتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وأن يكون تناجيهم بالبر والتقوى ، فهى أمر لهم ألا يكونوا على شاكلة اليهود والمنافقين فى تناجيهم ، ولا يستدعى هذا أن يكون المؤمنون قد فعلوا ذلك ، فهذا كما قال الله ــ تعالى ــ : يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى . وهم لم يؤذوا نبيهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما آذى

اليهود موسى ولكن هذا نهى لهم عن أى إيذاء ، وقريب منه ـ يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان . فالمؤمنون لا يتبعون خطوات الشيطان ولكن هذا تحذير من اتباعه ، فالخطاب فى الآية للمؤمنين الخلص ، وفيه تلميح بأفعال غير المؤمنين من المنافقين واليهود ، ومن حَذَا حذوهم .

وجرى الإمام الزمخشرى على أن الخطاب للمنافقين الذين أظهروا الإيمان بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، وتسميتهم مؤمنين جرى على ما ادعوه وتظاهروا به من الإيمان . فهذا نهى صريح لهم بعد بيان ما كانوا عليه وما هم عليه من السوء .

والإثم هو : المخالفة والمعصية الخاصة بهم ، والعدوان : ما يتعلق بغيرهم والعدوان إثم أيضا ولكنه نوع منه يعنى الاعتداء على الآخرين ، أما معصية الرسول فهى تعنى ما كانوا يدبرونه ويتواصون به من مخالفة رسول الله ﷺ سواء فى ذلك اعتراضهم على ما يقول ، وما يتلو من القرآن ، أو يأمر به أصحابه ـ وقد بينا فيما سبق معنى النجوى ، ويقال تناجى القوم وانتجوا ..

﴿ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ .

والبر هو : الخير الجامع لأنواع الخير ، فكل ما كان فيه خير للناس فهو بر ، والتقوى هى : طاعة المأمورات واجتناب المنهيات ، لأن طاعة الله وقاية من الوقوع فى السوء .

فهذا إرشاد لما ينبغى أن يتناجوا به بعد النهى عن التناجى بالإثم والعدوان ، واتقوا الله فى كل ما تأتون وما تذرون ، فهذا على أى حال إرشاد لما ينبغى أن يكون به التناجى سواء كان الخطاب للمؤمنين الخلص أو كان للمنافقين ليرجعوا عما هم عليه من الآثام إلى ما هو فضل وذو مثوبة من الله .

وقول الله ـ تعالى ﴿ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ يذكر بالمثوبة والعقاب فى الدار الآخرة ؛ لأن الرجوع إليه وحده ، إذ تقديم الجار والمجرور يفيد الاختصاص .

إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ .

تعريف النجوى بالألف واللام يفيد أنها النجوى المعهودة السابقة فى الكلام هذه النجوى المتلبسة بالإثم والعدوان ومعصية الرسول إنما تأتى من الشيطان فهو الذى يوسوس بها ، وجدير بالمؤمنين ألّا يُصْغُوا لوساوسه ، وإذا جرينا على أن الخطاب للمنافقين فهذا تنبيه لهم أنهم منقادون للشيطان الذى لا يأمر إلا بالسوء ، فهى تشديد لتحذيرهم من الوقوع فى هذه النجوى الآثمة ، والشيطان يفعل ذلك لِيُحزِنِ المؤمنين ، وقد كان المسلمون يؤسفهم أن يروا هؤلاء المنافقين يتغامزون عليهم ، والشيطان يريد أن يدخل الحزن عليهم ، وقرئت الآية ﴿ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ـ فالاسم الموصول إذن فاعل ، أى لينبعث الحزن فى نفوسهم ، وليس الشيطان إذ يوحى بهذه النجوى بضار المؤمنين شيئاً من الأشياء أو شيئاً من الضرر ـ فالكلمة تحتمل أن تكون مفعولاً به أو مفعولاً مطلقاً ، (إلا بإذن الله) ، أى إلا بإرادته ومشيئته . والأولى أن يكون الاستثناء منقطعاً ، فيكون المعنى : لكن الضرر بمشيئة الله ـ تعالى ـ وإرادته ، وعلى كونه استثناء متصلاً ، يكون المعنى : لا يمسهم الشيطان بشيء من الضرر إلا بمشيئة الله ، فهو ـ سبحانه ـ هو الذى يضر

وينفع وهو الذى يقضى بالموت وبالغلبة ، وكان المنافقون يتناجون بقتلى المسلمين يوم أحد .

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

أى إذا كان الأمر كذلك من أن الله وحده بيده النفع والضرر ، ولا يملك الشيطان من أمر الناس شيئاً ، فليكن ركون المسلمين واعتمادهم على الله وحده ، ولا يبالون بنجوى أعدائهم ، فالآية إزالة وإذهاب لحزن المسلمين من هذا التناجى .

ولا ينبغى أن يخطر بالبال أن التناجى مباح للمؤمنين حيث يكون خالياً من الإثم والعدوان ومعصية الرسول ، فقد يكون مجرد التناجى والتسار بين اثنين أمام ثالث لهما أو أكثر ، فإن ذلك يؤذى من يكون معهما ، وقد جاء فى الحديث : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس ؛ من أجل أن ذلك يحزنه » .

قال الشيخ الألوسى : « ومثل التناجى فى ذلك أن يتكلم اثنان بحضور ثالث بلغة لا يفهمها الثالث » .. وهذا واضح لأنهما تكلما أمامه فى شيء يريدان إخفاءه عنه ، وهذا يحزنه غالباً ، أما إذا كان جمع من الناس فلا بأس أن ينفرد اثنان بنجوى فى شيء يخصهما .

بينت هذه الآية آداب المحادثة ، فناسب بعدها أن تذكر آداب المجالسة .

فقال الله ـ جل وعلا ـ

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ ﴾

فهذا بيان لما ينشىء المحبة والتواد ، بعد ذكر ما ينشىء التباغض وضيق النفس والفسح بمعنى : التنحى والتوسعة ، يقال أُفسِحْ أى : تنح أو وسِّعْ ، وهو فى فسحة من العمر أو الأمر أى فى متسع ، والمعنى إذا قال لكم قائل ، أياً كان وضعه أو مكانته توسعوا فى مجلسكم فاستجيبوا له ، ووسعوا المكان ولا تضاموا فيه ، وقرىء تفاسحوا كما قرىء فى المجلس ، والمراد : مجالس رسول الله ﷺ وجواب الشرط « يفْسَحِ الله لكم » أى يوسع لكم فى رحمته وفى نعمه عليكم ، وجاء التعبير هكذا : مشاكلة للشرط ، وهذا دارج مألوف فى الكلام كما فى الحديث : « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة ، ومن يسرى على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة » .

نزلت هذه الآية فى مجالس الذكر ، وقد كانوا إذا رأوا شخصا مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمرهم الله ـ تعالى ـ أن يفسح بعضهم لبعض .

وقال مقاتل : أنزلت هذه الآية يوم جمعة ، وقد كان رسول الله ﷺ جالساً فى الصفة وفى المكان ضيق ، فجاء نفر من أهل بدر ـ وكان ﷺ يكرم أهل بدر ـ فلم يجدوا لهم مكاناً ، فوقفوا حيال رسول الله ﷺ ، فقالوا : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، فرد النبى عليهم السلام ، ثم سلموا على القوم ، ووقفوا مترقبين أن يوسع لهم ، وعرف النبى ﷺ ما يحملهم على القيام ولكن لم يفسح لهم أحد ، وشق ذلك على النبى فقال لمن حوله من غير البدريين : قم يا فلان وقم يا فلان ، ولم يزل يقيم واحداً بعد الآخر حتى أقام بعدد البدريين الواقفين ، فشق ذلك على الذين

أقيموا ، وقال المنافقون : ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس ، والله ما رأيناه قد عدل على هؤلاء ، قوم أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم ، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه ، فأنزلت الآية فى اليوم نفسه — يوم الجمعة .

وقيل : كان الصحابة يتشاحون فى مجالس القتال إذا اصطفوا للحرب فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة فى الشهادة فنزلت هذه الآية .

ولا يشكل على هذا الأحاديث الأخرى التى تنهى عن إقامة الرجل غيره ليجلس هو فى مكانه . ومنها حديث ابن عمر : « لا يقم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا » — وأيضاً حديث جابر : « لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ، ولكن ليقل : افسحوا » وجاء الحديث نفسه عن أبى هريرة : « لا يقم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن افسحوا يفسح الله لكم » .

ليس فى شيء من ذلك كله إشكال ومخالفة ، لأن الموقف السابق خاص بأهل بدر ، وقاس عليهم بعض الفقهاء كل ذى فضل وكل من له سبب يدعو إلى القيام له ، ومن هنا جاء اختلاف الفقهاء ، فمنهم من رخص فى ذلك مستنداً إلى ما حدث من رسول الله ﷺ عندما استدعى سعد ابن معاذ حاكماً فى بنى قريظة ، فلما رآه قادماً قال للمسلمين : «قوموا إلى سيدكم » ، فهذا كان لحكمه ، فقاسوا على ذلك القيام للحاكم أياً كان ، ثم لكل ذى جاه ومنصب .

ومن الفقهاء من منع ذلك محتجاً بحديث : « من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار » . وبعض أورد تفصيلاً فقال : يجوز القيام عند القدوم من السفر ، وللحاكم خصوصاً فى محل ولايته ، ولا يتخذ ذلك عادة وديدنا ، فتلك عادة العجم .

ويبدو أن هذا الرأى أولى بالاعتبار ، فلا ينبغى لكبير القوم أن يجلس فى طرف المجلس أو مؤخرته بينما الغوغاء ومن لا شأن لهم فى القوم يتبوأون الصدارة . ومكان الجلوس غير القيام ، وقد كان الصحابة لا يقومون إذا جاء رسول الله ﷺ لما يعلمونه من كراهته القيام .

وكان الصحابة يجلسون منه على مراتبهم . فأبو بكر كان يجلس عن يمينه وعمر عن يساره ، وعثمان وعلى بين يديه لأنهما كانا من كتاب الوحى . وكان ﷺ يقول : « ليلنى منكم أولو الأرحام والنهى ثم الذين يلونهم » أى ثم الذين يلونهم ، وهذا ليعقلوا عنه ما يقوله ، وقد كان ابىّ بن كعب سيّد القرّاء إذا جاء يوم الجمعة فوجد الصف الأول قد اكتمل أقام شخصا من الأغمار وجلس مكانه محتجاً بهذا الحديث .

واختلفت آراء الفقهاء أيضاً فى قوله — تعالى — :

﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾

فالذين قالوا : إن المجالس التى أمروا أن يتفسحوا فيها هى مجالس الحرب قالوا : إن معنى انشزوا انهضوا للقتال .

وقال قتادة : معناه إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا .

وقال مقاتل : معناه إذا دعيتم إلى الصلاة فارتفعوا إليها .

وقال عبد الرحمن بن زيد : كانوا إذا كانوا عند

النبى ﷺ فى بيته وأرادوا الانصراف أحب كل واحد منهم أن يكون آخر المنصرفين ، فيدعوهم ذلك إلى الإبطاء ، وقد يشق ذلك على رسول الله ﷺ لما يريده من أموره ، فأمروا أن ينصرفوا إذا قيل لهم ذلك .

والأكثرون – على أى حال – على أن المجالس مطلقة ، وأن معنى انشزوا : قوموا ، والكلمة من النشز وهو ما ارتفع من الأرض ، ومن يقوم من مكانه يرفع جسمه ، وناسب لذلك أن يأتى بعدها :

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾

وعطف الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا من عطف العام على الخاص ؛ لأن الذين أوتوا العلم من المؤمنين ، وعطف العام على الخاص يؤذن بأفضلية المعطوف على ما قبله ، وخصت الآية أهل العلم بالذكر ، لما للعلم من أثر فى نفوس أصحابه ولما للعلماء من آثار فى توجيه الناس وإرشادهم إلى طريق الخير .

قال الآلوسى : « واستدل غير واحد بالآية على تقديم العالم ولو باهليا (من قبيلة باهلة) شاباً على الجاهل ولو هاشمياً شيخاً ، ثم إن الآية تفيد أن الله – سبحانه – يرفع العالم على غيره يوم القيامة ، لأن الرفعة يوم القيامة هى الجديرة بالاعتبار ، والآية ذكرت أن الله يرفعه درجات ، وليس درجة واحدة ، ولذا ينبغى أن يكون محله فى الدنيا رفيعاً ، وأن يولى صدر المجلس ، وأن يتنحى له الجاهل عن مجلسه ، وهذا أيضاً يوجب على العالم أن يرعى مكانة نفسه سواء فى مجالسه أو معاملاته وسلوكياته ، لينال الرفعة من الله – تعالى – فى الدار الآخرة .

وذيلت الاية بقوله – تعالى – :

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

تخويفاً للمخاطبين ، وزجراً لهم عن مخالفة ما أرشدوا إليه ؛ لأن الله – سبحانه – ذو خبرة وعلم بأعمالهم .

النصّ القرآنى هو الفيصل

أ. د/ محمد رجب البيومى

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

سورة النمل

نقرأ بعض الدراسات التاريخيّة التى تمتُّ إلى كتاب الله ، إذ تحدَّث القرآن عن فحواها ، بما يجب أن يكون منطقاً فصلًا لا جدال فيه ، فلا تجد ما يدل على أن الباحث قدبذل جهده فى إيضاح الحقيقة على وجهها الذى جاء به القرآن الكريم بل تراه وهو المسلم العربى يذكر عدّة روايات تخالف ماجاء في الذكر الحكيم ، ويترك المسألة دون حسم ، بل يترك القارىء غير البصير فى حيرة مما يقرأ لا يدرى إلى أى منحى يتجه ، إذا لم يكن لديه من الحصانة الإسلاميّة ما يرد عنه الأوهام المتخيلة ، وأنت تحار فى تعليل ذلك النهج المريب ، إذ لو صح أن يُسلك من قوم يضطغنون على الإسلام فإنّ اضطغانهم عليه يفضح ما يقومون به من تدليس ، أمّا أن نكتب البحوث التارخية ذات الاتصال الأكيد بنصوص القرآن ، ثم نبتر النتائج بتراً ، أو نلوى المقدمات لياً ، لندع القارىء فى مهب الريح ، فهذا ما ينكره أسلوب البحث النزيه ؛ لأن حقائق القرآن ثابتة أكيدة ، وما عرفنا فى كتاب الله نصاً واحداً يجانب الصواب الواضح ؛ حتى نتهرب عامدين من ترجيح النص الكريم ، وإبطال ماعداه ، لاسيما إذا كان لدينا الدليل الحاسم من الآثار الشاهدة المنقوشة على الجدران ، والتى لم تستطع الدهور المتطاولة أن تطمس حقائقها المتفقة مع ما ينطق به كتاب الله ، نقول هذا لمن يترددون فى التصديق من غير المسلمين ، أمّا الباحث المسلم فلا مجال لديه للانتظار حتى نعثر على أثر قديم ؛ لأنه يعلم يقيناً أن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكم حميد .

مثل كاشف

نعلم جميعاً أن سبأ مملكة يمنية من بلاد العرب السعيدة ، وأن ملكتها قد زارت سليمان ـ عليه السلام ـ وقد حكى القرآن الكريم فى سورة النمل حديث هذه الزيارة وما انتهت إليه من إسلام الملكة بعد اقتناع ، إذ تسلسلت الأحداث مبتدئة بغيبة الهدهد عن موضعه ، حين تفقد سليمان ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ الطير فلم يجده ، فسأل عنه متوعداً ، ولكنّ الغائب قد جاء بخبر جديد عن سبأ ، إذ رأى الهدهد امرأة تملك الناس ، وقد أوتيت من كل شىء حظّا ؛ ولكنها كقومها يعبدون الشمس من دون الله ، وهذا ما شغل سليمان فبعث إليها بكتابه يدعوها إلى مملكته مسلمة طائعة ، ولم تكن بلقيس ذات استبداد وتفرد ، فجمعت قومها؛ لتقول لهم : ماكنت قاطعة أمراً حتى تشهدون ، وطبعىّ أن يبدوا استعدادهم للدفاع ، ولكن الملكة الحازمة آثرت السلام فأرسلت بهدية ثمينة إلى الملك الحكيم ، ظانة أنها بهديتها ، تمنع الشقاق . ولكن سليمان كان يصر على أن ينقذ سبأ من الشرك ، فحذر وتوعد بجنود لا قبل للقوم بها ، فأذعنت لمشيئة الملك ، وحضرت إليه لترى وتسمع ما أقنعها بضلالها فقالت : ربّ إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، هذا بعض ما أشار إليه القرآن من حديث بلقيس ، وقد أكدت الآثار السبئية حقائق بما سنشير إليه بعد، وما أظن باحثاً صادق النظر ، يرى الأثر الشاهد ، ثم يلجأ إلى الإنكار ، فإذا كان الباحث مسلماً ، وألم بالقصة فى كتاب الله ، وما بسطه المؤرخون في الكتب الثابتة ، وتأكد مما سجلته النقوش منذ عشرات القرون ، فليس له أن يترك الأمر دون ترجيح .

ولكننا نرى الباحث يذكر الرواية الإسلامية ، ويصفها بالرواية العربية ليقرنها بأسطورة تزعم أن الملكة حبشية جاءت من إفريقيا إلى أورشليم ؛ لتزور سليمان ، وموجز هذه الأسطورة التى سردها الباحث سرد التاريخ الواقعى الذى لم يزخرفة الخيال الواهم ، أن ملكة إثيوبيا كانت ذات حظ باهر من الجمال ، وأنها سمعت من البحارة الذين يترددون على أورشليم بحكمة سليمان وعظمة سلطانه ، وكان لها من ثرائها الطائل وإبلها القوية وسفنها الواسعة التى تكون أسطولًا بحرياً ضخماً ما حَبَّبَ إليها أن تزور سليمان ، حاشدة مايبهر من الخيول والبغال والإبل محملة بغرائب الهدايا ونفائس الأعلاق ، وقد رحب بها سليمان أبلغ ترحيب ، وأفرد لها جناحاً خاصاً فى قصره ، وجعل يكثر من زياراتها متحدثاً بما أنعم الله عليه من السلطان؛ إذ عرف منطق الطير وملك أمر الريح ، وسخر الجن والشياطين لبناء هيكله ، ثم تزوجها وأنجبت منه ولداً أسمته : (منيليك) ومعناه (ابن الحكيم) وقد شب فى كنف والده فتعلم منه الحكمة حتى إذا اشتد عوده رجع إلى الحبشة ؛ ليكون ملكاً بعد وفاة أمه ، ومن نسله جاءت الأسرة الحاكمة فى الحبشة التى كان آخر ملوكها الامبراطور هيلا سلاسى ، وقد جاء فى نص الدستور الإثيوبى ـ لعهده ـ أنه من سلالة سليمان الحكيم ابن داود ، من سبط يهوذا ، وهو الأسد القاهر المختار من الرب ، ملك ملوك إثيوبيا) !.

هذه خلاصة مركزة لما ذكره الباحث ، عقب الرواية الأولى ، وقد ترك الأمر دون تعقيب !!

فهل كان يظن أن الأسطورة الملفقة ، تقف مع النص القرآنى فى مستوى واحد ، وإذا جاز لمن كتبوا سير ملوك الحبشة أن يبتدعوا من الأوهام ما يشاءون أيجوز لنا أن ننظر إلى النص القرآنى وكأنه تأليف بشرى يخطىء ويصيب !

ضباب كثيف

على أن ما ملأ به الباحث كتابه من شكوك متكررة فى أكثر ما بأيدينا من تاريخ اليمن ، يلقى ضباباً كثيفاً يغمر الحقائق الثابتة ، فمن الجائز أن تكون المصادر العربية لم تستوف هذا التاريخ في عصورة البعيدة ، شأن أكثر التواريخ فى العالم القديم ، ومن الجائز أن يكون فيما كتب عن هذا التاريخ البعيد تضارب يقذف بالحيرة الشديدة فى نفس من لم يألف هذا التضارب المتكرر فى الروايات المتناقضة ، ومن الجائز أن يصح قول ابن خلدون فى مقدمة الجزء الأول من تاريخه أن : من الأخبار الواهية ما ينقله المؤرخون عن أخبار التبابعة إذ كانوا يغزون بلاد البربر بإفريقيا ، وأنهم امتدوا بالغزو إلى أقصى بلاد الصين ، ودوّخوا بلاد الروم ، لأن وقوع اليمن بين بحر الهند من الجنوب ، وبحر فارس من الشرق وبحر السويس من الغرب ، مما يبعد أن تنتقل الجيوش إلى إفريقيا وأقاصى آسيا دون أن تحتل ما تزحف عليه من الممالك ، ولم ينقل أحد من مؤرخى هذه البلاد أن التبابعة قد عبروا بها فضلًا عن أن يملكوها ! أقول : من الجائز أن يكون ما ذكره ابن خلدون(١) ، وأكده الأستاذ « نيكلسون » فيما بعد صحيحا لا لبس فيه ، ولكن ذلك كله بعيد كل البعد عن الحقائق الثابتة فى تاريخ سليمان وبلقيس ، وما قامت به الملكة المسلمة من رحلة استكشافية انتقلت بها من الكفر إلى الإيمان ،وقد كان انتقالها من سبأ لامن الحبشة حيث يمتد الطريق فى الجزيرة العربية بين صنعاء وأورشليم ، دون أن توجد العوائق التى أشار إليها ابن خلدون في حديثه عن التتابعة، وأين حديث التتابعة من حديث بلقيس ! فهذا الضباب الذى يثيره الباحث حول التاريخ اليمنى ، لايعصف بالحقائق التى تسطع فى نور الشمس واضحة سافرة ، وإذا كان التاريخ فى عصره القديم قد تعرض للتزيد ، فليس جميعه ملفقاً أوحته القصص الخيالية ، ولكن منه ما يستعصى على الهدم ، وما يخضع للشك والتوهين .

ليسوا وحدهم

على أن العرب ليسوا وحدهم الذين دوّنوا تاريخ اليمن القديم ، فنحن نعلم أن المؤرخ اليونانى (استرابون) قد كتب فصلًا رائعاً عن مدن العرب ، وهو من أوائل من أسموا بلاد اليمن بالبلاد السعيدة ، ذاكراً ماحفلت به قديماً من الرفاهية والازدهار الحضارى ، حتى إن اليمنيين كانوا يحرقون الأعواد الفوّاحة في الوقود ذات الرائحة الجذابة بدلًا من الأعشاب ، كما أن (بطليموس) المؤرخ الجغرافى قد خصّ هذه الربوع بتفصيل شاف لما أجمله « استرابون » ، وتوالى المحدثون من الرحالة الأوربيين كى يكتشفوا الآثار فى مأرب ، ومنهم من نقل كثيراً من الألواح والأحجار لتجد مكانها في المتاحف الأثرية شاهدة بالحضارة

(١) الجزء الأول من المقدمة ص ١٢ .

السبئية ، وقد تحدث (أرنود) سنة ١٨٤٣ وهاليفى (١٨٦٠) (وجلازر) سنة ١٨٨٠ عن آثار بلقيس ، وعن الأودية العظيمة التى قام حولها سد مأرب ليحفظ المياه ، إذ رأوا آثار السّر ورسموا موقعه ، ووصفوا ما غمره من الأتربة بعد تقادم العهد ، وفى متحف (ترمى) بروما كثير من آثار السبئيين ، وقد أفردت كتب أوربية تتحدث عن آثار سبأ ، حيث يضيف التالى لسابقه جديداً مما يتمخض عنه الكشف العلمى ، إلى أن ظهرت جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٣/١٠/١٤ معلنة الكشف الجديد عن معبد بلقيس ، ناقلة صورتين للمعبد والسد وذلك تحت عنوان جهير يقول (آثار سبأ تتأكد بالدليل المادى كما وردت فى القرآن الكريم) وقد أكدت هذه الآثار رحلة بلقيس إلى بيت المقدس ، وعبادة السبئيين للشمس قبل أن يهتدوا لعبادة الله ، فماذا عسى أن يقول من يتجاهلون الحقائق ، وقد أُيدت بالدليل ، وإذا كان أباطرة الحبشة يجدون في انتسابهم إلى بلقيس وسليمان الحكيم ، ما يثبت عراقتهم الأصيلة في حكم أثيوبيا ، فيؤكدون أسطورة لاتنهض على أساس ما ، أفما يكون من حق المؤرخ أن يكشف الرغوة عن الصريح .

ســـد مــأرب

يرجّح كثير من المؤرخين والمفسرين معا أن بلقيس هى التى أشارت ببناء سد مأرب ، إذ عمدت إلى الجبال المنفرجة ذات الشعب ، فأقامت السدود الحائلة دون تدفق المياه وضياعها فى القفار ؛ لتظل زاخرة وراء السدود ، وقد أقيمت على هيئة أبواب ثلاثة بعضها فوق بعض ، فيفتح الباب الأعلى عند ارتفاع المدّ ، ثم يفتح الباب التالى عند توسطه ، فإذا انخفض المستوى فتح الباب الثالث ، فاستمرت المياه بهذا الترتيب على مدى العام ، حتى تسقط الأمطار فى العام التالى فتتكرر الدورة دون انقطاع ، هذه السدود لها آثارها الباقية إلى اليوم ، وقد أخذت لها المصوّرات المتعدّدة لتحدّث عن تاريخها الغابر ، ولولا ما أحدثه السد من ازدهار حيوى ما كانت سبأ فى ماضيها الغابر ذات حدائق ومروج تصديقاً لقول الله ــ عز وجل ــ :

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[٢]

والجنتان هما الضفتان المتقابلتان على ضفاف السدّ الممتد ، فكلُّ ناحية تعتبر جنة قائمة بذاتها ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ثم مضتْ بلقيس ، وتقلبت الأيام بالسد فلم يقو على الصدع المتوالى بقوة المياه الزاخرة ، ولو وجد من أرباب الحكم والعلم من رأبوا الصدوع قبل أن تنهار لدام لهذه البلاد عمرانها الزاهر ، ولكنَّ ساكنيها قد أعرضوا عن الحق ، وأهملوا الرعاية الحافظة فجاءهم سيل العرم ليشردهم فى البلاد النائية ولعل المناسبة واضحة جلية بين هذه الآيات المبتدئة بقول الله ــ عز وجل ــ :

---

(٢) سبأ : ١٥ .

﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم أية جنتان عن يمين وشمال ﴾(٣)

وبين ما سبقها من حديث سليمان – عليه السلام – إذ قال الله عز وجل :

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾(٤)

إلى قوله – عز وجل – :

﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾(٥)

لأن سبأ المزدهرة العامرة في عهد بلقيس كانت ثمرة من ثمار نبى الله سليمان ، حيث أنقذهم من عبادة الشمس وهداهم إلى الإسلام ، فاستطاعت الملكة المؤمنة أن تؤدى دورها العمرانى واثقة من فضل الله ورعايته ، فلما تحدثت الآيات السابقة عن سلطان سليمان ، توالى الحديث القرآنى عن سبأ التى سعدت بالإيمان على يده ، فازدهرت وأينعت ، ثم حادت عن السبيل بعد أمد ما فلاقت سوء المصير ، وهذا ما ينطق به قول الله :

﴿ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾(٦)

ولسنا بعد هذا كلّه فى حاجة إلى أن نقول إن حديث الملكة الحبشية من أساطير الأولين* .

* إلى أخى د. محمد رجب البيومى

ماكتبه حق ، فذلك هو المنهج لمن أراد البحث عن الحق ، فإن كتاب الله – سبحانه – فصل ليس بالهزل ، وما دونه هؤلاء الذين تنكبوا هذا الطريق لم يفد البحث فى شىء ، ولم يرجع إليه باحث ويطمئن إليه . بقيت (بلقيس) يا أخى الكريم . وكم نود أن نعلم عن خبر تقوم به حجة أن اسم الملكة الوارد فى الكتاب العزيز هو (بلقيس) .

« الخطيب »

---

(٣) سبأ : ١٥ .

(٤) سبأ : ١٢ .

(٥) سبأ : ١٤ .

(٦) سبأ : ١٦ ، ١٧ .

من هم السفهاء؟

للشيخ/ السيد عبد المقصود عسكر

لما استجاب الله لحبيبه محمد ﷺ وحوّل له القبلة من المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله إلى البيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، ونزل قول الله ـ تعالى :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾(١) .

لما حدث ذلك هاج اليهود وماجوا ، وتقوّلوا على رسول الله ﷺ الأقاويل ، وأشاعوا عن دينه الأكاذيب والأباطيل ، وعملوا على تشكيك المسلمين فى دينهم باختراع الشبهات ونشر التُرهات

وأتخذ مشركو العرب موقفا مشابها لكنهم على كل حال كانوا أقل لؤما ، وأدنى خبثا ومكرا .

ومال المنافقون بطبعهم إلى الفريق المعادى للإسلام وانحازوا إليهم ، وإن كان ذلك قد تم بطريقتهم الخاصة التى عبر عنها القرآن الكريم فى قول الله ـ تعالى :

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾(٢) .

وفى هؤلاء الأعداء الذين اختلفت مشاربهم وتعددت منطلقاتهم واتحدوا فى بغض الإسلام وكراهيـــة رسول الله ﷺ جاء قول الله ـ تعالى :

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٣)

قيل المراد بالسفهاء هنا : مشركو العرب وقيل : أحبار اليهود ، وقيل : المنافقون . والواقع أن الآية عامة فى هؤلاء كلهم .

---

(١) البقرة : ١٤٤ .

(٢) البقرة : ١٤ .

(٣) البقرة : ١٤٢ .

مدير عام الدعوة والإعلام الدينى بالأزهر

ذلك لأن السفاهة : خفة وسخافة رأى ناتجة عن نقصان العقل ؛ أو هى : الحمق والجهل .

والسفيه هو : الجاهل الضعيف الرأى القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار ، وهو الذى يضر نفسه من حيث يظن أنه ينفعها .

يقول الله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾(٤) .

يقول الإمام ابن كثير : (ينهى ـ سبحانه وتعالى ـ عن تمكين السفهاء من التصرف فى الأموال ، ومن هنا يؤخذ حكم الحجر على السفهاء ، وهم أقسام : فتارة يكون الحجر للصغر ، فإن الصغير مسلوب العبارة ، وتارة يكون الحجر للجنون ، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين ، وتارة للفلس وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وضاق ماله عن وفائها فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه) .

وعلى هذا نقول : إن أولئك الذين أعرضوا عن سلوك طريق الحق واتبعوا الباطل سفهاء فاقدوا العقل وإن كانوا ـ فى نظر الناس ـ من كبار المفكرين وعلية القوم لأنهم لم ينتفعوا بعقولهم ، ولم يتبصروا فى الأمور ولم يدركوا العواقب ، فكانوا ممن ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولو كانوا من الراشدين لجدوا فى طلب ما ينفعهم والهرب مما يضرهم ، وفى هؤلاء جاء قول الله ـ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾(٥)

ونستطيع أن نقول : إن المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ويعيشون مع المؤمنين بأجسامهم وظواهرهم ، وفى الوقت نفسه يوالون الكافرين ويحبونهم ويظنون أن هذا التصرف دليل على الحنكة والذكاء .

نستطيع أن نقول : إنهم حمقى وسفهاء لأنهم آثروا العاجلة على الآجلة وفضلوا الفانية على الباقية وأوردوا أنفسهم موارد الهلاك واختاروا مصيراً بائسا تعساً عبر عنه القرآن الكريم فى قول الله ـ تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾(٦)

وهم فى الحقيقة ليسوا أهل حنكة وذكاء لأنهم مكشوفون مفضوحون من الله ـ سبحانه ـ ومن عباده المؤمنين .

﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾(٧) .

ومن عجب أن هؤلاء المنافقين يزعمون أنهم أعقل الناس وأحكم الناس وأخبر الناس بما ينفع وبما يضر .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ

(٤) النساء : ٥ ـ ٦ .
(٥) الأعراف : ١٧٩ .
(٦) النساء : ١٤٥ .
(٧) البقرة : ٩ .

﴿ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾(٨) .

والمنافقون اليوم يسيرون على درب أسلافهم يزعمون أنهم وحدهم دعاة الإصلاح وحداة الركب على طريق الفلاح مع أنهم يتخبطون فى الظلمات ، وكل تصرفاتهم فساد وإفساد ، وضلال وإضلال .

ولقد بلغ بهم الكبر والغرور إلى أن رفضوا الإيمان بمحمد ﷺ كما آمن به أصحابه الأطهار الأبرار ـ وفى الإيمان عز الدنيا والآخرة ـ ولم يكتفوا برفض الدخول فيما دخل فيه المؤمنون من الخير والفلاح وإنما رموا المؤمنين بالسفاهة والجهل ، وعند هذا الحد فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يكلف عباده المؤمنين عناء الرد على هؤلاء وإنما تصدى ـ سبحانه ـ للرد عليهم قائلا :

« ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون »

حصر الله السفاهة فيهم وأكد ذلك بعدة مؤكدات ونبه أنهم لتمام جهلهم وحمقهم لا يعلمون بحالهم فى الضلالة والجهل .

وتطبيقاً للمثل العربى المشهور : (رمتنى بدائها وانسلت) ؛ فإن أقواما من الكافرين اتهموا بالسفاهة أئمة الهدى من الأنبياء والمرسلين ، وهاهو القرآن الكريم يحكى لنا ما قاله الكافرون من قبيلة عاد لنبيهم هود ـ عليه السلام ـ « قال الملأ الذين كفروا من قومه ﴿ إنا لنريك ﴾ فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين » فيرد عليهم بالحكمة والصواب قائلا :

﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾(٩) .

إذا فهمنا هذا أدركنا أن مشركى العرب سفهاء لأنهم يعرفون أن محمداً ﷺ صادق ومع هذا كذبوه جحوداً وحاربوه عناداً وأخرجوه من بلده عدوانا عليه وعلى الحق الذى جاء به ، وليس هذا تصرف العقلاء الحكماء الراشدين . يقول الله ـ تعالى :

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(١٠) .

وكذلك فإن أحبار اليهود سفهاء ؛ لأنهم يعرفون محمداً حق المعرفة ويجدون صفته مكتوبة عندهم فى التوراة والإنجيل ، ومع هذا يكذبونه عامدين متعمدين يدفعهم إلى ذلك الحقد والحسد والضغينة ؛ يقول الله ـ تعالى :

﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(١١)

(٨) البقرة : ١١ ـ ١٣ .
(٩) الأعراف .
(١٠) الأنعام : ٣٣ .
(١١) البقرة : ٩٠ .

وهذا يعنى أن تكـذيبهم لرسول الله ﷺ وعداوتهم له ولدعوته ليس بسبب الجهل وعدم المعرفة فهم فى الواقع أعرف الناس به وهم يعلمون تمام العلم أنه نبى حقا . والله ـ تعالى ـ يقول :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١٢) .

وكفى بذلك حمقا وسفها ولهذا فهم أحق الناس بوصف السفهاء ولا يخفى على عاقل لبيب أن من سارع فى رضا السفهاء وطلب ودهم واستجلاب محبتهم كان سفيها مثلهم ، وهذا شأن المنافقين الذين فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون .

يقول الله ـ سبحانه ـ شارحا حال أولئك المنافقين السفهاء الذين يوالون أعداء الله :

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴾(١٣)

ومن الواجب على جماعة المؤمنين أن يكونوا دائما على حذر من كيد السفهاء ومكرهم وألا يأمنوا لهم أبداً .

والقـرآن الكـريم حافـل بشرح أسالـــيبهم وطرائقهم فى الكيد والتآمر ، وفى قصة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام دروس كثيرة شرحتها الآيات فى (سورة البقرة) يذكرنا بها (شهر شعبان) ، ونحن من جانبنا نذكـرّ أنفسنا ونذكر الناس بهذه الحقائق تنفيذاً لقول الله ـ تعالى :

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٤)

ونسأل الله أن يجعلنا منهم وألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا إنه أكرم مسئول وأعظم مأمول .

---

(١٢) البقرة : ١٤٦ .
(١٣) المائدة : ٥٢ .
(١٤) الذاريات : ٥٥ .

من
تراث
علمائنا

النسخ في الشريعة الإسلامية

الرد على منكري النسخ

-٢-

بقلم أ.د/ محمد سعاد جلال

١ ـ اهتم المسلمون بالرد على منكرى النسخ اهتماماً كبيراً ، كما يظهر ذلك فى كتب الأصول عامة ولم يكن مبعث اهتمامهم مخالفة أبى مسلم لكافتهم ، لأن الرد على إنكار مبدأ النسخ كان سابقا على حياة أبى مسلم ، ولأن أبا مسلم لم يعتبر هو الشخصية الخطيرة ، فى إنكار النسخ عند المسلمين .

بل قد أشير إليه بسبب طابع الانفرادية الذى حمله رأيه عن إنكار النسخ ، بعد ما استقر الأمر فى القرن الأول والثانى والثالث عند علماء المسلمين ، على جواز النسخ ووقوعه فى الشريعة والقرآن .

وإنما اهتم المسلمون بمناقشة فكرة النسخ والرد على منكريه ، بسبب عمل اليهود ؛ لأنهم من أول أمر الإسلام أظهروا طعنهم على النبى ـ ﷺ ـ من أجل النسخ ، واعتبروا ظاهرة وجود النسخ دليلا على بشرية القرآن .

كما حصل مثل هذا الطعن من قريش على النبى ـ ﷺ ـ فيما روى ابن عباس أيضا ، على أن الطعن من القرشيين لم يكن هو الذى يستفز المسلمين باستمرار ، فالمفروض أن مثل هذه المطاعن التى كانت تصدر عن قريش انقطع صداها بظهور الإسلام وانتصاره فى الجزيرة العربية كلها .

ولكن الأمر ذا البال فى هذه القضية ، إنما كان هو طعن اليهود المستمر على الإسلام من جهة مسألة النسخ هذه .

ولذلك ، رأينا اسم اليهود وحدهم هو الاسم الظاهر المعتمد فى معرض المناقشات الإسلامية فى هذه المسألة .

٢ ـ تفصيل بعد إجمال :

تعترف الفــرق المسيحيـــة كلهـــا بجواز النسخ[1] ، والمسلمون أجمع يقولون بجواز النسخ وصحته ، وافترقت اليهود من هذا الرأى ثلاث طوائف : طائفة منعت إمكان النسخ عقلا وسمعا ، وطائفة جوزت إمكانه عقلًا ومنعت وقوعه سمعاً ، وطائفة ثالثة سوغت إمكانه عقلًا واعترفت بوقوعه سمعا ، على مثل ما يقوله عامة المسلمين . ويقول كتاب الأصول : وهذه الطائفة وتسمى العيسوية تؤمن بصحة نبوة سيدنا محمد ﷺ ، لكن ترى أنه مبعوث إلى العرب خاصة .

ويضاف إلى جماعة القائلين بمنع النسخ إن أمكن اسم أبى مسلم الأصفهـــانى من بين المسلمين ، فإنه لا يجوز النسخ فى شريعة واحدة ، ويمنع وقوع النسخ فى القرآن .

وقد عنينا بالنص على استبعاد اسم أبى مسلم من نطاق الخلافات فى هذا الموضوع ؛ لأن علماء المسلمين لا يعتدون بخلافه بينهم ، ويصرح الإمام « البزدوى » بقوله : النسخ فى أحكام الشرع جائز صحيح عند المسلمين أجمع ، ويعلق على هذه العبارة شارحه بما يفيد أن نص الإمام على أن نسبة القول بإجازة النسخ وصحته إلى المسلمين أجمع ، مع وجود من أنكر النسخ منهم . كأبى مسلم المذكور ، معناه عدم الاعتداد بمثل هذا المخالف ، ويصرح بأنه لا يعتبر مسلما حقيقيا ، فمن ثم لم ينخدش به الإجماع ، وإن كان ممن انتحل الإسلام .

نعم نحن نرى أن هذا القول تغليظ شديد على من ينكر النسخ ، إذا لم يعرف أساس فكرته بالضبط ، ولكن دلالته لا تخفى على استقرار فكرة النسخ فى الشريعة عند المسلمين .

والشبهة الأساسية التى يتعلق بها اليهود فى منع القول بإمكان النسخ هى أن النسخ من قبيل البداء ، والبداء على الله محال فما هو البداء ؟

٣ ـ البداء : فى أصل اللغة : الظهور بعد الخفاء .. يقال بدا سور المدينة بعد أن كان خافيا ، ومنه قوله ـ تعالى ـ : « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » أى ظهر لهم من عاقبة أمرهم فى الآخرة ما كان خافيا عليهم فى الدنيا .

قالوا : إن الأمر بالشىء يدل على حسن المأمور به ، والنهى عن الشىء يدل على قبح المنهى عنه .

فإذا أمرنا الله بشىء كان ذلك الشىء المأمور به حسنا وصالحا ، فإذا عاد ونهانا عنه بذاته بعد ذلك ، كان ذلك النهى دليلا على أن ذلك الفعل الذى كان قد أمرنا به فى الماضى لم يكن حسنا ولا صالحا ، وإنما كان قبيحا ، وفاسدا ، وأن قبحه وفساده كان خافيا على الله فى أول الأمر حين أمر بفعله ، ثم بدا له من بعد ظهور قبحه وفساده فعمد إلى النهى عنه : فهذا هو البداء وهو يستلزم إدخال النقص على علم الله ووصفه بالجهل بعواقب الأمور ، فما أدى إليه من النسخ يكون باطلا وممنوعا .

٤ ـ وقد كان الجواب عن هذه الشبهة حاضرا

(١) هذه كانت وجهة النظر القديمة ـ اما فى هذا العصر فالمسيحيون ينكرون النسخ

ميسورا عند علماء المسلمين : ذلك أن لخصوصية الزمان أثرا فى حسن الأشياء وقبحها بالنسبة للمكلفين : فقد يكون الشيء حسناً بالنسبة للمكلف فى زمان وصالحا له ، فيأمره الله به ، ثم يكون نفس الشيء فى زمان آخر بالنسبة للمكلف شرا وفسادا فينهى الله عنه ، وقد يكون من أوضح الأمثلة على ذلك فى تصرفات الناس اليوم : الرياضة البدنية ، مثل : الكرة والمصارعة وحمل الأثقال ، فإن هذه الأنواع من الرياضة قد تكون حسنة وصالحة فى زمان الفتوة والشباب ، فيأمر بها الآمر ، ثم تكون مزاولة بعضها عند تقدم السن وضعف القلب ، هلاكا محققا فينهى عنها ، وليس بين أمره ونهيه سبيل إلى إنكار العقول ، فكيف إذا صدر مثل ذلك من الحكيم الخبير ؟ .

فقد ظهر لكم أن الشبهة التى تعلق بها اليهود فى إنكار النسخ ، وقد يتعلق بها غيرهم ليست شيئا يصح التعلق به .

٥ ــ وأما أبو مسلم فالحق أن فلسفته وأدلته لم تنقل إلينا ، وإنما نقل إلينا جانب من تطبيقات مذهبه فقط ، وليس من المحتمل فى نظرنا أنه قد كان لهذا الرجل فى إنكار النسخ فلسفة مقبولة ، ولا أدلة صحيحة ، لأن استقرار رأى الأمة على وقوع النسخ فى القرون الثلاثة الأولى ، ثم متابعة العلماء على هذا الرأى فى القرون من بعد ذلك ، يجعل من الصعب إمكان وجود أدلة أو فلسفة تصور واقع الشريعة على غير ما أدركه علماء الأمة قاطبة ، ولاسيما بعد أن ظهر من مخالفة أبى مسلم لهم ما من شأنه أن ينبههم على احتمال الخطأ ، ويثيرهم إلى طلب الحقيقة ، ومع ذلك فإن خلاف أبى مسلم لم يجد من واقع الشريعة ، فى أمر النسخ مكانا يحمل العلماء على تعديل رأيهم أو بعض رأيهم ، أو حتى على محاولة التوفيق بينهم وبينه فى أمر يلتقون عنده ، وإنه لبعيد جدا ــ من أجل ذلك ــ أن تفترض أنه قد كان لأبى مسلم فلسفة صحيحة ، أو حجج مقبولة غابت عنا . وأقصى ما نجد فى الباب ، أنهم ذكروا حجة فى الجانب الذى يتجه إليه . وهى قوله ــ تعالى ــ فى وصف القرآن الكريم : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

قالوا عنه فى تقرير هذه الحجة : إن النسخ إبطال لحكم القرآن ، والقرآن منزه عن الإبطال فلا نسخ له ، والسنة كالقرآن فى وجوب التنزه عن الإبطال لعدم القائل بالفصل بينهما ، فلا نسخ فيها أيضا .

وليس الأمر كما قال صاحب هذا القول ــ فمعنى الآية أن هذا الكتاب العزيز منزه عن وقوع الخطأ فيه من جميع أقطاره ، وعامة جوانبه فى أحكامه ، وأخباره وبلاغته فلا يتناوله الخطأ من وجه .

والنسخ ليس من قبيل الخطأ ، ولا من قبيل الإبطال لأحكام القرآن وهى قائمة على تقريرها وعملها ، وإنما هو من قبيل البيان لأحكامه ، والإعلام بانتهاء مدة بعضها لتحل محلها أحكام غيرها ــ كما قلنا ذلك ــ فى أثناء البحث مرارا ، وكذلك شأن السنة فلم يسند إذن لأبى مسلم فى الاستدلال على مذهبه شيء يمكن النظر إليه .

لا نجد فى الاستدلال على إنكار النسخ من الحجج غير ما ذكرنا إلا بعض تفريعات ومحاورات لفظية أعرضنا عن ذكرها .

وذلك ما ينبغى أن يلفت أنظارنا إذا وجدنا فى الناس اليوم أو بالأمس قلة ، من يصر على القول بإنكار النسخ فى الشريعة . ففيم ، ولم يكون هذا الإصرار الشديد .. ؟ لا ندرى .

أدلة النســـخ

بعد ذلك نتجه إلى بيان أدلة القائلين بإثبات النسخ .

١ ــ أثبتوا جوازه بالعقل ، وبنص القرآن على وقوعه ، وباستخراج مواد وقوعه فى القرآن فعلا فهذه ثلاثة أدلة :

(ا) دلالة العقل على النسخ :

لا يمنع العقل من إمكان وقوع النسخ ؛ لأنه ممكن لذاته إذ لا يترتب على افتراض حصوله محال فكان جائزا .

وبهذا تثبت الخطوة الأولى فى إثبات الإمكان العقلى ، وبطل زعم اليهود بامتناع النسخ عقلا ، إذ ليس بين ما هو ممكن عقلا ، وما هو محال عقلا إلا انتفاء ترتب المحال على ما تفترض وقوعه فى حيز الوجود فعلا من الأشياء التى تدعى إمكانها .

وهذا الأسلوب فى الاستدلال مما لا يشيع معرفته عند مثقفى العصر ، حيث يشتبه على أذهانهم كثيرا الفرق الدقيق بين نوعين من المستحيل فلزم أن نفرغ بعض الضوء من نور الله على المسألة لتزداد وضوحا ، وليتقرر بمنهجها صحة الاستدلال فى نفوس السائلين فى مواضع كثيرة .

والأمور التى ينكرها العقل تنقسم إلى قسمين بحسب السبب الداعى لهذا الإنكار :

أمور ينكرها العقل لأنه لم يألف وقوعها ، أو لم يألف نفيها فى تاريخ تجاربه الطويلة ومشاهداته المتسلسلة وانطباعاته الذهنية المعتادة ، فهذه الأمور قد يسميها فى حال الوقوع أو فى حال النفى بالمستحيلات ، فالذهن لم يألف مثلا أن ينقلب المحيط ذهبا ، ولا أن يتحول الجبل زئبقا ، ولا أن ينشق القمر فلقتين ، فيسمى ذلك كله إذا عرض عليه مستحيلا مع أنه ممكن فى ذاته ويحتمل حصوله ، وإن كان العقل قبل التأمل والنظر ــ يكاد يرفض احتمال حصوله لشدة غرابته ، وبعده عن مألوفه .

ويقرب هذا المعنى أننا لو سألنا العقل البشرى من قبل مائة عام : عن عجائب الراديـــو والتليفزيون والعقل الالكترونى لحكم بأن ذلك مستحيل ، وإنما كان يستمد الحكم بالاستحالة على هذه العجائب من تصوراته العاديـــة ، ومألوفاته السابقة ، مع أنه قد ثبت الآن ــ بعد انكشاف قوانين كونية جديدة ــ أن هذه ــ المستحيلات فى بادىء نظر العقل قبل مائة سنة مثلا ــ إنما هى ممكنات فى ذاتها تمثل واقع حياتنا الراهنة ، فمثل هذه الأمور الممكنة فى ذاتها المستبعدة بحكم ما جرت به العادات ، وألف العقل من سير الأحداث الكونية الرتيبة ، يسميه علماؤنا ــ رضى الله عنهم ــ مستحيلا عاديا .

وأمور أخرى يحكم العقل باستحالتها لذاتها على الإطلاق كاستحالة الجمع بين المتناقضين بالشروط المعتبرة لذلك ، وكاستحالة إله آخر مع الله ، فكل من هذين المثلين يسمى مستحيلا عقليا ، وهو المستحيل الحقيقى فى استعمالات البرهان ، والفرق بين النوعين مما يطلق عليهما اسم المستحيل ، أن المستجيل العقلى غير قابل للوجود

من حيث ذاته ، فلا يكون ممكنا من هذه الناحية .

والضابط المميز لكل منهما أن المستحيل العادى إذا فرضت وجوده لم يترتب على فرض وجوده محال ثان ؛ فلو فرضنا أن الجبل قد انقلب زئبقا ، وأن المحيط قد تحول ذهبا ، فلن يترتب على تحقق هذا الفرض فى الوجود محال . بعكس ما لو افترضنا أن للبارى شريكا فإن هذا الفرض ـ إن تحقق ـ يستلزم محالا ثانيا يترتب على تحققه وهو انعدام العالم ، ذلك الموجود أمامنا حسا وعيانا .

بهذا الإيضاح اليسير المستطرد ، أمكننا أن نلحظ ما يحكم العقل باستحالته وما لا يحكم العقل باستحالته من الأشياء . وأمكننا أن نلحظ أن استبعاد فكرة النسخ على الشريعة أو استغرابها ، أمر ليس من شأنه أن يؤدى إلى إنكار وقوعه ، وقد دلت نصوص الشريعة ، وواقع هذه النصوص على ثبوت النسخ فعلا :

ورد من آيات القرآن فى إثبات النسخ آيتان هما أظهر الآيات دلالة على الموضوع ، وقد استدل بهما عامة العلماء أولهما ـ

قوله ـ تعالى ـ :

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾

المراد بالآية هنا الآية القرآنية ، وإلى ذلك ذهب عامة المفسرين ، وعلماء الأصول والمراد بالنسخ : الإزالة أو التبديل .

والمراد بلفظ « ننسها » فى أقرب التفاسير أحد معنيين : إما ذهابهما عن الذكر ، وإما تركها على موضعها .

ويكون بيان الآية على المعنى الأول كما ذهب إليه الحسن والأصم وأكثر المتكلمين : ما ننسخ من آية وأنتم تقرءونه أو ننسها ـ أى نذهب بها عن أذهانكم مما كنتم تتداولون قراءته فيما بينكم ، نأت بخير منها أو مثلها .

ويكون بيان الآية على المعنى الثانى حين نفسر النسخ بالتبديل ، والإنساء بالترك ؛ ما نبدل من آية على وجه من وجوه التبديل ، أو نقرها فى مكانها نأت ، بخير منها أو مثلها .

والمراد بالخير على الوجهين فى الآية ـ على ما نختار ـ هو ما كان أكثر مصلحة للمكلف ، سواء أكان أخف أو أثقل من الأحكام ؛ لأن الله يصرف المكلف فى أنواع التكاليف ، على حسب ما يرى له من المصلحة ، لا بحسب هوى المكلف وداعية نفسه .

وبيان الآية على هذا الوجه المستقيم ـ كما ذهب إليه جمهور المفسرين والأصوليين ـ حجة تامة فى إثبات النسخ جوازا ووقوعا .

لكن الشيخ محمد عبده أخذا ببعض كلام محيى الدين بن عربى المتصوف الاتحادى المشهور ، أورد تشكيكا على مفاد الآية .. قال : إن المراد بالآية فى هذا الموضع إنما هو « المعجزة » ، وهو أولا قول بعيد عن المعنى المتبادر للفظ الآية حتى قال بعضهم : إن الآية حين تذكر فى القرآن يراد بها عرفا الآية القرآنية . وأبين من ذلك أن سبب النزول الذى نزل عليه الآية قاض بعدم ترجيح معنى للآية غير مدلول الآية القرآنية .

ذلك أن سبب نزول الآية كما نص علماء التفسير هو طعن اليهود على النبى ﷺ فى أمر النسخ .. قالوا : (ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ، ويأمرهم بخلافه ،

ويقول اليوم قولا يرجع عنه ؟ فنزلت الآية) إذن فقد كان موضوعها يمثل حالة واقعة .

والآية إذا وردت على سبب من أسباب النزول لا يجوز اطراح سبب نزولها فى فهم معناها كما أنه لا يجوز رفض سبب النزول بغير حجة ظاهرة ، لأن الأصل فى أسباب النزول وغيرها مما ينقله لنا أهل العلم الموثوق بهم ، الصحة والقبول حتى يقوم دليل على رفضها ، ولو جاز لنا أن نرفض رواية من هذه الروايات التى ينقلها إلينا أهل العلم بالتشهى ومخالفة المزاج ، لرفضنا كثيراً من النقول الدينية المعتبرة .

وأما الآية الثانية فهى أقطع نص يكون فى الدلالة على غرض ، قال الله ـ تعالى :

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) ﴾ سورة النحل

وسبب نزول الآية ما روى عن ابن عباس ، ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان إذا نزلت آية فيها شدة ، ثم نزلت آية فيها لين ، تقول كفار قريش : والله ما محمد إلا يسخر بأصحابه : اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه ، وأنه لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه ، فأنزل الله قوله ـ تعالى :

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾

ويلاحظ أن ذلك كان فى مكة ، وأن وقائع النسخ قد بدأت فى مكة أيضاً كما نبه على ذلك الإمام الشاطبى .

التبديل معناه : رفع الشىء مع وضع غيره محله ، وتبديل الآية رفعها ووضع غيرها مكانها وهو النسخ ، ويستحيل أن يكون معنى « الآية » فى هذا الموضع غير الآية القرآنية من قبل سبعة أوجه :

أولاً : سبب النزول كما قدمنا .

ثانياً : التبادر الهاجم على النفس الذى لا ينكره من نفسه كل عالم باللغة .

ثالثاً : دلالة قوله حكاية عنهم : « إنما أنت مفتر » . فإن الظاهر من نعت الافتراء أنه لا يكون متعلقاً إلا بما هو من جنس الكلام ، ولا يعقل أن يكون الافتراء متعلقاً بالآيات إذا فسرت الآية بالمعجزة . ويساعدنا على ذلك الاستعمال المستمر فى القرآن ، وفى كلام العرب ، كقوله :

﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً** ﴾

رابعاً : قوله ـ تعالى :

﴿ **قل نزله روح القدس** ﴾

فإن المعروف عن روح القدس أو الروح المقدس وهو جبريل ، أنه كان ينزل بالآيات القرآنية ، بدلالة نص القرآن فى موضع آخر :

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) ﴾ سورة الشعراء .

خامساً : دلالة الآية اللاحقة لهذه الآية مباشرة وهى : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى » . فإن هذا السياق يدل على وحدة الموضوع ، وأن طعن قريش على النبى إنما كان يتناول مادة القرآن من حيث مصدره ومن حيث أغراضه .

فلا محل لدلالة « الآية » . على غير الآية الكلامية فى هذا السياق .

سادساً : ومن ناحية أخرى فلا يساعدنا الواقع التاريخى على أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يأتى بالآيات بمعنى المعجزات ، ثم يبدلها فيرفع معجزة ويحل محلها معجزة أخرى ؛ بل كانت سنة القرآن أن يغلق فى وجوه السائلين باب الاستجابة لتنزيل الآيات الكونية ، وقد ثبت هذا المعنى فى مختلف سور القرآن قريباً من عشر مرات بأساليب مختلفة .

سابعاً : وأيضاً فإن المعجزة إذا وقعت فلا يمكن رفعها ولا تبديلها ، ومجىء آية أخرى ، أو معجزة أخرى لا يكون تبديلاً لها ، بل يكون إضافة إليها ، أما الآية الكلامية فظاهر أن ترفع من موضعها ويحل غيرها محلها .

وحسبنا هذه المعانى التى بيناها من وجوه دلالة الآية على النسخ ، وأطنبنا فيها لكى نقطع عن طريقها كل تكلف شاذ ، وكل تأويل باطل .

(جـ) وأما بيان مواد الآيات المنسوخة فعلاً ، فقد عقدنا له فصلاً مستقلاً سيأتيك قريباً .

العلاقة بين الناسخ والمنسوخ فى الإثبات :

١ ـ يتردد فى كلام بعض العلماء كابن حزم والإمام الشاطبى أن الناسخ لا يكون إلا بيقين ، أو لا يكون إلا بأمر محقق فربما يتعلق بعض من يحاولون إنكار النسخ بمثل هذه الأقوال ، ويزعمون أن النسخ لا يكون إلا بدليل قطعى ، ثم يشككون بعد ذلك فى كل الدلالات الخطابات الناسخة على إفادة النسخ لأحكام الخطابات المقابلة لها .

وعبارة الإمام الشاطبى قال : « إن الأحكام إذا ثبتت على المكلف فادعاء النسخ فيها لا يكون إلا بأمر محقق لأن ثبوتها على المكلف أولا محقق ، فرفعها بعد العلم بثبوتها لا يكون إلا بمعلوم محقق ، ولذلك أجمع المحققون على أن خبر الواحد لا ينسخ القرآن ولا الخبر المتواتر » .

ونريد أن نفهم الأمر المحقق من كلام الشاطبى ما المراد به .

أهو اليقين على الإطلاق ، أم هو الظن الراجح الذى اعتبرته الأمة مناطاً للأحكام التكليفية العملية ؟ لا سبيل إلى أن نفهم الأمر المحقق من كلام الشاطبى على أنه اليقين وحده ؛ لأن مجال النسخ إنما هو الأحكام الشرعية العملية ، وهذه لا يتعين ثبوتها باليقين ؛ لأنها تثبت بالنص العام غير المخصص عند الشافعية ، وبالنص العام المخصص عند الحنفية ، وتثبت بخبر الواحد ، وبالقياس وبالإجماع السكوتى عند الحنفية ، وكل هذه الطرق التى ذكرناها طرق ظنية لا تثبت بها الأحكام إلا ظناً وعليها تدور عامة أحكام الفقه .

وقد يثبت الحكم الشرعى العملى باليقين ، إذا دل على إثباته دليل قطعى لا شبهة فيه لا من جهة الدلالة ولا من جهة الثبوت ، كالقرآن والسنة المتواترة ، ومثل هذا النوع من الأحكام الفقهية بالنسبة إلى مجموعة الأحكام الفقهية الثابتة براجح الظن قليل جداً ، وإذن فلا سبيل لأن يدعى للشاطبى ولا لغيره من أحد من العلماء ، أن الحكم الشرعى العملى لا يثبت على المكلف حين يثبت عليه إلا بدليل يقينى ، فلا يرفعه بعد ثبوته إلا يقين مثله .

(١) جـ ١ ص ١١٩ ـ الإحكام .

وعندئذ نرى أن يكون المراد بالأمر « المحقق » فى كلام الشاطبى الدليل المعتبر فى اصطلاح أهل الفن يقينا كان أم ظناً ، لا خصوص اليقين .

٢ ـ والتحقيق فى هذه المسألة أن الحكم التكليفى إذا ثبت باليقين الذى لا شبهة فيه ـ كالنص القرآنى والسنة المتواترة ، اللذين لا شبهة فى دلالة ألفاظهما على الأحكام ، امتنع نسخه إلا بيقين من طبقته لأن بناء النسخ على ثبوت صحة المعارضة بين كل من الناسخ والمنسوخ ، فلا بد أن يقعا فى رتبة واحدة من مراتب الثبوت .

وإذا كان الحكم المنسوخ من قبيل ما هو ثابت بالظن فلا يشترط فى الخطاب الناسخ له أن يكون قطعياً ، بل يصح أن يكون قطعياً ، كما يصح أن يكون ظنياً فى مثل درجته ؛ لأن مبنى النسخ ـ كما نقول إمكان صحة قيام المعارضة بين النصين .

ومعقولية المعارضة صحيحة بين نصين كل منهما ظنى .

ويؤيد هذا المعنى من كلام الشاطبى نفسه الفقرة الأخيرة من النص الذى قدمناه آنفاً : « وقد أجمع المحققون على أن خبر الواحد لا ينسخ القرآن ولا السنة المتواترة » . فلماذا اقتصر إجماع المحققين على ذلك فقط ؟ إن السبب واضح فيما قدمناه ـ من أن مبنى النسخ على صحة المعارضة عقلاً بين الدليلين المتقابلين ، وخبر الواحد ـ كما هو معلوم ـ دليل ظنى عند عامة العلماء ، فلا يدخل فى طوقه أن يعدو على ما هو أشد منه ثبوتا فيكسره ، فإذا وجدت المعارضة بين قطعى وظنى بطل الظنى فى نفسه وسلم القطعى عن المعارضة .

٣ ـ وأما اليقين الذى ورد فى كلام ابن حزم حيث قال : « لا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول فى شىء من القرآن هو منسوخ إلا بيقين »[1] فلا يصعب علينا أمره .

إن بعض اليقين عند ابن حزم هو ظن عند عامة علماء الأمة : ذلك أن ابن حزم ، والحسين بن على الكرابسى ، والحارث بن أسد المحاسبى ، وغيرهم ، يرون أن موجب خبر الواحد ، إفادة العلم والعمل : فاليقين الذى يعنيه ابن حزم فى باب النسخ ، ليس هو موجب النص المتواتر فقط ، ولكنه موجب خبر الواحد أيضاً على غير ما عهدنا فى ثقافتنا الفقهية التى جرى عليها العمل ، ويثبت ذلك على ابن حزم أنه قال فى الفصل الذى عقده لأدوات النسخ : « وسواء عندنا السنة المنقولة بالتواتر والسنة المنقولة بأخبار الآحاد ، كل ذلك ينسخ بعضه بعضاً ، وينسخ الآيات من القرآن وينسخه الآيات من القرآن »[1] .

فقد رأيت مبلغ اليقين الذى يشترطه ابن حزم فى إفادة النسخ .

وأظن أن هذه النكتة خفيت على بعض الكاتبين فى الأصول فكانوا يعرضون فكرة إمكان قدرة خبر الواحد على إيقاع النسخ موضع الاستغراب من قائليه ، ولكن حين نفهم مذهبهم على الوجه الذى أسفرنا عنه ، وهو أن خبر الواحد عند هؤلاء يفيد اليقين يزيل وجه الغرابة .

ويبقى النزاع مع أصحاب هذا المذهب ، لا فى كون خبر الواحد ناسخاً أو غير ناسخ ، ولكن فى أنه هل يفيد اليقين أو لا يفيد اليقين ؟

(١) جـ ٤ ص ١٠٧ ـ الإحكام .

وإذن لا يبقى فى كلام ابن حزم ولا الشاطبى متعلق لمن يحاول إنكار النسخ أو التشكيك فى أدلته .

وقد عقد الإمام الآمدى فصلاً صغيراً ذا بال عن شروط النسخ الشرعى ، فذكر الشروط المعتد بها وذكر جملة شروط أخرى ، من بينها « أن يكون الناسخ والمنسوخ نصين قطعيين » . ثم كر عليها فى آخر الفصل بقوله : « والحق أن هذه الأمور غير معتبرة »[٢] .

خطأ التأويل القاضى برفع النسخ :

١ ـ وقد رأيتم نهوض الدليل من خبر القرآن على وقوع النسخ والتبديل فى آيات الكتاب العزيز ، فكان لا بد أن نجد فى واقع القرآن آيات منسوخة ، وآيات أخرى ناسخة .

والجدل فى ثبوت هذا المبدأ جدل فى غير طائل ، فمن المستحيل أن يخبر القرآن عن وجود نسخ وتبديل فى آياته ، ثم نفحص المصحف الشريف ، فلا نجد فيه هذا النسخ ولا هذا التبديل الذى أخبر عنه .

وغاية ما فى الأمر أن يقع خلاف بين الناظرين فى تحقيق مناط النسخ فى الآيات التى يحكم عليها بالنسخ ، وهذا مقبول .

وقد حاول أبو مسلم ، كما حاول من ارتضى تقليده من أهل العصر أن ينظر للآيات التى تمثل مواضع النسخ فى حكم العلماء الأقدمين فيردها ، وينشىء بين ناسخها ومنسوخها توفيقات وتأويلات تخرج بها عن حد النسخ ، وهذا الصنيع من هؤلاء العلماء خطأ ولا ضرورة له ، بعد أن بينا أن وقوع النسخ فى الشريعة وفى آيات القرآن ، لا يعيب القرآن ولا الشريعة ، وأن لذلك من حكمة الشرع وإرادته لمصلحة المكلفين ما يجعله أبداً مستساغاً فى حكم العقل والمصلحة . وأنه رد لخبر القرآن عن نفسه ، أن فيه نسخاً وتبديلاً لبعض الآيات ببعض .

ثم إن العلماء المقررين لمبدأ النسخ ـ وهم جميع علماء الأمة ـ ما عدا أبا مسلم ـ على قدر ما وسعنا من العلم ـ لا يفرقون بين السنة والقرآن فى وقوع النسخ فى كل منهما : إنما وقع اختلافهم فى موضع آخر .

فقال الشافعى : لا ينسخ القرآن إلا بالقرآن ، ولا ينسخ السنة إلا سنة ولا ينسخ أحدهما الآخر .

وقالت الجماعة : بل كلاهما وحى ويجوز لكل منهما أن ينسخ الآخر بالشروط المعتبرة لذلك .

فقول من يقول من الناس بوقوع النسخ أو جوازه فى السنة النبوية وحدها وامتناعه فى آيات القرآن ، زعم ليس عليه برهان ، وليس له إمام .

وتحرير مذهب أبى مسلم ـ أنه ينكر النسخ مطلقاً فى شريعة واحدة ، وإنكاره لوقوع النسخ فى القرآن إنما هو تفريع منه على إنكاره الأول . والظاهر من الناقلين لمذهبه بهذه الصياغة ـ كما فعل عبد العزيز البخارى ـ أنه ينكر وقوع النسخ أو جوازه فى السنة أيضاً .

الحديث موصول

---

(٢) جـ ٣ ص ١٦٤ ـ الآمدى .

حديث حول العرض على كتاب الله

للأستاذ/
أحمد عبد الفتاح
عبد المعطى*

قرأت مقال (ردّ من مؤلفى كتاب تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة) فى مجلة الأزهر[1] . فوجدت حديثاً منسوباً إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لفظه :

« إنكم ستختلفون من بعدى فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فهو منى وما خالفه فليس عنى » .

● والحق أن هذا الحديث موضوع ، وكل حديث يدور فى هذا المعنى فهو باطل بشهادة علماء هذا الفن .

● قال البيهقى فى (معرفة السنن والآثار ج ١/٢٣) : أخبرنا أبو عبدالله الحافظ وأبو سعيد ابن أبى عمرو فى كتاب السير ، قالا : أخبرنا أبو العباس ، قال : أخبرنا الربيع ، قال : أخبرنا الشافعى ، قال : قال أبو يوسف : حدثنا خالد بن أبى كريمة ، عن أبى جعفر عن رسول - الله صلى الله عليه وسلم - : أنه دعا اليهود فسألهم فحدثوه حتى كذبوا على عيسى - عليه السلام - فصعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فخطب الناس ، فقال :

« إن الحديث سَيَفْشُو عنى ، فما أتاكم عنِّى يوافق القرآن فهو عنى ، وما أتاكم عنى يخالف القرآن فليس عنى » .

● قال البيهقى : قال الشيخ أحمد : هذه الرواية منقطعة كما قال الشافعى فى الرسالة وكأنه أراد بالمجهول حديث خالد بن أبى كريمة ولم يعرف من حاله ما يثبت به خبره .

● قلت : ولهذا الخبرِ المنكرِ لفظ آخر : ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فأنا قلته ، وما خالفه فلم أقله .

قال السيد أحمد صقر فى (دلائل النبوة ١/٥٥) : حديث موضوع : أورده العقيلى فى ترجمة أشعث بن براز من روايته .

وقال : إسناد لا يصح وللأشعث هذا غير حديث منكر . وذكر السخاوى أنه (حديث منكر جداً) وأن ابن حجر قال : إنه جاء من طرق لا تخلو من مقال ، وذكر العجلونى أن الصغانى قال : إن الحديث موضوع .

وفى عون المعبود عن يحيى بن معين : أن هذا حديث وضعته الزنادقة .

* المعصرة - بلقاس - دقهلية .

(١) الجزء السادس/ سنة ٦٧ عدد جمادى الآخرة .

وقال أيضاً فى (معرفة السنن والآثار ٢٣/١) : والخبر أورده ابن الجوزى فى الموضوعات ٢٥٨/١ وقال : لا أصل له .

قلت : نقل السيوطى فى مفتاح الجنة ص (١٥) عن البيهقى فى حديث أبى جعفر مرفوعاً « إن الحديث سيفشوا عنى ... » .

● قال البيهقى : رواه خالد بن أبى كريمة جعفر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخالد مجهول ، وأبو جعفر ليس بصحابى . فالحديث منقطع .

وهكذا قال الشافعى (الرسالة/ ص ٢٢٥) . ما روى هذا أحد يثبت حديثه فى شىء ، صغير ولا كبير ، وإنما هى رواية منقطعة عن رجل مجهول ، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية فى شىء .

قال الشيخ عبد المتعال محمد الجبرى فى (المشتهر من الحديث ٧١) : ومن رواة هذا الحديث ، من بعض طرقه ، الحسين بن عبد الله ، قال فيه ابن حزم : « الحسين بن عبد الله ساقط ، متهم بالزندقة » .

وقال البيهقى : والحديث الذى روى فى عرض الحديث على القرآن باطل لا يصح ، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان ، فليس فى القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن .

إنه يفيد ضرورة عرض السنة على الكتاب فقد ذكر أئمة الحديث أنه موضوع وضعته الزنادقة .

قال عبد الرحمن بن مهدى : « الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث ، وهذه الألفاظ لا تصح عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه ، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم وقالوا نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شىء ، ونعتمد على ذلك ، قالوا فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفاً لكتاب الله ، لأنا لم نجد فى كتاب الله أنه لا يقبل من حديث ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ إلا ما وافق كتاب الله ، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسى به والأمر بطاعته ويحذر المخالفة عن أمره » .

(جامع بيان العلم وفضله ١٩٠/٢)

قال الدكتور/ محمد محمد أبو شهبة (دفاع عن السنة ١٨) « أما الحديث الذى يرويه القائلون بعدم استقلال السنة بالتشريع ... فقد بين أئمة الحديث وصيارفته أنه « موضوع » مختلق على النبى ـ صلى الله عليه وسلم. وضعته الزنادقة كى يصلوا إلى غرضهم الدنىء من إهمال الأحاديث أ هـ .

وأخيراً : فليتق الله كل من نصَّب نفسه كاتباً فى محراب العلم وليعلم حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » رواه البخارى ج ٣/رقم ١٢٩١ ـ ٣٤٦١ ـ ٦١٩٧ ، ومسلم ج ٤/ ص ٢٢٩٨ ، وأبو داود كتاب العلم باب ٤ ، وابن ماجة فى مقدمة السنن ، والدارمى فى المقدمة ٢٥ ـ ٢٦ ورواه أحمد فى المسند ج ١/ ص ١١٣ ـ ج ٢٢٥/١٥٠/٤ ـ (منهجية الإسلام فى نقل الحديث والأخبار) د : الطاهر محمد الدرديرى .

قبس من أنوار النبوة

الإسلام ينهى عن تتبع العورات

لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم

١ ـ أخرج الشيخان عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ـ قال : « من اطلع فى بيت قوم من غير إذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه » .

٢ ـ وروى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ ﷺ ـ « من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون ، صب فى أذنه الآنك » (الرصاص المذاب) .

٣ ـ وعن معاوية ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم » . (رواه أبو داود) .

إن الإسلام سياج منيع يقى الإنسان من كل جوانبه ، ويحوطه بالعناية والرعاية من كل ما يؤذيه .. وهو عندما يحرم عليه أمراً من الأمور فهو كذلك يحرمه على غيره حتى لا يؤذى غيره ولا يؤذيه الغير .

وإن نظرة فى الأحاديث التى بين أيدينا تظهر فى جلاء ووضوح أن الله ـ عز وجل ـ ينفى الإيمان الكامل عن كل من يتتبع عورات المسلمين ويؤذيهم بلسانه ، أو بإشاعة الفاحشة عنهم ، كما تعطيهم الحق فى فقء عينه ، ووضع الرصاص المذاب فى أذنه حتى لا يرى ولا يسمع ، فضلًا عن العذاب الذى ينتظره من الله فى الدنيا بالفضيحة ولو فى جوف بيته ، وفى الآخرة بعذاب النار وبئس القرار . ولنتدبر ، قول الله عز وجل ـ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة النور

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة النور

صعد النبى - ﷺ - المنبر ونادى بصوت رفيع « يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله » [أخرجه الترمذى].

إن للمسلم حرمات تجب رعايتها ، ويحرم انتهاكها .

لقد نظر عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - إلى الكعبة واستحضر فى ذهنه تكريم الله - تعالى - وتعظيمه لمكانتها حيث وضعها الله فى الأرض لعبادته وتقديسه ، ولهذا قال :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(آل عمران : ٩٦ - ٩٧) .

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ﴾ .

(البقرة/٢٥) .

حين استحضر عبدالله بن عمر تلك الحرمات التى أحاط الله بها الكعبة . قفز إلى ذهنه صورة أخرى هى صورة الكيان الكامل لتكريم الشخصية الإسلامية فقال : فيما أخرجه الترمذى - فى حال نظره إلى الكعبة « ما أعظمك ! وما أعظم حرمتك ! والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك » .

إن كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله ، ولكنَ والأسى يفتت الأكباد - نرى كثيراً ممن ينتسبون إلى الإسلام لَاهَمَّ لهم إلا التجسس على المسلمين وتتبع عوراتهم ، وإشاعة الشائعات عنهم ، والخوض فى أعراضهم ، والعجيب أن هؤلاء الذين يعنيهم التجسس على عورات الناس هم أنفسهم لم يبرءوا من العورات ، وليتهم يشتغلون بعوراتهم وعيوبهم عن عورات الناس وعيوبهم ، لو فعلوا ذلك لأراحوا واستراحوا . ولقد جاء فى مأثور القول : « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس » . ولمن تجد مسلماً نظيفاً طاهر القلب والعرض ، إلا وهو مشغول بعيوبه عن عيوب الناس .

إن شأن المسلم أن يبتعد عن صفات النفاق فهى أشنع ما يوصف به العباد فإذا اختلف ما وقر فى القلب عما ينطق به اللسان فقد شاهت الصورة الإيمانية وقبح منظرها . بل إن هذا من أمارات الطرد من حظيرة الإيمان ، والبعد عن راية الإسلام .

وإن المسلم مأمور بالحفاظ على أخيه المسلم ، وعلى كل ما يتعلق به من أمور الدنيا والآخرة ، فهذا شأن الأخوة الإسلامية ، وتلك هى مبادىء الدين القويم ؛ لتظل الأخلاق الإسلامية ، ولتبقى راية الفضيلة ترفرف فى سماء المجتمع كله ، فلا يجترىء إنسان على الجهر بالمعصية .

روى عن عمر بن عبدالعزيز - رضى الله عنه - أنه دخل عليه رجل فذكر عنده وشاية وذما فى آخر ، فقال له عمر : إن شئت حقّقنا هذا

الأمر الذى تقوله فيه ؛ فنظرنا فيما نسبته إليه . فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (الحجرات ٦).

وإن كنت صادقـــاً فأنت ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ (ن ١١).

وإن شئت عفونا عنك . فقال الرجل : العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود إلى ذلك أبداً .

فلـــيت المسلـــمين يلتزمـــون هذا الهدى الإسلامى ــ وبخاصة ــ الذين يلون أمور الناس منهم ، حين يستمعون لهذا الصنف الرخيص من الفساق الذين يحبون أن تشيع الفاحشة والفوضى بين المؤمنين . والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا . فيضربون على أيديهم ليطهروا المجتمع منهم .

وليت أولئك الذين يريدون أن يشفوا غل صدورهم ، وحقد قلوبهم بإشاعة الشائعات ، ليتهم يعلمون أن هذه صفات تتنافى مع الإيمان ، والمؤمن ليس بفاحش ، ولا طعان ولا سباب ولا نمام . ولا مغتاب . وبحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المؤمن .

تصـــويب

وقع خطأ مطبعى فى قصيدة تحية الأزهر للشيخ صالح محمد سيد على فى البيت قبل الأخير وصحته :

نحن فى ظلـــه نباهـــى ونفديـــــــــه فداء لا نعـــرف الإرتيابـــا

آداب الاستئذان وكرامة الإنسان

بقلم الشيخ / محمد حافظ سليمان

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا
وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا
فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ
أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

سورة النور

إن الله الذى خلق النفوس فسواها ، وألهمها فجورها وتقواها هو الذى يعلم ظاهرها وخباياها وسرها ونجواها ، وهو الله الذى يريد للمسلمين أن يكون خلقهم مستقيماً ، وسلوكهم قويماً ، امتثالًا لأمر الرحمن ، وحفظاً لكرامة الإنسان .

وبعداً عن معصية الله الذى أنزل القرآن لسعادة البشر ، وبمراعاة آداب الاستئذان تحفظ للبيوت حرياتها وتصان حرماتها ؛ لأن للناس فى بيوتهم شئوناً خاصة بهم لايشاركهم فيها ضيف تبلد حسه فهانت عليه نفسه ، فجاءت تلكم الآيات البينات لكى تقول : لاتدخلوا بيوت الناس بغير إذنهم ولو كنتم قد اعتدتم هذا من قبل ، وتقولون نحن ذوو قربى ؛ لكن شريعة القرآن جاءت لسيادة الناس على مساكنهم تحفظ أمنهم وعزهم وتحمى استقلالهم واستقرارهم : فلا تقتحم البيوت بفوضى الاختلاط الذى يصنعه الأرذلون !!!

ذكروا أن سبب نزول هذه الآيات : أن امرأة شكت إلى النبى ﷺ أنها تكون فى بيتها على حالة لا تحب أن يراها فيها أحد لا والد ولا ولد فيأتيها آت فيدخل ، فماذا تصنع مع مثل هذا ، فنزلت تلكم الآيات الحاسمات البينات التى لاتقبل تبديلًا ولا تعديلًا ولا تعطيلًا ولا تأويلًا يصنعه الشاردون من الهدى ودين الحق ، وراحوا يقلدون أقواماً نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون :

فهـل نسمـى الهمجيـة مدنيـة ؟ والدعـارة حضارة ؟ والإباحية حرية ؟... كبرت كلمـة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا : والله يقول : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

(الآية ٤٢ من سورة البقرة) .

فماذا يصنع الشرَّاح فى قول فصلٍ وماهـو بالهزل ــ يقول للمسلمين :

﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾

فقد يكون البيت فى حالة ــ لاتسمح بزيارة أحد ولاضيافته ــ قد يدركها أهل الذوق السليم والخلق الكريم استنتاجاً من قول الخلاق العليم ﴿ **وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا** ﴾ لأن الله يحذر من فقدان الإحساس وعدم مراعاة شعور الناس ، وهذا مايمقته مَنْ رزقهم الله حُبَّ الحيطة والعفة ، وهم الذين يعرفون من دينهم وفطرتهم السليمة أن الله العليم الخبير قد حرم على المؤمنين والمؤمنات التسيب والاستهتار ، ففرض عليهم أن يستأذنوا قبل دخول بيوت الناس بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

فى سورة النور التى وصفها الله بقوله :

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

الاستئذان حق شرعى

وفى الإسلام الحنيف تثبيت لحقوق الإنسان الأدبية والمادية ، وبمراعاة الأخلاق الدينية تسمو النفوس وتتيقظ الضمائر وتستنير البصائر ويقف كل إنسان عند حده وبهذا يستتب الأمن والسلم ، وتسود المودة بين المسلمين ، ويتعاون المؤمنون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، وويل لمن غلبته نفسه بهواها. ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ سورة الشمس

لذلك أمر الله المسلمين بالاستقامة والاعتدال فى كل شىء :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(آية ٩٠ من سورة النحل)

ولكن فريقاً يستهتر بذلك ويستهين بآيات الله ويتخذها هزواً ، ويقول : إن الاستئذان لا يؤمر به الأقارب وأولوا الأرحام ، إنما جاءت هذه الأوامر لزمان غير زماننا ، ولكن هذا سفه وجهالة ، وهذا مما يتنافى مع عزة الرجال وعفتهم ، وشهامتهم ومروءتهم ونخوتهم وفطرتهم ، وتقاليد المسلمين وشريعتهم : ورد أن رجلًا جاء إلى النبى ﷺ وقال له : « أأستأذن على أمى ؟ قال نعم : قال : ليس لها خادم غيرى ، أأستأذن عليها كلما دخلت ؟؟ قال : أتحب أن تراها عريانة ؟ قال : لا قال : فاستأذن عليها » . وبذا يحفظ للبيت جلاله واحترامه ، فكان تشريع الاستئذان رحمة بالإنسان حيث وضع الإسلام للزيارة حدوداً ، ورسم لها قيوداً ، ومنع الاختلاط المريب الذى يثير الظنون والشكوك ، وللشيطان فى هذا المجال ألاعيب وأساليب تغرى بالإثم ، وتحض على الفتنة والوقيعة والشر والدسيسة (إن الشيطان للإنسان عدو مبين) .

وليس أعز على الأحرار من صيانة الأعراض وسلامة الأنساب وطهارة السيرة ونظافة السمعة ؛ لذلك كان الإسلام حريصاً أشد الحرص على وجوب الاستئذان قبل دخول المساكن الأخرى ؛ صوناً للشرف واتقاء للشبهات وتجنباً للزلات والهفوات ؛ ليعيش الناس حياة منزلية نقية ، نظيفة أبية ، عزيزة عفيفة : فلا ضرر على الأسرة ولا خطر ولايقال : إن للأهل مناعة تعصم من الخطيئات (ولصديق الأسرة) ثقة وأمانات لاتكون معها شبهات ، ولكن الله يقول :

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ..﴾ بعد قوله – عز وجل – فى سورة النور : ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وبهذه الأوامر والنواهى يلتزم المؤمن بالتوجيهات ويعمل بالعظات البالغات لكيلا تجد الرذيلة إلى أصحاب النفوس الهزيلة سبيلًا يبرر لها فوضى الاختلاط وإباحة اقتحام البيوت ذات الحرمات :

« وما معنى حتى تستأنسوا ؟ ».

قال علماؤنا : أى حتى تطلبوا الأنس بالإذن لكم بالدخول : وبالأنس تزول الوحشة وتتبدل بها طمأنينة وأمنا فالأنس ضد الوحشة ، والوحشة يحس بها من يدخل بيت غيره بدون إذن ، وعلى الزائر أن يتلمس الأنس والرغبة ، وهل هو مقبول فى زيارته ؟ أم غير مرغوب فيه ؟ أم أنهم لايريدونه ؟ أم سيقابلونه بالبشر والبشاشة والشعور الكريم والترحاب الجميل ؟ وعلى الزائر أن يقرع الباب بهدوء ورقة أو يمس « الجرس » الخارجى كذلك : فلا إزعاج يقلق ولا ينادى بصوت منكر ليفتح له الباب بسرعة : وأدوات الإعلام معروفة لمن شاء أن يُعْلِمَ بالزيارة والقدوم قبل الدخول وطلب الإذن بذلك : وطلب الإذن واضح بيِّن بوسائله المعهودة المعتادة .

ولقد كان تشريع الاستئذان نوراً يضيء الطريق لحماية القيم الإنسانية والأسرة الإسلامية من كل ريبة تثير الشك ؛ ولهذا كان هذا التشريع خيراً لكم فلنتذكر هذه الخيرية ولنتدبرها ولنحرص عليها أشد الحرص ففيها ضمان العزة والعفة وحسن السمعة ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من عزة كاذبة إذ كان بعضهم يقول : فى انتظار الإذن ذلة ومهانة لمن ينتظر الموافقة على صدور الإذن ، وكذبوا وجهلوا أن الإسلام الذى يمنعكم من دخول بيوت غيركم بغير إذن هو الإسلام الذى يمنع غيركم من دخول بيوتكم إلا أن يؤذن لهم ، لأن الخطاب لجميع المؤمنين ذكراناً وإناثاً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾ ولايدرك الخير فى الاستئذان إلا المتقون ولا يجحده إلا المجرمون الذين هيمن الهوى عليهم فاتبعوا أهواءهم ، وانقادوا وراء شياطينهم الذين زينوا لهم سوء عملهم فرأوه حسناً

﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة الروم

أفضل الزيارة :

وقد يدخل البيت بدون إذن أحد الأقارب ويطيل المكث فيشق هذا على أصحاب البيت ولو

كان هذا من الأصهار أو أولى الأرحام الذين لا يؤمنون بالاستئذان المفروض عليهم ، ولكنهم يقولون : إنما جعل الاستئذان من أجل النظر كما ورد هذا فلا نظر يصدر منا والمراد بالنظر المعلم بالاطلاع على ما يكرهه أهل البيت من الزائر ، ألا ترى أن الأعمى مفروض عليه الاستئذان فقد يدرك بحسه وحدسه ما لا يخطر على بال المبصر وقد يكون فى البيت أشياء لاتباح له معرفتها لأنها خاصة بأهله فيجب احترام شعور الناس ويجب العمل بالقرآن كله ففيه السعادة فى الدنيا والآخرة .

ثم أرأيت ما يكتب فى الصحف من حوادث وقضايا أخلاقية ، وفيها من المخازى ، والمآسى ما فيها؟ يسببها الخروج عن حدود شريعة الله واتباع خطوات الشيطان عدو الإنسان من أجل هذا يقول الله جل جلاله : ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ تعقيباً وتحذيراً من تقليد الذين انقادوا وراء شهواتهم من غير قيود فلا وازع يربيهم ولارادع يصدهم عن غيهم وبغيهم وسوف يلقون غيا .

وإنه ليحزننا أن يتردد إنسان على بيت غيره في غيبة صاحب الدار ويتظاهر بصداقته ومودته ثم لا يلبث أن يظهر خبث طويته وسوء نيته ودناءة نفسه وخسته ، وقد يسبب تطفله وتسفله دماره وبواره ، وويل لمن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا .

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ ؟

سورة الشورى

إن الله لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولكن الذين فسدت ضمائرهم وانطمست بصائرهم وعميت أبصارهم عن رؤية الحق غلبت عليهم شقوتهم فلا مروءة ولاإحساس ولا ذوق تراعى به مشاعر الناس فى الآداب العامة ومنها آداب الزيارة كما فى القرآن الكريم وسنة الرسول الأمين ﷺ .

« بيوت غير مسكونة »

ولاحرج فى دخول الأماكن العامة بغير إذن لأنها ليست مسكونة وإنما جعلت لمصالح الناس ومنافعهم التجارية «بيعاً وشراء» أو الصناعية أو الزراعية التى تفتح للناس دائماً لاستقبال الجماهير أصحاب المنفعة كالأسواق العامة ، وأماكن الإيواء (الفنادق) والحمامات وعيادات الأطباء ودور الاستشفاء ، إلا عندما يتخذ الإنسان فيها وضعه داخل بيته ، والمنتزهات العامة والمطاعم التجارية وكالمقاهى و «النوادى» إلى غير ذلك من الأماكن العامة «لا الخاصة» والله يقول :

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

سورة النور

قالوا : سبب نزول هذه الآية أن أبا بكر ــ رضى الله عنه ــ لما نزلت الآية التى سبقتها قال : يارسول الله ، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون من مكة والمدينة وبيت المقدس والشام ولهم بيوت معلومة على الطريق فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكان فنزلت تلك الآية : وقوله : ﴿فيها متاع لكم﴾ صفة للبيوت ، فإن فيها متاعاً لكم أو مستأنف كتعليل لنفى الجناح عن تلكم البيوت التى لم يفرض الإذن لدخولها : وهذا للصالح العام ، فلا حرج فى الدين ولكنه اليسر فى التشريع ، واختتمت الآية بقوله ــ جل جلاله :

﴿ والله يعلم ماتبدون وما تكتمون ﴾ لأن الأعمال بالنيات والله لا تخفى عليه خافية ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وهو يعلم التحركات السيئة ذات المقاصد الخبيثة ، وإن كان ظاهرها حسناً ولكن الله عليم بذات الصدور .

استئذان الأطفال

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾

وهذا نوع من التأديب المثالى لأطفال المسلمين جاء فى هاتين الآيتين الكريمتين الهادفتين إلى السمو والاحتشام فى أوقات حرجة وحساسة سمَّاها القرآن ﴿ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ﴾ وفى هذه الأوقات يلجأ الناس إلى طلب الاستجمام والراحة وتخفيف الملابس وقت الظهيرة وفى وقت الإيواء إلى حجرات النوم ، فلا ينبغى أن يطلع فيها أحد على أحد ولو كان طفلًا لم يبلغ الحلم : وهذه الأوقات هى :

١ ــ من قبل صلاة الفجر .

٢ ــ وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة .

٣ ــ ومن بعد صلاة العشاء .

فلا يُحبّ فيها الوالدان دخول أطفالهما عليهما أو أطفال غيرهما ، ويجب أن تقوم التربية على هذه القواعد القرآنية الخالدة ليستأذن الأطفال بتوجيه من ذويهم وأهليهم على ضوء هذه التوجيهات الإسلامية التى تتمشى مع الفطرة الإنسانية النظيفة ، فهل رأيت كنظام الإسلام نظاماً دقيقاً رفيقاً يصون العفة والكرامة لبيوت الناس .

﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ سورة الأنعام

درس تأديب وتأنيب

يقول الله ــ تعالى ــ فى سورة الأحزاب :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ سورة الأحزاب

هذا درس تربوى وتأديب إلهى وتوجيه قرآنى أنزله الله على رسوله الكريم لتهذيب المشاعر وتنمية الإحساس فى قلوب الناس ولإعطاء العزة حقها فلا قيمة لإنسان بغير كرامة يكون بها إنساناً في صورته ، مَلَكا كريماً فى سيرته .

تكون نفسه عالية وأخلاقه سامية ، ليكون قوياً فى غير عنف ، ليناً فى غير ضعف ، يمشى سوياً على صراط مستقيم ، والله يقول :

﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الآية ٢٢ سورة الملك)

والمؤمن يكون ممن يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف يصون النفس ويحملها على ما يزينها وذلك لأن الإنسان إنسان بشهامته وهمته ومروءته وعفته لا بهيئته وطول قامته، إنسان بإيمانه السليم وسلوكه المستقيم، إنسان برجاحة عقله وطهارة نفسه، ورحم الله القائل:

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته
أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

واستكمال فضائل النفس أزكى وأطهر من دنس الدناءة والثقل والرذالة والتطفل والتسفل:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وقد كان ناس يدخلون بيوت النبى ﷺ بدون إذن، فعلمهم القرآن آداب الاستئذان ونهاهم عن ترقب أوقات طهى الطعام أو إعداده فإذا دعوا إلى الدخول فليدخلوا: فإذا طعموا فلينتشروا ولا يمكثون يؤذون النبى ﷺ فأنقذ الله رسوله بقرآن يتلى يرشد الضالين ويوقظ الغافلين وليتعرف الناس فى كل زمان ومكان آداب الزيارة ويقدروا لها المناسبات ويختاروا لها الأوقات فإذا طعموا فلينتشروا فى الأرض الواسعة: ويتركوا البيوت لأصحابها وكذلك كانوا إذا سمعوا الحديث استسلموا واستكانوا واستقروا وأقاموا: فكان ذلك يؤذى النبى ﷺ فيستحيى منهم ويتحامل على نفسه مستعيناً عليهم بالصبر الجميل فخفف الله - تعالى - على نبيه أمرهم وأوقفهم عند حدهم.

قسوة الإيذاء النفسى

ولاريب أن الإيذاء النفسى أشد قسوة من أذى الأبدان على الإنسان، والله قد حرم كل أنواع الأذى ومنها إيلام الناس فى مساكنهم بالمضايقات المريرة كأن يقلب الزائر الثقيل عينيه ذات اليمين وذات الشمال ليختلس نظرة حقيرة دنيئة، ومنها أن يمد يده إلى شىء ما. كالكتب مثلًا، وقد يطلب إعارته كتاباً فإذا أخذه لم يرده وقد يدعى فقدانه، ومنها أن يسأل عن أشياء إن تبد له تَسُؤه، وعليه أن يجلس جلسة مؤدبة لا التواء فيها ولا كبرياء وألا يرهق صاحب المسكن بمطالب كثيرة يضيق بها ذرعاً، ومنها أن ينطق بالكلم الطيب فلا يكون فظاً (جلفاً) غليظ القلب.

ومن الأمور المؤلمة أن يذهب زائر بصحبة أطفاله الصغار ويتكرر منه هذا لحاجة فى نفسه وقد يذهب فى وقت لا تحمد فيه الزيارة !! وهذا مما يؤلم صاحب البيت: ومن الأمور المؤذية أن يأوى مريض «بمرض معد» إلى بيت غيره كضيف يفرض نفسه ومرضه على غيره ليؤلم الناس فى مستقرهم ومكان أمنهم وراحة بالهم، ولا يقبل مثل هذه البلايا المؤذية !! و«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» والله - تبارك وتعالى - حرم إيذاء الناس:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾
سورة الأحزاب

وعلى المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم وعلى المؤمنات أن يغضضن من أبصارهن أينما حلُّوا وأنَّى وجدوا، والله يقول:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾
سورة النور

الجن وماله فى الانس

الزار

٢

لفضيلة الشيخ / عطية صقر

١ ــ كلمة الزار ليست عربية الأصل ، وإنما أصلها «كوشيني» وهى عبادة وثنية فى أثيوبيا ، أخذها الأحباش من أفريقيا السوداء عند «البورى» ولذلك يسمى الزار «زار دى بورى» .

٢ ــ هذه العادة قديمة ظهرت قبل الإسلام وكان أصلها فى أفريقيا ثم انتشرت فى غيرها ، وقيل : كانت فى فارس وعبرت النيل حتى وصلت أفريقيا .

٣ ــ يقول المستشرق الفرنسى «مكسيم» إن الزار دخل مصر من الحبشة سنة ١٨٧٠م ثم انتقل إلى أفريقيا الوسطى وأمريكا الجنوبية والوسطى ، ويقول البعض : إن الزار لم يوصف فى كتاب «وصف مصر» الذى صدر سنة ١٨٣٠م بعد حملة نابليون .

٤ ــ ترجع هذه العادة إلى ، عدة أسباب :

(أ) فقد تكون لعقائد دينية ، تتسلط فيها الأرواح الشريرة على الإنسان .

(ب) وقد تكون بسبب طاقات مكبوتة ، ولَّدتها ظروف ضاغطة تسبب ألما نفسيا وعصبيا ينفس عنه بالزار .

الكاتب عضو مجمع البحوث الإسلامية ، ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر .

(جـ) وقد تكون بسبب إجهاد عقلى يحتاج الى الراحة والإنطلاق بعمل هذه الطقوس .
(د) وقد تكون بسبب مس الجن .

(هـ) وقد تكون بسبب الوهم حين يشير بعض الجهلة على مريضة بأنها ممسوسة ولا يشفيها إلا الزار .

٥ ــ طقوس الزار هى :
(أ) الموسيقى العنيفة بالضرب على الرق ، وقد يستمر ذلك عدة أيام .
(ب) الحركات الهيسترية ورقص المريض مع مشاركة الأصدقاء للتخفيف من محنته بعد الرقص ..
(جـ) إحضار ديك وبخور وذبح خروف وشرب المريض لدمه والارتماء على الأرض .
٦ ــ تعالج الطاقات المكبوتة علاجا نفسيا وهذا العلاج معروف ومايزال يمارس ، وأهل «سارسينا» موطن موسوليني بإيطاليا يتبعون طريقة تشبه الزار داخل كنيسة «سان فيتشو» حيث يضع القسيس طوقا من حديد حول عنق المريض ويستجوبه وهو فى حالة عدم سيطرة على جسمه ثم يطلب القسيس على أصوات المزامير ــ من العفريت أن يترك المريض فى سلام فيشفى من المرض «أخبار من روما نشرتها آخر ساعة فى ١٩٥٨/١٢/٨ م وله فى أمريكا معاهد تطبق العلاج علميا .

والعلاج النفسى الصحيح يخلق الثقة والأمل فى نفس المريض ويقوى شخصيته ومع اعتقاد أن المرض من عند الله لابد من الصبر والرضا والتوجه إلى الله بالطاعة والدعاء ليكشف الكرب .

والإجهاد العقلى يحتاج إلى الراحة والترويح والحديث صريح فى أن لله حقا وللبدن حقا والواجب أن يعطى كل ذى حق حقه ، والدين ينهى عن الغلو حتى فى الطاعات إذا ترتب عليها ضرر « فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » والنصوص كثيرة فى يسر الإسلام ومراعاة الوسع فى التكاليف .

وأما الوهم فيجب التخلص منه ويجب الاعتماد على الحقائق فى كل الأمور . ومس الجن علاجه مذكور فى بحث الجن : يقول ابن تيمية فى كتابه «إيضاح الدلالة ص ١٤٦» : الناس فى مس الجن أصناف ثلاثة : قوم يكذبون بدخول الجن فى الإنس وقوم يدفعون ذلك بالعزائم المذمومة ، فهؤلاء يكذبون الموجود،وهؤلاء يعصون ، بل يكفرون بالمعبود ، والأمة الوسط تصدق بالحق الموجود ، وتؤمن بالإله المعبود وبعبادته وذكره وأسمائه وكلامه ، فتدفع شياطين الإنس والجن .

٧ ــ وحكم الدين فى المظاهر التى يقوم عليها الزار الآن : أن الموسيقى فى حد ذاتها قد تكون مؤثرة على الأعصاب ، فلا يحكم عليها إلا بالعوارض التى تصحبها واستعملها أطباء الغرب فى الصرع البدنى والعصبى وفى ذلك إيحاء للمريض بالشفاء .

أما الرقص الجماعى أو المختلط فهو حرام ، وكذلك الذبح باسم الجان يعتبر ميتة محرمة كما أن شرب الدم حرام ، واحتيال القائمين بذلك على الكسب والتغرير حرام .

ولزيادة المعلومات يمكن الرجوع الى :

١ ــ مقال فى مجلة نهضة أفريقيا للكاتب «ريتيه خورى» عدد ٩ فى يوليو ١٩٥١م .

٢ ــ رسالة للسيدة هدى بدران كعلاج بطريقة بدائية .

٣ ــ رسالة ماجستير عن الزار للسيدة فاطمة المصرى .

٤ ــ كتاب عن الزار للمستشرق الألمانى «باول كاله» زار مصر سنة ١٩٠٣م وعمل راعيا للكنيسة الألمانية .

تحضيـــــر الأرواح

هو تحضير للقرين ، وفيه بحث فى الجزء الثانى من كتاب «بيان للناس من الأزهر الشريف» ص ٣٣٢ .

السحر

مذكور فى الجزء الثانى من كتاب «بيان للناس من الأزهر الشريف» ص ١٤٥ ويزاد عليه ما يأتى : تحدث ابن القيم «زاد المعاد ج ٣ ص ١٠٤» عن علاج السحر وهو يتمثل فى أمرين :

أولهما : استخراج المادة التى عمل بها السحر ، كما صح أن النبى ﷺ سأل ربه سبحانه فيما سحره به اليهود فدله عليه واستخرجه من بئر ، فكان فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر ، فلما استخرجه ذهب ما به حتى كأنما نشط من عقال . فهذا من أبلغ ما يعالج به المطبوب أى المسحور .

ثانيهما : معالجة المكان الذى أثر فيه السحر كالحجامة عند دوار الرأس ، وقد لجأ إليها النبى ﷺ قبل أن يعرف أنه مسحور فلما عرف استخرج السحر من البئر كما ذكر .

ثم قال ابن القيم : ومن أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية بل هى أدويته النافعة بالذات فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية ، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات والدعوات التى تبطل فعلها وتأثيرها ، وكلما كانت أقوى وأشد كانت أبلغ فى النشرة ، وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحد منهما عدته وسلاحه ، فأيهما غلب الآخر قهره وكان الحكم له ، فالقلب إذا كان ممتلئا من الله مغمورا بذكره ، وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات وِرْدٌ لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه كان هذا من أعظم الأسباب التى تمنع إصابة السحر له ومن أعظم العلاجات له بعدما يصيبه .

وعند السحرة ان سحرهم إنما يتم تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفعلة والنفوس الشهوانية التى هى معلقة بالسفليات ، ولهذا غالباً ما يؤثر فى النساء والصبيان والجهال وأهل البوادى ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد ، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوذات النبوية .

وبالجملة فسلطان تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفعلة التى يكون ميلها إلى السفليات قالوا : والمسحور هو الذى يعين على نفسه ، فإن من كان قلبه متعلقا بشىء كان كثير الالتفات إليه ، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات ، والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها بميلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة وبفراغها من القوة الإلهية وعدم أخذها للعدة التى تحاربها بها فتجدها فارغة لا عدة معها وفيها ميل إلى ما يناسبها ، فتتسلط عليها ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره والله أعلم .

الحســـد بالعـــين

الحسد بالعين حقيقة ملموسة وموجودة من قديم الزمان ، وإن عجز بعض الناس عن تفسيرها تفسيرا علمياً ، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال « العين حق ، ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين » رواه مسلم ـ وقد اتخذ النبى ﷺ لها إجراءً وقائيا وإجراءً علاجيا ، فقد ورد عن أبى سعيد أن النبى ﷺ كان يتعوذ من الجان وعين الإنسان ، كما روى الترمذى وصححه أن أسماء بنت عميس قالت : يارسول الله إن بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم ؟ فقال : « نعم ولو كان شىء يسبق القضاء لسبقته العين » .

وجاء فى مسند أبى داود عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن ــ أى الحاسد ــ فيتوضأ ، ثم يغتسل منه المعين ــ أى المحسود ــ وروى مالك أن عامر بن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل فقال : والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة قال : فلبط سهل ، فأتى رسول الله ﷺ عامرا وتغيَّظ عليه وقال « علام يقتل أحدكم أخاه ألا بَرَّكت ، اغتسل له ، فغسل عامر وجهه ويده ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه داخلة إزاره فى قدح ، ثم صب عليه فراح مع الناس .

وقد ذكر ابن القيم فى كتابه « زاد المعاد ج ٣ ص ١٦ » عدة أحاديث فى هذا الموضوع وعلق عليها بقوله : أبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين وقالوا : إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها ، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل ومن أغلظهم حجابا وأكثفهم طباعا وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها ، وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره ، وإن اختلفوا فى سببه ووجهة تأثير العين .

ثم ذكر ابن القيم وجهات نظر مختلفة وتفسيرات متعددة لكيفية الإصابة بالعين ، منها قوله : إن العائن إذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة انبعثت من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيتضرر ، قالوا : ولا يستنكر هذا ، كما لا يستنكر انبعاث قوة سمية من الأفعى تتصل بالإنسان فيهلك ، وهذا أمر قد اشتهر

عن نوع من الأفاعى أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك فكذلك العائن . ثم قال : وهو يلتقى مع قول النبى ﷺ فى الأبتر وذى الطفيتين من الحيات أنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحَبَل

ويؤمن ابن القيم بذلك حتى قال : إن نفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية بل قد يكون أعمى فيوصف له شيء فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره . وذكر علاج الإصابة بالعين مستوحى من الأحاديث النبوية مع أدعية واردة تفيد فى هذا الموضوع أفاض فى بيان تأثير العلاج النبوى بالاغتسال بالماء الذى اغتسل به العائن بما لايدع مجالا للشك فى أهميته .

هذا ، والأبحاث النفسية الحديثة لا تنكر أثر العين ، بل أثر القوى الأخرى ، وهى تثبت صدق الرسول ﷺ فى قوله ، وأثر الاستعاذة والتحصين فى تقوية الروح لتدفع خطر العين .

ومما جاء فى كلام ابن القيم فى المرجع المذكور أن النبى ﷺ قال « إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القِدْر » كما ذكره جابر : وأن تأثير الأرواح فى الأجسام معروف ، ومنه أنك ترى الوجه كيف يحمر حمرة شديدة إذا نظر إليه من يحتشمه ويستحى منه ، ويصفر صفرة شديدة عند نظر من يخافه إليه ، وقد شاهد الناس من يسقم من النظر وتضعف قواه ، وهذا كله بتأثير الأرواح ، ولشدة ارتباطها بالعين ينسب الفعل إليها ، وليست هى الفاعلة وإنما التأثير للروح ، والأرواح مختلفة فى طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها ، وذكر لدفع أذى عين الحاسد تعوذات كثيرة ، منها : قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وآية الكرسى ، والتعوذات النبوية التى منها "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، ومنها : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة . وذكر أن من الاحتراز من الحسد ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه ، كما ذكر البغوى فى كتاب شرح السنة أن عثمان ــ رضى الله عنه ــ رأى صبيا مليحا فقال : دَسِّموا نونته لئلا تصيبه العين ، ومعنى دسِّموا نونته : أى سودوا النقرة التى فى ذقن الصبى الصغير ثم ذكر أن العائن إذا كان يخشى ضرر عينه على المعين ؛ يدفع شرها بقوله : اللهم بارك عليه ، كما قال النبى ﷺ لعامر بن ربيعة « ألا بركت » أى قلت : اللهم بارك عليه . وكذلك قول العائن : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وهى من الأشياء التى تدفع شر العين ، أو تدفعه رقية جبريل للنبى ﷺ كما رواها مسلم فى صحيحه عندما قال : "باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ، ومن كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك باسم الله أرقيك".

إن ما أثر عن النبى ﷺ بشأن الحسد بالعين والوقاية منه وعلاجه جدير بأن يحرص عليه الناس ، ولا يلجأوا إلى الأساليب الأخرى التى قد تدفع إليها عقيدة باطلة مأثورة عن الجاهلية من التمائم والخرزات والودع وما إليها ، ففى المشروع غِنىً وكفاية عن الباطل الذى يروج له من لا يتورعون عن الحرام .

المسيح المنتظر عند اليهود

د/ محمد حسن عبد الخالق (*)

يؤمن اليهود بمجيء (المسيح) المنتظر ، وهذه الدعوى بظهور المسيح ، لم تكن معروفة قبل كتب التوراة ، وتفسيراتها «كالمِشنا» و «الجَمارا» و«التلمود» وغيره ، كما أن هذه التسمية تعود إلى تلك الشعائر الدينية التي وردت في التوراة المتداولة في سفرى « التكوين والخروج » وما يليهما من أسفار العهد القديم .

وتدل دراسة المقارنة بين الأديان على أن شيوع الإيمان بالخلاص ، وظهور المسيح «المخلص» في زمن مقبل لم يكن أمراً جديداً على اليهود ، وكلما تعاظمت المحن زاد الأمل في الخلاص .

وكلمة « المخلص » أو « المنقذ » أو « جوئيل » بالعبرية تعني ذلك الفارس الذى يصل في الوقت المناسب ليخلص اليهود من آلامهم .

وإذا رجعنا إلى التاريخ القديم للشعوب ، وجدنا الفكرة قد استعارها اليهود ممن سبقهم ، فقد كان « البابليون » يؤمنون بعودة « مردخ » إلى الأرض لتطهيرها من الفساد ، وحتى المجوس كانوا يؤمنون بظهور « رسول » كل ألف عام ، يُبعث في جسد إنسان .

الحياة اللغوية للكلمة :

وقد بدأت كلمة « مسيح » وبالعبرية « ماشِيَحْ » حياتها اللغوية بمدلول مادى عادى ،

(*) الكاتب يعمل بمجمع البحوث الإسلامية .

فالفعل « مسح » كان يستعمل لمبايعة الملوك ، إذ يأتى الكاهن الأكبر الذى يقوم بطقوس التتويج ويضع فى كفه قليلًا من الزيت الذى يعتبرونه (مقدساً) فيمسح به مقدم رأس الملك ثم يضع التاج ، إذاً فهذه التسمية تعود إلى الشعائر التى وردت في التوراة . فالمسح بهذا الزيت شعيرة من شعائر التقديس والتكريم .

كذلك ورد فى الإصحاح السادس عشر من سفر الأيـام : « لاتمسوا مسحـائى ، ولاتـؤذوا أنبيائى » وكان مسح الملوك بهذا الزيت أول شعائر التتوج والمبايعة عند اليهود ، وبعدها أطلقت كلمة « مسيح » مجازاً على كل مختار ومنذور ثم أصبحت بعد ذلك تعنى (المختار) أو (المنـذور) للهدايـة والصلاح .

وطوال سنى النفى الطويلة حاول اليهود أن يحققوا الفكرة الصهيونية بثلاث طرق أو بالمعنى الأدق على ثلاث مراحل وصولًا لأهدافهم وتحقيقاً لغاياتها وهى :

١ ـ المسيحانية .
٢ ـ العمل السياسى .
٣ ـ احتلال فلسطين .

وتاريخ اليهود ملىء بالعديد من المحاولات المريرة التى كانت الغاية منها أولًا وأخيراً تحقيق الهدف الصهيونى .

وقد عاش اليهود فكرياً وروحياً داخل مجموعة النصوص الدينية التى لديهم وبعد تعرضهم للسبى البابلى ، ثم التشتيت فى الأرض على أيدى الرومان اتخذ تفكيرهم في الغيبيات اتجاهين محددين هما :

١ ـ نهاية العالم .
٢ ـ الخلاص على يد المسيح المنتظر .

وتأتى فكرة الخلاص أو المسيح مقترنة بفكرة تجديد العهد ـ أو العهد الجديد ولكننا لانجد بين أسفار التوارة الموجودة بين أيدى اليهود مايشعر بفكره انتظار المسيح المخلص ، ولكن اليهود تأولوا ذلك كما سوف يتبين القارىء من المقال .وإذا نظرنا إلى ماورد فيها نجده لايدل على شيء .

وجملة القول أنهم صاغوا أفكارهم هذه وصولًا لغايات كانوا يحلمون بها ويريدون تحقيقها .

وبعد هذه المقدمة الموجزة عن المسيح المنتظر والبناء الفكرى المعقد الذى ارتبط بهذا الأمل وأصبح عالماً مليئاً بالحكايات والأساطير وأشهرها ما يراه اليهود فى المسيح وهو شخصية النبى (إلياس) والذى يسميه اليهود « إيليا التشبى » أو « إلياهو النبى » وأخبار معجزات هذا النبى فى العهد القديم كثيرة .

وأذكر إحدى قصص « إلياهو » : فقد وجد الفساد قد تفشى فى فلسطين ، فقـام ينـادى بالاصلاح ، ثم تأتى قصته مع إمرأة أرملة تعيش هى وابنها فى (صرفة) وهى إحدى قرى الشمال التى تسيطر عليها « صيدا » ويمرض ابن الأرملة ويموت .. وتمضى أحداث القصة فيأخذه إيليا ويصعد إلى السطح ويطلب من الرب إعادة الحياة إلى الولد ، فتعود إليه الحيـاة .. كذا ورد فى القصة .

ونحن نعلم أن تلك إحدى معجزات الرسول « عيسى » ـ عليه السلام ـ وهو ما كان يحيى ويميت بإرادته بل بإذن الله وقدرته للتدليل على نبوءته فحسب ، واعتقد اليهود أن « إلياهو » سيأتى مبشراً بمجيء المسيح ، وقال بعضهم : إن المسيح هو ابن الأرملة الذى أعاده « إلياهو »

للحياة ، ومنهم من قال : إن إلياهو وابن الأرملة شىء واحد .

ونراهم جميعاً يؤمنون بأنه سيأتى ، بل إنه ينزل على فترات إلى الدنيا ليطمئن على أنه مازال هناك يهود يقيمون الشعائر الدينية .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو :

لماذا لم يؤمن اليهود بالمسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ عند قيامه بدعوته فيما بينهم .

والإجابة باختصار أن هناك مواصفات خاصة وشروطا معينة للمسيح المنتظر عند اليهود ، وعندهم أن النبى « أشعيا » فى سفره ـ الإصحاح الحادى عشر ـ وصف المسيح بقوله :

« ويخرج فرع من جذر « يَستىْ » يقضى بالعدل للمساكين . فيسكن الذئب مع الحمل ، ويربض النمر مع الجدى والعجل ، وشبل الأسد مع دابة العلف .. إلخ؟؟

ويقول اليهود إنه لم يتحقق شيىء من هذا على عهد عيسى بن ريم ـعليه السلامـ فالذئب مازال يأكل الحمل .. إلخ ، فلم يؤمنوا بعيسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلامـ لما هو محفور فى قلوبهم نحو مسيح هم ينتظرونه بمواصفات وأوصاف خاصة عندهم ؟

ولم يكتفوا بهذا بل حرفوا اسم المسيح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ من (يسوع) التى تنطق بالعبرية « يشوع » بمعنى المخلص وأسموه باسم آخر « مرذول » فعليهم لعنة الله .

وقالوا عنه ـ فى غير لياقة :

« عرفنا عنه القليل وكنا نتمنى ألا نعرف عنه شيئاً ، ولم يكن بالنسبة لنا أمير السلام ، بل كل المآسى التى حدثت لنا كانت ترتكب باسمه » .

وهذا هو رأى اليهود فى المسيح ـ عليه السلام .

وهكذا داعب « الحلم المسيحانى » خيال اليهود منذ السبى البابلى وحتى الآن . وقد تناقلت الأجيال هذه الفكرة ، كل يزيد إليها حسب هواه أو حسب متطلبات الجيل الذى عاش فيه حتى أصبحت فكرة الخلاص ومجيىء المسيح المخلص هى نبوءة الغد والشريعة الكاملة لدى اليهود كما أصبحت من بين الأسس الثلاثة عشر التى حددها موسى بن ميمون ـ حجتهم فى الدين ـ وجعلها ركن من أركان الديانة اليهودية . وهى :

« أنا أؤمن إيمانا كاملًا بمجىء المسيح ، ومهما تأخر فإننى أنتظره كل يوم » .

وبالطبع مهما انتظره « ابن ميمون » وغيره من أتباعه ومن حملة دعوته الآف السنين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ لن تتحقق نبوءته هذه لأنها وهم ونسج خيال ، وما أكثر الواهمين والعابثين وأصحاب الخرافات المقبولة وغير المقبولة لدى اليهود .

وقد كثر أدعياء المسيحانية لدى اليهود على مر العصور واكتشف أمرهم جميعاً ، فمنهم من قتل ومنهم من هرب .

كما يعمد أدباء اليهود فى معظم كتاباتهم إلى إبراز مفهوم عالم « القبالة » ـأى التصرف اليهودىـ والرؤى وكلها تدور حول نقطة واحدة هى مجيىء المسيح المخلص ، وكلما زادت الآلام أصبح مجيىء المسيح وشيكاً .

﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

سُورَةُ البَقَرَةِ

السمع والبصر وعصر الأطباق

للأستاذ الدكتور/ صفوت حسن لطفى (*)

إن المولى ـ عز وجل ـ إذا أحل أمراً فلابد أن يكون فى أدائه وإتيانه ثمرة طيبة تعود على صاحبها بالخير فى حياته الدنيا قبل أن ينعم بثواب الله وجنته فى الآخرة .

وإذا حرم الله ـ تعالى ـ أمراً فإن ارتكاب هذا الأمر المحرم لابد أن يكون له أثره الخبيث الذى يجلب على صاحبه أشد الأضرار فى حياته الدنيا قبل أن يلحقه عذاب الله فى الآخرة .

وفى قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ (الأعراف : ١٥٧) يتبين لنا أن كل ما أحله الله للمسلم هو من الطيبات التى تصلح بها حياته فى الدنيا ، وأن كل ما حرمه الله هو من الخبائث التى تفسد حياة مرتكبها لتصبح نقمة عليه فى حياته الدنيا

وإذا تناولنا أثر بعض المحرمات على الإنسان فسندرك أن التردى فى إتيان المحرمات والمعاصى يحدث أخطر الآثار وأسوأها على صفاته وعلى جسده وعلى تفكيره وبصيرته .

( ) الأستاذ الدكتور صفوت حسن لطفى ـ أستاذ التخدير بطب القاهرة .

خطر النظر إلى ما حرم الله :

وسنتوقف أمام أمر المولى – عز وجل – بالمحافظة على جارحتى السمع والبصر والابتعاد بهما عن المحرمات لنتبين أثر المخالفة المعصية لأمر الله – تعالى – فى هذا الشأن .. فالمولى – عز وجل – يأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر يقول تعالى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

سورة النور

فى هذه الآية يأمر المولى – عز وجل – المؤمنين بتجنب النظر إلى المحرمات كما يبين – سبحانه وتعالى – فى قوله : (ذلك أزكى لهم) أن من يطع هذا الأمر ينعم بثمرة الطاعة فى حياته الدنيا حيث تتزكى نفسه بغضه لبصره .

أما من يسلك سبيل المخالفة فإن ضررها لا يقتصر أثره على صفة البصر – وحدها – وإنما يمتد إلى ما أودعه الله فيه من صفات الفطرة كلها ليصيبها بأسوأ الأضرار .

كذلك لا يقتصر هذا الأثر على زمن ارتكاب هذه المخالفة ولكنه يمتد عضوياً ونفسيا إذا ما استمر فى هذه المعصية .. إلى زمن أبعد ؛ إذ أن إطالة النظر إلى المحرمات تؤدى إلى آثار عضوية ضارة على الكثير من أجهزة الجسم حيث تؤدى إلى التأثيرات وردود الأفعال الانعكاسية العصبية الضارة وإلى احتقان بعض الأجهزة والغدد خاصة (غدة البروستاتا) بما ينتهى إلى بعض الرغبات الجامحة التى قد تدفع إلى الوقوع فى الفاحشة أو ممارسة العادات المرذولة التى نهى الشرع عنها .

كذلك تؤدى إلى ضعف التركيز العقلى وضعف القدرة على التمييز الواعى فى مجالات العمل والتحصيل العلمى وغيرها .

كما تصيب صاحبها بالمرض النفسى فيزداد تلهفا على النظر إلى المزيد من المحرمات ولا تشبع عيناه المريضة من الوقوع فى هذا المنكر ، بل يتحول إلى إنسان أسير لأهواء نفسه وشهواتها لا يبحث إلا عن النظر إلى الفواحش ولا يرى غيرها فيما حوله ، ويصبح اهتمامه موجهاً إليها دون غيرها كما يوجه همته وإرادته إلى البحث عن المزيد منها .. فإذا مضى فى هذا السلوك واستمرأه ، فإنه يصاب بغشاوة على بصره تعميه عن رؤية الحق ، وعن اتباع سبيل الطاعة وعن سلوك طريق الهداية .

حظر التفكير فى المحرمات :

ومن الجدير بالذكر فى هذا الموضع أن التفكير وإطلاق العنان للخيال تفكيراً فى الفواحش وانتهاك الحرمات حتى ولو كان الإنسان داخل غرفته المغلقة لا يرى أحداً بعينه ولا ينظر إلى صورة بذاتها ، يؤدى إلى نفس النتائج الضارة نفسياً ، ودينياً ، وجسدياً ، إذ أن هذا التفكير ينتهى به حتى ولو كان مغمض العينين إلى نفس الأثر الذى يحدثه النظر إلى الفواحش .

مراتب فى غض البصر :

وتشير الآية الكريمة أيضاً إلى مراتب أخرى من غض البصر .. فالمسلم الذى يسلك طريق الطاعة ويرتقى فى تقواه – لله تعالى – يجب عليه أن يلتزم بغض بصره عن عيوب الآخرين ونقائصهم .. وألا ينظر كذلك إلى ما فى أيدى غيره من النعم أو الأفضال التى وهبها الله لهم .

ولقد نهى المولى – عز وجل – الإنسان المسلم أن يمتد ببصره إلى أى فضل أو نعمة أنعم الله بها على غيره – جاء ذلك – فى قوله – تعالى –: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ سورة طه

لقد جاءت آيات القرآن لتأمر المسلم بأن يتجنب كل سبيل يؤدى به إلى الوقوع فى الفواحش حيث يقول – تعالى –: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (البقرة – ١٦٨). إذ أن السبيل إلى اتباع الشيطان إنما يكون باتباع خطواته فى تنكب صراط الله المستقيم واقتراف المعاصى والفواحش خطوة بعد خطوة حتى يصبح هو ذاته شيطاناً يدعو غيره إلى الفواحش والموبقات .. ومن هنا كان ضرورياً أن يبتعد المسلم عن كل سبيل يؤدى إلى المعصية والفاحشة ، وعن النزول فى أى منزل فيه خروج عن طاعة الله واتباع للشيطان .

لقد بينت الآيات القرآنية أن المسلم مسئول أمام – الله تعالى – عن المحافظة على (صفات فطرته) التى فطره الله عليها ، وأن ارتكاب السيئات يصيب النفس بالعلل والأمراض حتى إذا ما تتابعت وتكاثرت خرجت هذه النفس عن الفطرة السليمة وتحولت إلى المعصية .

قال تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الجاثية

ومن هنا كان الأساس أن يقى الإنسان نفسه من الوقوع فى هذه المخالفات مصداقاً لقوله – تعالى –: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ الأنعام : ١٥١ .

وإذا كان المسلم مطالباً بأن يحافظ على بصره فلا تبصر عيناه إلا ما فيه طاعة الله – تعالى – فإنه مطالب أيضاً بأن يحافظ على سمعه فلا تسمع أذناه إلا قول الحق : وإنما ينطلق ذلك من مسئوليته عنهما : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء : ٣٦) . إذ أن دوام الاستماع إلى الطاعة يؤدى إلى تأثر الصفات الإنسانية بذلك المسلك إلى أن يتحول المسلم إلى مؤمن طائع يسارع فى كل أموره إلى طاعة المولى – عز وجل – حتى يكون لسان حاله فى حياته كلها هو قول الله – تعالى –: ﴿ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ سورة البقرة

كما أن مداومة الاستماع إلى المخالفات والمعاصى تؤدى بالإنسان إلى الابتعاد عن الطاعة والتعود على المخالفة والمعصية .. حتى تكون حياته كلها هى قول الله – تعالى – : ﴿**وقالوا سمعنا وعصينا**﴾ وينتهى به أمره أن يصير من الفريق القائل : (سمعنا وعصينا) .

كذلك فإن المسلم إذا استمرأ الاستماع والنظر إلى المحرمات فإنه يفقد بصيرة المؤمن الذى ينبغى أن يأمن الناس بوائقه ، فإذا هو لا يبصر الحق ولا يسمع ويتدنى بذلك إلى منزلة دون منزلة الأنعام ، يصرفه سمعه وبصره إلى الفواحش . قال – تعالى – :

﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ (الأعراف : ١٧٩)

وهـذه حقائـق تكـتسب أهميتها بالنظـر إلى ما ظهـر فى العصر الحديث من المستحدثـات والمخترعـات فى مجال وسائـل الإعـلام المرئيـة والمسموعة التى تدخل كل بيت وتصل إلى كل إنسان داخل جدران منزله وتنقل إرسالها عبر آلاف الكيلو مترات عن طريق الأقمار الصناعية وغيرها .. إذ أن بعض ما تنقله هذه الوسائل يمثل أشد المخاطر على جوارح الإنسان وخاصة « السمع والبصر » بما فيها من فحش وعرى .. وإذا كانت هذه المخترعات تحمل الكثير من المنافع للإنسان ويمكن توجيهها لخير الفـرد والمجتمـع فى كافـة جوانب الحياة فإن نفس هذه الوسائل يمكن أن تكون وبـالًا ، ودمـاراً ، وخرابـاً على الأفـراد والمجتمعات .

ويكفى فى هذا الصدد أن سوء الاستخدام قد وصل إلى أعظم منجزات العصر العلمية وأكثرها فائدة للبشرة كالكمبيوتـر ، والفيديـو وغيرهما حيث امتدت الأيدى العابثة لتجعل منها وسيلة لعرض الصور الفاحشة بما يمثل أشد الأخطار على أبنائنا منذ نعومة أظافرهم ، وكان ينبغى استخدام المخترع العلمى استخداماً يعود بالخير على الإنسان من مثل نشر العلوم والمعارف ، لا لنشر المعاصى والمخالفات ، وهدم القيم الدينية التى جاء بها رسل الله الكرام .

وفى ضوء ما أوردناه من حقائق يتضح لنا أن المسلم لابد أن يدرك مدى مسئوليته الشخصية أمام المولى ــ عز وجل ــ فى تعامله مع المخترعات العلميـة الحديثـة ، وذلك فى ضوء قولـه ــ تعالى ــ : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء : ٣٦)..

حيث تبين لنا الآية الكريمة عظم مسئولية المسلم فى اختياره لما يسمع ، أو يرى ، وفى تجنبه لكل ما يتعارض منها مع طاعة الله .. ومن الطبيعى أن هذه المسئولية تقتضى ضرورة مجاهدة المسلم لنفسه على الدوام والاستمرار فى طاعته ــ سبحانه وتعالى ــ حتى لا يقع فى هذه المعاصى ولا يتبع خطوات الشيطان .. كما تقتضى هذه المسئولية أن يحسن المسلم رعاية أهله ، وتربية أبنائه وتوجيههم إلى السلوك السوى نحو كل ما يسمعون أو يبصرون بحكم مسئوليته عن رعيتـه مصداقـاً للحـديث الشريف : « كلكم راع وكلكم مسئـول عن رعيته »[١].

وأن يمثل لهم سلوكه الأسوة الحسنة ، والقدوة الطيبة إذ أن سلوكه سينعكس حتماً على أهل بيته مصداقـاً للحـديث الشريـف « عفـوا تعــف نساؤكم »[٢].

(١) رواه البخارى .
(٢) الكامل لابن عدى .

معلومات أساسية لفهم المسألة الشاشانية

الخريطة عن أهرام عدد يوم ١٩ / ١٢ / ١٩٩٤

بقلم الدكتور/ محمد حرب (*)

تقع جمهورية الشاشان فى الشمال الشرق من القوقاز ، وتبلغ مساحتها ١٣.٣٠٠ كم٢ ، وعدد سكانها ـ حسب إحصاء ديسمبر ١٩٩١ م ـ ١,٤٥٠,٠٠٠ نسمة . والبلاد المجاورة لها والمحيطة بها هى : داغستان فى الشمال ، وفى الشرق ، وجمهورية الانجوش ، وأوسيتيا الشمالية فى الغرب ، وجورجيا فى الجنوب .

كان الشاشان يعيشون فى : (جمهورية الشاشان ـ إنكوش) ذات الاستقلال الذاتى ، وهى جمهورية كانت تابعة لروسيا الاتحادية منذ عام ١٩٥٧م إلا أن الشاشان بعد انهيار الاتحاد السوفيتى أسسوا جمهورية الشاشات Nohqi Respublika . وإن لم تعترف أى دولة حتى الآن باستقلال هذه الجمهورية .

وأشهر مدن جمهورية الشاشان : كروزنى (العاصمة) وكوديرميس ، ومالكوبيك وأركون .

(*) الكاتب : رئيس المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى والبلقان .

وأشهر أنهار بلاد الشاشان : نهر تراك ، وهو ينبع من بلاد القوقاز ويصب فى نهر الخزر (قزوين) ويتفرع من تراك هذا فروع هامة هى : صونجا ، وأركون ، وآصا .

نوعيـــة الســـكان

هناك مليون شاشانى من مجموع عدد السكان الذى يقارب المليون ونصف مليون نسمة كما أن فى بلاد الشاشان (شاشانستان) ٣٠٠ ألف روسى و ١٠٠ ألف إنكوشى ، والأنكوش : أقارب الشاشان عرقياً ، و ٢٠ ألف من الشعـــوب الداغستانية (القاموق والنوكاى والآوار واللاق والداركون وغيرهم) و ١٤ ألف أرمنى و ١٢ ألف أوكرانى و ٥٠٠٠ تتارى و ٥٠٠٠ يهودى و ٤٠٠٠ تركى من أتراك الأخسقا ، وهؤلاء الآخرون كان الروس قد هجروهم عنوة عام ١٩٨٨م من آسيا الوسطى .

وينتمى الشاشان فى تقاليدهم الوطنية إلى الآوار والقاموق والشعوب المجاورة لهم ، واللغة الرسمية فى الجمهورية الشاشانية هى اللغـــة الشاشانية .

يعيش الشاشان فى بلادهم ، ولكن منهم مهاجرون موزعون على البلاد المجاورة لهم مثل : جمهورية الأنكوش ، وفى داغستان والبلاد المجاورة الأخرى مثل : تركيا وسوريا والأردن وقازاقستان وبعض البلدان الأوروبية .

نفـــى ستـــالين ، شعب الشاشان فى عام ١٩٤٤ م ـ نفاهم إلى قازاقستان لكن بعضهم أخذ فى العودة إلى بلاده اعتباراً من عام ١٩٨٨ م

الـــدين

ليست لدينا معلومات كافية عن الديانة التى كانت بين الشاشان قبل إسلامهم وإن كانت بعض حفريات تقول : إن النصرانية كانت هناك خاصة عقب النشاط المكثف الذى قام به ملك جورجيا (داود) الذى مات عام ١٨٢٥م ، و (الملكة تمارا) لنشر النصرانية بين الشاشان لكن هذا الشعب لم يتحمس لاعتناق هذه الديانة حتى تعارفوا على الإسلام فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين أثناء الغزوات العربية فى هذه الاقاليم .

بدأ الشاشان فى دخول الإسلام ببطء لكن بثبات وصلابة ، وواصلوا اعتناقهم الإسلام خاصة فى عهد (خانية آلتون أوردا) فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، حقيقة أن تيمور قضى على هذه الدولة بين عامى ١٣٩١ ـ ١٣٩٥م لكنه أراد أن يغرس علم الإسلام هناك إلا أن سلوكه الذى اتسم بالشدة أحدث آثاراً سلبية على الشاشان ، وبعد انسحاب تيمور من هناك أخذ انتشار الإسلام يسرى مرة أخرى فى شاشانستان بتأثير مسلمى (خانية آلتون أوردا) ومسلمى (آذربيجان) ووصل إلى نهايته فى القرن الثامن عشر ، وفى أواسط ذلك القرن أخذ الإسلام ينتشر بين (الأنكوش) أقارب الشاشان فأصبح الإسلام هو الدين السائد فى منطقتى الشاشان والأنكوش .

هذا وقد أُرِيدَ للإسلام الاحتجاب عن الحياة العامة فى هذه المنطقة من القوقاز بعد عام ١٨٥٩م وهو عام الاستيلاء الروسى على كل بلاد القوقاز التى يشكل الشاشان جزءاً مهماً منها وأستمرت هذه السياسة حتى القرن العشرين .

الإســـلام والشاشـــان

الشاشان سُنِّيُّون يتبعون المذهب الحنفى .

وقد انتشرت الصوفية بطريقتيها : النقشبندية والقادرية خاصة بعد الاحتلال الروسى لبلاد الشاشان ، والحق أن كان لهاتين الطريقتين دور هام لأقصى حدود الأهمية فى الجهاد ضد الروس .

قامت روسيا بعد قضائها على جمهورية شمال القوقاز عام ١٩٢٤م فضمت الشاشان إدارياً إلى دولة روسيا الاتحادية ، ونكاية بالشاشان ، ولقطع روابطها بالعالم الإسلامى عامة والعالم التركى خاصة ؛ قامت السلطات فى موسكو بإلغاء استخدام الحروف العربية فى كتابة اللغة الشاشانية . ويفسر هذا الإجراء على أنه كان يستهدف بالدرجة الأولى الحد من نفوذ الزعماء الدينيين الذين كانوا فى حركة مقاومة قوية ومستمرة ضد الاستعمار الروسى .

غيّر الروس حروف اللغة الشاشانية من الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية فى ذلك الوقت .

والواقع أن الروس قد اتبعوا سياسة مضادة للإسلام خاصة فى نهاية العقد الثانى من القرن العشرين ، وجاءت أعوام ١٩٣٧ - ١٩٣٩م لتشهد إجراءات قمعية روسية ضد الإسلام والمدافعين عن الإسلام راح ضحيتها آلاف مؤلفة من الشاشان بعد عمليات واسعة من الإعدام الجماعى رمياً بالرصاص .

وقد أرادت السلطات الروسية الحد من الصحوة الإسلامية الدائمة لدى الشاشان بنشر السياسة الإلحادية واسعة النطاق بين هذا الشعب ، استمرت هذه السياسة حتى إصلاحات جورباتشوف الأخيرة .

ويلاحظ أنه كان فى بلاد الشاشان فى عام ١٨٣٧م (٣١٠) جامعاً مفتوحاً للعبادة ، وقد وصل هذا العدد عام ١٩٧٨م فى أثناء الحكم الشيوعى إلى النصف يعنى إلى (١٥٥) جامعاً . إلا أن هذا العدد الأخير أخذ فى الصعود مرة أخرى فى عهد جورباتشوف .

أعلن الشاشان استقلالهم عن دولة روسيا الاتحادية ، وبالتالى أعلنوا دستور الجمهورية الشاشانية ، ونصوا فيه على أن الأديان منفصلة عن أعمال الدولة ، ومقابل ذلك تتمتع جميع الفاعليات وكل الأنشطة الدينية بدعم الدولة وتأييدها ، وبالتالى أعلن تأسيس « معهد الدولة للدراسات الإسلامية » فى العاصمة كروزنى ، ودعمت الحكومة المركز الثقافى الإسلامى فى العاصمة .

واحتراماً للأقليات الدينية الموجودة فى جمهورية الشاشان أعلنت الدولة إعادة فتح كنيسة كروزنى والمعبد اليهودى فيها وذلك بعد أن فتحت الدولة كل الجوامع التى أغلقها الروس .

الاقتصاد

يشكل البترول الدعامة الكبرى للاقتصاد الشاشانى ، البترول فى كل مكان بشاشانستان ، كما أن عمليات استخراج وتكرير البترول ومصانعه تتكثف على الأغلب فى المنطقة الواقعة بين كروزنى وكوديرميس وبجوار مالكوبيك ، أما أكبر مصانع تكرير البترول فتقع فى العاصمة .

إن الشاشان يصدرون البترول ومنتجاته إلى البلاد الأخرى ، وتصل خطوط أنابيب البترول من هناك إلى (محج قلعة) فى داغستان على شاطىء بحر قزوين وإلى (توآبه) على ساحل البحر الأسود ، وإلى حوض الفحم فى دونيتس .

إن مصانع إنتاج الماكينات والأجهزة الضرورية لصناعات البترول والصناعات البتروكيمياوية تحتل مكاناً واضحاً حول العاصمة الشاشانية .

وبجانب البترول وصناعاته هناك صناعات شاشانية مؤثرة فى الاقتصاد الشاشانى مثل : الصناعات الغذائية ، وقطع الأخشاب ، والأجهزة الموسيقية ، ويشكل الفحم والغاز الطبيعى أهم الثروات الطبيعية لدى الشاشان بعد البترول .

أما الزراعة فهى على الأكثر فى حوض نهر تراك وتحتل زراعة الفواكه والدخان أهمية واضحة بين الإنتاج الزراعى المختلف ، كما أن الإنتاج الحيوانى فى الشاشان يتطور بشكل واضح .

التاريخ

الشاشان أهل حضارات قديمة عريقة تشهد لهم بعلو كعبهم بين حضارات أمم العالم القديم .

بدأ الإسلام ينتشر فى ربوع البلاد وفى داغستان المجاورة بعد استقرار الحاكمية الإسلامية فيهما منذ الغزوات التى قام بها (مروان بن محمد) وإلى الأمويين فى (أرمينيا) أثناء الغزوات العربية الخزرية بين عامى ٧٣٦ ـ ٧٣٨م ، على بلاد الشاشان ، ومروان بن محمد هذا هو الذى أصبح بعد ذلك الخليفة الأموى مروان الثانى .

وفى القرن الثامن الميلادى تعرضت بلاد الشاشان لاعتداء المغول ، وانتصر الشاشان على المغول وإن اضطروا للانسحاب إلى الجبال بين عامى ١٢٣٨ ـ ١٢٤٠ م ، ولم يستطع (تيمور) أثناء حكمه لهذه البلاد أن يسيطر على المناطق الجبلية التى اتخذها الشاشان مناطق جديدة ووطناً جديداً ، ونجح الشاشان فى الحفاظ على استقلالهم فى الفترة التى أخضع المغول فيها (مناطق الاستبس) فى القوقاز الشمالى ، وسيطرتهم مدة قرنين كاملين .

بدأ الروس فى اتباع سياسة منظمة فى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى لاحتلال القوقاز الشمالى ، وأخذوا فى توطين الكازاك الروسى على امتداد نهر تراك .

ولما تصور بطرس الأول قيصر روسيا المشهور أنه أخضع بلاد الشاشان؛ ثار شعبها ضد المحتلين الروسى ، وقوات الاحتلال الروسية ، وكانت هذه الثورة فى ٧ من يوليو ١٧٣٢م وهى أول الحروب الشاشانية الروسية ، وألحق الشاشان بالقوات الروسية ـ تحت قيادة الجنرال الروسى الشهير كوه ـ هزيمة نكراء .

أخذ الشاشان يحاربون الروس معلنين الجهاد ضدهم وتمكنوا بالفعل من هزيمة القوات الروسية مراراً وتكراراً تحت قيادة شخصيات شاشانية اتسمت بالبطولة والفداء مثل : (بَيْبولاط طاى مييف) والشيخ منصور .

عندما انسحب الشاشان إلى المناطق الجبلية تاركين الأرض الزراعية للتمكن من مقاومة القوات الروسية ، وزع الروس أراضى الشاشان الخصبة على الكازاك الروسى ، فووجهوا بمقاومة بارزة قام بها حمزة بك (غَزْوَاتْ) والشيخ شامل ، وهما من خلفاء الإمام الغازى محمد الذى توفى عام ١٨٣٢م ، وتوفى حمزة غزوات بك عام ١٨٣٤م . وتوفى الشيخ شامل عام ١٨٧١م .

وجهاد الشيخ شامل ومعاركه ضد الروس طوال (٣٥) عاماً مشهورة فى التاريخ خاصة التاريخ الروسى ؛ لأن الروس عانوا منه كثيراً عندما

كانت لديهم أحدث أجهزة العصر والقوة العددية الكثيفة ، ولم تكن قوات الشيخ شامل تملك إلا أسلحة تقليدية قديمة ، وفى عدد قليل لا يمكن مقارنته بعدد القوات الروسية ، والجدير بالذكر أن حركة الشيخ شامل الجهادية لم تلق دعماً ولا تأييداً من العالم الإسلامى .

وبرغم إحكام السيطرة الروسية الاستعمارية على المنطقة فى حوالى عام ١٨٦٠م وانطلاق هجرات واسعة من الشاشان إلى سوريا وفلسطين وتركيا ؛ فإن حركات جهاد واسعة ومنظمة قامت ضد القوات الروسية فى البلاد مثل : حركة الزعيم الشاشانى (باى صونقور) وحركة الزعيم الشاشانى (أومادوييف) ثم حركة (آطابى آطاييف) ثم حركة (داده زالماييف) . أما أكبر حركات الجهاد الشاشانية ضد الروس فى تلك الفترة فهى حركة للزعيم الشاشانى (على بك حاجى) الذى قضى الروس على حركته وأعدموه فى العاصمة كروزنى عام ١٨٧٨م .

لم يهدأ الشاشان ــ وهم أمة لم تعرف الهدوء أمام أى خطر استعمارى ــ فى أثناء الحكم الشيوعى عادت حركات الجهاد ضد روسيا قوية ، وأسست شعوب شمال القوقاز جمهورية ضمت الشاشان فيما ضمت ، وكانوا برياسة (الشيخ أوزون حاجى) عام ١٩١٧م وأعلنت هذه الجمهورية استقلالها فى ١١ من مايو عام ١٩١٨م باسم دولة القوقاز ، وبعد عام واحد اجتاحها الجنرال دانيكين واحتل أراضيها وأسس هناك نظاماً عسكرياً صارماً وبذلك أحيا هذا الجنرال ، المؤسسات الديكتاتورية العسكرية التى سادت فى العهد القيصرى .

ورداً على هذا قامت الشعوب المسلمة ومن بينها الشاشان فى الاتحاد فى حركة جهادية ضخمة ، وقضوا على كل مراكز السلطة العسكرية التى أقامها الجنرال دانكين ، وأسس المجاهدون مرات أخرى جمهورية داغستان المستقلة .

فى هذه الأثناء كانت القوات البلشفية الشيوعية قد خانت المسلمين وتنصلت السلطة الشيوعية الجديدة من وعودها للمسلمين فاجتاحت القوات الروسية الشيوعية أراضى داغستان الحرة واحتلوها عام ١٩٢٠م . واتبعت روسيا سياسة (جمهورية ذات استقلال ذاتى لكل مجموعة عرقية) فقسم الروس داغستان إلى جمهوريات قومية صغيرة مفككة ذات استقلال ذاتى حتى تحول دون اتحاد مسلمى القوقاز مرة أخرى ، واتحاد مسلمى القوقاز هو الحلم المفزع الذى تخشاه روسيا الاتحادية حتى يومنا هذا .

أصبحت داغستان بالتالى جمهورية ذات استقلال ذاتى تابعة لروسيا الاتحادية الاشتراكية ، وأصبح الأنكوش كذلك ، وكذلك صار الشاشان والأوستينيون (من أوسيتيا) ثم وحد الروس كلا من الشاشان والأنكوش فى جمهورية ذات استقلال ذاتى باسم جمهورية الشاشان والأنكوش الاشتراكية السوفيتية ذات الاستقلال الذاتى وذلك عام ١٩٣٩م .

وبموجب سياسة ستالين تجاه المسلمين أثناء الحرب العالمية الثانية قررت الحكومة الروسية الحاكمة للاتحاد السوفيتى وقتها عام ١٩٤٣م إعدام ٥٠٠,٠٠٠ نسمة (نصف مليون) من

المسلمين لكنها ولظروف سياسية خففت القرار وحولته إلى تهجير إجبارى ، يعنى النفى ، فنفت السلطة السوفيتية شعب الشاشان إلى منطقتى آسيا الوسطى وقازاقستان .

كان السبب الرئيسى فى هذا النفى رغبة ستالين فى الاستيلاء على منطقتى قارص وأردخان ، وحرمان تركيا منهما ، وخوفه من قيام شعوب القوقاز المسلمة بالاتحاد فيما بينها مرة أخرى لمناصرة مسلمى تركيا ، وبالتالى مقاومة الحكومة الشيوعية ومنعها من قرارها .

فسخ الروس بالقوة الإجبارية اتحاد الشاشان والأنكوش وحلوا جمهورية الشاشان ـ الأنكوش ذات الاستقلال الذاتى وكان ذلك عام ١٩٤٤ وقسموا أراضيها بين أوسيتيا الشمالية ، وداغستان ثم أعاد الروس وحدة هذه الجمهورية يعنى الشاشان ـ انكوش مرة أخرى فى ٩ من يناير ١٩٥٧م .

يلاحظ أن الشاشان المهجرين قد أخذوا بعد ذلك التاريخ فى العودة إلى أوطانهم .

وفى ٢٧ أكتوبر عام ١٩٩١م ومع موجة تحرر الشعوب المسلمة من الاتحاد السوفيتى بعد انهيار هذا الاتحاد أجرى الشاشان انتخابات برلمانية وانتخابات رياسة الجمهورية وحصل جاهار داوداييف (جوهر بن داود) على نسبة ٨٥٪ من الأصوات وكان هذا الزعيم الوطنى وقتها رئيساً لمجلس إدارة المؤتمر الوطنى للشعب الشاشانى .

ثم إعلان استقلال جمهورية الشاشان فى أول نوفمبر عام ١٩٩١م ، ولم تقبل موسكو هذا الاستقلال ولم تعترف به كما لم تعترف به أية دولة إسلامية ولا غير إسلامية .

وفى ٧ من نوفمبر ١٩٩١م أعلنت الحكومة الروسية حالة الطوارىء ، وأرسلت قوات روسية إلى دولة الشاشان لكنها اضطرت للتراجع عن موقفها .

ورجح الأنكوش فى ٣٠ من نوفمبر عام ١٩٩١م البقاء تابعين لروسيا ، إلا أنه بعد قرار الرئيس الروسى يلتسين استخدام كل الوسائل للقضاء على استقلال الشاشان فى ديسمبر عام ١٩٩٤م أعلن الأنكوش وقوفهم مع أبناء عمومتهم الشاشان فى حربهم ضد روسيا ، وكذلك أعلنت داغستان[(١)] .

---

(١) اعتمد هذا المقال على دراسة قام بها ياموهانوف سليمان سلطانوفتش بعنوان : ٦ شاشانستان » والمعلومات التى أوردتها دائرة ميدان لاروس التركية ـ الفرنسية .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

ورد إلى مجلة الأزهر السؤالان :

١ ـ ما حكم الإسلام فى مشاركة المسلم فى جنازة غير المسلم ؟ فى الغُسل والمشى خلفه ودخوله الكنائس ؟ .

٢ ـ دخلت مع الإمام فى صلاة العصر ، وكان يصلى الركعة الثانية وسُهى على الإمام وقام للركعة الخامسة سهوا ـ ما حكم متابعتى له فى الخامسة علما بأنها تكون الركعة الرابعة لى .

طارق محمد أحمد

مجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله أما بعد فنجيب بأنه :

يجوز للمسلم أن يشارك فى تشييع جنازة غير المسلم والمشى خلفه ودخول الكنيسة مع المعزين لكن لا يشهد تغسيله .

● ● ●

والإمام الذى قام لركعة خامسة سهوا إذا استمر على سهوه فصلاته صحيحة ويسجد للسَّهو بعد انتهاء الصلاة .

أما المأمومون فمن وثق منهم بأن هذه خامسة وجب عليه الانتظار جالسا حتى يأتى الإمام بالتشهد ويسلّم معه أما إذا كانوا فى شك من هذه الركعة هل هى رابعة أو خامسة فإنهم يتبعونه .

وأنت أيها السائل إذا تأكدت أن هذه هى الركعة الخامسة فإن الواجب عليك أن تبقى جالسا ولا تتابع الإمام فإذا سلّم من صلاته قمت أنت لأداء الركعة التى فاتتك ولا يجزئك أن تقوم معه فى الخامسة لتكمل صلاتك أربعا فإن كنت فعلت ذلك فأعد الصلاة والله يهديك سواء السبيل .

سؤال من السيد / م.ع ـ حلوان :

ـ هل يجوز لامرأة متزوجة بلغت من العمر خمسين عاما أن تتمدد على الفراش بملابسها العادية بدون غطاء (ملاءة ـ بطانية ـ لحاف) أمام ابن شقيقتها البالغ من العمر عشرين عاما ؟ .

ـ إذا كانت الاجابة بالنفى ، هل للزوج أن يمنعها من ذلك ؟ .

ـ إذا رفضت الامتثال لأمر الزوج فما الوسائل التى عليه أن يتبعها وفقا للشرع حيال رفضها ؟ .

أفيدونا أفادكم الله .

الجــــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ..

فنفيد بأنه ما دامت الخالة لابسة ثيابا لا تشف ولا تصف وتستر عورتها وفى وضع تؤمن فيه الفتنة وعدم إثارة الشهوة فلا مانع من أن يراها ابن أختها وهى على هذه الحال . هذا وبالله التوفيق .

سؤال من السيد / ح.م.ج ـ بنها :

ـ بعض الجرائد بل كلها يذكر فيها لفظ الجلالة أو بعض آيات القرآن الكريم ومعظم الناس يستخدمون هذه الجرائد فى تغليف بعض الأشياء أو وضعها كمفارش أو يأكل عليها أو أية صورة تعرضها للإهانة وفى النهاية ترمى هذه الأوراق فى القمامة أو تستخدم فى دورات المياه .. الخ ..

ـ فما هى الوسيلة المثلى التى تحفظ تعرضها للاستهزاء بكلام الله ـ عز وجل ـ أو صفاته الجليلة من التدنيس حتى لا يعاقبنا الله على جهلنا ؟ .

أفيدونا أفادكم الله ..

الجــــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .. وبعد ..

فنفيد بأنه لا يجوز للمسلم أن يستعمل ورقة فيها اسم من أسماء الله أو آية من القرآن ، أو الحديث النبوى ، أو القدسى على وجه ينبىء عن الإهانة وعدم التعظيم لذلك ، وعلى المسلم إذا أراد استعمال هذه الأوراق أن ينزع منها ما فيه ذلك ، ويقوم بحرقه أو بدفنه فى مكان طاهر ، والله تعالى أعلم ، وبه الهداية .. ومنه التوفيق ...

من أعلام الأزهر

فضيلة الدكتور
عبد العزيز عيسى

وزير شئون الأزهر .. وفقيد الأزهر ... والعروبة ... والإسلام

بقلم المستشار/ سيف النصر عبد العزيز المجلى (*)

من حق أستاذنا المرحوم الشيخ/ عبد العزيز محمد عيسى ـ علينا ـ وقد انتقل إلى جوار ربه الكريم ـ أن نتحدث عنه وعن ذكرياتنا المجيدة معه فى خلال عملنا الوظيفى وأيام كنا نتلقى العلم على يديه في كلية الشريعة الغراء بالأزهر الشريف .

مسيرة حياته طالباً :

وقبل أن نتحدث عن تأثير البيئة فيه ـ البيئة العائلية والبيئة الأزهرية ـ يجدر بنا أن نسير على خطة المترجمين للعظماء من الخالدين ـ فنذكر أنه ولد فى ٨ أغسطس عام ١٩٠٨ ـ وليس فى عام ١٩٠٩ ـ كما تحدث عنه بعض الصحفيين .

وقد رزق به والده المرحوم ـ محمد عيسى ـ الذى كان يقيم بمدينة (شبراخيت) من أعمال (محافظة البحيرة) ، كان والده عالماً من علماء الأزهر الأفاضل وواحداً من علماء (علم القراءات) المعروفين فى عهده ، ومن حفظة القرآن الكريم ومحفظيه القائمين على تحفيظه وأدائه ، وعلى معرفة رواياته وأحكامه وترتيل وتجويد آياته ..

ويبدو ـ أنه كان لوالده ـ أملًا معقوداً عليه مرتقباًفيه فما أن رزقه الله ـ تعالى ـ به حتى تعهده بالعناية ، وشمله بالرعاية ودعا الله ـ تعالى ـ له أن يجعله قرة عين لوالديه ـ في الدنيا والآخرة ، وأن يؤدى من بعده رسالته وينشر

(*) الكاتب مدير عام ومستشار بالأزهر الشريف سابقا .

دعوته ويقوم لله فى الأسرة . بما يقوم به والده ـ من تعليم للقراءات ، وتجويد وتحفيظ للقرآن الكريم .

ولذلك ـ ماإن بلغ الصبى سنَّ التلقين ـ حتى أخذه والده ـ يلقنه حفظ صغار السور ـ وكان الصبى مباركاً . تظهر عليه بركة دعاء والديه ـ فلاحظ عليه ـ والده ـ أنه يحفظ بسرعة ، ويتقبل بنهم ـ كل ما يتلقنه من السور ـ فطمحت نفس والده أن لا يقتصر به على دراسة علم القراءات على يديه ، وحفزته مواهب النبوغ المبكر التى لاحظها على نجله ـ أن يجعل منه عالماً شمولياً من علماء الأزهر الكبار فاستخار الله ـ تعالى ـ وسأله تحقيق الأمل .. وما ذلك على الله بعزيز ـ وبدأ فى تحفيظ نجله بعض المتون التى كان شائعاً حفظها فى ذلك الزمان بين من يتأهل للالتحاق بالأزهر والدراسة فيه .

وما إن بلغت سنه العاشرة من عمره أو مايقاربها ـ حتى بادر والده بإلحاقه بمشيخة علماء الإسكندرية (معهد الأسكندرية الدينى) فى أوائل العشرينيات من هذا القرن .

وقد تابع الدراسة فى هذا المعهد وفى معهد القاهرة . حتى حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية ، وبعد خمس سنوات قضاها فى هذين المعهدين العريقين بنجاح متتابع وتفوق رائع . التحق بالقسم العالى بالأزهر وحصل منه عل (العالمية النظامية) بعد أربع سنوات دراسية ـ كان فيها أول الناجحين ـ وفور حصوله على هذه الشهادة عام ١٩٣١/١٩٣٢م ـ التحق بقسم (التخصص) وتخصص لمدة ثلاث سنوات (فى البلاغة والأدب والتربية وعلم النفس) ونال عقبها شهادة التخصص بلقب (علَّامة) وهو لقب كان يعادل فى ذلك الزمان ـ لقب الدكتوراه ـ وكان كعادته أول فرقته فى هذا التخصص الذى حصل عليه عام ١٩٣٥م .

وقد سبقته شهرته العلمية إلى (مشيخة الأزهر) أثناء طلبه للعلم ـ فكافأته بتعيينه مدرساً فى معهد القاهرة الثانوى فور تخرجه من الأزهر الشريف .

وكأنى الآن أشعر بفرحة (والديه) واغتباطهما به وبما أحرزه من نجاح دراسى وتوفيق وظيفى منقطع النظير فى زمن كانت لا تنال الوظيفة والشهادة فيه إلا بخرط القتاد .

ولكن النية الخالصة لله ـ تعالى ـ والأمل الصادق فى قلب والديه والدعاء الذى لا ينقطع رجاؤه فى الله ـ تعالى ـ أن يجعل من ولدهما داعية لدينه حامياً له ـ غيوراً عليه ـ قد جعل الله يقبل منهما الدعاء ويستجيب الرجاء ، ويعقد لواء الأزهر ودعوته على رأس ـ ولدهما الشيخ (عبد العزيز عيسى) كما تمنيا لأنفسهما فى هذه الحياة .

مسيرة حياته موظفاً :

هذه سطور مشرقة من حياته الدراسية تكشف لنا عن مسيرة حياته طالباً .

أما مسيرة حياته موظفاً ـ فهى العظمة فى النفس والهمة فى الدرس ، والحرص على أداء الواجب ـ ورعاية مصلحة الطلاب والاهتمام بشئونهم .

أعرف عنه ـ طيب الله ثراه ـ وقد كنت وثيق الصلة به شديد المودة له ـ أنه كان حدباً على طلابه عطوفاً عليهم يعمل لصالحهم ، وقد ظل يؤدى عمله فى معهد القاهرة الثانوى منذ بدء

تعيينه – مدة تبلغ نحواً من اثنى عشر عاماً – كان يدرس فيها اللغة العربية والعلوم الشرعية – حتى اختير لتدريس (الفقه) فى كلية الشريعة الإسلامية سنة ١٩٤٣ وفى سنة ١٩٥٠ – أضيف إلى عمله بكلية الشريعة عمل آخر هو الإشراف على طلبة البعوث الإسلامية الوافدين إلى الأزهر – من مختلف أقطار دول العروبة والإسلام .

وكان كثير من هؤلاء الطلاب لايعرفون اللغة العربية – فاعتنى بهم عناية بالغة . حتى أنطقهم إياها ونظم لهم سائر شئونهم الأخرى فى روح إسلامية حانية ، وهمة عربية عالية .

كان الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله – يشغل فى وقت من أوقات حياته – منصب (المراقب العام) للبحوث والثقافة الإسلامية – فعين الأزهر أستاذنا المرحوم الشيخ (عبد العزيز عيسى) أميناً مساعداً له – ثم عاد فعينه مفتشاً للعلوم الدينية والعربية بالمعاهد الأزهرية .

وكانت هذه الوظيفة – ذات شأن وأهمية بين الوظائف الأزهرية في عهد الإمام الأكبر أستاذنا الشيخ (عبد المجيد سليم) شيخ الإسلام وشيخ الأزهر – رحمه الله .

وقد انتدب من درجات التفتيش ووظائفه التى تنقل فيها على اختلاف أنواعها ومستوياتها .. شيخاً لمعهد القاهرة الثانوى ثم شيخاً لمعهد البعوث الإسلامية – ثم صدر قرار الأزهر بتعيينه مديراً عاماً للتعليم الإعدادى – ثم من هذا المنصب مديراً عاماً لتفتيش العلوم الدينية والعربية ..

وقد أحسَّ الأزهر بتوخى (الشيخ) للحق وتحريه للعدل ، وعلمه الدائب للصالح العام ورقىِّ الأزهر والارتفاع بمستوى طلابه – فعينه وكيلًا عاماً لإدارة المعاهد الأزهرية – فى ١٥ مارس سنة ١٩٦٦ صدر القرارالوزارى بندبه لهذه الوظيفة – ثم صدر القرار الجمهوري فى ١٩٦٨/٣/٧ بتعيينه فيها .

سطوع شخصيته الإدارية :

ومن خلال هذه الوظيفة وما شغله من وظائف فنية وإدارية سابقة – سطعت – أمام علماء الأزهر (الشخصية الإدارية) فصدر في ١٩٦٩/٥/٢٤ – القرار الجمهورى رقم ٨٠٧ بتعيينه (مديراً عاماً للمعاهد الأزهرية بدرجة وكيل وزارة) مع ندبه أميناً عاماً للمجلس الأعلى للأزهر .

وبعد فترة من صدور هذا القرار – صدر قرار وزارى بتعيين فضيلته (عضواً بمجمع البحوث الإسلامية) كما تم صدور القرار الجمهورى فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٧٢ بتعيينه (وكيلًا للأزهر) .

البيئة العائلية وتأثيرها في فضيلته :

ومن خصائص حفظ القرآن الكريم .. أنه يعطى صاحبه صفاء فى النفس ، ونقاء فى القلب ، وقوة فى العزم ، وشدة فى الحزم ، ومضاء فى الإدارة ، وجرأة في القرار ، وتصميماً على إنفاذه ،وهدوءا ورزانة ووقارا وسكينة ، وحباً للخير ، وإشاعة له ، واستقامة على طريق الإسلام ، وغيرة على شريعته ، وانتصاراً للحق ، وصبراً على شدائده ، وعدم الخوف أو التهيب من وقوعها ، واحتمال الأذى ، مهما تصاعدت أو علت درجاته في سبيل الذود عنه والانتصار لشرع الله ورسوله .

وهذه الخصائص هى خصائص أستاذنا المرحوم الشيخ (عبد العزيز عيسى) التى غرسها فيه (القرآن الكريم) .

وقد علمنا من قبل أن والده ـ رحمه الله ـ في أصله البعيد من (فاس) ببلاد المغرب قد رحلت أسرته إلى مصر مع أولئك الذين نزحت أصولهم إليها منذ زمان بعيد ـ فهو إذن من أصل عربى وربما كانت أصول أسرتـــه من الأشراف ، ولايستبعد أن تكون في أعراقهم دماء من البيت النبوى الشريف ـ لما نلمسه فى صفات الشيخ (عبد العزيز عيسى) من خصائص من شأنها أن لاتجرى إلا فى دماء الأحرار الأطهار ، وأيضاً لما رأيناه من حرص ـــ والده ـ حين أراد تزويجه أن يختار لابنه زوجة من أسرة تجرى في دمها عراقة الأنساب ، وتحمل في نسبها ـ أصالة العروبة ـ فاختار لنجله الشيخ (عبد العزيز عيسى) بيتاً كريماً وزوجه حسيبة ـ تشاركه فى مسيرة حياته ، ودفعه إلى الطموح وحب المعالى وشجعه على الاستمرار فى أداء رسالة الإسلام ، وإعلاء كلمة الأزهر وشخصيته بين الأنام .. فكان اختيار والده الموفق حين بنى لولده من أسرة (بنى الأحمر) من أمراء الأندلس وتفاعلت الدماء العريقة مع الخصائص الوثيقة من كتاب الله وسنة رسوله وأظهرت عظمة الشيخ (عبد العزيز عيسى) وأعانت على بروز شخصيته إماماً مسلماً وفقيهاً عالماً وإدارياً حازماً ووزيراً لشئون الأزهر ـ يفخر به الأزهريون ويحمد سيرته المسلمون .

البيئة الأزهرية وتأثيرها فى فضيلته :

وكما أن من خصائص القرآن الكريم ... أنه يخلق فى المؤمن صفات الكمال ، وأخلاق الرجال ـ فكذلك يصنع بأبنائه ويغرس فيهم محاسن الشرف ـ كما ينفى عنهم مساوىء الترف .

فهم حفظة حديث رسول الله ﷺ إلى جانب أنهم حفظة كتابه الكريم ، وهم قراء الأدب العربى ـ شعره ونثره ـ كما هم رواة حديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام وأدبه ـ ولولا كتاب الله الكريم وشرح علماء الإسلام له ـ ماازدهر الأدب العربي ولولا الكتاب العزيز والحديث النبوى الشريف ما ظهرت علوم الإسلام .

لهذا رأينا الأزهر الشريف يتوافد على الالتحاق به من مشارق الأرض ومغاربها كثير من أبناء الإسلام والعروبة لينهلوا من معينه ، ويتزودوا من زاده لكل مايشبعهم أدباً ويحييهم تديناً .

بين هاتين البيئتين بين بيئة عائلية ، وبيئة أزهرية نشأ المرحوم أستاذنا الشيخ (عبد العزيز محمد عيسى) فوجد نفسه بين بيئة عائلية صقلت صفات رجولته ، وصنعت بتحفيظه القرآن الكريم ـ معالى همته ومكونات شخصيته ومقومات مروءته ، وبين بيئة أزهرية ـ سلَّحته بكل قدراتها العلمية فزودته بمعارفها العربية ، وكونته بعلومها الدينية حتى تخرج مع بداية نهضة الأزهر وتطوره الحديث ـ فتى قوياً وعالماً جليلًا لم تمض عليه شهور قليلة . إلَّا وذاعت بين الأزهر شهرته وعرفت بين أساتذته وطلابه مكانته ..

هذا هو فضيلة أستاذنا الجليل المرحوم الشيخ (عبد العزيز محمد عيسى) وزير شئون الأزهر السابق فى حلقة من حلقات حياته .

وبالله التوفيق ...

يا قمة العلماء والفقهاء*

فى رثاء الشيخ عبد العزيز عيسى

قصيدة للدكتور سعد ظلام*

حملت إلىَّ فواجع الأنباء — ما هز وجدانى .. وهد بنائى
خطف الردى سفراً ونجماً ثاقباً — ومشى بأحنائى كمشى الداء
ياموت أنت قتلتنى فى نعيه — واغتلت فىَّ شجاعة الصحراء
سممت أجوائى .. فلا أحيا بها — إلا على سقم .. وطول عناء

● ● ●

شيخى فديتك أى سهم غالنى — لما نعيت إلىّ فى الأنباء
بعداً ليومك .. إنه قد هدنى — ودها بهول خطوبه أحنائى
قد كنت حتى عند نعيك شامخاً — وأراك فى كفن من الأضواء
تنهل من خلف الغلائل نظرة — فيها وداعك للوجود النائى
وكأن نظرتك الشهيدة لخصت — كل الحياة دوائها والداء
حملوك نعشاً ماج فى أكفانه — بحر العلوم ودرِّها اللألاء
وقلوبنا اللهفى .. تودع أمة — فى نعشك المنضور باللألاء

● ● ●

قد كنت يا عبد العزيز منارة — ولواء حب .. بل أعز لواء
فى أزهر العلماء كنت مجنحا — وسماء أمجاد وركن إباء
قد كنت أستاذاً .. وكنت معلماً — لأئمة فى الرأى والإفتاء
أستاذ أجيال .. وعى فى صدره — سراً من الأسرار والإيحاء
قد كنت من جيل وفى رائد — فى البحث والتنقيب والإعطاء
جيل من العلماء كان لشأنه — شأن .. وكان قلادة العلماء
جيل من العلماء أدى دوره — فى الكون بين ضراوة .. وعناء
عانى .. ولكن من خلال عنائه — أفضى الصباح به إلى الأضواء
نقشوا مهابتهم بوجه زمانهم — نقش الربيع بدوحة عطراء

● ● ●

أبدا يسافر فى الزمان زمانهم — سفر العزيز على شموس إباء
أبدا تسافر فى الحياة حياتهم — سفر الحجيج إلى ذرا البطحاء
فى دوحهم فرحى وفى آثارهم — نوحى .. وجرحى وانتكاسة دائى

*الأستاذ فى كلية اللغة العربية بالقاهرة ورئيس قسم الأدب والنقد

من ذلك الجيل العظيم وفضله ... « عبد العزيز » السائر الأصداء
ليس المصيبة فَقْد فذّ نابه ... أدهى المصائب كان فى النبغاء

● ● ●

انى أجلُّ أئمتى .. وأحبهم ... وأرى عليهم عزتى وسمائى
وأحب فاكهة الشيوخ وعطرهم ... وتوهج العزمات والأسماء
وأشم فى خطواتهم إشراقتى ... ونبوغ شعبى واحتشاد ذكائى

● ● ●

والناس منهم من يمر على الدنى ... وكأنه نبأ من الأنباء
مَيْتٌ أتاها .. ثم مر بظلها ... من غير ما أثر .. ولا ضوضاء
لم يدر ما الدنيا ولا إيقاعها ... ما دوره فى عالم الأحياء
لا تشعر الدنيا ولم يشعر به ... إلا الردى ودفاتر الإحصاء
والبعض يثرى أو يثير حياتنا ... بالرأى والتوجيه والإحياء
فَهِم الحياة وغاص فى أعماقها ... ووعى رسالتها بكل ثراء
فَأثارها فى كل ندة خاطر ... أذكى من الإبراق والإشذاء
ماجت به شطآنها ورياضها ... والمهرجان وبوحة الإعطاء
تلقاه فى أبهائها ودروبها ... والقاع والساحات والأجواء
فإذا مضى تلقاه فى إيقاعها ... فى شكلها فى روحها المعطاء
قد كنت ياعبد العزيز رسالة ... وإثارة للمهجة الصماء
من لى بمثلك حجة ورحابة ... وتثبتا فى الرأى والإفتاء
يدعى فينضو علمه وبيانه ... متدفقا كالسيل عذب الماء

● ● ●

ويحى إذا المحراب حَنَّ لشيخه ... والقبلتان .. وخالد الابهاء
وتلعثمت أيامنا وظروفنا ... وتعثرت فى القول والإفضاء
سنقول أين ؟ وأين مقتلة النهى ... والأين إفلاس بغير عطاء
ياراحلا لسنا البقيع .. وطهره ... متدثرا بالفضل والآلاء
معراجك الأسنى إليه رسالة ... أديتها بنبالة الشرفاء
علمتنا فقه الاباء ورروحه ... ومعانى الأفعال والأسماء
لم تغن من جاه الوزير ووشيه ... أو تجتذبك مفاتن الإغراء
بل كنت « كالصديق » ألطف معشرا ... ونزاهة « الفاروق » فى الخلفاء
لا يقرب الدانى وضاءة وجهكم ... أو جاهكم قبل القصىِّ النائى
فعدلت بينهم .. ومن يعدل إذا ... لم يعدل العلماء فى الأبناء
نم فى جوار الله أكرم منزل ... ياقمة العلماء والفقهاء

من أعلام الأزهر

فضيلة الدكتور

عبد الوهاب عزام

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

★ د. عبد الوهاب عزام ★

رحمه الله تعالى

أحد أساطين الأدب العربى الحديث ، وقد أُتيحت لى معرفة قَدْر هذا الرجل ، لأول مرة ، منذ أكثر من خمسة وأربعين عاما ، حينما أُتيح نشر أول مقال لى بمجلة (الرسالة) ، بعددها الصادر فى الثلاثين من مايو سنة ١٩٤٩ م ، فقد استوقفنى فى صدْر هذا العدد من الرسالة ، المقال الافتتاحى بها ، وكان بعنوان : (أمم حائرة) للدكتور عبد الوهاب عزام ـ وهذا المقال هو الخامس من سلسلة مقالات له بهذا العنوان فى (الرسالة) وفيه يقول : « لا أجحد فضل الكتابة على الحضارة ، ونعمتها على البشر ، ولكنى آخذ على الناس هذا الغلوَّ فى إعْظامِها ، والغلو فى احتقار ما سواها من الوسائل ولا أنكر أن الوسائل الأخرى ، فى أكثر الأحيان ، راجعة إليها ، مستمدة منها ـ لا أنكر هذا ، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ـ ولكن أدعو إلى أن يسجل الناس معارفهم ، ثم ينتفعوا بها ، بكل وسيلة ، من إقْراء أو إشْهاد ، أو إسْماع .. إلى أن تَعُمَّ الكتابةُ كل فرد ، وكم فى تاريخ العلم من نابغ ضرير لم يقرأ .؟ » .

وقد أضفْتُ ـ فيما بَينى وبين نفسى ـ لقول الدكتور عزام : « وكم فى تاريخ الأدب من عبقرى ، كالرافعى ـ الذى كُتبتُ عنه بالعدد ذاته من الرسالة ـ لم يستمع إلى أفذاذ الأساتذة الجامعيين ، أو كبار المتخصصين المتحدثين فى فنون الأدب .. » .

وازْدَدْتُ تأثراً واقْتناعا بما أورده الدكتور عزام ، بعد ذلك ، بالمقال ذاته ، مستطردا فى حديثه عن دُور العلم : « ..وَانْتَهبنا ، فراعنا أنَّ شفقة الآباء ، وبِرَّ الأبناء ـ وكانا عماد مابين التلميذ وأستاذه ـ قد ضَلَّا فى هذه الضوضاء (يعنى دعاوَى الحرية والانطلاق) وامَّحيا فى هذا الشقاء ..

وإذا آلات كآلات (الميكنة) ، تدور لا عَقْل لها ولا قلب ، ولا سمع ولا بَصَر .. فنقول : ــ رحم الله زماننا ، كان سرور التلميذ وفخره ، بأن يُكلِّمه أستاذُه ، وأنْ يكبَّ على يد أستاذه يُقبِّلها ، فى المدرسة وغير المدرسة » .

وزاد إعجابى بالدكتور عبد الوهاب عزام ، وحرصى على التلمذة على أدبه ، والأخذ عن سُمُوِّ توجُّهه .. حينما نشر الحلقة السادسة من مقالات : (أمم حائرة) فى الرسالة ، فى العدد الأسبوعىِّ التالى ، وتحدث فيه هذه المرة عن (الأسرة) ، وخاصة حينما انتهيتُ إلى قوله : « **إنى أرى الأُمَّ تُخدَع عن سُلطانها فى البيت ، وتنزل عن عرشها فى الأسرة ، فيقال لها : ــ دَعِى البيت إلى السوق ، واهجرى الأولاد إلى المصنع ، واتْرُكِى تدبير الأسرة ، إلى تدبير الشئون العامة ..** » .

ويزيد القول إيضاحاً ، فى الحلقة السابعة من (أمم حائرة) ، حينما يتحدث عن (المرأة فى هذا العصر) ، ويقدم الحجة الدامغة ، والدليل القاطع ، على ما نال المرأة الأوربية من مهانة ــ وهى التى قلدَّتْها المرأة الشرقية تقليدا أعمى فى كل شىء ــ فيقول مُعللالما مرَّتْ به :

« **إنما أُخرِجَ المرأة الأوربية من معقلها ، وأنزلها من عرشها : هذه الوحشيَّة المُدمرَّة ، التى قتلتْ الرجال (ولعله كان يعنى الحرب العالمية الثانية ، التى واكبت زمن تحرير المقال) ، فحرمتْ المرأةُ عائلها ، فخرجت تسعى لنفسها ، وتكدح لقُوتها ــ ولو خُيِّرتْ ــ ما اختارت هذا الشقاء .. وما على وجه الأرض امرأة تُؤْثر السوق والمصنع ، على سكينة البيت ، ونعيم الأسرة ..** » .

إن هذه ضرورات أدَّى إليها تعاسَة الإنسان وشقاوَته ــ والضرورة تُقدَّر بقدْرها ــ وينبغى السعْى لدفْعها ، وألا نُقرَّ لها ، ونخضع لسلطانها ، ونجعلها قانونا تسير عليه المعيشة .

ثم يتوجه الدكتور عزام ــ رحمه الله ــ بما يُؤْلم ويُفْحِم ، قائلا عن المرأة الشرقية :

« **جعلْتموها وسيلة إلى كل كَسْب ، وشرْكا لكل صيْد .. وجَلبْتُم بها المشترين إلى متاجركم ، ونشرتم صُوَرها فى آلاف الأشكال ، للترويج لبضائعكم ، وجذب القُرَاء إلى صُحُفكم .. وأخذتموها إلى سواحل البحار ، وإلى مسابح الملاهِى ، فعرَّيْتُمُوها ولهَوْتُم بها ليلا ونهارا ، وسرا وجهارا ، وكذبتم على أنفسكم وعلى الحقائق ، فقلتم : حرَّرْناهَا وأسْعدناها ، وليس للمرأة ، فى هذا كله تحريرٌ ، ولا لها من السعادة نصيب .. إنها مُسخَّرة مُسَيَّرة بأهواء الرجال ، وأشْراك عُبَّاد المال .** » .

وكان من أثر ذلك ، أن ــ كتَب (الزيات) فى العدد ٨٤ من (الرسالة) الصادر فى ١٥ من أغسطس سنة ١٩٤٩ م ــ ، فى افتتاحية العدد ، (أخى عزام !) :

« **قرأت فصولك الأربعة عشرة[1] ، التى كتبتَها لقُرَّاء الرسالة ، بقلم المؤمن الصادق ، والمصلح الحكيم ، والخبير المجَرب ، والكاتب المُبين .. عن هذه الحيرة الاجتماعية التى عوَّقتْ**

(١) لم تجمع هذه المقالات بعد فى كتاب ، وكذلك مقالاته عن : (أخلاق القرآن) .

الأمم ، وهذا القلق النفسى الذى أشقى الأفراد ووصفت لها طِبابا واحدا ، هو : هُدَى الله .. فلم تدع فضْلة يُناقشها أديب ، ولا علَّة يعالجها طبيب » .

● ● ●

وما سُقْناه من حديث ، حتى الآن ، هو فى تقديرنا المدخل المناسب للحديث عن هذه الشخصية المؤمنة الفذة ، التى وضعت نصب عينيها دائما ، رسالة سامية ، فحواها وسبيلها : الإسلام وفضائله وسمو غاياته وتعاليمه ، ثم العمل على إعلاء شأن العرب والعروبة ، وقد أوْضح ذلك القصْد النبيل ، فى تقدمته لكتابه : (الأوابد) بقوله : « إنها مقالات ومنظومات ، تقصد إلى ما أقصد إليه فى كل كتبى ، من رفيع الأسلوب الأدبى فى اللغة العربية ، وتيسيره ، وإعْلاء المستوى الروحى والخلقى ، والاعتزاز بأنفسنا ، والاعتداد بتاريخنا .. » .

حيـــاته ونشـــأته :

ولد فى بلدة (الشوبك) الغربى ، بمركز العياط فى محافظة الجيزة ، فى الأول من أغسطس سنة ١٨٩٤ م ، وحفظ القرآن الكريم فى مكتب القرية ، ثم التحق بالأزهر ، وانتقل بعد ذلك إلى إتمام تعليمه بمدرسة القضاء الشرعى ، وعُيِّن مدرِّسا بها بعد تخرجه فيها ، لأنه كان (الأول) على الخريجين .. ولم يقف طمّوحه عند هذا الحد ، بل سارع إلى الالتحاق بالجامعة الأهليَّة ، ونال منها شهادة (الليسانس) فى الآداب والفلسفة سنة ١٩٢٣ م ، واخْتير بعد ذلك للعمل بالسفارة المصرية فى لندن ، فاهْتبل الفرصة لإرْواء ظمئه إلى العلم والمعرفة ، فالتحق بمدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن ، وحصل منها على درجة (الماجستير) فى اللغات الشرقية ، وكان موضوع الرسالة : (التصوف فى رأى فريد العطار) .

وعند عودته إلى أرض الوطن ، قام بالتدريس فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، بعد حصوله على درجة الدكتوراه التى كان موضوعها : (شاهنامة الفردوسى) ، واستمر فى عمله بالكلية المذكورة ، حتى أصبح عميدا لها ، ورئيسا لقسم اللغات الشرقية سنة ١٩٤٦ م ، وانتدب خلال تلك الفترة مرتين ، للتدريس فى (جامعة بغداد) .

ثم عمل وزيرا مفوضا لمصر ، فى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٤٧ م ثم سفيرا لمصر فى الباكستان سنة ١٩٥٠ م ، وعاد مرة أخرى إلى السعودية ، ليعمل سفيرا لمصر بها ، وفى تلك الأثناء ، تم اختياره لتأسيس وإدارة الجامعة فى الرياض ، وظل بها حتى نهاية عمره .

● ● ●

وقد شغل الدكتور عبدالوهاب عزام ، خلال سنوات عمره المثمر ، العديد من المراكز الرفيعة ، فكان عضوا بالمجلس الأعلى لدار الكتب سنة ١٩٤٤ م ، كما كان عضوا بالمجمع اللغوى سنة ١٩٤٦ م ، وعضوا بالمجامع العلمية فى العراق وإيران وسورية ، وحصل على وسام الأَرْز الوطنى من لبنان سنة ١٩٤٧ م ، ومنحته جامعة (دكا) بالباكستان الدكتوراه الفخرية سنة ١٩٥٢ م ، كما مثَّل جامعة

القاهرة فى العديد من المؤتمرات الثقافية ، كمؤتمر العيد الألفى للفردوسى سنة ١٩٣٤ م ، ومؤتمر المتنبى ببغداد سنة ١٩٣٦ م ، ومؤتمر أبى العلاء المعرى بسوريا سنة ١٩٤٤ م ، ورأس مؤتمر الندوة العالمية للإسلاميات فى (جامعة البنجاب) بـ (لاهور) سنة ١٩٥٧ م ـ وكان ممثلا فى الوقت نفسه ، بهذه الندوة ، لجامعتى القاهرة والرياض معا .. ثم أخذ إنتاجه الْخصْب يتدفق ، فى العربية والفارسية والتركية ، كما يقول الدكتور محمد مهدى علام[٢] وهو فى كل ذلك كما يقول الأستاذ « أنور الجندى »[٣] :

« رقيق هادىء ، فى روحه الحسرة على الأمجاد التى انطوت وغابت ، وفى بيانه الأمل فى المستقبل الذى يكاد يتألق ويشرق » إلى أن يقول :

« وقفاته عند المسجد الأقصى ، وعند جامع دمشق ، وعند قبر المأمون ، وعند مثوى الغزالى ، وفى تاج محل .. كلها شاهدة على ذلك الحب الأكيد لأمجاد العرب ، وتراث الإسلام ، وروح الشرق . » .

وكلماته المنوعة فى الاجتماع والتاريخ والسياسة ، كلها خُلاصاتُ ذهنٍ مُرَتَّب ، ونفس عالمة ، وقَلب مضيء .. وقد أثمر ذلك كله روعة فى الأسلوب والتعبير .. ففى وصف رحلاته ، يقول : « أتاحت لى الأسفار رؤية كثير من البلاد التى قرأت عنها ، ومكنتْنى من التوسع فى درْس اللغات (أى : الفرنسية والانجليزية والفارسية ، والتركية والأُرْدية) ، والآداب التى عرفْتُها من قبل .. وقد حرصت على أن أرى كل الآثار التاريخية فى البلاد الإسلامية ، والعربية ، ولا سيما ما ذُكر فى القرآن الكريم ، والسيرة والتاريخ الإسلامى ، وكتب الأدب . » .

وكم يأسرنا ببلاغة التعبير وصدقه وعمقه ، حينما يذكر مشاعره أثناء طوافه مع الحجيج ، بقوله تحت عنوان : (فى الحجاز) :

« كم قلب محزون حمل إلى هذا الجناب شكواه ، وفؤاد معذَّب يبث هذه الساحة نجواه .
وكم آثم حَطَّ فى هذا الفناء الأوزار ليمحقها بالتوبة والاستغفار .
كم نفس مظلومة ترفع ظلاماتها .
وكم مكلوم جاء بجراحاته ، وأرسل آهاته وأنَّاته .

كل ضارع على هذا الباب .. ووراء هؤلاء من المشرق والمغرب ، قلوب توجهت شطر البيت ، كما تتوجَّه الإبرُ إلى القُطب ، وتنزع إليه ، نزوع الغريب إلى ولده وداره .. » ، إلى أن يقول بوجْدٍ مُذيب :

« أترى الدعوات تهفو على الكعبة مع هذا النسيم ، والصلوات تنزل عليها فى هذا الضوء ، وأسراب الآمال طارت فى المغرب والصين ، لتطوف مع الطائفين .. ؟ .

ما أروع هذا مشهدا : صلاة ودعاء ، وطواف وبكاء ، يسيل بها الإصْباح والإمساء .. مَنْ لى بخُلوة فى هذا الزحام ، والوحدة فى هذه الكثرة ، والسكون فى هذا العباب ، والفرار فى هذا المحشر .. مَنْ لِى بأن أقف على الساحل من هذا البحر ، لأرى وأسمع » .

---

(٢) انظر كتاب (المَجْمَعيون فى خمسين عاما) ـ إصدار مجمع اللغة العربية ط ١٩٨٦ م ص ١٨٧ .
(٣) أنظر كتابه (الكتاب المعاصرون ـ أضواء على حياتهم) ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

ويبلغ الدكتور عزام الذروة ، حينما يصوِّر (الحياة) بقوله :

« إن الحياة تضيق على الإنسان ، إذا حَدَّها بجسمه الضئيل ، فهى محدودة اللذَّات مُمِلة ، ضيقة المجال مُسْئِمة ، لا تفى لذَّاتُها بآلامها ، ولا سعادتها بشقائها .. فإذا عرف الإنسان نفسه ، ووَصلها بالعالم غير المحدود ، ثم بالله رب الوجود .. وجد فيها أملا وعملا ، ونجاحا ورُقيا دائما .. وعُرُوجا دائما .. ورأى أنه الكون ، وأنه لا يُحد ولا ينتهى ، فتهون عنده الآلام ، بل تضيع فى الآمال العظيمة ، وتَمحَّى فى الحياة الروحية ، التى تسْمُو على صغائر الدنيا . » .

● ● ●

ويُجْمل تلميذه الدكتور يحيى الخشاب وصف سماته وقوة شخصيته ، وتواضعه ، بقوله : « ما رأيت عالما فيه السماحة والتواضع ، وإجْلال العلم ، كما رأيته .. » .

وأشهد أنى ما جلست مجلس علماء فيه (الأستاذ) ، إلا وكان أمْيلهم إلى الصمت ، وأحرصهم على السمع ، وأقلّهم شوقا إلى الكلام .. ومع ذلك ، فكان هو الذى ترنو إليه الأنظار ، وتُوجَّه إليه الأسئلة ؛ وكان كلامه هو المُرْتَجَى ، وحديثه هو المنشود . » إلى أن يقول : « قَلَّ أن نقرأ للأستاذ بحثا ، أو كتابا ، لا يكون مدار الحديث فيه : الإسلام ، أو العربية .. »(٤) .

معـــاركه الأدبيـــــة :

إختلاف الرأى لا يُفْسد للود قضية ، بين الدكتور عبدالوهاب عزام والدكتور أحمد أمين ، فى مسائل هامة ، تعَّرض لها الدكتور أحمد أمين فى (الرسالة) أولا ، وفى (الثقافة) ثانيا ، ورأى فيها عزام ما يدعو إلى النقاش الجاد ، فيما ذهب إليه أحمد أمين من الدعوة إلى اصطناع لغة عربية ، خالية من الإعراب ، ومن الألفاظ الضخمة ، ومستعملة للكلمات العامية ، ذات الأصل العربى ، لتكون لُغةَ الجمهور ..

قال عزام ـ فى تفسير هذه الدعوى : « إنى أَرُدُّ هذا الرأى من وجهتين : ـ

الأولى : أنه يجعل للأمة لُغتين حقا ، ويبقى هذا الفرق البّيِّن بين الخاصة والعامة ، ويُلزم الأديب أن يكتب مرة للعامة ، ومرة للخاصة .. إلخ » .

وثانيهما : (إهمال الإعراب) ، فقال عزام بصدده : « وأنا أزعم أن العاميَّ يستوى عنده أن تكتب له ألفاظاً معربة ، أو غير معربة ، طالما كان اللفظ معروفاً عنده ... »(٥) .

وكذلك اختلاف وجهة نظره ، قبل هذه المعركة ، مع الدكتور أحمد أمين ، أيضا ، بسبب رأى أحمد أمين فى مقالاته التى تحمل عنوان : (جناية الشعر الجاهلى ، على الأدب العربى) .. يقول الدكتور عزام :

---

(٤) أنظر عدد مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ المجلد التاسع عشر جـ ١ ط ١٩٦٠ م .

(٥) انظر كتاب الدكتور محمد رجب البيومى بعنوان : (النهضة الإسلامية) فى سير أعلامها المعاصرين) ط ١٩٨٠ جـ ٢ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

« ومما يحضرنى الآن ، أنه . (أى الدكتور أحمد أمين) ، كتب مقالات عن الأدب الجاهلى ، فى مجلة الرسالة . فخالفْته بمقالات فى المجلة نفسها ، وقلت لنفسى : ـ ولعلى قلت له أيضا ـ سأجعل هذه المقالات مثلا للجدال الخالص من الشوائب ، الذى لا يقصد إلا الحق ، ولا يبخس المخالف حقه ، ولا يحيد قيد شعرة ، عن أدب المناظرة .

وهناك معركة أدبية أخرى مشهورة ، بين الدكتور عزام ، وعبدالعزيز فهمى (باشا) حينما تقـدَّم الأخير باقتراحه الخاص باستعمال الحروف اللاتينية مكان الحروف العربية إلى المجمع اللغوى ، والنبرى له الدكتور عزام ، يدْحض رأيه ويرد دعواه ، لأن عزاماً كان يعرف ما لا يعرفه عبدالعزيز فهمى ، فيما كان من أمر التراث الإسلامى فى بلاد الترك ـ كما يقول الدكتور يحيى الخشاب ـ بعد أن ألْغى مصطفى كمال الحروف العربية ، واستُبدل بها الحرف اللاتينى .

وانتهت هذه المعركة ، إلى انتصار الدكتور عزام على عبدالعزيز فهمى ، وانتهت فكرة الحرف اللاتينى ، وتنبَّه الناس لما يمكن أن تُحدثه من تأثير سلبى ، على لغة القرآن الكريم ، والحضارة العربية والإسلامية .

مؤلفـــاته :

نُورد فيما يلى ثَبَتاً بأسماء كتبه ، فى حقلى : التأليف والترجمة ، بل وفى ميدان النشر أيضا .

فمن مؤلفاته :

١ ـ الأوابد (وهو مجموعة مقالات ومنظومات) .

٢ ـ التصوف وفريد الدين العطار .

٣ ـ الشوارد .

٤ ـ مهد العرب .

٥ ـ النفحات .

٦ ـ المعتمد بن عباد .

٧ ـ اللمعات .

٨ ـ نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية .

٩ ـ ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام .

١٠ ـ محمد إقبال (حياته وشعره) .

١١ ـ مدخل الشهنامة العربية للبندارى .

١٢ ـ الأدب الفارسى « بالاشتراك مع الدكتور يحيى الخشاب » .

١٣ ـ رحلات عبدالوهاب عزام .

مترجماته :

١ ـ ديوان الأسرار والرموز (عن الدكتور محمد إقبال) .

٢ ـ فصول من المثنوى (عن الفارسية لجلال الدين الرومى) .

٣ ـ جهار مقالة وعروض (عن الفارسية) بالاشتراك مع الدكتور يحيى الخشاب .

٤ ـ اتحاد المسلمين (عن التركية / لجلال نورى) .

٥ ـ بيام مشرق (عن الفارسية / للدكتور محمد إقبال) .

٦ ـ ضرب الكليم (عن الفارسية / للدكتور محمد إقبال) .

٧ ـ مقتطفات كثيرة ترجمها شعرا ونثرا ، عن الشعر الفارسى والتركى ، ونشرت بمجلة (الرسالة) وغيرها ـ وهى بحاجة لمن يقوم بجمعها وإصدارها بين دفتى كتاب أو أكثر .

ومما قام بتحقيقه ونشره :

١ ـ ديوان المتنبى .

٢ ـ مجالس السلطان الغورى .

٣ ـ كليلة ودمنة .

٤ ـ رسائل الصاحب بن عباد (بالاشتراك مع الدكتور شوقى ضيف) .

٥ ـ الورقة لمحمد بن الجراح (بالاشتراك مع الأستاذ عبد الستار فرَّاج) .

● ● ●

شعره :

كان الدكتور عبدالوهاب عزام ـ رحمه الله ـ صاحب الصناعتين والصياغتين : النثرية والشعرية ، ونقتصر فى هذا المقام على تقديم بعض نماذج من شاعريته المحلقة ، بعد أن طال بنا نَفَس القوْل .. وهى تدور فى إطار إسلامى بحت ، كقوله عن أبطال الإسلام الأوائل :

سلاحهُمْ عزيمة الجهاد
وقوتهم ما سلبوا الأعادى
يُصابرون الأكْبُدَ الصوادى
ويأكُلون الجوع .. فى البوادى
قد يئسوا يأسا من الإمداد
إلَا ثبات القلب والجلاد
ونصرة الرحمن للعِبَاد

وقوله فى ديوانه : (المثانى) :

أحْسب البـــدر ساطعـــا ..نَبْـــع ماء
فأرَجّى لديه . تطـــهير ذنبـــــى
وأراه من الأشعـــــــة فيضا
أتمنى - لديه تنويـــــر قلبـــى

وقوله :

لا يُبـــالى الأحـــرار فى هذه الأر ... ض حُدودَ البقـــاع والأوطـــان
ومـــن النـــاس مَنْ يُحـــرَّرُ حتـــى ... لا ترى نفسُه حُدودَ الزمـــان

وبعــد :

فى ختام هذا البحث ، لا يسعنى إلا أن أقول عن (عزام) ، ما قاله هو نفسه عن (الرافعى) ، حين انتقل الأخير إلى الرفيق الأعلى : « إنى لأعترف للقارىء بأنِى - فى غير تزيُّد ولا تصنُّع - أجد فى نفسى وقلمى تهيبا ، للكتابة عن (الرافعى) ، وأرى جوانبه تتسع وتتسع ، حتى يضيق المجال ..

ولقد حاولت أن أنظم ، فكنتَ كلما أخذت القلم ، تذكرت هذه الأبيات من منظومتى « اللمعات » ، فقلت : - إنها تُمثِّل الرجل الحُرَّ الذى كان :

حبّذا الصوتُ ، فمـــن هذا البـــشير ؟ ... ومـــن الهاتـــفُ بالقـــلب الكـــبير ؟
لاح كالغُـــــــرَّة فى هذا السواد ... بَصَّ كالجمـــــرة فى هذا الرمَـــاد

إنه ليَصْدُقُ مَنْ يُجيب كل سؤال فى هذه الأبيات ، بهذا الاسم الكبير : « مصطفى صادق الرافعى » .. ونحن نُضيف : و « عبدالوهاب عزام » - أيضا -.

وغداة رحيل الدكتور عزام .. قال عنه الأستاذ محمد أبو زهرة :

« عرفت المرحوم الدكتور عبدالوهاب عزام منذ أكثر من أربعين سنة ، كان فى السنين العالية فى مدرسة القضاءالشرعى ، وكنت فى السنين الأولى ، فعرفت شخصا مستقيما عف اللسان ، يغار على الإسلام والمسلمين ، ويحب أن يجتمع المسلمون ، وإنى لأذكر أنه فى السنة النهائية بمدرسة القضاء الشرعى اتجه إلى تعلم التركية ، ليتخذ من طريق تعلمها وسيلة للعمل على جمع المسلمين » .

وقال الدكتور منصور فهمى :

« نذكر للدكتور عزام كل الفضائل التى تصل بخدماته للإسلام والعروبة ، وأستطيع أن أتحدث عن كثير من فضائله وحسناته فى المجمع اللغوى ، وفى خدماته للغة ، وأستطيع كذلك - كزميل له - أن أذكر الكثير من فضائله ، كمُربٍ يربى بالمثل العالى فى أخلاقه ووده لأصدقائه ، وصدقه فى العمل وضميره المرهف الحساس » .

كما قال الأستاذ صبرى عابدين :

« قبل أسبوعين التقيت بالمرحوم الدكتور عبدالوهاب عزام ، فى مسجده الذى بناه قرب داره ، فقد كان – رحمه الله – يفيض حيوية ونشاطا كما كان يفيض بالموعظة على من حوله .

وقد عرفته – رحمه الله – قبل خمس وعشرين سنة – وكان برا تقيا – جاء إلى بيت المقدس عام ١٩٤٣ دارسا ليكتب عن المسجد الأقصى بحوثا علمية ، بالتدقيق والمشاهدة ، كعادته ، واجتمعنا به فى المسجد الأقصى ، وكم كان خاشعا فى صلاته ، وأخذ يطوف أرجاء المسجد الأقصى ، ليدرس آثاره ، ويقيد ملاحظاته ، حتى عاد إلى مصر ، وكتب سلسلة من المقالات عن المسجد الأقصى ، جمعها فى كتاب ... ولم تشغله وظائفه فى الجامعة عن القيام بواجب أسمى ، وهو أن يكون مؤديا لواجبه الإسلامى ، وواجبه العربى .

وقد أقام – رحمه الله – فى القاهرة (جمعية الأخوة الإسلامية) وكان يجمع فيها أبناء الشعوب الإسلامية القادمين لطلب العلم فى الأزهر ، أو فى غيره من الجامعات ، وكان موجها لهم توجيها سديدا ... »[٦] .

وهذا قليل من كثير ، من المناقب التى تروى عنه – رحمه الله رحمة واسعة – .

---

(٦) أنظر عدد مجلة (لواء الإسلام) الصادر فى شعبان ١٣٧٨ هـ ص ٧٤٥ وما بعدها .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وألزمهم كلمة التقوى

كلمة التقوى : قيل : هى « لا إله إلا الله » ، روى مرفوعا من حديث أبىّ بن كعب عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو قول الإمام على وابن عمرو وابن عباس وعمرو بن ميمون ، ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك ، وبعض من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقاله : عطاء الخراسانى وزاد « محمد رسول الله » .

وعن على وابن عمر ـ أيضا ـ هى : « لا إله إلا الله والله أكبر » .

وقال عطاء بن أبى رباح ومجاهد ـ أيضا ـ : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو عل كل شىء قدير » .

وقال الزهرى : « بسم الله الرحمن الرحيم » يعنى أن المشركين لم يُقروا بهذه الكلمة ، فخص الله بها المؤمنين .

وكلمة « التقوى » هى التى يتقى بها من الشرك .

وعن مجاهد ـ أيضا ـ أن كلمة « التقوى » هى الإخلاص .

« نفس كريمة »

إذا نالك الدهـــر بالحادثـــات
فكـن رابط الجأش صعب الشكيمـة
ولا تهن النـفس عنـد الخطـوب
إذا كان عنـدك للنـفس قيمـة
فوالله ما لقـــى الشامتـــون
بأحسن من صبر نفس كريمة

« بابُ العمل »

قال معروف الكرخىّ : إذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل ، وإذا أراد بعبد شرا فتح له باب الجدل وأغلق عنه باب العمل . .

صفة مالك بن أنس رضى الله عنه

قيل فى مالك بن أنس رأس المالكية ـ رضى الله عنه ـ :

يأبى الجواب فمـا يراجَـعِ هيبـة
والسائلـــون نواكس الأذقـــانِ
هَدْىُ التقى ، وعز سلطـان التقـى
فهـو المطـاع ولـيس ذا سلطـان

من توجيهات سيدنا عمر إلى الولاة

عن عمر بن مجاشع أن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كتب إلى أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ يقول له : ... فإن للناس نفرة عن سلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عمياء مجهولة ،وضغائن محمولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار ، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا ، فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى .

وعد مرضى المسلمين ، وأشهد جنائزهم ، وافتح بابك ، وباشر أمورهم بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جَعلك أثقلهم حملا .

وقد بلغ أمير المؤمنين أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبدالله أن تكون بمنزلة البهيمة التى مرت بواد خصيب ، فلم يكن لها همة إلا السمن ، وإنما حتفها فى السمن .

وأعلم أن للعامل مرداً إلى الله ، فإذا زاغ زاغت رعيته ، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته ، والسلام ..

لا أدرى

سئل واعظ وهو يخطب عن مسألة .

فقال : لا أدرى !! .

فقيل له : ليس المنبر موضع جهل .

فقال : إنما علوت بقدر علمى ، ولو علوت بقدر جهلى . لبلغت السماء .

« زن الكلام قبل النطق به »

اشتهر أحد الأمراء بالنجابة والفطنة والذكاء منذ نعومة أظفاره ، ولما بلغ السابعة من عمره رآه رجل كبير السن .

فقال له : إن من كان هذا ذكاؤه فى صغره ، يصير بليدا أحمق فى كبره .

فأجابه الأمير على الفور : إذَنْ كنتَ أذكى الناس فى صغرك .

فأسكته ، وخجل الرجل من كلامه وانصرف

« قَاسِطٌ عَادل »

روى عن سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ أن الحجاج بن يوسف الثقفى ـ قال لسعيد حين أراد قتله :

ما تقول فىَّ ؟ قال سعيد : قاسط عادل .

فقال القوم : ما أحسن ما قال ، حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل .

فقال الحجاج : يا جهلة ، إنه سمانى ظالما مشركا ، وتلا لهم قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وأما القاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ .

وقوله ـ عز شأنه ـ :

﴿ ثم الذين كفروا بِرَبِهِّم يَعْدِلُونَ ﴾ .

دعاء

« اللهم صبَّ علّى الخير صبًّا ،
ولا تنزع عنى صالح ما أعطيتنى
أبدا ، ولا تجعل معيشتى كدًّا ،
واجعل لى فى الأرض جدًّا » .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

رسالة المعلم

للأستاذ محب الدين الخطيب

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات

ليس هناك علم بدون تعلم ، وليس ثمة تعلم بدون معلم ، والتعليم رسالة وأمانة يضطلع بها كل من هيأه الله لذلك .

.النابه من المعلمين هو الشخص الذى يعتقد فى نفسه أن المعلم إذا أعطى وبذل ووفى واستوفى فذلكم هو المعلم الربانى . أما المعلم الآلة فهو : الذى تنعدم فيه روح العطاء ، فيجعل التعليم وسيلة لا غاية ، واضعاً نصب عينيه هم الدنيا وزخرفها ، فيلقى الكلام إلقاء ويرسله إرسالا بدون إدراك ، أو إحساس ، فهو بالجماد أشبه فتنفصم عرى الترابط بينه وبين ما يؤديه وتصبح العلاقة بينه وبين تلاميذه علاقة شوهاء ذات آصرة بتراء ، ويصدق عليه قول العرب : « شنشنة ولا أرى طحنا » .

قال الأستاذ ـ رحمه الله ـ :

المعلمون الذين ستقع أنظارهم على هذه الكلمة يعدون بالمئات إن لم يعدوا بالألوف ، وما منهم إلا من يحفظ كلمة الشاعر :

قم للمعلم وفّه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

وهم يحفظون هذه الكلمة على أنها ثناء عليهم بأنهم ـ مع قيامهم بمهمة التعليم ـ يحملون رسالة من رسالات الله ، يتوسلون بها إلى مرضاة الله . وإذا كان فيهم من أجهد نفسه فى طلب العلم من نعومة أظفاره فى مختلف مراحل التعليم إلى أن صار معلماً ، ولم يبلغ بعد أن يكون من حملة رسالة الله إلى أبناء الجيل الناشىء فى معاهد التعليم ، فإن الناس لا ينكرون عليه أنه معلم ، ولكنهم لا يعترفون له ـ ولا هو يعترف لنفسه ـ بأنه أحد الذين أثنى عليهم الشاعر ، لاضطلاعهم برسالة التعليم .

المعلمون فريقان : معلم آلى يؤدى عمله من لسانه إلى آذان المتعلمين ، ومعلم صاحب رسالة فى التعليم يؤدى عمله من قلبه إلى قلـــوب المتعلمين ، وكلا الفريقين يؤدى عمله ، ويبذل فى سبيله من جهد ووقت مثل الذى يبذله صاحبه ، غير أن أحدهما آلة ، والآخر مؤمن برسالة .

الأول : تافه يعيش على هامش الحياة ، والآخر خالد يؤدى لله واجبه فى تكوين الجيل وإعداده للحياة .

الأول اسطوانة تتحرك وهى لا تشعر بما تتحرك له ، والآخر أب حكيم رحيم يعتبر تلاميذه أمانة الله بين يديه كأولاده الذين اختصه الله بهم وائتمنه عليهم .

إن الأمة الإسلامية كلها ــ ومصر فى جملتها ــ تجتاز الآن طوراً من أطوار تاريخها ، وهى منه على مفترق الطرق ، والتطور لا يتناول الذين شبوا عن الطوق ودخلوا فى سن الرجولة أو الكهولة أو الشيخوخة ، بل يتناول رواد معاهد العلم من البراعم التى فى سن الطفولة إلى المراهقين الذين يملئون المدارس الثانوية ، فالشباب الذين يتلقون التعليم الجامعى ، هؤلاء هم المعرضون الآن لحادث التطور ، وهؤلاء هم الواقفون على مفترق الطرق ، وهؤلاء هم الذين سيكون منهم ــ فى عشرات السنين الآتية ــ أتفه أمة أخرجت للناس ، أو خير أمة أُخرجت للناس . وفى يد المعلم : المعلم الذى يجهل رسالته أو يتجاهلها ، والمعلم الذى يعلم رسالته ويؤمن بها ، فى يد هذا الفريق من المعلمين أو ذاك ، تكوين الجيل الآتى ، وإعداده لمستقبل الأمة والوطن جيلا تافهاً ، أو جيلا خيراً نافعاً .

كان اسم المصنع القائم على إعداد الأجيال الماضية « وزارة المعارف » ، لأن المطلوب من المعلم [illegible] مضى كان حشر ألفاظ من المعارف فى أمخاخ التلاميذ والطلبة ليجتازوا بها الامتحان السنوى ، ثم يحصلوا بعد ذلك على شهادة يتوصلون بها إلى وظيفة فى دواوين الحكومة ، فكان يكفى لذلك أن يكون المعلم آلة تحفيظ يؤدى عمله من لسانه إلى آذان المتعلمين .

هذه هى الطريقة التى اختطها (دانلوب) (لوزارة المعـــارف)، وسارت عليها (وزارة المعارف) فى النصف الماضى من هذا القرن ، أما الآن أى فى السنة الدراسية الجديدة ، فقد تحولت (وزارة المعارف) إلى شىء آخر ، إلى « وزارة التربية والتعليم » إشعاراً للمعلم بأن عمله الفردى السابق أصبح الآن عملا مزدوجاً : كان معلماً فصار معلماً ومربياً ، كان موظفاً مكلفاً بإعداد موظفين ، فصار أباً مكلفاً بإعداد رجال عاملين خيرين نافعين ، كانت مهمته تنتهى بين لسانه وآذان تلاميذه ، فازدوجت الآن هذه المهمة ، وصار مكلفاً بأن ينشىء صلة جديدة بين قلبه وقلوب أبناء كأبنائه ائتمنه الوطن عليهم ليكون منهم خير أمة أخرجت للناس ، لا ليتركهم هملا يتعرضون بأهوائهم لحبائل الشيطان فيكونوا شر أمة أخرجت للناس .

لقد تحول المعلم عندنا ــ للمرة الأولى ــ من آلة أو اسطوانة تردد مناهج (وزارة المعارف)،

إلى مرب يرى فى نفسه أنه سفير (وزارة التربية والتعليم) ، إلى فلذات أكباد الأمة الذين يملئون مقاعد معاهد التربية والتعليم ، ليجعل منهم لبنات قوية سليمة فى بنيان الجيل الحبيب فى المستقبل القريب .

لقد صار المعلم مربياً ومعلماً من قلبه وصميم روحه ومنتهى عزيمته ، بعد أن كان معلماً من لسانه وذاكرته ، وهذا الفرق الجوهرى بين المعلم (الدنلوبى) والمعلم (الاستقلالى) هو الذى يجب أن يجعله المعلم نصب عينيه فى داخل مدرسته وخارجها .

لقد أصبح المعلم مسئولا عن تربية العقل فى أبناء الأمة الذين ائتمنته الأمة عليهم ، والعقل هو المصباح للنفس البشرية يقوم على توجيهها إلى الحق والخير فى طريق الحياة ، فكلما كانت عناية المعلم بتربية عقل التلميذ أحكم وأقوم ، كان للأمة من هذا التلميذ الرجل المستنير المهذب الذى تعتز به الأمة ، ويرتفع مستواها ويستقيم سيرها نحو العلى ، فيكون لها فى التاريخ دور أعز وأفضل وأعلى .

والمعلم مسئول عن تربية الخُلق فى أبناء الأمة الذين ائتمنته الأمة عليهم ، ليكون الجيل الآتى من الأمة – فى عشرات السنين التالية – من أهل الصدق ، والتعـــاون على الخير ، والصبر فى الشدائد ، ومن أهل القصد والرفق والاعتدال ، والدأب فى العمل والمثابرة عليه والتجويد له ، وإيثار الآجلة بنصيبها من السعى والجهد ، مع إعطاء العاجلة حقها من ذلك .

أيها المعلمون :

أنتم الذين تروون للناس قول الشاعر : « الأمم الأخلاق » وقد مل الناس رواية هذه الكلمة بالألسن ، وباتوا فى حاجة إلى أن يروها معمولا بها فى سيرتنا وتصرفاتنا وتعاملنا فيما بيننا ؛ لنكون قدوة لهم ، ولتكون لهم أسوة بنا ، فإن لسان الحال أبلغ وأصدق وأجدى وأسرع تأثيراً من لسان المقال ، وإذا كانت الأمم الأخلاق ، فما منزلتنا الآن من هذه الأخلاق ؟ وهل من سبيل إلى الارتفاع بمنزلتنا إلا على أيديكم ؟ وإذا كان التغنى بقول شوقى : « إنما الأمم الأخلاق » لم ننتفع به من طريق الكلام ، فهلا ترون أن الأوان قد آن لنجرب طريق القدوة والأسوة ؟ وإذا كنتم يائسين من جدوى القدوة والأسوة فى جيلى أنا وأمثالى من الذين شبوا عن الطوق ، فهلا نبدأ بتجربة القدوة والأسوة مع هذه البراعم المتفتحة للحياة على مقاعد مدارسكم ومعاهدكم ؟

إن الزمان استدار ، والبضاعة التى كانت ترضى (وزارة المعارف) فيما مضى ، لن تكتفى بها (وزارة التربية والتعليم) فيما سيأتى ، وقد أصبحت الأمة فى حاجة إلى جيل منها جديد يحب الله ، ويؤثر رضاه ، ويتقى مساخطه . ويختار الحق والخير ، ويقتدى فى ذلك بالمثل العليا فى سيرة الأخيار من أهل الحق ، وما أكثرهم فى سلف هذه الأمة الغنية بالأخلاق فى جاهليتها ، فضلا عن عصور الإسلام التى قدمت للإنسانية من قادة الحق والخير من لا تضارعها فيهم أمم الأرض مجتمعة ، فاستمدوا من هذا الماضى الغنى بالفضائل لإعداد

المستقبل إعداداً صالحاً تتصل أخراه بأولاه ، فنستأنف سيرتنا الطيبة فى التاريخ .

عرفوا الأحفاد بفضائل الأجداد .

إبعثوا فى الحاضر مآثر الماضى .

إربطوا قافلة الغد بقافلة الأمس لتواصل طريقها إلى السعادة .

إن معلم الناس الخير ﷺ : « كان يستعيذ بالله من علم لا ينفع » فعلموا تلاميذكم ما ينفعهم فى تنمية عقولهم ، وتربية أخلاقهم ، والنهوض بمستوى حياتهم ، حتى يكونوا أمة صالحة تحترمها الأمم ، وحتى يكونوا أمة صدق ، ودأب ، وتجويد ، وابتكار لكل ما ينفع الناس ويقضى حاجاتهم ويرفع مستواهم بين الأمم .

هذه هى رسالة المعلم ، والذى يؤمن بها لا يحتاج إلى مناهج تدله عليها ، ولا إلى دليل يأخذ بيده إليها كالدليل الذى يستعين به الكفيف إذا سلك طريقه .

هى رسالة يعرفها كل معلم ، ثم يتفاوتون فى العمل بها ، بقدر تفاوتهم فى الإيمان بها ، والفارق بين الفريقين هو أن يميز المعلم طريقه فى التعليم : فهل هو موظف فى (وزارة المعارف الدنلوبية) ، أم هو سفير (وزارة التربية والتعليم) ، المتعاون معها على تكوين الجيل الجديد بتربية عقله وخلقه ونفسه ، وتزويده بالعلم النافع للنهوض بمستوى الأمة الاجتماعى إلى ما يرضى الله وتعم به فى الأوطان الإسلامية رسالة الحق والخير .

إن رسالة المعلم هى رسالة الدليل للأمة الحائرة وهى على مفترق الطرق ، فانظروا إلى أى طريق أنتم ذاهبون بها .

الشعر
إعداد الأستاذ
رشاد يوسف

أغنية من نبع محمد

– صلى الله عليه وسلم –

د/ محمد كمال الدين إمام

لولاك لما ارتفعت فينا مئذنة أو كبر مسجد
لولاك لما نطقت فينا لغة الإيمان ولم نسجد
لولاك لما عرف الإنسان الدرب إلى الله الأوحد
ولظل يسبح للأوثان ويؤمن بالحجر الجلمد

• • •

لكنْ فى قلبى أغنية تتفجر من نبع « محمد »
نتساءل كيف يضل الناس حيارى قد فقدوا المرشد
ما بال القوم كأنهمو ذابوا فى الفكر المستورد
وضياؤك فينا مثل الشمس بقاءً بل منها أخلد

• • •

ويقول القلب نعود نعود ونبدأ من باب المسجد
فبرغم عدو شاء لنا الأغلال وشيطان عربد
وبرغم المحنة علمنا ما فيها روعة ما نفقد
مازلنا نبصر فوق الدرب خطانا من خلف « محمد »

• • •

يا قومى فى دمنا التهبت أشواق النور ولن تخمد
كبّرنا باسم الله الفرد فكان النصر على موعد

تنوير.. وتضليل

شعر د. / محمد عبد الرحمن صان الدين

أيها التاريخ هل كل الذى ترويه كانا ؟
أم ترى الإنسان فيما خط فى الأوراق مانا
فيك تزوير وزيف منهما المرتاد عانا
فيك أوهام وخلط فوق نور العقل رانا
كم طرحت الدر أرضا والحصى أعليت شانا

• • •

فى بطون الكتب والأسفار كم تاهت عقولُ
ما لها عند السُّرَى فى ليلها الداجى دليل
ذاك نبع ماؤه رَنْق ، وهذا سلسبيل
قد وعَاهَا حاطب بالليل أفَّاق يجول
بعض ما فيها غُثَاء أو دخيل أو جليل

• • •

كم كلام من هواة القول محبوك النسيج
يقرع الأسماع فى صبح وليل بالعجيج
ما به شىء من المضمون للفكر النضيج
إنه فى كفة الميزان ضرب من نئيج[1]
إنما يثرى العقولَ القولُ رفراف الأريج

• • •

إن من يرتاد فى التجوال أدغال الرقيم
ينبغى أن يمسك المصباح مصباح العلوم
والموازين التى قامت على النهج القويم
أو فإن المرء يحيا فى غيابات الوهوم
ليس كل القول فى الأسفار من وحى الحكيم( )

---

(١) نئيج : صياح وضوضاء

( ) نعتذر عن نشر الخماسية الأخيرة لضيق المساحة .

شاهدُ زورٍ !!!

شعر/ السيد الصديق حافظ

« خمسون عاما قضاها يعظ الناس ، وفى لحظة صارت الأعوام ركاماً أمام تجربة وجد فيها الحق يطالبه بأن يؤدى الشهادة على أخيه .. فكان للمجرمين ظهيرا ! » .

أتحلفُ كَاذِباً وتقولُ زورا ؟ ! سُقُوطُك فِتنةٌ تؤذِى الشعورا !
وتأمُرُنا بمعروفٍ وتأتِى من الأفْعَالِ منكوراً حقيراً ؟!
كأنَّك لمْ تعدْ ترجُو حِسَاباً ولا بعْثاً هناك ولا نشورا ؟!
أتنصُرُ باغياً فَظًّا غشُوماً وترْضَى أن تكونَ له ظهيرا ؟!
وتخْذُلُ حَقَّ مَظْلُومٍ بَرِيءٍ وتُصْبِحُ أنتَ للباغِى نصيرا ؟ !

• • •

كَتَمْتَ شهادةً وغمطْتَ حقًّا لِتُرْضِىَ عُصْبَةً فَقَدوا الضَّميرا !
ومن كَتَمَ الشَّهادةَ جَرَّ خِزْياً ومَنْ حَابَى أتى حُوبا كبيرا !
أتخشى الناس ؟! .. ويلك ! كنت أَوْلى بأنْ تخْشَى العَذَابَ المستطيرا !
إذا وقَفَ الخلائقُ يومَ حَشْرٍ وقَارفَ شَاهدُ الزُّورِ السَّعيرا !

• • •

لقد وجدَ البُغَاةُ لديك رِدْءاً لأرْذَلِهم وأَسْوَئِهم بصيرا !
بدينك تشترى دُنْيا ضَلالٍ كأنَّك لن تموت ولن تحُورا !
خلائقُ لو تَمَثَّلهُنّ قَبْرٌ لنَفَرَ مِنْه من سَكَنُوا القُبورَا !

يا ملهم الشعر

د. عبدالفتاح محمود عمرو شعيب(*)

يا ملهِمَ الشعرِ ما للشعرِ ينحرفُ
عما ألفناهُ والأسماع تنصرفُ
وراح يخبط فى رمزٍ وتعميةٍ
خبْطَ العَيِيِّ الذى فى رأسه خرَف
يا ليت شعرىَ هل غَامتْ معالِمنُا
فلم نعُدْ لعيونِ الشعْرِ ننكشفُ ؟
أم المعانى احتوتها بطنُ شاعرها
وما تخلَّفَ عنها راحَ يرتجفُ ؟
أم أنَّ أفقها مَنَا ضلَّتْ مسارتها
وضاعَ فى ظلمات الْمَهْمَهِ الهدفُ ؟
ماذا أقولُ وقد أجفلْتُ منصرفاً
عن ساحةِ الشِّعر ، والمهمومُ يعتكفُ ؟
ولستُ مُشَّائِما مما يجدُّ له
فالفن يزهو إذا أربابُه اختلفوا
وآية الدهر خطُّ ثم مُرْتحَلْ
يُطوَى النهارُ ويطوى بعده السَّدَف
حتى وقفتُ بنبعٍ سلسل صدَحَت
أطيارُه من هُيام وَهى ترتشفُ
يشكو لى العشق .. أحْيَتْ من سلاستِهِ
مكامِنَ الشعْرِ عندى فانبرت تقفُ
تشدوُ بلحنٍ طروبٍ شدَّنى شغفا
بل كاد شوقاً إليه الكون ينعطِفُ
فاعْجبْ لشاعرنا إذ طابَ منبعُهَ
كأنه من مساق الخلدِ يُغْتَرفُ
ما أروعَ الشعرَ إن غنَّتْ بلابلُه
وأروعُ الشعِر ما غنَّى به السلفُ

(*) وكيل معهد الفاروق الأزهرى بمدينة نصر

العلوم الكونية

من آيات الله فى الكون (*)

المذنبات والشهب والنيازك

بقلم أ. د
أحمد فؤاد باشا

تابع الناس فى جميع أنحاء العالم خلال شهر يوليو الماضى أنباء سقوط شظايا المذنب « شوميكر ـ ليفى » على كوكب المشترى ، وسجلت المراصد الفلكية آثار ارتطام هذه الشظايا التى تفوق فى شدتها قوة انفجار جميع الأسلحة النووية الموجودة فى « ترسانات » العالم فى وقت واحد عدة مرات ، وذكر بعض العلماء آنذاك أن كوكب المشترى أنقذ الأرض عندما سحب بقوة جاذبيته الجبارة هذا المذنّب واجتذبه إليه بعيدا عن الأرض ، فكان هذا من لطف الله بعباده .

وسوف نعرض فى هذا المقال ـ إن شاء الله ـ لسرد بعض ما توصل إليه العلم من حقائق تتعلق بالمذنبات والنيازك والشهب كأجرام سماوية طائرة فى الفضاء الكونى .

(*) بدائع الكون الفسيح : للدكتور محمد فهيم والدكتور محمد سليمان ـ أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا عام ١٩٩٢

أولا : المذنبات :

تعود تسمية «المذنّبات» Comets إلى الإغريق ومعناها النجوم ذات الشعور الغازية الطويلة ، وهو وصف عام لما تراه العين المجردة عندما تلمح مذنباً لامعاً يظهر فى السماء بين وقت وآخر متنقلًا بين كواكب المجموعة الشمسية . ويعتقد العلماء أن نشأة المذنبات تعود إلى بداية نشوء المجموعة الشمسية ، وهى عبارة عن كرات ضخمة من الصخر والثلج ، وتقضى أكثر الوقت فى الفضاء العميق فيماوراء الكواكب حيث لا نحس بها إلا عندما تندفع واحدة منها مقتربة من مجال رؤيتنا فى مسار حلقى متجه للشمس وملتف من ورائها عائداً مرة أخرى إلى أعماق الفضاء .

أما من حيث درجة لمعان المذنب فإنها تزداد كلما ازداد المذنب قربا من الشمس وتقل عندما يبعد عنها ويعود إلى « منازله » الباردة خلف الكواكب بعد أن يكون قد قطع فى رحلة الذهاب والإياب مسافة تزيد على شهر ضوئى (أى تزيد على المسافة التى يقطها الضوء فى شهر كامل ، علما بأن سرعة الضوء تقدر بنحو ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية) . ويتجمد رأس المذنب تجمدا شديدا وهو بعيد من الشمس حيث تصل درجة الحرارة السائدة فى أعماق الفضاء إلى ٢٧٠ درجة مئوية تحت الصفر ، وعندما تقترب المذنبات من الشمس فإن حرارتها تبخر الثلج ، وينبجس الغاز والغبار فيعكسان ضوء الشمس ويبدو المذنب لنا على الأرض كرأس لامع ، وتقوم الرياح الشمسية والإشعاع بدفع جسيمات غبار دقيقة جدا من رأس المذنب ، كما يندفع منه غاز متأين ، مما يشكل ذيلًا طويلًا يشير دائما إلى الاتجاه البعيد عن الشمس . وهذا الذيل يمكن أن يمتد لمسافات هائلة تبلغ طول المسافة بين الشمس والأرض .

ويطلق الثلج الذائب قطع الحجارة وتكون النتيجة أن يتحول المذنب فى النهاية إلى كرة ضخمة من الصخر يزيد وزنها على ألف مليون طن . ورغم ما يبدو من ضخامة هذا الوزن فإنه يعد صغيراً جداً إذا قيس بوزن الأرض وغيرها من الأجرام السماوية .

وتختلف المذنبات فيما بينها ، فمنها ما هو طويل الذيل ضخم الرأس ، ومنها ما هو عكس ذلك ، ومنها ما هو متعدد الرءوس أو الأنوية . ويحدث أن تمر بعض المذنبات بالقرب من الكواكب الكبرى ، أى المشترى وزحل ، فتنجذب إليها وتتحطم قطع صغيرة منها لتنفصل بعيدا مخلفة ذيلًا وراء الكتلة الرئيسية . والحلقات الجميلة المحيطة بكوكب زحل هى فيما يحتمل قطع من مذنبات خامدة ، وكذلك الحلقات المحيطة بالمشترى ، والتى لم تعرف إلا بعد وصول سفينة الفضاء « فويجير » إلى هناك ، وفى يناير ١٩٨٦م وصلت « فويجير » إلى « أورانوس » وكشفت لنا عن وجود حلقات هناك .

وهكذا فإن شظايا المذنبات موجودة فى كل مكان لكنها ــ فى حدود ما نعلم ــ لا تثير الاضطراب قط فى حركات الكواكب أو حتى أقمارها . أما الأمر الخطير حقا فهو الضربة المباشرة . ذلك أن المذنبات تتحرك بسرعة عدة أميال فى الثانية ، وهو ما ينطبق أيضاً على كوكب مثل الأرض ، ومن ثم فإن اصطدام مذنب مباشرة بالأرض ــ إذا ما حدث ــ لن يكون أمراً هيناً .

وعلى أية حال ، فإن المذنبات من الظواهر الفلكية القليلة الحدوث والتى تحتاج فى دراستها إلى إمكانات متقدمة وعصور مديدة للتعرف على تاريخها وأنواعها وتكوينها ونشأتها . ولعل فى قصة المذنب « هالى » Halley's Comet ـ وهو أحد المذنبات الشهيرة ـ ما يوضح مدى الجهد الهائل الذى يبذله العلماء فى تفسير هذه الظاهرة الفكلية المثيرة . ففى عام ١٦٨٢ ، اكتشف عالم الفلك البريطانى « إدموند هالى » Edmond Halley المذنب الذى سمى فيما بعد باسمه ، واستطاع أن يحدد مداراته ومواعيد اقترابه من كوكب الأرض بفاصل زمنى ثابت تقريباً يقدر بنحو ٧٦ عاما . ومن ثم توقع « إدموند هالى » أن يعود هذا المذنب بعد أن يكمل دورته فى سنة ١٧٥٨م ، ولكن موت « هالى » عام ١٧٤٢م لم يمهله لكى يرصد المذنب عند عودته فى موعده ، واضطلع ثلاثة من الفلكيين الفرنسيين بالمهمة من بعده ، وتابعوا مسار المذنب بمزيد من الدقة وحددوا شهر يناير من عام ١٧٥٩م موعداً لرصده . وقد شاركت مراصد العالم المختلفة فى رصد ودراسة هذا المذنب أثناء زيارته للأرض سنة ١٨٣٥م وسنة ١٩١٠م وسنـــة ١٩٨٦م . كذلك أمكن التوغل فى أعماق التاريخ وتحديد مواعيد الزيارات السابقة أعوام ٤٥١م و ٧٦٠م و ١٣٧٨م .

وإن أكثر ما يثير شغف العلماء فى دراسة المذنبات هى حركتها المدارية ، وكذلك التركيب الكيميائى والتغير فى درجة اللمعان والتغير فى طول الذيل وحجم الرأس ، والظواهر المختلفة المصاحبة لكل هذه التغيرات . ومع تقدم أبحاث الفضاء الكونى وإطلاق المراصد الفضائية العملاقة يتوقع العلماء معرفة المزيد عن حياة المذنبات التى هى جزء من حياة الكون بأثره .

ثانياً : **النيازك والشهب** :

تضم المجموعة الشمسية أعداداً كبيرة من أجسام صغيرة لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، تدور فرادى أو فى جماعات خلال مدارات حول الشمس . وتتراوح أقطار هذه الأجسام بين عدة أمتار وجزء من عشرة أجزاء من الميلليمتر ، وتسمى « نيازك » Meteorites . ونحن نشعر بالنيزك فقط عندما يسقط داخل الغلاف الجوى للأرض ، حيث يتسبب الاحتكاك مع جزيئات الهواء فى تسخين الجسم الساقط حتى يصل إلى درجة التوهج ويشاهد على هيئة « شهاب » Meteor . إن هذا يحدث كل ليلة ، فى كل وقت وفى كل مكان على سطح الأرض ، وكثيراً ما نلاحظ فى الليالى الصافية أجساماً شديدة اللمعان باهية الضياء ، تندفع فى السماء فى خط واضح بين النجوم المختلفة ثم تختفى سريعاً ، وما هى إلا أجسام كونية اندفعت نحو الأرض بفعل جاذبيتها ، ولكن سرعاتها الكبيرة واحتكاكها المستمر بطبقات الغلاف الجوى ترفع من درجة حرارتها بسرعة تؤدى إلى تبخر المواد التى تتكون منها ، وبالتالى لا تسقط إلى الأرض .

وقد يتبخر النيزك جزئيا ليترك وراءه سحابة رمادية لامعة تختفى بعد فترة ، ويتحطم الجزء الباقى متحولًا إلى فتات يأخذ وقتاً طويلًا حتى يسقط على الأرض كغبار مخصّب للتربة ، أو يعمل فى الجو كأنوية تتكاثف عليها قطرات المطر فتساعد على هطوله .

وحين تكون النيازك كبيرة الحجم فإن الساقط منها يرتطم بالأرض بعنف ، ويصاحب ذلك انفجار وضوضاء وشظايا ودمار يتوقف على حجم الساقط ، وتترك هذه الحوادث بصماتها على سطح الأرض على هيئة حفر عميقة بداخلها كتل معدنية سوداء ، ثبت أنها تتكون فى الأغلب من الحديد والنيكل ، وهما آخر العناصر المتبقية بعد تبخر العناصر الأخرى . ذلك هو النيزك الحديدى الذى استطاع أن يقاوم صدمة الارتطام وقوة الاحتكاك بالغلاف الجوى للأرض .

وقد تتشكل النيازك من الحجر وعندئذ فإنها تميل إلى التفتت عند دخولها الغلاف الجوى للأرض . وإذا حدث الانفجار عند ارتفاعات عالية فإن الوابل قد يصبح هائلًا . فخلال عام ١٨٦٨م تهاوت فى بولندا مائة ألف قطعة حجرية فى وابل واحد ، أما فى سنة ١٩١٢م فتهاوى فى « هولبروك » بأريزونا وابل من عشرة آلاف قطعة . كما يهبط الكثير من الغبار ، وقد يظهر كمسحوق أسود إذا سقط على أرض خلاء مغطاة بالثلج . وأكبر النيازك الحجرية المعروفة هى تلك التى تهاوت فى وابل من مائة قطعة فوق « كانساس » عام ١٩٤٨م ، وتضمنت قطعة حجرية وزنها طن واحد . وثمة نيازك ضخمة أخرى مسجلة بما فيها نيزك وزنه يزيد على نصف طن فى « لونج أيلاند » بنيويورك ، وآخر وزنه ثلث طن فى فنلندا ، وآخر من وزن مماثل فى تشيكوسلوفاكيا[(١)] .

والشهب ، فذكر « ابن سينا » فى موسوعته « الشفاء » أن النيازك نوعان : نوع حجرى ونوع حديدى ، وقد أثبت العلم الحديث أن النوع الحجرى شبيه بقشرة الأرض ، وهو أكثر أنواع النيازك شيوعاً حيث يحدث بنسبة ٩٣,٥٪ ، أما النيازك الحديدية فتحدث بنسبة

وكان علماء الحضارة الإسلامية أول من حاولوا تقديم تفسير علمى لظاهرة النيازك

٥٪ ، وهناك نوعان نادران من النيازك الحديدية الحجرية والنيازك الزجاجية يحدثان بنسبة ١,٥٪ فقط ، ويعتقد بنشأة النيازك عموماً كحطام للكويكبات حينما تتصادم .

ويقدر عدد الشهب التى يمكن أن يشاهدها من يرقب السماء كلها فى نفس الوقت بنحو ٢٥ شهاب كل ساعة فى المتوسط . أما إجمالى ما يدخل الغلاف الجوى الأرضى كل يوم فيقدر بنحو مائة مليون نيزك ، أغلبها صغير الحجم ، ولا تشاهد الشهب موزعة توزيعاً منتظماً على صفحة السماء ، وإنما ترى كما لو كانت تنتشر من مركز معين ، وذلك لدخول تيار من النيازك جو الأرض أثناء دورانه حول الشمس . وتقدر كتلة ما يصل إلى الأرض يوميا بعشرات الأطنان من البقايا الساقطة من النيازك مختلفة الحجم ، وإذا وزعت

---

(١) فرانك كلوز ، « النهاية . الكوارث الكونية وأثرها فى مسار الكون » ، ترجمة : د. مصطفى إبراهيم فهمى ومراجعة : عبدالسلام رضوان ، عالم المعرفة ، الكويت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

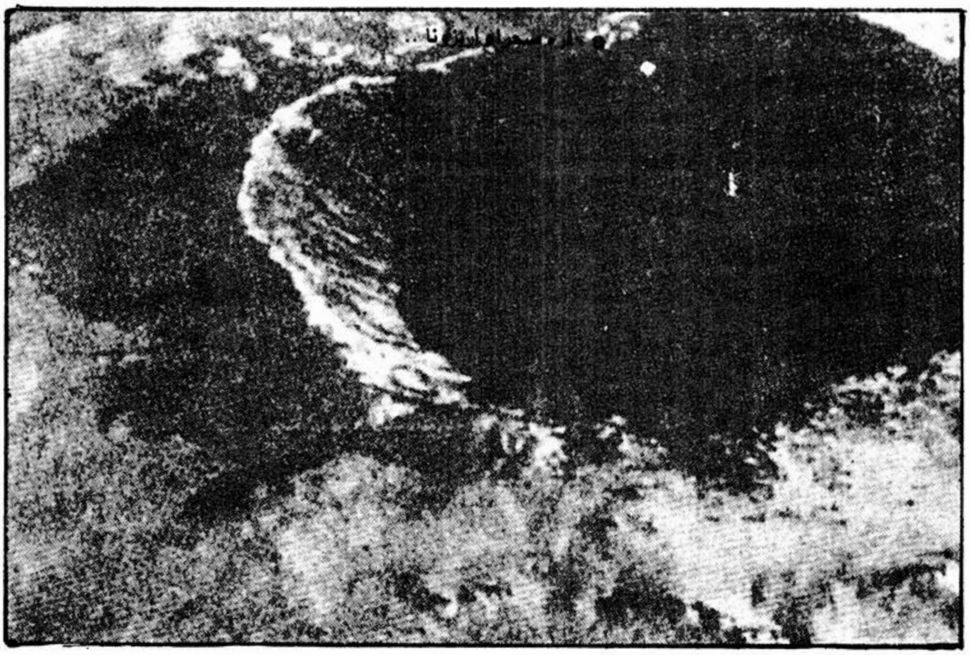

بالتساوى على سطح الأرض تنتج زيادة تبلغ ٧,٠ إلى ٧ كيلو جرامات لكل كيلو متر مربع كل يوم .

ومما يهون من كوارث النيازك ويخفف من دمارها أنها تفقد الكثير من سرعتها نتيجة احتكاكها بالهواء فى أثناء اندفاعها نحو الأرض ، إذ تبلغ سرعة النيزك فى الفضاء أحياناً ما يقرب من ٧٠ كيلو متراً فى الثانية الواحدة ، وإذا وصلت قرب الأرض تصل سرعتها إلى بضعة كيلو مترات فقط فى الثانية . ومن فضل الله على عباده أن معظم النيازك الكبيرة التى سقطت على الأرض عبر التاريخ لا تصيب البشر إلا نادراً ، ومن أشهر النيازك ذلك الذى سقط فى صحراء الأريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية ، حيث خلف حفرة قطرها حوالى ١٢٦٠ متراً وعمقها ٢٠٠ متر ومساحتها حوالى ٣٥٠ فداناً ويقدر وزن النيزك بأكثر من عشرين ألف طن ، كما يقدر عمر هذا الحدث بحوالى خمسين ألف عام . ومن النيازك التى شوهدت وهى تهوى إلى الأرض حديثاً ذلك الذى سقط فى المجر عام ١٨٦٦م وكان يزن $\frac{1}{4}$ طن فقط . كما أن هناك عشرات من الفجوات الأخرى الأرضية التى اكتشفت فى أماكن متفرقة من العالم ، تم تحديدها من خلال المسح الجوى بالطائرات والأقمار الصناعية .

فسبحان الذى جعل الغلاف الجوى للأرض سقفاً حافظاً للأحياء يعمل على تفتيت النيازك الكبيرة فيخفف من أثرها التدميرى ، وينفعنا بها كرذاذ ترابى مخصب للتربة الزراعية ، أو كنويات تكاثف تساعد على تكون الأمطار .

الحاسوب والعلوم الشرعية

المزايا والمنافع

بقلم م. نبيل صلاح العربى (*)

الحمد لله الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم
والصلاة والسلام على معلم الناس الخير وعالم ومتعلم

وبعـد ..

فى مقالنا السابق[١] عرضنا لبعض المفاهيم الأساسية فى تقنية المعلومات تضمنت تعريفا بالحاسوب (الكمبيوتر) وتطوره التاريخى ومجالات استخدامه ، ثم بيان مفهوم نظام الحاسوب بشقيه : المادى والذهنى[٢] ، وفى هذا المقال نعود إلى أحد الأسئلة التى طرحناها فى مقدمة المقال السابق .

ما المزايا والمنافع الناجمة عن اعتماد أنظمة (مُحَوْسَبَة) فى خدمة العلوم الشرعية ؟

---

* مدرس مساعد بكلية التجارة ـ جامعة الاسكندرية

(١) نشر فى العدد الصادر فى جمادى الآخرة ١٤١٥هـ ـ نوفمبر ١٩٩٤م .

(٢) يمكنك ـ إن شئت ـ أن تراجع ذلك المقال حتى يتيسر متابعة المادة العلمية فى المقال الذى بين يديك .

مزايا الحاســـوب

يتمتع الحاسوب بالعديد من المزايا التى تؤهله ليكون فى صدر أبرز التطورات الحديثة فى تقنيات القرن العشرين الميلادى ، ومن أهم هذه المزايا ما يلى :

أولا : السرعة الفائقة :

يعمل الحاسوب بسرعة عالية جدا ، وهذه السرعة هى أول ما يتبادر إلى الذهن عندما يقال لك : إن عملا ما تم إنجازه بواسطة الحاسوب .

كان الحاسوب المسمـــــى (إنيـــــاك ENIAC)[٣] يؤدى فى يوم واحد عمليات حسابية يتطلب إتمامها حوالى ثلثمائة يوم من العمل البشرى . كان ذلك إنجازا عظيما فى منتصف الأربعينات ، أما اليوم فإن سرعة الحاسوب تقاس بعدد ملايين العمليات التى يؤديها فى الثانية الواحـــدة Million Instructions Per Second (MIPS) وتقدر سرعة الحاسوب الشخصى Personal Cpmputer ببضعـــة وحدات MIPS بينما تتجاوز سرعة الحاسوب الفائق Super Computer ٢٥٠ وحـــدة (MIPS) أى يمكنه إنجاز أكثر من ٢٥٠ مليون عملية فى ثانية واحدة .

ويقدر زمن رد الفعل للعناصر[٤] بالنسبة للدماغ البشرى بحوالى جزء من مائة من الثانية ، بينما يقدر هذا الزمن بالنسبة للحواسيب التقليدية الصغيرة بحوالى جزء من عشرة مليون من الثانية ، أى أن أحد هذه الحواسيب أسرع بمائة ألف مرة من الدماغ البشرى .

والسؤال هنا : لماذا يكون الحاسوب أسرع من الدماغ البشرى بهذا المعدل الهائل ؟

يفسر أحد الكتاب ذلك[٥] بأن الإشارات والأوامر فى الدماغ البشرى عبارة عن تيار كهربائى يمر من خلال ممرات مائية مالحة (الخلايا

---

(٣) أول حاسوب تم تصميمه وبناؤه كمشروع حربى سرى فى الفترة ١٩٤٢ ـ ١٩٤٦ فى جامعة بنسلفانيا بأمريكا لصالح الجيش الأمريكى بغرض حساب جداول قذائف المدفعية ، ويذكر أن الحاسوب إنياك كان وزنه ثلاثين طنا واحتل مساحة ١٥٠٠ قدم مربع فى حين أن نفس قدرة الحوسبة Computing يمكن أن تتيحها اليوم رقاقة Chip تشبه طابع البريد وتقاس مساحتها ببضعة أجزاء من المائة من البوصة المربعة . ولمزيد من التفاصيل انظر :

(٥) د. محمد السعيد خشبة ، مقدمة فى الحاسبات الإلكترونية ١٩٨٨ ، ص١٦ .

Szymanski, R. A., et al., INTRODUCTION TO COMPUTERS AND INFORMATION SYSTEMS, MERRILL Pub. Co., 1988 P. 142.

(٤) زمن رد الفعل للعناصر هو الزمن الذى ينقضى بين تلقى إشارة معينة والاستجابة لها ، مثال ذلك : عندما تُلْقَى صديقا لك فى الطريق ترى العين صورة شخص فترسل إشارة إلى المخ يبحث فى الذاكرة حتى يتعرف على صورة هذا الشخص بوصفه صديق ، فيرسل الإشارات اللازمة للوجه حتى يبتسم ولليد كى تصافح وما إلى ذلك ، والزمن الذى ينقضى بين تلقى المخ لإشارة معينة والاستجابة لها بإشارة أخرى يطلق عليه زمن رد الفعل للعناصر .

(٥) سامى محمد جعرون ، العقل البشرى والآلى بين النزوات والتنظيم ، مجلة الكمبيوتر ، العدد ٧ ، المجلد ٢ ، يناير ، فبراير ١٩٨٣ ، ص١٣ ـ ١٦ .

العصبية الحية) ، أما إشارات الحاسوب فإنها تمر من خلال موصلات نحاسية وأجسام من سبائك معدنية صلبة مقاومتها لمرور التيار الكهربى ضعيفة جدا ، وبالتالى تكون سرعة نقل الإشارات أعلى كثيراً .

ثانياً : الدقة التامة :

يعانى الإنسان فى أحيان كثيرة من تشتت أفكاره ؛ بسبب وجود البعد العاطفى والانفعالى ضمن مكونات شخصيته ، هذا فى حين أن الحاسوب فى جوهره عبارة عن ملايين الدوائر والمكونات الإلكترونية المتناهية فى الصغر ، والدائرة الإلكترونية إما أن تكون مفتوحة أو مغلقة(٦) ولهذا يمكن القول : إن نسبة الخطأ فى العمليات الداخلية للحاسوب تؤول إلى الصفر . ولكن هل معنى هذا أن الحاسوب لا يخطىء ؟

قولنا « العمليات الداخلية » لا ينفى وجود مصادر أخرى للأخطاء ، فإن استخدام الحاسوب فى أى غرض ينطوى على الأعمال التالية :

□ إعداد البيانات الرقمية والنصية وكافة المعطيات التى تتعلق بالمهمة المطلوبة .

□ تصميم وإعداد البرنامج أو مجموعة البرامج اللازمة لإنجاز المهمة المطلوبة .

□ تغذية الحاسوب ـ من خلال وحدة الإدخال ـ بكافة المعطيات والبرامج .

□ تنفيذ البرامج واستخراج النتائج والتقارير .

والمتأمل فى هذه الخطوات يلاحظ على الفور أنها تعتمد على الجهد البشرى متمثلا فى مصممى النظم و (المبرمجين) ومدخلى البيانات ، وهكذا فلا مفر من الأخطاء البشرية الناجمة عن السأم والمؤثرات العاطفية والنفسية . هذا عن أخطاء السهو والنسيان .

أما الأخطاء المتعمدة فهى واردة بلا شك ولا معنى لتجاهلها(٧) ولكن للإنصاف نقول : إنه تم تطوير آليات للعمل تجعل الأخطاء بنوعيها عند حدها الأدنى .

وحتى مع استبعاد العمليات التى تنطوى على تدخل مباشر من الإنسان فى أداء الحاسوب لا يمكن القول : إن عمليات الحاسوب الداخلية تخلو من الأخطاء بنسبة ١٠٠٪ . ولإيضاح هذا المعنى نفترض أن المطلوب حساب الجذر التربيعى للعدد (٩) فباستخدام الحاسوب وبرنامج مناسب نتوقع الناتج ٣ . ولكن افترض أن الناتج الفعلى هو ٣,٠٠٠٠٠١ فهل هذا الناتج صواب أم خطأ ؟

الحكم على هذا الناتج يتوقف على درجة الدقة المطلوبة : فإذا كانت درجة الدقة المقبولة هى رقم عشرى واحد أو رقمين إلى ستة أرقام عشرية تكون هذه النتيجة مقبولة وصحيحة تماما ، بينما إذا كانت درجة الدقة المطلوبة سبعة أرقام عشرية أو درجة دقة مطلقة تكون هذه النتيجة خطأ(٨) .

---

(٦) اعتذر للقارىء المتخصص عن هذا التبسيط الذى قد يصل إلى التساهل ولكن غرضى إلا يفقد القارىء العام المتابعة .

(٧) الجرائم المتعلقة بالحاسوب وتقنية المعلومات وجوانبها القانونية والشرعية موضوع جدير بدراسة مستقلة نعد القارىء بالمساهمة فيها قريبا بإذن الله .

(٨) هذا المثال لتقريب الفكرة فقط إذ أن الخطأ الحسابى لدى الحاسوب لا يقع فى الرقم السابع يمين العلامة العشرية وإنما قد يكون الرقم الألف أو الرقم المليون يمين العلامة العشرية على حسب كفاءة ودقة التقنية المستخدمة ، ومن جهة أخرى فالمقياس الحقيقى للدقة يكون فى عمليات معقدة أو غير منتهية مثل حساب النسبة التقريبية « ط » واللوغاريتمات .

وعلى هذا فقولنا : إن نسبة الخطأ فى العمليات الداخلية للحاسوب تؤول إلى الصفر أدق من القول بأن نسبة الخطأ تساوى صفرا ، فدرجة الدقة التى يمنحها لنا الحاسوب هى دقة نسبية وليست الدقة المطلقة المستحيلة ، فالكمال لله وحده .

ثالثاً : الحفظ والاسترجاع :

يوفر الحاسوب قدرة تكاد تكون غير محدودة فى مجال حفظ واسترجاع المعلومات . ويحتوى نظام الحاسوب على ذاكرة أولية يطلق عليها ذاكرة Memory وذاكرة ثانوية (يطلق عليها وحدة التخزين الخارجية External storage unit . وتستخدم (الذاكرة الأولية) أساسا أثناء المعالجة الفعلية للبيانات ، بينما تستخدم (الذاكرة الثانوية) لحفظ البيانات والمعلومات والبرامج بصفة دائمة على نحو يمكن من استعادتها عند الحاجة .

تقاس سعة الذاكرة فى نظام الحاسوب بوحدة (البايت Byte) . ويناظر البايت أحد حروف الهجاء فى لغتنا البشرية ، فمثلا : كلمة « محمد » تشغل (أربع وحدات بايت) فى ذاكرة الحاسوب ، وجملة « جاء زيد » تحتاج إلى سبع وحدات بايت (بما فى ذلك المسافة بين الكلمتين) ، ولكن البايت وحدة صغيرة ولذلك تم اشتقاق وحدات أخرى أكبر لتعبر عن السعات الكبيرة[٩] مثل الكيلو بايت Kilo Byte الذى يساوى تقريبا ألف بايت والميجا بايت Mega Byte الذى يساوى تقريبا مليون بايت والجيجا بايت Giga Byte الذى يساوى تقريبا بليون (ألف مليون) بايت[١٠] .

ومع التطور الكبير فى صناعة مكونات الحاسوب غدت وحدات التخزين أصغر حجما وأكبر سعة ، وتوجد أنواع متعددة من وحدات التخزين الخارجية أكثرها ــ شيوعا ــ القرص المرن Floppy Disk ذو القطر ٥,٢٥ بوصة بسعة (١,٢ ميجا بايت) والآخر ذو القطر (٣,٥ بوصة بسعة ١,٤٤ ميجا بايت) والقرص الصلب Hard Disk بقطر ٣,٥ بوصة ولكن بسعة تتراوح بين (١٧٠ ميجا بايت) و (٣٤٠ ميجا بايت) و (٥٤٠ ميجا بايت إلى ١,٢ جيجا بايت) إلى أكثر من هذا[١١] وحيث يمكنك دائما

---

(٩) السعات جمع سعة ، يناظر هذا أنه عند قياس المسافات القصيرة يمكن استخدام وحدة المتر ، ولكن لقياس المسافة بين مدينتين يكون الأنسب هو استخدام وحدة الكيلو متر .

(١٠) إن شئت الدقة فإن ١ كيلو بايت = ١٠٢٤ بايت و ١ ميجا بايت = ١٠٢٤ كيلو بايت و ١ جيجا بايت = ١٠٢٤ ميجا بايت .

(١١) فى بداية تعاملى مع الحاسوب منذ عشر سنين لم استوعب فكرة الكيلو بايت والميجا بايت حيث إن المألوف هو قياس حجم المعلومات بعدد الصفحات التى تحمل المعلومات فمثلا تقول : أن هذا الكتاب يحتوى على مائتى صفحة فهو يحمل قدراً من المعلومات أكبر بمقدار الضعف ــ كميا ــ من كتاب آخر يحتوى على مائة صفحة فقط ، ولذلك حاولت قياس سعة قرص الحاسوب بعدد الصفحات ، حيث قمت بالكتابة على الحاسوب وحفظ المادة المكتوبة على قرص فارغ واستمررت فى الكتابة حتى امتلأ القرص تماما وبقسمة سعة القرص بالكيلو بايت على عدد الصفحات وجدت أن كل صفحة (فولسكاب) تحتاج إلى ٢ كيلو بايت على القرص وعلى هذا فالقرص الذى سعته (١,٤٤ ميجا بايت) يستوعب ٧٢٠ صفحة والقرص ذو (٥٤٠ ميجا بايت) يمكنه أن يحمل ٢٧٠ ألف صفحة أى ما يعادل ٥٤٠ مجلداً كل منها ٥٠٠ صفحة (فولسكاب) والقرص (١,٢ جيجا بايت) يمكنه استيعاب ١٢٠٠ مجلداً ، وهكذا يمكنك وضع عدة مكتبات كاملة على قرص واحد ، فسبحان من علم الإنسان .

اقتناء المزيد من الأقراص ووضع المعلومات عليها ، لا نجد حرجا فى القول ـ بدون تحفظ كبير ـ إن قدرة الحاسوب على حفظ المعلومات تكاد تكون غير محدودة فى إطار شروط وضوابط معينة .

ومن حيث سرعة استرجاع المعلومات نجد أن زمن الوصول Access Time للمعلومة فى الذاكرة الأولية تقدر ببضعة أجزاء من مائة ألف من الثانية(١٢) ، وفى الذاكرة الثانوية (القرص الصلب) لا تتجاوز بضعة أجزاء من ألف من الثانية(١٣) .

أما الدماغ البشرى ، فيقول بعض علماء الأعصاب(١٤) : إن قدرته النظرية على حفظ المعلومات تتجاوز (١٥ تريليون(١٥) بايت) (حرف) ولكن لم يحدثنا التاريخ عن أى أحد استطاع أن يوظف هذه القدرة الهائلة على حفظ المعلومات ، باستثناء كبار علماء السلف وخاصة فى مجال حفظ الحديث النبوى الشريف وتمييز الرجال ، فالإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ كان يحفظ مليون حديث (سندا ومتنا بطبيعة الحال)(١٦) علما بأن عدد خلايا المخ لدى هؤلاء الأعلام هو نفسه لدى كل واحد منا ولكن هذا فضل الله أولا وآخرا يؤتيه من يشاء من عباده ، ثم هو سعى واجتهاد فى طلب العلم وتقوى وورع لا مزيد عليهما ، وبهذا سبقوا والله المستعان .

وهكذا فقدرة المخ البشرى العادى على حفظ المعلومات ، وتذكرها محدودة من الوجهة العملية بل إن بعض الأبحاث تقرر أن الإنسان الذى يعيش ستين عاما يعمل بنسبة لا تزيد عن ٥٪ من كافة المعلومات التى اكتسبها طوال حياته من البيت والأقران والمدرسة والجامعة والخبرات العملية ، أما الباقى فيذهب فى طى النسيان .

واليوم تلوح فرصة جديدة لتعويض النقص فى ذاكرتك حيث يمكنك أن تصطحب حاسوبا دفتريا Notebook Computer ـ صغيرا بحجم الكتيب ـ ذا ذاكرة ثابتة تستوعي نصوص الكتاب العزيز ومدونات الحديث النبوى الشريف إلى جانب أقوال العلماء واجتهاداتهم فى كافة فروع العلوم الشرعية ، فكيف السبيل إلى ذلك ؟ وما الضوابط والمحاذير التى يتعين أخذها فى الاعتبار لكى يتحقق هذا الأمل الذى يراود الفقهاء والمفتين والمشتغلين بالعلوم الشرعية بوجه عام ؟

نأمل أن يكون هذا موضوع مقالنا القادم بإذن الله .

والحمد لله أولا وآخرا .

---

(١٢) يتراوح زمن الوصول بين ٦٠ و ٧٠ نانو ثانية Nano Second (النانو ثانية ـ جزء من مليون من الثانية) .

(١٣) يتراوح زمن الوصول بين ٩ و ١١ ميللى ثانية Milli Second (الميللى ثانية ـ جزء من ألف من الثانية) .

(١٤) انظر : سامى محمد جعرون ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(١٥) لكى تكتب هذا الرقم اكتب الرقم ١٥ وإلى يمينه ضع ثمانية عشر صفرا .

(١٦) قال أبو زرعة لعبد الله ولد الإمام أحمد : « كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث » ، فقال له عبد الله : « وما يدريك » ، قال : « ذاكرته فأخذت عليه الأبواب » ، انظر ترجمة الإمام أحمد فى مقدمة كتاب الزهد طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

البنسلين وعلاقته بالحمى الروماتيزمية

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

٣

تطرقنا فى المقال السابق إلى الحديث عن أعراض ووسائل تشخيص حساسية البنسلين ، ونختم حديثنا عن مرض الحمى الروماتزمية ، بإلقاء الضوء على كيفية التغلب على حدوث حساسية البنسلين وعلاج هذه الحساسية ـ إذا حدثت ـ ثم نُتبعَ هذا بالحديث عن علاج مرض الحمى الروماتزمية ..

● **كيفية منع حدوث حساسية البنسلين :**

يتم هذا عن طريق تقليل حساسية المريض للعقار desensitization بإعطاء المريض جرعات صغيرة متضاعفة من العقار (كل ١٥ دقيقة) حتى نصل للجرعة المعالجة ، ويعطى البنسلين عن طريق الفم ، أو بواسطة الحقن (فى العضل أو فى الوريد) .

ونظراً لإمكانية حدوث تفاعلات حساسية شديدة ، يجب أن يتم هذا فى وحدات الرعاية المركزة :

intensive care units

● **علاج حساسية البنسلين :**

يجب أن يتم هذا العلاج بسرعة شديدة ، عن طريق (حقن الأدرينالين Adrenaline) فى الجلد ، حيث يؤدى إلى تقليل إفراز (المواد الكيميائية الواسطة Mediators) ـ التى تؤدى إلى حدوث الحساسية ـ من الخلايا الشبعية ، ويقوم (الأدرينالين) أيضا بالمحافظة على الضغط الدموى مانعاً لحدوث هبوطه .

ويتم أيضاً حقن المريض (بمضادات الهستامين) ، مثل (السيمتدين cimetidine) ، وعندما يكون هناك تورم بالحنجرة ، وضيق فى الشعب الهوائية ، فإنه يتم إستنشاق الأدرينالين والحقن الوريدى (بالمينوفلين) ، وفى الحالات الشديدة ، قد يتم تركيب أنبوبة فى القصبة الهوائية : Tracheal intubation ، أو عمل فتحة بها

(*) ماجستير فى طب الأطفال .

Tracheostomy ..

ومن الجدير بالذكر أنه بالرغم من أن الكورتيزون لايؤثر فى الحال ، إلا أنه يُستخدم لمنع حدوث تفاعلات حساسية متكررة .

● علاج مرض الحمى الروماتزمية :

Trearment oF Acute rheumatic Fever

يهدف علاج مرض الحمى الروماتزمية إلى تحقيق :

١ ــ علاج البكتريا المكورة السبحية حالّة الدم المسببة للمرض .

٢ ــ علاج الأعراض الإكلينكية للمرض .

٣ ــ علاج مضاعفات المرض : (هبوط القلب) .

١ ــ علاج البكتريا المكورة السبحية حالة الدم :

يجب أن يبدأ علاج هذه البكتريا بعد تشخيص المرض مباشرة سواء تم عزل هذه البكتيريا من المريض أم لا ؛ لأن المرض يحدث بعد غزو جسد الطفل بالبكتريا ــ بفترة زمنية ، تتراوح ما بين أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع .

ويتم علاج هذه البكتريا ــ كما سبق وذكرنا ــ بالمضادات الحيوية ، مثل البنسلين ، أو المضادات الحيوية الأخرى ــ إذا كان المريض يعانى من حدوث تفاعلات حساسية ضد البنسلين ــ مثل : (الإريثروميسين أو الريفامبين أو الكلنداميسين وغيرها) لمدة ١٠ أيام متتالية ، عن طريق الفم .

وأيضاً يمكن علاج هذه البكتريا عن طريق حقن المريض ــ مرة واحدة فى العضل ــ بالبنسلين طويل المدى .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الأطباء يفضلون علاج المرضى بالبنسلين عن طريق الفم ــ وليس باستخدام البنسلين طويل المدى ــ لأنه قد يؤدى إلى زيادة نسبة سرعة الترسيب التى يُعتمد عليها فى الحكم على مدى فاعلية الأدوية المضادة للالتهاب ، التى يعالج بها المريض .

٢ ــ علاج الأعراض الإكلينيكية للمرض :

(أ) ــ علاج الالتهاب المفصلى المتنقل :

ويتم هذا بواسطة الأسبرين ، عن طريق الفم ، ويؤدى هذا إلى اختفاء هذا العرض سريعاً ــ فى خلال (١٢ ــ ٢٤ ساعة) ولهذا : إذا تم علاج المريض ــ قبل التشخيص الأكيد للمرض ــ بالأسبرين فقط يؤدى هذا إلى منع حدوث الإلتهاب المفصلى بصورته المميزة للمرض ــ (بشكل متنقل) ــ مؤدياً إلى عدم تشخيص المرض .. ولهذا يجب تأجيل استخدام الأسبرين ، إلى أن يتم تشخيص المرض . ولهذا ــ أيضا ــ إذا كان المريض يعانى من حدوث التهاب مفصلى مؤلم ، ولم يتم التأكد من تشخيص الحمى الروماتزمية بعد ، يمكن استخدام جرعات ضئيلة من الكودبين Codeine أو الأدوية المشابهة له ، وهذا العقار لا يتعارض مع حدوث المرض ، بصورته المعروفة ، وبالتالى مع إمكانية تشخيصه .

ومن الجدير بالذكر ، أنه من النادر جداً أن يستخدم (الكورتيزون) فى علاج هذا العرض .

(ب) ــ علاج التهاب القلب :

ويتم هذا عن طريق العلاج بـ (الكورتيزون) لمدة أسبوعين إلى ثلاثة أسابع (والبعض ينصح بإعطائه لمدة شهر كامل) ويمكننا الحكم على مدى استجابة المريض للعلاج (إكلينيكياً) بـ (سرعة

النبض ، وفحص القلب) ومعملياً عن طريق قياس سرعة الترسيب ، والبروتين التفاعلى : س) ويتم وقف العلاج بالعقار تدريجياً ، على مدى أسبوعين ، بتقليل الجرعة (الأسبرين) عند بداية تقليل جرعة (الكورتيزون) ويستمر العلاج (بالأسبرين) لمدة أسبوعين آخرين ، بعد وقف (الكورتيزون) .

ومن الجدير بالذكر أنه بالرغم من أن (الكورتيزون) يستخدم لفترة قصيرة ، إلا أن أعراضَهُ الجانبية قد تُحدث مثل ارتفاع ضغط الدم ، وارتفاع نسبة (الجلوكوز) فى الدم . ويمكن تقليل هذه المضاعفات ، باستخدام (الكورتيزون) بطريقة (العلاج يوماً بعد يوم) Alternate day Therapy وهذه الطريقة تعْنى العلاج بالعقار يوماً ، مع عدم استخدامه فى اليوم الذى يليه ، وهكذا .. ولكن من سوء الحظ أنه لم تُجْرَ دراسات كافية ، لمقارنة فاعلية العقار ، إذا استخدم بهذه الطريقة .

ومن الجدير بالذكر أيضاً أنه لا يوجد دليل مؤكد على أن (الأسبرين ـ أو ـ الكورتيزون) يمكنهما منع حدوث إصابة القلب الدائمة ، بعد حدوث إصابة القلب الأولية .

(جـ) علاج الكوريا :

يجب أن يعالج المريض فى جو هادىء مع توفير الراحة النفسية له ، ومن الجدير بالذكر أن (الفينوباربيتال Phenobarbital) و (الكوربرومازين Chorpromazine) اللذين كانا يستخدمان فى الوقت الماضى قد تم استبدال (الديازبام Diazepam) بهما فى الحالات البسيطة ، وبـ (الهالوبيريدول Haloperidol) فى الحالات الشديدة .

ومن الجدير بالذكر أن العقد تحت الجلدية ، والطفح الجلدى ، ليس لهما علاج مُحَدَّد .

٣ ـ علاج هبوط القلب :

ويتلخص فى الآتى :

(أ) راحة تامة بالفراش (حتى تصل سرعة الترسيب إلى معدلها الطبيعى مع تحسُّن المريض) ، ولكن يجب ألا تطول مدة الراحة ، لمنع حدوث مضاعفة راحة الفراش الطويلة ، مثل حدوث قرح الفراش Bed sores .

(ب) غذاء بدون ملح .

(جـ) وبالعقارات الآتية :

ـ مدرات البول Diuretics .

ـ الأدوية المساعدة على زيادة قوة انقباض عضلة القلب مثل الديجيتاليس Digitalis وغيره .

ـ مُوسِّعات شرايين أو أوردة الجسم ، أو الاثنين معاً : Vasodilators .

ـ موسعات الشعب الهوائية مثل الأمينوفيلين : Aminophylline .

ومن الجدير بالذكر أنه فى الحالات الشديدة ـ عندما لا يستطيع الكورتيزون والأدوية الأخرى المستخدمة فى علاج هبوط القلب التحكم فى المرض ـ فإن علاج المرض يتم بالتدخل الجراحى لاستبدال أحد الصمامات التالفة أو بإصلاحها .

وسوف نتحدث فى مقالاتنا القادمة بإذن الله تعالى عن بعض أمراض الطفولة الأخرى مثل أمراض الدم وغيرها التى قد تصيب فلذات أكبادنا .

«وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد . د / نجوى السيد أحمد (*)

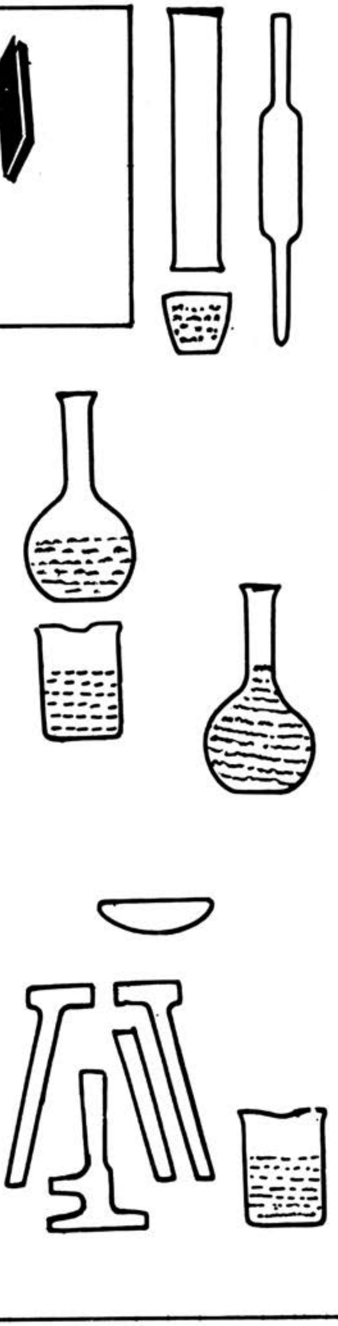

«ميكروسكوب» جديد للأبحاث الطبية

استطاعت شركة استرالية إنتاج «ميكروسكوب» جديد يعمل بأشعة الليزر ، ويتميز بسهولة نقله وإمكانية تشغيله . و «الميكروسكوب» الجديد يساعد الباحثين والأطباء على تحقيق طفرة فى الأبحاث الخاصة بالأورام السرطانية والعظام والأعصاب .

حزام للنيازك على حافة المجموعة الشمسية

أعلن اثنان من علماء الفلك الأمريكيين أنهما عثرا على أدلة تشير إلى وجود حزام من الأجسام الفضائية يقع على الحافة القصوى للمجموعة الشمسية ويمكن أن يكون مصدرا لأنواع معينة من النيازك حيث رصدا جسمين يشبهان النيازك فيما وراء مدار كوكب « نبتون » وأكد العالمان أن هذا يمثل أول رصد لأجرام سماوية فى حزام للنيازك قصيرة العمر .

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث .

مادة سائلة لحماية
إطارات السيارات

تم طرح إنتاج جديد فى الأسواق العالمية عبارة عن مادة سائلة متعادلة كيميائيا توضع على الوجه الداخلى لإطار السيارة وتكفى عبوة واحدة منها لأربعة إطارات وتبقى فى الإطار على الدوام بصورة سائلة دون إلتصاق على الوجه الداخلى للإطار وأثناء الدوران يكون طبقة واقية فعالة على الإطار الداخلى وإذا حدث ثقب أثناء السير يندفع السائل إلى مكان الثقب ويغلقه فى الحال وبصورة دائمة ، ويستطيع الفرد تعبئته بنفسه أو فى محطة الوقود .

جهاز آلى لاكتشاف
الخلل فى أنابيب البترول

تمكن معهد البحوث الغازية فى « شيكاغو » من تطوير جهاز آلى يستطيع أن يمر خلال أنابيب البترول بحثا عن الأجزاء المتصدعة والصدئة والتى يتسرب منها البترول وينقل المعلومات من خلال « كابل » من الألياف الضوئية .

استحداث عقاقير
باستخدام الحواسيب

تم اكتشاف معظم العقاقير المتداولة حاليا إما بالملاحظة العرضية أو بالمسح المنهجى لأعداد كبيرة من المواد النباتية والحيوانية والمعدنية الطبيعية والصناعية .

والآن تستخدم الحواسيب لاستحداث عقاقير جديدة حسب الطلب على أساس المعلومات المفصلة للبنية الكيميائية . وقد نجح هذا الاتجاه الجديد فى إنتاج علاج لمرضى الصدفية ويجرى اختبار علاجات أخرى لالتهاب المفاصل والسرطان ونقص المناعة المكتسبة . وتشير الدلائل إلى أن أسلوب التصميم على أساس البنية سوف يقدم إسهاما جوهريا فى تصنيع العقاقير .

رقائق الماس الصناعى تدخل
عالم « الالكترونيات »

الماس هو الحالة الأكثر استقرارا من أنماط الكربون ، ويحضر صناعيا من الجرافيت تحت ضغوط عالية تقارب ٦٠٠٠٠ جو ودرجات حرارة تفوق ١٥٠٠°م . وقد نجح العلماء حديثا فى تطوير أغشية رقيقة من الماس يتراوح سمكها بين الميلليمتر وما لا يتجاوز بضع مئات من الذرات وتصلح هذه الرقائق كأساس لتطوير جيل جديد من الأجهزة الالكترونية تفوق نظائرها المصنوعة من السليكون وتتحمل درجات حرارة تبلغ ٧٠٠ درجة مئوية .

التبريد باستخدام
الطاقة الصوتية

بعد أن تأكد دور مركبات الكلوروفلور كربون فى حدوث ما يسمى بثقب « الأوزون » اتجه العلماء حديثا إلى البحث عن بدائل تستخدم فى عملية التبريد . ومن أحدث الانجازات التى ظهرت فى هذا المجال البرادات (الثلاجات) الصوتيـــة Acoustic Refrigerators للاستخدام فى الأغراض المنزلية ، وكان قد سبق تصميمها بنجاح على المركبة الفضائية الأمريكية لتخفيض حرارة معدات إلكترونية صغيرة الحجم نحو مائة درجة .

خوذة للرؤية من خلال الضباب والظلام

تم ابتكار خوذة جديدة لحماية طيارى الطائرات المروحية الذين يطيرون فى أجواء تنعدم فيها الرؤية ، وهى مزودة بآلة تصوير تعمل بالأشعة دون الحمراء وجهاز لعرض الصور البصرية مكبرة ، ويستطيع الطيارون الذين يرتدون هذه الخوذة العالية التكنولوجيا الرؤية من خلال السحاب والظلام .

طريقة جديدة لطبع الرسومات على الملابس الجلدية

نجحت شركة فرنسية متخصصة فى مجال التحاليل والأبحاث الخاصة بصناعة الجلود فى ابتكار أسلوب جديد لطبع الرسومات على الملابس الجلدية بواسطة شريط كيميائى رقيق جداً ومطاطى أسود اللون أو عديم اللون يوضع فوق الورق على المصنوعات الجلدية ويُسحب بسرعة خمسة أمتار فى الدقيقة تحت ضغط ودرجة حرارة مناسبتين ، فينتقل رسم الشريط إلى الجلد ، وتتميز هذه الطريقة بالبساطة والسرعة وعدم الاضرار بالبيئة ؛ لأنها لا تحتوى على مواد كيميائية ولا تنبعث منها أى غازات .

غواصة للبحث عن الآثار فى أعماق البحار

توصل العلماء فى معمل أبحاث الهندسة البحرية بالولايات المتحدة الأمريكية إلى تصميم جهاز آلى « روبوت » - على هيئة غواصة متديرة - يستطيع الغوص إلى أعمق الأماكن فى قيعان المحيطات ويتحمل ضغوط الماء الهائلة فى الأعماق البعيدة ، ومبرمج بحيث يستطيع العمل بدون الحاجة إلى توجيه العلماء الذين يتابعون عمله من فوق ظهر سفينة الأبحاث ، وبواسطته سيتمكن الباحثون من الوصول إلى آثار المدن التى دمرتها الزلازل والبراكين ، وغطتها منذ آلاف السنين مياه البحار ، وإلى السفن الغارقة منذ زمن طويل ، وسوف يساعد ذلك على تفهم أكثر لكثير من الوقائع التاريخية التى لا تزال غامضة حتى الآن .

« ترانزستور » من مواد موصلة

من المعروف أن المواد تنقسم من حيث توصيلها للكهربية إلى مواد عازلة ومواد جيدة التوصيل ومواد شبه موصلة ، وكانت الأخيرة هى الأساس فى صناعة « الترانزستور » خلال العقود الأخيرة . وقد قامت حديثا شركة يابانية للالكترونيات بإنتاج أول « ترانزستور » متطور من مواد موصلة . وتقدر سرعة « الترانزستور » الجديد بمقدار عشرة أضعاف شبه الموصل ، ويستهلك أقل من ١ ٪ من الطاقة الكهربائية . ويتميز بقدرته الفائقة على التحكم فى توجيه الصواريخ ، وخدمة المواصلات والميكروويف وأجهزة المزج الكهربائى المغناطيسى لرصد المصادر الطبيعية وأنظمة مسح البيئة .

اللغة والأدب والنقد

الأثر العربي في اللغة السواحلية

بقلم الأستاذ/ عادل خفاجة

لا نكون مبالغين إذا قلنا : إنه ـ باستثناء اللغة الأوردية ـ لم تتأثر لغة بغيرها مثلما تأثرت اللغة السواحلية بالعربية ؛ فالأثر العربى يتضح بجلاء فى اللغة السواحلية ؛ وما ذلك إلا لأن الحوار لم ينقطع بين اللغتين العربية والسواحلية ، مثلما لم تنقطع الوشائج الحضارية والعلاقات التجارية بين أهلهما .

ولعل فى تناول هذا الموضوع ما يرفع اللثام عن علاقة العرب بإخوانهم فى شرق إفريقيا التى لم تنفصم يوما عراها ، وتزداد قوة يوما بعد يوم .

لمحة تاريخية لمنطقة شرق إفريقيا :

★لقد كان للبرتغاليين وجود فى المنطقة تبع رحلة فاسكو دى جاما ، ويذكر المؤرخون أن البرتغاليين لم يجدوا إلا الكراهية الشديدة من أهل الساحل الإفريقى ، لم يستطع إنكارها بعض الكتاب البرتغاليين ـ أنفسهم ـ مثل : « دوارت بربوسا » .

★كذلك كان للألمان وجود حققوه بانتهاج المنهج البرتغالى ، وبترسُّم خطواته ؛ فبدأوا برحلات استكشافية ثم تلا ذلك تأسيس « الجمعية الألمانية للاستعمار » التى أسسها الدكتور « كارل بيترز » Carl Peters فى نوفمبر ١٨٨٤م .

★أعلنت إيطاليا فى الخامس عشر من نوفمبر ١٨٨٩ حمايتها على الساحل الشرقى من الحدود الشمالية لـ(قسمايو) حتى نهاية (سلطنة أوبيا) .

ـ أما بريطانيا فقد شمل نفوذها زنجبار وكينيا وأوغندا والساحل الصومالى ، ويكفى أن نقول : إن منطقة شرق إفريقيا التى تضم تنزانيا وأوغندا وكينيا بالإضافة إلى رواندا وبوروندى كان يطلق عليها جميعا اسم (شرق إفريقيا البريطانية) .

★ كان للعرب وجود سبق هؤلاء جميعاً أشار إليه أحد الرحالة اليونانيين فى كتابه : « الرحلة الدائرية Periplus » الذى صدر فى القرن الأول الميلادى[1] .

وقد أشاد بالوجود العربى فى الساحل الشرقى لإفريقيا ، كما أشاد بكثرة السفن العربية فى المحيط الهندى ، وبقدرة العرب على العيش مع الأفارقة دون حساسية ؛ حيث وجدهم يتزاوجون مع الأفارقة ويعرفون لغاتهم ويتاجرون معهم ولا يجد الخلاف سبيلا بينهم وبين أهل الساحل[2] .

ولعلنا نرى « صراع اللغات » ـ الذى يطلقه علماء اللغة على ما يحدث بين لغتين فرضت الحروب والاستعمار وجودهما معا ـ قد أدى إلى دخول بعض المفردات فى السواحيلية من كل من : البرتغالية والإنجليزية والألمانية والإيطالية بالإضافة إلى الفارسية والهندية « لا تتعدى نسبتها ـ فى هذه اللغات مجتمعة ـ ٦٪ من مفردات اللغة السواحيلية »[3] .

فى حين نرى حوارا ـ بدلا من ذلك الصراع ـ قد تم بين اللغة العربية واللغة السواحيلية . كان نتيجته هذا الكم الهائل من المفردات العربية التى بين دفتى المعجم السواحيلى ، « والتى تصل إلى ٢٢,٠٩ ٪ »[4] .

ولم يكن هذا الأثر للغة العربية ـ الذى يعادل أضعاف الأثر الذى تركته اللغات الأجنبية الأخرى ـ إلا وليد هذا الاتصال السلمى الهادىء للعرب بإخوانهم الأفارقة على الساحل الشرقى للقارة .

فنرى الألفاظ العربية تسرى فى المجالات المختلفة التالية :

١ ـ مجال شئون المنزل والحياة العائلية :

الأماكن مثل : سقف sakafu [*]

غرفة (ghorofa)

الأشخاص مثل : عم (ami)

بنت (benti)

صديق (sadiki)

الأدوات مثل : صحن (sahani)

٢ ـ الحياة الاجتماعية :

أدب (adabu)

أهل (ahali)

هدية (zawadi)

بركة (baraka)

---

(١) سبنسر ترمنجهام الإسلام فى شرق إفريقيا ، ترجمة عاطف النواوى ص ١٨ .

(٢) د. رأفت غنيمى الشيخ : إفريقيا فى التاريخ المعاصر ص ٢٩٩ .

(٣) ، (٤) د/ سيد حامد حريز : المؤثرات العربية فى الثقافة السواحيلية .

(*) مع التطور التاريخى للفظ أصبحت تطلق على « الدور العلوى » .

٣ ـ مجال الإدارة :

الوالى (liwali)

قوانين (sherea)

أمة (taifa (umma

سياسة (siasa)

٤ ـ المجال التجارى :

بيع (bei)

فائدة (faida)

خسارة (hasara)

رهن (rehani)

رخيص (rahisi)

غال (ghali)

٥ ـ الأعداد :

ستة (sita)

سبعة (saba)

تسعة (tisa)

بالإضافـــة إلى العقـــود ابتـــداء من

عشرين (ishrini)

حتى مائة (mia)

٦ ـ مجال الدين :

وهو المجال الذى استأثر بالنصيب الأوفر ؛ فيضم مجموعة من المفردات التى تتناول كل شئون الدين مثل :

الزكاة (zaka)

التوبة (toba)

الرحمة (rehema)

الفجر (al fajir)

الصبح (ausubuhi)

الظهر (adhuhuri)

ولعل هذه الوفرة فى المفردات العربية بين مفردات اللغة السواحيلية تعتبر منطقية إذا علمنا أن اللغة العربية ارتبطت بالسواحيلية منذ نشأتها الأولى ـ التى تشير بعض الوثائق إلى أن احتمال ظهورها يرجع للقرن الثالث عشر(٥) .

نشأة اللغة السواحيلية :

هناك عدة آراء حول نشأة اللغة السواحيلية أهمها :

(أ) أنها مزيج من لغـــات عدة من أصل بانتوى(*)، تطورت فأصبحت اللغة المشتركة التى تيسر الاتصالات والمعاملات التجارية بين الأفارقة وبعضهم البعض . وبينهم وبين العرب .

(ب) نشأت اللغة السواحيلية نتيجة لاختلاط وتفاعل اللغة العربية بإحدى لغات (البانتو)(٦) .

(جـ) نشأت نتيجة لاختلاط وتفاعل اللغة العربية بعدة لهجات من لغة البانتو(٧) .

(د) استعمل العرب ـ الذين هاجروا من الجنوب والخليج العربى إلى شرق إفريقيا ـ لغة السكان المحليين وغزوها بكلمات وعبارات عربية ، ونتج عن ذلك اللغة السواحيلية(٨) .

5. A.H. Prins : The Swahili Speaking Peoples of Zinzibar and the East African Coast, P. 25.

(*) نسبة إلى قبائل البانتو .. ولغتهم تمثل أصل للغات الأفريقية .

(٦) د/ سيد حامد حريز : المؤثرات العربية فى الثقافة السواحيلية ص٨٦ .

(٧) ، (٨) المرجع السابق : ص٨٧ .

هذه الآراء تلتقى جميعها وتجمع على أن تطور اللغة السواحيلية كان مواكبا ومتزامنا مع اتصال العرب بأهل الساحل الشرق لإفريقيا .

وأيا كانت النظريـــات حول نشأة اللغـــة السواحيلية فإن الرأى الصائب أنها (بانتوية) الأصل .

والدارس للغة السواحيلية يمكنه أن يلاحظ مدى حفاظها على السمات البانتوية ، فعلى الرغم من الكم الهائل من المفردات العربية ، إلا أنها طوعتِ كل تلك المفردات وفقاً لقواعد وأصول النحو البانتوى حتى تتناسق وتتناسب مع اللسان السواحيلى .

أثر العربية على النظام الصوتى :

لم يقتصر أثر العربية على المفردات المقترضة فقط ، بل تعداه إلى النظام الصوتى ؛ فعـرفت السواحيلية عدداً من الصوامت غير الموجودة فى اللغة البانتوية الأم مثل : الثاء والـذال والضاد والظاء والغين .

وإن كانت هذه الأصوات فى طريقهـــــا للانقراض بعد توقف استخدام الحروف العربية ، واستبدال الحروف اللاتينية بها . وذلك إثر حملة محاربة الأثر العربى والإسلامى فى شرق إفريقيا . وبخاصة من قبل المنصِّرين « فعلى سبيل المثال : نجد أن المنصِّر (يوليوس ريشتر (Julius Richter) يخاطب مؤتمر المستعمرات الألمانية المنعقد عام ١٩٠٥ ، فيذكر المؤتمرين بأن الإسلام ينتشر حيثما انتشرت اللغات المرتبطة به ، ويدعو إلى الحد من انتشار هذه اللغات بتحريم استعمال اللغة السواحيلية فى دواوين الحكومة . وفى عام ١٩٠٧ أى بعد مضى عامين من هذه الدعوة ، نجد أن الإدارة الألمانية فى شرق إفريقيا تجعل استعمال الكتابة العربيـة فى الدوائـر الرسميـة والوثائـق الحكومية أمراً يحرمه القانون »[٩] .

وقد أوضح إحصاء أجراه مستر ولسن ونشرته جريدة « الفلق » الصادرة فى زنجبار فى عدد ٣ من رجب ١٣٥٨ هـ الموافـــق ١٩ من أغسطس ١٩٣٩ م أن :

- خمسة وخمسين شخصا من بين كل مائة فى جزيرة زنجبار يكتبون بالحروف العربية :
- وشخصا واحداً يكتب بالحروف اللاتينية .
- وسبعة أشخاص يكتبون بكل من الحروف العربية واللاتينية .
- وسبعة وثلاثين شخصا أمياً[١٠] .

ولعل نظرة إلى هذه الإحصائية ، وإلى ما آل إليه الوضع فى أيامنا هذه ، تحثنا على بذل الجهود لاستنقـاذ البقيـة الباقيـة من الأثـر العـربى فى السواحيلية ، وبخاصة أن جهود المنصرين تتجه الآن إلى التربص بالمفردات العربية فى تلك اللغة وهم بصدد إسقاط كل الأصول العربية بحجة الوصول إلى لغة سواحيلية بانتوية خالصة .

---

(٩) د/ سيد حامد حريز : المرجع السابق ص ٩٥ .
نقلا عن :
Temu, OP. Cot.

(١٠) المرجع السابق ص ٩٧ .
C.W. Temu, "Swhaili vocabulary expansion : A preliminary observa- ton" Kiswahili Vol. 42 March 1972, P.9.

جليلة رضا والعـــودة إلى المحـــارة

بقلم الشاعر محمد عبدالوهاب

حفل الأدب العربى فى العصر الجاهلى ، وصدر الإسلام ، وكذلك فى العصر الأموى ، والعباسى والمملوكى والعثمانى ، بنخبة ممتازة من الشاعرات المجيدات ؛ إلا أن العصر الحديث أنجب عدداً من الشاعرات ، يفوق عدد مثلهن فى العصور السابقة جمعاء ، ومنهن رائدات يتميزن بالإبداع والتفوق ، بعد ما شهده الأدب العربى من تطور وارتقاء ، بفضل انتشار التعليم ، ونهضة الفنون والآداب بصفة عامة .. وفى طليعتهن ، الشاعرات : جليلة رضا وفدوى طوقان ، ونازك الملائكة ، وغيرهن من الشاعرات النوابغ ، ومن ثم نحاول فى مقال اليوم أن نبرز عطاء واحدة منهن تقلدت وسام الشعر بدرجة الاستحقاق الأولى .. وفى الحقيقة ، فجليلة رضا فى ديوانها : (العودة إلى المحارة) تقدمت الكثير من الشعراء ، حسا وشعورا ، وصقلا وتعبيرا .

وصاحبة (العودة إلى المحارة) قد سبق لها إصدار عدة دواوين أخرى منها :

اللحن الباكى و (اللحن الثائر) و (الأجنحة البيضاء) هذا بخلاف ما نشرته فى مجال الدراسات الأدبية فى مجلات : الأزهر والجديد وغيرهما ، وكذلك كتابها : (وقفة مع الشعر والشعراء) الذى صدر فى جزأين منذ سنوات ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وكذلك قصتها الطويلة (شجرة الجميز) طبعة المجلس الأعلى للثقافة وغيرها .

وقد كُلِّل نتاج شاعرتنا الكبيرة الأدبى بكتابات متعددة عنه ، بأقلام الأساتذة مصطفى عبداللطيف السحرتى وأحمد مصطفى حافظ وكال النجمى والدكتور عبدالمنعم خفاجى والدكتور محمد رجب البيومى ، وغيرهم ، واعدت عنها رسالة ماجستير للباحث أحمد محمد أمين الصوّاف .

وإذا أردنا تحديد نوعية نتاجها الشعرى سنجده أقرب إلى الرومانسية ، التى تشيع فيها العاطفة الجياشة ، وندلل على ذلك باختيار نموذج يؤيد ما ذهبنا إليه ، ففى قولها فى (نجوى الوطن) ، بعد العدوان الثلاثى على مصر فى سنة ١٩٥٦ م . تقول :

وطنى غفرتُ لك التغلغل فى دمى ... والنار ـ نار هواك ـ بى لم ترحمِ
وعفوت عمّا قد بعثت من الأسى ... فى مهجتى ، يوم اعتداء المجرمِ
قد كان إحساسا نديًّا ناعماً ... ونشيد أطفال ، ودرس معلمِ
حتّى إذا شاهدت محنتك التى ... عانيتها ، بعزيمة لم تهزمِ
أجّتْ ـ ويا للهول ـ نارُك فى دمى ... وكأنها حممٌ بجوف جهنمِ

كما أن محنتها بابنها الوحيد الذى ذُهِلَ فى مرحلة الطفولة ، وظل تحت العلاج بشتى المستشفيات النفسية ، إلى أن لقى حتفه أثناء سيره مع شقيقته بالطريق العام ، وهو فى سن الثلاثين تقريباً .. قد ترك ذلك أثره البعيد والعميق فى شخصية شاعرتنا ، حتى قالت تناجيه :

بُنىَّ جعلتنى أهوَى بقائى ... فعشتُ لغصنك الغضِّ الغرير
وجرَّعنى الزمانُ كئوسَ هَمٍّ ... وضنَّ علىَّ بالعيشِ القرير
ولكنى سقيتك ماء قلبى ... وجُدْتُ عليك بالحبِّ الوفير
وكان الشوكُ فى الدنيا نصيبى ... وكان لك الزهور مع العبير
أخاف على خطاك حصاة أرض ... وقد أعلو الهضاب مع الصخور
وما للموج يلطمنى ، فأرضَى ... وأخشى فيك لمساتِ الحرير
وأجزع إذ أراك مرضتَ يوماً ... فيحوينى ظلامٌ من قبور

وتصور الفجيعة فى قصيدة أخرى ، فيما يأتى به وحيدها من حركات غريبة ، بقولها :

ولدى الوحيد عَلاَمَ تضحك فى الفراش وتبتسِمْ؟
ولمن تشير ؟ وما أمامك ها هنا غير الظلَمْ
نَمْ هادئا .. أقْلَقْتَنِى .. متحّركا .. دَعْنِى أنَمْ
عذَّبتَ أُمَّكَ يا فتى .. عذبتنى .. حتى العدَمْ

ورغم ذلك ، نراها تفيءُ إلى حظيرة الإيمان والصبر على قضاء الله ـ تعالى ـ فتقول فى قصيدة أخرى :

وعرفـتُ الديـنَ فى دربـى أساسـاً للبقـاء
غيـر أن البعـض ظنُّـوه عـزاءَ البسـطاء
كيـف نحيـا دون إيمـان بمن أحيـا الوجـود
وكذا الإيمـان تسـليمٌ بأحكـام القضـاء

وتبلغ الذروة فى اختلاجه إيمانية أخرى ، تقول فيها :

أجـل هو الله ، أهـواه وأهـواه ... أنّـى أسـير ، فإنَّ القـلبَ مأواهُ
عانقـتُ فيـه رغابـا جـاوزت أمـلى ... لا المجـدُ يبلغهـا قـدْرًا ولا الجـاهُ
هيهـات للقلـب أن يخشـاك بارئـهُ ... وأن يئـنَّ وأن يفضـى بشـكـواهُ
من أيـن ينفـذ سـهـم فى جوانحـه ... وهـو الملـىء بنـور الله مـولاهُ
الشـمس تسـطع فى جنبيـه ضاحكـةً ... والعطـر يقطـر مسـكا من زوايـاهُ
اليـوم يا قلـب لا أنـوار ترهبنـى ... ولا ريـاحٌ ولا بحـرٌ وأمـواهُ
إنى على شـاطىء الإيمـان آمنـة ... معى المنـجّى ، معى الحامى ، معى الله

وتقول شاعرتنا الكبيرة من فيض حبها لرسول الله ﷺ ، فى ميلاده الشريف :

إنى اتخـذتُك واحـةً فى ظِلّهـا ... أستـافُ عِطـرَ الديـنِ مِنْ مَغْنَاكَا
وبرغـم ما أصـبو إليـه من التقـى ... أنا لسـتُ يا خيـرَ الأنـامِ (ملاكا)[1]
يا موئـل المهمـوم يـومَ بلائـهِ ... كُنْ لى شفيعا ، فى رحابِ سَمَاكَا

* * * *

ونرى الشاعرة فى ديوانها الأخير ، (العودة إلى المحارة) ، الذى نالت به جائزة الدولة للشعر عام ١٩٨٢ م . تبلغ قمة الإبداع ، بعد الدُّرْبة على نظم الشعر والاستجابة لهواتفه ودواعيه لمدة تناهز نصف قرن من الزمان ، تَوَّجتْها بعضويتها لاتحاد الكتاب ولجنة الشعر بكل من المجلس الأعلى للثقافة ، والمجالس القومية المتخصصة ، ونعطى مثالًا لما نذهب إليه ، بقصيدتها الرمزية ، ذات النزعة الإنسانية : (مأساة عصفورة) التى تقول فيها على لسان العصفورة بعد أن حطّم الحطّاب عشّها :

مسـاء الخيـر يا أختـى ، مسـاء الخيـر يا جـاره
وقفـتُ هنـا على الشبّاك أستجديك منهـاره

(١) لم ترد كلمة (ملاك) فى العربية بمعنى (ملك)

فهل ترضين أن تصغى بلا ضيق .. إلى ألمى
وترتاحين آونة من الأوراق والقلم
وتستمعين فى عطف إلى شكواى يا جاره

ثم تصف لنا تفاصيل هذه المأساة ، بقولها :

لقد غادرتُ أبنائى لأغْلُو الأفْق مسروره
فرغم أمومتى إنى - كما تدرين - عصفوره
أجل حلّقتُ فى الآفاق صاعدةً ومنحدره
وحين رجعتُ بعد العصر لم أُعثُرْ على الشجرة
فأين أُريحُ أجنحتى ؟ وأين أنام يا جاره ؟

وتشرح حقيقة ما حدث ، فتقول :

وحين رجعت يا ويحى ولم أعثر على بيتى
رأيت على الثرى شبحاً تمدّد فى دجى الصمت
فكيف وكيف يا أختى - وأنت أمامها دهرا -
سمحت لساعد الحطاب أن يغتالها قهرا
ويذبح كائنا حيّا أوى الأحياءَ يا جاره

وتجترّ العصفورة المسكينة ذكرياتها الماضية مع أفراخها فى دفء العش ، تماماً كما كانت الشاعرة مع وحيدها قبل موته الفجائى فتقول :

لقد كانت لأبنائى مع الأحلام أرجوحه
وكل وعودها كانت لهم بالأمس ممنوحة
وكانت بالثياب الخضر تحميهم من العين
وتعقد ندوة بالليل بين الغصن والغصن
فيستمعون للأسرار (منسجمين) .. يا جاره

وتختم العصفورة شكواها ، أو نجواها الآسية ، بقولها بلسان الشاعرة :

أجيبى .. هل أُعيد اليوم إشعال الهوى الخابى
وأرفع رأسى المنكوس فوق رفات أحبابى
وأنسى قسوة الماضى وأصنع لى «غدا» مزهر
وأبنى هاهنا عشّا على شباكك الأخضر
أجيبى إننى حَيْرى أريد الحل .. يا جاره

وهكذا ، بمفردات لغوية بسيطة - وإن كانت عميقة المغزى - استطاعت جليلة رضا أن تقدم لنا أحاسيسها ومشاعرها فى هذه اللوحة الفنية الحية ، التى تموج بالحيوية والروعة .

* * *

وللحق ، فقد شعرت وأنا أتصفح ديوان (العودة إلى المحارة) أننى أمام شاعرة كبيرة حقا ، استكملت أدواتها التعبيرية ، فحملتنى معها فى رحلة جميلة مع المشاعر الدفاقة ، والمعانى الآسرة ، والكلمات المُنتقاة بعناية فائقة ، مما جعلنى أعترف بأنها شاعرة تقدمت الكثير من الشاعرات والشعراء : حسًا وشعورا ، وصقلا وتعبيرا .

ومع ذلك أرى من حق شاعرتنا الكبيرة أن أعطى النقد حقه ، وأن أُبيِّن بعض الهنات البسيطة من حيث إن الكمال المطلق لله ــ جلّ وعلا ــ وإن كان ذلك لا يقلل مطلقاً من قَدْرِ الشاعرة جليلة رضا .

تقول شاعرتنا فى قصيدة (جاء الخريف) :

كأنك لم تعـد تشـكو على الدنيـا من النـاس

ونرى أن الشكوى لا تكون (على) فهى (من) أو (إلى) ، أما القصيدة ذاتها فهى مليئة بالصور الحية النابضة ، وتصور مرحلة هامة من مراحل العمر ، ألا وهى مرحلة الكهولة ، فتُظهر لنا الشاعرة مدى جزعها وحزنها لدخولها تلك المرحلة ، أو لدخول تلك المرحلة إليها ، فهى لا ترحب بها مطلقاً ، وإنما ترفضها من داخلها .

وفى قصيدة (عيد الربيع) تصف لنا الشاعرة الربيع الذى يطالعنا فى مصر دائماً برياح الخماسين وما يصاحبها من تقلُّب للجو ومن غبار ورياح هوج .

ونصل إلى قصيدة (الزيارة الرهيبة) التى تبدو وكأنها سرد لكابوس حقيقى عرض لها فتناولته الشاعرة تناولًا فنياً ، أما قصيدتى : (عصفورة وعملاق) و(الروابى الحالمة) فهما من تداعيات الخاطر ونرى أنهما تفتقران إلى الجوهر المتألق لمكنون الشعر .

وفى قصيدة (الضيف الدائم) نرى الشاعرة وقد تلاعبت بأعصابنا أمام لغز ضيفها الدائم ، ولم تكشف لنا عن هويته إلّا فى آخر كلمات القصيدة ، اذا اتضح لنا أنها تعنى : (القلق) .

وفى قصيدة (إغضاء) تحادثُ الشاعرة ذاتها ــ التى تعتز بها أيما اعتزاز ــ وتطلب منها أن تتسامح وأن تلين مع من تحب ، وهم : الأبناء .

وفى قصيدة (الشاعرة) تؤكد لنا الشاعرة بأن المرأة دائماً هى المرأة ، والمرأة الشاعرة هى أقدر من غيرها من النساء على التعبير عن مكنون فؤادها ، فهى تبدأ القصيدة بقولها : (انتهينا).. وعظمة كلمة (انتهينا) انها أتت فى البداية ، فكيف نبدأ بالنهاية ؟! والكلمة تعبير رائع عن الحسرة والألم ، وتقول الشاعرة ــ إثر هذه الكلمة : صدئت كل حليٍّ فى الصوان .

إذ أنها أهملت حُلِيّها بعد من كانت ترتديها لأجله ، ألا وهو زوجها ــ وتحتفظ إلى جانب ذلك ببعض بقايا ذلك الحبيب الغائب ، مثل الخطابات والصورة والروب الأزرق الممزّق ثم المنديل ،

وتصور الشاعرة تلك الأشياء البالية بأنها : (أشلاء عمرها) بعد أن تحوّلت إلى ضحايا ، وقد كانت كائنات حيّة فى تصوّرها المبدع ..

ونصل إلى قصيدة (الحلم المنتصر) فنجدها قصيدة ذات جرس عال ، مثل الكثير من القصائد الوطنية الحماسية التى توصف بأنها تقريرية ومباشرة .

وفى قصيدة (الأصل والصورة) ، تصور لنا شاعرتنا الكبيرة أنها بينما تصاحبها الأحزان والدموع طوال اليوم إلا أنها فى الليل ، وحينما تشرع فى النوم تتذكّر حبيبها - (زوجها الغائب) -

وفى قصيدة (مأساة عصفورة) لاحظنا فيها خطأ لغويا فى قول الشاعرة :

لقد غادرت أبنائى لأعلو الأفق مسرورة

نرى أنه يتعين نصب كلمة (لأعلوَ) المسبوقة بلام التعليل، ولم تنصبها الشاعرة حتى لا تخلّ بالوزن ، وهذا خطأ ، لا تقبله الضرورات الشعرية ، ولا تُجيزه ، أما فى قصيدة (العابر والحمار) فتقول شاعرتنا الكبيرة عن الحمار :

حين ولّى الصبر عنه وانقضى ... ورأى دنياه سبّا وملامه
حين لم يقدر على آلامه ... واستقرّت فوق عينيه غمامه
نام فوق الأرض يغفى مأمنا ... حاضنا فى الموت أضواء السلامة
حطّم القيد الذى كم غلّه ... وغدا حرّا طليقاً كالحمامه

لقد قدمت لنا الشاعرة من خلال أبيات هذه القصيدة صورة وجدانية مؤثرة للحمار الذى أنقذته يد الموت من العذاب الذى كان يلقاه من سائقه ، ثم نرى روح الإيمان الكامنة فى وجدان الشاعرة ، وهى تشرق فى قولها :

أيها القاتل - هذا المفتدَى - ... لك ربّ سوف يصليك انتقامه

أما فى قصيدة (إلى ولدى) فإننا نرى لوعة الأم التى مُنِيَتْ بفقد ولدها ، تتجلّى فى قول الشاعرة:

ما أقسى أن يصمت قلبى ... ويضنّ عليك بأنغامه
لا بُخلًا .. لكن يا ولدى ... خوفا من لوعة آلامه
هل أنظم شعرا فى حبّك ... وهواك النبع لأشعارى
لا أقوى .. سأظل أؤجّل ... حتّى تتراخى أوتارى

وفى ختام هذا المقال ، يطيب لى أن أحيى الشاعرة الكبيرة جليلة رضا على ما قدمته لنا من زاد شعرى وفكرى متميز يشكل لبنة طيّبة فى صرح الحب والخير والجمال ، فى عالم متطاحن طغت عليه الماديات .

والله ولى التوفيق

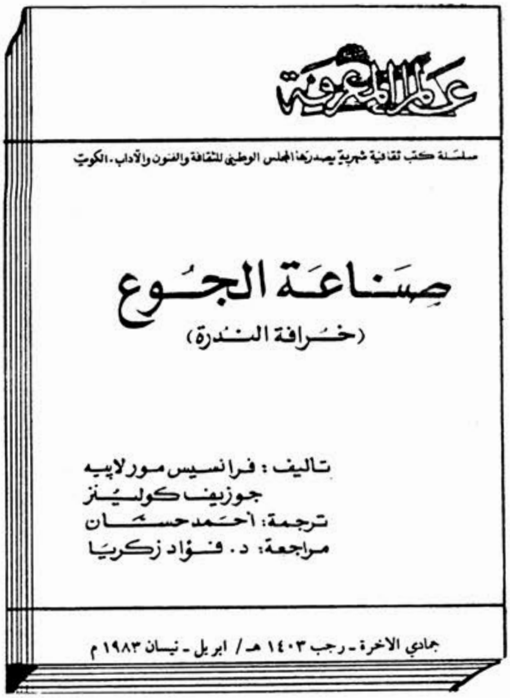

عرض وتحليل الأستاذ *
مصطفى دسوقى كسبة

الكتاب الذى بين أيدينا يتناول بالبحث والدراسة مشكلة تؤرق كل إنسان يعيش فى المعمورة سواء من حيث كمية مايقدم له من طعام أم نوعيته .

وبالرغم من أن هذا الكتاب ألف وترجم إلى العربية فى بداية العقد الثامن من القرن العشرين إلا أن السياسات والأساليب التى تعرض لها الكتاب بالتحليل والنقد منذ بداية العهد الاستعمارى لدول العالم الثالث ـ ومنها بلدان العالم الإسلامى ـ مازالت سارية حتى الآن سواء فى مجال إنتاج الطعام أم توزيعه .

ومن ثم كانت أهمية دراسة وتحليل هذا الكتاب لما يمثله من قيمة علمية تثرى فكر أبناء العالم الثالث بصفة عامة ، وأبناء العالم الاسلامى بصفة خاصة فى مجال عمارة الأرض ، فضلا عن الاستفادة من خبرات وتجارب الأمم الأخرى فى إيجاد الحلول لمشكلة الطعام .

يقع الكتاب فى (٤٧٧) صفحة من الحجم المتوسط ، وقسمه المؤلفان إلى تسعة أبواب : شملت تسعة وعشرين فصلا .

* رئيس قسم الاستشارات بمركز الاقتصاد الإسلامى ـ جامعة الأزهر

يستهل المؤلفان الكتاب بمقولتين .

المقولة الأولى :

« يقال لنا : إننا فى سباق حياة أو موت ، بين الأعداد المتزايدة من البشر ، وكميات الطعام المحدودة ، إننا فى سباق ولا بد أن يخسر البعض . والرسالة الضمنية هى : لن يكون كل فرد قادراً على الحصول على ما يكفيه من طعام ، ... ونظراً لأن هناك بالفعل الكثير من الجوعى فى العالم ، قد يعتقد الكثير أن من البديهى ألا يكون لدينا الآن غذاء يكفى الجميع .. وأنه لا طريق للإفلات من الندرة إلا بأن نجعل أطفالنا يدفعون الثمن ، ويقال لنا : إننا يجب أن نتعلم أخلاقاً جديدة هى أخلاق العقل المجرد لابد أن نتعلم كيف ندع الناس يموتون من أجل البقاء النهائى للجنس البشرى »[1]

المقولة الثانية :

« الغذاء أولًا يبدو لنا أنه الاختبار الأوّلى لنظام اقتصادى واجتماعى عادل وفعال . فقد استند أمن أى شعب من الشعوب — تاريخيا — على تلبية احتياجاته الأساسية من الغذاء ، فلا بد لكل بلد أن يعبىء موارده الغذائية ليسد حاجاته أوّلا ، عندها فقط يمكن للتبادل التجارى أن يفيد فى زيادة الاختيارات بدلا من أن يحرم الناس مكاسب الموارد التى تخصهم عن حق »[2]

ويخلص المؤلفان من دراستهما وقراءتهما ورحلاتهما إلى أنهما وجدا أن : « مفاهيم الندرة ، والذنب ، والخوف تقوم على أساس الخرافات »[3] .

ويطالبان بكشف حقيقة ما يهدد الأمن الغذائى فى كل من بلدان العالم المتقدم ، وبلدان العالم الثالث ، ومن وجهة نظرهما أن القوى التى تخرج الناس من عملية الإنتاج فى أفريقيا ، وآسيا ، وأمريكا اللاتينية ، وفى نفس الوقت تخرجهم من عملية الاستهلاك هى نفس القوى التى حولت النظام الغذائى إلى واحد من أكثر القطاعات الغذائية خضوعا للسيطرة المحكمة وأن حفنة متناقصة من مستثمرى الأرض والشركات الغذائية تسيطر على جزء يتزايد أكثر فأكثر من غذائنا .

ويؤكد المؤلفات على أننا نتعرض لتصنيع متزايد وغير ضرورى ونتعرض لمواد كيماوية خطرة ولتغذية أقل ولأسعار مرتفعة باستمرار ينتج عنها جوع البعض وسوء تغذية الكثير .

وبمحاربة القوى التى تحكم قبضتها على اقتصاديتنا الغذائية ، فإننا نحارب بذلك بعض القوى التى تصنع الجوع .

وفى محاولتنا لدراسة موضوعية لهذا الكتاب ينبغى أن نستخلص نتائج بحتة أولًا بأول ففى :

الفصل الأول :

والمعنون بشرٌ أكثر مما يجب ، وأرض أقل مما يجب !!

يرفض المؤلفان أن يكون تشخيص الجوع نتيجة لندرة الغذاء ويريان ذلك لوما للطبيعة على مشكلات من صنع البشر ذلك أن هذا الجوع يوجد فى مواجهة الوفرة وهنا تكمن الإهانة ويقدم المؤلفان طريقتين يمكن بهما إثبات أن ندرة الأرض

(١) انظر الكتاب : ص ١٠ — ١٢ بتصرف
(٢) انظر الكتاب : ص ١٤
(٣) انظر الكتاب : ص ١٤

والغذاء ليست هى السبب الحقيقى للجوع .

الأولى : توضيح أنه لا توجد ندرة فى الأرض ولا فى الغذاء .

والثانية : هى شرح ما يسبب الجوع فعلا .

ويثبتان أن الموارد موجودة لكنها تعانى دائما من قلة الاستخدام أو من سوء الاستخدام مما يخلق الجوع للكثير والتخمة للقلة .

ولقياس الإمكانية التى لم تستغل يبين المؤلفان أنه لا يزرع الآن ــ أى وقت تأليف الكتاب ــ سوى ٤٤ ٪ من الأراضى الصالحة للزراعة فى العالم ، وفى كل من أفريقيا وأمريكا اللاتينية لا يزرع سوى أقل من ٢٠ ٪ من الأراضى التى يمكن زراعتها .

بالإضافة إلى أنه لا يوجد سبب فيزيائى يحول دون أن يفوق إنتاج الفدان فى معظم البلدان النامية الإنتاج فى الدول الصناعية وفى العديد من البلدان النامية يمكن للأرض التى تقدم الآن محصولا واحداً فى السنة أن تقدم محصولين أو أكثر .

والعقبات أمام تحرير هذه الطاقة الإنتاجية ليست فى معظم الحالات فيزيائية بل اجتماعية فحيثما كان هناك سيطرة غير عادلة وغير ديمقراطية على الموارد الانتاجية فإن تطورها يعاق .

هذا عن قلة الاستخدام .

وماذا عن سوء الاستخدام ؟

يرى المؤلفان أن الموارد الزراعية تتجه إلى خدمة أولئك الذين يمكنهم أن يدفعوا ــ أى الطبقات العليا المحلية والأسواق الخارجية ــ ثمنا مرتفعا ومن ثم تتسع المحاصيل الترفيهية بينما يجرى إهمال المحاصيل الغذائية ، وهكذا حين تخضع طاقة الأرض الإنتاجية لقلة الاستخدام وحين يستنزف إنتاجها بصورة متزايدة بما لا يخدم المحاصيل الغذائية فإنه لا يمكن اعتبار الندرة سببا للجوع ويعنى ذلك كله أن الندرة وهم .

كذلك يتساءل المؤلفان : هل صحيح أن أكثر البلدان كثافة سكانية هى أكثر البلدان جوعا ؟

أوضح المؤلفان فى ردهما على هذا السؤال أن الدراسات فى كل أنحاء العالم لا تبين مثل هذا النسق فبعض الدول شديدة الكثافة السكانية ينال سكانها تغذية مناسبة ، ومن ناحية أخرى بعض الدول التى بها عدد قليل نسبيا من السكان يصاب معظم الناس بسوء التغذية ، أى لا توجد علاقة ظاهرية بين كمية الأرض المتاحة لكل فرد وبين مدى انتشار الجوع .

هذا وقد أفرد المؤلفان دراسة مفصلة « لبنجلاديش » باعتبارها النموذج النمطى لبلد طغى تعداده السكانى ببساطة على موارده لإنتاج الغذاء ، خلصا فيها إلى أن « بنجلاديش » غنية بما يكفى من الأراضى الخصبة والماء والقوة العاملة والغاز الطبيعى للأسمدة لا لتصبح مكتفية بذاتها غذائيا فقط بل لتصبح كذلك مصدرا لتصدير الغذاء ، حتى مع حجم سكانها السريع التزايد . إذن ما المشكلة ؟

كانت إجابتهما : أن التفاوت فى السيطرة على موارد البلاد الإنتاجية يعوق إمكانياتها الغذائية .

وفى الفصل الثانى : هل البشر عقبة أم مورد ؟

بعكس هذا السؤال معتقدات شائعة عديدة

وجد المؤلفان أنها خرافات :

الخرافة الأولى : الزراعة فى البلدان المتخلفة متأخرة لأن فى الريف بشراً أكثر مما يلزم للعمل بصورة منتجة .

الخرافة الثانية : لما كانت الزراعة لا تستطيع استيعاب أى بشر أكثر ، فإن الفائض من المناطق الريفية لابد أن يذهب إلى المدن حيث لابد من خلق وظائف جديدة لهم فى الصناعة .

الخرافة الثالثة : النمو السكانى عبء هائل على اقتصاديات العالم الثالث حيث إنه يعنى ضرورة خلق وظائف جديدة بينما مايتراوح بين ١٥ ٪ ـــ ٣٠ ٪ من السكان هم بلا عمل فعلا وكثير ممن يسمون عاملين يعانون فى الحقيقة من البطالة المقنعة .. والنتيجة هى أعداد متزايدة من الهامشيين شبه الجائعين يعيشون خارج الاقتصاد .

ورداً على الخرافة الأولى ، أورد المؤلفان أدلة لدحض هذه الخرافة تمثلت فى (اليابان وتايوان) كلاهما ناجح زراعيا وبكل منهما من العمال الزارعيين لكل فدان أكثر من ضعف ما فى الفلبين والهند ، وقيمة إنتاج الفدان فى اليابان سبعة أمثال قيمته فى الفلبين وعشرة أمثال قيمته فى الهند ، كما أن الصين استطاعت زيادة الإنتاج بصورة مربحة بعد أن ضاعفت كمية العمل المبذول فى الفدان ثلاث أو أربع مرات ، فمن الواضح أن التعداد الكبير للسكان الريفيين بعيد تماما عن كونه العائق الذى يعتقد دائما أنهم يمثلونه .

وبشأن الخرافة الثانية تلك التى كانت عاملا فى إهمال الزراعة وتنشيط الصناعة من جانب مخططى التنمية فى الخمسينات والستينات حيث ساهمت الشركات الأجنبية فى مضاعفة أزمة الوظائف المزمنة باستخدامها (تقنيات) توفير العمل المأخوذ من بلدان تكاليف العمل فيها عالية ويرى المؤلفان : أن حل مشكلة البطالة بخلق الوظائف فى مناطق مدنية مركزية هى جهود فى غير موضعها ، ولقد نجحت الصين فى تقليل نسبة قوتها العاملة المتفرغة لوظائف زراعية وتحقق ذلك بتطوير المصانع والورش الصغيرة فى أرجاء الريف لصناعة الأدوات الزراعية والسلع الاستهلاكية الأساسية ، كذلك يمثل السكان الريفيون غير الزراعيين احتياطيا كبيرا من قوة العمل للزراعة متاحة لمواجهة اختناقات العمل فى الزراعة فى قمة الموسم وهى الحجة الشائعة فى عديد من البلدان للميكنة التى تبدد الموارد القليلة وتحرم الناس من وظائف لا يوجد غيرها .

وبشأن الخرافة الثالثة يستشهد المؤلفان بقولهما : إن القوى الاستعمارية اختزلت نظم الزراعة الشديدة التنوع إلى زراعة المحصول الواحد أو الاثنين ومن ثم تحددت فرص العمل بدورة محصول أو محصولى التصدير ، كما أن مايحدث اليوم فى معظم البلدان المتخلفة يجعل الناس يبدون هامشيين .

فالزراعة التى كانت مصدر حياة الملايين من الزراعيين الذين يطعمون أنفسهم ، أصبحت أساس ربح المقاولين التجاريين ذو النفوذ وهؤلاء المقاولون الزارعيون الجدد يستخدمون أرباحهم لزيادة ممتلكاتهم من الأراضى على حساب المزارع الصغيرة والمعدمين ، وكذلك لمكينة الإنتاج على حساب وظائف العمال .

ومع استمرار هذه العملية فالنتيجة هى المزيد من البطالة ، ومن ثم يأتى استنتاج أن هناك بشراً أكثر مما يجب .

وفى الفصل الثالث : حديث عن تحديد النسل وتحديد الثروة .

وهنا يقول المؤلفان : « إننا نقف بحزم ضد برامج « تنظيم الأسرة » التى تزعم تخفيف مشكلة الجوع لأنها تحمل رسالة أن الفقراء هم الملامون على جوعهم ، مخفية الجذور الاقتصادية والسياسية الحقيقية لمعاناتهم ... إلا أن الخطأ هو تحويل مشكلة السكان ــ وهى عرض ــ إلى سبب للجوع »(٤) .

وفى الفصل الرابع : ضغط السكان على البيئة .

يوضح المؤلفان فى هذا الفصل أن مشكلة تآكل التربة خطيرة فعلا لكن تآكل التربة يحدث غالبا بسبب احتكار قلة للأرض الخصبة مجبرين أغلبية الزراع على الإفراط فى استخدام تربة معرضة للخطر ، وأكثر من ذلك فإن افقار التربة ينتج ليس عن جهد لتلبية احتياجات الغذاء الأساسية لسكان يتزايدون بل ينتج بصورة متزايدة من ضغط الزراعة الدائمة لمحاصيل التصدير الترفيهية وغير الغذائية فوق مساحات ضخمة مع إغفال الأساليب التقليدية التى كانت تحفظ التربة من قبل .

وفى الفصل الخامس : رعب الأسعار :

فى هذا الفصل يدحض المؤلفان النظرية القائلة ب (أننا ندخل عصر الندرة المحتومة لأن أعدادنا قد تخطت حداً مفترضاً) هى نظرية لايمكن إثباتها .

ففى عالم تتعمد فيه قوى كبرى تبنى سياسات من شأنها التحكم فى الكمية المعروضة من المواد الغذائية عن طريق الاحتكار ، وتخفيض المساحة المزروعة من الأراضى وبالتالى إحداث فجوة بين الكمية المطلوبة والكمية المعروضة بما يؤدى إلى ارتفاع الأسعار ليس بسبب الندرة وإنما بسبب السياسات ذات الأهداف السياسية .

وفى الفصل السادس : الغذاء فى مقابل ترويج السموم .

فقد تبين من الدراسات أن الأغلبية الساحقة من أنواع الحشرات لا تحدث أبداً ضرراً كافيا يبرر تكلفة المعالجة بالمبيدات الحشرية ، وتظل أعداد الحشرات أدنى من مستويات الضرر الاقتصادى بفعل الطفيليات والحشرات آكلة الحشرات ، لكن حين يقتل مبيد حشرى بعض هذه الطفيليات والحشرات آكلة الحشرات ، فإن العديد من الحشرات العادية العديمة الأهمية يكون بإمكانها أن تتكاثر بطريقة أسرع ، فضلا عن أنه كلما زادت فعالية مبيد حشرى فى قتل الأفراد الحساسة زادت سرعة تطور الأفراد المقاومة .

وبدلًا من أن تعمل منظمة الأغذية والزراعة (فاو) على تطوير وتعميم البدائل المناسبة أو حتى المعلومات حول الاستخدام الملائم للمبيدات أخذت تصبح شريكا فى الترويج للشركات الكيمائية التى همها الأول والأخير تحقيق أكبر قدر من الربح .

يتبــع

(٤) انظر الكتاب : ص ٤٧

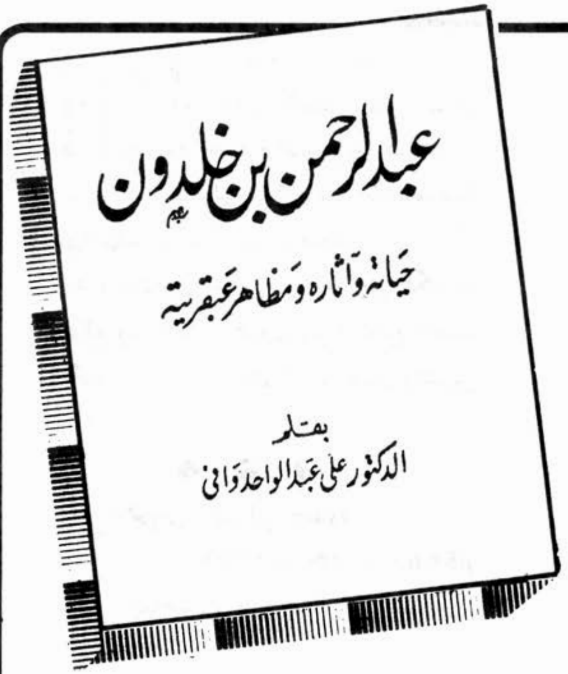

- ٢ -

عرض وتقديم

عبد السلام إبراهيم ناصف

الباب الثانى
آثار ابن خلدون ومظاهر عظمته

ينقسم الباب الثانى من كتاب « عبدالرحمن بن خلدون » لمؤلفه الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى – رحمهما الله – إلى تسعة فصول توضح عبقرية ابن خلدون ومظاهر عظمته وما خلفه من آثار فى الفكر الإنسانى على النحو التالى :

١ – أنه المنشىء الأول لعلم الاجتماع .

٢ – أنه أمام ومجدد فى علم التاريخ والأوتوبيوجرافيا وفى أسلوب الكتابة العربية .

٣ – أنه أمام ومجدد فى بحوث التربية والتعليم وعلم النفس التربوى والتعليمى .

٤ – أنه راسخ القدم فى علوم الحديث والفقه المالكى .

الفصل الأول

ابن خلدون هو المنشىء الأول لعلم الاجتماع .

فقد احتوت مقدمته – لكتابه الحجة « العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » – على ستة بحوث رئيسية تهتم بـ :

(ا) دراسة العمران البشرى وأثر البيئة الجغرافية فى ألوان البشر وأخلاقهم وطرق معيشتهم وفى الرؤيا وحقيقة النبوة والكهانة ويقع فى تسعين صفحة .

(ب) بحث فى العمران البدوى والأمم الوحشية والقبائل من حيث نشأتها وبعض شئونها الاجتماعية ونظم الحكم والسياسة بها فى نحو أربعين صفحة .

(جـ) بحث فى الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية ويعرض لنظم الحكم وشئون

السياسة بها ، ويقع فى نحو مائتى صفحة .

(د) بحث فى البلدان والامصار وسائر العمران ويعرض لنشأة المدن ومواطن التجمع وما تمتاز به من مختلف الوجوه العمرانية والاجتماعيـة والاقتصاديـة واللغوية ويقع فى نحو أربعين صفحة .

(هـ) بحث فى المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض لمختلف فروع العلوم والفنون والآداب ونظم التربية والتعليم فى نحو مائتين وعشرين صفحة .

● ● ●

الظواهر الاجتماعية عند ابن خلدون :

phono menes sociaux

تعتبر الظواهـر الاجتماعيـة محور مقدمـة ابـن خلدون ــ وقد أطلـق عليها (واقعـات العمـران البشرى) أو (أحوال المجتمع الإنسانى) وهى التى تعرف بأنها : القواعد والاتجاهات التى يتخذها أفراد مجتمع ما أساسا لتنظيم شئونهم وتنسيق العلاقات بينهم كالنظـم العائليـة والسياسيـة والاقتصاديـة والقضائيـة والخلقيـة والدينيـة واللغويـة والتربويـــة والجمالية ، ونظم البنية الاجتماعية .

وهى عبارة عن قواعد وقوالب للتفكير والعمل وهى إما استاتيكيـة (مستقـرة) أو ديناميكيـة (متغيرة) ولقد درسها ابن خلدون فى حالتى الاستقرار (الاستاتيكية) والتغير (الديناميكية) ومزج بينهما بهدف البحث عن القوانين التى تخضع لها فى نشأتها وتطورها أى التى تربط الأسبـاب بالمسببات والمقدمات بالنتائج ــ كما هو الحال فى العلوم الطبيعية والرياضية .

ومما هو جدير بالذكر أنه لم يفطن أحد قبل ابن خلـدون إلى ما يعـرف بجبريـة حدوث الظواهـر الاجتماعية وخضوعها لقوانين ثابتة مطردة ــ ولم يُعْنَ أحد قبله بالكشف عن هذه القوانين ، فكل من سبقوه كانوا لا يهتمون إلا بوصف الظواهر كما فعل (ابـن حزم) فى كتابـه (الملـل) أو الدعـوة و الترغيب فى تثبيت المبادىء والمثل والمعتقدات فى نفوس الناس كما جاء فى كتاب (إحياء العلوم) (للغزالى) أو ما ينبغى أن تكون عليه هذه الظواهر كما جاء بكتاب (آراء أهل المدينـة الفاضلـة) (للفارابى) أو كتاب (الجمهورية) (لأفلاطون) وكتاب (الأخلاق) لـ (أرسطو) .

ولذا فقد درس هذه الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية مركـزاً على أن التطـور هو سنـة الحيـاة الاجتماعية وقد تمثل منهجه فى البحث عن جمع المعلومات لموضوع البحث من مشاهداته ومـن قراءاته فى بطون التاريخ ، ثم يجرى عليها عمليات عقلية لكشف ما يحكم هذه الظواهرالاجتماعية من قوانين أو قواعـد جبريـة هى ما يعـرف بعلـم « الاجتماع » أو (السوسيولوجيا) sociology sociologie) وهى كلمة مؤلفة من كلمتين (societas) بمعنـى (الجماعـــة) وكلمـــة (logos) بمعنى (البحث أو المقال) ، وهذا المنهج هو المتبع فى دراسة علم الاجتماع حتى اليوم .

وإنما دعاه إلى إنشاء هذا العلم الجديد حرصه على تخليص البحوث التاريخية من الأخبار الكاذبة ، وتجنيب المشكوك فيه والكاذب بما يلاحظه مما يقع من شئون الاجتماع الإنسانى وحوادثه .

فقـد كان يهدف أن تكـون دراستـه وسيلـة لتصحيح الأخبار التاريخية ومن ثم جاءت قوانينه وأفكاره مستمدة من ملاحظاته لظواهر الأمم التى شاهدها ، أو درس تاريخها دون أن يتأثر بفكر مسبق أو رأى مبيّت ومن ثم كان منهجه أدنى إلى

المنهج العلمى الحديث .

ولقد شهد له الكثير من علماء الاجتماع الحديث بأنه هو منشىء علم الاجتماع .

وفى الفصل الثالث : ابن خلدون إمام ومجدد فى علم التاريخ :

إن أهم أثر - فى رأى المؤلف - لابن خلدون هو كتابه الكبير فى التاريخ الذى سماه (كتاب العسير) والذى تشغل البحوث التاريخية مجلدات ستة منه :

أوقف المجلد الثانى على أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة حتى عهده - بما فى ذلك من عاصرهم من الأمم المشاهير كالفرس والقبط وبنى إسرائيل والروم والترك والفرنجة وقد بدأه بالحديث عن أصل الخليقة وأنساب الأمم المختلفة معتمداً على الروايات المنقولة عن العهد القديم والاسرائيليات وعما كتبه المؤرخ اليونانى « هيرودوت » ثم انتقل إلى الحديث عن تاريخ العرب فى الجاهلية واليهود واليونان والفرس ناقلا معظم رواياته عن« ابن العميد» ثم دراسة الأمم الإسلامية حيث تحدث عن ظهور الإسلام وحياة الرسول - عليه الصلاة والسلام - وعصر الخلفاء الراشدين وعصر بنى أمية وعصر بنى العباس وتاريخ الفاطميين فى مصر والمغرب وتاريخ الأندلس وتاريخ الترك والسلاجقة والحروب الصليبية دولة المماليك فى مصر . وقد راجع ابن خلدون مؤلفاته بعد هجرته إلى مصر ونقّحها وزاد عليها وأضاف إليها حقائق جديدة .

وكتابه الثالث وقفه على تاريخ البربر فى شمال إفريقيا وتبدو أصالة ابن خلدون فى بحوث التاريخ فى أوجه عديدة يحملها - المؤلف - فيما يلى :

١ - تحقيق الوقائع واستبعاد المختلق والمشكوك فيه .

٢ - الاعتماد على البحوث التاريخية الدقيقة التى استمدها من مشاهداته وقراءاته الخاصة ، أو من مصادر موثوق بها .

٣ - الدقة فى التسجيل خاصة فى تاريخ البربر الذى اعتمد فيه ابن خلدون على المشاهدة الشخصية أثناء اتصاله بالقبائل وتنقله بين دول المغرب .

٤ - التبويب والتقسيم الدقيق فى المؤلفات حيث قسمها إلى كتب ثم إلى فصول - ومتابعة تاريخ كل دولة على حدة مع مراعاة الوصل والتداخل بين الدول .

ويمتاز ابن خلدون ببراعة التنظيم والربط وحسن السبك فى التأليف التاريخى مع الوضوح والدقة فى التبويب وعمل الفهارس ، مما جعل المؤرخ الانجليزى (روبرت فلينت) يشهد له : بأنه « منقطع النظير فى كل زمان ومكان » .

● ● ●

وفى الفصل الرابع : ابن خلدون إمام ومجدد فى فن الأوتو - بيوجرافيا — Auto Biographic أى ترجمة المؤلف لنفسه :

يعتبر ابن خلدون مجليا فى هذا الفن من بين مؤرخى العرب والمسلمين بما كتبه عن تاريخ حياته فى كتابه « التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا » فهو أول بحث مستفيض ملىء بالتفاصيل الدقيقة عن حياته بما فيها من أحداث واعترافات مدعما بالوثائق والخطب والرسائل والتقارير والقصائد وافتتاحيات مجالس التدريس ومقتطفات من بعض الدروس كما يشتمل على تراجم قيمة لكثير من رجالات السياسة والأدب والعلم فى عصره .

وقد أدخل عليها تعديلات وتنقيحات وزيادات

وأخبار جديدة واستبدل بعنوانه القديم عنوانا آخر سماه : (**التعريف** بابن خلدون مؤلف الكتاب ورحلته غربا وشرقا) وتحتفظ (تركيا) بنسختين منه فى مكتبة (أيا صوفيا) و (أحمد الثالث) باسطنبول .

● ● ●

أما الفصل الخامس : ابن خلدون إمام ومجدد فى أسلوب الكتابة العربية :

فإن المؤلف يعد ابن خلدون من كبار أئمة الأدب وأعلام البيان العربى ، ومن أبرز المجددين فى أسلوب الكتابة العربية ، فقد سلك أسلوبا جديدا يتميز بالسهولة واليسر والوضوح والتعبير الدقيق عن الحقائق وقوة التدليل وترابط الفكرة وحسن الأداء والتناسق وتخير المفردات والتراكيب العربية السليمة والتخلص من قيود السجع والأزدواج والمحسنات البديعية التى كانت تكبل النثر ، فقد أهتم بالمعنى دون تزويق اللفظ والإطناب فى الوصف وكثرة التشبيهات والاستعارات .

ولقد تأثرت بأسلوبه أقلام الكتاب والمؤلفين حتى سيطر على جميع مناحى الكتابة وبفضله عاد للكتابة العربية رصانتها وصفاؤها وسلاستها وانطلاقها ـ كما أنه اشتق كثيرا من المفردات والعبارات فى معان علمية جديدة لكنها ، تمت إلى معانيها الأصلية فى علم البيان .

● ● ●

وفى الفصل السادس : ابن خلدون إمام ومجدد فى بحوث التربية والتعليم وفى علم النفس التربوى والتعليمى :

يبين المؤلف أن لابن خلدون فى مسائل التربية والتعليم وتاريخها وفى علم النفس التربوى والتعليمى بحوثا قيمة أصيلة تضعه فى مصاف كبار الأئمة المجددين فقد اهتم بدراسة مواد الخط العربى والكتابة وأسرار الحروف ، ووسع فى تاريخ التربية والتعليم مع توضيحه ما ينبغى أن تسير عليه التربية فى مختلف مراحل التعليم ـ مع عرض للنفس البشرية وطرق إدراكها للحسيات والمعنويات ومظاهرها الإدراكية والوجدانية والنزوعية والتصرفات السلوكية وطبيعة الفكر الإنسانى وطريقة اكتساب المعلومات الحديثة التى تعتمد عليها بحوث علم النفس التربوى .

كما نادى بتدريس القرآن الكريم للأطفال قبل غيره من العلوم لما له من أهمية فى تقويم لسان الطفل ، وبث الأخلاق والمثل العليا فى نفسه قبل غيرها وهو الذى نادى بعدم الشدة عليهم فى التعليم وعدم الاستبداد فى تأديبهم .

وجاء الفصل السابع : رسوخ قدم ابن خلدون فى علم الحديث :

إن ابن خلدون كثير الإطلاع فى كل كتب الحديث قاطبة ـ وكان متمكنا كل التمكن من علوم مصطلح الحديث ورجالاته وأسانيده ـ فقد درس على علماء أجلّاء كبار ـ وقد أجيز فى موطأ مالك وصحيح البخارى ومسلم وسنن أبى داود والتّرمذى والنسائى وابن ماجه ومقدمة ابن الصلاح فى الحديث .

وقد كتب فى مقدمته فصلا كاملا عن علوم الحديث يدل على عظيم تمكنه من هذه العلوم بمختلف فروعها وواسع إطلاعه على ما ألّف فيها ـ ولقد عينّ أستاذا للحديث فى أرقى المدارس العالية بمصر ، ووضع ترجمة دقيقة للإمام مالك بن أنس رضى الله عنه .

● ● ●

وفى الفصل الثامن : رسوخ قدم ابن خلدون فى الفقه المالكى :

نتبين آن شهرة ابن خلدون فى علم الفقه المالكى

أوسع من شهرته فى علوم الحديث فقد وجه أكبر قسط من جهده للفقه ـ ودرس مختصر ابن الحاجب وما عليه من شروح وكتاب التهذيب ومختصر (المدونة) و (العتبية) و (الأسدية) وغيرها ولقد أفرد فصلين فى مقدمته الرائعة لعلوم الفقه والفرائض وقد تبوأ منصب أستاذ الفقه المالكى فى أرقى المدارس العالية بمصر ـ كما أنه اعتلى منصب قاضى قضاة المالكية بها ست مرات .

وفى الفصل التاسع : ابن خلدون وفروع العلوم الأخرى :

نتبين حفظ ابن خلدون للقرآن الكريم فى صباه وتجويده فقد درس (الشاطبية) فى القراءات و (العقيلة) فى رسم المصحف ـ وخصص لهذين الفرعين فصلين فى مقدمته .

كما خصص بابا للتفسير وتعرض لبعض التفاسير وعلق عليها بما يوضح مدى اهتمامه ومعرفته بهذا الفرع .

وخصص لعلم الكلام (التوحيد) فصلين طويلين فى مقدمته تحدث فيهما عن نشأة هذا العلم وتطوره وأهم مسائله خاصة ما يتعلق بالإيمان وصفات الله ـ تعالى ـ والمؤلفات فيه ، ونقاط الخلاف بين مذاهبه وطوائفه ، مما يوضح بجلاء سعة اطلاعه فى هذا الميدان ، ولقد اختط ابن خلدون مخطوطا بيده ولمّا يبلغ التاسعة عشرة من عمره وهو (الباب المحصل) وهى النسخة الفريدة المحفوظة بمكتبة (الاسكوريال) بأسبانيا .

كما أن له مؤلفات فى التصّوف وأصول الفقه والأدب العربى إلى جانب أنه كان شاعرا وملما بعلوم الفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية والرياضية .

وبعـد ..

فقد عقد المؤلف مقارنة بين كل من (ابن خلدون) و (أوجست كونت) فى **الفصل الأول** فى الأسباب التى دعت كل منهما إلى إنشاء هذا العلم ، وموضوع الدراسة عند كل منهما ، وأغراضها ومنهجها ، وأقسامها ، والنتائج التى انتهى إليها كل منهما وهى مقارنة علمية تخصصية تعفى القارىء من سبر أغوارها .

كما أننا نعتبر أن المآخذ التى أخذت على ابن خلدون فى الفصل الثانى بسيطة يمكن تدارك آثارها وعدم تأثيرها فى دقة هذا العمل المحكم والجهد الخارق إذ أنه ما كان لينشئه مبرءا من كل عيب .. فإن الكمال لله وحده ـ وحسبه أنه أقام علما جديدا على دعائم قوية ورسم منهجه فى صورة واضحة حيث عرض لكل مسائله بالدراسة الدقيقة وقدم نماذج رائعة لما ينبغى أن يكون عليه البحث الصحيح فجاءت دراسته فى كثير من تفاصيلها كاملة أو أقرب ما تكون إلى الكمال وفى هذا يقول بنفسه فى ختام مقدمته « لقد استوفينا من مسائلة ما حسبناه كفاء له ولعل من يأتى من بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم متين أن يغوص فى مسائله على أكثر ما كتبناه فليس على مستنبط الفن استقصاء مسائله ، وإنما عليه تعيين موضوع العلم وتنويع فصوله ، وما يتكلم فيه ، والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيئا فشيئا إلى أن يكمل » .

ونحن لا نملك إلا أن نسلم بأنه كان نسيجا فريدا فى عالم العبقريات فقد أتى بجميع ما أتى به ووصل إلى ما وصل إليه من شأو رفيع فى عالم المعرفة مع اضطراب حياته وكثرة كوارثها وعدم إلمامه بأية لغة أجنبية تتيح له الاحتكاك بثقافة أخرى ـ غير العربية .

فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

مسئولية الإنسان عن الشكر

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة ، وليس هناك عبارات يمكن أن توفيها ولا أن توفى نعم الله - تعالى - علينا حقها من الحمد والثناء ، ولكن الله - تعالى - علَّمنا حمده وشكره ؛ وأحبَّ لنا أن نكون من عباده الشاكرين ليديم علينا فضله ويزيدنا من نعمه .

حول خُلق الشكر وأهميته كتب لنا الأستاذ/ نجاح عبد القادر سرور - المدرس الثانوى بكوم حمادة - محافظة البحيرة :

الشكر قرين الذكر .. يقول - سبحانه - مخاطباً عباده المؤمنين :

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ البقرة/١٥٢

فالمؤمن ذاكر لله ؛ شاكر لله .. يشكره - سبحانه - لا لشيء إلا لأنه عبد لله ..وهذا شرف ما بعده شرف .. ولا لشيء إلا أنه - سبحانه - خالقنا وموجدنا وربنا ، ويشكره - سبحانه - لأنه رازقنا وواهبنا نعماً لا تحصى ، منها أنه :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ إبراهيم/٣٢-٣٤

وقد أثنى الله - تعالى - على عباده الشاكرين ، فهذا نوح - عليه السلام - ؛ يقول عنه رب العزة :

﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ الإسراء/٣

وهذا خليله إبراهيم - عليه السلام - ؛ يقول عنه - عز وجل : ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ النحل/١٢١

وهـذا سليمـان ـ عليـه السلام ـ يقــول عنه الله ـ تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة النمل

وأمر سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يحدث بنعمة ربه عليه :

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ الضحى/١١

وها هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسجد لله تعالى ليلة ويطيل السجود حتى تتورم قدماه وحين تساله السيدة عائشة : ـ رضى الله عنها ـ أليس الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ .. يقول ـ صلى الله عليه وسلم : ﴿ **أفلا أكون عبداً شكورا** ؟ ﴾ رواه البخارى

إننا سنُسأل عن كل نعمة .. **فهل** شكرنا الله تعالى على نعمه التى لا تحصى ؟؟ . إننا لو شكرنا الله تعالى لزادنا من فضله ، وإن جحدنا فليس هناك إلا العذاب .

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ ابراهيم/٧

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركلته .

صفة الرحمة

الرحمة سمة جميلة من سمات الأخيار وصفة يتحلى بها عباد الله الأبرار ، وهى رقة فى القلب تعين على إسداء المعروف وإغاثة الملهوف ومعاونة المحتاج ، والرحمة لها جوانب كثيرة وشعب متعددة تغطى حياة الإنسان إذا ما تمثلها فى جميع أحواله. ورسولنا ـصلى الله عليه وسلمـ الْتفَّت حوله القلوب وهفت إليه النفوس لوضوح هذا الجانب فى شخصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كان ذا حنان وعطف وبر وإحسان ، والله سبحانه يقول فيه « وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ » الأنبياء / ١٠٧ . حول هذا المعنى كتب لنا القارىء/ **محمد حسين يوسف على ـ معهد إسنا** :

روى أبو داوود عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

وما أعظم أن نبدأ أى عمل نعمله « بسم الله الرحمن الرحيم » ، حتى نتمثلها ونتخلق بها فى معاملاتنا مع خلق الله ـ تعالى ـ فتكون أهلًا لرحمته ـ عز وجل ـ فى الدنيا والآخرة ، روى الترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لاتنزع الرحمة إلا من شقى » وعن جرير بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال ـ قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من لا يرحم لا يُرحم » وليست الرحمة قاصرة على الولد أو الأهل والأحبة بل هى عامة تشمل كل شىء حتى الحيوانات ولقد بينَّ لنا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جزاء المرأة التى دخلت النار فى هرة حبستها ، وجزاء الرجل الذى غفر الله له بسقيا كلب فإذا كان هذا هو جزاء من رحم الحيوان أو أساء إليه ، فكيف بجزاء من رحم الإنسان أو أساء إليه . اللهم اجعلنا من عبادك الرحماء ياأرحم الراحمين .

بأقلام القراء

نعم الحاكم ... ونعم الرجل

نسب إلى سيدنا عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – أنه وصف الخليفة الراشد سيدنا أبا بكر الصديق – رضى الله عنه – بقوله : « رحم الله أبا بكر كان والله للقرآن تالياً ، وعن الميل نائياً ، وعن الفحشاء ساهياً ، وعن المنكر ناهياً ، وبدينه عارفاً ، ومن الله خائفاً ، وبالليل قائماً ، وبالنهار صائماً ، ومن دنياه سالماً ، وعلى عدل البرية عازماً ، وبالمعروف آمراً ، وإليه صائراً ، وفى الأحوال شاكراً ، ولله فى الرواح والغدو ذاكراً ، ولنفسه بالمصالح قاهراً ، فاق أصحابه ورعاً وكفافاً وزهداً وعفافاً وبراً وزهادة وكفاءة » .

وهو : أبو بكر الصديق بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، ولقبه : عبد الله كما يقول ابن هشام : فى سيرته ، وقد نزل فيه قرآن يتلى :

« ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا » (التوبة / ٤٠)

رمضان إبراهيم الأقرع
اخناواى – طنطا

الكلمة الطيبة

الكلمة ثمرة ، إما أن تكون ناضجة ، لها ريح طيب ، أو عطبة ريحها خبيث ، وعندما ينطق الإنسان باللفظ فعليه أن يتخير الألفاظ الطيبة التى تثمر الخير والبر والمودة بينه وبين من يخاطبه ، ولا ينزلق لسانه باللفظ السيىء الذى يولد الحقد والكراهية بين الناس ، وعليه أن يكون حذراً ، فلا يحدث مخاطبه إلا بما يحب أن يحدثه به ، وبذلك يتم التآلف بين الناس والمجتمعات .

وقد أشار القرآن الكريم إلى الكلمة الطيبة وضرب لها مثلا ، والكلمة الخبيثة وضرب لها مثلا ، فقال : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ (٢٤) تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (إبراهيم / ٢٤) .

عماد الدين عبد المنعم
دار طباعة النقد

قـرأت لك

فى كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه :

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك النـاسى فذكروه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك الجاهل فعلموه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك الأحمق فارفضوه .

وفى (البيان والتبيين) للجاحظ :

قال دغفل بن حنظلة : إن للعلم أربعا : آفة ونَكَداً وإضاعة واستجاعة ، فآفته النسيان ونَكَدُهُ الكـذب وإضاعته وضعــه فى غير موضعــه واستجاعته أنك لا تشبع منه .

وفى كتاب إحياء علوم الدين للغزالى :

قال ابن مسعود - رضى الله عنه - الكبائر أربعة فى القلب : الشرك بالله ، والإصرار على المعصية ، والقنوط من رحمته ، والأمن من مكره ، وأربعة فى اللسان : شهادة الزور ، وقذف المحصنة ، واليمين الباطل ، والسحر .

محمد ابراهيم الدمرداش
مجلس مدينة بركة السبع - منوفية

رسالة جامعية

« الإتجاه الدينى فى شعر مدرسة الديوان »

نوقشت بكلية اللغة العربية بالزقازيق - جامعة الأزهر - بشهر ربيع الآخر ١٤١٥هـ رسالة (الماجستير) المقدمة من الباحث / أحمد مصطفى عبد الحميد ، عن الاتجاه الدينى فى شعر مدرسة الديوان ، تلك المدرسة التى تضم « العقاد والمازنى وعبد الرحمن شكرى » تناول البحث الجوانب الدينيـة والاجتماعيـة فى حيـاة هؤلاءالشعراء .

تكونت لجنة المناقشة من الأساتذة :

الدكتور / حسن أحمد الكبير .. مشرفا

الدكتور / ابراهيم محمد عوضين .. عضوا

الدكتور / عبدالغفور الأسود .. عضوا

توصلت الدارسة إلى نتائج علمية عدة .

قرر الباحث أن اللجنة منحتـه درجـة « الماجستير » فى اللغة العربية « الأدب والنقد » بتقدير جيد جداً[1] .

---

(١) ترجو المجلة من الباحث تزويد مكتبتها بنسخة من الرسالة تكون مرجعا للباحثين .

من إبداعات القراء

هـلم ... إلى البوسنه

بمناسبة البيان الذى أصدره مؤتمر الرباط لصالح البوسنة والهرسك وإنقاذها من براثن الصرب ، نظم الشاعر / مصطفى محمود مصطفى – من كفر ربيع – منوفية – هذه الأبيات

إخوانـنــا فى (بوسنـــــة) فى محنـــــة
هيـــا هنـــاك ، لنجــــدة الإخـــوان
لم لم تهبـــوا كلكـــم من أجلهـــم ؟
لم لم تثـــــــوروا ثورة البركان ؟
لم لم تعيروا سمعكـــم لندائهـــم
وصراخهـــم دَوَّى بكـــل مكـــان ؟
ما لى أرانـــــا قد غفلنــــا عنهم
هل ، ياتـــرى سقطـــوا من الحسبـــان ؟
أم فت أعضاءنا فاحبُّ الحيـــــاة
وعشقنـــا للهـــو كالصبيـــان ؟
إن التقـــاعس ، لايليـــق بمسلـــم
ورث الحميـــة من ذُرَا عدنـــان
قم يا (صلاح الديـــن) أنقـــذ إخـــوة
فى (بوسنــــة) من قبضة العـــدوان
بل أيـــن (خالـــد) كى يصول بسيفـــه
ويجنـــدل الأعـــداء فى الميـــدان
يا مسلمـــون : تماسكـــوا فى وحـــدة
فبقـــاؤكم بتماسك البنيـــان

ردود وتعليقات

● القارىء/ فخر الدين حسنين – كلية الشريعة – جامعة الأزهر

نود الاهتمام بالاسناد العلمى فيما كتبت ، مع بيان موقع الآية القرآنية ومصدر الحديث النبوى لأهمية ذلك فى مجلة « الأزهر » .

● القارىء/أمين عبد القادر السيد – دمنهور/بحيرة .

● القارىء/مهدى منصور على – الدلنجات/بحيرة .

● القارىء/عبد اللاه سقاو مراد ــ كلية التربية ــ بقنا .

● القارئة/سارة سمير محمد ــ بدون عنوان .

تلقينا رسائلكم بتقدير بالغ ، ونرى أنه لا شكر على قيام « مجلة الأزهر » بواجبها إزاء تصحيح المفاهيم الخاطئة والتصدى للأباطيل أولا بأول .

● القارىء/شحاتة أحمد أبو بكر ــ بنى سويف ــ ببا :

ليس من شك فى أهمية جهود العلماء والمفكرين فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية من أجل مقاومة الآثار الضارة للثقافات الأجنبية الغازية وحماية شخصيتنا الإسلامية والحضارية ، بل وتوجيهها الوجهة الصحيحة التى تؤكد ذاتيتنا وتحافظ على هويتنا وتحشد طاقاتنا للتنمية ، ولعل هذا السبيل الهادف هو أفضل سبل المواجهة .

● القارىء/هانى مهنى عبد العليم طه ــ إدكو ــ بحيرة :

لا ننصح شبابنا بقراءة أى كتاب سماوى ؛ سوى كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ذلك أن الله تعالى تكفل بحفظ « القرآن الكريم » دون غيره « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » الحجر /٩ ولا عجب من إساءة الأدب فى العهد القديم المتداول مع نبى الله (لوط) وغيره من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ فقد أساء اليهود الأدب مع خالقهم ، وقالوا « يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا » المائدة/٦٤ .

● القارىء/الشيخ عبد العزيز فرج إسماعيل ــ زهراء عين شمس بالقاهرة :

مرحبا بكم صديقا لمجلة الأزهر ولكم كل تقدير على هذه المتابعة البناءة .

● القاهرة/عاطف كريم عبد الله ــ بولاق الدكرور/جيزة :

● القارىء/ابراهيم محمد على ــ كلية الحقوق/جامعة القاهرة :

● القارىء/عبد العال فؤاد أحمد ــ روض الفرج/القاهرة :

يمكنكم الحضور إلى مكتب المجلة بالجامع الأزهر ــ بالدراسة ــ لتسلم الهدية الناقصة لديكم .

● القارىء/ياسر محمد حافظ عبد الجواد كلية الزراعة بكفر الشيخ :

تلقينا كلمتكم عن التحليل العلمى والفوائد العلاجية الكثيرة لنبات « البصل » وأثره كمضاد حيوى قوى للعديد من الأمراض ، ولا شك أنه من الخير هذا الاهتمام العالمى به من جانب شركات الأدوية .

● القارى/فؤاد السيد شعيب ــ المدرس بمعهد لقانة الثانوى الأزهرى :

كلمتكم عن « دعاة الباطل » وتساؤلكم أين هم من أخلاق الإسلام ؟ ذكرنى بالحديث النبوى الذى رواه الترمذى وأحمد : « إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجلساً يوم القيامة : الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال المتكبرون

على هامش مؤتمر القمة الإسلامى السابع

المنعقد بالدار البيضاء .... المغرب

فى الفترة من ١٣ ـ ١٥/١٢/١٩٩٤م

إعداد الأستاذ
عمر البسطويسى

شارك الرئيس محمد حسنى مبارك فى أعمال القمة الإسلامية السابعة التى عقدت بالدار البيضاء بحضور رؤساء دول وحكومات ووفود أكثر من خمسين دولة فى منظمة المؤتمر الإسلامى .

وقد ناقشت القمة قضايا العالم الإسلامى الراهنة ـ **مساء الثلاثاء الموافق ١٠ من رجب ١٤١٥ هـ الموافق ١٣/١٢/١٩٩٤ ـ بالجلسة** الافتتاحية التى ترأسها الملك الحسن الثانى عاهل المغرب الذى وجه كلمة إلى المؤتمر أشار فيها إلى أهمية وخطورة المرحلة التى تنعقد فيها القمة موضحاً أن مليار مسلم من مختلف قارات العالم يتطلعون إلى تلك اللحظة التاريخية والنتائج الإيجابية التى يمكن أن تصدر عن هذه القمة .

وقد طالب العاهل المغربى فى ختام كلمته بإنشاء هيئة عليا تنبثق عن المؤتمر الإسلامى تتولى مهمة التعريف بأحكام الإسلام لتجنب الخلط والالتباس فى الدين الحنيف .

وقد ألقى الرئيس محمد حسنى مبارك فى تلك الجلسة كلمة جامعة عن كل الأزمات التى تواجه الأمة الإسلامية وأبرزت الكلمة دور مصر الرائد فى دائرتها الإسلامية ، وقيامها بمبادرات لتقديم حلول عملية وممكنة للتغلب على هذه الأزمات .

وقد ركز الرئيس مبارك فى خطابه على النقاط الرئيسية التالية :

● الدعوة إلى صياغة موقف موحد للدول الإسلامية فى مواجهة الحملات الباغية والظالمة التى يتعرض لها الإسلام حتى لا يكون دور هذه الدول سلبياً ومقصوراً على تلقى ما يصدر عن غيرها من النظم والقواعد المستحدثة .

● التحذير من التداعيات فى وضع الدول **الإسلامية وتعرضها لمآس مروعة منها:** حرب الإبادة العرقية فى البوسنة والهرسك ، مشيراً إلى أن **العالم الإسلامى يمر اليوم بمنعطف تاريخى**

ومن هنا فإنه يتعرض لاختبار بالغ الدقة والصعوبة .

ودعا سيادته فى هذا الصدد إلى إلقاء نظرة موضوعية فاحصة على أحوال المسلمين من أجل التوصل إلى صياغة رؤية أفضل لمستقبل العمل الإسلامى .

● المطالبة بنبذ الخلافات بين الدول الإسلامية بعضها البعض ، والعمل على حماية الفكر الإسلامى من الأباطيل وتصحيح صورة الإسلام لدى غير المسلمين ، وإقامة العلاقات بين الدول الإسلامية والدول الأخرى على أسس سليمة تقوم على احترام حقوق المسلمين ومشاعرهم .

وقد طرح الرئيس فى خطابه أمام المؤتمر برنامجاً شاملاً لمواجهة أوجه الضعف بحيث تتغلب الأمة على تلك العثرات التى تعترض مسيرتها ، ويقوم هذا البرنامج على أربعة عناصر أساسية وهى :

أولاً : التزام الجميع وبدون استثناء بكل ما نملك من قوة وبأس للحفاظ على عناصر القوة الذاتية لجميع المجتمعات الإسلامية وأن يسعى الجميع إلى تحقيق هذه القوة الذاتية لجميع المجتمعات الإسلامية على امتدادها بدءاً به .

ثانياً : يتعين على الجميع بذل الجهد الصادق والحثيث لحماية الفكر الإسلامى من الأباطيل والخرافات وتصحيح صورة الإسلام لدى غير المسلمين وتنقيتها من الشوائب التى علقت بها بفعل الجهل والتعصب .

ثالثاً : أهمية التزام الأقطار الإسلامية بالتعامل فيما بينها بالحسنى والحق ، فلا بغى ولا عدوان ولا سعى للسيطرة وإقامة مناطق للنفوذ .

رابعاً : التأكيد على ضرورة أن تسعى الدول الإسلامية إلى إدارة العلاقات بينها وبين دول العالم الأخرى على أسس سليمة .

وأشار الرئيس فى ختام خطابه الجامع أمام المؤتمر إلى أن القمة الإسلامية تنعقد هذه المرة فى ظل ظروف حساسة للغاية ومهمة ، تقتضى توحيد الصف ونبذ الخلافات .

ـ ولقد برز اتجاه مصر لتحقيق ذلك الهدف بدءاً من الاجتماعات التحضيرية لوزراء خارجية الدول الإسلامية الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى دعماً لاستمرار مسيرة العمل الإسلامى لمواجهة التحديات التى تعترض طريقها .

وكان مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية قد أنهى أعماله التحضيرية للقمة الإسلامية فى ساعة مبكرة من صباح الثلاثاء ١٩٩٤/١٢/١٣ حيث دعا المؤتمر فى بيانه الختامى الدول الأعضاء إلى مواصلة الدعم لمنظمة التحرير الفلسطينية ودعم مواقفها فى المفاوضات القادمة من أجل نقل جميع السلطات الوطنية الفلسطينية بما فيها القدس الشريف إليها .

وأشار البيان إلى أن نجاح عملية السلام تتوقف على استنادها لقرارات الشرعية الدولية والالتزام بتطبيقها .

وأكد المؤتمر فى بيانه الختامى أن القدس الشريف جزء لا يتجزأ من الأراضى الفلسطينية كعاصمة لدولة فلسطين ، وأدان المؤتمر بشدة قرار المحكمة العليا فى إسرائيل بإعلان المسجد الأقصى المبارك جزء من دولة اسرائيل ، ودعا المؤتمر الدول الأعضاء إلى التزام بتغطية ميزانية كل من صندوق القدس ووقفيته ، وأن تبادر الدول بتسديد مساهمتها فيه .

وأكد المؤتمر التزامه بحماية سيادة جمهورية البوسنة والهرسك وسلامة أراضيها واستقلالها السياسى وأدان استمرار العدوان الصربى على أهلها ورفض الصرب لخطة السلام الخماسية .

كما دعا البيان إلى نشر مراقبين دوليين على الحدود بين كل من البوسنة والهرسك من جهة وصربيا والجبل الأسود من جهة أخرى والاعتراف بالحدود المعترف بها دولياً لجمهوريتى البوسنة والهرسك وكرواتيا وتعليق تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٩٤٣ لسنة ١٩٩٤ وتطبيق العقوبات المفروضة على صربيا والجبل الأسود .

وعلى مدى ثلاثة أيام ناقشت القمة الإسلامية القرارات والتوصيات المرفوعة لها من مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية فى شأن القضايا الإسلامية المختلفة المطروحة على الساحة حالياً ، تجاه قضايا البوسنة والهرسك والقدس والجولان وقضية لوكربى .

وقرر المؤتمر فى ختام أعماله بالاجماع انضمام جمهورية البوسنة والهرسك بصفة مراقب إلى منظمة المؤتمر الإسلامى .

ـ كما أكد البيان الختامى على ضرورة إقرار السلام الشامل والعادل فى الشرق الأوسط وطالب إسرائيل بالانسحاب الكامل من جميع الأراضى العربية المحتلة الفلسطينية ومرتفعات الجولان السورية وجنوب لبنان . ودعا البيان إلى أهمية تحقيق تقدم على المسارين السورى واللبنانى حتى يتحقق السلام الشامل والعادل فى منطقة الشرق الأوسط .

ـ وأيد البيان الجهود التى تبذلها السلطة الفلسطينية برئاسة الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات لاستعادة الأراضى الفلسطينية وفى مقدمتها القدس .

ـ كما أيد البيان رؤية الجامعة العربية لحل مشكلة « لوكربى » وأهتم البيان بقضية التضامن مع ليبيا فى دفاعها المشروع عن استقلالها وسيادتها على أراضيها .

وقد أعلن الرئيس مبارك فى تصريحات صحفية لسيادته عقب انتهاء المؤتمر أن القمة الإسلامية سادها شعور عام بالتضامن ضد الهجمة على الإسلام ومحاولة تشويه صورته .

وقال أن القمة اهتمت أيضاً بقضية البوسنة والهرسك وسياسة التفرقة ضد المسلمين والتى تتبعها بعض القوى الكبرى فضلاً عن الاحساس العام بانعدام العدالة وبالظلم الفادح وسياسة الوجهين فى هذه القضية .

وأوضح سيادته أن جميع الدول أدانت الإرهاب المباشر وغير المباشر مؤكداً التزام جميع الدول الإسلامية بعدم مساندة أى حركة تتستر « باسم الدين لتساعد على الإرهاب » ، وقال سيادته إن كل الدول اعتنقت وجهة النظر القائلة بأن الارهاب والتطرف يؤثران سلبيات على الاستقرار ويعرقلان جهود التنمية فى الدول الإسلامية .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى ● مصطفى عبد المجيد

تكريم فضيلة الإمام الأكبر فى احتفال ثقافى كبير بمحافظة الدقهلية

كرمت محافظة الدقهلية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر باعتباره شخصية المحافظة الفكرية والثقافية لهذا العام ، وذلك خلال الاحتفال الكبير الذى شهده العلماء وقادة الفكر والسياسة من أبناء محافظة الدقهلية ، **وقد قام فضيلته على مدى ثلاثة أيام** بافتتاح العديد من المشروعات التعليمية من معاهد ومدارس وكليات جامعية تابعة لوزارة التربية والتعليم والأزهر الشريف .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمة ألقاها فى احتفال التكريم أن موقف مصر من الدفاع عن قضية البوسنة والهرسك موقف مشرف حيث تقوم مصر بدورها حيال هذه القضية فى كافة المحافل الدولية بالمطالبة باسترداد المسلمين لحقوقهم وطالب فضيلته الأمة الإسلامية بتوحيد صفوفها تجاه تلك القضية وغيرها من القضايا التى تواجه الأمة الإسلامية .

وأشار فضيلته إلى موقف الأمم المتحدة من تلك القضية ووصفه بأنه موقف سلبى ومتخاذل ، كذلك وصف فضيلته موقف الدول الغربية من تلك القضية بأنه لا يزال متراخياً فى ردع الصرب .

شهد حفل تكريم فضيلة الإمام الأكبر : السيد اللواء إبراهيم حسن الشيخ محافظ الدقهلية وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر وفضيلة رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الأستاذ المدير العام للعلاقات العامة بالأزهر وفضيلة مدير عام الوعظ بالأزهر ولفيف من علماء الأزهر ووزارة الأوقاف والقيادات الشعبية والتنفيذية بالمحافظة .

وسوف تقدم المجلة فى عددها القادم ــ إن شاء الله تعالى ــ تغطية كاملة لمهرجان تكريم فضيلة الإمام الأكبر ومتابعة لافتتاح فضيلته للمشروعات التعليمية الجديدة بالمحافظة .

الإمام الأكبر يشهد حفل افتتاح الدورة التدريبية للأئمة والدعاة الوافدين

شهد فضيلة الإمام الأكبر حفل افتتاح الدورة التدريبية السابعة والعشرين للأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامى .

تأتى هذه الدورة ضمن الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر الشريف لأئمة ودعاة العالم الإسلامى لرفع مستواهم الثقافى وإعدادهم ليكونوا قادرين على مواجهة التيارات الفكرية والتصدى لحملات التشكيك ضد الإسلام .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة بهذه المناسبة حذر فيها من العصبية المذهبية باعتبارها دعوة للفرقة بين الأمة الإسلامية مؤكداً على أن الإسلام لا يقر هذه العصبية مشيراً إلى وحدة المصادر الإسلامية .

كذلك أوضح فضيلته أن الإسلام يدعو للسلام مع الله والأسرة والمجتمع .

يشارك فى هذه الدورة (٢٧) داعية يمثلون (١١) دولة هى أمريكا ـ اوزبكستان ـ الصين ـ ألبانيا ـ الكاميرون ـ اثيوبيا ـ كينيا ـ الكونغو ـ بلجيكا ـ نيبال ـ نيجيريا .

شهد حفل الافتتاح السيد السفير مساعد وزير الخارجية للشئون الثقافية والسادة سفراء الدول المشاركة فى الدورة ولفيف من قيادات الدعوة بالأزهر الشريف .

إعلان مواعيد امتحانات المعاهد الأزهرية

وافق فضيلة الإمام الأكبر على بدء امتحانات الشهادات الأزهرية لدورها الأول يوم السبت الموافق ١٠ يونيو ١٩٩٥ على أن يكون امتحان الدور الثانى يوم السبت الموافق ١٩ أغسطس ١٩٩٥ ، وذلك للشهادات الأربع (الإعدادية والثانوية والمعلمين وعالية القراءات) أما الشهادة الإبتدائية فقد تحدد للدور الأول يوم السبت الموافق ٣ يونيو ١٩٩٥م والدور الثانى السبت الموافق ٥ أغسطس ١٩٩٥م .

كما وافق فضيلته على بدء امتحانات النقل بمختلف المراحل بالمعاهد الأزهرية على النحو التالى :

المعاهد الإبتدائية « الدور الأول » الأثنين الموافق ١٥ مايو ١٩٩٥م . « الدور الثانى » السبت ١٥ يوليو ١٩٩٥ م .

المعاهد الثانوية والقراءات والمعلمين « الدور الأول » السبت ٢٠ مايو ١٩٩٥م . « الدور الثانى » السبت ٢٩ يوليو ١٩٩٥ م

مع أطيب التمنيات لجميع الطلاب بالتوفيق والنجاح .

الإمام الأكبر يستقبل سفير السنغال بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد/ محمد شمس الدين سفير جمهورية السنغال بالقاهرة ورئيس السلك الدبلوماسى الإفريقى بالقاهرة ، حيث نقل لفضيلته تحيات الرئيس السنغالى عبده ضيوف وتحيات وتقدير بلاده حكومة وشعباً لمواقف الأزهر المشرقة وتعاونه المثمر دائماً مع الشعب السنغالى المسلم ، وقد جدد السيد السفير الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة السنغال ، حيث وعد فضيلته بتلبيتها فى أقرب فرصة ممكنة .

ويستقبل سفير كندا بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته السيد/ (مايكل بل) سفير كندا بالقاهرة الذى تولى منصبه الجديد سفيراً لبلاده فى جمهورية مصر

وقد تناول اللقاء دور الأزهر الشريف فى العالم الإسلامى باعتباره أكبر هيئة علمية دينية معروفة عالمياً ، كما استوضح الضيف عن مساعدة الأزهر للأقليات الإسلامية فى الدول المختلفة ، حيث أوضح فضيلة الإمام الأكبر مدى استجابة الأزهر لاحتياجات الأقليات ودعمها على مستوى العالم ، وقد أبدى السيد السفير إعجابه الشديد وتقديره الكامل لهذا الدور العظيم الذى يقوم به الأزهر وعلماؤه لخدمة الإسلام والمسلمين ، وخاصة فى ايجاد الحلول والفتاوى الدينية للقضايا المعاصرة .

الإمام الأكبر ووزير الصحة يفتتحان المؤتمر الثانى للعظام والإصابات

افتتح فضيلة الإمام الأكبر والدكتور على عبد الفتاح وزير الصحة المؤتمر الدولى الثانى للعظام والإصابات بكلية الطب جامعة الأزهر ، والذى عقد تحت رعاية الرئيس / محمد حسنى مبارك .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر كلمة للمؤتمر أوضح فيها أن منهج الإسلام نحو الحفاظ على سلامة الإنسان جسديا ونفسيا ، جعل للوقاية أهمية بالغة ولم يغفل الوسائل العلاجية .

من ناحية أخرى أشاد الاستاذ الدكتور على عبد الفتاح وزير الصحة بالمستوى العلمى والعالمى الذى وصل إليه أطباء العظام المصريين الذين سجل البعض منهم مخترعات علمية بأسمائهم ، تضيف إلى سجلات التفوق المصرى الكثير .

إنشاء وضم معاهد أزهرية جديدة

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على ضم تسعة عشر معهداً بمختلف محافظات الجمهورية إلى الأزهر الشريف وتشمل مراحل التعليم المختلفة الابتدائية والإعدادية والثانوية .

كذلك انتهت الإدارة الهندسية بالأزهر من إعداد الرسومات الهندسية لسبعة معاهد أزهرية يقوم الأزهر بإنشائها على نفقته الخاصة بمحافظات الفيوم والمنوفية والجيزة والدقهلية وبنى سويف والمنيا والإسماعيلية .

الإمام الأكبر يرأس اجتماع مجلس الآباء والمعلمين بالأزهر

ترأس فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر اجتماع مجلس الآباء والمعلمين الذى عقد بقاعة الاجتماعات بالأزهر صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٩٩٤/١٢/١٣ حيث تم خلال الاجتماع الموافقة على خطة المجلس فيما يتعلق بالنشاطات والخدمات الطلابية حتى نهاية العام المالى الحالى .

كذلك أوصى المجلس بالتخفيف عن كاهل أولياء الأمور والطلاب ، والاهتمام بالمستوى العلمى للطلاب ، ورفع كفاءة المعلمين دعماً للمكانة التى تليق بالأزهر الشريف .

وقد أعطى فضيلة الإمام الأكبر توجيهاته للمسئولين عن وضع أسئلة الامتحانات بأن تكون فى مستوى الطالب المتوسط وأن تكون بعيدة عن الغموض والتعقيد .

الإمام الأكبر يشارك فى اجتماعات المجلس الأعلى العالمى للمساجد

شارك فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى اجتماعات الدورة السادسة عشرة للمجلس العالمى للمساجد بمكة المكرمة ، حيث ناقش المجلس عدة قضايا هامة فى مقدمتها : قضايا القدس ، والمسجد الأقصى ، والحرم الإبراهيمى ، وأوضاع المسلمين فى البوسنة والهرسك ، وأفغانستان ، والصومال ، وكشمير ، والفلبين ، وتايلاند ، وبورما ، والهند .

كذلك ناقش المجلس بعض القضايا الخاصة بالنحل المنحرفة كالقاديانية والبهائية ، وبعض القضايا التى تهم المسلمين مثل : مناهج التربية ووسائل الإعلام فى الدول الإسلامية ، ودور المسجد فى توحيد كلمة المسلمين .

وقد شهد خادم الحرمين الشريفيين الملك فهد بن عبد العزيز الجلسة الافتتاحية لأعمال المجلس ، وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى تلك الجلسة أن رسالة المسجد هى عصب الدعوة الإسلامية مشيراً إلى أن صلاح هذه الأمة لن يكون إلا من خلال المسجد ؛ فهو القادر على جمع كلمة المسلمين وتضميد جراحهم وتوحيد كلمتهم وهويتهم موضحا أن علو الأمة بعلو مساجدها كما كانت فى سيرتها الأولى .

أشار فضيلته إلى أن قضايا الأمة كثرت وتكاثرت وأن أعداء الأمة كثير يناهضونها بكل الطرق مؤكدا على ضرورة أن ترتقى منابر الأمة لتقودها إلى حل مشاكلها .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس مجلس الشورى السعودى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر سماحة الشيخ محمد بن جبر رئيس مجلس الشورى السعودى والوفد المرافق لسماحته .

تم خلال اللقاء بحث عدد من القضايا الإسلامية ومهام الأزهر وهيئاته المختلفة فى الماضى والحاضر .

شهد اللقاء السيد أسعد أبو النصر سفير المملكة العربية السعودية فى القاهرة والأستاذ الدكتور مفيد شهاب رئيس لجنة الشئون العربية والخارجية بمجلس الشورى ورئيس جامعة القاهرة .

مجمع البحوث الإسلامية يناشد الفلسطينين الوحدة

ناشدت لجنة القدس والجهاد والأقليات الإسلامية بمجمع البحوث الإسلامية الفصائل الوطنية الفلسطينية فى غزة أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم على الهدف الواحد .

ووصفت الخلافات التى وقعت بينهم – وراح ضحيتها قتلى وجرحى – بأنها معول هدم لقضيتهم من الداخل وفتنة بعيدة المدى وخيمة الأثر .

وطالبت اللجنة – فى بيان أصدرته عقب الأحداث الأخيرة المؤسفة التى وقعت فى قطاع غزة بين الفلسطينين – ذوى الحمية الإسلامية والعربية أن تكون عيونهم على هذه الفصائل تجمع شملها وتبصرها بأن المؤامرات ضد قضيتهم لاتزال مستمرة وتتطلب التماسك والوحدة بعيداً عن الخلافات .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

جامعة الأزهر

صرح الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر أنه قد تم توقيع العديد من الاتفاقيات ، لإنشاء مراكز إسلامية وكليات جامعية لتدريس الدين الإسلامى بالجمهوريات الإسلامية بروسيا ، بالإضافة إلى تنظيم قوافل التوعية الدينية والدعوة لمساعدة المسلمين فى تلك البلاد .

هذا وقد قدمت الجامعة خلال العام الحالى ٣٥٠ منحة دراسية لطلاب من أزربيجان وكازاخستان وغيرهما من الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى .

كازاخستان

أكد رئيس كازاخستان : أن حكومته استطاعت خلال السنوات الماضية إنشاء العديد من المدارس الإسلامية ، وزيادة عدد المساجد والتوسع فى عقد الندوات واللقاءات فى مدن وقرى الجمهورية ترسيخا للعقيدة الإسلامية ومكافحة للتيارات الشيوعية المتخلفة عن العهود البائدة التى لاتزال تحاول التغلغل فى تلك الجمهوريات الإسلامية الوليدة .

عن صحيفة المدينة السعودية

البحيرة

طالبت لجنة التوعية الدينية بمحافظة البحيرة من محافظات جمهورية مصر العربية بإرسال المقترحات المقدمة من موجهى التربية الدينية الإسلامية بمديريات التربية والتعليم بالمحافظة ، لتطوير منهج التربية الإسلامية فى مراحل التعليم المختلفة إلى وزارة التعليم ، وذلك لدراستها وإمكانية الأخذ بها .

من أخبار المسابقات

بدأت يوم الأحد ٢٢ رجب ١٤١٥هـ المسابقة العلمية والثقافية لشباب الجامعات ـ التى تنظمها كلية الطب بجامعة الأزهر ـ فى مركز الشيخ صالح كامل بمدينة نصر .

صرح بذلك الدكتور زكريا شيحة عميد طب الأزهر والمشرف على المسابقة التى تشتمل على التنافس بين الطلاب المتفوقين فى تجويد وحفظ القرآن الكريم ، والمعلومات العامة ، ومجلات الحائط .

هذا وقد شارك فى حفل الافتتاح رئيس جامعة الأزهر ورئيسا جامعتى القاهرة وعين شمس ولفيف من الأساتذة والطلاب .

جــــروزنى

أفادت الأنباء أن القوات الروسية اقتربت من العاصمة الشيشانية (جروزنى) . وقد دار معظم القتال حول بلدة (آرجون) الواقعة على مسافة حوالى ١٥ ك متر إلى الشرق من عاصمة جمهورية الشيشان المسلمة ، التى أعلنت استقلالها من جانب واحد عام ١٩٩١م ، وذلك تحت قيادة الرئيس المسلم جوهر داوود .

ويتزايد القلق الدولى من جراء التدخل العسكرى الروسى ؛ وذلك لازدياد الخسائر بين الأرواح فى المدينتين ، الناشىء عن القصف العشوائى البربرى العنيف .

وأبرزت الصحف البريطانية المنـــاورات السياسية فى موسكو مؤكدة أن القيادة العليا للجيش الروسى منقسمة على نفسها وذلك بسبب تدخل الجنـــرالات فى السيـــاسة ، وبـــعض الاستقالات التى قُدمت احتجاجا على الغزو الروسى غير المبرر .

وأكـدت الصحـف : استمـرار التحـــدى الشيشانى القوى الذى تسانده معظم شعوب القوقاز فى حرب عصابات تتخذ من الجبال مستقراً لها .

الإســلام فى أفريقيــا

عقدت الجمعية الأفريقية بالقاهرة ندوة بعنوان « الإسلام فى أفريقيا » وذلك فى ختام دورتها الثقافية الخامسة عشرة .

حضر الندوة : لفيف من المتخصصين فى الدراسات الإسلامية والأفريقية ، حيث ناقشوا مشاكل المسلمين فى إفريقيا والحلول المقترحة فى حدود الموارد المتاحة .

ســـرايفو

قال الرئيس البوسنى على عزت بيجوفيتش : إن وقف إطلاق النار الذى يسرى مفعوله ظهر يوم السبت الحادى والعشرين من رجب ١٤١٥ هـ قد يمثل الخطوة الأولى نحو استتباب الأمن وأن الجانب البوسنى سيلتزم بذلك الاتفاق التزاما كليا . هذا وقد وافقت الحكومة البوسنية على وقف إطلاق النار فى مختلف أنحاء الجمهورية اعتبارا من ظهر السبت وكانت قيادة حرب البوسنة قد أعلنت موافقتها على نفس الاتفاقية يوم الجمعة .

يقول مراسل هيئة الإذاعة البريطانية إن الوثيقة الجديدة للمفاوضات خلت من شرط المفاوضات المستقبلية على أساس خطة مجموعة الاتصال الدولية ، وهو ما يعد تنازلا من حكومة البوسنة نتيجة مماطلات القوى الكبرى المستمرة فى تطبيق الاتفاقيات كما تم إسقاط بند تبادل أسرى الحرب .

l'homme de la foule ignorant et sans scrupule, prêt a suivre n'importe quel harangueur... Ô Kumaïl! La science a plus de valeur que la richesse! C'est la science qui monte la garde pour te protéger, tandis que c'est toi qui montes la garde pour protéger ta richesse! La richesse diminue quand on la dépense, tandis que la science croît quand on la dépense".

On rapporte également de lui ces propos: "accorder beaucoup d'importance au monde d'ici bas, malgré tout ce que l'on voit, c'est de l'ignorance! N'agir que partiellement en faveur du bien, alors que la rétribution et certaine, c'est de la négligence! De même, placer sa confiance en quelqu'un sans l'avoir mis à l'épreuve auparavant, c'est de la faiblesse!".

L'éloquence de l'Imam Ali - qu'Allah soit satisfait de lui - ne se limitait pas à la prose. Chi'bi a rapporté que Abou Bakr et Omar - qu'Allah soit satisfait d'eux - savaient tous les deux composer des poèmes, mais que Ali était encore meilleur poète.

Voici quelques vers d'un poème attribué à l'Imam Ali

"Certes, les actes nobles sont des vertus morales purifiées;
La religion en est la première, et la sagesse la deuxième

La science en est la troisième, et l'indulgence la quatrième.
La générosité en est la cinquième et l'obligeance la sixième
La bonté la septième et la patience la huitième
La reconnaissance la neuvième et la douceur les parachève
Et mon âme sait bien que pour atteindre la sagesse, je dois lui désobéir".

Il a dit aussi: "L'orphelin n'est pas celui qui n'a point de père, le vrai orphelin est celui qui n'a ni science, ni éducation".

Ali, était un homme que les biens de ce monde n'intéressaient pas. Quelqu'un qui s'était aperçu que le calife portait des vêtements raccomodés lui en fit la remarque pour qu'il les change, mais Ali lui répondit: "C'est un vêtement qui pousse à réfléchir et qui incite le coeur au recueillement et à la piété". Omar Ibn Abd Al Aziz a dit: "Ali Ibn Abou Taleb était l'homme le plus ascète de ce monde".

En effet Ali était un homme exceptionnel. Ainsi il a émis des avis qui font autorité en droit, en morale, en littérature et en politique... Sa capacité en matière juridique était telle que le calife Omar Ibn Al Khattab avait recours à lui dans les affaires litigeuses et difficiles. On rapporte que le calife Omar dit un jour: "Si Ali n'avait pas été là, Omar aurait couru à sa perte".On raconte aussi, qu'aucun des compagnons du Prophète - (b.s) n'aimait qu'on le questionne excepté Ali, qui disait: "Interrogez - moi". Ali a transmis 586 Hadiths du Prophète (b.s). Quand on lui demanda comment il parvenait à retenir un si grand nombre de Hadiths, il répondit: "J'ai pris l'habitude de questionner le messager d'Allah, et il me répondait; quand je me taisais c'était le messager d'Allah qui m'interpelait et prenait l'initiative de m'apprendre quelque chose". Le savoir de Ali est devenu aussi légendaire que la personne. Combien l'imagination populaire n'a-t-elle pas rapporté d'histoires extraordinaires... Mais cette imagination populaire ne peut ignorer la réalité de sa science, sa modestie et son ascétisme.

Qu'Allah bénisse le calife Ali Ibn Abou Talib, et qu'il le comble de ses bienfaits, qu'il honore sa face et qu'il soit satisfait de lui pour tout le bien et toute la science qu'il apporta à la communauté

Ali Ibn Abou Talib Qu'Allah soit satisfait de lui et qu'il honore sa face.

par Hoda Hussein Chaâraoui

L'éloquence de Ali

Le calife Ali Ibn Abou Talib - qu'Allah soit satisfait de lui et qu'il honore sa face - était réputé pour son éloquence, sa science et sa sagesse. Ali était de ceux qui avaient appris par coeur tout le Coran et ainsi que la façon de le réciter comme le Prophète (b.s.). En décrivant la connaissance qu'il avait du livre d'Allah, il a dit: "Il n'y a pas un seul verset dont je ne connaisse la raison pour laquelle il a été révélé, la cause et le lieu de sa révélation. En vérité, mon seigneur m'a donné un coeur qui mémorise bien les choses, et une langue qui s'exprime facilement". Parmi les paroles du quatrième calife qu'Allah soit satisfait de lui on a rapporté ce qui suit: "Sachez que ce Coran est le meilleur des conseillers: il vous conseillera sans jamais vous léser et il vous guidera sans jamais vous égarer. Il est l'interlocuteur qui ne ment jamais. Quiconque s'assied en sa campagnie en sort guidé vers le bon chemin".

Il a dit aussi: "Le destin dépend des jours: un jour pour toi, un jour contre toi! Alors, quand il est en ta faveur, ne sois pas trop fier et sois modeste, et quand il est contre toi, sois patient'.

Kumaïl Ibn Ziyad, son disciple, a raconté que l'Imam Ali, l'avait pris par la main pour aller visiter les morts dans le cimetière et qu'ils s'étaient ensuite retirés dans un coin isolé du désert, l'Imam avait alors respiré profondément, puis lui dit: "Kumaïl Ibn Ziyad!, Les coeurs sont comme des réceptacles et les meilleurs d'entre eux sont ceux qui sont les plus conscients, les plus éveillés! Alors sois bien attentif à ce que je vais te dire. Il y a trois sortes d'hommes: le savant qui est guidé par Allah, et tout proche de Lui; celui qui cherche à acquérir la science pour se préserver de l'égarement, puis

cela : Il vous rassemblera le Jour de la Résurrection où que vous soyez et nul ne lui échappera. Allah détient toute chose y compris le pouvoir de donner la vie et la mort, de ressusciter et de ramener à la vie.

149- Où que tu sois, tourne ta face en direction de la Mosquée Sacrée, que tu sois dans ton lieu de séjour, au cours d'un voyage ou en quittant ta demeure. Ceci est la Vérité conforme à la sagesse d'**Allah** qui est compâtissant à ton égard. Veille à exécuter cela, toi et ton peuple; car **Allah** vous rétribuera de la meilleure des façons. **Allah** est omniscient et aucune de vos actions n'échappe à Son savoir.

150- Conforme - toi à l'ordre d'**Allah**, au sujet de la Qibla et veille à l'exécuter toi et ton peuple. Tourne ta face du coté de la Mosquée Sacrée, quel que soit le lieu par lequel tu pars durant tes voyages. Où que vous soyez dans tous les coins de la terre, que vous soyez résidents ou voyageurs, tournez - vous vers cette Qibla, pour couper court à tous les arguments par lesquels les opposants vous critiquent si vous ne respectez pas cet ordre de changer votre orientation. Les juifs diront : "*Comment Mohammad prie-t-il ; en se tournant vers le Temple de Jérusalem, alors que le prophète décrit par nos Livres devrait changer son orientation vers la Ka'ba?*" De leur côté, les polythéistes arabes diront : "*Comment prétend - il appartenir à la race d'Abraham, tout en ne respectant pas sa Qibla ?*" Toutefois, les injustes qui sont loin de la Vérité ne cesserront : urs discussions ni leur égarement, mais diront : "*Il ne s'est tourné vers la Ka'ba que par penchant pour la religion de son peuple et par amour pour son pays.*

Ne leur prêtez aucune attention car leurs objections ne vous causent aucun tort. Mais craignez-moi et ne désobéissez pas à mes ordres. Nous avons voulu par cet ordre parfaire nos bienfaits envers vous et pour que cette Qibla vers laquelle Nous vous avons dirigés soit plus aptes pour vous affermir dans le Droit Chemin.

151- Votre orientation vers la Mosquée Sacrée a eu lieu au moyen d'un messager choisi parmi vous et envoyé par Nous pour vous réciter des signes (versets) qui vous apprennent que Nous avons parachevé nos bienfaits pour vous, tout comme Nous avons parachevé pour vous ce bienfait-le Coran- Il purifie pratiquement vos âmes des souillures du polythéisme, des défauts de caractère et de coutumes et il s'adresse à vous d'une manière scientifique grâce au savoir contenu dans le Coran et aux sciences utiles et il vous enseigne ce que vous ignoriez. Vous viviez avant cela dans l'obscurantisme des ignorants et l'égarement des aveugles.

C'est ainsi que le Coran confirme que le changement d'orientation vers la Ka'ba dans la prière des musulmans était une révélation d'**Allah**.

De plus, c'est là que se trouve le sanctuaire d'Abraham, c'est donc une Qibla universelle bien qu'elle diffère de la Qibla des juifs. Voilà donc que Nous t'accordons ce que tu as demandé : dans ta prière tourne-toi vers la Mosquée Sacrée et vous les croyants, également, où que vous soyez faites de même. Quant aux gens du Livre qui désapprouvent que vous abandonniez la Qibla du Temple de Jérusalem, ils savent par leurs Livres que vous êtes les gens de la Ka'ba et ils savent également qu'**Allah** a voulu spécifier pour chaque religion une orientation qui lui est propre. C'est là la Vérité de la part de votre Seigneur. Pourtant ils veulent vous séduire et vous faire douter de votre religion. **Allah** ne les perd pas de vue et il les châtiera pour leurs actions.

145- Ce désaveu des gens du Livre n'est pas dû à un doute qu'un argument peut dissiper, mais c'est un refus par obstination et orgueil. Ô Messager, si même tu leur apportais tous les arguments formels que ta Qibla est la vraie, ils n'adopteront pas ta Qibla. Si les juifs parmi eux espèrent que tu reviendras à leur Qibla et s'ils disent que c'est là la condition de leur conversion à l'Islam, ils seront bien déçus : tu n'adopteras point leur Qibla. D'ailleurs, les gens du Livre eux - mêmes tiennent chacun à sa Qibla : ni les chrétiens adoptent la Qibla ... (des juifs), ni les juifs adoptent celle des chrétiens, et chaque parti est convaincu que l'autre a tort. Conforme - toi à ta Qibla et ne suis pas leurs désirs; celui qui se conforme à leurs désirs après avoir su qu'ils sont dans l'erreur et que ce que tu suis est la Vérité, sera considéré comme un injuste, profondément ancré dans l'injustice.

146- Les gens du Livre savent bien que le changement d'orientation de la Qibla est vrai et ils recounaissent que tu es bien le prophète mentionné dans leurs Livres et, parmi ce qui est dit de toi c'est que ce prophète prie en se dirigeant vers la Ka'ba. Ils connaissent ta prophétie et ta Qibla aussi clairement qu'ils connaissent leurs propres enfants. Toutefois, certains d'entre eux, cachent cette vérité qu'ils connaissent pour suivre leurs passions et par fanatisme erroné pour leur race afin de conserver leur puissance; c'est pourquoi ils essaient de vous égarer.

147- La Vérité c'est ce qui t'es venu de la part d'**Allah** - le Très - Haut - et non ce que disent les gens du Livre pour vous égarer. Ayez la certitude de cela et ne soyez point parmi les sceptiques et les hésitants. La question de la Qibla fait partie de cette Vérité, adoptez - la sans vous soucier des opposants.

148- Cette Qibla vers laquelle Nous t'avons orienté est ta Qibla et celle de ta communauté; ainsi chaque communauté a une Qibla vers laquelle elle s'oriente dans ses prières selon sa religion précédente, et il n'y a là aucune préférence; mais la préférence sera en fonction de l'obéissance et des actes pieux : empressez - vous donc de faire le bien et surpassez - vous dans ce domaine. **Allah** vous jugera sur

Le changement d'orientation de la Qibla

par Dr Rokeya GABR

Voici ce qu'on trouve dans le Coran , d'après les versets 142 à 151 de la Sourate "Al Baqara " (La Vache) au sujet du changement d'orientation de la "Qibla".

142 - Les simples d'esprit, parmi les juifs, les polythéistes et les hypocrites, que leurs passions ont égarés en les empêchant de penser et de réfléchir, critiqueront les croyants parce qu'ils ont changé l'orientation de leurs prières (Al Qibla) du Temple de Jérusalem vers lequel ils se dirigeaient en priant, à une autre Qibla qui est la Ka'ba. Dis-leur, ô Prophète, que toutes les direction appartiennent à **Allah** et qu'aucune n'est préférable à l'autre et que c'est **Allah** qui choisit l'orientation qu'Il veut pour être une Qibla pour la prière. C'est par Sa volonté qu'Il guide chaque peuple vers une voie droite qu'Il lui choisit en particulier. Le Message de Mohammad a abrogé tous les messages qui l'ont précédé; ainsi la vraie Qibla est devenue la Ka'ba [1].

143- C'est par cette volonté que Nous vous avons guidés vers la Voie la plus droite et que Nous avons fait de vous une communauté modérée et élue meilleure grâce à la religion authentique et aux actions pieuses vers lesquels Nous vous avons guidés afin que vous confirmiez la Vérité au sujet des religions précédentes et afin que le Messager ait la suprématie sur vous en vous corrigeant par ses directives durant sa vie et par son exemple et sa tradition après sa mort. Quant à l'orientation (Qibla) vers le Temple de Jérusalem que Nous t'avons prescrit d'adopter durant un certain temps, elle était une épreuve pour les musulmans afin de distinguer ceux qui sont soumis et qui s'y plient docilement de ceux qui, dominés par leur fanatisme arabe pour le patimoine d'Abraham, se rebellent contre les ordres d'**Allah** et qui égaré de la Voie Droite. Or, l'ordre de se tourner vers le Temple de Jérusalem était parmi les choses qui étaient pénibles, sauf pour celui qu'**Allah** avait guidé, Le fait de se plier à cet ordre faisait partie des fondements de la foi. Celui qui s'était tourné vers le Temple de Jérusalem au moment où l'ordre fut révélé (de se tourner vers la Ka'ba) sera tojours considéré comme un croyant, et cela par la clémence et la miséricorde d'**Allah**.

144- Nous avons vu comment tu te tournais vers le ciel avec l'espoir de recevoir une révélation relative au changement d'orientation de la prière du Temple de Jérusalem à la Ka'ba que tu aimes parce qu'elle était la Qibla d'Abraham, le père des prophètes, l'ancêtre des juifs et des arabes.

Note 1 (v 142) : Le changement d'orientation de la Qibla eut lieu environ dix -sept mois après l'arrivée du Prophète Mohammad (b.o.) à Médine.

REVUE
AL AZHAR

Vol. 67 Part VIII

Shaban 1415 Hijrah

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

(4) Causing people to feel frustrated about Islam and its callers to the extent that they feel deep in their hearts that there is no use in any Islamic action as long as it is going to be hit from the outside or corroded from the inside.

(5) It is better for those reforms, who seek perfection without destruction, killing or sabotaging, to read God's saying to the prophet's (MPBUH) companions after the battle of Uhud :

أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥

"What ! when a single Dissater smites you, Although ye smote (your enemies) with one turice as great, Do ye say? "whence is this?" Say (to them): "It is from yourselves : For Allah hath power over all things."

"Surat : Ali 'Imran, 165"
(Yusuf Ali, P. 171)

Therefae, you our Muslim youth be faithful soliders to the Islamic call (Al Daawa) be aware of your mission and perform your call discerningly. Try to ease and not to complicate or discourage people. Have faith in people and trust them. Follow the path of those who are well known for their wide knowledge, sincerity, faithfulness, piety and moderation in order to enable the Muslims understand the truth of their religion and its aims.

• This essay is bassed on the essay written by Soliman Abdel Hamid El Feqi (Al-Azhar magazine).

"Invite (all) to the way of thy lord with wisdom And beautiful preaching: And argue with them In ways that are best And most gracious".

"Surat : Al Nahl, 125"
(Yusuf Ali; P. 669)

As well as in this saying :

قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

"Say thou : "this is my Way : I do invite unto Allah. On evidence clear as the seeing with one's eyes. I and whoever follows me. Glory to Allah ! and never will I join gods with Allah"

"Surat : Yusuf, 108"
(Yusuf Ali, P. 582)

Thus, exaggeration and fanaticism are legislatively refused whatever the reasons may be, for they are disgusting matters and they cause destruction. Fanaticism is a phenomenan that had prevailed among the followers of the previous religions and had caused them complete destruction. God, the Most Exalted, says about them :

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ

"Say : "People of the book ! Exceed not in your religion the bounds (of what is proper) Trespassing beyond the truth, Nor follow the vain desires Of people who went wrong In times goneby-who misled Many, and strayed (themselves) From the even Way."

"Surat : Al Ma'idah, 77"
(Yusuf Ali, P. 273)

Hence, this means that there is no extermism or fanaticism or exaggeration in Islam. If the enemies of Islam wanted really to fight extermism they would not unjustly disgrace the religion of moderation by describing it as being the religion of extermism and rigidity. Their real aim is to defame Islam by several means :

(1) Dicouraging Muslims from abiding by their religion as a system of ruling and a method of life for its being, as they claim, a religion of extermism, complexity and severity.

(2) Preoccupying the minds of the Muslim youth with trivial matters and wasting their intellectual efforts and their energy in heartily calling for these matters, arguing about them, and even fighting over them so as to be preoccuppied with anything other than the decisive issues.

(3) Spreading division among the different Islamic powers so as not to direct their efforts against their common enemy but to conflict among themselves and exchange accusations to the extent that they may accuse one another of atrocity and infidelity. Thus, they destroy one another and undermine one another by their own hands. Meanwhile, the lurking enemy is happily watching what is going on among these conflicting powers and it is possible, when necessary, to interfere to finish off their remanents.

Malicious Slogans*

By: Nahed Muhamad Wasfi Ph.D.

There are many of those who want to distort the image of Islam by falsehood and deception in the name of enlightnment and renovation, or development and modernization, or extermism and terrorism, or under the pretext of protecting art and creativeness, or fighting rigidity, or under any other allegations or glittering slogans by which the proponents of obscurantism and darkness sweeten their poisons, wrap their dissipation and their abandonment of virtues. Thus, the fields of confrantation have become numerous, the forms of conspiracy have varied, and the aim is quite clear and quite known :

وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟

"Fighting you until they turn you back from your faith If they can"

"Surat : Al Baqarah, 217"
(Yusuf Ali, P. 87)

Those aliens who claim to be supporting and protecting Islam are much in need to abide by the guidance of Islam in their call (Daawa) and in their behairour. Also those who seek real enlightnment are much in need to benefit from Islam as a religion based on moderation. It is only then that the nation can unite, can line up its soliders and can mobilize itself to confront its greatest enemy.

Islam is a religion which is justly balanced. It is the religion of moderation, easiness and not complexity :

يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ

"Allah intends every facility for you; he does not want to put you to difficulties"

"Surat: Al Baqarah, 185"
(Yusuf Ali, P. 74)

The Islamic nation is a nation that has been described as being a justly balanced nation :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا

"Thus we have made of you An Ummah justly balanced that ye might be witnesses over the nations, And the Messenger a witness over yourselves."

"Surat : Al Baqarah, 143"
(Yusuf Ali, P. 58)

The call for Islam (Al Daawa) is governed by a number of fixed and precise criteria which do not change or alter. God, the Most Dignified and Glorified, clarifies these criteria in this saying :

ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ (١٢٥) سورة النحل

the Book at a higher rank and treated them more honourably. Allah, the Almighty, says in the Surah of the Spider:

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ
إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾

"And argue not with the People of the Scripture unless it be in (a way) that is better, save with such of them as do wrong; and say: We believe in that which has been revealed unto us and revealed unto you; our God and your God is One, and unto Him we surrender".

(Surah The Spider-ayah: 46)

Islam distinguishes three categories of non-Muslims: the fighters, those who have a treaty with the Muslims and the Ahlu-l-zimmah.

As regards fighters, Islam has ruled that Muslims should fight them back if they attack them. If, on the other hand, they plan to attack Muslims, then Muslims should take initiative to prevent them. Muslims are to correct them if they violate what is right till they resort once more to justice. Allah, the Almighty says in Surah Al Hajj (The Pilgrimage).

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ

"Sanction in given unto those who fight (who are fought by the aggressors) because they have been wronged (their enemies have treated them unfairly); and Allah is indeed able to give them victory;").

(Surah The Pilgrimage-ayah: 39).

Allah, the Almighty, also says in Surah Al Baqarah (The Cow):

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

"Fight in the way of Allah against those who fight against you, but begin not hostilities. Lo! Allah loveth not aggressors".

(Surah The Cow-ayah: 190).

Fighting cannot be considered for the cause of Allah, unless Muslims abide by the gratification of Allah. Nothing but equity, justice, mercy, preferrence of what is right over what is wrong and of good over evil in all deeds gratifies Allah, the Almighty. He who trangresses this shall not be regarded as following his way; neither would be considered by Muslims as legal. Details of Islamic legislation concering war and fighting parties, as found in the Holy Quran and the Traditions of the Prophet. (MPBUH) indicate that Islam has prescribed sublime human principles be implemented in battle fields. It has regarded it as a debt to be accounted for before Allah, the Almighty, in addition to shame inflicted upon them if this world if they violate these sublime principles. No other nation has reached a level equal to that of Muslims in this respect. For Muslims have carried out these principles with mercy and kindness since fourteen centuries ago.

To be continued

How does Islam consider those foreigners? What are Islam's orders towards them?

His Eminence replied :

Islam considers all Messages of Allah as one religion with common principles, spirit and aims regardless of their different forms, manifestations and development. Islam was therefore, the sole religion known to human beings as calling for honouring all Messengers and Prophets of Allah. Allah, the Almighty says at the end of Surah "BAQARAH" (THE COW) :

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ

"The messenger believeth in that which has been revealed unto him from his lord and (so do) the believers. Each one believeth in Allah and His angels and His scriptures and His messengers — Marmaduke Pikthal.

(Surah THE COW, Ayah : 285).

Such an Islamic view of all Allah's religions and messages as characterised by a common origin and common objective, first resulted in that Muslims do not bear any grudges nor hostility to any of the religions of Allah. Furthermore, Muslims are to mention those who conveyed the Messages of Allah to people on earth with grandeur, reverence and honour. If they are to mention any of the prophets names, it must be preceded by the term "Sayedna" (our master) such as in Sayedna Ibrahim. (MPBUH), Sayedna Moussa (al Kaleem (the mouth piece of Allah) (MPBUH) and Sayedna Eissa Al Massih (MPBUH). This term is uttered out of deep faith and belief because our Holy Quran has demanded us to believe in that and to reiterate, after him:

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ

"We make no distinction between any of His messengers" (Surah The Cow, ayah; 285).

Undoubtedly, Islam was the first of all world religions to declare this principle in Surah "BAQARAH":

There is no compulsion in religion. The right direction is henceforth distinct from error" (Surah The Cow, ayah: 256).

لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ

Humanity has never heard of the call for such a belief in any country on earth, until it was imposed in Al Hagaz and until it was stipulated for as one of the basic tenets related to essence of Islamic faith.

Any Muslim who defies or transgresses such a tenet, he will be considered as transgressing one of the great pillars of his belief in Islam.

The Holy Quran refers to those who follow the Torah (The Old Testment) or the Injeel (the bible) as Ahlu-1- Kitab (The People of the Book). Islam showning an unprecedent and surprising tolerance towards all human beings, has placed the People of

ISLAM'S TOLERANCE IN DEALING WITH NON-MUSLIMS

Part I

by : Dalal Mahmoud El Gemei

Islam in these days, is surrounded by a number of false allegations and false rumours. These rumours are spread by malicious people or who those are full of hatred towards Islam and its followers. Such people come up with false claims and lies that Islam adopts a hostile attitude towards non-Muslims.

Islam is a religion of tolerance and sublime principles that forbids injustice and deceit while prescribing the fulfillment of pledges. It obligates upon us rights for the 'ahlu-l-zimmah (Free non-Muslims subjects living in Muslim countries who, in return for paying the capital tax, enjoyed protection and safety), since they are in our neighbourhood and are under protection of Allah, the Almighty, the Prophet (MPBUH) and of the religion of Islam.

The late Grand Sheikh Muhammed El Khedr, the former Grand Sheikh of Al Azhar elaborated on the tolerance of Islam in an interview with AL AHRAM reporter. The reporter asked the Grand Sheikh of Al Azhar.

Q : What is to become of foreigners living in Egypt? What are Islamic Shariah (legislation) rulings?

* This eassay is bassed on the essay written by AL - Kheidr Husein Grand Sheikh of Al-Azhar

turned his back to their religion and his face to their "Qibla". The will of Allah the Supreme was to let Islam include all the previous religions and provide sanctity to the whole. That was why Allah the Most Great took His prophet Muhammad (MPBUH) in a journey by night from Mecca to the "Farthest Mosque". He aimed by this to include the "Farthest Mosque" within the Islamic domain. His will not to let "Al Kaba" be the "Qibla" of Muslims at first because it was considered the House of Arabs. Arabs used to put their sacred statues inside it to give them sanctity.

That was a clear confession of the holyness of "Al Kaba" by itself not by their statues.

Allah the most Merciful wants Muslims to obey His orders without questioning. He wants faith to dominate over their minds as well as their hearts. If He tells us the reasons of every order, then no need to have faith and, thus it becomes a matter of discussion and convincement. If we face the "Farthest Mosque" in our prayers, we are then obeying the order of Allah the Supreme. If He says direct your faces to "Al Kaba", we will obediantly face "Al Kaba".

The Attitude of Disbelievers and Jews.

Both, the disbelievers and the Jews made a joke about the shift in Qibla. They told Prophet Muhammad (MPBUH) that his prayers were not valid when he used to pray in the direction of Jerusalem. They also said that, if the Qibla was to Jerusalem, then his prayers in the direction of "Mecca" were not valid. We tell them; do not separate the command from it's time-limit. The "Farthest Mosque' was "Al Qibla" of Muslims during a certain period of time and "Al Kaba" is the "Qibla" in the time-being. There is no overlap between them. A lot of people died before the shift in Qibla, they used to pray in the direction of Jerusalem.

Those were obedient and faithful to Allah the All-knowing, and therefore; He will never undermine their worship.

The shift of the Qibla confirmed Prophet Muhammad's (MPBUH) Mission Authenticity.

Inspite of the fact that the people of the Book "Ahl Al Ketab" knew the traits qnd signs of the last prophet, yet they denied Muhammad's (MPBUH) prophesy. Among the signs of the coming of the last prophet is that he would turn his "Qibla" from the "Farthest Mosque" to "Al Kaba". That was supposed to be a consolidator to their belief in Prophet Muhammad's (MPBUH) mission, but it led them to Further disobedience and disbelief.

It was a clear command from Allah the Supreme to His apostle and prophet to make the shift in the direction of "Al Kaba". The prophet's (MPBUH) desire for the shift was implied in the verse, and his sentiments toward "Al Kaba" were harmonized and emphasized by the divine decree.

The revelation of the previous verse happened in "Bani Salama" mosque in "Al Medina", as a result, Muslims turned their faces automatically from one direction to the other. This mosque now, is known by "The Mosque of The Two Qiblas."

In order not to understand that the shift in direction of Qibla was in the mosque only, Allah the Supreme made it clear by saying :

Wherever ye are, turn your faces in that direction."

The Jews were unsatisfied and denied what the prophet (MPBUH) said as a "Quranic" truth, so they tried to seduce prophet Muhammad (MPBUH) by promising him loyalty, if he would turn back to the first "Qibla" (the Farthest Mosque in Jerusalem). As a result, the following verse was revealed :

In the name of Allah Most Gracious, Most Merciful.

وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن
كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

"Thus have We made of you An Umma justly balanced, that ye might be witnesses over the Nations, And the Apostle a witness over yourselves; and We appointed the Qibla to which thou wast used, only to test those Who followed the Apostle from Those who would turn on their Heels (from the Faith) Indeed it was (A change) Momentous, except to those Guided by Allah, and never Would Allah make your faith of no effect. For Allah is to all people Most Surelyfull Of Kindness, Most Merciful." **Sura II verse 143.**

THE FOOLS WILL ARGUE

Allah the All-Knowing told His messenger Muhammad, (MPBUH), that the shift in Qibla direction would be a cause to a vigorous shake and to a useless argument.

In the name of Allah Most Gracious, Most Merciful.

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ
يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾

"The fools among the people Will say : "What hath turned Them from the Qibla to which They were used ? Say : To Allah belong both East and West : He guideth Whom He Will to a way that is straight."

Sura II. verse 142

It was what happened excactly. The disbelievers in Mecca claimed that "Al Kaba" was their own House and that of their ancestors. They denied it's belongingness to Allah the Supreme. Thus, the prime divine choice of Qibla was to be "Farthest Mosque" in Jerusalem. However, the Jews too argued that prophet Muhammad (MPBHU),

If one meditates, first, in the word "House", one will get all what the word implies. A House is a place where one finds shelter and wormth. By choosing the word "House" Allah, the supreme tells us that all creatures find their shelter and relief in that particular place. Secondly, the word "Assembly" in the Arabic context is "Mathaba" meaning the desire for a repetative assembly or gathering again. That is why, the pilgrims that go there once develop the desire to go there again and again. Therefore, the on-going flow of pilgrims never ends and people love to visit there several times.

"Al Kaba" is the House of Allah by His Own choice, but all the other mosques of the world are Houses of Allah chosen by Muslim people. It is thus logical that "Al Kaba", the House of Allah by (His) Own choice be "Al Qibla" of all mosques.

The Historical dimension of "Al Qibla" :

In the name of Allah, Most Gracious Most Merciful.

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾

"The first House (of worship) Appointed for men was that of Bakka : Full of blessing And of guidance for all kinds of beings." **Sura III verse 96.**

Allah, the All knowing, tells us that "Al Kaba" had been the first "Qibla" and then the shift from it was to the "Farthest Mosque" in Jerusalem. It continued to be "Al Qibla" since prophet Moses, peace be upon him until prophet Muhammad, peace be upon him.

Even after the prophet's immigration from Mecca to Al Medina, the Jews of Al Medina never stop their sneaky and envious ways of questioning prophet Muhammad, peace be upon him. They aimed at expelling him and the rest of the Muslims from "Al Medina".

In order to realize their aim, they tried to convince the prophet to leave "Al Madina." They referred to the fact that all the previous messengers went to Jerusalem and settled there.

Thus as a true messenger, he had to do the same, and to consider his immigration to "Al Medina" a mid-way from Mecca to the "Farthest Mosque" city (Jerusalem).

However, Muhammad (MPBUH) did not need much time to understand that the Jews were using their slyness to expel him out of "Al Medina".

After being in "Al Medina" for seventeen months and in the fifteenth of Sha'ban, the following Quranic verse was revealed to prophet Muhammad (MPBUH) : In the name of Allah Most Gracious, Most Merciful.

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

"We see the turning of thy face (for guidance) to the Heavens : now shall We turn thee to a Qibla that shall please thee. Turn then Thy face in the direction of the Sacred Mosque : Wherever ye Are, turn your face in that Direction. The people of the Book know well that that is the Truth from their Lord. Nor is Allah unmindful of what they do."

Sura II verse 144.

THE PREDESTINATION

OF THE SHIFT OF THE QIBLA

By : Wiaam Kamal Gabr

The Qibla is the direction to which Muslims turn their faces in prayers, of course, it has been set forth by a divine decree. One of its major aims , is to unify the direction of Muslims in prayers implying that Allah, the Supreme, wants Muslims to be duected to the same center. We should differentiate between the direction in prayers and that away from prayers. In praying we have to turn our faces and direct our bodies toward a specific place that had been chosen by Allah, the Supreme, (Qbila).

Muslims all around the world pray towards the direction of "Al Ka'ba". "Al Ka'ba" does not change its position, but our directions differ from one place to another. Some turn their faces to the North, others to the south, others to the East and the rest to the West. Each one turns to a different direction according to his location on earth in relation to "Mecca". Although we Muslims are scattered all around the world but we meet in the turning of our faces to a single center.

In the name of Allah, Most Gracious Most Merciful.

وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

* *"To Allah belong the East and The West : whithersover ye turn, There is the presence of Allah, For Allah is All-pervading, All-knowing"* Sura II. verse 115.

Allah, the Creator of All beings wants us to know that East is not one direction but many, each place on earth has its East and West directions. When the sun rises in a place, it simultaneously sets in another and after a minute it rises in a different place and sets in another and so on. Besides, if one observes East and West in relation to the apparent sunrise and sunset, he will find that it is an endless process of sunset and sunrise taking place every minute.

The direction of "Al Qibla" is to "Al Ka'ba" which has been named by Allah the Supreme "Bayt Allah Al Haram", or "The Sacred House of Allah."

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ
لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

"Remember We made the House A place of assembly for men and A place of safety; and take ye the station of Abraham as a place of prayer; and We covenanted with Abraham and Isma'il, that they should sanctify My House for those Who compass it round, or use it as a retreat, or bow, or prostrate themselves (therein in prayer)" Sura II verse 125.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 67 Part VIII

Shaban 1415 Hijrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس

● الافتتاحية (ثلاث فى أصحابها)
بقلم د. على أحمد الخطيب ١٠١٧
● مع الإمام الأكبر
ـ ليلة النصف من شعبان ١٠٢٠
ـ فتوى «عدم الإنجاب لايجيز الفسخ» ١٠٢٣
ـ كلمة فضيلته فى المؤتمر الطبى السادس ١٠٢٧
● مع سورة المجادلة
للأستاذ الدكتور / عبدالجليل شلبى ١٠٢٩
● النص القرآنى هو الفيصل
أ. د. محمد رجب البيومى ١٠٣٤
● من هم السفهاء ؟
للشيخ السيد عبد المقصود عسكر ١٠٣٩
● النسخ فى الشريعة الإسلامية
أ. د. محمد سعاد جلال ١٠٤٣
● حديث حول العرض على كتاب الله
للأستاذ أحمد عبد الفتاح عبد المعطى ١٠٥٢
● قبس من أنوار النبوة
الإسلام ينهى عن تتبع العورات
لفضيلة الشيخ/ على حامد عبد الرحيم ... ١٠٥٤
● آداب الاستئذان
لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ١٠٥٧
● الزار.
لفضيلة الشيخ عطية صقر ١٠٦٣
● المسيح المنتظر عند اليهود
د. محمد حسن عبد الخالق ١٠٦٨
● السمع والبصر فى عصر الأطباق
أ. د. صفوت حسن لطفى ١٠٧١
● معلومات أساسية لفهم المسألة الشاشانية
د. محمد حرب ١٠٧٥
● الفتـاوى
للأستاذ عبد المنعم فودة ١٠٨١
● من أعلام الأزهر «الشيخ عبد العزيز عيسى»
للمستشار/ سيف النصر المجلى ١٠٨٣
● قصيدة رثاء «الشيخ عبد العزيز عيسى»
أ. د. سعد ظلام ١٠٨٧
● من أعلام الأزهر «الدكتور عبد الوهاب عزام»
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١٠٩٨
● من روائع الماضى
للأستاذ عبد الفتاح الزيات ١١٠٠
● الشعر والشعراء ●
تقديم الأستاذ رشاد محمد يوسف ١١٠٤
● العلوم الكونية ●
● من آيات الله فى الكون
أ. د. أحمد فؤاد باشا ١١٠٨
● الحاسوب والعلوم الشرعية
للأستاذ/ نبيل صلاح العربى ١١١٣
● البنسلين وعلاقته بالحمى الروماتيزمية
د. جيهان أحمد حافظ ١١١٨
● الجديد فى العلم والتقنية
د. نجوى السيد أحمد ١١٢١
● اللغة والأدب والنقد ●
● الأثر العربى فى اللغة السواحيلية
للأستاذ عادل رفاعى خفاجة ١١٢٤
● جليلة رضا والعودة إلى المحارة
للأستاذ/ محمد عبد الوهاب ١١٢٨
● صناعة الجوع
للأستاذ مصطفى دسوقى كسبة ١١٣٤
● ابن خلدون (٢)
للأستاذ عبد السلام ناصف ١١٣٩
● بين المجلة والقارىء
د. محمد عبد الحكيم محمد ١١٤٤
● على هامش المؤتمر الإسلامى
للأستاذ عمر البسطويسى على ١١٥٠
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذين: عمر البسطويسى
ومصطفى عبد المجيد ١١٥٣
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير ١١٥٧
● القسم الفرنسى ١١٦٤
● القسم الإنجليزى ١١٧٥

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير .. ادارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين .

رمضان ربيع الإيمان

« ربيع الإيمان » هذا العنوان إحدى إشراقات حديث رسول الله ﷺ الذى رواه أبو سعيد الخدرى فقال ، قال رسول الله ﷺ : « الشتاء ربيع المؤمن »(١) .

من هذا الحديث الشريف كانت استعارة هذا العنوان لافتتاحية « رمضان » المبارك الذى جاء فى جوف الشتاء .

وإذا لم يكن رمضان - وقد أتانا هذا العام فى جوف الشتاء - ربيع الإيمان فما يكون .. ؟!

رمضان الذى يصبغ بملائكته نفوس المؤمنين ، ويمنع عنهم فيح جهنم ، ويَغُلُّ عنهم الشياطين ويهديهم إلى طاعات تراشقت أصولها فازدان ثوابها بمضاعفات لا تخطر لهم على بال ، فالصلاة فى نهاره قد تمت فى صوم فقدمت من خلال فريضة ، والصيام فيه توج بالصلاة فَعَمِرَ بالذكر وازداد فيه الإيمان ، وكثرت فيه الصدقة على أى قدر كانت .

---

(١) مسند أحمد ٧٥/٣ .

وجرى على لسان المسلمين تهنئة حلوة بحياة كَثيرةٍ بالخير والسعادة والعودة لمثله على خير حال ، ولم تخل لياليه من قرآن وذكر وقيام ، فتواصل خيره وتلاحقت حيويته حتى ازدهرت فيه القلوب بثمار الإيمان ــ صفاته ورحمته ، وجوده ورقته ــ إنه رمضان وكفى .. !

و (رمضانُنا) هذا العام جاء فى جوف الشتاء .. ربيع المؤمن ، فاجتمعت له فضائل الشتاء إلى فضيلته فحاز الحُسْنَيَيْن :

زَخَرَ حديث رسول الله ﷺ : « الشتاء ربيع المؤمن » بضروب من البلاغة ذات الواقع الرائع فى حياة كثير من المؤمنين :

معلوم موقع الربيع من فصول العام ، وما يحدثه فى الأرض وكل ما يدب عليها .

إنه ــ بداية ــ يتمتع بجو لطيف ، قد خلا من صقيع البرد وسموم الحر ، فاعتدل نسيمه رطبا فى غير عنف ، سهلا بكل لطف .

ويشاء الله أن يُسْرِى فيه حيوية ناضرة تبدو ألوانا رائعة فى الزهور والأشجار ؛ بل وفى الإنسان والحيوان فتستمد فيه الحياة شبابا يطيل فى خيرها ، ويكثر من عمرانها .

كل هذا الجمال يستعيره رسول الله ﷺ لطاعة المؤمن حين يمارسها عبادة فى وقت يتيسر له فيه ممارسة الطاعات ، وهو فى أتم حال من النشاط والراحة ؛ ذلك لأن ليل الشتاء طويل ، ليس كليل الصيف مما يتيح للإنسان فيه أن ينام مِلء جفنيه ، ثم يقوم ولا زال الليل باقيا ، وهو بهذه الخاصية يتيح للمؤمن أن يلتقى بخالقه ــ عز وجل ــ فى جوف الليل ، أو فى أواخره ، بصلاة وذكر وقرآن لاسيما فى وقت السَّحر . خير أوقات الإجابة لكل ما يريده الإنسان من خير ومغفرة ، وزوال كرب ، والتماس فرج .

روى مسلم ــ فى صحيحه ــ هذا الحديث القدسى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ عن رسول الله ﷺ قال : « ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة ــ حين يمضى ثُلُثُ الليل الأول ، فيقول :

(أنا الْمَلِكُ ، أنا الْمَلِكَ

من ذا الذى يدعونى فأستجيب له .

من ذا الذى يسألنى فأعطيه .

من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له) .

فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر » .

والحديث القدسى عام يتناول الشتاء كما يتناول الصيف ، والفرصة فيه تتوفر فى ليل الشتاء أكثر وأسهل من توفرها فى ليل الصيف ، وعسى أن يكون افتراصها سببا لممارستها دائما فيستمر إحسانها بالإجابة والعطاء والمغفرة،فإن العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله ، صدق رسول الله ﷺ .

د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

هدية الله وهداية للمسلمين في رمضان

بقلم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

من عظمة الإسلام أنه دين العقل والعلم .. وأنه دستور الحياة وقانون الوجود .. ولذلك أشاد بالعلم بعد أن جعل القراءة له طريقا وسبيلا .. قاصدا من وراء ذلك إبعاد الإنسان عن الجهالة والضلال .. وإقصاءه عن الخرافات والأساطير .. موجهاله إلى آفاق المعرفة الوضيئة المشرقة .. التى تقودة إلى الإيمان .. إذ أن رحلة المعرفة تبدأ بالنظر الذى يعمق وتتسع دائرته حتى يكون استقراء يصل به إلى استدلال يثمر الايمان .

وإذا كان الإسلام يدعو إلى العلم ، فإنما يعنى العلم الصادق النافع النابع من العلم الذى يرقى بالإنسان فى دنياه وأخراه .. أما إذا انحرف العلم عن هذه الحقيقة كان جهلا مظلما عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ سورة الروم (٧)

ومن هنا كانت أول آيات القرآن نزولا :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾

ثم كيف تقرأ . ؟ . وماذا تقرأ . ؟

إقرأ : أربعة حروف كانت فاتحة أول ما نزل من القرآن الكريم ، فكانت نورا أنار بصيرة الإنسان وشدت قلبه إلى ما فيه من خيره ، وهَدَاه ضِيَاءُ هذا النور إلى أوثق طريق للمعرفة . إقرأ :

هذا هو السبيل الموصل جيدا إلى علم اليقين فى كل ما تريد التعرف عليه وأيا كانت درجة ثقافتك وإجادتك .

إن : إقرأ : نزلت على رسول أمى لم يعرف قراءة الكتب ولاكتابتها فما هو الكتاب الذى طلب منه قراءته . ؟

إنه الإنسان : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ .

هذا النبى الذى لم يجلس إلى معلم يستكتبه ويستقرؤه ، يقرأ خلق الإنسان ويتكرر لفظ إقرأ : عناية ومزيد اهتمام ليقرأ الإنسان ويأتى القلم وسيلة الكتابة والتدوين للعلم الذى يفتحه ويمنحه بنى الإنسان . هل استمع النأس إلى هذا التوجيه . ؟ . أم ضلوا السبيل ؟ .

حين ننظر فى طرائقهم إلى المعرفة نجدها قد سلكت مناحى شتى فمن الناس من أهدر الحواس والعقل وأنكر حتى وجود نفسه ، ومنهم من اتخذ الشك والهدم وسيلة لليقين ، ومنهم من اعتمد على الحواس وحدها ، ومنهم من رفع العقل فوق كل ذلك وجعل حُكمه نافذا وتصوارته هى صواب الأمر وسداده ، ثم كان أولئك الذين فرقوا بين عالم الحس التجريبى وعالم الشعور وجعلوا لكل منهما مجالا ومنهاجا فى القراءة والإفادة .

ولكن إقرأ : فى القرآن كانت على غير كل ذلك وفوق كل أولئك .

إقرأ : هذا نهج علمى تطبيقى بعيد عن جدل النظريات وظنون الفروض التى تضل فيها الأفهام وتتفاوت فى مقاييسها العقول .

إقرأ : استفد من علم الغير وتجربته معاصرا لك أو سابقا عليك ثم اطلب الحقيقة بالعقل والتجربة محترسا من الانحراف والزلل ومتحسسا مواقع قدمك وبهذا تتوارث الإنسانية العلم الذى يعلمه الله الإنسان ، وينهض جيل الآباء بتعليم جيل الأبناء والأحفاد ، وتتقدم الإنسانية إلى مدارج الرقى والكمال الإنسانى .

إقرأ : أيها الإنسان أميا كنت أو قارئا أو كاتبا ، فلكل حظه فى القراءة والتعلم ، وكل إنسان على نفسه بصيرة يعرفها طريق النور والخير ويصرفها عن الهوى والغواية والشر .

ومن هنا : كان التوجيه فى القرآن : إقرأ : هذه الموجودات وأولها الإنسان مم خلق ؟ ثم هذا العلم الذى علمه الله الإنسان بالقلم وبهذا كانت القراءة والقلم والعلم من لوازم رقى الإنسان وبلوغه شأوا بعيدا من الكمال فى حياته وفى السيطرة على سائر الموجودات من حوله بالرغم من أنه أضعفها بناء .

إقرأ : بالرغم من تنوع وسائل تحصيل الثقافة والعلم فما تزال القراءة أوثق هذه الوسائل وأكثرها نماء وبقاء ونقاء ، يزود القارىء غيره بما حصله بعد أن يمحصه قولا صحيحا أو علما مفيدا أو تجربة مثمرة .

هذه القراءة : نشأت فحول العلماء ، وطوعت الفصاحة على ألسنة البلغاء ، وزودت الشعراء وأفاضت الغزير من المعرفة على الأدباء .

هذه القراءة : جعلت من الطبيب أديبا ، ومن المهندس شاعرا مجيدا ، ومن الشاعر ناثرا وخطيبا .

ولو ذهبنا نستعيد التاريخ بعض ما حواه وطواه ، لوجدنا مُثلا فريدة فى الدأب والسهر قارئين مستوعبين ملأوا خزائن الكتب وأسواق الوراقين علما نافعا تقدم بالإنسان فكرا وعقلا وجسدا فهذه القطارات وتلك السيارات ، والطائرات والبواخر السابحات بين السحب والمتلاطم من الأمواج ، وهذا الطب ، وتلك الصناعات ، ثم هذا الأدب وتلك الفلسفة من أين وإلى أين !؟ .

من إقرأ : وإلى إقرأ . فبهذه الكلمة النيرة يتطور العلم وتسمو مراتبه وتحقق أهدافه ولكن كيف تقرأ . ؟

إن غاية الإنسان دائما الارتقاء بنفسه وبمن حوله ولكن أفراده دائما متفاوتون فى الفهم والعقل ، وإن كان من الخير لكل فرد أن يتعرف إلى أيسر الطرق ليقرأ ويستزيد من العلم والمعرفة ، بحيث يقف أولا على مايهوى من علوم وثقافة وما تتفتح له وبه مواهبه العقلية بل والنفسية حتى يقبل على ما يزيد نهمه للقراءة واستيعابه للعلم معرضا عن عويص المقروءات التى لم تتهيأ له موهبته أو تتقبله ملكاته راغبا فى اختيار ما يجدى من المعلومات وما يصلح حال الإنسان من الثقافات دون تضييع للوقت فيما لا يجدى نفعا من المناقشات المتناقضات .

وليست هذه دعوة للانغلاق والبعد عن تبادل الحوار المقروء والمسموع ، وإنما خذ الجرعة التى تحييك وتنمى فيك الحياة وكن كالطبيب الذى يتدرج مع المريض فى العلاج بالدواء فيسقيه النافع المناسب حتى تذوب علته ويستقيم عوده وعندئذ يطعمه الغذاء بديلا عن الدواء بعد ذهاب الداء ، إقرأ قول الله عز وجل :

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾

سورة الزمر

عود على بدء إلى أول حروف القرآن الكريم نزولا .. نورا وبصيرة ، هذه الحروف تقول إقرأ تجربة وعلما ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ .

سورة العلق

هذا الإنسان وغيره من الموجودات إقرأه أيها الإنسان ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ الآية ٢١ من سورة الذاريات .

فمن خَلْقِ الإنسان وتكوينه تعرف الإنسان إلى صنع كثير مما علمه الله فاستحدث من الآلات والأدوات ما استعان به فى حياته وتغلب بمقتضاه على صعابها ومشاقها .

وبالعلم الذى انبثق نورا وإلهاما من الله الخالق ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

تقدمت الإنسانية فانقادت للإنسان كل المخلوقات فها هو ذا بالعلم يغزو أعماق البحار ويركب متن الفضاء ويعلو فوق السحاب والشهب ويقف بقدميه فوق القمر ويستقدم معلومات وإشارات من الكواكب السيارة يتعرف بها عليها ويصل منها إليها . ماذا تقرأ أيها الإنسان ؟ .

إقرأ ما تفتحت له مداركك واستطاب له قلبك وكلما جهلت فقرأت فعلمت كنت مفيدا للإنسانية من حيث إفادتك نفسك .

إن الطفل يحبو قبل أن يقف على قدميه وحين يجازف بالمشى يقع على الأرض ولكنه ينسى ما حدث .. ويحاول مرة ومرات حتى تحمله قدماه وتخطو به فى مدارج هذه الحياة .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾
من الآية ٥٤ سورة الروم

وهكذا تتدرج بالمعرفة عن طريق « القلم والقراءة » اللذين قد نوّه بهما القرآن الكريم فى الكثير من آياته لما لهما من دور فعال . وأثر فى مجال الثقافة والرقى بالإنسان .

فكونوا أيها المسلمون فى « شهر رمضان » قُرَّاءا له متفقهين فى نصوصه مستنطبين من الخير الذى حواه فى الدين والدنيا ما تبرأ به صدوركم مما انطوت عليه من هوى جمح بكم بعيدا عن سواء السبيل وعن هدى الله وطريقه المستقيم .

وقولوا لهؤلاء المستوردين لكل فكر سقيم وجدل عقيم ما قال القرآن :

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ ﴾ .

سورة الجاثية

هذا شهر رمضان إقرأوا فيه أيها المسلمون وأصلحوا أنفسكم ونقوا صدوركم وتوبوا إلى ربكم ولن تفلحوا إلا بالقرآن ، ولن تصحوا إذا انحرفت بكم الأهواء وانغمستم فى بحار هذا الجدل المضلل واتبعتم أولئك الذين ابتدعوا فنونا من الضلال وذهبوا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، فحصنوا أنفسكم وأهلكم بالقرآن واتخذوا منه زادا ومددا تثبت به الأقدام وتعلو به الهام وتنشرح به الصدور وتنفرج الكروب وتجتمع القلوب وتتقارب الأفهام فتعتصم بحبل

الله وتنجاب عن الأمة الظلمات التى حجبت عنها العلوم والمعارف حتى صارت تابعة بعد أن كانت متبوعة ، وحاذروا أيها المسلمون أن يفرط عليكم أو يطغى هؤلاء الذين يلحون بمعارف منحولة ليست من ثقافتنا وهى مضادة لعقيدتنا وشريعتنا ولا تيمموا الخبيث مما ينفثون ولا تصيخوا له سمها ، فتكسبوا به وزرا وقد خاب من افترى .

هذا هو شهر رمضان قد أظلكم بخيره ، بقرآنه ، بقيامه ، فأخلصوا لله فيه العمل للدين وللدنيا ، ونموا فى أولادكم نوازع الخير والالتزام بأدب الإسلام وأخلاقه فإن هذا خير وأبقى وادفعوهم إلى طلب العلم كل العلم حتى ينتفعوا بخيره ويحذروا الانحراف عنه .

نعم ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ و ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ فقد أقسم الله بالقلم ارتفاعا بقدرة وتوجيها لعظم شأنه فكلما قرأت ازدادت معارفك وعلومك وتثبت نفسك بحب القراءة راغبة فى العلم ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ ولا تنسى أن الله ــ سبحانه :

﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾

سورة البقرة ــ آية ﴿٢٦٩﴾.

فى استقبال شهر رمضان أهنىء أمة الإسلام فى كافة أنحاء الأرض بل والإنسانية بهذا الشهر الذى اختصه الله بالفضل والفضائل وأى فضل أعلى وأغلى من إنزال القرآن فيه على خاتم الرسل محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعلى إخوانه الأنبياء ورسل الله فى ليلة مباركة هى خير من ألف شهر ، ولنعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ، فلنتخذ من صوم رمضان زاداً نتقرب به إلى الله ــ تعالى ، ومن القرآن مددا وعلاجا لأدوائنا وجمعا لكلمتنا :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ۝١٢٨ ﴾ . سورة النحل

فتوى للإمام الأكبر

بما يثبت دخول شهر رمضان و بما يدخل شهر شوال ويوم عيد الفطر

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وبعـــد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة من الأستاذ / الدكتور غياث الشلح متضمنة السؤال عن كيفية إثبات شهر رمضان والعيدين بالأدلـة النقليـة من علمـاء المذاهب الأربعة .

والجــواب

روى البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنـه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « صومـوا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

وقد بين هذا الحديث أنه متى ثبتت رؤية هلال رمضان فإن الصوم فى هذه الحالة يجب على جميع المسلمين بالإجماع ؛ أما إذا لم تثبت رؤية الهلال ـــ ولم يكن هنـاك مانـع بالسمـاء يحول دون رؤيته ـــ ففى هذه الحالة يجب إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما .

وكذلك إذا حالت دون رؤية الهلال سحب أو غيم أو نحوه مما يجعل رؤيته مستحيلة يجب إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما .

وفى سبيل توحيد بدء صيام رمضان وانتهائه ، قال جمهور الفقهاء : إنه لا عبرة باختلاف المطالع فى إثبات رؤية هلال رمضان ، وأنه إذا رؤى الهلال فى بلد ولم يره أهل بلد آخر ـــ يجب على أهل البلد الآخر الذين لم يروه أن يصوموا برؤية أولئك الذين رأوه .

قال الكمـال بن الهمـام الحنفــى صاحب « الفتح » : « وإذا ثبت فى مصر لزم سائر الناس ، فيلزم أهل المشرق برؤية أهل المغرب فى ظاهر المذهب لعموم الخطاب فى قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « صوموا لرؤيته » وقيل : يختلف باختلاف المطالع ، لأن السبب الشهر وانعقاده فى

حق قوم للرؤية لا يستلزم انعقاده فى حق آخرين مع اختلاف المطالع ..

وممن قال بهذا الرأى الشافعية ، فقد جاء فى « المجموع شرح المهذب » ما ملخصه : — « وإن رأوا هلال رمضان فى بلد ، ولم يروه فى آخر ، فإن تقارب البلدان فحكمهما حكم بلد واحد . ويلزم أهل البلد الآخر الصوم بلا خلاف ، وإن تباعدا فالصحيح أنه لا يجب الصوم على أهل البلد الأخرى » .

والراجح رأى الجمهور وهو أنه لا عبرة باختلاف المطالع لقوة دليله ، ولأنه يتفق مع ما يقصد إليه الشارع من وحدة المسلمين وجمع كلمتهم ، وأنه متى تحققت رؤية الهلال فى أى بلد من البلاد الإسلامية يمكن القول بوجوب الصوم على جميع المسلمين الذين تشترك بلادهم مع بلد الرؤية فى جزء من الليل .

هذا وقد استقر رأى علماء « مجمع البحوث الإسلامية » بالأزهر فى المؤتمر الثالث المنعقد بتاريخ ١٣ من رجب ١٣٨٦هـ — الموافق ٢٧ من اكتوبر ١٩٦٦م بشأن تحديد أوائل الشهور القمرية على ما يلى :

١ — يقرر المؤتمر :

(أ) أن الرؤية هى الأصل فى معرفة دخول أى شهر قمرى كما يدل عليه الحديث الشريف . فالرؤية هى الأساس ، لكن لا يعتمد عليها إذا تمكنت فيها التهم تمكنا قويا .

(ب) يكون ثبوت رؤية الهلال بالتواتر والاستفاضة ، كما يكون بخبر الواحد ذكرا كان أو أنثى ، إذا لم تتمكن التهمة فى إخباره لسبب من الأسباب ، ومن هذه الأسباب مخالفة الحساب الفلكى الموثوق به الصادر ممن يوثق به .

(جـ) خبر الواحد ملزم له ولمن يثق به ، أما إلزام الكافة فلا يكون إلا بعد ثبوت الرؤية عند من خصصته الدولة الإسلامية للنظر فى ذلك .

(د) يعتمد على الحساب فى إثبات دخول الشهر إذا لم تتحقق الرؤية ، ولم يتيسر الوصول إلى تمام الشهر السابق ثلاثين يوما .

٢ — يرى المؤتمر أنه لا عبرة باختلاف المطالع وإن تباعدت الأقاليم متى كانت مشتركة فى جزء من ليلة الرؤية وإن قل ، ويكون اختلاف المطالع معتبرا بين الأقاليم التى لا تشترك فى جزء من هذه الليلة .

٣ — يهيب المؤتمر بالشعوب والحكومات الإسلامية أن يكون فى كل إقليم إسلامى « هيئة إسلامية » يناط بها إثبات الشهور القمرية مع مراعاة اتصال بعضها ببعض والاتصال بالمراصد والفلكيين الموثوق بهم .

هذا ونميل إلى الفتوى برأى الجمهور فى هذا الموضع لقوة أدلتهم وتمشيا مع ما وصلت إليه « الاتصالات السلكية واللاسلكية » بين الدول الإسلامية المختلفة المتباعدة ، وما تطورت إليه وسائل الإعلام الحديثة المسموعة والمرئية ، وما ترتب على ذلك من يسر الاتصالات بين البلاد الإسلامية فى شتى البقاع ، حيث أصبح من الميسور جدا أن ينقل الخبر فى لحظات من دولة إلى أخرى ، عن طريق وكالات الأنباء المختلفة بواسطة : المذياع والتليفزيون ، أو عن طريق البرق والهاتف .

وبهذا يكون العمل بما قال به جمهور الفقهاء سهلا ميسورا فى متناول أى مسلم فى أى بلد إسلامى ، وهذا بدوره يؤدى إلى اتفاق المسلمين وتوافقهم فى الرأى والعمل .

عن ثبوت رؤية هلال شهر شوال

يثبت شهر شوال برؤية هلاله على الوجه التالى :

ففى الفقه الحنفى :

يثبت هلال شوال بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين ـ كذلك ـ إن كانت السماء بها علة كغيم ونحوه ، أما إن كانت صحوا فلا بد من رؤية جماعة كثيرين ، ويلزم أن يقول الشاهد : أشهد .

وفى الفقه المالكى :

يثبت هلال شوال برؤية العدلين أو الجماعة المستفيضة وهى : الجماعة الكثيرة التى يؤمن تواطؤها على الكذب ، ويفيد خبرها العلم ولا يشترط فيها الحرية ولا الذكورة ، كما تقدم فى ثبوت هلال رمضان ، وتكفى رؤية العدل الواحد فى حق نفسه ، ويجب عليه أن يفطر بالنية فلا ينوى الصوم ، ولكنه لا يجوز له أن يأكل أو يشرب أو نحو ذلك من المفطرات ، ولو أمن اطلاع الناس عليه ، نعم إن طرأ له ما يبيح السفر أو طرأ عليه مرض فإنه يجوز له أن يأكل ويشرب وغير ذلك ، وإذا أفطر بغير عذر مبيح ، بالأكل ونحوه وعظ وشدد عليه إن كان ظاهر الصلاح فإن لم يكن ظاهر الصلاح عاقبه القاضى بما يراه تعزيرا .

وفى الفقه الشافعى :

تكفى شهادة العدل الواحد فى ثبوت هلال شوال فهو كرمضان على الراجح ، ويلزم أن يقول الشاهد : أشهد ، فلفظ الشهادة متفق عليه بين ثلاثة من الأئمة ماعدا المالكية .

وفى الفقه الحنبلى :

لا يقبل فى ثبوت شوال إلا رجلان عدلان يشهدان بلفظ الشهادة .. ومتى ثبت رؤية هلال شوال تكون صلاة عيد الفطر فى صبيحة اليوم التالى لليلة الثبوت فى ميقاتها الشرعى .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

مع سورة المجادلة

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

هذا خطاب للمؤمنين لإرشادهم إلى شيء يظهر عظمة الرسول - ﷺ - ومكانته فيهم ، كما فى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ...﴾ سورة الحجرات / ٢

ولا بد فى التركيب من تقديم الإرادة ، أى إذا أردتم مناجاة الرسول ، وهذا كما فى قوله تعالى : ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ سورة المائدة / ٦

وقوله :

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾

سورة النحل / ٩٨

وكما فى الحديث : « إذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » ففى كل ذلك لابد من تقدير الإرادة ، وهذا واضح فى الجميع ، وهو ما يقتضى الصدقة قبل المناجاة . والمناجاة هى المسارة .

وللمفسرين فى هذا أقوال قد تكون كلها سليمة جيدة يؤخذ بها . ففيها عدا إعظام الرسول - ﷺ - ، فى هذه الصدقة ، نفع للفقراء ، وبه يتميز المؤمن المخلص من غير المخلص ، والصادق الإيمان من المنافق ، ومحب الآخرة من محب الدنيا ، فالذين يشحون بالصدقة عليلو الصدور على أى حال .

وجاء فى قتادة وابن عباس : أن قوما من المسلمين أكثروا من مناجاتهم رسول الله - ﷺ - فى غير حاجة إلا لتظهر منزلتهم ، وكان سمحا لا يرد أحدا ، فنزلت هذه الآية ، وأيضاً هم لم يقدروا وقته الذى كان مكرسا للعبادة وللبلاغ والإرشاد .

وقيل أيضاً : إن الأغنياء غلبوا الفقراء على مجالسته - ﷺ - حتى كره طول مكثهم . فنزلت هذه الآية فكفوا عن الزيارة . ولست أميل إلى هذا القول . فقد كان ثَمَّ أغنياء أثرياء من الصحابة لاتثنيهم هذه الصدقة عن مناجاه رسول الله - ﷺ - .

ولم تكن الصدقة التى تقدم بين يدى مناجاة الرسول - ﷺ - محددة ، فقد جاءت فى الآية منكرة ، مما يؤذن بأن أى صدقة تكفى . وقد روى عن على بن أبى طالب - عليه السلام - أنه قال : لما نزلت الآية دعانى رسول الله - ﷺ - فقال : ما تقول فى دينار ؟ قلت لايطيقونه . قال : كم قال : كم ؟ قلت : حبة أو شعيرة أى وزن حبة أو شعيرة من الذهب « إنك لزهيد » أى قليل المال فقدرت على حسب حالك وجاء عنه - عليه السلام - أنه قال : إن فى كتاب الله تعالى لآية ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى ، وهى آية النجوى ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾

كان عندى دينار فبعته - أى صرفته - بعشرة دراهم فكنت كلما ناجيت النبى - ﷺ - قدمت بين يدى نجواى درهما ثم نسخت الآية فلم يعمل بها أحد .

ويفهم من هذا أن آية النسخ وهى :

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ﴾

لم تنزل عقب آية النجوى مباشرة ، فلابد من زمن يتسع لبيع الدينار وشراء الدراهم ، ثم لعشرة أسئلة ، وبطبيعة الحال لم تكن الأسئلة العشرة كلها فى موقف واحد ، فلو كانت فى موقف واحد لأغنى إنفاق درهم واحد ، لأن الصدقة عن المناجاة وليست لكل سئوال على حدة ،

واختلف الرواة فى مدة بقاء هذه الصدقة ، قيل إنها كانت عشر ليال ، وقيل إن هذا الحكم نسخ توا قبل العمل به ! وليس من اليسير أن نقطع بأحد القولين فمن البعيد البعيد أن تمر عشر ليال ولا يسأل أحد من الصحابة رسول الله - ﷺ - سؤالا ، وعلى الأخص كبار الصحابة المقربين أمثال : أبى بكر وعمر والزبير ..... وهم ذوو مقدرة على الصدقة ، ومن البعيد أيضاً أن تنزل آية وتنسخ فى الحال !! هذا أمر ندعه لتحقيق أوسع وأدق ، ولم أر المفسرين جاءوا بشيء شاف فى هذا الموضوع .

وهل كان الأمر بالصدقة أمر وجوب أم أمر ندب ؟

إختلفوا فى هذا أيضا ، والذين قالوا : إن الأمر للوجوب قالوا إن هذا هو الشأن فى الأمر ، وأن الأمر أتبع بجملة : فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم

وهذا لا يقال : إلا فيما يزول وجوبه لفقده والذين قالوا إنه أمر ندب استدلوا بقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾

وهذا فيما هو يقال : للتطوع الذى يترتب عليه الخير والأفضلية ، ولو كان الأمر للوجوب ما نسخ بجملة متصلة به ، وهى : اشفقتم أن تقدموا ..الخ

وليس هذا الاحتجاج بذى قوة ، لأن الواجب يوصف أيضاً بأنه خير وأطهر . وآية .. اشفقتم .. تالية فى التلاوة ، وليست متصلة فى النزول .

ولا يدعو الأمر لوقوف طويل لدى هذه التحقيقات لأنه حكم نسخ .

وتقديم الصدقة خير ، لأنه يزيد ثواب المتصدق ، وفيه نفع للمتصدق عليهم ، وهو طهرة وزيادة فى طهارة النفس بتنزهها عن الماديات وترفعها عن حطام الدنيا ابتغاء مرضاة الله ، كما قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ سورة التوبة/١٠٣

(فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أى إذا لم يكن لديكم ما تتصدقون به فناجوا الرسول بدون صدقة ، ولا إثم عليكم ولا عقوبة لأن الله – سبحانه – متصف بالغفران وبالرحمة ، فهو يسامحكم فى هذا .

وقيل : إن هذا التكليف كان محددا بوقت معين ، لأن المنافقين كانوا يدعون الإسلام قولا بأفواههم ، ويكرهون الإنفاق ، ثم أخلص بعض منهم إسلامه ، وهؤلاء كانوا ينفقون ، فكان الأمر بتقديم الصدقة على النجوى ، ليتميز المخلص فى إسلامه عمن بقى على نفاقه ، ثم زال هذا التكليف بزوال السبب الذى شرع له ، وقد استحسن الفخر الرازى هذا الرأى ، ولست أراه يستحق الاستحسان ؟ فإن ساعة من نهار أو عشرة أيام لا تكفى لهذه الإبانة ، ثم أنه لم يتصدق ، ولم يناج أحد غير على – رضى الله عنه – وجمهور المفسرين على أن الآية منسوخة .

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ .

ومعنى الإشفاق : الخوف من إنفاق المال ، فإذا لم تفعلوا ما أمرتم به ، وتاب الله عليكم ورخص لكم فى المناجاة بدون إنفاق ، فاحرصوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله – سبحانه وتعالى – فى كل ما أمركم به ، وبطلب إقامة الصلاة وايتاء الزكاة استدل قوم على أن الصدقة كانت واجبة ، وتوبة الله – تعالى – تؤذن بأنه كان ثمت ذنب عفا الله عنه ، وقد يكون الإشفاق وحرج الصدور من النفقة مما يستدعى عفو الله ومسامحته ، وطلب إقامة الصلاة يعنى المثابرة عليها وأداءها كاملة مستوفاة الشروط والأركان ، وهى رأس العبادة وأساس القربى إلى الله ، ولذلك تتلى بطلب إيتاء الزكاة لأن إخراج الزكاة دليل على عدم التعلق بماديات الحياة الدنيا والرغبة فيما عند الله ، وذيلت الآية بقوله تعالى :﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

أى هو – سبحانه – محيط بكل أعمالكم ونياتكم ، ومنها صلواتكم وزكواتكم ، وتفسحكم فى المجالس .

السورة الكريمة . بدأت بذكر حكم الظهار ، وسمع الله تعالى مجادلة « خولة » وتشريع حل للظهار ، وثنت بذكر حال الذين يحادون الله ورسوله وبيان عاقبتهم فى الآخرة ثم تحدثت عن ذكر النجوى بين المنافقين وإرشاد، وبهذه الآية تنتهى مرحلة من مراحل هذه السورة الكريمة .

قبس من أنوار النبوة

مع الرسول ﷺ في رمضان

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

١ – عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : « كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله .. أجود بالخير من الريح المرسلة » « متفق عليه » .

٢ – وعن على – كرم الله وجهه – قال : كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أجود الناس كفا ، وأشرحهم صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة – طبيعة – وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه .

يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده ، مثله – صلى الله عليه وسلم – .. « رواه الترمذى » .

إن المسلمين – اليوم – فى أمسّ الحاجة إلى معرفة نبيهم – صلى الله عليه وسلم – معرفة تردهم إلى الصواب ، وتهديهم سبيل الرشاد ، وتعيدهم سيرتهم الأولى ، خير أمة أخرجت للناس ، لهم العزة فى أنفسهم ، والسيادة فى أوطانهم ، والصدارة بين الأمم ، والكلمة العليا المفروضة ؛ كلمة الله على من ناوأهم ، وذلك بنصرتهم لله واتباعهم هدى رسوله العظيم ﷺ ، وتعاليمه الخالدة ؛ واعتصامهم بحبل الله جميعا وتواصيهم بالحق والصبر .

وليكن لهم فى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أسوة حسنة – فهو النور والمنار الهادى إلى الطريق المستقيم أبدا ، ما داموا تحت لوائه ، مترسمين خطاه ، وجادين فى السير فى ركابه ؛ فإن الفلاح فى اتباعه ، والخسران فى مخالفته مصداقا لقول الله سبحانه – فى محكم كتابه :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ

﴿فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾

سورة الأعراف

قصر ـ سبحانه ـ الفلاح على الذين امنوا به ، وآزروه ، ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، أما غيرهم من جميع الناس فجزاؤه الخسران المبين .

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾

سورة العصر

وإذا كنا نريد لأنفسنا ولأمتنا ولديننا عزة ونصرة وفلاحا . فعلينا أن ننهج منهج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود الناس كفا ، وأسخاهم يدا ، يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، تتضاءل كل العطايا أمام عطاياه . جاءه رجل فسأله ، فأعطاه غنما تسد ما بين الجبلين ، فرجع إلى قومه ـ وهو يقول : يا قوم ـ أسلموا ؛ فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر . وما سئل ﷺ شيئا قط فقال : لا ، سأله رجل والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليس لديه شيء ، فقال له : « ما عندى شيء ، ولكن ابتغ علىّ » ـ اشتر على حسابى فإذا جاءنا شيء قضيناه ، وكان بالمجلس عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنـه ـ فقـال : يا رسول الله ، ما كلفك الله ما لا تطيق ـ فلم يلتفت إليه الرسول ـ فقال رجل من الأنصار : أنفق ، يا رسول الله ، ولا تخش من ذى العرش إقلالا ـ فتبسم رسول الله ، وأشرق وجهه وقال : « بهذا أمرت » ـ لأنه ينفق من عطاء الله الذى يقول :

﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ .

سورة سبأ ـ آية : ٣٩

وما عند الله لا يتناهى ؛ لذلك كان النبى يُعطى وينفق فى سبيل الله سرا وجهرا ليلا ونهارا ؛ مع أنه اختار أن تكون حياته الخاصة كفافا وقناعة وزهدا فكان مَثَلا تصبر عليه أمته ، وتقنع لقناعته ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

أما كفه ويده وبذله فى سبيل الله فهو أسرع بالخير من الريح المرسلة وكان الناس يأخذون من كفه الشريف ما يغنيهم ، ويجعلهم يعيشون عيشة الأغنياء . .

ـ روى البخارى ، أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى بمال من البحرين فقال : انثروه ، وكان أكثر مال أتى به ، فخرج ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المسجد ولم يلتفت إليه ؛ فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه ، فما كان يرى أحد إلا أعطاه ، وما قام ﷺ وثَمَّ منها درهم .

وفى رواية : « ولما فتحت البحرين وجاءوا بأموالها ، ووضعت أكواما ، وأخذ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوزعها على المسلمين غنيهم وفقيرهم ، حتى إن عمه العباس ملأ عباءته ، ولما هم بحملها ثقلت عليه ، فتبسم النبى وقال : خفف عنك يا عماه ، فوزع النبى كل هذا المال ، ولم يبق لبيته منه شيئا غير درهم لم يجد أحدا من الناس يأخذه ، فحمله معه إلى البيت ، ووضعه تحت الوسادة ، ونام ثم قام ، ثم نام ثم قام ، فقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما يقلقك ؟ فمد يده تحت الوسادة ، وأخرج

الدرهم وقال : ما أقلقنى إلا هذا الدرهم ! لم أجد أحدا من الناس يأخذه وخشيت أن يقبضنى الله قبل أن أنفقه فى سبيله » .

وذلك لأن مال الصدقة حرام عليه وعلى آله .

قال صفوان بن أمية : لقد أعطانى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أعطانى وإنه لمن أبغض الناس إلىّ ، فما برح يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلىّ .. إنى لأشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبى .

روى أن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ تصدقت بمائة ألف درهم على الفقراء والمحتاجين فى يوم واحد . وكانت يومئذ صائمة ، فنسيت نفسها ، فقالت لها صاحبة لها ، يقال لها أم درة ، ألم يكن أولى بك أن تحتفظى بدرهم تشترين به لحما تفطرين عليه ؟ فقالت لها: قد نسيت ولو كنت أذكرتنى لفعلت .

جاء رجل من الأنصار إلى عبدالله بن عباس ، فقال : يا ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنه ولد لى فى هذه الليلة مولود ، وإنى سميته باسمك تبركا منى به ، وإن أمه ماتت ، فقال عبدالله : بارك الله لك فى الهبة : وأجزل لك الأجر على المصيبة ، ثم دعا بوكيله ، وقال : انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه ، وادفع إليه مائتى دينار للنفقة على تربيته . ثم قال للأنصارى : عد إلينا بعد أيام ؛ فإنك جئتنا وفى العيش يبس وفى المال قلة .

فقال الأنصارى : لو سبقتَ حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدا ، ولكنه سبقك ، فصرت له تاليا ؛ وأنا أشهد أن عفوك ـ أى قليلك ـ أكثر من مجهوده ، وطل كرمك أكثر من وابله .

ولم يزل ـ رضى الله عنه ـ يبر الأنصارى حتى مات .

هذه صفة الجود التى كانت مضرب الأمثال فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتى أثَّرتْ فى وصحابته . وكانت تأخذ صبغة خاصة فى رمضان ويدعو أمته إلى الإنفاق ، روى ابن خزيمة وغيره عن سلمان أن رسول الله ﷺ قال : « من فطّر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء » .

وفى كونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود من الريح المرسلة فى رمضان ربْط بين رمضان والقرآن وكثرة الصدقة ؛ ففى ذلك الدليل الواضح على أن الصوم والقرآن قد أثمرا فى النفس الجود والكرم ، فإن الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ، أما فى الآخرة ؛ فإنها كما قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » . ـ عن الترمذى .

روى الطبرانى عن عبادة : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر إلى تنافسكم فى الخير ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ؛ فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله ـ عز وجل ـ » .

دراسة في ظل حديث شريف

من أكرم الناس..؟

الموازين الصحيحة للتفاوت

لفضيلة الشيخ/ أحمد بن محمد طاحون

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ أىُّ الناس أكرم ؟ قال : « أكرمهم عند الله أتقاهم » قالوا : ليس عن هذا نسألك ؟ قالْ : « فأكرمُ الناس يوسف نبيُّ الله ابنُ نبى الله ، ابن خليل الله » .

قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : « فعن معادن العرب تسألونى ؟ » قالوا : نعم ، قال : « فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا » .

« أخرجه البخارى ومسلم »

أكرم : اسم تفضيل من الكرم بفتح وسطه ، وهو اسم جامع لأنواع الخير مع الشرف والفضائل ، وأصل الكرم : كثرة الخير ويطلق على أخلاق الإنسان ومحامده وأفعاله المشكورة والإنسان إذا كان تقيا كان كثير الخير ، وكثير الفائدة فى الدنيا ، ويبشَّر ــ بفضل الله ــ بالدرجات العلى فى الآخرة .

فى طريق أهل الكرم :

وإن الشرف حقا هو التقوى التى تبعث الإنسان على التزام الخير ، واجتناب الشر ، فهو فى نفسه صالح ، وهو فى تفاعله مع غيره مصلح .

وإن العاقل البصير يختار الإيمان والتقوى ، ويلزم طريق القدوة الحسنة ، يكتسب المزيد من الفضائل ، ويُدْئِبُ جوارحه فى طاعة مولاه ، ويصرف الهمة إلى الأعمال الصالحة ، ويصبر على المداومة عليها ، ويتحمل المشاق فى ميدان المبرات والخيرات معرضا عن الملاذ التى تمنع عنها ، مُوطّناً العزم على مفارقة المعاصى كابحا عنانه عن أسباب الوقوع فى الآثام .

ولقد كان أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ ورضى عنهم ــ حريصين على الخير ، يسألون عنه ، ويلزمونه ، وفى هذا الحديث سألوه ــ ﷺ ــ : عن أكرم الناس ؟ إذ الناس تتفاوت منازلهم بتفاوت ما هم عليه من الشرف والفضائل وما يتزينون به من الآداب والقيم السامية الثابتة المستمدة من الوحى السماوى .

فبين لهم الحبيب المصطفى ﷺ فى جوابه : أن أكرم الناس عند الله أتقاهم لله ، وأخشاهم له فى السر والعلانية ، وأبعدهم عن مواطن سخطه ـ سبحانه ـ وهم أهل الإحسان والمراقبة ، يستحضرون عظمة الله فى قلوبهم دوما ، لا يلتفتون إلى الناس ، يضىء لهم نور الشريعة السمحة طريقهم فيه يسيرون ، وبهدايته يتصرفون .

فمن كان شريف النسب ، عظيم الحسب تقيا نقيا صالحا فقد جمع الحسنين وتوج بتاجين ، وازدان بشرفين ، ويا بشراه .

نسب بلا تقوى مصباح بلا ضوء :

وقد نبه القرآن العظيم إلى هذه القضية كى لا يغتر أحد بنسب أو حسب أو قربى من نبى أو ولى فيسلك بسبب الغرور مسالك أهل الجهل ، فيتخبط فى الظلمات ، ويحشر فى زمرة الهالكين ، إذا قضى عمره بلا تقوى ، ولا عمل صالح ولنسمع لله ــ عز وجل ــ قوله : من سورة الحجرات : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »(١٣) وقد كان الحبيب الهادى ــ ﷺ ــ نفسه أخشى الناس لله ، وأتقاهم له ، وأطولهم قياما بالليل ، وأكثرهم مراقبة ، وأعظمهم ملازمة للخوف حتى فاضت روحه إلى بارئها ، وهو من هو عند الله ــ عز وجل ــ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

ولذا نبه الرسول الحبيب ــ ﷺ ــ إلى أن شرف النسب وحده لا يغنى صاحبه عند ربه ، ولا يكفيه لنيل الدرجات والشمول بالرحمات فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وماذا إذن ؟

لكى يحظى أهل البصيرة والنهى بنجاة مهجهم ، وتخليص أرواحهم ، ونيل ما عند الله من الرحمة ، لابد لهم من سلوك طريقها ، واتخاذ الأسباب المؤدية إليها بفضله ـ سبحانه ـ

وإحسانه ، لابد من الإيمان الصحيح ، واليقين الصادق ، والعلم ، واكتساب العمل الصالح وترك الكسل ، ونبذ التراخى والراحة ، والتشمير عن ساعد الجد فى تحصيل الخيرات والفضائل ، والثبات على طريق الاستقامة : الايمان والعمل الصالح .

لذا لما سألوا عن أكرم الناس ؟ ذكر رسول الله ﷺ ما هو أحرى بالتقديم ، وهو المعنى الذى يحتاج إليه كل راغب فى النجاة فقال : « أكرمهم أتقاهـــم » أى من غير انتماء إلى شرف الآباء والافتخار بفضائلهم .

نموذج ومثال من البشر :

فلما قالوا : ليس عن هذا نسألك ، ضرب لهم مثلا التقت فيه أسباب الشرف فى ذاته وخصاله ونسبه وعلمه وفقهه وكرم أخلاقه مع مجد الآباء ، وجمال الصورة ، وحسن السيرة فقال : « أكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله » فقد أعطاه الله من كمال الصفات البدنية ، والنفسية ، والعقلية ، والروحية ما أعطاه ، مما جعله مضرب الأمثال : فى الصبر ، والعفة ، والطهر ، والحكمة ، وبعد النظر ، وجمال الخلْق حتى قلن « مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ » سورة يوسف

لقد كان ملكا كريما فى سمو نفسه وتقواه وفى عفافه ووفائه وصفاء قلبه من نوازع الحسد والعداوات . وفى دأبه على إصلاح أحوال الناس بما أوتى من الفقه والفطنة والعلم وفى حسن مخاطبته للنفوس البشرية لاستمالتها إلى الحق وخالص الإيمان إلى جانب ما عرف عنه من العفو والصفح وصلة الأرحام والبر بهم ـــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـــ حقا : إنه نموذج كريم لشرف النسب وشرف الحسب الذى هو التقوى وصالح الأعمال ،وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده .

الناس معادن :

ثم إن السائلين أرادوا أن يتوجه القول نحو الحال الذى هم فيها ليستزيدوا معرفة وتبصرة بمواقف العرب من الدعوة وأيهم يكون الأكرم بعد أن أكرمهم الله باصطفاء خاتم رسله منهم وازدانت حياتهم بنور دعوته ـــ ﷺ ـــ .

ولما قالوا : لا نسأل عن أمر يوسف عليه السلام ، لأنهم علموا من أمر يوسف ما جاء به الوحى ، وبلغه الحبيب المصطفى ـــ ﷺ ـــ وبه وبجميع الأنبياء والمرسلين آمنوا وصدّقوا .

فأجابهم : « فعن معادن العرب تسألونى » قالوا : نعم ونحن نعلم أن العرب فى جاهليتهم كانت لهم مفاخرهم ، ولكل قبيلة أيامها وأمجاد آبائها ، وبذلك كان فخرهم ، وبالكثرة والوفـــرة كان اعتزازهم ، وحفلت قصائد شعرائهم فخرا ، واعتزازا ، ومنها أُخذت آدابهم وأخلاقهم ومكارمهم بل وأنسابهم ، لأنهم لم يكونوا يعرفون الإسراف فى المبالغة ولا الإيغال فى التصوير ، ولا الكذب فى نسبة ما يضاف إلى الشاعر وقبيله حين يفخر أو يمدح إلا ما صوروه فى حدود تشعر فيها بنقاء الفطرة لا تعقيد الفلسفة وامتزاج المدنيات كما صار إليه الأمر فى الشعر العربى بدءا من العصر العباسى فكان فخرهم فى الجاهلية ومدحهم يدور حول الكرم ، والنجدة وإغاثة الملهوف ، والشجاعة والإقدام ، ونصر

المغلوب ولو تسلطا وبغيا ، وإجارة المستجير ، وحماية الحوزة ، وكثرة العدد ، وما كان للآباء من نحو هذه المفاخر التى تتفاوت أقدارهم فيها ، مثل الاتجاه الجاهلى فى قول الفرزدق :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم

إذا جمعتنا ياجرير المجامع

تلك نزعة جاهلية برزت مرة أخرى فى العصر الأموى لأسباب سياسية ودواع شخصية .

بعد الإسلام اعتدلت الموازين :

أما بعد الإسلام — بغض النظر عما برز فى العصر الأموى من اتجاه جاهلى — فقد اعتدل الميزان ، وتهذبت المقاييس :

والمراد : بمعادن العرب : أصولهم التى ينتسبون إليها ، ويتفاخرون بها ، ففيه تمثيل القبائل والأنساب بالمعادن ، ووجه الشبه : الاستعداد المتفاوت .

أو شبههم بالمعادن من ناحية أنهم أوعية للشرف كما أن المعادن تكون أوعية للجواهر الثمينة ، وهذه الأوعية مقادير ، وكذلك هم فى قبول إسلامهم ، وأخذهم ما جاء به الوحى ، وفقههم فيه على مراتب لا تحصى .

فرق :

« ولا يخفى أن الجواهر لا اختيار لها فى تفاضلها وإزالة الرداءة وإقلال الثمن وانتقاصه ، أو زيادة الجودة والبهاء ، وإغلاء الثمن .

بخلاف الإنسان فإنه إن كان كالمعادن فى نجابة أصوله أو خساسة عناصره إلا أنه إذا اختار الإيمان ، واكتسب الأعمال الصالحة ، وتوجه بالنية الصحيحة ارتفعت درجاته من فضل الله — تعالى — ولا يكون رهينا فى درجة وُلِدَ فيها » .

« من شرح الأدب المفرد »

شرف النسب والدين :

نعم : إن شرف النسب وحده لا يغنى الإنسان لا فى دنياه ، ولا فى أخراه .

وللمرء منزلتان : منزلة من بيت ولد فيه وتربى ، ومنزلة باختيار الإيمان والنية الصالحة ، وإفراغ الجهد فى الأعمال الحسنة وجهاد النفس لله ، وبذل المال لوجهه الكريم — سبحانه — وطلب العلم ، والازدياد والتمرن فى الفقه .

فمن شاء أن يستحق رفع درجاته عن المنزلة التى ولد فيها ، أو يستوجب الحط عنها فإنما ذلك بمقتضى سلامة الإيمان أو تركه ، وبمقتضى العمل الصالح الذى به ينمو الإيمان أو تركه .. فكل إنسان بما اختار لنفسه وبما عمل ، على حدّ المثل :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا

يغنيك محموده عن النسب

ومن أقبل على الإسلام برغبة وصدق وإخلاص فإنه يزكيه ويطهره ويرفعه إلى مقام الملائكة حسبما هو عليه من الحال والعبادة والتحرز عن الشبهات والشهوات الدنية ، والنقاء منهما .

وعلى هذا :

فما معنى « فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام وبالمثال يتضح الحال : فإن العباس بن عبد المطلب ــ رضى الله عنه ــ غير أبى لهب بن عبد المطلب وهما أخوان : فالأول جمع مع النسب الشريف صحة الإيمان وسلامة اليقين والجهاد فى سبيل الله والعمل الصالح والعلم فى الدين فهو من الخيار فى الجاهلية الخيار فى الإسلام ، والآخر لم ينفعه نسبه والألسنة تلعنه لسوء إختياره وضلاله : « تبت يدا أبى لهب وتب » .

وكذا : الوليد بن المغيرة أضاع نفسه بحسده وحقده.وسوء اختياره مع مالولديه الوليد بن الوليد وخالد بن الوليد من المنزلة الكريمة والشرف العظيم بالانتساب إلى دين الله وجهادهما فى سبيله واقتدائهما برسول الله ﷺ فاجتمع لهما الشرفان ، والأمثلة كثيرة .

إن الإنسان إذا دخل فى دين الله ، وانسلك فى سمط الإيمان ، وفقه فى الدين ، وكان ــ قبل الإسلام من ذوى المآثر ــ مثل أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وغيرهم رضوان الله عليهم ــ فإنه من خيار الناس فى الإسلام كما كان من خيارهم قبله ، وبقدر تقواه يكون له الفضل على أقرانه ، ثم إن مكانته بعد قبول الإسلام تتباعد عما يكون لمثله ممن لصق بالتراب وأبى الإيمان كما يتباعد المشرق عن المغرب ، إذ بالإسلام يتغير جوهر الإنسان ويصبح له عالم نورانى يحرك عالمه الطينى على مقتضى أوامر الله ونواهيه .

ولا شكّ أن التفاوت أمر مقرر فى الهبات والذكاء ومراتب النسب بل ودرجات الإيمان ومنازل الصالحين ، قال الله تعالى :

﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾

« النساء : ٩٥ »

فهذا نوع تفاوت لا يخفى ، وفى سورة الحديد : « لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ » سورة الحديد

وفى تحريم الصدقة على بنى هاشم نوع تفاوت وطوبى للجامع منهم بين شرف النسب وشرف التقوى والعمل الصالح .

تخصيص بعد تعميم لتأكيد أن النسب وحده لا يكفى :

ولما نزل قوله تعالى :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

[الشعراء : ٢١٤]

قال ﷺ : « يا معشر قريش » أو كلمة نحوها « اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا ، ياعباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئا » [أخرجه البخارى ورواه أبو هريرة] .

قال ذلك رسول الله ﷺ وهو قائم منتصب على قدميه الشريفتين فوق الصفا امتثالا للأمر بإنذار عشيرته الأقربين وتخويفهم عقوبة الله إن لم يبادروا إلى شرف الدخول فى الإسلام ، وقد

خصصوا بالدعوة ـــ بعد امره ﷺ ـــ بالإنذار العام للناس أجمعين بقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ » المدثر ١ ، ٢ لئلا يتوهم أحد أن قرابة رسول الله ﷺ ـــ يتميزون عن غير قرابته فكان هذا الموقف لبيان أنهم وغيرهم فى التكليف سواء والنداء يؤكد هذه الحقيقة .

تنبيه :

وإذا كان هذا بالنسبة لابنة الرسول نفسه وأهله وخاصته منهم فمن باب أولى يكون الأمر بالنسبة للمنتسبين لبنى هاشم وقد تفرعوا ، وكذا الذين ينتسبون الى بعض أصحاب الفرق أو الطرق أو المشايخ إذ التكليف لا يسقط عن أحد أبداً حتى أشرف الخلق رسول الله ﷺ فقد كان أعبد الناس وفى الحديث : « ومن أبْطَأ به عَملُه لم يُسرع به نسبه »

[اخرجه مسلم من حديث أبى هريرة]

شرف النسب :

إن شرف النسب مع التواضع واللين يزدهر مع شرف التدين والإخلاص لله فى السر والعلن .

إن القرآن والسنة الصحيحة يوضحـــان ويؤكدان : أن الناس وإن اختلفوا فى المنزلة ، وتباينوا فى الدرجة فإنهم يتساوون فيما أمرهم الله به ، ونهاهـم عنـــه ، يتساوون فى الحقـــوق والواجبات ، لا فضل لعربى على عجمـى ولا لأوربى على أفريقى إلا بالتقوى والعمل الصالح فمن ناله شرف الانتساب أو نحو ذلك من أسباب التفاوت الظاهر لا يضع عن أحد منهم ما شرع الله له من أمور الدين على اختلاف مراتب الأحكام ، ولا يعطيه حق الخروج على القيم والفضائل الإسلامية ، ولقد كان الرسول ﷺ نفسه أشد الناس تواضعا لله ، وكان ينام على الحصير حتى يؤثر فى جنبه الشريف وكان يصغى للصغير والكبير والغنى والفقير ، والحر والعبد ، ويقبل دعوة الجميع ويقبل هداياهم ، ويـــبشّ فى وجوههم ، ويشاركهم العمل فى السفر ولا يقبل أن يجلس وهم يشتغلون ، كما كان يشارك خادمه فى عمله خصوصا فى حالة تعبه ، ويعمل فى مهنة أهله من كنس أو رقع ثوب ، ورفع دلو ، وإعدادٍ لطبخ ونحو ذلك .

وقل ما شئت من التواضع والرفق والرحمة والحلم وبسط الوجه الشريف .

العلم والاستنباط :

ودائما يعطى الإسلام العلم والفقه فى الدين بالقدرة على الفهم والاستنباط الحظ الأوفى من التكريم ، لذا فإن أصحاب المروءات ومكـارم الأخلاق والمواساة والنجدة فى الجاهلية إذا أسلموا وفقهوا أى جمعوا بين العلم والفهم والعمل مع الإخلاص فهؤلاء هم خيار الناس وأفاضلهم : « فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا » أى صاروا فقهاء ذوى قدرة على استنباط الأحكام وفى الحديث الذى رواه معاوية : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » والله اعلم والصلاة والسلام على رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ .

مع فضيلة الدكتور

عبد الوهاب عزام

فى نفحات رمضان

★ د. عبد الوهاب عزام ★

رحمه الله تعالى

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

الأديب ــ أولا وقبل كل شىء ــ فردٌ فى مجتمع ، يعطى ويأخذ ، ويؤثر ويتأثر ..

يعيش بين ظهرانيْه ، ويشرب من منابعه ، ويصدر عن آلامه وآماله ، ويصور أدق مشاعره وأحاسيسه ..

وإذا أتيح لسائر أعضاء المجتمع الذى يعيش فيه منظار عادى ، كان هو ــ وحده ــ الذى يملك « التليسكوب » ، ليعرف عن مجتمعه ما لا يعرفه غيره ..

والدكتور عبدالوهاب عزام ــ رحمه الله ــ كان ابن مجتمعه الإسلامى بحق ، بسمو غاياته وتعاليمه .. وقد كان لشهرِ رمضان فى نفسه منزلة خاصة ، يحتشد له بطاقته الفنية ، ليصف ما يزخر به من المعانى الرفيعة ، والذكريات الحبيبة إلى كل نفس مؤمنة ، سواء فى ذلك المجتمع الصغير ، وهو مجتمع الأسرة ، أو المجتمع الكبير ، وهو مجتمع الوطن ، أو المجتمع الأكبر من هذين ، وهو المجتمع الإسلامى بأسره ، ثم الإنسانية جمعاء ..

• • •

لهذا الأديب كتاب : (النفحات) خصه بالحديث عن رمضان ، فهو يسرى بنا ــ من أَلِفِهِ إلى يائه ــ فى آفاق رمضانية ، رُوحيةٍ نَدِيّة ، ننسى بها أوضار عالمنا المادى المتطاحن ، ونهفو إلى المعانى الإسلامية النبيلة ، التى تطل على الدنيا : إطلال مغفرة على آثام ..

فى مشهد مهيب ، نرى المساجد حالية بالمصابيح ، شادية بالتسابيح ــ كما يقول الزيات ــ لترسل فى أعماق الوجود ، نور الله وكلمته ..

يوضح الدكتور عزام خطته ومنهجه فى إعداد (النفحات) بقوله ــ فى مقدمة الكتاب : « بدا لى وأنا فى « كراجى » أثناء عملى سفيراً لمصر فى دولة الباكستان ــ أول رمضان ، عام سبعين وثلاثمائة وألف ، آن أخط كل ليلة مقالا قصيرا ، فيمايخطر من خاطرات الوقت ، وما يسنح من سانحات الفكر .. ويسَّر الله الكتابة ، فوفيت بما وعدْتُ به نفسى .

وكرَّت الأيام كرورها ، ومرت الشهور مرورها ، فإذا رمضان من عام واحد وسبعين ، وإذا أنا لا أزال فى « كراجى » فرأيت أن أعالج كل ليلة أبياتا أُقيِّد بها خَطْرة شاردة ، وأسجل فيها فكرة واردة ؛ فنظمت أبياتا كل ليلة ، ثم « أقبل رمضان الثالث ، رمضان سنة اثنتين وسبعين ، فبدا لى أن أكتب كلمات بين النظم والنثر كل ليلة .. ومضى رمضان وقد وفيت بما التزمت » .

إلى أن يقول ــ موضحا السبب فى اختيار عنوان الكتاب : « وسمَّيت هذه الطوائف الثلاث من الكَلِم : « النفحات » .. أوْحَى إلىَّ هذه التسمية كتاب الشيخ عبدالرحمن الجامى المُسمَّى : « نفحات الأُنس ، من جناب القُدس » .

● ● ●

ولو طاوعت القلم ، لنقلت صفحات الكتاب كلها ؛ لأنها جنات فى صفحات ، لما اشتملت عليه من حديث طلى ، وإيمان جَلِى ، وتعبير بليغ .. إلا أن مالا يُدرك كله ، لا يترك ما يمكن اختياره منه ، وخاصة ذلك الذى يجعلنا نقف على خصائص وميزات الدكتور عزام النفسية ، التى تتسم بالنُّبل والسمو ، من خلال حديثه عن النفس الإنسانية عامة : « الإنسان له نفسه ، عليه تَقْويتها ، وتزكيتها ، وإنماء مواهبها ، واستخراج أحسن ما فى فطرتها » ، وعليه وقايتها والدَّفْع عنها ، فيما يعرض لها من عوامل حِسِّية أو معنوية » .

وفى حديث عن (مواضع الاجتماع والافتراق) يقول :

« صليت العشاء والتراويح الليلة ، وراء إمام يمنى عاش فى الشام ، وعلى يمينى وشمالى خدم السفارة ، وكم صلى الأغنياء وراء الفقراء أو فى صفِّهم ، وصلى الرؤساء فى صف المرءوسين أو وراءهم ، وسجد السادة مع المَسُودين أو خلفهم ، سُنة الإسلام فى المؤاخاة والمساواة .... هم عند الله سواء ، وفى الشرع سواسية ، وفى القانون شَرَعٌ ، ولكن هذه المساواة لا تُحرِّم أن يكون فى الناس قائد ومقود ، وسائد ومَسُود ، وخادم ومخدوم ، وآمر ومأمور .. فإن ائتلاف الجماعة لا يكون إلا بهذا الاختلاف ، كآلات الساعة : فيها الكبير والصغير ، والمستقيم ، والمُنْحَنِى ، والمستدير ، والدافع والمدفوع ، ولكنها تأتلف فى الحركة المؤدِّية إلى سيرها السَّيْرَ المقدر لها . » .

ويعود الدكتور عزام إلى إشباع هذا المعنى من التواضع فى مجال الأخوَّة الإنسانية بين البشر ، بقوله فى خاطرة رمضانية أخرى : « نزلت لصلاة العشاء حين أذَّن مُؤذِّنُ السفارة ، فوجدت الخدم حاضرين للصلاة ، وكنتُ قد دعوتهم إلى صلاة الجماعة .... ووقد انشرح صدرى لاستجابة الخدم للدعوة ،

وأنست بهم ، ورأيت معنى الأخوة الإسلامية جليا فى هذا الجمْع ، ونظرت إلى المصلين أتَوَسَّمهُم : فوجدتُ آخرَ الصف إلى اليمين (سُلطانا) .. هذا الشيخ الذى يعمل بين الحين والحين فى المضخة التى ترفع الماء إلى الطبقات العالية من دار السفارة - ورأيت آخر الصف إلى اليسار (كوثرا) .. الكَنَّاس الذى يتعهد دار السفارة بالتنظيف كل صباح ومساء .. وسَّرنى أن رأيتُه مُعْتَماً ، فى غير ثياب المهنة التى يعمل فيها . » ..

« وجاوزت هذا الظاهر الجميل المتناسق ، إلى ما هو أعظم ، إلى التناسق الباطن فى الفكر والروح ، والخلوص من الصور المختلفة ، والجزئيات المتعددة .. إلى المعنى الذى لا يحُدُّه زمان ولا مكان ، ولا يختلف فيه فكر ولا قلب : اتصل هذه الأرواح ، بالله الواحد . » ..

● ● ●

وفى خاطرة أخرى رمضانية ، تحمل نفس المعنى - شعرا - يقول فيها تحت عنوان : (الجمع والفَرْق) :

قد تساوينـــا جميعـــا حين قُمنـــا للصلاه
وركعنـــا وسجدنـــا فاستـــوت منـــا الجبـــاه
إنمـــا نحـــن ســـواء عَمَّنـــا شرْعُ الإلـــه
جمعتنـــا واجبـــات وحقـــوق .. فى الحيـــاه

● ● ●

غـــير أنَّـــا فى فنـــون العـــيش ، ما فينـــا اشـــتبـــاه
من ذكـــى وغبـــى وأخـــى جِـــدٍّ .. ولاه
ذاك مأمـــور ، وهـــذا آمـــر فينـــا .. ونـــاه
ذاك محـــروس ، وهـــذا حـــارسٌ يرعـــى حِمـــاه
ذاك مخـــدوم ، وهـــذا خـــادم يبغـــى رضـــاه
.. وإذا حقَّـــقْتَ فالخـــا دمُ مخـــدومُ ســـواه
كلهـــم مولـــىً ، ولـكـــن قيـــل : مولى .. وفَتـــاه
ذلك الخُلْـــف نظـــام أُحْكِـــمَتْ فيـــه .. قُـــواه

● ● ●

عجـــلات دائـــرات محكمـــات .. فى تنـــاه
كلهـــا يـدفـــع والـــدا فع مَدْفُوعـــاً .. تـــراه
وإذا غيرت هذا النظـــم أوْهَـــنْتَ قُـــواه

● ● ●

وينتقل الدكتور عزام ، بعد ذلك ، إلى خاطرة أخرى ، يتحدث فيها عن (التكليف .. والحب) ، فيقول : « يطيع كثير من الناس أوامر الدين والقانون : قانون السلطان أو قانون الأخلاق ، ويؤدون ما

يُكَلفُّون لا يرخِّصون لأنفسهم فى مخالفة ، وإن خالفوا .. أُسِفُوا ، ووَدُّوا أنهم لم يخالفوا ، ورجوا ألا يخالفوا من بعد ..... وأعْلَى من هؤلاء منزلة ، وأبلغ فى الخير مكانة ، وأعظم للحق إدراكا : مَنْ تُخالط نفوسَهم حلاوةُ العمل الطيب ، وتُغرم بجمال الخير ، وتشرق بنور الحق .. فهى تهشُّ له ، وتنزع إليه ، وترغب فيه ، وتراه نابعا من سرائرها ، ساطعا من وجدانها .... وما تزال النفس تصفو بالجمال ، وتعلو بالحق .. حتى تكون قانونا فى الخير ، لا يصدر عنها غيره .. ومرآة للجمال ، لا يُرى فيها سواه ، وحتى تتصل نزعاتها وخَلَجاتها بالحق والخير والعدل :

آى الله تعالى :

وتلكم منزلة الأبرار والمقربين ، ومن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

ثم يتحدث عن مزايا رمضان ، فيقول :

« يُحبِّب إلىَّ رمضانَ أمورٌ غير ما فيه من عبادة وفكر ورياضة ؛ منها :

أن فيه تغييرا فى عيشنا المطّرد على نسق واحد ، فنحن أكثر شعورا به وتنبُّها له ، بما فيه من خصائص ، وبما يحدث فى عيشنا من تغيير . » .

ويعجبنى فى هذا المعنى ــ بتداعى المعانى ــ بيت للرافعى ، يقول فيه :

ولـيس يُطـرِبُ صوتُ الماء .. مُنْحَـدِرا كما ترى وقْعـه .. فى سمْـع ظمـآن

ثم يستتلى الدكتور عزام قائلا : « ويتصل بهذا ، أن الإنسان ــ فى رمضان ــ شاعر بما يمضى وما يأتى من أوقاته ، راجٍ آمل كل حين ، يرجو مواقيت الإفطار ، ويرجو مواقيت الصلاة ... ثم الناس لا يشهدون السَّحَر والفجر إلا قليلا ، وفى رمضان ..يوفّون أوقات اليوم كلها ، ويسْتوفون ساعاتِه جميعها . » .

• • •

وحينما يمضى ثلثا رمضان ، يُلهمه ذلك أن يقول :

« لا أدرى كيف مَضَيا ، إلا كما أدرى كيف يمضى الزمان سريعا ، نشعر به أو لا نشعر ، لا حيلة لنا فيه ، وليس لنا من الأمر شىء . » .

والسعيد السعيد من لا تمر ساعاته فارغة ، ولا منقوصة ، ومن لا تحمل ساعاته إلا الكلمة الطيبة ، والفِعْلة الخَيِّرة ، والنية الحسنة ، جهد طاقته .. مَنْ تمر ساعاته به ، كما تمر الريح على الروض المعطار ، ترى خضرة ونضرة ، وزهرا ونورا ، وتحمل شذى عاطرا ، ونفحا طيبا ..

• • •

وفى خميلة الشعر لدى الدكتور عزام ، أثناء الصيام ، يهمس لنا بهذه الأبيات ، عن (خلوته) وكيف يراها :

إن فى خلـــوة النفـــوس لأنساً ... ليس كُفْئـــاً لخلـــوة كل نفس
هى فى ضجـة الأنـــام .. سكـــون ... يَسمـــع القـــلب عنـــده كل همس
وهـــى فى فرقـــة النفـــوس .. اجتماع ... تُرهـــف النـــفسُ عنـــده كل حس
وهى فى فسحـة الخيـال .. انطـلاق ... دون قَيْـدٍ .. من الجلـيس وحَـبْس
وهـــى فى ظُلمـة الليـالى .. ضيـــاء ... لا تراه النفـــوس ، فى ضوء شمس
مَنْ يضقْ بالخلاء نفسا ، فإنى ... أجـــد الخلـــوة الطويلـــة .. أُنسى

ونستطيع أن نقف على طبيعة الدكتور عزام المتزنة القاصية المَرَاح ، فى الحوار التالى :

قال اللائمـــون : لست طروبـــا ... لك ـ حقـا ـ إلى الصخـــور انتماء !
كم تثير الأوتـــارُ لحنـــا فلحنـــا ... وَيهزُ الأوتـــارَ فينـــا غنـــاء
ونـرى النـــاس مائـــجين ، ولكـــنْ ... أنت فى الموج .. صخـــرة صمَّـــاء

ويجيب اللائم بقوله :

حسبك الله ، قد بلـــغْتَ الملامـــا ... وحماك الصوابَ هذا الهراء
طَرَبُ الطفـــل وثْبـــةٌ وصيـــاحٌ ... ومـــن الشيـــخ .. بسْمـــةٌ خرساء
ومـــن الـغُصْنِ ، فى الريـــاح ، اهتـزاز ... ومـــن الطـــود .. عزة قعْساء
.. ضاق قلبٌ عن الجمـــال ، فأفشى ... فـــإذا كـــلُّ ســـرِّه أصـــداء
رُبَّ قلب وعـــى الجمـــال ، ولكـــن ... عـــزَّ فيـــه لِســـرِّه ، إفشـــاء
رُبَّ قلب حـــوى العوالـــمَ طُرًّا ... تصغُـــر الأرض عنـــده والسمـــاء

وبعد ، ألم أقل : إننى لو طاوعت القلم لنقلت صفحات (النفحات) برمتها ؟ فلا أقل من أن أُثبت بعض أبيات الدكتور عزام بقصيدته الواردة بالنفحات التى تحمل عنوان : (نبع فى فلاه ..) لأنها تصوِّر شخصيته ، وأثره فينا خير تصوير :

رأيت بقفـــرة نبْعـــا ثريّـــا ... يشق الصخـــر فى سفـــح الجبـــالِ
وقـــامت حولـــه دَوْح عظـــام ... تُجير من الهجيرة كلَّ صال
تمر به القوافـــل وَهْـــىَ عطشى ... فتحيـــا بالميـــاه وبالظـــلال
وقـــام لديـــه بُستـــان نضير ... من الأزهـــار والثمـــرات حال

• • •

كذاكم فى قفـــار النـــاس تجرى ... حيـــاة المصلـــحين من الرجـــال

رحم الله عَزَّاما رحمة واسعة ...

زكاة الزروع والثمار

تعقيب على مقال

د. عبد الرحمن العدوى

فرض الله على الأغنياء من المسلمين أن يؤدوا زكاة أموالهم التى استخلفهم الله فيها وجعل هذه الزكاة حقاً واجب الأداء وفريضة محكمة يأثم تاركها ويعاقب على تركها فى الدنيا والآخرة فقال جل شأنه مخاطباً رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) ﴾

المؤمنون : ١ ـ ٤

وقد قرنت الزكاة بالصلاة فى اثنتين وثمانين آية من القرآن الكريم .

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ التوبة : ١٠٣

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته ، مثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان[1] يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه[2] ثم يقول أنا مالك أنا كنزك . ثم تلا :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) ﴾

رواه الخمسة إلا أبا داود .

---

(١) شجاعا : ثعبانا كبيراً ، والأقرع : الذى ذهب شعره لكثرة سمه . وزبيبتان : نكتتان سوداوان فوق عينيه . وهذا النوع أخطر أنواع الحيات سماً وفتكاً .

(٢) بلهز متيه : يعنى بشدقيه .

ولما بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معاذ بن جبل إلى اليمن كان من بين ما قاله له : « أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم . واتق دعوة المظلوم ؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب » .

وأجمعت الأمة على فرضية الزكاة من غير خلاف من أحد من المسلمين ، ويكفر من جحد فرضيتها ؛ لأنها فريضة معلومة من الدين بالضرورة ، وقد حارب الخليفة الأول أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ والصحابة معه مانعى الزكاة وقال : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقا كانوا يعطونها لرسول الله لقاتلتهم على منعها » وارتضى منه الصحابة ذلك دون نكير وقاتلوا معه حتى استقر هذا الركن من أركان الإسلام ومبانيه .

والزروع والثمار من الأموال التى تجب فيها الزكاة لقول الله ـ تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ الأنعام : ١٤١

وقد بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقدار الزكاة الواجبة فى الزروع والثمار فقال : « فيما سقت السماء والعيون أو كان عَثَرِيًّا[٣] العشر ، وفيما سقى بالنضح نصف العشر » أخرجه البخارى وأبو داود والترمذى .

وعن جابر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « فيما سقت السماء والغيم العشور وفيما سقى بالسانية[٤] نصف العشور » رواه أحمد ومسلم والنسائى وأبو داود .

قال الإمام الشوكانى : والحديثان يدلان على أنه يجب العشر فيما سقى بماء السماء والأنهار ونحوها مما ليس فيه مؤنة كثيرة ، ونصف العشر فيما سقى بالنواضح ونحوها مما فيه مؤنة كثيرة . قال النووى : وهذا متفق عليه .

ومصارف زكاة الزروع والثمار وغيرها من زكاة الأموال التى تجب فيها الزكاة حددها الله ـ تعالى ـ فى قوله :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠ ﴾ سورة التوبة

فهذه الأصناف الثمانية هى مصارف الزكاة بجميع أنواعها ليس لأحد أن يتجاوز ذلك ، فقد روى زياد بن الحارث الصدائى قال : أتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبايعته ، فأتى رجل فقال أعطنى من الصدقة . فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو

(٣) العَثَرِى بفتح العين المهملة والثاء المثلثة : هو ما يشرب بعروقه من غير سقى .

(٤) السانية : هى البعير الذى يستقى به الماء من البئر ويقال له : الناضح .

فجزأها ثمانية أجزاء فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك » رواه أبو داود .

من لا حق لهم فى الزكاة :

ولا يدفع المزكى زكاته إلى أصوله أو فروعه فلا يصرفها إلى والديه وأجداده وجداته من جهة الأب أو الأم وإن عَلَوْا ، ولا إلى أولاده وأولاد الأولاد ذكوراً وإناثاً وإن سَفَلُوا ؛ لأنه يجب على المزكى الإنفاق عليهم إن كانوا فقراء فكفايتهم فى ماله ، فإذا دفع زكاته إليهم فقد صار نفعها إليه بما توفر له من النفقة فصار كأنه دفعها إلى نفسه ، ولهذا لا يدفعها الزوج إلى زوجته ؛ لأن نفقتها واجبة عليه ؛ فإن دفع الزكاة إليها كان نفعها عائدا إليه .

ولا تدفع الزكاة إلى غنى ليس فى حاجة إليها فإن مصرفها للفقراء والمساكين ، وفى الحديث الشريف : « من سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خموشا أو خدوشا أو كدوحا فى وجهه ... » .

وفى الزكاة أحكام كثيرة ذكرنا منها ما تدعو الحاجة إلى معرفته للتعقيب على مقال نشرته جريدة الأهرام لأحد أساتذة كلية التجارة بجامعة الأزهر والمقال بعنوان : « رؤية اقتصادية من داخل جامعة الأزهر تقدم الحلول لمشكلات : رفع الدعم عن الإنتاج الزراعى ، ولبنوك القرى ، ولعلاقات أمثل بين المالك والمستأجر » .

وقد اقترح الأستاذ الكاتب عدداً من المقترحات التى تتصل بزكاة الزروع والثمار ومقدارها وطريقة إنفاقها والاستفادة منها . وقد رأت لجنة البحوث الفقهية إحدى ــ لجان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ــ أن تحيل إلىّ هذا الموضوع لدراسته وبيان وجه الحق والصواب فيما تعرض له هذا المقال .

وبدراسة المقترحات التى قدمها الأستاذ بكلية التجارة جامعة الأزهر وجدت فيها بعض الأخطاء فى الأحكام الشرعية التى تحتاج إلى تصويب على النحو التالى :

أولاً : حدد سيادته مقدار زكاة الزروع والثمار بمبلغ ٥٪ من إجمالى المحصول الناتج لكل مزارع .

وتحديد مقدار الزكاة على هذا النحو لكل الزراعات خطأ من الناحية الشرعية فإن مقدار زكاة الزروع والثمار كما حددها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ العشر (١٠٪) لما سقى بغير مؤنة وتكلفة ، ونصف العشر (٥٪) لما سقى بمؤنة وتكلفة وقد سبق بيان ذلك بأدلته من الحديث الشريف .

ثانيا : اقترح سيادته أن تصرف حصيلة هذه الزكاة على النحو التالى :

٣٪ من الحصيلة لدعم مستلزمات الإنتاج الزراعى .

٢٪ من الحصيلة لمواجهة الكوارث التى تصيب بعض المزارعين .

والخطأ فى هذا الاقتراح أنه يصرف زكاة الزروع والثمار فى غير المصارف التى حددها الله ــ تعالى ــ فى القرآن الكريم ، والتى قال عنها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « إن الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء » وليس من بين هذه الأجزاء الثمانية التى حكم الله بها ــ شراء

مستلزمات الإنتاج الزراعى من آلات وجرارات وخلافه .

والخطأ الثانى : أن إنفاق جزء من الزكاة فى شراء آلات يستفيد بها المزكى وغيره يؤدى إلى أن يعود بعض النفع من أموال الزكاة إلى المزكى نفسه وهذا ممنوع شرعاً كما شرحنا فى منع أداء الزكاة إلى أصول المزكى وفروعه وزوجه حتى لا يعود النفع إليه .

والخطأ الثالث : أنه يصرف جزءاً من أموال الزكاة لمواجهة كوارث المزارعين وقد يكون من أصابته الكارثة ممن يؤدى الزكاة أو من غير المحتاجين فيترتب على هذا الاقتراح أن تصرف أموال الزكاة فى غير مصرفها الشرعى ولمن لا يستحقها .

ثالثاً : يقترح الأستاذ فى مقاله المذكور الأخذ بأسلوب المزارعة بحيث يتقاسم المالك والمزارع الناتج بينهما سواء كان قليلاً أم كثيراً .

وهذا اقتراح لا اعتراض عليه فإن المزارعة من العقود الشرعية التى تكون بين مالك الأرض والزارع والتى يتحدد فيها نصيب كل منهما بنسبة من الخارج (النصف أو الثلث أو الربع) ـ مثلاً ـ دون تحديد قدر معين حتى لا يفسد هذا العقد .

ولكن الاعتراض على ما ذكره فى شأن تأجير الأرض بإيجار نقدى حيث يقول : « ويكاد يجمع الفقهاء على أن الإيجار النقدى للأرض الزراعية قد يجانب الشرع لأن فيه غنماً وبعداً عن الغرم .

والأسلوب الشرعى الحلال هو المزارعة ، وهذا يحقق مبدأ « الغنم بالغرم » .

فقوله : « ويكاد يجمع الفقهاء على أن الإيجار النقدى للأرض الزراعية قد يجانب الشرع ... إلخ » قول بعيد عن الصواب . فإن الذى قال ذلك هو ابن حزم ـ وحده ـ ولم يوافقه واحد من الأئمة الأربعة على ذلك وإليك النصوص :

قال ابن حزم فى كتابه « المحلى » جـ ٨ ص ٢١١ مسألة رقم ١٣٣٠ مايلى :

« ولا يجوز كراء الأرض أى إجارتها ـ بشىء أصلاً لا بدنانير ولا بدراهم ولا بعرض .. ولا بطعام مسمى ولا بشىء أصلاً . ولا يحل فى زرع الأرض إلا أحد ثلاثة أوجه :

إما أن يزرعها المرء بآلته وأعوانه وبذره وحيوانه .

وإما أن يبيح لغيره زرعها ولا يأخذ منه شيئاً ...

وإما أن يعطى أرضه لمن يزرعها ببذره وحيوانه وأعوانه وآلته بجزء ويكون لصاحب الأرض مما يخرج الله ـ تعالى ـ منها مسمى إما نصف وإما ثلث أو ربع أو نحو ذلك أكثر أو أقل ، ولا يشترط على صاحب الأرض البتة شىء له ولا شىء عليه . فهذه الوجوه جائزة فمن أبى فليمسك أرضه » اهـ .

واستدل ابن حزم لرأيه بعدد من الأحاديث والآثار عن بعض الصحابة والتابعين ، ولكن جمهور الأئمة لم يوافقوا ابن حزم فيما ذهب إليه واتفقوا على جواز إجارة الأرض للزراعة أو غرس

الأشجار فيها واستدلوا لذلك بما رواه مسلم عن حنظلة بن قيس الزرق قال : سألت رافع بن خديج عن كراء الأرض بالذهب والورق (الفضة) فقال : لا بأس به ، إنما كان الناس يؤاجرون على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على (الماذيانات) وأقبال الجداول(٥) ، وأشياء من الزرع ـ أى معينة ـ فيهلك هذا ويسلم هذا ، ويسلم هذا ويهلك هذا ، فلم يكن للناس كراء إلا هذا ، فلذلك زجر عنه ، فأما شيء مضمون معلوم فلا بأس به .

وفى رواية عن سعد بن أبى وقاص قال : أرخص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى كراء الأرض بالذهب والورق ـ أى الفضة . » وغير ذلك من الأحاديث الشريفة .

ويرد جمهور الأئمة على ما استدل به ابن حزم فى النهى عن إجارة الأرض بما يجعل قول الجمهور هو الراجح ، وعليه العمل إلى يومنا هذا ، ومن أراد تفصيل الأدلة ومناقشتها فليرجع إلى كتب الفقه .

وبعد هذا البيان يكون قول الأستاذ : « ويكاد يجمع الفقهاء على أن الإيجار النقدى للأرض الزراعية قد يجانب الشرع » قولاً غير صحيح فهم لم يجمعوا على ذلك ولا كادوا يجمعون .

واستدل الأستاذ بقوله بأن فى الإيجار النقدى غنما بعيداً عن الغرم وهو استدلال غير صحيح فإن مالك الأرض عندما يؤجرها بالنقد يملك المستأجر منافع الأرض ويأخذ المالك الأجر فى مقابل هذه المنافع فهو عقد معاوضة بين المالك والمستأجر . والأرض عين يمكن استيفاء المنفعة المباحة منها مع بقائها فجازت إجارتها بالأثمان ونحوها كالدور والحوانيت ولا فرق .

وعقد الإجارة ـ سواء فى الدور أو الأرض ـ تمليك المنافع بعوض فالمالك صاحب الأرض يملّك المنفعة للمستأجر ويأخذ الأجرة فى مقابل ذلك ، والمستأجر يتملك المنفعة ويعطى الأجرة فى مقابل ذلك ، فليس فى هذا غنم بعيد عن الغرم ، لأى من المتعاقدين فى إجارة الأرض بالثمن .

وقوله : (الأسلوب الشرعى الحلال هو المزارعة) يشعر بأن إجارة الأرض بالنقد أسلوب غير شرعى وغير حلال فقد جاءت عبارته تفيد قصر الحل والشرعية على عقد المزارعة وحده ، وذلك خبط فى الحل والحرمة بغير علم .

ومما يزيد الوضع سوءاً أن الأستاذ فى إحدى كليات جامعة الأزهر .

ويبدو أن سيادته اعتمد على ما لديه من ثقافة عامة فجاءت أقواله بعيدة عن الدقة الواجبة فى الحديث عن الأحكام الشرعية والعقود التى تحل والتى تحرم ، وكان الأجدر بسيادته أن يتحدث فيما تخصص فيه من أمور التجارة والمحاسبات حتى لا يعرض نفسه للنقد والمؤاخذة على القول فيما لا علم له به .

---

(٥) أى على ما تنتجه شواطىء الأنهار ورؤوس الجداول .

شهادة الأصول للفروع والعكس

أ.د/ سعاد ابراهيم صالح (*)

تمهيد :

الشهادة : هى الإخبار بما عَلِمَهُ .. وقال بعضهم : تكون بلفظ (أشهد) ، أو (شهدت) والفاعل : شاهد وشهيد ، والجمع شهود وشهداء وشاهدون .

والشهادة : سبب موجب للحق ، وحيث امتنع أداؤها امتنعت كتابتها ، ويحرم كتمانها ، ولو كان بين إنسان شيء لا يستحقه ولا يصل إلى مستحقه إلا بالشهادة لزمه أداؤها وتعيَّن .. ولو كان الشهود أكثر من نصاب الشهادة وطلب أحدهم وجب عليه أداؤها فى أصح قولى العلماء ، وأما إذا كان المطلوب لا يتم نصاب الشهادة إلا به فقد تعينت عليه إجماعا .

والأصل فى الشهادة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، فقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ سورة البقرة (٢٨٢) أى للتحمل فعليهم الإجابة وقوله : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ سورة البقرة (٢٨٢) أى أشهدوا على حقكم سواء كان فيه أجل أم لم يكن . والجمهور على أن الأمر للندب والإرشاد لا على الوجوب ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ سورة البقرة (٢٨٣) أى إذا دعيتم إلى إقامتها فلا تخفوها ولا تغلوها بل أظهروها .. قال ابن عباس : « شهادة الزور من أكبر الكبائر ، وكتمان الشهادة كذلك ، وفى الآية وعيد شديد لكاتم الشهادة » .

وأما السنة : فقوله ﷺ فى نحلة بشير لابنه النعمان : ﴿ لا تشهدنى على جور ﴾[1] وأجمعت الأمة على تعين أدائها وحرمة كتمانها . .

أركان الشهادة :

تقوم الشهادة على ثلاثة أركان :

الأول : العدالة .

الثانى : نفى التهمة وإن كان عدلا ، أو انتفاء الموانع ، ومن الموانع البعضية أو قرابة الولادة .

الثالث : التيقظ والحفظ وقلة الغفلة .

(*) أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر .

(١) الحديث : (فإنى لا أشهد على جور) انظر صحيح مسلم (هبات) ومسند أحمد ٢٦٨/٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ .

أما العدالة : فأصلها الإيمان واجتناب الكبائر ومراعاة حقوق الله — عز وجل — فى الواجبات والمسنونات وصدق اللهجة والأمانة ، وألا يكون محدودا فى قذف .

وأما نفى التهمة : فألا يكون المشهود له والدا ولا ولداً أو زوجا وزوجة .

وأما التيقظ والحفظ وقلة الغفلة ، فألا يكون غفولا غير مجرب للأمور فإن مثله ربما لُقّنَ الشيء فتلقنه وربما جُوز عليه التزوير فشهد به .

والذى يهمنا هنا هو الركن الثانى : وهو نفى التهمة عن الشهادة وان كان الشاهد عدلا .. فذهب أكثر الفقهاء الى اشتراطها وذهب البعض منهم الى عدم اشتراطها على النحو المبين فيما يلى :

آراء الفقهاء فى حكم شهادة الأصول للفروع والعكس :

يقول الله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

سورة النساء

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ سورة المائدة (٨)

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يكونوا قوامين بالعدل فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ، ولا تأخذهم فى الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف وأن يؤدوا الشهادة ابتغاء وجه الله ولو كان ذلك على أنفسهم ، وشهادة المرء على نفسه إقراره بالحقوق عليها ، أو الوالدين والأقربين ، فلا ينبغى مراعاتهم فيها ، بل تجب الشهادة بالحق .. ولا يتنافى ذلك مع وجوب برهما وعظم قدرهما ، وإنما خصَّ الله الوالدين والأقربين بهذا الحكم لأنهم مظنة المودة والتعصب ، ولاحتمال أن يؤثر ذلك فى صحة الشهادة وإقامتها .

ولذلك ختم الله الآية بقوله :

﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ، أى فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس إليكم إلى ترك العدل فى أموركم وشؤونكم ، بل الزموا العدل على أى حال كان ، كما قال — تعالى :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ سورة المائدة

وقال النبى ﷺ : « **خير الشهداء الذى يأتى بالشهادة قبل ان يسألها**(٣) » ..

حكم شهادة الأقارب بعضهم لبعض

ومن هنا اختلف الفقهاء فى حكم شهادة الفروع للأصول ، والأصول للفروع ، فذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والمالكية ، والمشهور عن الحنابلة إلى أنه لا تجوز شهادة الوالدين — وإن علوا — للولد — وإن سفل — ، ولا شهادة الولد — وأن سفل — لهما — وإن علوا — ، لشبهة التهمة بسبب ما بينهما من العصبية والنفع والمودة بينهم .

ويروى عن الظاهرية أنه تجوز شهادة الولد لوالديه وشهادة الأب لابنه وامرأته إذا كانوا

(٣) رواه ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ﴾ من سورة المائدة .
ولم يسنده فى هذا الموضع ١٠/٥٦٥ ط دار إحياء الكتب العربية .

عدولا مهذبين معروفين بالفضل ولعموم الآيات الواردة فى الشهادة .

واستدل جمهور الفقهاء القائلين بمنع قبول الشهادة بأدلة من الكتاب والسنة والمعقول .

أما الكتاب فقوله تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ ﴾

سورة النور (٦١) .

ووجه الاستدلال بهذه الآية : أن الله سبحانه ذكر جواز الأكل من بيوت الآباء ولم يذكر بيوت الأبناء لأن قوله تعالى : ﴿ **من بيوتكم** ﴾ قد انتظمها .. ويؤكد هذا المعنى قوله ﷺ « أنت ومالك لأبيك »[٣] فأضاف الملك إليه .. وقال ﷺ : « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه فكلوا من كسب أولادكم »[٤] فلما أضاف ملك الابن الى الأب وأباح أكله له وسماه له كسبا ؛ كان المثبت لإبنه حقا بشهادته بمنزلة مثبتة لنفسه ومعلوم بطلان الشهادة لنفسه فكذلك لابنه واذا ثبت ذلك فى الابن كان ذلك حكم شهادة الابن لأبيه إذ لم يفرق أحد بينهما .

وأما السنة فاستدلوا بأحاديث منها : قوله ﷺ : « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولاذى الغمر على أخيه ، ولا ظنين فى قرابة ولا ولاء »[٥] والغمر : الشحناء .

وأما ذو الغمر : فهو الذى بينه وبين المشهود عليه عداوة ظاهرة ..

والظنين : المتهم ، والأب متهم لولده لأن ماله كماله ، ولأن بينهما بعضية فكأنه يشهد لنفسه .. ولهذا قال عليه السلام : « فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها » والخبر أخص من الآيات فتخص به وقوله ﷺ « لا تقبل شهادة الولد لوالده ولا شهادة الوالد لولده ولا المرأة لزوجها ولا الزوج لزوجته » والحديث صريح فى المنع .

وأما المعقول فلمعان كثيرة :

أولها : أن ما بين الأب والابن من البعضية والجزئية يمنع من قبول الشهادة ، كما منع من إعطائه من الزكاة ، ومن قتله إذا قتل ولده ومن حدّه بالقذف إذا حدّ ولده ، ومن عدم قطعه إذا سرق من مال ولده .

ثانيها : أن الإنسان متهم فى ولده مفتون به كما قال تعالى : «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» سورة التغابن (١٥) فكيف تقبل شهادة المرء لِمَنْ فُتن به ، والفتنة محل التهمة !!

والراجح عندنا رأى الجمهور بمنع قبول شهادة الوالد لابنه والابن لأبيه ، وذلك لقوة أدلتهم ، ولأن معانى الأبوة والبنوة والشفقة الرابطة بين الأصول والفروع تجعل شبهة التهمة بالمنفعة موجودة .. فالأولى منع قبول الشهادة سدا للشبهة بالمنفعة المترتبة على الإدلاء بتلك الشهادة .

أما شهادة أحدهما على الآخر فتقبل وهذا الأمر محل اتفاق جميع الفقهاء وذلك لقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ سورة النساء آية (١٣٥) فأمر سبحانه بالشهادة عليهم ، والله ـ تعالى ـ أعلم .

---

(٣) رواه أحمد .

(٤) رواه أحمد .

(٥) راجع سنن أبى داود : أقضية ، وسنن الترمذى : شهادات وسنن ابن ماجة : أحكام ، وسنن أحمد ١٨١/٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥ .

النبى صلى الله عليه وسلم والأسماء

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

تذكر لنا كتب السيرة والطبقات : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتفاءل بالأسماء الحسنة ويدعو إلى التسمى بها ، وقد رُوى عن أبى الدرداء ، أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إنكم تُدْعَوْن يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، فحسنوا أسماءكم » .

الترغيب والترهيب للمنذرى حـ ٣ ص ٦٩ .

وقد ورد عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « أحب الأسماء إلى الله ما تُعُبِّدَ له به ، وأصدق الأسماء همام وحارث » ـ أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير ، وقال : أخرجه الشيرازى و الطبرانى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ .

وفى حديث آخر يقول : « أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير ، وقال : رواه مسلم وأبو داود والترمذى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنهما ـ

وفى دعوة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى التسمى بالأسماء الحسنة لفتة كريمة إلى ما يجب أن يسود المجتمع من علاقات طيبة وتواصل محمود ؛ ذلك أن العرب فى الجاهلية كانوا يدأبون على تسمية أبنائهم بأسماء تنبىء بالشر وتنذر بالحرب ، وقد كثر بين أسمائهم : حرب ، وصخر ، ومرة ، وأسد ، وعلقمة ، وما شابه ذلك .

وقد سئل بعضهم فى ذلك : ما لكم تسمون أبناءكم بأسماء فيها شدة ، وتسمون عبيدكم بأسماء فيها رقة ؟ فأجاب : ذلك أننا نسمى أبناءنا لأعدائنا ، ونسمى عبيدنا لنا .

فلما جاء الإسلام جاء بالحب والسلام ، والترغيب فى المودة بين الناس ، وبنى قواعد دولته على الإخاء والتسامح ، وهذه نعمة الإسلام الكبرى التى يذكرنا الله ـ تعالى ـ بها فى قوله :

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

آل عمران : ١٠٣

التفاؤل والتطير بالأسماء :

وكان العرب قديماً يتفاءلون بالأسماء الطيبة ويتطيرون بعكسها ، ولهم فى ذلك قصص وأخبار ، وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعرف أن من طبيعة النفوس الإقبال على كل ما هو حسن ، والنفور من كل قبيح ، ومن أوجه الإقبال على الحسن : الاستبشار بالإسم الجميل الذى يقع من قلب السامع موقعاً جميلاً ، ولذلك ورد عنه فيما يرويه ابن قتيبة فى كتابه : « عيون الأخبار »، مروياً عن أبى سلمة ـ رضى الله عنه ـ : « إذا أبردتم إلى بريداً فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم » ـ « عيون الأخبار » جـ ١ ص ١٤٨ .

ومما يروى عن تفاؤل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصاحب الاسم الحسن ما يرويه ابن الأثير فى كتابه « أسد الغابة » فى ترجمة بريدة بن الحصيب . قال عبد الله بن بريدة عن أبيه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتفاءل ولا يتطير ، فركب بريدة فى سبعين راكباً من أهل بيته من بنى سهم ، فلقى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : ممن أنت ؟ قال : ممن أسلم ، فقال لأبى بكر : سلمنا ، ثم قال : « مِنْ بنى مَنْ » ، قال : من بنى سهم . قال : خرج سهمك ـ « أسد الغابة » جـ ١ ص ٢٠٩ .

وروى هذا الخبر ابن عبدالبر فى « الاستيعاب « برواية أخرى : فقال له : « من أنت ؟ » قال : أنا بريدة ، فالتفت إلى أبى بكر ، فقال : يا أبا بكر ، برد أمرنا وصلح ، ثم قال له : ممن أنت ؟ فقلت : من بنى سهم . قال : خرج سهمك ـ الاستيعاب جـ ١ ص ١٨٥ .

وقد تفاءل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالسحاب ، فقد روى هشام بن حبيش : أن خزاعة استنجدت بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قريش التى أعانت بكراً عليهم ، ونقضت بذلك صلح الحديبية ، فرأى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سحاباً بالبادية فقال : « هذا مما يستهل بنصر بنى كعب » « الطبقات الكبرى » لابن سعد ١٢٢/٦ ـ أسد الغابة ٣٩٧/٥ .

وعلى الرغم من تفاؤل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأشياء الحسنة إلا أنه كان يحذر من التطير والتشاؤم ، ومما يشير إلى ذلك ما رواه عروة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً ، فإذا رأى أحدكم من الطيرة ما يكره يقول : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ، لا حول ولا قوة إلا بك » « أسد الغابة » ٢٨/٤ .

التفاؤل من طبيعة النفس :

والتفاؤل من طبيعة النفس ، وقد حدث الرياشى عن الأصمعى قال : سألت ابن عون عن الفأل فقال : هو أن تكون مريضاً فتسمع : يا سالم ، أو باغياً ـ يعنى : طالباً للرزق ـ فتسمع : يا واجد ، وفى الحديث المرفوع « أصدق الطيرة : الفأل » وفيه « الطير تجرى بقدر » ـ أخرجه السيوطى فى « الجامع الصغير » عن عائشة .

قال عكرمة : كنا جلوساً عند ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فمر طائر يصيح ، فقال

رجل من القوم : خير ، خير ، فقال ابن عباس : لا خير ولا شر ، قال كعب الأحبار لابن عباس : ما تقول فى الطيرة ؟ قال : وما عسيت أن أقول فيها ؟ لا طير إلا طير الله ، ولا خير إلا خير الله ، ولا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال كعب : إن هذه الكلمات فى كتاب الله المنزل (يعنى التوراة) ـ « عيون الأخبار » لابن قتيبة حـ ١ ص ١٤٦ .

ولأن ذلك من طبيعة النفوس فقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رفيقاً بعلاج ما يتركه ذلك من آثار ، وكان علاجه بالتوجيه إلى الثقة بالله والركون إليه والتوكل عليه والأخذ بالأسباب ، فإن رأى الإنسان شيئاً يكرهه بالتجربة فليتركه .

قال سلمة بن حارثة : جاء قوم فشكوا إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا : سكنا هذه الدار ونحن ذوو عدد ففنوا . فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أفلا تركتموها وهى ذميمة ؟ » ـ أسد الغابة ٤/٤١٥ .

وما يقال من أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن الشؤم قد يكون فى الدابة والمرأة والدار » فهو من الأخبار المحرفة ، وصحته ما روته عائشة ـ وحرره ابن قتيبة فى « عيون الأخبار » ـ : قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كان أهل الجاهلية يقولون : إن الطيرة فى الدابة والدار والمرأة » ثم قرأت : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ الحديد/٢٢

ذكر ذلك ابن قتيبة فى عيون الأخبار جـ ١ ص ١٢٦ .

النبى وتغيير الأسماء :

إلا أن تغيير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماء بعض أصحابه واستبدال أسماء طيبة بها لم يكن بسبب التطير والتشاؤم ، ولكن بسبب رغبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أن يظهر المسلم فى أجمل صورة اسماً ولقباً ومظهراً وسلوكاً ، وقد حذر القرآن الكريم المؤمنين من أن يتنابزوا بالألقاب حيث قال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

الحجرات : ١١

جاء فى تفسير « القرطبى » : تضمنت الآية المنع من تلقيب الإنسان بما يكره ، ويجوز تلقيبه بما يحب ، ألا ترى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقب عمر : بالفاروق ، وأبا بكر : بالصديق ، وعثمان : بذى النورين ، وخزيمة : بذى الشهادتين ، وأبا هريرة : بذى الشمالين وبذى اليدين فى أشباه ذلك ؟

ونقل عن الزمخشرى قوله : روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من حق المؤمن على المؤمن أن يسميه بأحب أسمائه إليه » ولهذا كانت التكنية من السنة ، والأدب الحسن .

قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : أشيعوا الكنى فإنا منبهة ، ولقد لقب أبو بكر : بالعتيق والصديق ، وعمر : بالفاروق ، وحمزة : بأسد الله ، وخالد : بسيف الله ، وقلَّ من المشاهير فى الجاهلية والإسلام من ليس له لقب .

ولم تزل هذه الألقاب الحسنة فى الأمم كلها من العرب والعجم تجرى فى مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير ـ تفسير القرطبى جـ ٩ ص ٦١٥٠ ط « دار الشعب » .

وجاء فى كتابه « أدب الدنيا والدين » للماوردى : وأما ما يستحب ويستحسن من الألقاب فلا يكره ، وقد وصف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدداً من أصحابه بأوصاف صارت لهم من أجلِّ الألقاب .

وقد غير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماء كثير من أصحابه ، والمجال يضيق عن استقصاء ذلك ، ولذلك نكتفى بإيراد بعض الأمثلة .

كثير بن الصلت :

من الذين غير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماءهم : كثيراً بن الصلت بن معد يكرب الكندى ، وكنيته أبو عبد الله . ولد كثير على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو أخو زبير بن الصلت .

وكان كثير هذا قد سماه أهله « قليلا » فلما جاء إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سماه « كثيرا » روى عبيد الله عن نافع عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن كثير بن الصلت كان اسمه قليلا ، فسماه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (كثير) ، وأن مطيع بن الأسود كان اسمه العاصى فسماه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « مطيعا » ... وكان ـ أى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتفاءل بالاسم ـ الاستيعاب : ١٣٠٨/٣ .

مطيع بن الأسود :

أما مطيع فهو ابن الأسود بن حارثة العدوى . من قبيلة عدى بن كعب القرشية . وكان اسمه « العاصى » فسماه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مطيعا ، كما جاء فى نسب قريش ص ٣٨٣ .

وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعمر بن الخطاب : « إن ابن عمك العاصى ليس بعاص ، ولكنه والله مطيع » .

وهناك قصة تشهد بصدق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك ، فقد « روى عنه ابنه عبد الملك بن مطيع أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جلس على المنبر وقال للناس : اجلسوا . فجاء العاصى بن الأسود فسمع قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اجلسوا ؛ فجلس مكانه خارج المسجد .

فلما نزل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاء العاصى ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا عاصى ما لى لم أرك فى الصلاة ؟ فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ؟ دخلت فسمعتك تقول : اجلسوا فجلست حيث انتهى بى السمع ، فقال : لست بالعاصى ولكنك مطيع . ـ « أسد الغابة » ١٩١/٥ .

الحسن والحسين :

وغير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اسمى سبطيه ، فسماهما : الحسن والحسين ، وكان أبوهما على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ قد سمى كلاً منهما : حرباً ، ذكر ابن الأثير فى سند

متصل بأبى نعيم الفضل بن دكين ، وعبد الله بن موسى قالا : « حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن هانىء بن هانىء عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : لما ولد الحسن سميته حربا ، فجاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أرونى ابنى ، ما سميتموه ؟ فقلنا : حربا ، قال : بل حسن . فلما ولد الحسين سميته حرباً ، فجاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أرونى ابنى ، ما سميتموه ؟ قلنا : حربا . قال : بل حسين ، فلما ولد الثالث سميته حربا ، فجاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أرونى ابنى ، ما سميتموه ؟ قلنا : حربا . قال : بل هو مُحسِّن ، ثم قال : سميتهم بأسماء ولد هارون : شَبر وشُبيِّر ومُشَبِّر » .. « أسد الغابة » جـ ٢ ص ١٠ ، ص ١٨ وقد مات محسن صغيراً .

والحسن والحسين من أسماء أهل الجنة ، لم يكونا فى الجاهلية ، كما أخبربذلك عمران بن سليمان فيما يرويه ابن الأثير فى المرجع المذكور .

تغيير أسماء بعض النساء

جميلة بنت ثابت الأنصارية :

ولم يقتصر تغيير الأسماء على الرجال فقط ، فقد غير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماء بعض النساء ، ومن النساء اللاتى غير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماءهن : أم عاصم ، وقد ورد ذلك فى « الاستيعاب » فيما رواه عبيد الله عن نافع عن ابن عمر .. حيث قال : وأن أم عاصم كان اسمها عاصية فسماها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جميلة ، وكان يتفاءل بالاسم ـ « الاستيعاب » ١٣٠٨/٣ .

وأم عاصم هى : بنت ثابت بن أبى الأقلح الأنصارية أخت عاصم بن ثابت الذى يطلق عليه : حَمِىُّ الدَّبرَ ـ والدَّبرَ هو : النحل ـ حيث حَوَّم النحل فوقه ليحول بينه وبين الكفار الذين أرادوا اجتزاز رأسه فى موقعة « الرجيع » المشهورة .

وأم عاصم هى زوجة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان اسمها فى الجاهلية عاصية فلما أسلمت سماها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : جميلة .

وكُنيت باسم ابنها عاصم بن عمر الذى زوجه أبوه من الفتاة التى رفضت أن تشوب اللبن بالماء فى القصة المشهورة ، فولدت لعاصم فتاة تزوجها عبدالعزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبدالعزيز الذى نزع إلى جده عمر بن الخطاب فى العدل ، فسمى خامس الخلفاء الراشدين .

زينب بنت أبى سلمة :

ومن النساء اللاتى غير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماءهن : زينب بنت أبى سلمة ربيبة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اسمها « بَرَّة » ـ صفة مشبهة من البر ـ وسماها زينب ، وتعليل ذلك فيما يرويه أبو هريرة : أن زينب بنت أبى سلمة كان اسمها برة ، فقيل : تزكىِّ نفسها ، فسماها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ زينب .

وروى محمد بن عمرو بن عطاء ـ رضى الله عنه ـ قال : سميت ابنتى : برة ، فقالت زينب بنت أبى سلمة : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن هذا الاسم ، وسُمِّيتُ برة فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تزكوا

أنفسكم ، الله أعلم بأهل البر منكم » فقالوا : بم نسميها ؟ فقال : « سموها زينب » ـ رواه مسلم وأبو داوود ، وذكره المنذرى فى « الترغيب والترهيب » جـ ٣ ص ٧١ .

جويرية بنت الحارث ، وميمونة بنت الحارث :

وكانت جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، زوج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اسمها أيضاً بَرَّةَ ، كما جاء فى « طبقات ابن سعد » ٨٤/٨ ، فسماها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جويرية .

وروى ابن عباس قال : كان اسم ميمونة بنت الحارث زوج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : بَرَّةَ فسماها ـ صلى الله عليه وسلم ـ ميمونة ـ وهى خالة ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ « أسد الغابة » ٢٧٢/٧ ، « الإصابة فى تمييز الصحابة » لابن حجر ١٢٦/٨ .

هدى تربوى خلقى :

لقد كان تغيير الأسماء كما ذكرت هذه الروايات بهدف تربوى وأخلاق سليم ، ولعل الإمام الخطابى ـ فيما ذكره المنذرى ـ فى تعليقه على ما رواه أبو داود قال : وغيّر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اسم العاصى ، وعزيز ، وعتلة ، وشيطان ، والحكم ، وغراب ، وحباب ، وكذلك شهاب ، فسماه هشاما ، وسمى حربا سلما ، وسمى المضطجع المنبعث ، وأرضاً تسمى عَفِرة سماها خضرة ، وشِعب الضلالة سماه شعب الهدى .. وسمى بنى مغويه بنى رشدة ، قال أبو داود : تركت أسانيدها اختصاراً .

قال الخطابى معلقاً : أما العاصى : فإنما غيَّره كراهية لمعنى العصيان ، وإنما سمة المؤمن الطاعة والاستسلام ، والعزيز : إنما غيره لأن العزة لله ، وشعار العبد الذلة والاستكانة ، وعتلة : معناها الشدة والغلظة ، ومنه قولهم : رجل عتل أى شديد غليظ ، ومن صفة المؤمن اللين والسهولة ، وشيطان : اشتقاقه من الشطن وهو البعد عن الخير ، وهو اسم المارد الخبيث من الجن والإنس ، والحكم : هو الحاكم الذى لا يرد حكمه ، وهذه الصفة لا تليق إلا بالله .

وغراب : مأخوذ من الغرب وهو البعد ، ثم هو حيوان خبيث المطعم أباح الله قتله فى الحل والحرم ، وحباب : نوع من الحيات ، وروى أنه اسم : شيطان ، والشهاب : شعلة من نار ، والنار عقوبة الله .

أما عفرة : فهى نعت الأرض التى لا تنبت شيئاً سماها خضرة على معنى التفاؤل « الترغيب والترهيب » حـ ٣ ص ٧٢ .

وهكذا يظهر مما تقدم : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان حكيماً فى توجيهه ، رحيماً بأمته ، يأخذ بيدها إلى معالى الأمور ، لأنه إنما بعث ليتمم لها مكارم الأخلاق ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

عمل المرأة بين المنظور الإسلامى والقانون المصرى

مسائل ترجيحية

د/ زينب صالح الأشوح

الجزء الأخير

٣ ـ نظرة تحليلية مقارنة حول معالجة عمل المرأة بين الشريعة الإسلامية والتشريع المصرى :

بعد استعراض أهم ما ورد فى الشريعة الإسلامية والتشريعية حول تشغيل المرأة يأتى دور الباحثة فى التعليق والتحليل المقارن للعرض السابق .

بادىء ذى بدء ، طالما نحن بصدد الحديث عن موضوع يتعلق بالشريعة الإسلامية فحتى إذا كان هذا الموضوع يحلل من المنظور الاقتصادى فلابد أن يوجه ذلك المنظور فقط من خلال قنوات تلك الشريعة وأحكامها ، ولعل هذا ما يميز الاقتصاد الإسلامى وأبحاثه عن الدراسات الأخرى .

حدود عمل المرأة

حقيقة الأمر أن الرجل هو المكلف بأداء المسئوليات التى تتضمن مشقة أو مخاطرة كبيرة مثلما أشارت سورة القصص عندما رأى موسى عليه السلام نارا على البعد وكان وقتئذ مع زوجته التى تركها فى مكان آمن وذهب ليتفقد أخبار تلك النار وليحضر ما ينفع منها للتدفئة إن أمكن ذلك وفى ذلك يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾
(القصص : ٢٩)

وبالقرار فى البيت يمكن للمرأة أن تحتمى من منغصات الشمس والمعاناة من البرد القارص الذى عادة ما يكون أقوى فى خارج المنزل عنه فى داخله وبذلك تكون المرأة قد اختصت فى الإسلام عند أمرها بالقرار فى المنزل ـ بنعمة التمتع فى الدنيا ببعض ما سوف يتمتع به أهل الجنة حيث تقول الآية الكريمة :

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾
(الإنسان : ١٣)

وبناء على ما سبق ، ومن المنظور الاقتصادى قد نستطيع استنباط قاعدة هامة لاستخدام المرأة ـ كعنصر من عناصر الإنتاج ـ الاستخدام الأمثل وذلك بأن (تكلف بالقيام بالأعمال غير الشاقة بدنيا والتى لاتنطوى على مخاطرة وقد يكون منزلها ـ وما يمكن أن يقوم مقامه ـ المكان المثالى للقيام بعملها وبنشاطها) .

وفى أحد مواضع العرض السابق اتضح أن ابنتى الرجل الصالح كانتا تعملان لكبر أبيهما ، ولكن

بعد زواج إحداهما من موسى ــ عليه السلام ــ وعندما أصبح هناك رجل يقوم عنهما بالعمل توقفتا عن العمل وتركتاه له على أن يؤجر فى مقابل ذلك العمل . وتلك القصة تذكرنا بالسيدة خديجة التى كانت تعمل بالتجارة ثم وكلت سيدنا محمد ﷺ بعد زواجها منه لاستثمار أموالها والقيام هو بالتجارة بدلا منها . ومن ذلك نستنتج أن المرأة لاتعمل فى حالة وجود الرجل القادر على تحمل عبء العمل عنها . وبإضافة تلك الجزئية إلى القاعدة السابقة للاستخدام الأمثل للمرأة تصبح تلك القاعدة فى مضمونها الأشمل أن المرأة يمكن أن (تكلف بالقيام بالأعمال الميسرة بدنيا ، والتى لاتنطوى على مخاطرة ، وقد يكون مجال العمل منزلها ــ أو ما قد يقوم مقامه ــ المكان المثالى للقيام بعملها أو بنشاطها وأن لا يكون هناك رجل بديل يمكن أن يحل محلها فى القيام بهذا العمل) .

مضاعفات عمل المرأة:

أما عن التأثير السيء الذى قد يتركه عمل المرأة خارج منزلها على الروابط الأسرية فقد جاء مثال يتحدث عن نفسه فى صورة سؤال على لسان إحدى النساء العاملات فى باب الفتاوى (مجلة الأزهــر ، ج١٢ ، ذو الحجـــة ١٤١٣هـ ص١٨٧٩) تذكر فيه أن زوجها مسافر للعمل بالخارج بينما هى تعمل بالوطن وعندما علم زوجها بإنها ركبت مع مديرها فى رحلة عمل قال لها « تحرمى على ليوم الدين إذا ركبت مع هذا الرجل .. » ولكن (ظروف عملها) اضطرتها لمعاودة الركوب مع نفس الشخص وهى تتساءل عن (صحة يمين) زوجها !! أما أنا فاتساءل ــ فى ضوء الاستعراض السابق لأحكام الشريعة الإسلامية ــ عن صحة عملها فى حد ذاته ؟! ومع هذا فمن الحكمة التريث بعض الشيء قبل أن نضيف (إذن الزوج) كجزئية لقاعدة التشغيل الأمثل للمرأة المسلمة .

فقد تبين مما تقدم أن الزوج لا يجبر على قبول عمل زوجته .. فهل ــ فى المقابل ــ يجوز شرعا أن يجبر الزوج زوجته على القيام بالعمل ؟ الواقع أن الوضع الأخير أصبح ظاهرة متنامية ولا يخفى تواجدها مهما تعددت أشكالها ، فقد أصبح عمل المرأة ، بل عملها فى مهنة معينة من أهم شروط الزوجة الملائمة وأصدق الأمثلة على ذلك ما ترد فى باب (أريد زوجة) فنجد مثلا فى جريدة الجمهورية (الأحد ١٦ أغسطس ١٩٩٢ ، ص٩) شخصا فى الثانية والخمسين من العمر متدينا ولايعول يحمل مؤهلاً عالياً ، وآخر يطلب زوجة من شروطها أن تكون (موظفة حكومية) ويفضل من (لديها شقة) . وفى مقالة لمى شاهين حول الأسباب المختلفة للسعادة الزوجية (جريدة الأخبار (٩٢/٩/٦ ، ص ١٤) لا يخجل زوج من أن يصرح بأن عدم مشاركة الزوجة فى نفقات المنزل (خطأ جسيم) لأن الزواج شركة بين الزوجين ومن ثم فيجب أن يتحملا معا أعباء المنزل متضمنة الانفاق على الأسرة !! وسوف يتضح المزيد من الأمثلة فى جزء لاحق مما يؤكد أن الرجل المصرى يفضلها (عاملة) كشرط مسبــق للزواج . وفى أحيان عديدة جدا لاستمرار الحياة الزوجية السعيدة . بل ان الزوج فى أحيان كثيرة يستخدم حقه الشرعى فى ضرورة (إذنه بالعمل) لزوجته كوسيلة للضغط على الزوجة حتى تفضى إليه بكل مايحتويه جرابها من نقود .. !!

وبتتبع الاتجاه العام للمعالجة الإسلامية لقضية عمل المرأة نلاحظ أن الآراء تتناول دائما المرأة المتزوجة التى لزوجها حق رعايتها له والأم التى لأولادها حق تربيتهم وبيت الزوجية هو عادة مكان الحوار والنقاش هل على المرأة أن تبقى فيه أو مسموح لها بالعمل خارجه ؟! وقد يبدو من خلال تتبع تلك الآراء فى إجمالها أن المرأة غير المتزوجة تأخذ حكم الرجل فيما يتعلق بحق العمل خارج المنزل . وقد يبدو الرأى الأخير منطقيا إلى حد بعيد لأن عدم زواجها يعنى ــ فى الأحوال العادية ــ عدم وجود مسئوليات منزلية ملحة إلى جانب أنها تتطلب من يرعاها ماديا

فإذا كانت بغير زواج ولا تعمل ولا تجد من يرعاها فإن ذلك بلا شك يؤلمها نفسياً ، كذلك تعتبر **موردًا معطلًا** لايستفاد منه ، ويجب بالفعل الاستفادة منه . كذلك قد يكون الحال للأم ذات الأولاد ولكن بلا زوج يتكفل بالانفاق عليهم ، ويمكن أيضا أن ينطبق الرأى على الأم التى تزوج أولادها وفقدت زوجها ومازالت لديها المقدرة على العمل والعطاء . وبناء عليه يمكن أن نضيف إلى القاعدة العامة المقترحة عبارة (وأن تكتسب المرأة غير المتزوجة ــ أو التى لا تجد من ينفق عليها أو من يحتاج إلى رعايتها من الأبنا أو الزوج فى المنزل ــ حقا تلقائيا فى العمل خارج المنزل) .

وإذا كان عمل المرأة يستهدف منه : التكسب والمشاركة فى الانفاق على الأسرة مع الزوج ــ وذلك كما يسود حدوثه فى الوقت الحالى ، فهذا ينافى القاعدة الشرعية التى تلقى مسئولية التكسب والانفاق على الرجل لاعلى المرأة .

كما أن ذلك يتنافى مع الرأى الذى يرى أن (الفقر) هو المبرر الوحيد الجوهرى لعمل المرأة المسلمة (مثلما قال عبد الرب نواب الدين ، ١٩٨٦ ، ص١٠٣) .

ضوابط للأعمال المستحبة :

والواقع أن الكثير من الدراسات المتخصصة لم تتعرض لنقطة هامة تتركز فى حكم عمل المرأة التى تعمل لمساعدة زوجها الذى لم يستطع الوفاء باحتياجات الأسرة ، وماذا عن عمل المرأة الذى يساعد بوجه عام على أن تسير الأمور الشرعية فى مجراها الطبيعى ؟ فعلى سبيل المثال إذا كان الزوج يعمل عملاً ربوياً وتاب ولكنه لا يستطيع أن يجد عملا بديلا هل يفضل أن يستمر فى عمله هذا ام أن تعمل الزوجة وتنفق على الأسرة بينما يقوم الزوج بالتفرغ لعملية البحث عن عمل آخر حلال ويتناسب مع قدراته وخبراته . وعمل الممرضة فهو مستحب لرعاية النساء حتى لا ينكشفن على الرجال . ولكن ذلك العمل يتطلب منها البيات خارج منزلها وترك أطفالها الصغار فهل من الأفضل أن تستمر فى عملها مضحية بالحياة الطبيعية للأسرة والأطفال على وجه الخصوص ام تتفرغ لرعاية الأسرة ويقوم الرجال بعملية التمريض فى الفترة المسائية على الأقل ؟

وبخصوص الرأى القائل بإن أحد الآثار السيئة لعمل المرأة أنه يؤدى إلى انقلاب الأمور بالنسبة للمسئوليات الملقاة على كل من الرجل والمرأة وأن الرجل يضطر للعمل بالمنزل ، الواقع أن ذلك ليس بالشىء المشين أو المستجد وليس بشرط أن يحدث فى حالة عمل المرأة فقط ، فعن الأسود : سئلت عائشة ــ رضى الله عنها ــ ما يصنع الرسول فى بيته ؟ قالت : كان فى مهنة أهله حتى إذا حضرت

الصلاة خرج إلى الصلاة ـ كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه (الإمام أحمد بن جنبل ، وصحيح البخارى) . ويتأكد هذا المعنى برواية أخرى من هشام عن أبيه قال : قيل لعائشة ما كان النبى ﷺ يصنع فى بيته قالت : كما يصنع أحدكم يخصف نعله ويرقع ثوبه (أحمد بن حنبل وصحيح البخارى) وهناك رواية أخرى : أنه كان ﷺ يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويقول من رغب عن سنتى فليس منى .

أما عن اتهام المرأة العاملة بأنها تتزاحم مع الرجل فى ميدان عمله ، فقد يكون هذا صحيحا إلى حد ما ، ولكن السؤال هنا : هل إحلال المرأة مكان الرجل يتم على غير أساس عادل أم أن ذلك يحدث نتيجة تكاسل الرجل وتركه للمرأة أن تسبقه بينما هو يعتمد فقط على مجرد أن له حقوقا طبيعية فى الانفراد بالعمل ولم يبذل الجهود اللازمة للاستمرار منفردا فى مجال العمل ؟ وماذا عن مهن مثل (الطباخ والسفرجى والترزى النسائى) ألا تعتبر وظائف مزاحمة لمهام المرأة الفطرية ؟

وبالتأمل فيما ورد فى التشريع المصرى من نصوص متعلقة بعمل المرأة ثم بالرجوع إلى الضوابط والأحكام التى وضعتها الشريعة الإسلامية فى هذا الصدد ، يكون من الطبيعى أن يبرز لنا السؤال الآتى : هل ينطبق التشريع المصرى مع أصول وقواعد الشريعة الإسلامية عند معالجة تشغيل المرأة ؟

بعقد مقارنة سريعة وشاملة بين ما جاء فى كل من الشريعة الإسلامية والتشريع المصرى حول تشغيل المرأة ، قد نلاحظ أن بعض مواد القانون يتطابق مع الضوابط التى نظمها الإسلام لكى تحكم عمل المرأة ومع هذا فيبدو واضحا أن هذا التطابق أو التماثل لم يقصد عمداً من قبل القانون المصرى ، وإنما قد حدث ـ فى الواقع ـ من خلال هدف أصلى ـ ذكر صراحة ـ فى القانون هو حماية المرأة العاملة والمساعدة على الحفاظ على الكيان الأسرى المترابط وذلك بمنح الأم بعض الوقت المطلوب لرعاية الأطفال وتنشئتهم فى ذلك الجو الأسرى . كما تجدر الاشارة أيضا إلى أن القانون قد وضع بشكل يساعد على تشجيع تحديد النسل حيث قيدت الأجازات والامتيازات التى تمنح للعاملة بهدف رعاية النشىء على أن يكون ذلك فى حدود انجاب ثلاثة أطفال طوال حياتها كحد أقصى .

ولقد لوحظ تشابه آخر ـ غير معتمد فى الغالب أيضا ـ بين شقى المقارنة من ناحية المساواة فى التعريف وفى الأجر . فبالنسبة للوجه الأول من المقارنة (المساواة فى التعريف) نجد أنه فى الشريعة الإسلامية يجمع الذكر العامل والأنثى العاملة على صفة واحدة بدون تمييز (مثل المؤمنون والمؤمنات والسائحون والسائحات ..) أو أن تذكر الصفة للذكر باعتبارها متضمنة نفس الصفة للأنثى فى صيغة واحدة (مثل : إنما المؤمنون إخوة ..) وذلك التوحيد فى تعريف المشارك فى العمل فى قانون العمل المصرى كما تبين فى القسم الثانى من هذا الفصل . وكذا فكما تساوى الشريعة بين الرجل والمرأة فى الأجر والجزاء (مثلما يتضح فى قوله تعالى :

﴿ لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾

(آل عمران : ١٩٥)

نجد أن قانون العمل يساوى بين الرجل والمرأة فى الأجر .

وفيما يتعلق بالمساواة بين الجنسين فى مجالات العمل فذلك يختلف عما قررته الشريعة حيث جعلت بعض المجالات حكرا على الرجل مثل القضاء والإمامة والقوامة . والواقع أن القانون عندما يساوى بين الجنسين فى الاجازات فإنه يعطى المرأة حقا إضافيا فى اجازات أخرى خاصة بالولادة والرضاعة وما شابهها ، وبلغة الاقتصاد فإن هذا يعنى إن الأجر لا يمنح مقابل الإنتاجية وأن عنصر الرجال - فى العمل - أفضل من عنصر النساء طالما أنه يعطى إنتاجية أكبر (فى خلال فترة أطول من العمل لانخفاض فترة الاجازات) بتكلفة أقل (لأن الاجازات الإضافية للمرأة تؤدى إلى عرقلة استمرار العمل على نفس الدرجة التى كانت المرأة تعمل عليها قبل الحصول على الاجازة والذى يستلزم فى كثير من الأحيان توظيف شخص آخر محلها وقد يكون ذلك على حساب عمل آخر يقوم به هذا الفرد الاحتياطى وكل هذا يعتبر تكلفة وخسارة على العمل المؤدى .

وبالرجوع إلى قرار وزير القوى العاملة (رقم ٢٢ لعام ١٩٨٢) فى القسم الثانى نجد أنه يحظر تشغيل النساء فى البارات .. التى لا تخضع لإشراف وزارة السياحة .. ويعتبر الرقص والفن قاصران على من بلغن سن الرشد . ترى إلى أى مدى يمكن أن يتوافق هذا مع أحكام الشريعة ، وما هو نوع الإنتاجية التى تقدمها الراقصة أو الفنانة أو تلك التى تعمل فى بار مثلا بحيث تقتضى الضرورة أن تقوم بها المرأة أيا كان دينها وبحيث تحتل مكانا وحيزا فى سطور قانون العمل المصرى . ألا يضر هذا النوع من العمل بالمرأة صحيا أو أخلاقيا وهو ما يتنافى مع شروط تشغيل النساء كما سبق وعرضناها فى جزء سابق ؟

وكما ذكرنا من قبل فإن القانون اتاح للأم فرصة الحصول على اجازات تكفى لرعاية ثلاثة أطفال فقط طوال حياتها . وماذا عن الرابع وما بعده إذا أراد الله - تعالى - إيجاده فى الدنيا وهو الذى يقول للشىء كن فيكون ؟ هل فى إهمال رعايتهم حفاظ على الكيان الأسرى هل يستطيع المجتمع ذاته أن يفلت من الآثار السيئة للطفولة المهملة ؟

أما عن الفترة المسموح بها للعمل النسائى خارج المنزل (من السابعة صباحا إلى الثامنة مساء) فقد تكون ملائمة لأحد ضوابط العمل فى الإسلام كما استعرضنا أهمها فى القسم الأول من هذا الفصل لأنها فى خلال تلك الفترة يمكن أن تكون فى صحبة جماعية مأمونة مع السائرين فى الطرق وكذا فإن شروط توفير دور الحضانة فى أماكن العمل له أثر ايجابى فى تواجد الطفل فى نفس مكان تواجد الأم . ولو أن مشكلة رعاية بقية الأطفال الذين يضطرون لانتظار الأم فى المنزل قائمة تدعو لايجاد حل ايجابى .

وفى قرار وزير القوى العاملة والتدريب انه يترتب على تشغيل المرأة فى عمل من الأعمال المحظور تشغيلها فيها غرامة صاحب العمل بما لا يقل عن خمسة جنيهات ولا يزيد عن عشرة جنيهات فإذا كان ذلك العمل المحظور يجلب على صاحب العمل آلاف الجنيهات ، ترى كم تمثل قيمة الحد الأقصى للغرامة (العشرة جنيهات) من تلك المبالغ الهائلة التى عادة ما تدرها مثل تلك الأعمال المحرمة ؟

قائمـة المـراجع

- أبو ذر القلمونى (بدون تاريخ) . ففروا إلى الله . الشركة الدولية للطباعة والإعلان . القاهرة .
- ابن كثير . (بدون تاريخ) . صفوة التفاسير . جـ١
- ابن كثير . البداية والنهاية .
- أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى . (٦٢١هـ ١٦٧٦م) . رياض الصالحين . مكتبة دار التراث . القاهرة
- الأزهر . جـ١٢ . ذو الحجة ١٤١٣هـ .
- أحمد طه محمد (١٩٧٩) . المرأة المصرية بين الماضى والحاضر . مطبعة دار التأليف . القاهرة .
- د . أميمة فؤاد مهنا . (١٩٨٤) المرأة والوظيفة العامة ـ دار النهضة العربية . القاهرة .
- د . أمال مدكور . د . محمد بسيونى . (١٩٩٠) .
- آمنة نصير . (١٩٩٢) . الحوادث . ٤ ٦ ١٩٩٢ .
- « آدم فى مواجهة حواء » . ندوة منعقدة فى أخبار الحوادث . الخميس ١٩٩٢/٦/٤ . القاهرة .
- أنور العربى . (١٩٨٧) . قانون العمل الموحد : المذكرات الإيضاحية وتقارير مجلس الشعب ـ القرارات الوزارية التنفيذية . بنك القوانين . المبتديان . القاهرة .
- أنور العربى . (١٩٨٧) . قانون العمل والقوانين المعدلة والمكملة له والقرارات الوزارية المنفذة لأحكامه . ملحق العددين الخامس والسادس للسنة السابعة والستين . دار الطباعة الحديثة . القاهرة .
- أنور العربى . (١٩٨٧) . الموسوعة الشاملة لقوانين العاملين بالقطاع العام وقوانين الإصلاح الوظيفى وتشريعات البدلات . بنك القوانين . المبتديان . القاهرة .
- أنور العربى (١٩٨٧) . الموسوعة الشاملة بالدولة ـ المذكرات الإيضاحية وتقارير مجلس الشعب والكتب الدورية للجهاز المركزى للتنظيم والإدارة . بنك القوانين . المبتديان . القاهرة .
- أنور العربى . (١٩٨٨) . مجموعة قوانين العاملين المدنيين بالدولة واللائحة التنفيذية . بنك القوانين . المبتديان . القاهرة .
- أنور العربى (١٩٨٨) . قانون العاملين بالقطاع العام حسب آخر التعديلات . بنك القوانين . المبتديان . القاهرة .
- أ . د . بدر الدجى . (١٩٨٧) . « تنموية الثروة البشرية فى العالم الإسلامى » مؤتمر السكان فى العالم الإسلامى . المركز العالمى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية جامعة الأزهر . ١ ـ ٤ رجب ١٤٠٧هـ/ ١ ـ ٤ مارس ١٩٨٧ . القاهرة .
- البخارى . جـ٦

بحث العمالة بالعينة فى جمهورية مصر العربية . الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء . نتائج دورة مايو ١٩٨٢ . نوفمبر ١٩٨٣

- باب الفتاوى مجلة الأزهر . جـ١٢ ذو الحجة ١٤١٣هـ يونيه ١٩٩٣ .
- تفسير ابن كثير جـ١ .
- توفيق محمد شاهين . (سبتمبر ١٩٨٨) . « وضع الأسرة فى الإسلام » الأزهر . القاهرة .
- جريدة الأهرام : الجمعة ١٤ ٨ ١٩٩٢ .
- جريدة الجمهورية : الأحد ١٦ ٨ ١٩٩٢ .
- جريدة الأخبار : ٦ ٩ ١٩٩٢ . ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء التعداد العام ١٩٨٦ . خصائص السكان والظروف السكنية (إجمالى الجمهورية) . المجلد الأول . مرجع رقم ٨٩/٨٦١/١م ب .
- ا . د . حسين شحاته . (١٩٩٠) . اقتصاد البيت المسلم فى ضوء الشريعة الإسلامية . دار الطباعة والنشر الإسلامية . القاهرة .

(*) نشرت المجلة من المراجع ما اتسعت له المساحة .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

● السؤال من السيد مصطفى الوصيف :

بعض السادة الأفاضل الذين يؤمون الناس يمسك بيده الميكروفون (المايك) ويتحرك به فى الصلاة فضلا عن اشتغاله بالحرص على ألا يقع وبهذا فلا هو مرسل ولا هو قابض ، والآخر يعلق الجهاز فى ثوبه أثناء الصلاة وبعضهم يتحرك عمداً نحو الميكرفون ليسمع صوته نرجو بيان الحكم شرعا .

الجـــواب :

الحركات الكثيرة فى الصلاة تبطلها وأيسر قول فى ذلك ماذهب إليه الإمام مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ بأن الكثرة مرجعها العرف وهى التى تخيل لمن يراه أنه ليس فى صلاة فإذا كانت الحركات مع الميكرفون كثيرة بطلت الصلاة ، وكذلك التحرك عمدا أمام الميكرفون ليسمع الناس إن كثر ذلك منه بطلت الصلاة ، وإلا لم تبطل والله أعلم .

السؤال من السيد/س . ع . ا

نحن فى قرية ريفية يجمع طوائفنا من مختلف مراحل التعليم مسجد القرية . ولكن هناك موضوع لفت نظرى ، ولفت أنظار من يوجد بالمسجد من المصلين من أبنائنا الكرام ممن لم يلتحقوا بمراحل التعليم وما لفت نظرى هو :

تعدد الطوائف فى الوقوف فى الصلاة : فمنهم من يضع يديه على صدره ، ومنهم من يضع يديه على الجانب الأيمن ، ومنهم من يضع يديه أسفل ذقنه ، ومنهم من يضعهما بحذاء منكبيه .

وهذه الوقفات تثير القيل والقال فى الصلاة وفى نظرى أنه لا أصل لهذه الوقفات من الذين يتأولون بها ، ومنهم من يحلق بذراعيه على صدره ، وكل هذه الوقفات تدل على انتفاء الخشوع والخضوع لله ـ عز وجل ـ فضلا عن التمايل فى الصلاة .

فنرجو التكرم بالرد على هذا السؤال وهو الحديث عن الوقفة الصحيحة للمسلم فى صلاته . وهذا لكى يكون فتوى شرعية ويسد بها الباب على هؤلاء المتأولين بهذه الوقفات .

وهل هناك وقفات حددها الشرع ؟ وهل هذه الوقفات لها أصل ؟ أم أنها بدع انتشرت بين هذه الطوائف ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجـــواب :

المطلوب من المصلى هو وقوفه مستقيما غير مستند لشىء ، وأن يكون خاشعا فى صلاته بقدر ما يستطيع ، أما وضع اليد على الصدر أو إرسالها جانبيه فهذا لا يؤثر ولا يبطل الصلاة أو يجعلها مكروهة ــ وحيث إن المذاهب الفقهية تختلف فى هذه المسألة فكل وضع منها صحيح ، وليس من الفقهاء من يحكم ببطلان الصلاة فى أى وضع والمكروه الممنوع إنما هو الخلاف فى مثل هذه الأشياء الواردة فى السؤال .

السؤال من السيد/مجدى محمد عنـــان ـ العريش ـ شمال سيناء .

● **هل يجوز للمسلم تشييع جنازة المسيحى ومشاهدة مراسم الدفن ؟**

● **هناك شخص عقب كل صلاة جماعـــة بالمسجد يقوم بالانضمام لأى صلاة جماعة أخرى بالمسجد فهل يجوز ذلك أم لا ؟**

أفيدونا أفادكم الله .

الجـــواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ــ ﷺ ــ وبعد :

فنفيد عن السؤال الأول بأنه لا مانع شرعا من أن يشيع المسلم جنازة يهودى أو مسيحى فقد ثبت أن جنازة غير مسلم مرت برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقام لها فقيل له : إنها جنازة كافر .

فقال : « إنها روح رجعت الى الله ــ عز وجل » .

والله سبحانه وتعالى يقول : « لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ

وتشييع الجنازة نوع من أنواع البر بهم .

وعن السؤال الثانى : فإنه لا مانع شرعا من إعادة الصلاة فى جماعة وتكون الأولى فرضاً والمعادة نفلا والله ــ تعالى ــ أعلم

السؤال :

ـ ما حكم إضافة « سيدنا » قبل الرسول ــ ﷺ ــ فى الأذان ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجـــواب :

الأذان : هو الإعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظ مخصوصة مأثورة ، وهو سنة محكمة وألفاظ الأذان تربيع التكبير الأول وتثنية باقى الأذان بلا ترجيع ، ما عدا كلمة التوحيد فيكون عدد كلماته خمس عشرة كلمة لحديث عبد الله بن زيد والآذان عبادة ، ومدار الأمر فى العبادات على الاتباع فلا يجوز لنا أن نزيد شيئا فى عبادتنا أو ننـــقص منها ـ فقـــول المؤذن حين الأذان أو الإقامة : أشهد أن سيدنا محمدا رسول الله . رأى الحافظ ابن حجر : أنه لا يراد ذلك فى الكلمات المأثورة ويجوز أن يراد فى غيرها ، والله أعلم ..

الشعر
إعداد الأستاذ
رشاد يوسف

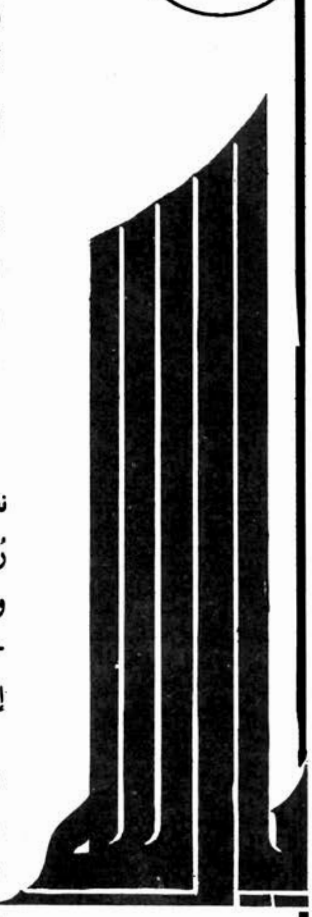

يا إلهى .. ظَمِىءَ الشوقُ .. ولِى قلبٌ مُوَحِّدْ
وأنا طينٌ ورُوحٌ .. ووجودٌ يتَمَرَّدْ
فإذا كبَّلنى ليْلُ الخطايا وتَجَدَّدْ
أشرَقَ الإيمانُ فى آفاقِ أيامى وغَرَّدْ
ورأيتُ الكونَ فى ذاتى إلى ذاتِك يسْجُدْ

● ● ●

يا سخىَّ الفضْل .. لما قلتَ كنْ ـ للطينِ ـ كُنَّا
وبروحى طائرُ السِّرِّ إلى نبْعِك حَنَّا
وقَدَرْتَ الخيْرَ والشرَّ بما تعلم منَّا
وأنا فى نورِك الرحمن أحيا مطمئنًّا
ورحيمٌ أنت يا ربِّى بما تدفَعُ عنَّا

● ● ●

نعمةٌ كل الذى قد شئتَ من منحٍ ومَنعِ
رُبَّ منعٍ فيه منحٌ .. وجفافٍ فيه نبعى
وظلامٍ فيه نورٌ لا يراه ليلُ طبْعى
حائرُ الأنجمِ لما تاه فى الأيام صُنعى
إنما كم ثَرْثَرَ الخوفُ .. وكم نَوَّحَ دمعى

● ● ●

يا إلهى .. والليالى بفؤادى مُسْتَبِدَّه
وخطايا العمر من زَيْفِ الأمانى مُسْتَمَدَّه
وأنا أسأل ـ والقلب يرى فى الليل قَيْدَه
هل تَمَسُّ النارُ عبدًا قال : ربى الله وحْدَه ؟
وسما فى الكون لما صار للرحمن عبْدَه ؟

● ● ●

فإذا ما حان بعثٌ وحسابٌ للبرايا
ثم جاءتْنى ذنوبى سابحاتٍ فى بُكايا
لستُ أخشى النارَ هَوْلًا وجحيمًا وشظايا
لا .. ولا أرجو من الجَنَّة أنهارًا ونايا
إنما أرجو سنا وجْهِك يا رَبَّ العطايا

للشاعر
ابراهيم عيسى

خواطر

محمد شكيف

في ليلة القدر

شعر البسيوني قنعان

غار ، وبيداء ، ودرب حان   وصفاء ليل عامر الوِجْدان !!
والكون محراب على جنباته   عرف الأنام حرارة الإيمان
وكأنما صار الوجود بأسره   أنشودة قدسية الألحان
وكأن ما فى الكون صار معانيا   شفافة هامت بهن معان
وافتر عرش الله جل جلاله   فسرى شعاع الله فىْ الأكوان
وإذا السماء تفتحت أبوابُها   واصطفّ كل ملائك الرحمن
وإذا بجبريل الأمين وقد دنا   والنور بين يمينه متدان
وإذا المؤذن فى سماء المنتهى   يدعو ويهتف أيها الثقّلان
اليوم يوم البدء فى تاريخكم   اليوم يوم تَنزُّلِ القرآن
يا ليلتى يا ليلة الْوَحْىِ الْمُنَضَّرِ بالهدى ، بالنور ، بالعرفان
يا ليلة سرق البُغاةُ شعاعها   منى ، وغامَتْ فى الدجى أجفانى
ورأيت قومى من خلال حديثها   أضحوا كألفاظ بغير معان
يا ليلتى ورأيت قوما منهمُ   ذهبوا إلى التقليد كل مكان
فى الكفر دانوا للفرنج ، ومالهم   فى كل ما فعل الفرنج يدان

فالدين جهل ، والتزندق فطنة   والحق ما قد قاله (الروماني)
يا من رأى المغرور لاك لسانه   متواضعا متعاليا في آن
لو كان دين الله غَرْبِيًّا إذن   أضحى له من أعبد الرهبان
لكنه ـ أن كان منه تراثنا ـ   رجعية ، وتخلّف ، وتوان

● ● ●

أعداء قرآني كثير ، بعضهم   من أهله ، وألدهم خصمان
عقل تسربل بالجمود ، فعاقه   عن فهمه وثرائه قيدان
فغدا عن الإسلام أسوأ أسوة   وغدا على القرآن أخطر جان
والآخر المزورّ عنه ، وعقله   في أذنِهِ وإمامه العلماني

يا قومنا فلتسمعوها صيحة   أخذتْ عليّ زمام قلبي العاني
العز في الإسلام فرض ،   والعلاء لأهله ركن من الأركان
والخلد في الأخرى لنا ، وخلودنا   في هذه الدنيا من الإيمان

● ● ●

يا قومنا فلتسمعوها صيحة   أخذتْ عليّ زمام قلبي العاني
الحق أنا مذ نسينا ديننا   قذف الزمان بنا إلى النسيان
وبنى الشهيد بأرضنا وطنا له   وأنا المشرّد عن ثرى أوطاني

يا ليلتي هذا الزمان لماجد   يقظان يخطو للغد اليقظان
يا ليلتي إن كنت جئتك عابسا   وعلى شفاهي نبرة الأحزان

ولويت وجهي للقرون أبثها   حزني ، وأدعو المجد من مَرْوَانِ
وأسوق أمجادَ القرون لحاضر   (سَأمَانَ) يأكل من غدى السأمان
فلتعذريني إنما أنا شاعر   قد أرهفتْ ذكرى العلا أشجاني

فى حظيرة الدَّجاج

شعر/ محمد عبد الرحمن صان الدين

فى صباح أبصرتِ عيناى سلطان الحظيرَهْ
ديكَهَا المنفوش زهوا بث فى البيت جورَه
تاجه ياقوتة حمراء قد زانت شعوره
معضلات العيش - حين الديك يَحْرَنْبَى - يسيره (١)
ودجاج العش يسترضى على حب غروره

***

راق فى عَيْنَىَّ شكلا واستوى لحما وشحما
فاشتهته النفس مشويا يلذ الذوق طعما
لحظة مرت فكان الديك للسكين غُنما
يغتدى الإنسان عند المشتهى أعمى أصما
كل مرغوب مباح عنده مهما أهَمَّا

***

غاب سلطان الدجاج الشهم فى ليل البطون
وانقضى يوم وولى تحت أطباق السكون

(١) يحرنبى .. يتهيأ للقتال .

لا ضجيـــــــجٌ ، لا أذان　　في دجـى الفجـر الحزيـــن
والدجاجـــات الأيامـــى　　صرن نهبـــا للحـــنين
إنها　المأساة　حلت　　في حمى الـــطير الأمين

***

إن ما استرعـــى انتباهـــى　　بعـــد أيـــام دجاجـــه
رفـــرفت و (استديـــكت) تحكـــى من الـــديك انبعاجـــه
أذنت فجــــرا بصوت　　راعش فيـــه سماجـــه
حاولت أن تغتـــدى ديكـــا بسَطْـــوٍ ولجاجـــه
وانطـــوت لما دجـــاج الـــعش قد أبـــدى احتجاجـــه

***

كل جنس فيـــه طبـــع　　إن تنـــاءى عنـــه شاقـــه
كل مخلـــوق له فى العـــيش أحمال وطاقـــه
وبنـــاء يقـــتضيها　　أحكـــم الله اتساقـــه
إن خُلـــف الفطـــرة البـــيضاء غَيٌّ وحماقـــه
ناقـــة　هل　تغتـــدى فحـــلا ويغـــدو الفحـــل ناقـــه ؟

***

كم دروس بالغـــــات　　بين ظهْرَيْنـــا نشاهـــد
ليس توليها اكتراثـــا　　وهـــى نبراس المقـــاصد
فانطـــوت عنـــا وضاعت　　بين مشغـــول وزاهـــد
أى فرق فى قيـــاس　　بين أنعـــام وجاحـــد
أيها اللاهـــى تعلـــم　　فطـــرة الأحيـــاء رائـــد

تقدموا أخوة الشيشان

شعر/ رشاد محمد يوسف

تقدموا يا حماة الحق وانطلقوا ... فالله ينصر من فى زحفهم صدقوا
تقدموا إخوة الشيشان واتحدوا ... وبددوا كل ماقالوا وما اختلقوا
شدوا عليهم فخيل الله تصحبكم ... والله أكبر فى الآفاق تأتلق
شدوا عليهم فما للأمر قائمة ... إلا بأرض بها الإسلام يعتنق
الرُّوسُ إن دنَّسوا أرضاً فموئلها ... إلى الدمار فكم خانوا وكم سرقوا
كم أهْدَرُوا قيمة الإنسان واتضحت ... عقيدةٌ روجوها كلُّها ملق
قالوا شيوعية شاعت مفاسدُها ... فلا ضميرٌ ولا عدلٌ ولا خُلُقُ
فى الشرق والغرب قد بانت حقيقتهم ... فكم شعوب بنير الظلم قد سحقوا
وكونوا فرق التعذيب ضاريةً ... تخضب الأرض أو يَدْمَى بها الأفق
قد استباحوا عباد الله فى صلف ... دقوا العظام بها أو دُقَّتِ العُنق
كم أضمروا الشر بالإسلام من قدم ... وكم أشاعوا شعارات بها وثقوا
فالدين أسطورة والكَوْنُ مبتدع ... وفى الضلال إلى أعناقهم غَرِقُوا
من خالِقُ الكون غير الله ويحهمُ ... وهل يجيب لسانٌ ملحدٌ زلق ؟
واليوم إسلامكم صبح يؤرقهم ... على مشارف البيضاء قد صعقوا
عشتم به طاقةً فى القلب كامنةً ... واليوم تزهو به الأهدابُ والمقلُ
يامسلمون حمى الإسلام يُنْتَهَكُ ... أمسلمون وأرضُ الله تحترق ؟
أمسلمون وفى الشيشان كارثةٌ ... بالمسلمين وبالإسلام تنزلق ؟
إخوانكم فى فجاج الأرض فى محن ... سُدَّتْ أمامهم الوديان والطرق
هيا انفروا فى سبيل الله واعتصموا ... واستيقظوا من سبات طال وانطلقوا
يا مسلمون وللإسلام آصرةٌ ... بها المشاعرُ والوجدانُ تعتنق
إن تسقط اليوم فى الشيشان مئذنةٌ ... تساقطت بعدها الرايات تنسحق
أجدادكم اركبُوا التاريخ خلفهمُ ... وجاهدوا ، ورؤى الأمجاد تستبق
باعوا ذخائرهم لله فانتصروا ... وبالشهادة والرضوان قد رُزِقُوا
ففى الرسول وفى أصحابه مثلٌ ... وكل من فى سبيل الله قد لحقوا
يا إخوتى فى رُبَا الشيشان معذرة ... إن قَصَّرَ الخطو فالوجدان يلتحق
فجرحكم جُرْحُنَا والله وحَّدنا ... حاشا لمن وَحَّدَ الرحمن مفترق
تقدموا ياجنود الله لاتهنوا ... فالله غايتكم والحق والألق

حلت أهلاً

للشاعر/ بهاء الدين رجب ابراهيم (*)

أسبغ على الكونِ إشراقاً وإيمانا ... وانثر عليه من الرحمنْ ريحانا
ياأيها القادم الميمون موكبه ... حار القصيد وبات الفكر حيرانا
ماذا أقول وقد أسديت منزلة ... فى محكم الذكر قد زانتك رجحانا
يارحمة من رحاب الله حانية ... على القلوب أَنرْت العام دنيانا
يابسمة لفقير جئت تسعده ... يا وحدة جمعت فى الله أكوانا
قال البشير : هلال الصوم شرفنا ... قلنا : سلامُ هلال الخير بشرانا
إنا انتظرناك تحى أنفساً صدئت ... أخنى عليها الغوى قبحاً وأدرانا
يامن يطل على الدنيا بطلعته ... فيصبح القفر للأرواح بستانا
يامهبط الوحى ياضيفاً أناخ بنا ... يارحمة فى دجى الأيام تغشانا
يا نفحة الخير فى الأرواح معذرة ... إنا افترقنا ودرب الغى أعيانا
لكن فينا بذور الخير كامنة ... إن زلت النفس رُمْنا عفو مولانا
هذا بشير ومن يدرى أندركه ... عاماً سيأتى فما بالغُنْم أحرانا
ياأمة ما حَنَتْ للناس هامتها ... كانت ولاءً لوجه الله أزمانا
عودى كما كنت شرع الله يجمعنا ... بئس التفرق أضنانا وأشقانا
لنا كتاب به نور وتبصرة ... من ليلة القدر شعَّ الرشد تبيانا
هيا أفيقوا عباد الله وانتبهوا ... عودوا إلى الله توحيداً وعرفانا
هيا إلى وحدة كبرى نعز بها ... فى الخافقين تعيد المجد والشانا
با لله يا شهرنا لا تشكُ فُرْقَتَنا ... وامدد لنا من رحاب الله تحنانا
وَعُدْ إلينا على الأعوام مَرْحَمَةً ... وقد أفضْتَ على الأرواح إيمانا

(*) موجه لغة إنجليزية بإدارة أجا التعليمية .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الصيام والقرآن الكريم

قال الرسول ﷺ الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة .

يقـول الصيـام : أى رب منعتـه الطعـــام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه .

ويقول القرآن : أى رب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه .

قال : فيشفَّعان : ــ رواه أحمد وغيره ــ

من نوادر رمضان

جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ فقالت :

يا أمير المؤمنين إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل .

وأخذت تكرر ذلك وعمر يقول فى كل مرة :

ــ جزاك الله خيرا من مثنية على بعلها . فقال له أحد الجالسين : إنها يا أمير المؤمنين تطالب بحق الفراش . فقال له عمر : حيث فهمت ذلك فاقض بينهما .

حقيقـــة

الله يغضب إن تركت سؤالـــــه
وبُنَـــــىَّ آدم حين يسأل يغضب

سلوا الله

روى ابن ماجه بسنده إلى محمد بن المنكدر عن جابر ، قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « سلوا الله عِلْماً نافعا ، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع » .

ما ينبغى لقارئ القرآن الكريم

ينبغى لقارىء القرآن الكريم .. كما قال ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ : أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مستيقظون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون ، ويحزنه إذا الناس يفرحون .

خراب القرية وهى عامرة

قال سيدنا عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ توشك القرى أن تخرب وهى عامرة : إذا علا فجارها على أبرارها ، وساد القبيلة منافقوها .

فى عيد الفطر

مر بعض الصالحين على شباب فى عيد الفطر ، وقد انصرفوا إلى اللهو والمجون . فقال لهم : يا هؤلاء إن كان صومكم قد قبل فليس هذا عمل الشاكرين ، وإن لم يكن صومكم قد قبل فليس هذا عمل المحزونين ، فأثر ذلك فيهم فتركوا لهوهم ولعبهم ، وأقبلوا على رَبهّم .

يا أمير المؤمنين ... اسغ لقمتك

خرج الزهرى يومـا من عنـد هشام بن عبد الملك :

فقال : ما رأيت كاليوم ، ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عند هشام ، دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين : احفظ عنى أربع كلمات فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك .

قال : ما هن ، قال : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلا إذا كان المنحدر وعرا ، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وإن للأمور بغتات فكن على حذر .

وقال عيسى بن دأب فحدثت بهذا الحديث المهدى وفى يده لقمة قد رفعها إلى فيه فأمسكها ، وقال : ويحك أعد على ، فقلت : يا أمير المؤمنين أسغ لقمتك .

فقال : حديثك أعجب إلىّ .

« قالوا .... »

- البهتان على البرىء أثقل من السموات .
- والحق أوسع من الأرض .
- والقلب القانع أغنى من البحر .
- والحرص والحسد أحر من النار .
- والحاجة إلى القريب إن لم تنجح أبرد من الزمهرير .
- وقلب الكافر أقسى من الحجر .
- واليتام إذا بان أمره أذل من اليتيم .

حقـــا

تغمدنى بنصحك بانفرادى
وجنبنى النصيحة فى الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه

« الحسنات ... والسيئات »

قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : ما أحسن الحسنات فى أثر السيئات ، وأقبح السيئات فى أثر الحسنات ، وأحسن من هذا وأقبح من ذلك : الحسنات فى أثر الحسنات ، والسيئات فى أثر السيئات .

دعاء ...

« اللهم اجعلنى شكورا ، واجعلنى صبورا ، واجعلنى فى عينى صغيرا ، وفى أعين الناس كبيرا » .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

أولادنا

لفضيلة الأستاذ الدكتور / على محمد العمارى

إعداد وتقديم الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

أولادنا هم عنصر الحياة المتدفقة . عنصر الفاعلية الوثابة والأمل الباسم والغد المشرق ، هم العنصر الذى تبنى عليه الأمة مستقبلها وتسجل بهم فى التاريخ أنقى وأنصع صفحاته ، وتعيد بهم ماضيها الزاهر . من أجل ذلك لابد من تنشئتهم على النقاء والطهارة والفضيلة وأن نغرس فيهم القيم الإسلامية الأصيلة وأن نكون لهم بمثابة الملاح الماهر الذى يأخذ بأيديهم ويوجههم نحو بر الأمان فى الدين والدنيا .

إنها رسالة وأمانة فطوبى لمن قدرها وتدبرها وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له[1] » رواه مسلم .

قال الأستاذ :

لا أعجب لشىء فى هذه الحياة ما أعجب لعاطفة الأمومة ، تلك العاطفة التى تحمل الأم على أن تستهين بشتى المتاعب فى سبيل راحة طفلها ، والتى تهون عليها الشدائد فى حمله ورضاعه وتربيته .

وقريب من هذه العاطفة عاطفة الأبوة ، فإن الرجل يكد بياض يومه ، وربما سهر أكثر ليله ، لا يمل ، ولا يتوجع ، ويجهد الجهد البالغ فى السعى على أطفاله ، وتيسير سبل الراحة لهم .

وليس العجب أن يكدح الإنسان فى سبيل المحافظة على حياته وتوفير أسباب الرزق لنفسه ، ولكن العجب أن يجمع المال جامعه ، وأن يكنز الذهب

والفضة كانزهما ، وأن يبيت الليل سهران أرقا ، مفكراً مهموما ، كل ذلك فى سبيل أبنائه !

والحق أنه لولا هاتان العاطفتان لانقرض الجنس البشرى ، بل لانقرض كل جنس حى على وجه الأرض ، فمتاعب الأولاد ثقيلة شاقة لا يصبر عليها إلا من وفقه الله . والحياة ميدان جهاد كبير ، وحياة الأسرة ميدان جهاد صغير ، ولكنه لا يقل فى متاعبه ومزالقه عن ميدان الحياة الأكبر ، وكل فتى يعزف عن الزواج ، إنما هو إنسان رخو ضعيف ، هارب من الميدان ، يؤثر الراحة ، ويخلد الى الحياة الدون ولا يجد فى نفسه من الشجاعة ما يحمله على دخول المعترك .

نعم "الولد مجبنة ، مبخلة ، مجهلة" فالرجل قد يكون شجاعا مقداما ، ولكنه حين يذكر أطفاله وحاجتهم إليه ، يتأنى ، ويتقبل مالم يكن يتقبل أيسره ، ويغضى على القذى ، وقد يكون مسرفا متلافا ، فإذا فكر فى أولاده أمسك يده ، بل ربما بخل وشح :

لولا بنيــات كزغب القطــا
جمعـــن من بعض إلى بعض
لكــان لى مضطــرب واسع
فى الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنــــا بيننــــا
أكبادنـــا تمشى على الأرض

وما بال هذا الذى تعود أن يخوض المعارك ، لا يبالى على أى جنبيه يصرع ، ولا من أى النواحى أتته منيته ، يتمسك بأذيال الحياة ، ويرغب فيها رغبة الجبان الرعديد ، إنهن بنات ضعاف ، يخشى عليهن الذل :

لقــد زاد الحيــاة إلى حبــا
بنــاتى ، أنهن من الضعــاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدى
وأن يشربن رنقاً بعد صاف
وأن يعرين إن كسى الجوارى
فتنبو العين عن كرم عجاف

وإذ وصل بنا الحديث عن البنات الضعاف ، فإننا نتمنى أن يفهم أولئك الذين يكرهون البنات وإنجابهن أنهم يجهلون قوانين الحياة ، ويريدون أن يسير العالم على وفق رغباتهم ، وهم بعد ذلك ضعاف الإيمان بالله قصار النظر ، يؤثرون العاجلة على الأجلة ، وينسون جاهلين أو متجاهلين ، أن البنات حسنات ، وأن البنين نِعم ، والحسنات مثاب عليها ، والنعم مسئول عنها ، كما يغفلون عن قول النبى ﷺ : « من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين ، فاشترى شيئا فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه»وقوله : « من كان له ابنة ، فأدبها فأحسن تأديبها ، وغذاها ، وأسبغ عليها من النعمة التى أسبغ الله عليه ، كانت له منعة وستراً من النار إلى الجنة » رواه الطبرانى والخرائطى .

ومشهور ما كان من أمر العرب فى الجاهلية ، من كراهية البنات :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

سورة النحل الآيات : ٥٨ ، ٥٩

ونشأ عن ذلك : إنهم كانوا يسلكون معهن ما يتنافى مع أبسط مبادى الإنسانية والإيمان ، فكان

بعضهم يدفنونهن أحياء تحت ضغط بعض الظروف القاسية ، وقد حرت — والله — فى فهم السر فى دفنهن أحياء ، ولم لا يقتلونهن ، ويعفوهن من هذا العذاب الأليم ، ألا إن الغيظ أحد العوامل القوية فى هذا العمل الذميم .

وقد أرشدهم القرآن إلى موضع الضلال فى نفوسهم ، فليسوا هم الذين يرزقون بناتهم ، وإنما الرازق الله « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم » وقد انقضت الجاهلية وحذر الله من عاداتها ، وتقدم العقل البشرى ، ولكن الناس ظلوا فى هذا الأمر عندما يفهمه الجاهليون ، فلا يزالون — أو على الأصح — لا يزال عدد كثير منهم ، يكتئبون حين تطرق المرأة بأنثى ، ويفرحون أشد الفرح حين يبشر أحدهم بمولود ذكر ، مع ان تجارب الحياة أثبتت أن البنت قد تكون أكثر بركة على أبويها من الولد ، وأن حنانها وعطفها على أبويها لا يقاس بهما ولا يدانيهما عطف الولد وحنانه .

ولطالما أعجبتنى هذه الأعرابية الظريفة التى هجرها زوجها لكثرة ولادة البنات ، فالتمست إذنه يوما وجعلت ترقص طفلتها على هذا النشيد :

ما لأبى حمزة لا يأتينـــا
يظل فى البيت الذى يلينـا
غضبـان ألا نلـد البنينـا
والله ما ذلك فى أيدينـا
وإنما نأخـذ ما أعطينـا
ونحن كالأرض لزارعينـا
نُنبت ما قد بذروه فينا

فحدثوا أن الرجل حين سمع النشيد ثاب إليه عقله ، ورجع إلى رشده ، ورنت فى أذنه الكلمة الصادقة القوية « والله ما ذلك فى أيدينا » وأدرك أن كل شىء فى يد الله :

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾

سورة الشورى — ٤٩ ، ٥٠

أعرف شبانا يتمنى آباؤهم لو أنهم كانوا فتيات ، بل يتمنون لو أنهم لم يكونوا . وأعرف فتيات يفقن الرجال عقلا وخلقا ونفعا .

فما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهـلال

ولكن متى يرجع الناس إلى العقل الراشد ، ويوقنون أن الخير فيما اختاره الله ؟

على العمارى

المجلد السادس والعشرون

من أعلام الأزهر

الدكتور محمد البهى

مفكراً ومصلحاً

أ. د / محمد رجب البيومى

من يعرفِ الدكتور محمد البهى معرفة خلاط ومدارسة ، لا يمكن أن ينساه ؛ لأنه نمط نادر من أنماط الرجولة الأصيلة ، فقد جمع بين بسالة العلم وبسالة العمل جمعا متوازنا لا يتيسّر للكثر ، بل للقلّة الممتازة فهو فى مجال الدرس والتحصيل والتعمّق النظرى قدوة لزملائه ومناظريه ، وفى مجال الإدارة الحازمة ـ التى تُقدر المصلحة العامة دون اعتبار لخصوصيات تفرض نفسها على العدالة المحايدة كى تميل بالميزان عن وجهه المستقيم ـ يكاد يكون فريداً فى بابه وقد لاقى فى تحقيق مبدئه عَنتاً كاربا من الأصدقاء الأدنين فضلًا عن الغرباء الذين لا يعرفون غير قضاء المآرب وإرضاء الشهوات وقد اشتد اللغط حوله حين كان وزيرا ، فمديرا للجامعة لا لشىء إلّا لأنَّ له منهجا فكريا يسعى إلى تحقيقه ، هذا المنهج لا يشجع الخامل ولا يأخذ بيد المتطفل بل يلزم كل إنسان بأداء واجبه عالماً ومتعلما ، أستاذاً وطالبا ، والواجب العلمى فى نظر الدكتور البهى ليس اجتراراً للألفاظ ونقلًا للمفردات المتعالمة ولكنه ابتكار وإبداع ، فإذا لم يتحقق هذان ، فإخلاص دائب وسعى إلى بلوغ الكمال قدر المستطاع ، والرجل نفسه مثل رائع بما قدم فى ميدان الثقافة الإسلامية الواعية وكان فى طليعة من جمعوا بين ثقافة الشرق والغرب ـ من مبعوثى الأزهر الشريف ـ جمعاً مستنيراً ينفى الدخل وينشد اللباب ، وله عين الصقر حين يطالع الافتراءات الاستشراقية فى نتاج أساتذة تتشح بالبحث لتضل عن سبيل الإسلام فيهجم بمنطقه الفاصل على أراجيف هؤلاء هجوم المتسلح بالفكر والعقيدة والذكاء ، وقد كتب الله لمؤلفاته الذيوع ؛ فسدت مسدّا شَفَى صدور المؤمنين ، وألهب حقد المرجفين ، وسنلمّ ببعض ماأثمر فى هذا المجال ؛ لنقدم الشاهد الصريح .

لقد التحق الطالب الصغير بالأزهر فى سن التاسعة ، وعرف بالسبق الظافر فى كل سنواته التعليمية ، إذ كانت الأولية من نصيبه عن جدارة

وكان من أساتذة المعهد الاسكندرى من يسهرون الليل فى التحصيل ترقبا لأسئلة الطالب العالم فى حلقة الدرس ، وشاء له نبوغه أن يختصر القسم العالى فى عام واحد بدل أربعة أعوام ، إذ سمح القانون لمثله أن يتقدم للامتحان النهائى وهو فى السنة الأولى ، فكان مجليا سابقا وأحد أربعة من أربعمائة كتب لهم النجاح ! وإذا دلّت هذه النتيجة على وفرة التحصيل وقوة الذكاء فقد دلّت على بعد الهمة وسعة الأمل ، هذه الهمة التى جعلته فيما بعد قائد مسيرة ورجل إصلاح وتوجيه .

لقد ظفر الطالب بالعالمية النظامية بعد أن درس فى معهدى « دسوق والاسكندرية » ثم التحق بقسم التخصص ليدرس البلاغة والأدب فى سنوات ثلاث ، وانتهى من مرحلة الطلب جميعها وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ؛ ليكون عضوا فى البعثة الأزهرية التى رصدتها مديرية البحيرة تخليداً لذكرى الإمام محمد عبده ، فاتجه فى سبتمبر سنة ١٩٣١ لدراسة الفلسفة فى ألمانيا ، ورجع عام ١٩٣٦ وقد حصل على الدكتوراه فى الفلسفة وعلم النفس بدرجة ممتاز فاستقبلته كليات الأزهر مدرسا للفلسفة وعلم النفس ، والثقافة الإسلامية ليقدم النموذج الرائع لأستاذ يملك موضوعه العلمى ملك الثرى المفضال الذى ينفق عن سعة وإغداق ، عالماً أن ذخيرته لن تنفد ــ بمشيئة الله تعالى ــ مهما كثر البذل وتنوع العطاء .

لقد كانت روح الفارس الصوال تصحب المبعوث الناهض فى قاعات الدرس بألمانيا ، فلم يطق الصبر على استماع مفتريات تلصق بالإسلام عن مكيدة ، وقائلو هذه المفتريات هم أساتذته الذين سيتولون امتحانه وتقدير كفايته العلمية ، ومحاولة الهجوم على آرائهم خطر لا يعبأ به من أخلص قلبه لدينه وقد استمع البهى إلى آراء أستاذه « بوك » فى محاضراته عن فلسفة التاريخ لهيجل فوجد من الأقوال الخاصة بالإسلام ما يحتاج إلى تصويب ، وكذلك صدم بآراء أستاذه « شتروتمان » التى تنظر إلى الإسلام كما تنظر إلى معتقدات البدائيين !! وهنا أصر البهى على أن يؤلف باللغة الألمانية كتابا تحت عنوان « رسالة الإسلام بين هيجل ومحمد عبده » وقد اختار الأستاذ الإمام بالذات ؛ لأن ما كتبه فى الإسلام والنصرانية يصلح رداً شافيا على أخطاء الفيلسوف الألمانى الكبير التى عزاها إلى الإسلام وكان الدكتور البهى لبقاً حين أعلن أن المسيحية لا تؤاخذ بأخطاء المسيحيين ، وذكر من هذه الأخطاء ما يعد تحديا للإنجيل ، ذكر ذلك فى إسهاب ؛ ليقول إن أخطاء بعض المسلمين كذلك لا تحسب على الإسلام ، وقد ناقش الفيلسوف فى مسائل عدة أهمها : ما توهمه من أن الفردية فى الإسلام هى العمل للآخرة وحدها مع الانقطاع عن الحياة ؛ فساق البهى من النصوص الدينية ومن أعمال الرسول ﷺ وصحابته ــ رضى الله عنهم ــ ما يدحض ذلك ، وإذا كان هيجل قد قرر اعتماد الإسلام فى انتشاره على السيف دون الرأى فإن المؤلف قد عصف بما قرره مستندا إلى أقوال المنصفين من أساتذة أوربا أنفسهم كما أطال الحديث عن دعوى التعصب التى ألصقها الفيلسوف الألمانى بالإسلام ، فعرض صفحة ناصعة من التاريخ الإسلامى فى أزهى عصوره تكذب بالشاهد الملموس ما يقال عن التعصب ،

أما تقهقر المسلمين فى العصور الأخيرة فقد جاء نتيجة للابتعاد عن تعاليم الإسلام ، ولم يجىء بسبب تعاليم الإسلام كما شاء هيجل أن يقول ، وبعد أن كشف عن حقيقة ما قاله هيجل امتد به الحديث إلى كتاب « الإسلام والنصرانية » للأستاذ الإمام ؛ ليقف فى وضع مقارن بما قاله الفيلسوف وليصحح فكرة هيجل حين قرر أن قوة الإسلام قد اختفت كعامل فى قيادة العالم ، وهذا البحث المنهجى لا علاقة له برسالة الدكتور الجامعية ولكنه اقتطع من وقته ما يراه ضروريا ؛ لتصحيح الأفهام الخاطئة المخطئة عن الإسلام ، **وقد رأينا من أبناء المسلمين من وفدوا إلى أوربا لينالوا الدرجات العلمية فسمعوا عن الإسلام أكثر مما سمع البهى ولكنهم لاذوا بالصمت وفيهم من عشيت عينه عن الهدى فاعتنق كل فكر مارق ؛ لينال حظوة أساتذته ، ولو أردت تسجيل الأسماء لأزعجت جسوما فى لحودها تعبّ الرقاد .**

حين زاول البهى التدريس فى الكلية لم يجعل عمله الرسمى وحده ميدان تفكيره بل امتد إلى المحيط الثقافى العام فى المجلات الأدبية المستنيرة يكتب المقالات الاجتماعية والفلسفية آناً ، ويناقش الفكر المخالف لكبار الكتاب مناقشة فاحصة آنا آخر ، وله فى هذا المجال سبق ظافر ، إذ تصدى لكثير من الآراء تصدى من يملك الإقناع الملزم عن كفاءة ذات علم وإتقان ومن يطالع مجلات : « الثقافة والرسالة والأزهر وجريدة الأهرام » يرى بعض ما نعنيه مما اتجه إليه الباحث فى إخلاص يمده البصر الصائب والشمول المتسع لشتى الأنظار وأذكر فى هذا الموضع مناقشته للأستاذين الكبيرين أحمد أمين وتوفيق الحكيم إذ كتب الأول مقالًا بمجلة الثقافة عما سماه « الدين الصناعى » فذكر عنه أنه كصناعة الحياكة والنجارة وأنه يلوى الدين الحق ليخدم مصلحة السلطان ومظهره عمامة كبيرة وقباء يلمع وفرجية واسعة الأكمام ، وهو نحو وصرف وإعراب وتأويل وهو تحسين علاقة صاحبه بالإنسان لاستدرار الرزق أو كسب الجاه إلى آخر ما ينحو هذا المنحى ، وقد رأى البهى فى هذا النمط غلوا يميل إلى الاستهزاء ولا يبحث عن الحقيقة فكتب ردا يقول فيه :

ما ذكره الأستاذ على أنه مظهر الدين الصناعى ليس صفة عامة فى كل بلد يدين بالإسلام فالعمامة الكبيرة والقباء اللامع والفرجية المتسعة الأكمام ليست من مظاهر التدين الحقيقى أو الصناعى بين مسلمى الهند أو مسلمى شرق أوربا ، ولم أعرف أن النحو والصرف وإعراب الكلام والتأويل رمز العمل الذى يتناوله محترف الدين أو صاحب الدين الصناعى فى أى بلد إسلامى فى مصر أو فى غيرها من البلدان الأخرى ، كما لم أعرف أن الشهادة عنده هى إعراب جملة وتخريج متن وتفسير شرح ، ومضى الناقد فى رده الحاسم لينتهى إلى قوله « لم أتبين الظاهرة الاجتماعية التى أراد الأستاذ أن يعالجها فى الدين الصناعى وحده كما لم أنجح فى تكوين طابع علمى لمقاله هذا[1] »

أما الأستاذ توفيق الحكيم فقد كتب مقالا ينعى فيه على شيخ الأزهر اعتراضه على تقرير رواية إنجليزية بكلية الآداب تحمل طعنا فى نبى الإسلام ورأى ذلك امتدادا لسلطان الكنيسة فى أوربا حين حاربت حرية الفكر وقد وجد الحكيم من يعاضده

(١) مجلة الثقافة/العدد ٢٥ ـــ ١٩٣٩/٦/٢٠ .

فى اتجاهه لأن الهجوم على الإسلام فى منطق هؤلاء آية من آيات التحرر الفكرى وقد نسوا أن أوربا التى يقلدونها فى كل شىء تافه لا توجد فيها جامعة واحدة فى غير البلاد الشيوعية تطعن فى الدين ، ومن المحال أن تقرر رواية ملحدة فى جامعات فرنسا وانجلترا وأمريكا ، نسوا ذلك واتجهوا إلى معارضة شيخ الأزهر حين يحاول أن يعصم الشباب الجامعى من نزق يضر ولا ينفع وكان الدكتور البهى أحد الذين جابهوا الحكيم بمقال عاصف قال فيه :

من الذى يقارن مهمة الأزهر فى حياته المجيدة التى كلها فخر للشرق بسلطان الكنيسة فى القرون الوسطى ؟ ومن الذى حدثنا أن جامعة كمبردج أو أكسفورد تضع أمام طلابها للنقاش وأمام بحثها العلمى كتابا أو كتبا تطعن فى المسيح من مؤلف شرقى أو غربى ؟

إن الأزهر لا يطلب سلطان الكنيسة فى القرون الوسطى ولم يطلبه يوما ما ، وإنما يؤدى مهمته الروحية فوق مهمته العلمية وهى المحافظة على الأمة وعلى شبابها المثقفين ليس فى منع التهجم على الدين فقط بل فى ضمان التدين به ، وشيخ الأزهر الإمام المراغى لا يحد من حرية البحث الجامعى إذا ما حاول أن ينزع الأمة وبالأخص شبابها من تحكم فئة تدعى لنفسها من الألقاب الثقافية ماتشاء مستغلة جهل الشعب وعدم سمو المستوى العلمى فيه .

وقد اتسعت مجلة الأزهر لمناقشات ممتدة بين « الأستاذ محمد فريد وجدى » و« الدكتور محمد البهى » حول الفلسفة وصلتها بالحكمة إذ كتب الدكتور بحوثا عن فلسفة الإغريق جعلها تمهيدا لدراسة الفكر الإنسانى فى تطوره التاريخى ورأى الأستاذ وجدى أن يشفع كل قول يونانى بما يرد عليه من الفكر الإسلامى المعارض لكثير من الاتجاهات الوثنية ، والمناقشة فى هذا المجال خصبة مفيدة؛ لأن كل مناظر يرعى حقوق مناظره ويخيل إلى أن هذه المقالات لو بسطت فى كتاب ممتد لجاء دور الفكر الإسلامى فيما بعد مصححا ما سبقه من المفاهيم ، ولم يقصر الدكتور البهى فى هذا المنحى إذ كتب مؤلفا كبيرا فى جزأين تحت عنوان « الجانب الإلهى فى التفكير الإسلامى فاستقبله الأستاذ محمد فريد وجدى استقبالا رائعا حيث بسط عنه حديثا شافيا قال فى مقدمته[٢] : « هذا

كتاب جليل قدره ، عظيمة فائدته ، طريف موضعه ، قام بتأليفه حضره الأستاذ الألمعى الدكتور محمد البهى مدرس الفلسفة بكلية أصول الدين واسمه يدل على المجهود المضنى الذى يقتضيه إبراز مثل هذا العمل الفذ فى اللغة العربية ، ومجرد استكمال المراجع العربية التى اعتمد عليها ونقل ملاحظات قيمة منها يدل وحده على مبلغ ما عاناه الأستاذ المؤلف من الجهد الجاهد فى سبيل إقامة هذا الصرح الفلسفى فى أدق المواضيع وأحوجها للعناية والتدقيق إذ يعرض موقف فلاسفة المسلمين فى الشرق من التراث العقلى الإغريقى فيما وراء الطبيعة ولأجل الوصول إلى هذه الغاية جعل يذكر آراء المدارس الفلسفية ، ويوضح أن رأيهم فى تصورهم الوجود وتصويرهم له يتمثل فى التوفيق بين الدين والفلسفة أكثر من أن يعبر عن بناء جديد

(٢) مجلة الأزهر ــ عدد ربيع الأول سنة ١٣٥٨ هـ وقد أشرت إليها فى مقدمة كتاب (مناقشات وردود) .

فى التفكير الفلسفى فيما وراء الطبيعة ، ثم قال الأستاذ محمد فريد وجدى فى نهاية المقال :

« هذا خضم متلاطم الأمواج من البحوث استطاع ممثل النبوغ الأزهرى فى الفلسفة الحديثة أن يحصره فى ٢٩٣ صفحة حافلة بالنظريات القيمة والتعليقات الثمينة فنثنى على مؤلفه النابغة أطيب الثناء أكثر الله من أمثاله فى النبغاء[٣] » .

وكلمة (ممثل النبوغ الأزهرى) صادفت موضعها حين وصف بها الأستاذ وجدى صاحب الكتاب ومن باب العظة النافعة فى دنيا الأخلاق الرفيعة أن نذكر أن الدكتور البهى هاجم آراء الأستاذ وجدى مهاجمة عنيفة على صفحات مجلة الرسالة من قبل ولم يمنع ذلك مقرظه الكبير أن يقول فيه ما يعتقد من الثناء الجاد ، وهو مثل يحتذى ! فأين من يستمع ؟

وإذا كان الأزهر يدرس الفلسفة الأغريقية وأثرها فى فلاسفة الإسلام أمثال : ابن سينا والفارابى وابن رشد فإن ذلك لم يمنع نقد هذه الفلسفة ، بل لم يمنع نقد كثير من الآراء التى اتجه إليها فلاسفة الإسلام حين تشبعوا بهذه الفلسفة دون أن يقفوا منها موقف الناقد البصير ، وقد ظن كثير ممن لم يدرسوا مناهج الأزهر أن ما يقال فى كلياته ترديد تقليدى لأقوال السابقين ، وقد عبر عن هذا المنحى سيد قطب ـ حين قال بصدد هذه الفلسفة الإغريقية فى خطاب نقدى وجهه إلى الأستاذ توفيق الحكيم[٤] ـ :

« إن فكرة الإسلام الصحيحة الكلية عن الكون والحياة والإنسان هى شىء آخر لم تصوره تلك الفلسفة ولم يتمثله الأوربيون ، وتبعا لذلك لم يتمثله المحدثون من المسلمين الذين يتلقون ثقافتهم عن الأوربيين ، ومالى ألومكم أنتم ، والأزهر ذاته لا يدرس فى كلياته إلا تلك الفلسفة الإسلامية باعتبارها فلسفة الإسلام » .

لم يفت الدكتور البهى أن يعقب على هذا القول بما ينقضه فقد نشر بالرسالة خطابا للأستاذ سيد قطب[٥] قال فيه « أود أن أطمئن الأستاذ على أن الأزهر فى تاريخه لم يدرس الفلسفة الإسلامية على اعتبار أنها تمثل فلسفة الإسلام أو تحكى مبدأ من مبادئه أو هدفا من أهدافه ، ففى ماضيه كان يحرم دراسة النوع الإلهى من الفلسفة الإسلامية ؛ لأنه كان يرى فى هذا النوع انحرافا واضحا عن الإسلام .. وفى العصر الحديث يدرس الأزهر فى كلياته الفلسفة الإسلامية كما يدرس أنواع الفلسفات الأخرى من الإغريقية إلى الدينية فى القرون الوسطى إلى المذاهب الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة على أنها اتجاهات للفكر الإنسانى فى أزمنة متعاقبة ، وفى بيئات مختلفة ، وقد يكون بعضها ترديداً لبعض ويسعدنى أن أقدم له كتابى « الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى » وسيلة يعرف بها هذه الروح فى الأزهر » .

هذا وأساتذة الفلسفة فى الأزهر أمثال الدكتور محمد غلاب والدكتور محمد يوسف موسى والدكتور سليمان دنيا والدكتور محمود حب الله وغيرهم من الفضلاء ينحون هذا المنحى الحميد فلا ملام .

---

(٣) مجلة الأزهر عدد محرم سنة ١٣٦٧هـ .
(٤) مجلة الرسالة ١٦/٥/١٩٤٩م .
(٥) مجلة الرسالة ٢٣/٥/١٩٤٩م .

العلوم الكونية

قراءة إسلامية فى كتاب الكون

وفى الأرض آيات للموقنين (*)

بقلم أ. د
أحمد فؤاد باشا (**)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩٠) ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١)

يحث القرآن الكريم فى كثير من آياته على تأمل الظواهر الكونية ويدعو إلى اتباع المنهج الصحيح فى التعامل مع الكون واستقراء لغته وإشاراته ، باعتباره كتاب معرفة وشاهد صدق على وحدانية الخالق العظيم الذى أودع فيه من الآيات ما يدل عليه وينادى بعلمه وحكمته .

(*) الذاريات ـ ٢٠

(**) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة .

(١) سورة آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩١ .

وإن شئنا مثالا من واقع الإنجازات التى حققها الإنسان من خلال بحثه فى مواد الكون وظواهره، فلنتأمل تلك الأرض التى سخرها الله لخدمة الإنسان فهى أصل وجوده، من ترابها ومائها خلق، وعلى صدرها وخيراتها يعيش، وإليها يعود ويتلاشى ترابا فى ترابها، ومنها يبعث تارة أخرى.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (٢)

وقال عز من قائل:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (٣)

إن كوكب الأرض هو أحد الكواكب التسعة المعروفة التى تدور حول الشمس وهى ـ حسب بعدها عن الشمس ـ عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو. ويقدر العلماء عمر الأرض بنحو (٤٦٠٠) مليون سنة، منها حوالى أربعة آلاف مليون سنة تسمى « حقبة الحياة غير المعلومة »، وتمثل أكثر من ٨٥٪ من الزمن الجيولوجى للأرض، فى حين يطلق على الحقبة ـ منذ (٦٠٠) مليون سنة مضت إلى الزمن الحديث ـ اسم « حقبة الحياة المعلومة »، وتمثل الفترة التى نعيشها حاليا، والتى بدأت منذ حوالى (١٥) ألف سنة، مسيرة تطور الجنس البشرى معرفيا وحضاريا.

تركيب الأرض:

تتكون مادة كوكب الأرض من ثلاثة نطاقات رئيسية هى: القلب والوشاح (الدثار) والقشرة. أما القلب فينقسم إلى قسمين: أحداهما داخلى صلب، ويعتقد أنه مكون من فلزات ثقيلة مثل الحديد والنيكل، والآخر حارّ سائل ويبلغ سمكه حوالى (٢٢٧٠) كيلومترا، وأما الوشاح فهو الطبقة الصخرية الصلبة التى تغلف القلب الخارجى ويبلغ سمكها حدا أقصى قدره نحو (٢٨٨٥) كيلومترا، والنطاق الثالث هو طبقة السطح الخارجى للأرض، وتسمى القشرة ويتراوح سمكها بين خمسة كيلومترات وخمسين كيلومترا.

وتنقسم قشرة الأرض إلى قطع هائلة تسمى الصفائح (أو الألواح)، تفصل بينها شقوق عريضة، وتستقر فوقها القارات والمحيطات، كما أن تلك الصفائح تكون فى حالة حركة بطيئة مستمرة، غير أن هذه الحركة من الضآلة بحيث لا يمكن ملاحظتها خلال فترات زمنية قصيرة، وتحدث معظم الزلازل فى الأماكن التى تكون قريبة من حواف تلك الصفائح، كما يشيع حدوث البراكين أيضا فى تلك الأماكن. (٤)

وقد استدل العلماء على أن درجة الحرارة ترتفع

---

(٢) سورة طه: ٥٥.
(٣) سورة الملك: ١٥.
(٤) مزيد من التفصيل راجع:
ـ دائرة سفير للمعارف الإسلامية، العدد ١٣، القاهرة، ١٩٩٠ م.
ـ د. أحمد فؤاد باشا، فصل المقال فى ظاهرة الزلزال، هدية مجلة الأزهر، رجب ١٤١٣ هـ.

درجة واحدة كلما نزلنا إلى باطن الأرض ثلاثة وثلاثين مترا ، أى أن درجة الحرارة على عمق ثلاثين كيلو مترا فى باطن الأرض تزيد على درجة حرارة قشرتها ألف درجة ، وعند اللب ترتفع كثيرا ، وربما تزيد على درجة حرارة سطح الشمس (٦٠٠٠ درجة مئوية) .

ومن الجدير بالذكر أن أعمق نقطة وصل إليها الإنسان تحت سطح الأرض هى قاع منجم « المستويات الغربية العميقة » ، وهو منجم ذهب بالقرب من « جوهانسبرج » بجنوب إفريقيا ، يبلغ عمقه (٣٧٧٧) مترا ، ومزود بوحدات تبريد عملاقة للمحافظة على درجة حرارة مناسبة يحتملها العاملون فيه .

حـركات الأرض :

ساعد العلم الحديث على إظهار نوعين من حركة الأرض هما : دورانها حول محورها لحدوث الليل والنهار ، ودورانها حول الشمس لحدوث الفصول الأربعة ، وكشف العلم المعاصر عن حركات أخرى معقدة لا يشعر بها الإنسان ؛ لأنها تتم بصورة دورية على فترات زمنية طويلة ، فبالإضافة إلى معرفتنا أن محور الدوران اليومى للأرض يميل الآن بمقدار ثلاث وعشرين درجة ونصف الدرجة (٢٣,٥°) على المستوى المدارى ؛ نجد أن أحدث النتائج العلمية تخبرنا بوجود حركة أرضية بطيئة تغيّر من مقدار هذا الميل فيما بين ٢٤,٥° و ٢٢,١° على فترات زمنية دورية كل حوالى (٤١٠٠٠) سنة ، وإذا كنا نعلم أن بُعد الأرض عن الشمس يبلغ فى المتوسط (١٥٠) مليون كيلومترا ، حيث إن مسارها يأخذ شكلا بيضاويا يبلغ نصف قطره الأطول (١٥٣) مليون كيلو متر ، والأقصر (١٤٧) مليون كيلومتر ، فإن أحدث الحسابات الفلكية أظهرت أن هناك حركة أرضية أخرى غير محسوسة تجعل هذا المدار البيضاوى يدور ببطء شديد متعرضا لتغيرات فى اختلافه المركزى (أى فى مقدار حياده عن الشكل الدائرى) على فترات دورية تبلغ حوالى مائة ألف سنة . وتؤدى هذه الحركات المخروطية مجتمعة إلى إزاحة مواضع الاعتدالين الربيعى والخريفى (٢٠ مارس و ٢٢ سبتمبر) والانقلابين الصيفى والشتوى (٢١ يونية و ٢١ ديسمبر) ، حيث تستغرق « مبــادرة الاعتــدالين » هذه حوالى (٢٤٠٠٠) سنة ويطلق عليها اسم « السنة العظمى » .

ويعتقد العلماء أن هذه الحركات الدورية تأتى فى مقدمة أسباب تسلسل الأحداث المناخية المصاحبة للعصور الجليدية على مدى عدة مئات من آلاف السنين فى الزمن السحيق .

وحركة الأرض على هذا النحو جزء من الحركة الكونيـة العامـة التـى تشمـل حركـة مجموعتنـا الشمسيـة ، بما فيها الأرض ، حول مجرة « درب اللبانة » ، وحركة هذه المجرة حول مركز مجموعة المجرات المحلية ، ثم حركة كونيـة عظمـى لكـل مجموعات المجرات حول مركز الكون الذى لا يعلم العلم البشرى عنه شيئا ، ومع كل هذا الحشد الهائل من الأجرام وأفلاكها السابحة فى أرجاء الكون يبقى هناك عاملان لهما تأثير حاسم فى تهيئة الأرض لاحتضان الحياة والمحافظة عليها :

العامل الأول : هو كتلة الأرض التى تحدد عجلة جاذبيتها بالقدر الذى يساعدها على الإمساك

بكل ما على ظهرها من التطاير ، والاحتفاظ بالمواد المكونة لكل من غلافها المائى والهوائى .

والعامل الآخر : هو متوسط بعد الأرض عن الشمس الذى يسمح بسيادة مدى معين من درجات الحرارة السطحية يتيح الفرصة لتوفر الحالة السائلة للماء الذى تقوم عليه الحياة .

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥)

علـوم الأرض :

اهتم علماء الحضارة الإسلامية بدراسة « كوكب الأرض » والظواهر المتعلقة به قبل أن ينقلوا معارف الحضارات القديمة إلى اللغة العربية ، وجاءت المعلومات التى عرفوها منبثة فى مؤلفاتهم العديدة ، مثل : كتاب « صورة الأرض » للخوارزمى ، وكتاب « البلدان » لليعقوبى ، وكتاب « المسالك والممالك » لابن حوقل ، وكتاب « الشفاء » لابن سينا ، وكتاب « الجماهر فى معرفة الجواهر » للبيرونى ، وكتاب « الجبال والأمكنة والمياه » للزمخشرى ، وكتاب « الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد » لابن ماجد ، وغيرها(٦) . وقد كانت هذه المعارف عن الأرض أساسا لعلمين رئيسيين عرفا فيما بعد : بعلم « الجغرافيا » ، وعلم « الجيولوجيا » .

أما « الجغرافيا » : فتعنى عموما بدراسة كل مظاهر سطح الكرة الأرضية ، وخصائص البلدان والأقاليم وسكانها ، وقد تفرعت الآن إلى مباحث عديدة تشمل الجغرافيا الفلكية والطبيعية والحيوية والبشرية والسياسية والاقتصادية وغيرها .

أما « الجيولوجيا » : فتعنى بالبحث فى تاريخ الأرض ودراسة المواد والطبقات المكونة لها ، والتعرف على كل ما يرتبط بذلك من ظواهر تحدث تحت سطحها أو فوقها ، وقد تطورت مجالات هذا العلم ، حتى أصبح يستخدم فى عصرنا بصيغة الجمع ـ علوم الأرض ـ ليعبر عن مباحث عديدة شبه مستقلة تشمل : علم المعادن ، وعلم الصخور ، وعلم دراسة التربة ، وعلم شكل الأرض ، وعلم طبقات الأرض ، وعلم الحياة الأرضية القديمة (الحفريات) ، وعلم المساحة الأرضية ، وعلم الزلازل ، وعلم الجليد ، وعلم المحيطات ، وعلم تاريخ الأرض ، وعلم الأرض الهندسى ، بالإضافة إلى علوم الأرض المتولدة بالاشتراك مع علوم أخرى مثل علم « فيزياء الأرض » وعلم « كيمياء الأرض » ، وأخيرا ظهر علم « جيولوجيا الكواكب » نتيجة التقدم فى أبحاث الفضاء ، وهناك فروع أخرى من علوم الأرض ذات طابع خاص ، مثل مبحث « جيولوجيا النفط » ، وهو يعنى بدراسة كل ما يختص بالزيت الخام من حيث ظروف تكوينه وتجمعاته وأساليب استخراجه ، وكذا علم « قوى الأرض » الذى يهتم بدراسة طاقة الأرض والعوامل التى تؤثر فى بنائها ، كما ظهرت حديثا تقنيات مساعدة لعلوم الأرض تشمل المسح الجيولوجى ، والتصوير الفضائى للأرض بواسطة الأشعة الضوئية أو بطريقة « الاستشعار عن

(٥) سورة الملك : ١ .

(٦) د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤ م .

بعد » ، وكذا استخدام الحاسبات الآلية فى دراسة علوم الأرض .

﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴾ [7] :

● تحتوى التربة على العديد من الكائنات الحية التى تفيدها بطرائق متنوعة ، « فدود الأرض » على سبيل المثال ـ يشبه المحاريث الصغيرة ، حيث يستطيع تقليب ما يزيد على (٣,٥) طن فى المتوسط من التربة لكل هكتار من الأرض المغطاة بالحشائش خلال سنة واحدة .

● حيوانات « الخُلد » تقضى عمرها كله تقريبا تحت الأرض ، وهى تستخدم مخالبها الأمامية العريضة التى تشبه الجاروف للحفر فى التربة بحثا عن الغذاء . يستطيع « الخُلد » أن يشق طريقه فى التربة لمسافة تبلغ مائة متر فى اليوم .

● نشأت الجبال نتيجة لحركة ألواح (صفائح) الأرض بمعدل بطىء جدا يتراوح بين سنتيمتر واحد وعشرة سنتيمترات فى السنة ، وتعتبر جبال الألب أحدث جبال العالم عمرا ، فقد تكونت نتيجة لاندفاع القارة الإفريقية بقوة صوب أوروبا منذ نحو (٢٦) مليون سنة ، أما جبال « الأبلاش » فى الولايات المتحدة الأمريكية فقد تكونت منذ نحو (٤٠٠) مليون سنة وتوقفت الآن عن النمو لأن الألواح الواقعة تحتها لم تعد تبذل أى قوة ضاغطة .[8]

● عند رؤية الأرض من الفضاء ، تظهر ملونة بأربعة ألوان أكثرها انتشارا :

هو اللون الأزرق الذى يمثل الجزء المغطى بالمياه ، ثم البنى الذى يمثل الصحارى والجبال والهضاب ، ثم اللون الأخضر الذى يمثل المساحات المنزرعة ، ويظهر الجليد فى المناطق القطبية وعلى قمم الجبال باللون الأبيض ، كما تُظهر الصور الفضائية للأرض دوّامات السحب المعلقة فوق سطحها ، ولعل هذا يوضح السبب الذى من أجله يقسم العلماء البيئة الطبيعية للأرض إلى ثلاثة أجزاء رئيسية هى : غلاف الهواء المسمى بالغلاف الجوى ، والغلاف المائى أو الجزء المغطى بالمياه ، والغلاف الصخرى أو الجزء الصلب من الأرض .

وكم هناك من آيات أخرى عديدة فى كتاب الكون لا يتأملها إلا المؤمنون الذين يلاحظون يد الخالق الواحد سبحانه وتعالى فى كل ما خلق .

ففى كل شىء له آية .. تدل على أنه الواحد .

---

(٧) سورة الذاريات : ٢٠ .

(٨) جوان جيسوب ، كوكب الأرض ، ترجمة د . أحمد فؤاد باشا ، دار سفير للاعلام والنشر ، القاهرة ١٩٩٥ م .

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ

الأجرام السماوية تشهد للقيامة

نظرة عابرة على الإعجاز العلمي في القرآن

بقلم فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوى (*)

فى ١٧ من يوليو ١٩٩٤ م ابتدأت سلسلة من الانفجارات العنيفة فى العالم السماوى ، واستمرت إلى ٢٢ من يوليو ١٩٩٤ م ، وهذه السلسلة من الانفجارات حدثت بسبب تصادم المذنَّب (شوميكر ـ ليفى) بالمشترى ـ أضخم الكواكب السيارة فى نظامنا الشمسى . فإن إحدى وعشرين قطعة من المذنب المذكور ظلت تتصادم بين الفينة والفينة بسطح المشترى وتحدث انفجارات عنيفة فى الفترة من ١٧ ـ ٢٢ من يوليو ١٩٩٤ م . وكانت القطعة الأولى التى سقطت على سطح المشترى مثل الكرة النارية الهائلة ، وسرعتها تقدر بمائتى ألف وتسعة آلاف كيلو متر فى الساعة ؟ وقطرها يبلغ نحو ألف وتسعمائة وثلاثين كيلو متراً وقد نجم عن هذا الانفجار قدر ضخم من الغازات الحارة تقدر طاقتها بمائتى ألف مليون طن من (ثالث نتريت التولين TNT) . كما أنه أسفر عن بقعة سوداء على سطح المشترى تعادل نصف قطر الكرة الأرضية ، ولا تزال هذه البقعة مشاهدة إلى سنة كاملة . وكانت هذه القطعة الأولى التى تسمى (A) أصغر بعشر مرات من القطع التى سقطت بعدها ، وكما صرح العالم الفلكى (ليوى) أن مثل هذه الحادثة تقع مرة واحدة فى كل ألف سنة .

النسبة بين المشترى والأرض :

إن المشترى هو الكوكب الخامس فى نظامنا الشمسى وأضخمها كذلك ، وهو أكبر من أرضنا ب (٣١٨) مرة ، وقطره يبلغ نحو (١٤٢٠٠٠) كيلو متر ، بينما قطر الأرض لا يزيد عن (١٢٨٠٠) كيلو متر . وهو يكمل دورته حول محوره فى عشر ساعات وحول الشمس في اثنتي عشرة سنة وفقا للتقويم الجريجورى (ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA سنة ١٩٨٣ م ١٠ / ٣٤٦) .

(*) الأمين العام للأكاديمية الفرقانية بنغلور (الهند)

نتائج التصادم :

ماذا كان الوضع فيمـــا إذا حدثت تلك الانفجارات على الأرض ؟ وماذا أسفرت عنه على الأرض ؟ هذه هى الأسئلة التى يتحاشى العلماء الإجابة عنها ، ولكن المنجمين يتنبئون بخصوص الانفجارات بأنها ربما تتسبب فى التغير فى الفصول وفى أمواج البحار ، كما أنهم يتوقعون كذلك أن الغلبة والسيطرة تحصل للاعتقاديين والمتدينين ، وما إلى ذلك .

هذا إلى أن كثيرا من الفلكيين كانوا يرفضون فكرة اصطدام المذنب بالمشترى ، وكانوا يعالجون الموضوع بالمماطلة والتخمينات . على أن العالم الفلكى (شوميكر) الذى ينسب اليه ذلك المذنب وأصحابه كانوا قد أبدو تنبؤاتهم الصارمة حول التصادم ، كما أنهم كانوا قد حددوا ـ من قبل ـ مواعيد اصطدام القطع الحادية والعشرين للمذنب ، ثم كان التصادم على المواعيد المحددة .

حادثة مزعجة

وعلى كل ، فإن التصادم الأخير للمذنب (شوميكر ـ ليفى) حادث فلكى ذو بال خطير صار مركز التفات الناس واهتماماتهم فى هذه الأيام ، وقد كثرت حوله الأسئلة والأجوبة فى الأوساط المختلفة ، فإن بعض المتدينين يعتبرونه علامة لاقتراب الساعة ، كما أن الأوساط الحديثة لاتعير دعواهم أهمية إلا مثل ما تعيره لكلام مَنْ خبل عقله وفسد ذهنه . ولكن الحقيقة التى لابد من الاعتراف بها هى أن هذا الحادث الكونى قد أوقع البشر فى قلق واضطراب ، وإن كانت الكارثة قد أخطأتنا للآن . ولكن الأسئلة التى تنتعش فى أذهان الإنسان لابد من الإجابة عنها .

تصديق التصريحات القرآنية :

فهيا بنا لنقف عند الصحيفة السماوية الأخيرة ـ القرآن الكريم ـ لنستنبط منها المعارف التى تتعلق بهذا الخصوص ، ونلقى نظرة على توجيهاتها التى تزودنا بها فى هذا الصدد ، ونشاهد كيف تحل الأغيز الكون ؟ وكيف تزيح القناع عن أسرار الحياة .

لكن علينا قبل أن نستعرض الحقائق القرآنية الأبدية أن يظل صوب أعيينا بعض الحقائق الكونية من الوجهة العلمية نفسها ، تلك التى انكشفت لنا بعد تجارب بشرية مرهقة ، ومشاهدات طويلة ، ودراسات مضنية . وهذه الحقائق هى نفس ما أنشأه القرآن الكريم من الفكرة العلمية والوجهة الكونية . فإن القرآن الكريم يدعونا إلى أن نقوم بإمعان النظر فى النظام الكونى ، ويحثنا على دراسة الظواهر الكونيّة والنظم العاملة فى تركيباتها لتنجلى لنا حقيقة إشاراته العلمية ، وتتبدى للعالم واقعيته وعظمته وعلى هذا فإن الاكتشافات الحديثة تساعد فى إثبات صدق الدعاوى القرآنية وواقعيتها ، كما أنها تبرز أمامنا تصريحات القرآن واضحة جلية مثل وضح النهار .

العوامل الأربعة فى فناء الكون :

نريد فى هذه العجالة أن نستعرض سريعا بعض الحقائق القرآنية الأبدية التى تتعلق بالاصطدام بين الأجرام السماوية والأرض ، وظلام الشمس (انتهاء مادتها الوقودية) . ولهذه الظواهر الفلكية أهمية كبرى من حيث النظريات العلمية الحديثة . وبعبارة أخرى ، إن الاشارات العلمية القرآنية أصبحت متيسرة للفهم فى ضوء الاكتشافات الحديثة أكثر من أى وقت مضى . فلذلك نريد أن

نناقش هنا أربعة أنواع من الاحتمالات التى يمكن أن تسبب وقوع القيامة .

١ ــ أن يكون هناك تصادم المذنبات والكويكبات بالكرة الارضية الذى يسفر عن ارتجاف الكرة الأرضية وفنائها .

٢ ــ أن يكون هناك اصطدام بين النجوم نفسها يؤدى إلى دمار محيط شامل . وهذا الاحتمال يبدو مؤكدا فى ضوء نظرية الانفجار العنيف (BIG-BANG THEORY) .

٣ ــ أن يكون هناك زوال تدرجى فى أضواء الكواكب من أمثال الشمس يفضى إلى زوال النظام الشمسى بكامله . كما أن العالم الشهير (جورج جامو) ناقش هذا الموضوع بالتفصيل فى كتابه:

(THE BIRTH AND DEATH OF THE SUN)

٤ ــ أما الاحتمال الرابع فهو القانون الثانى للديناميكا الحرارية (THE SECOND LAW OF THERMODYNAMICS) من وجهة النظر الطبيعية ، الذى يشير إلى النهاية المحتمة لهذا الكون . وتلك النهاية هى الأنتروبيا (ENTROPY) . فإن السرعة الهائلة التى يتم بها توزيع الحرارة فى هذا الكون ، يرجع العلماء أنها أن تنتهى إلى معادلة درجة الحرارة فى جميع مظاهر الكون ، وتلك الدرجة تكون منخفضة بحيث إن الحياة تصبح مستعصية فيها .

خطر اصطدام المذنبات

أما الاحتمال الأول فإنه مما يبدو عيانا أن الكرة الأرضية مهددة بالمذنبات وبعض الكويكبات المتشردة التى يمكن أن تدمرها فى أى حين . فإن بعض المذنبات تدخل فى بعض الأحيان فى النظام الشمسى ثم تمر متاخمة للكرة الأرضية وبعض الكواكب الأخرى ، كما أن المذنب هيلى (الذى سمى بهذا الاسم إثر مكتشفة العالم الفلكى هيلى) يدخل فى نظامنا الشمسى مرة فى كل ستة وسبعين عاما وهو كوكب لامع يشاهد بدون واسطة المجهر ، وقد سجل نجومه ثلاثين مرة حتى الآن ، وقد شوهد لأول مرة فى ٢٤٠ ق.م وللمرة الأخيرة فى عام ١٩٨٦ م . (OXFORD ILLUSTRATED ENCYCLOPAEDIA ، سنة ١٩٩٣ م ، ٨ / ٦٣) .

وهناك مذنب آخر مرَّ بمجرة مائة ألف وواحد وثلاثين ألف ميل بالقرب من الكرة الأرضية ، وذلك فى عام ١٩٤٦ م .

التصادم بين الأرض والكويكبات

وعلاوة على المذنبات فإن هناك بعضا من الكويكبات والشهب تتصادم حينا بعد حين بالكرة الأرضية وتحدث فى سطحها هوَات وفجوات . ففى عام ١٩٠٨ م سقط كويكب فى « سيبيريا » ، وكان الانفجار الناجم عنه يعادل قوة انفجار اثنى عشر من الميجاطن من القنبلة الهيدروجنية أسفر عن تيارات مزعزعة سجلت فى « انكلترا » . هذا إلى أن الانفجار قد استأصل جميع الأشجار الموجودة فى المناطق المجاورة التى تمتد مساحتها إلى ثمانين كيلو مترا . وقد تناثرت أجزاء الغبار فى سائر أنحاء العالم . ومن المحتمل بنسبة ١٢ ٪ إلى ٤٠ ٪ أن تحدث حادثة أخرى من هذا القبيل فى بحر خمس وسبعين سنة الآتية . (READERS DIGEST ، يناير ، ١٩٨٩ م) .

كما أن هناك كويكبا آخر قطره (٢٥ مترا) يحمل قوة واحد من الميجاطن من القنبلة يدخل الكرة الفضائية لأرضنا كل ثلاثين عاما مرة واحدة . وفى عام ١٩٣٧ م توجه الكويكب

(هرمس) إلى الأرض بسرعة (٣٥٥٠٠) كيلو مترا فى ساعة واحدة . ولكنه انحرف عن الأرض وقد اقترب منها بقدر لم يبق بينه وبين الأرض إلا مثل مسافة القمر بمرتين وتلك ليست مسافة لا باس بها من الوجهة الفلكية . وكان قطره كيلو مترا . ولو كان هناك تصادم بينه وبين الأرض لنجمت عنه قوة انفجار مائة ألف ميجاطن القنبلة . وإذا تصادم بالأرض كويكب أكبر بعشر مرات من كويكب (هرمس) فسيلقى ذلك كيان العالم إلى التهلكة . فإن الكويكبات التى تواصل دورانها بين المريخ والمشترى تشكل صورة قطاع يبلغ عددها حوالى عشرة آلاف من الملايين ، وهى تتراوح فى الحجم من ذرة صغيرة إلى أكوام جبلية . وأكبرها (سيرس) وتمتد مساحتها إلى ١٠٢٥ كيلو مترا . (نفس المرجع السابق) .

يظن علماء الفلك بصدد ذلك القطاع من الكوكبيات الذى يوجد بين المريخ والمشترى أنها قطع كوكب سيار تكسر وتناثر فى السماء .

إذا دكت الأرض دكا دكا :

ولو أصبحت هذه الجبال الطائرة متشردة وتصادمت بالأرض فى حين من الأحيان لتدمرت الأرض بجميع مافيها من الموجودات . ومن المحتمل كذلك أن تتصادم الأجرام السماوية ببعضها البعض فى موعد الساعة ، كما سنبيِّن ذلك فيما بعد . وربما ينتزع الله - تبارك وتعالى - قوة التماسك والتجاذب من تلك الأجرام السماوية فى ذلك الوقت . وعلى كل ، فإننا إذا درسنا الآيات القرآنية الآتية فى ضوء التفصيلات المذكورة آنفا فسيتضح لنا معناها مثل فلق الصبح ، ولا تحتاج إلى تفسير أو شرح مزيد :

﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة الحاقة

وقال تعالى :

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ سورة الواقعة

وقال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ (المزمل : ١٤)

وقال تبارك وتعالى :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (الزلزلة : ١)

وقال تعالى :

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ ﴾ (الفجر)

الانفجار الكونى العنيف

أما الاحتمال الثانى أى التصادم فيما بين الأجرام السماوية (الكواكب والسيارات) ، فينبغى لنا - قبل كل شىء - أن نكون على إلمام بنظرية خلق الكون ، فإن القرآن والعلم كليهما يتفقان على أن الأجرام السماوية كلها كانت رتقا قبل أن تأتى إلى صورتها التى هى عليها الآن . فيقول العلم إن هذا الكون مع جميع أجرامه كان فى صورة كرة نارية أو غازية حارة ، ثم كان فيها انفجار عظيم فانتشرت الكرة النارية فى صورة قطع صغار تشكلت فيما بعد فى شكل الكواكب والسيارات . وهذا هو ما يطلق عليه فى مصطلح العلم (نظرية الانفجار العنيف) التى عرفت عام ١٩٢٧ م . فإن هذه النظرية تقول إن هذا الكون (عالم المجرات والنجوم) فى اتساع دائم . ثم إذا توصل هذا الاتساع إلى منتهاه ابتدأت عملية تقلص الكون بسبب التجاذب فيما بين الأجرام السماوية ، فتتقارب فيما بينها ، حتى إذا وصل

هذا التقارب إلى أقصاه وقع تصادم عنيف فيما بينها . وهكذا تطوى تلك الأجرام السماوية فى صورة حادثة عظيمة ، ثم تعود إلى وضعها القديم أى فى صورة كرة غازيـــة .(انظـــر : ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA ، سنة ١٩٨٣ م ، ٢ / ١٠)

الحقائق القرآنية

وهذه النظرية أكثر تداولا بين العلماء فى هذه الأيام ، والتفصيلات التى ذكرناها آنفا بخصوص نظرية العلم الحديث . إنها تدل على ثلاثة حقائق :

١ ـ كانت فى الماضى السحيق كرة غازية عظيمة وجد منها هذا الكون .

٢ ـ هذه الأجرام السماوية ظهرت بفضل انفجار عنيف .

٣ ـ أن هذا الكون آخذ فى الزيادة والاتساع .

هذه الحقائق كلها بعض ما أشار إليه القرآن الكريم من قديم ولكن هذا الانفجار العنيف لم يحصل بنفسه ، وإنما حصل بأمر الله ـ تبارك وتعالى ـ وفق التصريحات القرآنية . فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ يقول :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (الأنبياء : ٣٠)

وكانت هذه المادة المشتركـــة للأرض والسماوات فى صورة غازة ملتهبة ، يعبر عنها القرآن الكريم بلفظ (الدخان) وهو تعبير بليغ يضمر المعانى والحقائق :

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ (سورة فصلت ١١)

ويقول الله تبارك وتعالى عن اتساع الكون :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾) سورة الذاريات

أما التصادم فيما بين الأجرام السماوية فهناك آيات كثيرة تدل على هذه الحقيقة بأساليب متنوعة ، ونورد هنا بعض الآيات القرآنية التى ليست بحاجة إلى تعليق :

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٤)

وقال تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (النحل : ١٢)

فإذا جاءت الساعة تدمرت الحياة ، وتمزق الكـون ، وانـتثرت الكـواكب ، وانفطـــرت السماوات وبست الجبال :

﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة المرسلات)

ومن الواضح البين أن الذى يقدر على خلق شىء فهـو أقـدر على إفنائـــه وهـــذه الأرض والسماوات والحيـاة والكـون جميعـا فى قبضة قدرته ، فإذا شاء استبـدل كونـا جديـداً بهذا الكون . وهذا ليس بمستحيل فى حقه تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحج : ١)

النجوم : حياتها ومماتها

أما الاحتمال الثالث ، فإن النجوم من أمثال الشمس تفقد طاقاتها شيئا فشيئا على مر الأيام ، ولابد أن يأتى يوم تفقد فيه جميع طاقاتها وتصبح ميتة ومظلمة . ومن المعلوم أن موت نجم أو ظلامه

هو موت النظام الشمسى بأسره . إذ أن الحياة بجميع أنواعهـــا تتوقـــف على ضوء الشمس وطاقاتها . فإذا انعدم ضوء الشمس فكيف تمطر السماء ، وكيف تنبت الأشجار المواد الغذائية . وبالتالى تستحيل حياة الانسان والحيوان والنبات والأشجار .

ومن المشاهد أن النجوم والكواكب أيضاً تحيا وتموت فى هذا الكون الهائل . كما أن الكشوف الحديثة قد أزالت القناع عن كثير من أسرار العالم السماوى . وإن كثيرا من العلماء قد كتبوا شيئا كثيرا حول هذا الموضوع وتركوا وراءهم أكداسا من المعارف .

موت الشمس

كذلك فإن العالم الشهير (جوج جامو) ألف كتابا أسماه ميلاد الشمس وموتها **(THE BIRTH AND DEATH OF THE SUN)** ذكر فيه – وهو يبحث بحثا مبسوطا حول التركيبات الطبيعية للشمس والكواكب الأخرى وبنيتها الكيميائية – أن هذا الإشعاع الحاد والطاقات الهائلة التى توجد فى الشمس إنما ترجع إلى تفاعلها الحرارى النووى (THERMONUCLEAR REACTION) . فإن الجزء الأكبر من الشمس يتألـــــف من غاز الهيدروجين كما أنها تحتوى على الدرجة الحرارية التى تقدر بخمسة عشر مليونا إلى عشرين مليونا . ومن أجل هذه الحرارة الزائدة تندمج جزئيات غاز الهيدروجين بسبب التفاعل الحرارى النووى وتتحول إلى (هليوم) ولابد أن يأتى يوم ينفذ فيه غاز الهيدروجين فتكون باردة كجسد ميت . وكلما اقتربت مادتها المحترقة من الانقضاء ازدادت الشمس تلهبا وسطوعا ، حتى أنها تكون أكثر تلهبا وضياء عند زوال مادتها مثل الشعلة الموشكة على الانطفاء ، فيكون اشعاعها أكثر بمائة مرة بالنسبة لاشعاعها الحالى . فلا يبقى هناك أى كائن حى على وجه الأرض بسبب الحرارة الشديدة المحرقة . وتتحول المحيطات والبحار إلى الأبخرة . فإذا أصبحت باردة صارت حرارتها أقل بمائة مرة من الحرارة الحالية ، فتكون قزما أبيض (WHITE DWARF) وهذا هو موت الشمس . (الملخص من THE BIRTH AND DEATH OF THE SUN ، سنـــة ١٩٥٦ م ، نيويـــورك ، ص . ١٤٠ ، وانظـــر كذلك : ENCYCLOPADIA BRITANNICA ، ١٧ / ٨٠٨)

المستسعرات

ولكن (جورج جامو) والعلماء الآخرين يطمئنون الناس بأنه قد بقى الآن ألف مليون سنة من عمر الشمس ، فلا داعـــى إلى القلـــق والاضطراب . ولكنهم يقولون توّا وفى النفس المباشر أن النجوم تنفجر عادة بانفجارات سرية ، وتنتثر مادتها فى الفضاء . وهذه الكواكب المنفجرة تسمى المستسعرات (NOVA) وقد عجز العلماء حتى الآن من الوقوف على الأسباب الحتمية لهذه الانفجارات السرية . وعلى كل ، فإن سلسلة الحياة والممات مستمرة فى عالم النجوم والكواكب . وعلى هذا فإن الشمس التى هى الأخرى نجم من النجوم يمكن أن تنفجر بانفجار مذهل فى يوم من الأيام . وقد أورد (جورج غيمو) نفسه هذا الاحتمال ، فيقول :

إننا نشاهد أن آلاف الملايين من النجوم والكواكب منتشرة فى عرض السماء ، ومن بين

تلك النجوم نشاهد نجما هادئا مماثلا لغيره من النجوم . ولكنه يتفرقع مفاجئة بانفجار عنيف فى بضع ساعات . فينتعش فى أذهاننا مباشرة سؤال هام وهو أنه يمكن أن يحدث مثل هذا الحادث بالشمس اليوم ... أو غدا ... أو فى السنة الآتية . فإذا أصبحت الشمس مستسعرة (NOVA) فى يوم من الأيام ، فإن تلك الساعة تكون خافضة رافعة ، مهلكة مدمرة . ويحدث كل ذلك بسرعة هائلة حتى أن أحدا لا يكاد يشعر به . أما إذا كان العلماء الفلكيون موجودين فى النظام السيارى (الكوكبى) لكوكب آخر ، فإنهم يشاهدون أنه قد طلع نجمٌ مستسعر THE BIRTH AND DEATH OF THE SUN ، ص : ١٥٩) .

ثم يكتب المؤلف بمزيد من الإيضاح :

أن هناك احتمالات بينة لأن تصبح الشمس مستسعرة مرة واحدة فى يوم من الأيام ، والواقع أن عشرين نجما من نظامنا النجمى ينفجر كل سنة . فإذا كان عمر هذا الكون حوالى ألفى مليون سنة فإنه قد تم انفجار أربعين مليونا من النجوم عبر هذه المدة السحيقة . (نفس المرجع السابق)

الاكتشافات القرآنية

وهذه الحقائق المذكورة إن دلت على شيء فإنما تدل على إعجاز القرآن وحقانيته

فما أعظم صدق القرآن الذى قرر هذه الحقائق منذ نزوله قبل أربعة عشر قرنا :

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ ﴾
سورة التكوير

فإن القرآن الكريم قد استخدم لفظ التكوير فى هذه المناسبة للشمس ، وهو يدل على معنيين : أحدهما اللّف ، وثانيهما الرفع والإزالة ، والحقائق السالفة الذكر تؤيد كلا المعنيين . كما أنه استخدم لفظ الانكدار للنجوم ، وهو أيضاً يدل على معنيين : أحدهما الانحدار والتساقط ، وثانيهما الظلام وذهاب النور . (معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مصر)

ويقول الله تعالى :

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ ﴾
سورة الانفطار

وعلى كل فإن القرآن الكريم قد ألقى الضوء على وقوع القيامة وفناء الكون فى مقامات شتى بألفاظ مختلفة وأساليب منوعة . وهذا التنوع فى الأساليب ليس عبثا ، وإنما جاء من قبل إبراز النواحى المختلفة لموت الأجرام السماوية وفنائها ، ليتنبه الإنسان من رقدة غفلته . والواقع أن حديث القرآن الكريم وتصريحاته كلها مطابقة للواقع وملائمة مع المشاهد . وأن أى تصريح من تصريحاته لا يجانب الحق والواقع ، لأن هذا الكلام ليس من جنس كلام البشر . وإنما هو كلام العليم الخبير الذى يعلم جميع أسرار الكون وعجائبه .

والحقيقة أن الله تعالى خلق هذا الكون وهذه السماوات لغاية كريمة وهدف نبيل . وهذه المستسعرات هى خير نموذج على كيفية وقوع القيامة ونهاية العالم السماوى . فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ إذا انتزع قوة التماسك والتجاذب (GRAVITATION) من هذه الأجرام السماوية فإنها تتصادم ببعضها البعض وتتمزق فى آن واحد .

وهذه هى بعض أسرار هذا الكون التى يكشف عن غطائها الكتاب الذى لا يأتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وهذا إعجازه العلمى باهر فى هذا العصر العلمى وهكذا يكتشف العلم الحديث جميع ما قرره القرآن الكريم قبل قرون . وسينكشف مزيد من أسرار هذا الكتاب كلما يتقدم العلم ، لأنه قد أنزله الذى يعلم السر فى السماوات والأرض .

تدبير الكون

وعلى كل ، فمن أى ناحية نفكر فى هذا الكون فإن الأمر الذى يفاجئنا فى كل مفترق هو نهايته المحتمة التى لا مفر منها . والحقيقة أن الله - تعالى - قد جعل لكل شىء ضابطة مرسومة وقدرا مقدورا . وأن هذا الكون سائر وفق تلك الضابطة وذلك القدر ، كما قال تعالى :

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (الفرقان)

وقال تعالى :

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأحزاب)

وقال تعالى :

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ (الأعلى : ١ - ٢)

وعلى كل فإن الله - تبارك وتعالى - هو الذى قدر لكل ما فى العالم من الذرة الصغيرة إلى النظام الشمسى الهائل قدرا مقدورا ، وضابطة محكمة . وهو الذى يسير الكون المادى وفق تلك الضابطة . وهذا الكون المادى بجميع ما فيه مقيد بضوابطه المرسومة من الوجهة الطبيعيـــة . ولا يستطيع شىء أن ينحرف عن أوامره شيئا .

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (سورة الأعراف)

متى تأتى الساعة

أما موعد الساعة فإنه لا يعلمها إلا الله لأنه هو الذى عالم بجميع ما فى الكون من سرائر وخفايا ، ورموز وعجائب . ولكن الساعة لا تأتى إلا بغتة ، فلا تمهل أحدا شيئا ، ولا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . وقد ظهرت أمارات الساعة ، فما يدريك لعل الساعة تكون قريبا :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ سورة الأعراف ١٨٧

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ سورة النحل

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ ﴾ (طه)

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة الأحزاب

فالمخلص أن دخول المذنبات والكويكبات فى نظامنا الشمسى وتصادمها وانفجارها ، إنما هو إعلام من الله - تبارك وتعالى - وإنذار منه لكى يتعظ الإنسان فيتجه إلى خالقه ومالكه ، ويقوّم من أخلاقه وأعماله ، وسلوكه وأفكاره . فإن الساعة إذا جاءت فلن يبق للعمـــل مجال ، ولا يكون لاستدراك ما فات مقال . وليس للإنسان بعد ذلك إلا أن يقلب كفيه على ما قدم ، ويبدى تحسره على ما فات ، ولات ساعة مندم :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ سورة الأنعام

من أمراض الطفولة

أمراض الدم

١ ـ فقر الدم «الأنيميا»

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

مما لا شك فيه أن أمراض الدم واسعة الانتشار بين الأطفال ، ومعظمها شديد الخطورة . لهذا يتعين علينا التبصير بهذه الأمراض الوبيلة ، للتعرف على أسبابها ، وكيفية تجنبها ــ إذا أمكن ــ ووسائل التشخيص والعلاج الأمثل المبكر لها ، إذا أصيب بها الطفل .

ولنبدأ الحديث عن أحد أمراض الدم الأكثر شيوعا بين الأطفال ، وهو مرض : فقر الدم (الأنيميا) .

● **ما المقصود بفقر الدم :Anemia**

المقصود به هو نقص نسبة الهيموجلوبين ، أو عدد كرات الدم الحمراء عن معدلهما الطبيعى ، (وفقاً لعمر وجنس الطفل) ، وينتج عن هذا نقص مزمن فى كمية الأوكسجين ، التى تصل إلى خلايا الجسم ، مما يترتب عليه شعور الطفل بالتعب المستمر ، والإرهاق والنهجان ، عند بذل أقل مجهود ، وقلة شهيته للطعام ، مع توتره وعصبيته الزائدة ، وزيادة سرعة نبضات قلبه ، ويكون الطفل شاحب اللون .

ولكى نتعرف على أسباب فقر الدم ، يتعين علينا التبصير بالعوامل اللازمة لعملية تكوين كرات الدم الحمراء وهى :

Erythropoiesis

١ ــ توافر العناصر اللازمة لتكوين خلايا الدم الحمراء Hematinucs ، وتشمل :

(أ) الفيتامينات : Vitamines (خاصة فيتامين ب المركب ، حامض الفوليك ، فيتامين أ ، فيتامين هـ) .

(ب) المعادن : Minerals (خاصة الحديد والنحاس) .

(جـ) البروتينات : Proteins .

(د) الهرمونات : Hormones (خاصة هرمون الإيرثروبويتين وغيره) .

(*) ماجستير فى طب الأطفال .

٢ ــ النخاع العظمى : Bone Marrow

وهو يُعد «المصنع» الذى تتم فيه عملية تكوين خلايا الدم .

● ما هى أسباب مرض فقر الدم وأنواعه ؟
ويتلخص هذا فى الآتى :

* نقص فى تكوين خلايا الدم الحمراء .
* زيادة فى معدل فقدان خلايا الدم الحمراء .

١ ــ أسباب نقص تكوين خلايا الدم الحمراء :

وينتج هذا عن أحد الأسباب التالية :

(أ) نقص أحد العناصر اللازمة لتكوين خلايا الدم الحمراء :

مثل Dyshemopoietic Anemia :

● نقص عنصر الحديد ويترتب عليه حدوث (أنيميا نقص الحديد Iron Deficiency Anemia

● نقص فيتامين ب المركب أو حامض الفوليك ويترتب عليه حدوث (أنيميا الخلايا الضخمة) Megaloblastic Anemia .

● نقص فيتامين جـ ويترتب عليه حدوث (أنيميا داء الإسقربوط) Anemia Due To Scurvy

● فقر الدم نتيجة لنقص البروتينات أو أحد الهرمونات اللازمة لتكوين كرات الدم الحمراء .

(ب) عدم مقدرة النخاع العظمى على تكوين كرات الدم الحمراء :

Hypoplastic or Aplastic Anemia

٢ ــ أسباب زيادة مُعدَّل فقدان خلايا الدم الحمراء :

(أ) حدوث نزف Haemorrhage حاد أو مزمن مثل :

* النزف من الجهاز الهضمى (نزف فى البراز أو تقئُّ دم) : فى حالة إصابة الطفل بأحد الطفيليات مثل : (البلهارسيا Bilhariziasis أو الأنكلوستوما Ancylostoma) ، أو إصابة الطفل بدوالى المرىء Oesophageal Varices أو بالتهابات وقُرحَ الأمعاء Inflammatory bowel disease ، نتيجة لأسباب عديدة ، أو إصابة الطفل بالدوسنتاريا المزمنة Dyzentry وغيرها من الأسباب .

* النزف فى البول Haematuria : كما فى حالة إصابة الطفل بيلهارسيا المجارى البولية ، أو وجود حصوات متكررة فى مجرى البول ، أو فى حالة وجود ورم فى أى جزء من الجهاز البولى وغيرها من الأسباب .

* وأيضا النزف من الأنف Epistaxis أو من اللثة Bleeding Per gums كما فى حالة إصابة الطفل بأحد أمراض الدم ، التى قد تؤدى إلى حدوث النزف .

(ب) زيادة معدل تكَسُّر كرات الدم الحمراء Hemolysis : ويؤدى إلى حدوث (أنيميا انحلال الدم) Hemolytic Anemia وسوف نتحدث عن أنواع فقر الدم بإسهاب ، ولنبدأ بأكثر الأنواع شيوعا ، وهى (أنيميا نقص الحديد) Iron Deficiency Anemia وهى تعد أكثر أنواع فقر الدم شيوعا فى السنتين الأوليين من عمر الطفل ، وإن كانت نادرة الحدوث فى الثلاثة شهور الأولى من عمر الطفل ــ إلا إذا كان الطفل مبتسراً (ناقص النمو) Premature أو فقد الكثير من الدم أثناء أو بعد ولادته Perinatal blood loss لأن كمية الحديد فى لبن الأم تكون

كافية لسد حاجات الطفل ، بالإضافة إلى ما لديه من الحديد المختزن فى جسمه .

● ما هى مصادر الحديد فى الطعام ؟

١ ــ مصدر حيوانى Animel Source : ويشمل كل أنواع اللحم الأحمر Red meat

٢ ــ مصدر نباتى Plant Source : فى أى نبات يَسْوَدُّ لونه عند التعرض للهواء مثل (السَّبانخ والتفاح والموز وغيرها) ويتم امتصاص الحديد من الإثنى عشر ، والجزء العلوى من الأمعاء الدقيقة ، ويوجد فى الدم متحداً مع البروتين الخاص به : Transferrin ، فى صورة فيريتين Ferritin ويتم تخزين الحديد فى الكبد والنخاع العظمى ويوجد الحديد فى الجسم فى الصور الآتية :

١ ــ فى الهيموجلوبين (حيث يشارك فى تكوينه) ، ويمثل هذا حوالى ثلثى كمية الحديد الموجودة فى الجسم .

٢ ــ الجزء الموجود فى الأنسجة : Tissue Form وينقسم إلى :

(أ) جزء مخزون (يستخدم عند الحاجة) فى الكبد والنخاع العظمى .

(ب) جزء (لا يمكن استخدامه عند الحاجة) موجود فى :

● العضلات : Musclesحيث يشارك فى تكوين الميوجلوبين Myoglobin .

● الإنزيمات : مثل إنزيمات التنفس Cytochromc .

ومن الجدير بالذكر أن الطفل يحتاج إلى حوالى ١٠ ــ ١٥ ملجم من الحديد يوميا فى طعامه ويتم امتصاص ١٠ ٪ فقط من هذه الكمية (وهى الكمية التى يحتاجها الجسم) .

● ما هى أسباب أنيميا نقص الحديد ؟ :

تتلخص الأسباب فى الآتى :

١ ــ نزف الدم :

فى أى طفل مريض بأنيميا نقص الحديد لابد من البحث عن أحد الأسباب التى قد تؤدى إلى نزف الدم ــ كما سبق وذكرنا ــ وخاصة إصابة الطفل بأحد الطفيليات مثل : البلهارسيا ، والأنكلوستوما .. ومن الجدير بالذكر أن كل دودة من ديدان الأنكلوستوما التى قد تصيب الطفل تقوم بالتهام حوالى ٠٫٠٥ مليلتر من الدم يوميا .

٢ ــ قلة امتصاص الحديد الموجود فى طعام الطفل ويكون ذلك فى الحالات الآتية :

● تناول الحبوب Cereals بكثرة .

● تناول الشاى بكثرة وأيضا الأدوية المضادة للحموضة Antacids

● أمراض سوء الهضم والامتصاص Malabsorption Syndrome

● حدوث نزلات معوية متكررة .

٣ ــ عدم تناول الحديد بكمية كافية ، (لأن كمية الحديد الموجودة فى لبن الأم بعد الشهر الرابع إلى الشهر السادس تكون غير كافية لسد حاجات الطفل منه ، ولهذا يجب إمداد الطفل به .

٤ ــ قلة كمية الحديد المختزن بجسم الطفل ، إذا كان الطفل مبتسرا (أى ناقص النمو) أو إذا كانت الأم تعانى من أنيميا نقص الحديد .

★ ★ ★ ★

وسوف نستأنف الحديث فى المقال التالى عن فقر الدم نتيجة نقص الحديد بإلقاء الضوء على أعراض المرض وتشخيصه وكيفية علاجه .

«وَيخلق مَا لا تعلمون ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد . د / نجوى السيد أحمد (*)

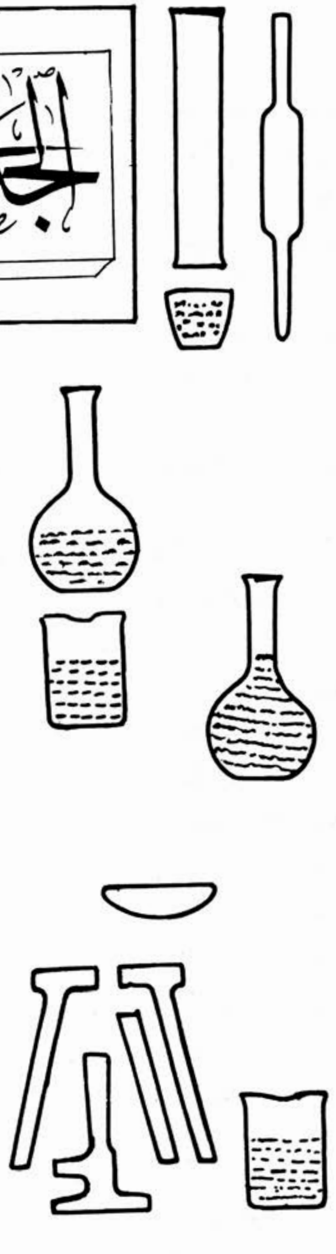

● **جهاز متكامل للرصد الجوى فى المطارات :**

قامت إحدى الشركات الفرنسية للإلكترونيات بإنتاج جهاز متكامل للرصد الجوى فى المطارات ، يمد المراقبين الجويين بالبيانات الخاصة بالأحوال الجوية ، ويمكن أن يستخدم فى مطار داخلى ومطار دولى ، ويتيح النظام التركيبى للجهاز فرصة تشكيله وتطويره حسب الطلب ؛ حتى يلبى أى احتياجات مطلوبة .

ويتكون الجهاز من أربع وحدات للقيام بوظائف الرصد الجوى وهى : أجهزة الالتقاط المتكاملة الموجودة على ممرات المطار ــ والتى تقدم المعلومات الأساسية فى صورة أرقام عن اتجاه الرياح وسرعتها ، ودرجة الحرارة والرطوبة والضغط ، ومدى الرؤية على الممر ــ وشبكة للربط بين أجهزة الالتقاط المختلفة ، وحاسب آلى للمراقبة ومعالجة المعلومات وحفظها وتكوين الصور التى ستعرض ، وشبكة عرض صور البيانات الجوية بالألوان .

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث .

● **جهاز لمساعدة المكفوفين على قراءة الصحف :**

بدأت فى بريطانيا التجارب على جهاز جديد يساعد المكفوفين على قراءة الصحف اليومية بدون الاستعانة بقارىء ، ويقوم النظام الجديد على بث محتويات الصحف بثا رقميا عبر شبكات التليفزيون فيستقبلها المكفوف على شاشة حاسوبه الشخصى بمساعدة بطاقة الكترونية خاصة تفك رموز الإرسال الرقمى ، ويتولى جهاز تحويل الإشارات الرقمية إلى أصوات منطوقة أو إلى علامات برايل البارزة التى يقرأها المكفوف الأصم بطريقة اللمس .

● **تنبيه آلى لركاب القطار :**

قامت هيئة السكك الحديدية لشرق اليابان بتطوير جهاز لتنبيه الراكب إلى محطته ، ويمكن وضعه فى الجيب . وتقوم الهيئة بإرسال أطوال موجية مختلفة من موجات الراديو الضعيفة ذات التردد العالى على طول خط السكك الحديدية ويضبط الجهاز الذى مع الراكب بحيث يسمع الراكب تردد الراديو الذى يتطابق مع المحطة التى يريد النزول فيها ، ويلتقط الجهاز التردد المطلوب – سابقا – ثم يعمل الكترونيا لتنبيه الراكب حتى لو كان نائما .

● **طابعة إلكترونية جديدة :**

ابتكرت إحدى الشركات اليابانية طابعة رقمية جديدة ، هى عبارة عن قلم طابع سهل الاستعمال يمكن بواسطته طباعة نص معين أو أرقام أو رموز معينة فوق أى سطح من السطوح . ويتم إدخال النص أو الرموز المطلوبة إلى الجهاز بواسطة مفاتيح ويحدد الشكل والمقاس المطلوب ، ثم تثبت الطابعة فوق السطوح الملساء مثل : الورق والخشب والبلاستيك وغيرها ، حيث تقوم بطباعة النصوص بثمانية قياسات مختلفة ، كما أنها تعطى أشكالا مختلفة للأحرف .

● **وقود نقى من الغاز الطبيعى :**

نجح فريق من العلماء الأمريكيين فى تحضير نوع جديد من الوقود السائل النقى من الغاز الطبيعى – وتتفاعل معه تحت درجة حرارة منخفضة جدا ، ويتم بعد ذلك تغيير حجم جزء الغاز وتعديل مواصفاته بحيث يصبح فى حالة سائلة عند درجة الحرارة العادية ليستخدم كوقود للسيارات وآلالات .

● **أحدث جهاز لقياس ضغط العين :**

قامت إحدى شركات الأجهزة الطبية بالولايات المتحدة الأمريكية بابتكار جهاز جديد لقياس حركة الدم فى العين بسرعة ودقة وسهولة . ويتميز هذا الجهاز بشدة حساسيته للتغيرات فى ضغط الدم فى العين والتى تنتقل عبر نظام « الكومبيوتر » المتصل به لتظهر هذه التغيرات فورا على شاشة الجهاز حيث يسجل نبضات الدم فى شرايين العين ، كما يسجل مقاومة الأوعية الدموية لسريان الدم فيها وكمية الدم الموجودة بهذه الأوعية ، وللجهاز القدرة على قياس حركة السائل الشفاف الموجود بالعين ، وسوف يساعد هذا الجهاز أطباء العيون على تعديل أنظمة العلاج الدوائى والجراحى المستخدمة لعلاج بعض أمراض العيون .

● **طريقة جديدة لعلاج تشوهات الحروق :**

نجح فريق من الأطباء الفرنسيين فى إنتاج جلد صناعى يتم نسجه من بقايا الجلد المحروق ويتم زرعه فى مزارع طبية خاصة ، ويستخدم فى علاج تشوهات الحروق . وتعتمد فكرة الإنتاج لهذا الجلد الصناعى على زراعة جزء من الجلد المحروق فى أنابيب معقمة ، فينتج جلد طبيعى يستخدم فى إنقاذ المصابين ، ويخضع المصاب لمجموعة فحوصات قبل زراعة جلد صناعى له ، حيث يتم أولا استئصال النسيج الجلدى المصاب ، ثم يغطى جسمه بجلد جديد بأساليب علمية متطورة فى زرع الجلد وتركيبه .

● **تحذير من الإفراط فى تناول فيتامين « د » :**

حذر أحد العلماء البريطانيين بجامعة « سيمون فريزر » من الإفراط فى تناول فيتامين « د » حيث يساهم فى الإصابة بأمراض القلب وتصلب الشرايين والتهاب المفاصل والشيخوخة المبكرة ، حيث إن الدراسة التى قام بها أوضحت أن الجرعة المناسبة للكبار هى (٢,٥) ميكروجرام يوميا ، وأن اللتر الواحد من اللبن يحتوى على (٨,٥) ميكروجرام من فيتامين « د » ، وأن الفيتامين يمكن إنتاجه داخل الجسم من خلال التعرض للأشعة فوق البنفسجية الموجودة بالشمس .

● **البكتيريا لتنقية الهواء :**

نجح مجموعة من العلماء الروس بأكاديمية العلوم فى ابتكار جهاز جديد لتنقية الهواء ، وهو عبارة عن إناء مملوء بالبكتيريا تستطيع أن تلتهم السموم الملوثة للهواء والتى تسمى المكونات العضوية الطيارة ، ويحتوى الجهاز على شاشة مصنوعة من الألياف الصناعية تحتوى على بكتيريا تقوم بتحليل المواد العضوية الطيارة إلى ثانى أكسيد الكربون والماء ، ولا يحتاج تشغيل الجهاز لأى جهد حيث يعمل فى درجة الحرارة العادية للغرفة .

● **جهاز يتنبأ بالضباب :**

أنتجت شركة فرنسية جهازا يعمل بتكنولوجيا المغناطيسية الكهربائية لقياس درجة حرارة الهواء باستمرار ، والتنبؤ بالضباب حتى مدى الألف متر الأولى من الجو ، حيث يحدد ظواهر لانعكاس المسئولة عن تخزين التلوث فى الطبقات المرتفعة وحبسها فى الكتل الهوائية .

اللغة والأدب والنقد

اللغة العربية فى تاريخها

أ. د/ توفيق محمد شاهين

أولية اللغة الإنسانية ــ بعامة ــ شغلت الناس والمفكرين أحيانا وأزمانا وتشابكت أقوال العلماء والفلاسفة وتفارقت وتنوعت وتلونت ــ بلون ثقافاتهم ، وتاهت فى دنيا الخيال والقرب من الواقع أو المظنون ــ آراءهم .

وأدلينا بدلونا بين الدلاء فى ذلك فى أبحاث منشورة ومخطوطة ، علَّ الحقيقة تسفر عن وجهها ، أو تطل برأسها فيهدأ المنقبون والباحثون ومحبو المعرفة وطلابها .

وأولوية اللغة العربية الحبيبة لا تقل حيرة وغرابة وضربا فى مجاهل التاريخ ، وذهابا فى وادى الظنون ، كأولية اللغة الإنسانية عامة سواء بسواء .

وبرغم ذلك ما زالت الأبحاث تتوالى ، والتنقيب يتلو بعضه ، والأبحاث تشد أزر بعضها ؛ لتضع شمعة على طريق المعرفة ، تنير الطريق للمقيمين والمقبلين .

والبحث فى أولية اللغة العربية كالبحث فى أولية اللغة الإنسانية يسير معتمدا على شقين أو على مدرستين : النصيّة والعقلية ؛ لترضى أصحاب العقول أو العقلانيين والنصيين فى نفس الوقت .

ويلاحظ بادىء ذى بدء : أن حيرة علماء اللغة وأصولها ــ أى لغة ــ أشد من حيرة غيرهم من العلماء والباحثين ؛ بسبب أن علماء اللغة لا يقع فى أيديهم دليل مادى من مكتوب بالذات إلا لماما ، ولا يشفى الغليل أحيانا لبتره ، أو غموضه ، وإمعانه فى التيه ووادى الظنون : فقد يكون ابن البيئة ، وقد يكون نقله عابر سبيل ، أو رحالة آثر أن يشاركه رحلته .

وقد يعسر أو يصعب تفسيره وقراءته على نحو يرضى ويقنع ، ويكــون العــود الى الحيرة والشتات . أمّا علماء المواد الأخرى فقد يقنعون بجمجمة يدرسونها ، وعظام يفحصونها ، وهياكل يعلقون عليها .. ولا يملك الناس إلا تصديقهم وشكر علماء الأجناس والأحياء .

وقد يعثر بعضهم على نوع من عملة قديمة ، فيصفونها ، ويعلقون على أهلها القدامى بما يفيد القارىء عن حضارتهم وثقافتهم .. وهلم جرّا .

أما علماء أصول اللغات فحظهم فى هذا الجانب النذر اليسير من لافتة مغمورة أو نص غامض .

● وكما اختلف العلماء على أولية ونشأة اللغة العربية ، اختلفوا كذلك على نشأة الخط العربى أو الأبجدية العربية فلنستصحب الأبجدية العربية معنا ، زيادة فى الأيضاح : متى نشأت ؟ وكيف تدرجت ؟ ومن أول من خطّ بها ؟ وهل وعى التاريخ لها نماذج ؟ وما تفسيرات العلماء لها ؟ وما نهاية خط مطافها ؟ .

والثابت للآن : أن اللغويين لا يعرفون من اللغات واللهجات ــ الشىء الكثير ــ إلّا ما تطور ، وترك خلفه تاريخا عريضا ، ونقوشا واضحة مدونة ، وألواحا ذات معنى متكامل ، أو يمثل جزءاً تشيع فيه الظاهرة اللغوية المدروسة .

اللغة العربية فرع السامية :

من المقرر : أن اللغة العربية هى عين أعيان اللغات السامية ، كما ذكر العلماء وكما سنبحث ذلك ونوثقه فى حديث آت بفضل الله تعالى ، وإن كان كل ذلك للآن شيئا افتراضيا .

والعربية أيضا فرع جنوبى غربى من شجرة اللغات السامية .

وتنقسم ــ بعامة ــ إلى قسمين :

عربية جنوبية ، وعربية شمالية :

(ا) فالعربية الجنوبية تشمل : المعينية ، والسبئية ، والحضرمية ، والقتبانية ، والحبشية .

(ب) والعربية الشمالية تنقسم إلى قسمين :

١ ــ العربية البائدة ، ومنها : اللحيانية ، والثمودية ، والصفوية .

٢ ــ والعربية الباقية ، وتمثلها : الحجازية ، والتميمية[1] وتمثلها لغتنا الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر الجاهلى فى أروع قصائده .

وإذا بادت البائدة ، وماتت الجنوبية ولفتها أكفان التاريخ ، فلتحيا الباقية والفيلسوف الألمانى (فيتشه) يقول : (إن وجود أمة من الأمم بوجود (إنيتها) التى هى شخصيتها ، وإن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة : الدين ، واللغة ، وحب الوطن .

ويقول : (إن اللغة هى رمز وجود الأمة ، وبقدر أصالة اللغة ، والمحافظة على اللغة الأصلية ، أو فقدانها .. تكون المجموعة البشرية أمة وشعبا أصيلا ، أو مجرد أشتات فحسب)[2] .

ومعنى هذا ان العناية باللغة شىء حيوى فى حياة الأمم والشعوب .. وانسلاخها عنها أو إهمالهم لها ، أو إدخال ضرة عليها بلا موجب .. تبعية للسيد ، وتنكر للأصل ، وفرار من الهُوَيَّة . ومعنى هذا بالتالى : وجوب العناية بلغتنا ، التى هى لسان مقدساتنا ، وعنوان مجدنا ، ورمز وجودنا وعزنا وجوب العناية بها رواية ودراية ، وبحثا ومعرفة ، واطلاعا وانطلاقا ، وخدمة وحبا وشوقا وهياما .

(١) راجع دراسة فى فقه اللغة . د . صبحى الصالح ص ٧١ ط ثالثة بيروت ١٣٣٨ هـ ، وكذا (علم اللغة العام) ط مكتبة وهبه القاهرة ص ٩٧ .

(٢) من نداء وجهه « يوهان جوتليب فيخته » إلى الأمة الألمانية .

وقد ذكر الفيلسوف الألمانى (فيتشة) أن الدين واللغة وحب الوطن رمز لوجود الأمة .. وأذكر فى هذا الصدد ــ للتاريخ والذكرى ــ أن وزير الأزهر فى الستينات وكان كمال رفعت من رجال الثورة ، حاضرنا فى قاعة المحاضرات الكبرى لجامعة الأزهر ــ وكنت وقتها مديرا لها ــ حاضرنا عن القومية العربية وقرر أن الدين ليس من مقوماتها !! وعندما تصدى بالتعليق على المحاضرة أستاذنا المرحوم الدكتور محمد البهى ، وذكر أن الدين عامل مهم ، ومقوم أساسى ورابطة وشيجة بين أبناء الوطن الإسلامى الكبير ، والعرب المتعايشين فى كل مكان ولهم دين يجمعهم .. قوبل تعليقه بعدم ارتياح .. ولو كان المحاضر يدرى كيف يرد لما سكت واكتفى بالتعليق المحلى غير المعروف ولا المقبول وهو : أن الدين ليس من مقومات القومية(٣) .

● ونعود بعد هذا الاستطراد القصير إلى موضوعنا .. بعد أن نؤكد أن من الواجب الحتمى اليوم أن نعنى بلغتنا العربية ، عناية أجدادنا بها من قبل ؛ فعزوا وبذوا وسادوا وقادوا .

أولية اللغة العربية وحروفها :

حول أولية العربية وأبجديتها أتى النصيّون بشواهد ونصوص ، رق إليها الطعن ، وتعاورتها الظنة والشبهة ، واعتورتها الاحتمالات ، والدليل متى تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال كما يقول الأصوليون .

ومن العلماء من نبّه على أنه لا اعتبار للكتابة وقواعدها فى اللغة ، وإنما الاعتبار للفظ ، وانما هى عرض ورموز للغة ، التى هى مجموعة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، كما يقول العبقرى ابن جنى رحمه الله .

وعلى كل فاللغة أقدم من الكتابة :

من النصيين من يحاول جعل أولية العربية ، بل والخط العربى منذ آدم ، عليه السلام ، باعتباره الإنسان الأول وخليفة الله على الأرض :

فالعلامة : أبو على الفارس (٣٧٧ هـ) ، وابــن جنــى (٣٩٥ هـ) ، وابــن فارس (٣٩٥ هـ) ، يرون فيما يرون : أن اللغة وحى وإلهام ، وإن أوحى الفارسى إلى ابن جنى بذلك فقد قوى فى نفسه ذلك (اعتقادا) ، وإن رجح ابن جنى الاصطلاح حير يرد على معنزلى .. وإنما مال إلى ذلك لما وجد فى العربية من دقة ورقة وإرهاف وسحر يستولى على المشاعر .

وابن فارس يقف مع الإلهام كلية فى مقدمة كتابه (الصاحبى)(٤) .

وجاء عن كعب الأخبار أنه قال :

أول من كتب الكتاب العبرى والسريانى ، وسائر الكتب ، آدم ، ﷺ ، قبل موته بثلاثمائة سنة . كتبها فى طين ثم طبخه . فلما أغرق الله ــ جل وعز ــ الأرض أيام نوح بقى ذلك . فأصاب كل منهم كتابهم . وبقى الكتاب العربى إلى أنْ خص الله به اسماعيل فأصابها وتعلمها)(٥) .

ودليل التوقيفيين أيضا قوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » ــ البقرة/٣١ .

والعلامة الجاحظ (٢٥٥) يرى أن الله القادر فتق لسان اسماعيل ــ عليه السلام ــ بالعربية دون سابق تمهيد أو تعليم ، وبلا تلقين ولا

(٣) وعلق المرحوم عيسى عبده ليلتها على التعليق قائلا : إنها رقعة كبيرة واضحة فى وجه المحاضرة .

(٤) راجع الخصائص ١/ ٤٠ ــ ٤٦ ، والصاحبى ص ٥

(٥) اتجاهات حديثة فى تعليم العربية د . على القاسمى .

تدريب ، وفطره على الفصاصة العجيبة ، على غير النشوء والتمرين ، وسلخ طباعه من طبائع العجم ، ونقل إلى بدنه تلك الأجزاء ، وركبه اختراعا على ذلك التركيب ، وسواه تلك التسوية ، وصاغه تلك الصيغة ....) (٦)

والجاحظ معتزلى ، وغريب ألا تعترض عليه المعتزلة فى عصره أو بعده ولعلها الحرية الفكرية الكريمة ، وغريب ألا تعترض عليه المعتزلة فى عصره أو بعده ، ولعلها الحرية الفكرية الكريمة التى عرف بها علماؤنا فى القديم .

والأديب القلقشندى ينقل عن عالم القراءات أبى عمرو الدانى أن الأبجدية العربية نزلت على هود عليه السلام .

وقيل : بل أول من وضع الخطـــوط هو أخنوخ ، أى إدريس * عليه السلام .

ويوفق القلقشندى بين الرأيين بقوله : (ولا تباين بين هذه الآراء بالجواز أن تنزل على آدم مرة ، وعلى هود مرة أخرى ، فربما نزلت الآية على نبى ، ثم نزلت على نبى آخر : كما أنزلت (البسملة) على سليمان ، ثم أنزلت على النبى محمد ــ ﷺ ــ أجمعين ، وكما أنزلت الفاتحة مرة بمكة ومرة أخرى بالمدينة ، كما قيل .

وجاء فى صبح الأعشى للقلقشندى حديث آخر ، يروى عن أبى ذر الغفارى ــ رضى الله عنــه ــ جاء فيـــه : (سألت رسول الله ــ ﷺ ــ فقلت : يا رسول الله ، كل نبى مرسل ، بم يرسل ؟ قال : بكتاب منزل ، قلت : يا رسول الله ، أى كتاب أنزل على آدم ؟ قال : ا ب ت ث ج ح خ .. الخ .

قلت : يا رسول الله ، كم حرف ؟ قال : تسعة وعشرون قلت : يا رسول الله عددت ثمانية وعشرين . فغضب رسول الله ــ ﷺ ــ حتى احمرت عيناه ، ثم قال : يا أبا ذر ، والذى بعثنى بالحق نبياً ، ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفا . قلت : يا رسول الله ، فيها ألف ولام ؟ فقال عليه السلام : لام ألـف حرف واحد ، أنزله على آدم فى صحيفة واحدة ، ومعه سبعون ألف ملك ، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل على آدم . ومن لم يعد لام ألف فهو برىء منى ، وأنا برىء منه . ومن لا يؤمن بالحروف وهى تسعة وعشرون حرفا ، لا يخرج من النار أبدا) (٧).

وعند مناقشة ما سبق فى إيجاز نرى أن أدلتهم لا تقوى على إثبات شىء ولا تثبت أمام النقد :

فما الداعى لأن يتعلم آدم كل الألسنة ؟

ولعل المراد من الأسماء فى الآية الكريمة (٨) أسماء الموجودات التى عايشت آدم ، ولا دخل للكتابة وحروفها هنا .

والتاريخ يروى أن لسان إسماعيل ــ ﷺ ــ كان عبرانيا كأبيه إبراهيم عليه السلام ، وتعلم العربيـة من قبيلـة ــ جرهـم حينما جاورهــم وعاشرهم واختلط بهم ، وأصهر إليهم .. فالأمر طبيعى شأن أى نازح مهاجر .

(٦) علم اللغة العام للدكتور عبدالصبور شاهين ٢٩ ، نقلا عن مخطوطة .
راجع الدارة : عدد / ٢ للسنة الثامنة محرم ١٤٠٣ هـ ــ ص ١٦٠ .
من مقال للدكتور أحمد شوق النجار ، نقلا عن صبح الأعشى القلقشندى ٣ / ٨ .

(*) ليس هناك دليل علمى يقطع بأن إدريس هو أخنوخ .. المجلة .

(٧) صبح الأعشى ٣ / ٧ .

وما رواه القلقشندى لم يثبت تاريخيا بيقين ، بدليل أنه سيروى ما يقابل ذلك اصطلاحا لا إلهاما ، ولغة الحديث ليس فيها فصاحة البيان النبوى المعهودة ، وإنما فيها انفعالات وافتعالات وكيف يبرأ الرسول ممن لا يؤمن بأن الحروف تسعة وعشرون حرفا ، وأن لام ألف حرف واحد وليس ذلك من أساسيات الإسلام ، ولا على المسلم أن يلقى الله وهو يؤمن أو لا يؤمن بذلك ، وكيف يخلد فى النار من لا يؤمن بأن لام ألف حرف أو حرفان ؟

والرسول — عليه السلام — ما كان يغضب هذه الغضبة إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله .

● وقد وردت أخبار بأن من رتب الحروف على هذا النحو (ا . ب . ث) إنما هو نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدوانى ، فى عهد عبد الملك بن مروان ، فى العهد الأموى[9] كما روى حفنى ناصف .

وان الترتيب (الألف بائى) الذى كان معروفا فى أول عهد الإسلام هو : (أبجد هوز حطى كلمن) الخ وما جاء فى ترتيب الأبجدية العربية على نحو (ا ب ت ث ..) إنما قصد به ضم المتشابه الى بعض تسهيلا للتعلم[10] .

وقد ذكر الدكتور شوقى النجار بأنه بحث عن الحديث المروى عن أبى ذر ، فما وجده فى كتب الحديث المعتمدة إطلاقا[11]. ومن ثم فقد رد الحديث ، وأكد بأنه موضوع ؛ لما فيه من افتعالات الغضب والتأكيدات التى نسارع إلى ردها ، والتى لا تليق بجلال موقف النبوة والحكمة : حين لا يكون الغضب والوعيد الشديد إلّا لأمر عظيم ، أو مخالفة خطيرة .

قضية الكتابة

وكما دارت قضية نشأة اللغة بين الاصطلاح والتوقيف ، نرى قضية الكتابة والأبجدية العربية قد سارت فى هذا المضمار .

فهناك رواية تروى عن الفراء بأن العمرى حدثه أنه قيل — لابن عباس — رضى الله عنهما : من أين تعلمتم الكتابة والهجاء والشكل ؟ قال : من حرب بن أمية . قيل : ومن أين علمه حرب بن أمية ؟ قال : من طارىء طرأ علينا من اليمن . قيل : ومن أين علمه ذلك الطارىء ؟ قال : من كاتب الوحى لهود عليه السلام[12] .

على أن حفنى ناصف يضيف إلى هذا الخبر : أن حرب بن أمية تعلمها فى أسفاره من عدة أشخاص ، منهم بشر بن عبد الملك ، أخوة أكيدر صاحب دوقة الجندل[13].

وأما البلاذرى ، فيذكر : أن ثلاثة من طىء اجتمعوا فى بقعة ، وهم : مرامرة بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلم منهم قوم من أهل الأنبار ، ثم تعلم عنهم نفر من أهل الحيرة ، ثم انتقل الأمر إلى أهل المدينة المنورة فمكة المكرمة ، وتعلمه الكثير وتداولوه[14] .

---

(٨) سورة البقرة — ٣١ .

(٩) تاريخ الأدب ٣٧١ .

(١٠) السابق .

(١١)مجلة الدارة السعودية العدد ٢ السنة ٨ محرم ١٤٠٣ هـ .

(١٢) صبح الأعشى ٣ / ١ .

(١٣) تاريخ الأدب ٥٧ .

(١٤ فتوح البلدان ٣ / ٥٧٩ .

أو أن ستة أشخاص ـــ كما ذكر القلقشندى عن الجوهرى ـــ كانـوا أول من اخترعـه وألـف حروفه ، وهم ستة نزلوا عند عدنـان بن أُدَد ، وأسماؤهم كانت : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعـفص ، قرشت فوضعـوا الكتابـة والخط على أسمائهم ، فلما وجدوا فى الألفاظ حروفا ليست فى أسمائهم الحقوها بها ، وسموها الروادف ، وهى : ثخذ ضظغ(١٥) .

وقيل غير ذلك الكثير مما يؤيد أن الأبجدية العربية من وضع الإنسان واصطلاحه فى المقابل الآخر ، لأنها من جملة الصنائع المدنية التى تلزم الناس فى معاشهم ، كما ذكر العلامة ابن خلدون(١٦) .

وهذا هو القريب إلى الذهن والمعقول ، إذ لابد وأن الكتابة مرت بالطور الصوتى ، والرمزى ، ثم المقطعى والصوتى ثانية وأخيرا الهجائى(١٧) .

الخط العربى :

وينسب بعض الباحثين إلى الخط العربى أنه أول سلسلة فى الخط المصرى القديم وثانى الحلقات هو الخط الفينيقى ، وهى نسبة إلى (فينيقيا) أرض كنعان فى منطقة فلسطين وما جاورها ، وتعلم أهلها من المصريين لمجاورتهم لهم ..

قيل : وهى أول أبجديـة عرفهـا البشر قبـل (١٥٠٠) سنة من ميلاد المسيح ، عليه السلام وتقول فرنسيس روجز : (والحق أن حروف الهجاء الفينيقية ليست هى الأصل الذى انحدرت منه الأبجديات اللاتينية فحسب ؛ بل إنها كذلك أصل الأبجديـات العربيـة ، واليونانيـــة ، والعربيـــة ، والروسية .

ومن الأبجدية الفينيقية اشتق الخط الآرامى فى الشمال ، والمسند فى اليمن ، وتولدت من الآرامى خطوط كثيرة ، ذكرها الدكتور أحمد شوقى النجار فى بحثه (١٨) .

هذه لمحة خاطفة عن الأبجدية العربية ، ومن ودّ مزيداً من البحث فليراجع دائرة المعارف البريطانية ٩/١ ، وقصة الكتابة العربية ، د. إبراهيم جمعة ، وأصل الخط العربى وتطوره حتـى نهايـة العصر الأموى ، للأستاذة سهيلة الجبورى ، وانتشار الخط العربى فى العالم الشرق والعالم الغربى للأستاذ عبد الفتاح عباده ..

وسترى بعدئذ أن الأبجدية العربية إبداع سامى الأصل ، وعـن الساميين عرفت الدنيـا ـــ كل الدنيا ـــ حروف الكتابة لأول مرة ، ومنها أبجديتنا العربية ، كما نقل الدكتور أحمد شوقى النجار ، عن دائرة المعارف البريطانية ، وقصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة إلى الصفحة المطبوعة ، فى ترجمة د. أحمد الصاوى .

---

(١٥) صبح الأعشى ٣ / ٩ .

(١٦) راجع المقدمة ٤١٩ ، تاريخ الأدب لحفنى ناصف ٤٦ .

(١٧) تاريخ الأدب ٥٤ .

(١٨) الدارة العدد ٢ السنة ٨ محرم ١٤٠٣ هـ .

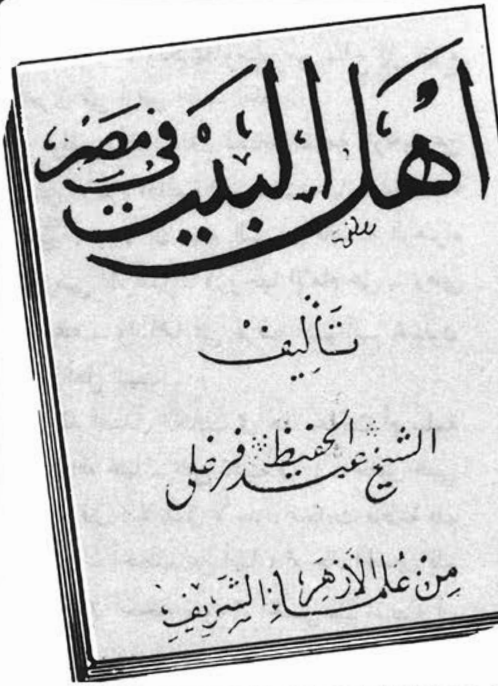

عرض وتقديم الأستاذ

عبد السلام إبراهيم ناصف

مؤلف الكتاب واحد من علماء الأزهر المهتمين بدراسة التراث الإسلامي ، والكتاب من القطع المتوسط ، ويقع في نحو مائة وخمسين صفحة ، ونشرته مطبعة الأنوار المحمدية .. صُدِّر الكتاب بالآية الكريمة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة الأحزاب

ثم بالحديث الشريف : (أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي)[1]

وبيتين للشاعر : أبي الطفيل عامر بن وائلة الذي يقول :

إن النبي هو النور الذي كشفت ... به غمامات باقينا وماضينا
ورهطه عصمة في ديننا وهم ... فضل علينا وحق واجب فينا

ثم قدّم لكتابه بمقدمة قصيرة بدأها بالحمد لله والصلاة على رسوله الأمين وأهل بيته الكرام من لهم في النفوس منزلة رفيعة مصداقا لقوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ الشورى (٢٣) أي لا أسألكم أجراً إلا أن تودوا قرابتي .

لقد ضرب بعض أهل بيت رسول الله ﷺ في الأرض إبان عصر الفتن والقلاقل والصراع على السلطة بين الأمويين والعباسيين ، فمنهم من قصد مصر : كنانة الله في أرضه، فبادلهم أهلها حباً بحب

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٠/٣٤٢ - إتحاف السادة المتقين ٩ , ٦٣٢

زادوهم وفاءً وتكريماً ومنهم من ساح إلى بقاع أخرى من أرض الله ـ تعالى .

ولقد مهد المؤلف لكتابه بمقدمة تاريخية عن أصل الأسرة الهاشمية التى بعثت منها سيدنا محمد ﷺ ، مبينا أن ابنته السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ وزوجها الإمام على ـ رضى الله عنه ـ وابناهما ممن عرف عنهم أنهم يحملون صفة أهل البيت .

وقد استدل الكاتب فى هذا بحديث أم سلمة رضى الله عنها ـ التى قالت فيه : « جاءنى النبى ﷺ وقال : لا تأذنى لأحد ، فجاءت فاطمة فلم أستطع ان أحجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسين فلم أستطع ان أحجبه ، وجاء الحسن فلم استطع أن أحجبه ، واجتمعوا حول النبى ﷺ على بساط فجللهم بكساء كان عليه ، وقال : هؤلاء أهل بيتى ـ فأذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً[٢] .

كما أورد المؤلف رأيا آخر ـ مستقى من تفسير سورة الأحزاب يضم لأهل الكساء : بناته وأقرباءه وزوجاته[٢] .

ويرجح المؤلف أن أهل البيت هم المنسوبون إلى النبى ﷺ من أولاد فاطمة وعلى ـ رضى الله عنهما ـ حيث قال : « لكل بنى آدم عصبة إلا أبناء فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم »[٣] ، فهى إذن خاصية اختصهم بها سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إيثاراً منه وحبا لأمهم وأبيهم الإمام الذى قال له : أنت منى بمنزلة هارون من موسى وأنت أخى فى الدنيا والآخرة)(١) ولقد كان يحلو للحسن والحسين أن يُناديا رسول الله : ياأبت .

ولأهل البيت أفضال لا تحصى فقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن النبى ﷺ قال : « إنى أوشك أن أدعى فأجيب ، وإنى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وسنتى . وأهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ، ومن تخلف عنها غرق .

وفى حديث آخر قال : « أحب أهل بيتى الحسن والحسين » وقد أخرج البخارى عن أبى بكر أنه قال : « أرقبوا محمداً فى أهل بيته » فحب الناس لأهل بيته امتداد لحبه ـ صلوات الله وسلامه عليه . فهو الذى قال يوما : (فاطمة أحب إلى من على وعلى أعز علىّ من فاطمة) كما جاء فى : « موسوعة أهل النبى » للدكتورة بنت الشاطىء (ص٥٩٥) .

رتّب المؤلف أهل البيت حسب ترتيب مجيئهم أو هجرتهم إلى مصر إبان عصر الفتن وخلال اشتعال الحروب والمكايد ضدهم ـ وكانت أولى المهاجرات السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ بعد أن أمرت بمغادرة المدينة المنورة ؛ فاختارت مصر على غيرها من البلاد التى كانت تعج بالفتن والقلاقل .

ولقد استقبلها أهلها بحفاوة وتكريم يليقان بمقامها، فأصبح مزاراً ومثاراً للذكرى ومهبطا للرحمة فى حياتها وبعد موتها ، ولقد استجاب الله لدعوتها فى أهل مصر : « يا أهل مصر نصرتمونا ،

(٢) تاريخ بغداد ١٠ / ٢٧٨ .

كتاب الضعفاء للعقيلى عن أبى سعيد الجدرى ٣ / ٣٠٤ .

سنن الترمذى ـ كتاب التفسير ـ سورة الأحزاب الآية رقم ٣٣ .

(٣) صحيح الإمام مسلم ، فضائل الصحابة ، مسند الإمام أحمد ١ / ١٧٩ ، ٣ / ٣٢ ، ٦ / ٣٦٩ ، مجمع الزواهد ٩ / ١٠٩ .

نصركم الله ، وآويتمونا ... آواكم الله ، وأعنتمونا أعانكم الله » .

أما الإمام الحسين ـ رضى الله عنه ـ فهو أبو الشهداء ، أبو عبد الله بن على بن أبى طالب ــ كرم الله وجهه ــ حفيد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولد فى الخامس من شعبان سنة أربع للهجرة ، وسماه جده « حسينا » وقال : حسين منى وأنا من الحسين ــ وكان يتألم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ لبكائه ، فقد نشأ وتربى فى بيت النبوة ــ أريحيا وذا مروءة ، وكان شجاعاً وكان شاعرا متفقها فى أمور الدين والدنيا ، ولقد شارك فى موقعة الجمل ، وموقعة صفين إلى جوار أبيه ، ولقد رفض البيعة ليزيد ، واعتصم بالكعبة ، ثم استنجد بأهل العراق لكنهم خذلوه خوفا وجبنا ؛ فاستشهد فى كربلاء يوم عاشوراء سنة احدى وستين هجرية ــ وتعددت الآراء فى مدفن جثمانه الشريف ــ إلا أن المشهد الحسينى بالقاهرة يرمز إليه ، فقد عنى به الحكام وأُوقِفَ عليه العديد من الأوقاف للصرف عليه تيمنا بالاسم الكريم ، وفيه يقول ابن الأثير فى « أسد الغابة » .

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة
بفقد حسين والبلاد اقشعرت
وقد أعولت تبكى السماء لفقده
وأنجمها ناحت عليه وصلّت

والسيدة زينب ولدتها أمها فاطمة الزهراء بعد الهجرة بخمس سنوات ، وسماها جدها زينب باسم خالتها وتربت فى بيت النبوة ، وفيه حفظت القرآن وروت الأحاديث ، وتفقهت فى أمور الدين ــ زوجها أبوها من ابن عمها عبدالله بن جعفر بن عبدالمطلب ، ورزق منها خير بنين وخير بنات ــ وكانت عابدة متبتلة ، وخير ما يذكر لها أنها اعتنت بتربية ولد أخيها الحسين بعد اغتياله حيث تحملت مصابها فيه بشجاعة .

ولما أمرت بمغادرة المدينة المنورة اختارت مصر وعاشت مكرمة فيها حتى توفاها الله فى الخامس عشر من رجب عام اثنين وستين للهجرة ، ودفنت حيث مسجدها الحالى ـ رضى الله عنها .

أما السيدة سكينة بنت الحسين من الرباب بنت امرىء القيس فقد كانت سيدة جليلة كريمة وكانت على خلق أهل البيت ــ ويقال : إنها اصطحبت السيدة زينب فى رحلتها الى مصر وعاشت معها ، وبعد موتها دفنت بقبرها القريب من مسجد السيدة نفيسة ـ رضى الله عنهم أجمعين .

أما السيد حسن الأنور فهو ابن السيد زيد ابن الأيلج بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ الذى يوجد مشهده على يمين الداخل إلى مصر القديمة من جهة سور القاهرة فى الطريق إلى مسجد عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ حدثوا أنه كان مستجاب الدعوة ، وكان إماما عادلًا تقيا ، قدم الى مصر عام مائة وثلاثة وتسعين للهجرة ، ومعه السيدة نفيسة ابنته التقية الورعة الحافظة للقرآن وراوية الحديث التى قيل : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد دعا لها حيث قال : إننى راض عن نسل الحسن والحسين ــ وقد رأى والدها فى المنام أن رسول الله ﷺ يقول له : « أنا راض عن ابنتك نفيسة ، والحق راض عنها برضائى عنها » ـ ولقد عرفت

بأنها نفيسة العلم والدين ، ومن يزر قبرها يحس بالراحة والطمأنينة من عند الله تؤكد صدق هذا الدعاء .

ويقول المقريزى فى خططه : (وقبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء فى مصر) .

توفيت ـ وهى صائمة ـ فى رمضان عام ثمانية ومائتين للهجرة ، ودفنت حيث يوجد مسجدها الحالى .

أما السيدة فاطمة بنت الحسين ـ رضى الله عنها ـ فأمها أم إسحاق التميمية بنت طلحة بن عبيدالله مدفونة بالدرب الأحمر بمصر كما يقول صاحب مشارق الأنوار ..

أما السيدة عائشة بنت جعفر الصادق ـ رضى الله عنها ـ فهى مدفونة فى المكان المعروف بـ (قره ـ ميدان) والمشهور باسمها قريبا من القلعة فى الطريق المؤدى إلى الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ .

إضافة إلى الإمام إبراهيم بن عبدالله بن الحسين ابن على ـ كرم الله وجهه ـ والمدفون بالمطرية خارج القاهرة ــ حيث يقال : إن الخليفة المنصور قد أرسله إلى مصر فنصب فى المسجد الجامع العتيق بمصر سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة ــ ثم قيل : إن المنصور خشى بأس أبناء السبط فحبسه وقتله .

وأخيرا تحدث المؤلف عن محمد بن الحنفية ـ رضى الله عنه ـ وهو ابن على بن أبى طالب من خولة بنت إياس الحنفية التى نسب إليها ، والمسمى باسم سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمكنى بكنيته ــ والذى اتهم بأنه المهدى المنتظر وأنه ينادى للشيعة ، وقد توفى ودفن فى مقابر باب الوزير فى مواجهة تكية الميرغنى .

وقد اختتم المؤلف كتابه بذكر أولياء الله الصالحين من أمثال الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه المدفون بمسجده ــ وكذلك السيد أحمد البدوى وإبراهيم الدسوقى ـ رضى الله عنهم أجمعين .

وبعد

فإن هناك اختلافات حول وجود بعض آل البيت فى أضرحتهم ــ فمن منكر ومن مثبت ــ وحجة المنكر عدم وجود نص قاطع أو شاهد يدل على التنقل والارتحال فى بعض الأحيان ، أو وجود نصوص متعارضة مع ما هو شائع معروف .

والكتاب لا يكذب أحداث التاريخ ، لكنه يلقى الضوء على أصحاب هذه الأضرحة من السلالة الطاهرة باعتبار أنهم من ذكرى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ وأثر من آثاره الشريفة .

فصاحب الضريح منسوب إلى المصطفى ومن حق المنسوب أن يحترم إجلالًا للمنسوب إليه ، فلا عبرة بالاختلاف فى دفن بعض أهل البيت الذين لهم بمصر مزارات فإذا كان صاحب الضريح غير موجود فيه ، فإحياء ذكراه فى أى مكان جائز ولا شىء فيه .

والذى نأخذ على هذا الكتاب الطيب أنه فى أكثر من موطن لم يهتم بالإسناد الذى يعطى توثيقا للمادة ويرتفع بها علميا .

العلم هو الخاصية المميزة للإنسان

د/ كارم السيد غنيم

يرفع الله ـ سبحانه ـ قدر العالمين بآياته ، فهمُ القادرون على فهم أوامره ، وهم الذين كلما ازدادت معرفتهم بها ازداد قربهم من ربهم وإدراكهم لمقاصد كلامه العزيز

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت/٤٣

والفضل فى علمهم هو فى الأصل راجع إلى مولاهم ـ عزَّ وجلَّ ـ فهو سبحانه الذى وهبهم القدرة على إدراك العلوم ، وفهم أسرار الآيات ، وقمة البشر هو رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ ، ومن ثَمَّ فإننا نجد الحق ـ تبارك وتعالى ـ يقول فى شأنه :

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ

ويمتنُّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على عباده المؤمنين فيقول : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ

ولقد كانت الخاصية التى ميز الله بها آدم وذريته هى « العلم » ، ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ... ﴾ (البقرة/ ٣٣) .

فأصبحت صفة العلم هى الخاصية المميزة للإنسان عن سواه ، وهكذا لا يتميز الإنسان إلَّا بما أُوتى من علم ، وأما رسول الله ﷺ فسنته زاخرة بما يرفع أهل العلم ، ويُعْلى قدرهم ، وفى نفس الوقت يحملهم مسئولية جسيمة ، تلك هى قيادة البشرية وريادة الإنسانية ، ومما ورد عن رسول الله ﷺ : **(من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين)**[1] .

وإنه لمن المعلوم لدى العقلاء أن خير العلم ما

---

(١) الحديث أورده صاحب « كشف الخفاء » (٢/ ٣٠٨) برقم ٢٣٥٥ ولم يعلق عليه .

عمق صلة العبد بربه ، وبنى جنسه ، وحدد له موقعه من الكون ، ونبهه إلى آيات الله المنظورة ، كما أعانه على فهم آياته المسطورة .

إنَّ كل معرفة صحيحة هى فى الحقيقة معرفة قرآنية إسلامية .

ولقد فهم أسلافنا هذا ووعوه جيداً ، ومن ثمَّ فقد حفظوا رسالة هذا الدين وأعلوا بذلك رسالة العلم ، وإذا كانت الأمة الإسلامية قد تعاقبت عليها أحقاب اختلفت بين القوة والضعف ، والتقدم والتأخر ، والنشاط والجمود ، إلَّا أن هذه الأمة لمعدنها الأصيل وجوهرها النقى لا تخلو حقبة من حقباتها من علماء أفاضل حملوا مشاعل المعرفة ، وأدوات العلم عبر الأزمان ، وكان منهم رواد فى كافة أرجاء العلوم ومجالات البحوث العلمية ، حتى لأضحى جليًّا أمام المنصفين من غير المسلمين أنَّ (المنهج التجريبى) فى البحث العلمى هو منهج علماء المسلمين الذين ساروا فى العلم بكل دروبه فبرعوا وذاع صيتهم ، وتلقفت أوروبا مؤلفاتهم وآراءهم ونسجت عليها حضارتها ، صاغ علماء المسلمين هذا المنهج فى وقتٍ كان الظلام الدامس يخيم على أوروبا ، وكان العلم قبلهم ، والذى أخذوه من اليونان ، يحلق فى أجواء الفلسفة أكثر مما يلجأ للتجريب ، وإنه لمن الواضح أن العلوم بكافة تخصصاتها ، وخاصة التطبيقية منها ، هى من أخطر أسلحة هذا العصر التى يفتقر إليها العالم العربى والإسلامى فى مواجهة تحديات أعدائه وتفوقهم فيه بمسافة طويلة .

فالأمة الإسلامية ــ كما يرى بعض الكتَّاب المحدثين من الغيورين على حياة الأمة ــ فى أمسِّ الحاجة إلى نوابغ متخصصين ، وخبراء عباقرة من خيرة أبنائها المسلمين ، من ذوى الغيرة على الدين والأمة ، بقدر حاجتها إلى دعاة مخلصين واسعى الثقافة .

إنَّ المستعرض لتاريخ العلوم فى حياة المسلمين يستطيع أن يضع ستة من الخلفاء على القمة فى الحركة العلمية وريادتها هم : (المأمون) وهو الذى أنشأ بيت الحكمة ، ونظام الملك ، وهو الذى أسس المدارس النظامية ، و(نور الدين زنكى) ، وكان راعياً للعلوم فى سوريا ، و(الحاكم بأمر الله) ، وهو الذى أنشأ دار الحكمة فى القاهرة ، و(صلاح الدين الأيوبى) ، الذى حمى التراث العلمى من غوغاء التتار ، ثم (السلطان أولغ بيك) فى سمرقند ، وهو مؤسس النهضة العلمية فى الدولة التيمورية ونبغ فى عصره (جمشيد غياث الدين الكاشى) وغيره ، كذلك كان الحال فى الأنــدلس (غرب العـــالم الإسلامى) ، فقد أصبحت قرطبةُ فى ظل عبدالرحمن الثانى (٨٢١ ــ ٨٥٢ م) ومن خلفوه (حتى ١٠٠٩ م) مركزاً هاماً للنشاط الفكرى والرخاء الاقتصادى ، وازدهار العلوم وإن لم ينضج العلم العربى هناك إلَّا متأخراً عن نظيره فى الشرق الإسلامى ، ويرجع ذلك حسب آراء أغلب المؤرخين إلى ظروف سياسية .

مما لاشك فيه أنه لابد للعلم من إيمان يحرسه ودين يرشده ، وذلك كله فى الإسلام يُعَدُّ من مبادئه ، وعلْمٌ هذا شأنه وخطته وهدفه ، يجب أن تتوفر فيه سمات (أو قَسَمات) أساسية منها :

الإثراء الإيمانى ، والنفع العام ، وعدم ابتغاء الإفساد به ، والوقوف به عند حدود معينة

فلا يحق له أن يلج الأمور الغيبية ، كما يجب على القائمين به أن يتميزوا بخصائص منها : الإخلاص فى العمل ، وابتغاء وجه الله ، وتحقيق الخلافة المنوطة بهم على هذا الكوكب الأرضى ، وأن تكون هويتهم الشخصية إسلامية ، وأن تقترن علومهم بأعمالهم وسلوكهم .

وأمَّا (العقل) فخلاصة أقوال العلماء فيه أنه : القوة العاقلة المدركة ، وهو لم يرد فى القرآن بلفظه ، وإنْ وردت صفاته وتعددت أبعاد نشاطه ، أما أداة العقل فى القرآن الكريم فهى (القلب) ، ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ (الحج/ ٤٦) .

والسرُّ ـ والله أعلم ـ فى إغفال ذكر (العقل) بلفظه كأداة لمستوى معين من الإدراك ، وإضافة ذلك الإدراك إلى (القلب) ، وهو ألا يُفْهَمُ أنَّ المراد من عقل الأشياء مجرد الوقوف بها عند الجانب التجريبى والمعملى الجاف ، دون التجاوز إلى مجالى الانفعال والوجدان اللذين هما من الحركات القلبية ، إذْ أن الوقوف بالأشياء عند مرحلة المعرفة المجردة ليس مراد الدين ، وإنما يراد مع الادراك لها التعاطف معها ، وغمرها بدفء الاحساس ، وحرارة الوجدان ، بحسبان المُدْرَكُ فرداً من جملة المُدْرَكات التى تشكل فى مجموعها الكون الكبير ، والتعاطف مع المُدْرَكات شرطٌ لإدْراكها إدراكاً صحيحاً وكاملا ، ذلك أن المُدْرِكَ إذا لم يكن ذا حسٍّ يعطفه إلى الأشياء كانت خبراته مفتقرة إلى الإجادة والإتقان ، أما إذا أحسَّ كونه الذى يعيش فيه بالمفهوم الذى ذكرناه ، استقر فى وجدانه أن ثمَّة صلة تجمع بينه وبين الكون كله ، تلك الصلة هى العبودية لمعبودٍ فَرْدٍ هو الله ، وهذه خصيصة انفرد بها الإسلام .

ولقد احتوى القرآن الكريم على آياتٍ كثيرة تحثُّ على استعمال العقل وعدم إهماله ، وتنعى على الذين يتركون عقولهم بدون نماء أو حتى استخدام ، ووصلت النصوص إلى (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسين نص أو يزيد ، وكلها تشير إلى العقل ومرادفاته ومعانيه المختلفة ، استخدم القرآن الكريم فيها كل الألفاظ كالتفكر ، والتدبر ، والتذكر ، والحكمة ، واللب ، والنظر ، والرشد ، والرأى ، والعلم ، والفقه ، والقلب ، والفؤاد ، إلى غير ذلك من الألفاظ والمصطلحات التى تدور حول الوظائف العقلية على اختلاف معانيها وخصائصها ، مما يُعْتَبَرُ إيحاءات قوية بدور العقل وأهميته بالنسبة للإنسان . وإذا كان العقل آلة التفكر فالعلم ثمرته ، وحسبنا دلالة على هذا أن رسولنا الكريم ﷺ حينما أرسله ربه بالرسالة لم يقدِّم حُجَّة لها إلَّا ما كان طريقها ، العقل ، والنظر ، والتفكر .

ولم يشأ له ربُّه أن يحقق ما كانوا يطلبون من خوارق حسية تخضع لها أعناقهم

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ سُورَةُ العَنكَبُوتِ

وقد ارتفع القرآن بالعقل ، وسجل أن إهماله فى الدنيا سيكون سبباً فى عذاب الآخرة ، فقال حكاية لما يجرى على ألسنة الذين ضلوا ولم يستعملوا عقولهم فى معرفة الحق والعمل به :

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾
سورة الملك

العقل الإنسانى له خصائص أعلاها : الرشد ، وهى وظيفة من وظائف العقل الوازع ، والعقل المدرك والعقل الحكيم ؛ لأن الرشد استيفاء لجميع هذه الوظائف .

وللعقل أنواع ، وكذلك للإدراك أنواع منها العقلى ، ومنها القلبى ، كما أن للعقل مناطات عدَّة هى المناط التكليفى والمناط الشرعى .

ولقد ذلَّل الإسلام العوائق والعقبات التى اعترضت وتعترض طريق العقل وملكاته ، ومَنْ يستعرض الآيات القرآنية ويبحث فى الأحاديث النبوية يجد كيف حدث ذلك فى أجلى صورة ، وجاء القرآن الكريم فأرسى قواعد البحث وأصول التفكير وفى الوقت ذاته فإنه وضع لاستخدامات العقل ضوابط ترشده وتصون أعماله من الضلال والتيه فى الغى .

وإن المتقلب لما بين دفَّتى القرآن الكريم ليجد أن المظاهر الكونية والظواهر الطبيعية فيه تشكل صفحات حية متطورة أمام العقل البشرى ، عليه أن يتصفحها وأن يعيها ، وأن يحاول الاهتداء إلى نواميسها وأسرارها التى تنطوى عليها ، وتكمن فى ثناياها ، والتعرف على ما ترمز إليه من دلالات على وجود قوة عليا ، موجدة ومسيطرة ، والعقل – ديناً – مطالب بالنظر فى الكون كله ، على رحابة آفاقه وبُعْد أعماقه .

وأول أنواع التفكر هو : التفكر فى حكمة خلق الله للإنسان على ظهر هذه الأرض ، وقد سخر له كل ما حواه الكون وتضمنه ، وأمره بعمارته وعدم الخمول فيه حتى يمكنه تحقيق الهدف الأسمى من وجوده على ظهر هذه الأرض ألا وهو خلافة الله ، ونهاه عن الإخلاد فى الأرض والركون إلى متاعها وزخرفها ومباهجها ، وأمره بالاستعداد فى هذه الدار إلى المقر الأساسى والحياة الباقية السرمدية وهى الدار الآخرة بعد الموت والبعث والقيامة ، وتنتظم المنهجية الإسلامية فى التفكر والتأمل والتبحث ، والتبصر بالعالم المحيط بالإنسان وما يشتمل عليه من دقائق وما يحويه من تفصيلات ، خطوطاً عريضة شرحها العلماء ونُجْمِلْهَا فى ثلاثة هى : السببية ، القانونية التاريخية ، والمنهج التجريبى .

وختاماً ، فإن الإنسان يلمس الامتزاج الكامل بين المعطيات الدينية وبين البحوث والنتائج والحقائق العلمية حين تتوقف الشعائر الدينية فى الإسلام على الظواهر الكونية ، ويستمر اعتماد العبادات العملية والأحكام الشرعية على تعاقب هذه الظواهر ، يستمر ذلك ويدوم بدوام الكون ووجود الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وإذا كان القرآن الكريم قد دعى بكل وضوح إلى التقلب فى أرجاء ما يحويه الكون من مخلوقات ، فإنَّ لهذه الدعوة (أو للعرض الذى قام به القرآن الكريم للكون) خصائص هى : الدعوة إلى الالتفات إلى الكون ، الشمول والإحاطة ، الديناميكية الدائبة ، الطواف من أشهر سنن الله الكونية ، نظام السببية ، وترشيد النظرة الإنسانية إلى الكون .

وفى النهاية نرجو أن نكون قد قدَّمنا فى هذه العجالة بياناً موجزاً لصفة العلم كخاصية مميزة للإنسان .

في ذكرى مصطفى صادق الرافعي

(١٨٨٠ – ١٩٣٧)

بقلم / محمد عبد الوهاب

فى كل عام تأتى ذكرى هذا الكاتب الإسلامى الكبير ، لتذكرنا بما كان له من أثر بعيد المدى ، فى حقل الأدب العربى عامة ، والإسلامى بصفة خاصة ، فقد كتب صفحات خالدة مشرقة فى الإشادة بتعاليم الدين الإسلامى السامية ، التى أطلَّتْ على العالم أجمع ، إطْلالَ نور وهداية ، لتنشر فى الأرض معنى التقوى والإنابة لفاطر السموات والأرض ، بمكارم الأخلاق ، والسير على النهج القويم ؛ وتصدَّى الرافعى – ببيانه الرفيع ، ومنطقه السديد – لمن حاولوا إشاعة المفاهيم الخاطئة ، بدعوى التحضُّر . وِفْقا لما يفد من العالم الغربى ، من نظريات وآراء ، تتعارض مع قِيمنا وتوجهاتنا الإسلامية النبيلة .

وعن « الإشراق الإلهى وفلسفة الإسلام » ، يقول الرافعى فى مستهل الجزء الثانى من كتابه : « وحى القلم » : « كما تطلع الشمس بأنوارها ، فتفجِّر ينبوع الضوء المُسمَّى النهار ، يُولد النبى فيُوجد فى الإنسانية ينبوع النور المُسَمَّى بالدين .. وليس النور إلّا يقظة الحياة تحقق أعمالها ، وليس

الدين إلّا يقظة النفس تحقق فضائلها ... إلى أن يقول بروعة تشبيه ودقة تصوير ، يُجْمل أثر هذا « الإشراق الإلّهى » العظيم :

« ورعشات الضوء من الشمس هى قصة الهداية للكون ، فى كلام من نور . وأشعّة الوحى فى النبى هى قصة الهداية لإنسان الكون ، فى نور من الكلام .. والعامل الإلّهى العظيم يعمل فى نظام النفس والأرض ، بأداتين متشابهتين : أجرام النور من الشموس والكواكب ، وأجرام العقل : من الرسل والأنبياء » .

وهكذا ظل الرافعى يَطْلع على الناس بآثاره القلمية البليغة الفذة ، التى تصور بأجمل قالب من البيان سوانح فكره وسَبَحاته ، وما يدور فى خَلَده ويتَجلَّى فى جوانحه من جوامع الكَلِم ، ليكشف عن بدائع مَلَكته الأدبية المتوهجة السامقة ، بعد أن زَكَتْ الخاطرةُ فى إطارها اللغوى الرصين ، وقياسها البلاغى الرفيع ، فى مواقفه الإسلامية ، وتوْجِيهاته الإصلاحية .

وقد عزف الرافعى على قيثارة الشعر فى مستهل حياته وبواكير عمره ، بنزعة تأملية إيمانية ، فيقول مثلاً عن غِنَى النفس بقنوعها بما قُسم لها :

لست أدرى أىّ المنى تقنع النفـــــــــس ، ونفس الإنسان تأبى الصوابــا
الأمانى مثل الصحائف والدهـــــــــر يُرينـــا فى كل يوم كتابـــا
أينّا قانع وأىّ امرىء شَـــــــــب ، وأرضـــاه أنّــه قد شابــا ؟
كأنمّا يسأل الزمان متى يا دهْـــــــــرُ ؟.. حتـــى يرى الممـات جوابـا

ويقول من قصيدة أخرى يصف مَنْ جَعَلَ جَمْعَ المال غاية ما يصبو إليه فى حياته الدنيا :

عجـبت لمن سعـى للمـال حتـى أضاع بأصغريْـــه الأبيضيْـــن
يرى فى قلبـه عينـا فُيــفْضِى بها ويــرى الظواهــر باثنتيْـــن
ومـــا بين الغنـــى والفقـــر إلّا مسافـــة حُفْـــرة : فى خُطْوتيْـــن

ويستخرج المغزى الإيمانى من ذلك كله بقوله :

النفس قوس والعزيمة سهمها فازم الرجا من هذه الأقواس
وأضيء حياتك بالمعارف ، إنما هى فى ظلام العمر كالنبراس
واجعل أساس النفس حبّ الله (م) إذ لا خير فى بيت بغير أساس

ويزيد هذا المعنى إشباعاً وإقناعا ، حين يقول :

أرى الإنسان يطغى حين يَغْنَى وما أدنى الهبوط من الصعود
متى كانت جُيُوبك من (نضار) فقد صارت جُنُوبك من حديد
ومن عجب يكون المال تاجا وحب المال أشبه بالقيود

★ ★ ★

وفى ختام هذه الكلمة العجلى ، نقول : ما أحوجنا فى هذا المنعطف التاريخى الذى يمر به عالمنا الإسلامى فى شتى بقاع الأرض ، أن نذكر أوابد الرافعى التى يحذرنا فيها من أمور كثيرة ، يتعين أن ننتبه لها ونأخذ حذرنا منها بتبصر وحُسْن إدراك ، ونسوق فيما يلى بعضاً من رؤاه النافذة ، التى لا تنفك ترسم لنا الطريق نحو العزّة والمجد والفضيلة :

« زجاجة الخمر تعمل فى هذا الشرق المسكين عمل جندى أجنبى فاتح » .

« أول السياسة فى استعباد أمم الشرق ، أن يُترك لهم الاستقلال التام : فى حرية الرذيلة ! » .

ألا إن المعركة بيننا وبين الاستعمار معركة نفسية . إنْ لم يُقتل فيها الهزل ، قُتِلَ فيها الواجب ! » .

« إنّ هذا الشرق حين يدعو إليه الغرب إنما ، ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ١٣ ﴾ (الحج) . لبئس المولى إذا جاء بقوته وقوانينه ، ولبئس العشير إذا جاء برذائله وأطماعه » .

يا شباب العرب ، لم يكن العسير يَعْسر على أسلافهم الأوّلين ، كان فى يدهم مفاتيح من العناصر يفتحون بها ..

غلبوا على الدنيا ، لَمَّا غَلَبوا فى أنفسهم معنى الفقر ، ومعنى الخوف ، والمعنى الأرضى . وعلّمهم الدينُ كيف يعيشون بالذات السماوية التى وضعت فى كل قلب عظمته وكبرياءه . واخترعهم الإيمان اختراعاً نفسيًّا ، علامته المسجَّلة على كل منهم ، هذه هى الكلمة : لا تذل ! »

« غريزة الكفاح يا شباب ، هى التى جعلت الأسد لا يسمّن كما تسمّن الشاة للذبح . وإذا انكسرت يوماً ، فالحجر الصلد إذا تَرَضْرَضَتْ منه قطعة ، كانت دليلاً يكشف للعين : أنّ جميعه حجر صلد » .

رحم الله الرافعى رحمة واسعة .

الأثر العربي في الأدب السواحيلي

بقلم الأستاذ/ عادل فهمي خفاجة

إن الآداب على اختلافها تعبر عن معتقدات شعوبها وطرق معيشتهم ، وتقدم فيما تقدم ـ من خلال نسيجها الأدبى وأعمالها الفنية المتميزة ـ صوراً متألقة لتاريخ هذه الشعوب ، وتطور حضارتها .

وإن تناولنا لأنماط الأدب السواحيلي ينبع من إيماننا العميق بانصهار هذه الأنماط فى البوتقة الإسلامية ، وخروجها متأثرة إلى حد كبير بالثقافة الإسلامية .

وسنحاول فى السطور التالية ـ استقراء أنماط هذا الأدب ؛ لنرى مدى تأثره بالأدب العربى ، بالإضافة إلى أننا نقدم للقارىء ـ فى الوقت ذاته ـ صوراً من الأدب السواحيلي ماوسعنا المقام لإيماننا بضرورة إبراز تأثير الإسلام والثقافة العربية فى هذا الأدب .

الأدب السواحيلي أدب غنى بموضوعاته التى يستقيها من البيئة الإفريقية الخصبة ، وهو يعالج كل ماتعالجه الآداب الأخرى بثراء .

وإذا كان الشعر قد احتل مكانة مرموقة سامقة فى الأدب السواحيلى ؛ نظراً لما تمتاز به اللغة السواحيلية من جَرْسٍ موسيقى متميز ، إلا أننا نجد للنثر فيه مكانة غير منكورة وحقا غير مهضوم ، ففيه القصة والأسطورة والخطبة والحكم والأمثال الشعبية والألغاز .

أولاً : القصة :

تتناول القصة العديد من الموضوعات التى يكون محورها شخصية إسلامية مثل : الخلفاء الراشدين ، عبد المطلب جد الرسول ﷺ وزوجات الرسول ﷺ وأمه السيدة آمنة بنت وهب ..... إلخ .

كما نجد ـ أيضاً ـ قصص الأنبياء ـ على نبينا وعليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام ـ وبرغم وصول الديانات الأخرى إلى المنطقة منذ زمن بعيد إلا أننا لانجد لها تأثيراً فى هذا الأدب يماثل ما نجده لقصص القرآن الكريم والحديث الشريف والآداب الإسلامية .

كما تتناول القصة أيضاً الأحداث الإسلامية الشهيرة مثل : غزوات الرسول ﷺ والإسراء والمعراج .... إلخ .

وفى كل هذا تكون القصة نقلا أمينا يستعين فيه الراوى بالمراجع العربية .

وقد يحدث ـ أحيانا ـ أن يمزج بعض القصاص بين الأحداث حين إلقائه فيروى أحداث قصة مع قصة أخرى .

« كما نجد أن دور المخادع والفكاهى المحتال الذى يرتبط بشخصية (جحا) فى التراث الشعبى يصبح من نصيب (أبى نواس) فى التراث السواحيلى »(١) .

والرواية السواحيلية فن شعبى أقرب إلى الحياة اليومية ، والراوى الماهر هو الممثل الماهر ، حيث يقوم بإبراز كل شخصية فى قصته ، فيلعب دورها ، والرمزية فى القصة واضحة ، واستخدام شخوص الحيوانات فيها مفرط للغاية ، وهى فى كثير من جوانبها تحتوى على النصيحة والموعظة والإرشاد ، وبخاصة للأطفال فتوضح لهم : « شرور الدنيا التى سيقابلها الطفل إذا عصى والديه أو خالف أمر الله »(٢)

ويبدو الأثر الأفريقى واضحاً فى القصة أو الحكاية الشعبية من حيث استخدام الرمز واستعمال شخوص الحيوانات ، ونورد هنا تلخيصاً لبعضها :

١ ـ حكاية « الواكاماى » :

وهى قصة تحكى عن جماعة من الرعاة الذين كانوا يعيشون على الساحل ـ لهم أعرافهم وعلاقاتهم ـ قد حزموا أمرهم على الرحيل ، والتوغل إلى الداخل ، ولكن رجلا تقياً جاءهم ، وحذرهم قائلاً : إذا سرتم إلى الداخل تتحولون سوداً [أى أنهم سينسون وطنهم الأصلى ، ويندمجون فى الوطن الجديد] لكن زعيمهم رفض النصيحة قائلاً : كيف يغير الرجل لونه ؟ وضرب له مثلاً بحبة الأرز ، تزرع فى الطين الأسود فتنبت أرزاً أبيض ويظل أبيض [أى فهم الكناية فهماً حرفياً » ، ولم يقل الرجل الحكيم شيئاً ، وتوغل الزعيم بقومه ؛ فصاروا سوداً(٣)

٢ ـ حكاية الثعبان والكتكوت :

وهى حكاية قصيرة ملخصها أن ثعباناً يقوم بالدخول والخروج من جسم (الكتكوت) ، ثم يأتى دور الكتكوت ليدخل جسم الثعبان فدخل فلم يجد له مخرجاً . وهنا الموعظة : « لا تدع الثعبان يتدخل فى شئونك(٤) .

٣ ـ « سيبودا » :

وهى قصة تحكى أن أحد الصيادين أعد حفرة كبيرة ؛ ليصطاد فيلا ، وذهب ولداه ليريا الحفرة ، فوجدا فيها فيلًا يستنجد بالابن الأكبر قائلاً : « ساعدنى يا سيبودا » ، فساعده وأطلقه على الرغم من تهديد أخيه الأصغر وعندئذ استمر الأخ الأصغر يأخذ طعام أخيه الأكبر مقابل سكوته ، حتى أصيب سيبودا بالهزال ، ولكن الأب اختبأ أثناء تناولهما الطعام فعرف السر . فاصطحب سيبودا إلى الغابة لجمع النسل ، ودق أوتاداً فى شجرة وصعدا عليها ، وحينما أرادا الهبوط نزل الوالد على الأوتاد ، وكلما هبط على وتد

(١) د. سيد حامد حريز : المؤثرات العربية فى الثقافة السواحيلية ـ دار الجيل ص١١١ .

(٢) حمدى السيد سالم : الصومال قديما وحديثا ج٢ ص٥٢٨ .

(٣) د . عبدالله نجيب محمد : دراسات فى الأدب السواحيلى ص١٥٨ مكتبة النهضة المصرية .

(٤) المرجع السابق ص١٥٩ .

خلعه ، ولما سأله الابن : كيف أهبط ؟ قال الأب : اعتمد على حيلتك التى أطلقت بها سراح فيلى ؟!

وتتوالى الأحداث وتوضح أن الفيل أنقذ « سيبودا » وذهب به إلى مكان بعيد حيث الخصب ، فكثرت لديه الأبقار ، وتزوج ، وكثر أولاده ، ثم عاد إلى والديه بعد عناء كبير فى البحث عنهم والتأم شمل الأسرة(٥)

ثانياً : الأساطير التاريخية والدينية :

هناك العديد من الأساطير التاريخية مثل : قصة « تشاتشا بن منجورى » وقصة « الأربعة صانعى العجائب » ... وغيرها .

وهى تحكى للأطفال ، وهدفها البعد عن التكبر والكذب والغش والخداع وكل ماهو مرذول ، وتحضُّ على العمل والنشاط وحب الأهل والأصدقاء والمسارعة إلى معاونتهم ، وهى فى مجملها ذات هدف تعليمى .

« وثمة أساطير ترتبط بالطرق الصوفية ، وتحكى عن الأولياء وعن دورهم فى نشر الإسلام وكراماتهم ... إلخ » . وهذه الأساطير تتفق فى مضمونها العام مع الواقع التاريخى فى تلك المنطقة ، غير أنها تختلف عنـــه فى كثير من تفاصيلها ، ومايهمنا أنها صدى المؤثرات العربية الإسلامية فى تلك المنطقة(٦)

ثالثاً : الألغاز

والألغاز فى مجملها نابعة من البيئة الإفريقية والثقافة الأصلية لموطنها ، ويقصد منها دفع الأبناء إلى التفكير ، لذلك كان من الأنسب استخدام تشبيهات قريبة من نظر الأبناء ، ويكون محورها غير بعيد عن تلك الأشياء التى يرونها دائماً .

ومن هذه الألغاز :

1) Kuku wanga akazalia miibani.

وترجمته : « دجاجتى باضت بين الأشواك » .

وعلى الأولاد أن يبحثوا فى ذاكرتهم عن شىء يشبه البيضة وسط الأشواك . ويكون المقصود : ثمرة الأناناس (Nanasi) .

2) Nimepanda konde yangu kubwa, nimeevuna haujai mkono.

وترجمته : زرعت حقلى الكبير ، ولما حصدته لم تمتلىء يدى .

وعلى الأبناء أن يبحثوا عن شىء يمكن أن يملأ الأرض فإذا جمع لايملىء اليد . ويكون المقصود : الشَّعر (Nywele) .

3) Nyumba yangu haina mlango.

والتى تعنى : منزلى ليس له باب .

ويكون المقصود البيضة . (Yai) .

ثالثاً : الخطبة :

الخطبة ـ الدينية بالتحديد ـ تبدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وتتضمن العديد من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية وأبيات الشعر وأغلبها للوعظ .

بالإضافة إلى الخطبة السياسية والوطنية .

رابعاً : الحكم والأمثال الشعبية :

إن الحكم والأمثال الشعبية تعد من أنسب الأشكال الأدبية التى يمكن للقارىء أن يستشف منها شكل الحياة الاجتماعية التى يحياها المجتمع

(٥) المرجع السابق ص٥٠ .

(٦) د. سيد حامد حريز : مرجع سابق ص١١١ .

السواحيلى ؛ لما تمتاز به من إيجاز واضح وشيوع كبير بين الأفراد ؛ فهى مرآة صادقة للعُرْف والشعور والوجدان ، وترسم بشكل دقيق الأسلوب العام الذى يُتّبع فى التفكير . وهى من الفنون التى يهتم بها السواحيلى ويحرص على أن يوشح أعماله بها ، وتكاد لا تخلو قصة أو قصيدة من مثل أو حكمة .

من هذه الحكم والأمثال نذكر على سبيل المثال :

1) Nani angurumaye kama simba !

أى : من يزأر مثل الأسد ؟! .

2) Kidogo, kidogo, kamba hukata jiwe.

أى : شيئاً فشيئاً ، الحبلُ يقطع الحجرَ .

وهناك العديد من الأمثال الشعبية التى يظهر فيها الأثر العربى واضحاً جلياً ، نذكر منها :

1) Haraka, haraka, haina baraka.

أى : لابركة فى العجلة .

ويقابلها فى العربية : فى التأنى السلامة وفى العجلة الندامة

2) Mwenye kujitahidi hufuzu.

وتعنى : من يجتهد يفزْ .

ويقابلها فى العربية : من جدَّ وجد .

3) Afudhali ya mchawi kuliko mtu fitina.

وتعنى : الساحر أفضل من الفتّان .

ويقابلها من القرآن الكريم ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾

[سورة البقرة آية ١٩١] .

4) Mtu hafi illa kwa mzishi wake.

الانسان لا يموت إلا عندما تأتى نهايته .

ويقابلها من القرآن الكريم : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾

[سورة ال عمران آية ١٤٥] .

5) Saa haioji mfalme.

وتعنى : ساعة الموت لا تتأخر عن أحد ولو كان ملكاً .

ويقابلها من القرآن الكريم :

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

[سورة الأعراف آية ٣٤] .

6) Ahadi ni deni.

وتعنى : العهد دين .

ويقابلها فى العربية : وعد الحر دين .

7) Fulani funga ameji kwa ulimi wake.

وتعنى : آفة الإنسان فى لسانه .

وهو يذكرنا بحديث رسول الله ﷺ الذى يخاطب فيه معاذاً : « .... ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكُبُّ النَّاس على وجوههم فى النار إلا حصائد ألسنتهم »(٧).

8) Baada ya dhiki faraji.

وتعنى : بعد الضيق يأتى الفرج .

ويقابلها من القرآن الكريم :

﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [سورة الشرح آية ٦] .

(٧) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ج٥ ص٢٣١ .

9) Heri kufa macho kuliko kufa moyo.

وتعنى : موت العين خير من موت القلب .

ويقابلها من القرآن الكريم : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [سورة الحج آية ٤٦] .

10) Ulimi hauna mifuba.

وتعنى « اللسان ليس به عظام » .

والمقصود به أنه يجب ألا يؤذى .

11) Mchimba kaburi huji chimbia mwenyewe.

وتعنى : من يحفر القبر ، يحفره لنفسه .

ويقابله فى العربية : « من حفر لأخية حفرة وقع فيها » .

والأمثال الشعبية كثيرة ، والتشابه الكبير بينها وبين الأمثال الشعبية العربية يغرى بالاسترسال ، وهو ما جعلنا نقدمها بنصها .

وهذه الأمثال تكفينا شاهداً على التأثير العربى الواضح فى هذا الأدب ، ليس هذا فحسب ، بل إن بعض هذه الأمثال يكاد يكون مستخلصاً مباشرة من معانى القرآن العظيم ، ومن هدى الرسول الكريم ﷺ .

وبعد ، فهذا بعض ما بدا لنا من أثر عربى فى الأدب السواحيلى فى شقه النثرى ، ونأمل أن يوفقنا الله ـ تعالى ـ إلى إظهار هذا الأثر فى الشق الأكبر الذى يشغله الشعر فى مقال لاحق بإذن الله تعالى .

تصويب

وقع خطأ مطبعى فى عدد رجب ١٤١٥ هـ بالبيتين الأخيرين من قصيدة « تحية للأزهر » للشاعر / صالح محمد سيد على ، إمام مسجد (الرياض) بمدينة (لاموكينيا) وصحته :

نحن فى ظله نباهى ونفديه فداء لا نعرف الارتيابا

بل ونفدى « كنانة الله » حتى تورث المجد شيبها والشبابا

خير ما ورد في شعبان

- « إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى يكون رمضان »

صحيح عن أبي هريرة . رواه أحمد .

- « في ليلة النصف من شعبان يغفر الله لأهل الأرض إلا لمشرك أو مشاحن »

صحيح عن كثير بن مرة الحضرمي مرسلا .

- « كان أحب الشهور إليه أن يصومه شعبان ، ثم يصله برمضان »

صحيح عن عائشة .

- « شعبان بين رجب وشهر رمضان ، تغفل الناس عنه ، ترفع فيه أعمال العباد فأحب أن لا يرفع عملي إلا وأنا صائم »

حسن عن أسامة .

- « إن الله تعالى ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه ، إلا لمشرك أو مشاحن »

حسن عن أبي موسى الأشعري .

- « إذا كان ليلة النصف من شعبان أطلع الله إلى خلقه ، فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين ، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه »

حسن عن أبي ثعلبة الخشني .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

هذا الباب في عامه الثالث

أذكر أنني توجهت إليك ـ عزيزى القارىء ـ بدعوتك إلى المشاركة فى تحرير هذا الباب بعدد رجب ١٤١٣هـ ليكون منك وإليك ، فقلت :

« ولكم نرجو أن يشاركنا القارىء بجهده فى الميدان إذا لزمه تعليق أو استفسار أو اقتراح ، والتحرير من جانبه سوف يستقبل رسالته ويحتفى بها فى سبيل تلبية رغبته » .

كانت سعادتنا غامرة بتلك الاستجابة السريعة من قراء المجلة وكتابها الذين أسهموا بنتاج أقلامهم فى إثراء تلك الزاوية من مجلة الأزهر بالمعانى المفيدة والأفكار الطيبة ، وهاهى تلك الزاوية تستكمل مقوماتها وتصبح باباً ـ ذا زوايا عدة ـ له ذاتيته الخاصة بفضل جهود قرائه وإقبالهم عليه .

هذا .. وقد حرصت من جانبى على تنويعه بنشر أكبر عدد من الأفكار والمعلومات والملاحظات والإبداعات ، فضلًا عن الردود والتعليقات على رسائل القراء الكرام والإجابة على استفساراتهم ، كما كان ـ ولا يزال ـ الحرص شديداً على عدم تأخير أية رسالة ترد إلى الباب بقدر الإمكان لاسيما ممن يوجهون مراسلاتهم باسم الباب مباشرة .

وأمام كثرة الرسائل وقلة المساحة المخصصة نضطر إلى تأجيل الرد على بعض الرسائل ، على أن تأخذ دورها مع الأعداد القادمة ، عناية من المجلة باهتمامكم ومتابعتكم لمادتها ؛ فهذا مايسعدنا ويثلج صدورنا ، والله تعالى من وراء القصد .

المحرر

تعقيب على رأى

كتب إلينا الأستاذ/ سيد ضوى سيد .. وكيل بمدرسة أسوان الثانوية الزخرفية هذا التعقيب :

قرأت فى كتاب من إصدارات كتاب « أخبار اليوم » عدد جمادى الأولى ١٤١٥هـ هذا النص **للمؤلف « ..... » يقول ربنا :** ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ [سورة المائدة أية ١٣] هكذا يصف ربنا اليهود (الأكثرية الغالبة منهم) وكلمة « لاتزال » تعنى أن خياناتهم مستمرة ... وكلمة خائنة فى الآية تأتى منصوبة رغم حرف الجر مما يعنى أنها صفة لموصوف محذوف سلوكيات خائنة ومعاهدات خائنة ومواثيق خائنة إلى آخرة والله **أعلم بهم منَّا فهو الذى خلقهم » ..**

والحقيقة أن كلمة « خائنة » جاءت فى الآية الكريمة مجرورة لا منصوبة ، وحتى لو أن موصوفها محذوف لجاءت مجرورة أيضاً لوجود حرف الجر (على) فى الآية ثم إن الصفة تتبع الموصوف .

من فضائل شهر رمضان

كتب الأستاذ/ رمضان الأقرع .. خطيب باخناواى .. طنطا ــ بعض ماتميز به شهر الصوم عن غيره من الشهور :

اختص الله تعالى شهر رمضان من بين سائر الشهور بفضائل عدة فى آياته الكريمة ، فقد روى عن الإمام على ــ كرم الله وجهه ــ أنه كان لايستشرف لهلال إلا هلال رمضان ، وكان إذا نظر إليه قال : « اللهم أدخله علينا بالسلامة من **الأسقام والفراغ من الأشغال ورضّنا فيه باليسير من النوم » .**

فإذا دخل الشهر أو شاهد أحد الهلال فيستحب أن يقول : الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربى وربك الله . أسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى .

ورمضان قد خص الله به هذه الأمة ووفر به حظها من الرحمة والنعمة عند القسمة .

روى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : « قال رسول الله ﷺ : أعطيت أمتى فى رمضان **خمس خصال : خلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك .**

وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، وتصفد مردة الشياطين فلا يصلون فيه إلى ماكانوا يصلون إليه ، ويزين الله جنته فى كل يوم فيقول : يوشك عبادى الصالحون أن يلقوا عنهم المئونة والأذى ويصيروا إليك ، ويغفر لهم فى آخر ليلة من رمضان . فقالوا : يارسول الله ، هى ليلة القدر ؟ قال : لا ولكن العامل إنما يوفى أجره عند انقضاء عمله »(١) .

(١)مدارك المرام فى مسالك الصيام للمحدث الحافظ قطب الدين القسطلانى .

أسبقية العلم

كتب الأستاذ/ نجاح عبد القادر سرور – المدرس الثانوى بكفر بولين – بحيرة .. عن أهمية العلم ، وقال :

روى الطبرانى عن الحارث بن مالك الأنصارى أنه مر برسول الله ﷺ فقال له : « كيف أصبحت ياحارث ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً . قال : انظر ماتقول ، فإن لكل شىء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : عزفت نفسى عن الدنيا ، **فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى** عرش ربى بارزاً وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر إلى أهل النار **يتضاغون فيها . فقال : ياحارث : عرفت** فالزم .. ثلاثً » .

فالحارث – رضى الله عنه – علم وآمن .. وأوصله إيمانه المبنى على أساس العلم إلى درجة اليقين الكامل بزوال الدنيا وفنائها .. وحقيقة الآخرة وخلودها .. وفى هذا يقول الله – جل وعلا – : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) ﴾ سورة الروم

الإسلام دين المستقبل

وكتب الأستاذ/ إسماعيل أحمد نصر من سهواج – أشمون – منوفية .. بعض الحقائق التى تبشر بانتشار الإسلام ، وأنه دين المستقبل ، ومما جاء فى ذلك :

هناك بشائر إلهية ، وبشائر نبوية بنصرة الإسلام :

أما البشائر الإلهية فى كتاب الله – سبحانه – فكثيرة ، ويتمثل بعضها فى وعده بنصرة المسلمين العاملين ، وإنذاره بإهلاك المفسدين ، ومن ذلك قوله – تعالى – فى سورة الأنبياء/ ١٠٥ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ .

وقوله سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨) هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ (٩) ﴾ سورة الصف

كما أن البشائر النبوية متعددة فى هذا المجال : فعن تميم الدارى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ، ولايترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز ، أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذُلًّا يذل الله به الكفر .

رواه أحمد والطبرانى وصححه الحاكم .

وعن أنس أن النبى ﷺ قال : « مثل أمتى مثل المطر لايدرى أوله خير أم آخره » .

رواه أحمد والترمذى وابن حبان وأبو يعلى .

شريعة الإسلام وحقوق الإنسان

وكتب الأستاذ/ محمد حامد مصطفى حامد ـ من الفيوم ـ ابشواى .. هذه الكلمة عن شريعة الإسلام :

القرآن الكريم كلام الله المُنزل على عبده محمد ﷺ باللفظ العربى المعجز المُتعبد بتلاوته والمنقول إلينا بالتواتر ، فالقرآن الكريم دستور سماوى أنزله خالق الكون وصانعه ليكون منهج حكم، ودستور حياة لأمة سيدنا محمد ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وبدهى أن صانع الشيء عالم به وبما ينفعه وما يضره .

ولما كان القرآن الكريم دستوراً إلهياً من الخالق لخلقه فإنه لابد أن يكون فى إعجازه فوق مستوى البشر لا يرقى إليه الخلق مهما تعالت قدراتهم وتسامت عقولهم وارتفعت درجة ذكائهم .

نزل القرآن من عند الله جامعاً شاملاً لكل ما يهم الإنسان من أمور متعلقة بدنياه وآخرته ، وذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ، وعندما هلل كثير من الناس لإقرار حقوق الناس فى الأربعينيات من هذا القرن « بميثاق الأمم المتحدة » لم يعلموا كم كان الإسلام سباقاً إلى إقرار هذه الحقوق .

عشرة تنفع وأخرى تضر

أما العشرة النافعة فهى :

الإخلاص فى الطاعة ، وموافقة العمل للسنة ، والتوسط فى العبادة ، والمداومة عليها ، والازدياد منها ، والمبادرة إليها ، والحث عليها ، والتعاون من أجلها ، وتعظيم الأوامر والنواهى ، ورجاء القبول .

أما العشرة الأخرى فهى :

علم لا يعمل به ، وعمل لا إخلاص فيه ، ومال لا ينفق منه ، وقلب غافل ، وبدن صحيح معطل ، ووقت ضائع ، وفكر مشتت ، وخدمة غير الله ـ عز وجل ـ والرجاء فيه والخوف منه .

أسامة أبو حسيبة محمد ـ منفلوط ـ أسيوط

دور الإعلام الإسلامى

بات على الإعلام العربى الإسلامى أن يشارك فى تحقيق الارتقاء المتوازن الذى لا تطغى فيه الماديات على المعنويات لاسيما أن الإسلام دين الوسط .. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [سورة البقرة آية ١٤٣] ، وهو دعوة لبناء الأمة بناءاً متكاملاً ، وعلى الأمة أن تدبر واقعها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [سورة الرعد آية ١١] .

وليس من شك فى صعوبة هذه المهمة على الدعاة وعلماء الأمة للأخذ من الفكر الإسلامى والعمل بتطبيقاته وتوضيح الرؤية لحماية الأمة من كافة أساليب الغزو الفكرى .

يحيى السيد النجار الحزاوى ـ دمياط

من نواهى سورة ... القلم ...

قال الله ـ تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ سورة القلم

تفيد هذه الآيات نهى الله ـ سبحانه ـ عن مصاحبة من لا خلاق لهم من الناس ، ومجانبة مجالستهم وعدم طاعتهم ، لاسيما من اجتمعت فيه هذه الصفات الذميمة .

ـ حلاف : كثير الحلف سواء فى الحق أو فى الضلال .

ـ مهين : حقير فى الرأى والتمييز .

ـ همّاز : عيَّاب أو مغتاب للناس .

ـ مشاء بنميم : بالسعاية والإفساد بين الناس .

ـ عُتُلٍّ : فاحش لئيم ، أو غليظ جاف .

ـ زنيم : دَعِيٌّ مُلْصَقٍ بقومه أو شرير .

عماد ميزاد عبد العظيم

الفيوم ـ قرية الأعلام

أربع لا أبالى بعدها

قال حاتم الأصم : اخترت أن أعرف أربعة أشياء لا أبالى بعدها إن جهلت ماعداها :

الأولى : علمت أن دَيْنى لله ـ تعالى ـ لا يقوم به غيرى ، لذلك أنا مشغول بأدائه .

الثانية : علمت أن رزقى مقسوم لى فلا يزيد ولا ينقص ، لذلك تركت أمر تدبيره .

والثالثة : علمت أن الموت يطلبنى ولا مفر منه فاستعددت له .

والرابعة : علمت أن الله ـ تعالى مطلع علىَّ ، لذلك أستحيى أن أعصيه .

محمد إبراهيم محمد الدمرداش

بركة السبع ـ منوفية

الأخلاق فى ظل القرآن

إن القرآن الكريم لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، والأخلاق فى القرآن تبين لنا كيفية السير فى الحياة الدنيا ، فالأخلاق وهى : الفضائل المكتسبة نمارسها على أساس أنها مبادىء إسلامية سبق أن أرساها رسول الله ﷺ ، حيث يقول ـ موضحاً الهدف والغاية من بعثته ﷺ : « إنما **بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »** سنن البيهقى ١٠/١٩٢ ، كشف الخفاء ١/٢٤٤ .

والمتتبع لأسلوب القرآن وهو يتناول قضية الأخلاق يجد أنه عرضها بصفة كاملة شاملة .

محمد على البلجيهى

أويش الحجر ـ المنصورة

الإسلام دين السلام

إن الإسلام دين السلام والرحمة والمودة ، ولذا فإن رايته تُظِلُّ جميع من يحيا على أرض الوطن لا فرق بين مسلم وغير مسلم فقد وقف الإسلام حيال الأديان الأخرى جميعها وحيال أهلها موقفاً إنسانياً كريماً يتسم بالسلام والتسامح ، فقرر من القواعد وسنَّ من المبادىء مايُنظم العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين .

ومن أهم هذه المبادىء عدمُ إكراه أحد على ترك دينه ، واعتناق الإسلام . وفى هذا يقول المولى – عز وجل – مخاطباً الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) ﴾ سورة يونس

ويقول تعالى : ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

[سورة الغاشية آية ٢٢] .

وفى ظل الإسلام يحس الناس بنعمة الأمن والسلام والتراحم ، لما فيه من العمل على جمع القوى المتناثرة والقلوب المتنافرة فى ظل أخوة تعلو على حدود الأجناس والأوطان .

روى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس أن رجلًا من بنى سالم بن عوف يُقَال له (الحُصَيْن) كان له ولدان مسيحيان ، وهو مسلم ، فسأل الرسول – عليه الصلاة والسلام – عما إذا كان يجوز له إكراههما على اعتناق الإسلام فنهاه الرسول ﷺ عن ذلك ونزل قوله تعالى :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ ﴾

[سورة البقرة اية ٢٥٦] .

خيرى محمد أبو الروس
كلية الدعوة – جامعة الأزهر

من إبداعات القراء

إلهى

أطلْتُ الغوْص فى أعماق نفسى — لأظفر بالتعزِّى والتأسِّى
إلهى قد سئمتُ ضلال عيشى — وتاقت للهُدَى آفاق نفسى
فأرْشِدْنى إلى خير وتقوى — قبيل الشيب فى قلبى ، ورأسى
فلا أدرى .. متى حان التلاقى — مصيرى .. هل لفوْزٍ أو .. لتعس ؟
فأطمع أن تبصِّرْنى إلهى — لكى أحْظَى بإخباتى .. وأُنْسى
فأبقى فى هناء وارتقاء — طوالَ العمر .. أو من بعد .. رمسى

شعر/ عماد عبد المنعم
دار طباعة النقد

ردود وتعليقات

★ **القارىء/ رجب فرويز محمد حسن**

بمدرسة بدر للغات ـ أسيوط

أوردتم فى كلمتكم عن « الابتلاء » حديثاً نبوياً صحيحاً يعتبر بشرى لكل مؤمن ابتلى فى بدنه أو ماله أو ولده ، وهو الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ يقول رسول الله ﷺ : « إن الرجل تكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعمل فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه ذلك » فشكراً لكم وفى انتظار ابداعاتكم .

★ **القارىء/رمضان ابراهيم الأقرع** .. الخطيب بطنطا ..

عسى أن نتمكن من نشر كلمتكم « فضل يوم الجمعة » فى وقت لاحق .

★ **القارىء/ عصام حسن إمام** ـ شبرا الخيمة ـ

عسى أن تكون رغبتكم قد تحققت فى هدايا المجلة التى نشرت بالفعل من ناحية التمهيد والتوافق مع مناسبة شهر رمضان المبارك .

★ **القارىء/ عبد العال فؤاد أحمد** ـ ساحل روض الفرج ـ القاهرة ـ

يمكنكم الحضور إلى مكتب المجلة بالجامع الأزهر لأخذ الهدية الناقصة لديكم .

★ **القارىء/ ا . م . م** ـ رشيد ـ البحيرة .

دورة تدريس اللغة الإنجليزية للمتفوقين من أبناء كلية أصول الدين كانت فى الفترة من (ـ ١٤١٠ ـ ١٤١٢) بعد ذلك تم التوسع فى هذا الاتجاه بكلية اللغات والترجمة .

★ **القارىء/ شوقى السيد حماد** ـ المطرية ـ دقهلية ..

كلمتكم عن « عقوق الوالدين » كلمة طيبة ونرجو الاهتمام ـ مستقبلًا ـ بتخريج الأحاديث النبوية التى تستندون إليها .

★ **القارىء/ محمد فخر الدين محيى الدين** ـ أشمون منوفية ..

لاشك أن استيراد الأفكار والقيم الغربية غير النافعة مما يعود علينا بأسوأ العواقب وذلك لعدم ارتباطها بواقعنا الإسلامى واحتياجاتنا فى المجتمعات العربية ، وهذا يقودنا إلى توكيد دور الإعلام الإسلامى فى مواجهة هذه القضية .

★ **القارىء/ أحمد عبد الستار طه** ـ مناوهله ـ الباجور ـ منوفية ..

نرحب بك صديقاً للمجلة وفى انتظار إسهاماتك الفكرية .

★ **السادة الشعراء قراء مجلة الأزهر** .

تلقينا رسائلكم وما تتضمنه من أشعار ، وقد أحلناها على الأستاذ رشاد يوسف المشرف على باب الشعر لإبداء الرأى بشأنها ، مع تمنياتنا بالتوفيق .

بمشيئة الله ـ تعالى ـ يوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يستقبل وفد جامعة أمريكان باسفيك

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته وفد « جامعة أمريكان باسفيك الدولية » فى لوس انجلوس .. بالولايات المتحدة الأمريكية برياسة الدكتور أحمد حسن عبده رئيس الجامعة الذى عرض على فضيلته الخطوات التى تمت فى مشروع إنشاء الجامعة معرباً عن تفاؤله بنجاحها فى مهمة إعداد الدعاه لنشر الدعوة الإسلامية فى الأمريكتين بأسلوب علمى معاصر .

وقد قدم رئيس الجامعة لفضيلة الإمام الأكبر المناهج الدارسية لأقسام الجامعة لمراجعتها والتصديق عليها بالموافقة النهائية واعتمادها ، مشيراً إلى أن مهمة هذه الجامعة ستشمل منح الدرجات العلمية المختلفة العالية لا سيما الإسلامية / الماجستير / الدكتوراه فى كافة العلوم ومن بينها الدراسات الإسلامية .

وقد وجه الوفد الدعوة لحضور وفد من الأزهر الشريف مراسم افتتاح الجامعة فى الولايات المتحدة الأمريكية بحضور السادة الوزراء فى الحكومة الأمريكية والسفراء للدول الإسلامية والعربية ومندوبى التليفزيون والاذاعة فى مختلف دول العالم وقد اثنى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على هذا المشروع وتمنى فضيلته للقائمين عليه التوفيق . كما وعد بمشاركة الأزهر فى حفل الافتتاح .

الإمام الأكبر يستقبل سفير بنجلاديش بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتب فضيلته السيد السفير/ طفيل كريم حيدر سفير بنجلاديش بالقاهرة ، حيث أعرب السيد السفير عن سعادته الغامرة بزيارة الأزهر قلعة العلم والإسلام فى شتى بقاع الأرض .

وقد وجه سعادته لفضيلة الإمام الدعوة لزيارة بنجلاديش للوقوف على أحوال المسلمين هناك ، وقد وعد فضيلته بتلبيتها فى وقت قريب .

الإمام الأكبر يلتقى بلجنة التعليم والبحث العلمى بمجلس الشعب

التقى فضيلة الإمام الأكبر بمكتب فضيلتـه بلجنة التعليم والبحث العلمى بمجلس الشعب برياسة الأستاذ / أحمد فواد عبد العزيز رئيس اللجنـة والسيـد المستشار أحمد حمادى وكيـل المجلس .

تم خلال اللقـاء بحث احتياجـات المعاهـد الأزهريـة التـى أضيرت بالزلـزال عام ١٩٩٢ والسيول عام ١٩٩٤ ، وذلك لتدبير الاعتمادات المالية اللازمة لإعادة إصلاحها ، كذلك تم بحث المساواة التامة بين العاملين بالمعاهد الأزهرية مع أقرانهم بوزارة التعليم فى مكافآت الامتحانـات والحوافز نظراً لوجود فرق كبير بينهما وهما أبناء وطن واحد ويؤدون رسالة واحدة .

وتم بحث رفع بدل الانتقال والحوافز لعلماء الدعوة بالأزهر الشريف أسوة بزملائهم فى وزارة الأوقـاف ، ودعـم مجمـع البحـوث الإسلاميـة بالاعتمادات المالية التى تساعده على القيام بمهامه نحو نشر الثقافة الإسلامية وحفظ التراث .

وقد أبدى أعضاء اللجنة استعداداً طيباً فى تلبية احتياجات الأزهر الشريف تقديـراً له ودعمـاً لدوره الرائد فى الداخل والخارج .

الإمام الأكبر يستقبل السيد سفير جيبوتى بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق بمكتب فضيلته السيد آدم شيخ حسن سفير جيبوتى فى القاهرة ، وقد تناول اللقاء بحث سبل دعم العلاقات الثقافية والتعليمية بين الأزهر وجيبوتى ، حيث قدم السيد السفير شكر وتقدير بلاده شعبا وحكومة لفضيلته على ما يقدمه الأزهر لجيبوتى فى هذين المجالين ، وكذلك إسهام الأزهر فى إشرافه على إنشاء معهد أزهرى فى جيبوتى لخدمة أبناء المسلمين هناك .

تم فى نهاية اللقاء إهداء السيد السفير مجموعة من الفتـاوى الصادرة لفضيلـة الإمـــام الأكبر والكتب الدينية بمناسبة إنتهاء بعثة السيد السفير فى مصر .

الإمام الأكبر يستقبل السيد سفير الجزائر بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته السيد السفير د/ مصطفـى الشريـف سفير جمهوريـة الجزائر بالقاهرة ، أعرب السيد السفير فى بداية اللقاء عن شكره وتقديره لدور الأزهر المعتدل فى نشر الثقافة العربية والإسلامية وخدمة القضايا الدينية .

وقد وجه سيادته الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة الجزائر خلال عام ١٩٩٥م ، وتمنى فضيلته للشعب الجزائرى أن يشمله الله بعنايته ورعايته .

داعيـا الله ـ عز وجـل ـ أن يخلص العـالم الإسلامى من القلاقل والفتن مشيرا إلى ما يجب على المسلمين من الاعتصام بحبل الله كما أمرهم المولى ـ عز وجل ـ بذلك .

الإمام الأكبر يفتتح المجمع الإسلامى ببور فؤاد

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر - بمرافقة فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية والسيد اللواء فخر الدين خالد محافظ بور سعيد وقيادات الأزهر الشريف بالقاهرة وبور سعيد والقيادات الشعبية والتنفيذية ببورسعيد - المجمع الإسلامى ببور فؤاد ، والذى يضم مسجداً كبيراً ومعهداً دينياً وداراً لتحفيظ القرآن الكريم ، ومركزا طبيا ، أقيم المسجد على مساحة ٢٥٥٠ متراً مربعاً بتكلفة إجمالية بلغت ٨ مليون جنيه ، واستمر العمل فى إنشائه سبعة عشر عاما . جاء ذلك فى إطار احتفالات محافظة بور سعيد بعيدها القومى فى الثالث والعشرين من ديسمبر ١٩٩٤ .

الإمام الأكبر يستقبل مفتى دولة سنغافورة

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتبه سماحة الشيخ/ سيد عيسى بن محمد مفتى سنغافورة والوفد المرافق له ، وقد تناول اللقاء بحث أوضاع المسلمين فى سنغافورة ونشاطاتهم التعليمية والدينية .

وقد طلب فضيلة مفتى سنغافورة زيادة عدد المبعوثين من قبل الأزهر الشريف كما طالب بسرعة إنهاء إجراءات معادلة شهادات الدارس المدارس العربية الإسلامية هناك بشهادة الأزهر حتى يتمكن أصحابها من الالتحاق بجامعة الأزهر ، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة احتياجات سنغافورة التى تقدم بها سماحة المفتى .

الإمام الأكبر يرأس اجتماع مديرى عموم الوعظ بالأزهر الشريف

ترأس فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مؤتمر مديرى عموم الوعظ بالأزهر الشريف ، تم خلال اللقاء مناقشة خطط الدعوة الإسلامية فى المرحلة المقبلة ، والعمل على إزالة المعوقات التى تعترض سبيلها ، وتوفير الإمكانات المطلوبة للنهوض بالدعوة ورجالها .

شهد اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ محمد يوسف الأمين العام المساعد للدعوة بالأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد بشير رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الشيخ السيد عسكر مدير عام الدعوة والإعلام الدينى بالأزهر ، ومدير مكتب الإمام الأكبر .

الإمام الأكبر يستقبل المستشار الثقافى لكوريا

استقبل فضيلة الإمام بمكتبه السيد/ جون كوان كيم .. المستشار الثقافى لسفارة كوريا الجنوبية بالقاهرة ، وقد أعرب الضيف عن امتنانه وسعادته للقاء فضيلة الإمام الأكبر صاحب المكانة السامية فى قلوب ووجدان المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها .

أبدى فضيلة الإمام الأكبر استعداد الأزهر لإيفاد بعثة من علماء الأزهر إلى كوريا على نفقة الأزهر لتبصير الكوريين بمبادىء الدين الإسلامى الحنيف إذا ماطالبت الجهات الرسمية ذلك .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ مجدي عبد الحميد بشير

مصـــــر :

ترفض مصر التوقيع على معاهدة « منع انتشار الأسلحة النووية » ما لم توقع اسرائيل عليها .

وردا على محاولة المسئول الأمريكي إقناع مصر بالتوقيع على المعاهدة المقرر تجديدها فى إبريل القادم .

قالت مصر إنها ترفض التوقيع على المعاهدة ما لم توقع عليها اسرائيل .

من ناحية أخرى تصر اسرائيل على رفض التوقيع على المعاهدة مادامت ــ تتعرض ــ فى زعمها ــ للخطر من دول فى الشرق الأوسط .

قال مراسل هيئة الاذاعة البريطانية لشئون الدفاع : أنه مع الايمان الجازم بأن اسرائيل تمتلك أسلحة نووية فإن عدة دول عربية ستنضم لمصر فى عدم التوقيع على المعاهدة .

هذا وفى حديث لنفس الإذاعة مؤخرا أكد أحد كبار الصحفيين المصريين أن لاسرائيل مخزونا نوويا لا يقل عن مائتى قنبلة نووية دائما ما تلوح به اسرائيل فى تفاوضها مع أى من الدول العربية .

وهو أمر يجعل من التوقيع على المعاهدة أمرا لا مغزى له ولا معنى بل يجعله مسألة شكلية بحتة غير ذات قيمة .

البوســـنة :

قام الرئيس البوسنى على عزت بيجوفيتش بزيارة لمصر استمرت أربعة أيام استقبله فيها الرئيس حسنى مبارك وقد تمت مناقشة العلاقات الثنائية والوضع هناك حيث توصل البوسنيون والصرب إلى اتفاق جديد لاعادة فتح طرق التموين حول العاصمة (سراييفو) أول الشهر القادم مما يؤدى إلى تماسك اتفاق وقف إطلاق النار لمدة أربعة أشهر الذى وقع أول هذا العام .

اليمـــن :

على طريق الوفاق تم تشكيل فريق عمل سعودى يمنى عقد جلسة عمل فى الرياض مساء الاثنين ٢٢ شعبان الموافق ٢٣ يناير ١٩٩٥ لمناقشة تصورات الشقيقتين العربيتين حول سبل التوصل إلى اتفاق نهائى بينهما ينهى المشاكل الحدودية ويعيد العلاقات بينهما إلى سابق عهدها .

وأعلن الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر رئيس مجلس النواب اليمنى الاتفاق على تشكيل فريق عمل مشترك أثناء اللقاء الذى عقد مع الأمير سلطان بن

عبدالعزيز النائب الثانى ووزير الدفاع والطيران السعودى .

ومن بين ما يتم الترتيب له زيارة الرئيس اليمنى للسعودية والهدف من كل هذا هو نزع فتيل التوتر الذى ساد الحدود السعودية اليمنية وهو أمر ممكن كما قال « الأحمر » ما دامت النيات حسنة .

الشيشــــان :

فى حديث مؤثر ومشاعر جياشة اعترف الرئيس الشيشانى جوهر داود بأن قواته منيت بالهزيمة على أيدى القوات الروسية الغاشمة التى شنت حملة تدخل عسكرى مشين الشهر الماضى لاستعادة سيطرة موسكو على الجمهورية الإسلامية الوليدة التى أعلنت استقلالها عما يسمى بالاتحاد الروسى منذ ثلاث سنوات .

قال المجاهد الكبير فى كلمة مسجلة أذيعت من محطة موسكو : إنه أخفق فى حماية شعبه من روسيا التى وصفها بالأمبراطورية الشريرة .

وأشار فى حزم عميق الى ابنه الأكبر « أبكور حاور » الذى ذكرت المصادر الروسية أنه قتل فى إحدى المعارك .

قال الرئيس : إن لديه أشياء أخرى عليه التفكير فيها غير مقتل ولده ، وأن قلبه حزين لأبناء الآخرين الذين قتلوا وكذلك لأجل الضحايا من المدنيين الأبرياء .

وأفادت الأنباء بأن القتال المتقطع مستمر فى ضواحى العاصمة الصامدة « جروزنى » حتى الآن .

وفى لعبة سياسية مفضوحة دعى الاتحاد الأوربى روسيا إلى التفاوض لوضع حد لما أسموه « النزاع الشيشانى » ومما يؤكد أنها مناورة سياسية مغلوطة امتناع أوربا عن فرض أى عقوبات على روسيا المعتدية من جهة ، والسكوت حتى انتهى الأمر الى هذا الوضع الأليم .

الأردن :

اتفق المسئولون الفلسطينيون والأردنيون على مسودة اتفاق للتعاون فى إزالة الخلافات بين الدولتين . وقال نائب رئيس الوزراء الأردنى فى تصريحات بعد المحادثات فى عمان : أن الاتفاق يشمل العلاقات الاقتصادية كما يشل مجال التربية والتعليم والمواصلات السكانية السلكية واللاسلكية ويوقع الاتفاق العاهل الأردنى والرئيس الفلسطينى ويعتبر ذلك أول اتفاق لحل مشاكل نشأت بين الشقيقتين بخصوص القدس .

أمـــريكـا :

قال محامو (شركة بانام الأمريكية) أنهم اكتشفوا وثيقة تؤيد ما زعموه من تورط إيران فى نسف طائرة الركاب الأمريكية فى أجواء بلدة « لوكيربى » الاسكتلندية عام ١٩٨٨م .

وأضافوا أن الوثيقة التى وضعها مسئولون فى وزارة الدفاع الأمريكية فى متناول المحامين تتهم أحد كبار رجال الدين الإيرانيين بدفع عشرة ملايين دولار لنسف الطائرة .

وكانت السلطات القضائية فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة قد أصرت على اتهام ليبيين بتفجير تلك القنبلة .

ورفضت السلطات الليبية هذا الاتهام ويؤكد هذا التحول أن الأمر فى حاجة الى دقة أكثر تظهر — بعدها — البلاد الاسلامية — أبعد وأطهر ماتكون عن الارهاب وقتل الأبرياء .

17 Ramadân pour mettre à exécution leur dessein; tous les trois en même temps. Ibn Maljim, accompagné de deux autres "Kharijites" attaqua le calife Ali alors qu'il se rendait à la prière du matin. L'Imam Ali mortellement blessé, survécut jusqu'à la nuit du 21 Ramadân avant de rendre le dernier soupir. Quant aux deux autres individus qui s'étaient chargés de tuer Mo'awiya et Amr, leur conspiration échoua et ils furent exécutés.

Après la mort de Ali, les gens voulurent prêter serment d'allégeance à son fils Hassan (a.s.l.) mais celui-ci se désista en faveur de Mo'awiya pour mettre fin aux différends et à l'effusion de sang entre musulmans. Par cette sage décision Hassan mettait fin au désordre qui régnait dans la communauté musulmane. Les musulmans prêtèrent serment d'allégeance à Mo'awiya: on appela cette année l'armée du consensus communautaire "âm al jamâ'a" Mo'awiya fut reconnu officiellement calife des musulmans au mois de Rabî'Ier de l'an 42 de l'Hégire.

L'ère des quatre califes prit ainsi fin pour laisser place à partir de cette date à l'ère des "Ommeyades" dont le pionnierr fut Mo'awiya.

Ali mourut après un califat de courte durée qui ne lui valut que les peines. Le but principal du quatrième calife fut de sauvegarder l'unité de la communauté musulmane et il a accompli sa mission selon ce qu'il jugeait bon pour l'intérêt des musulmans. Nous prions Allah de combler de Ses bienfaits le quatrième et dernier calife Ali Ibn Abou Talib, qu'Il honore sa face et soit satisfait de lui.

Le compagnon du prophète (b.s), Ammar Ibn Yâssir (a.s.l.), était du parti du calife Ali. Or, de son vivant, le prophète (b.s) lui avait prédit qu'il serait tué par un groupe de rebelles et d'hommes injustes. Les musulmans des deux camps connaissant ce hadith du prophète (b.s) concernant ceux qui tueraient Ammar avaient les yeux fixés sur lui et suivaient ses moindres pas. Ainsi, lorsque Ammar fut tué par les soldats de Mo'awiya au cours de la bataille de Siffin, il y eut un mouvement de panique et de désarroi dans le camp d'Al Châm, et le cours de la bataille tourna en faveur du calife Ali. C'est alors que Amr Ibn Al-As -allié de Mo'awiya - conseilla à ce dernier d'ordonner à ses hommes de placer chacun son exemplaire du Coran au bout de sa lance pour demander qu'on cesse le combat et que l'on aie recours à l'arbitrage du Livre d'Allah. Cette attitude de l'armée de Mo'awiya toucha les musulmans qui étaient du parti de Ali et obligèrent le calife à accepter l'arbitrage. Ali rentra à Koufa avec ses hommes et Mo'awiya retourna de son côté à Al-Châm, en attendant l'arbitrage. Les arbitres se réunirent et se séparèrent sans aboutir à un accord.

Une des conséquences de la bataille de Siffin fut l'apparition du mouvement des "Kharijites" (c.à.d. les dissidents). C'étaient les alliés de l'Imam Ali qui avaient refusé l'arbitrage.

Au début l'opposition des "Kharijites" à l'Imam Ali était verbale: ils refusèrent d'entrer à Koufa avec lui. Ils lui reprochaient d'avoir admis le principe de l'arbitrage, en proclamant: "Lâ hokma illâ lillahi" (seul Allah est juge). A quoi l'Imam Ali avait répliqué: "C'est une parole véridique, mais par laquelle ils ne cherchent que l'égarement! Sinon, comment peuvent-ils dirent que le commandement revient à Allah, et que la communauté a besoin d'un chef, mais sans se soucier qu'il soit un chef pieux ou libertin?".

Les Kharijites que leur fanatisme rendait aveugles, ne se limitèrent pas à refuser l'arbitrage, mais allèrent jusqu'à accuser le calife d'être un incroyant et complotèrent pour l'assassiner. Trois d'entre eux s'associèrent dans ce projet macabre. Il faut dire que, pour exécuter leur projet, il fallait être trois, puisqu'ils ne voulaient pas seulement la mort de Ali, mais ils avaient aussi décidé d'éliminer en même temps Mo'awiya et Amr Ibn Al'As: ainsi pensaient-ils libérer la communauté de tous ceux qui étaient la cause de la division des musulmans! Ils fixèrent la date du

L'assassinat de Ali Ibn Abou Talib Qu'Allah honore sa face et qu'Il soit satisfait de lui

Par Hoda Hussein Cha'raoui

Nous sommes à Koufa en l'an 36 de l'Hégire. Le calife Ali est à Koufa et il fait appel aux différentes provinces musulmanes pour lui envoyer des renforts de guerre tout en encourageant les gens de Médine à partir en guerre avec lui et à l'appuyer dans sa démarche. Mais qui veut-il combattre? Il veut combattre Mo'awiya, le gouverneur d'Al Châm[1], qui refuse de reconnaître l'autorité du calife Ali. Il résulta de cette situation que les musulmans avaient deux chefs, qu'ils étaient donc divisés en deux camps et, parsuite, les terres d'Islam étaient morcelées. Mais pourquoi ne lui a-t-il pas envoyé d'émissaires? En fait, le calife envoya à Mo'awiya des émissaires mais tous échouèrent dans leur mission. En autre, Al Châm devint un essaim de conspirateurs contre le calife, alors qu'Ali à Koufa demandait à ses compagnons de se calmer de ne pas insulter leur frères, et de prier Allah pour qu'Il réconcilie les musulmans et élimine leurs différends. De jour en jour, la situation alla en s'aggravant, car certains extrémistes commencèrent à propager la rumeur de la responsabilité de Ali dans l'assassinat de Othman (a.s.l.)

En voyant les préparatifs de guerre, Hassan - le fils de Ali - (a.s.l.) tenta de persuader son père de revenir sur sa décision afin d'éviter une effusion de sang entre les musulmans. Mais l'Imam Ali, partant du principe de la légitimité de l'Etat, et de son souci de réaliser l'unité musulmane, ne voulut pas renoncer à cela. C'est alors qu'au mois de Moharram en l'an 37. De l'Hégire, l'armée de Ali entra en contact avec celle d'Al-Châm à Siffin (une plaine située sur la rive de l'Euphrate).

---

(1) Al Châm est la région qui est devenue aujourd'hui le Liban et la Syrie.

"Les sacrifices mènent au Paradis et les passions mènent en Enfer".

Le jeûne est une abstinence; c'est donc une affaire personnelle, un secret caché que seul connaît l'Omniscient. C'est pourquoi Allah a dit que le jeûne lui est destiné exclusivement.

Selon Abou Horaira - qu'Allah soit satisfait de lui - le Messager d'Allah (b.s.), a dit : "Le jeûne est un préservatif. Si l'un d'entre vous jeûne, qu'il maîtrise sa colère et ne tienne pas de propos indécents. Si quelqu'un l'insulte ou le provoque, qu'il dise: "Allah est témoin que je jeûne". Je jure par Celui qui détient la vie de Mohammad entre Ses mains que l'haleine du jeûneur est plus agréable pour Allah que le parfum du musc. Celui qui jeûne éprouve deux joies: il est heureux lorsqu'il rompt son jeûne et il se réjouit d'avoir jeûné lorsqu'il comparaîtra devant son Seigneur et sera rétribué pour son jeûne".

Il existe de même un autre Hadith rapporté par Abou Horaira -qu'Allah soit satisfait de lui - et où le prophète dit: Il y a trois personnes dont l'invocation est exaucée: le jeûneur jusqu'à la rupture de son jeûne, l'opprimé jusqu'à la récupération de ses droits et le voyageur jusqu'à son retour.

Rappelons enfin le climat purificateur que crée le jeûne dans les âmes des croyants. Il est une occasion de purifier le corps durant le jour en vue de préparer le musulman à recevoir les enseignements du Coran dans les prières nocturnes.

Cette purification, cette illumination du coeur - comme l'affirment ceux qui ont sondé les profondeurs de l'âme humaine - permettent aux musulmans de gagner l'approbation et le pardon divins comme le prouve le Hadith suivant rapporté par Abdallah Ibn Omar - qu'Allah soit satisfait de lui - et où le Messager d'Allah (b.s.) a dit: "Le jeûne et le Coran intercèderont en faveur du serviteur d'Allah le jour du jugement dernier. Le jeûne dira: "O, mon seigneur, je l'ai privé de nourriture et de la satisfaction de ses instincts; accepte mon intercession en sa faveur". Le Coran dira: "Je l'ai privé de sommeil, la nuit, accepte donc mon intercession en sa faveur". Et leur intercession sera agréée.

Or, dans les activités de l'existence, les actions méritoires ne peuvent être ni dénombrées ni délimitées. Toutefois, en toutes ses actions, le musulman doit toujours exprimer sa gratitude et sa soumission à Allah et aussi rechercher la perfection dans tout travail qu'il accomplit.

Quant aux actes de dévotion spécifiques à l'Islam ils sont multiples mais bien déterminés. Ce sont des pratiques culturelles dont la forme et le fond, les conditions et le temps, sont fixés.

Le prophète (à lui bénédiction et salut) avait coutume de les illustrer par des exemples dans ses Hadiths.

Parmi les Hadiths les plus célèbres du prophète (b.s.) on cite celui-ci: "L'Islam a cinq piliers : l'attestation qu'il n'y a d'awtre dieu qu'Allah et que Mohammad est Son prophète, l'accomplissement de la prière, le versement de l'aumône prescrite (Al Zakât), le jeûne du mois de Ramadan et le pélerinage à la Mecque (Al Hadj) pour celui qui en possède les moyens".

(Hadith rapporté par Al Bokhâri)

Or, ces actes de dévotion imposés au musulman ne sont pas nombreux au point d'exiger du musulman un effort au-dessus de ses possibilités, ni une fatigue insontenable. Bien au contraire, ils sont semblables à une nourriture qui aide à bâtir le corps et à conserver la santé. Le jeûne du musulman est à la fois un exercice physique et une discipline morale.

L'effort fourni dans le jeûne est limité dans la mesure où il n'exige pas de l'être humain ce qui est au-dessus de ses forces. Il vise en outre à entraîner les hommes à purifier leur corps et leur âme en s'efforçant de rechercher l'approbation d'Allah et d'éviter Sa colère. Loin d'être une privation physique gratuite, et une répression fortuite des instincts, il vise un but précis : purifier le coeur et consolider la foi tout en aspirant à la rétribution d'Allah dans la vie future.

C'est dans cette optique que les croyants doivent s'abstenir de satisfaire leurs instincts depuis l'aube et jusqu'au coucher du soleil. Ils doivent donc s'exercer à la privation corporelle et à la mise en pratique du célèbre Hadith :

"Le vrai but du jeûne"

Par Dr. ROKEYA GABR

On désigne par culte ou acte de dévotion deux sortes d'actions :

L'une d'elles a été établie dans le fond et la forme par le législateur; ce sont la prière, le jeune, le pélerinage, etc...

L'autre englobe les différentes activités humaines, toutes les fois qu'elles sont conçues dans une bonne intention et un but louable.

Ainsi comprise, la religion pouvait se confondre avec certaines philosophies morales ou sociales qui traitent de la condition humaine et des différentes activités de l'homme:

Toutefois, la différence entre le comportement d'un musulman et celui d'un non (musulman) c'est que le premier attribue à tout ce qui lui arrive un caractère sacré; ses actions, d'une manière générale, et son comportement coutumier sont toujours empreints d'une certaine intention et d'un but précis dont il aura à rendre compte à son Créateur.

[Celui qui s'est soumis à Allah et qui fait le bien aura sa récompense auprès de son Seigneur]

Sourate "Al Baqara (La Vache) le sens du verset 112)

الفهـــرس

* رمضان ربيع الإيمان
لفضيلة الدكتور على أحمد الخطيب ... ١١٧٧
* مع الإمام الأكبر ١١٧٩
ـ هدية الله وهدايته للمسلمين فى رمضان ١١٨٠
ـ فتوى للإمام الأكبر ١١٨٥
* مع سورة المجادلة
للدكتور عبدالجليل شلبى ١١٨٨
* قبس من أنوار النبوة « مع الرسول فى رمضان »
لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم .. ١١٩١
* دراسة فى ظل حديث شريف « من أكرم الناس ؟ »
لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون . ١١٩٤
* مع فضيلة د. عبدالوهاب عزام فى نفحات رمضان
للأستاذ/أحمد مصطفى حافظ ١٢٠٠
* زكاة الزروع والثمار
أ.د. عبدالرحمن العدوى ١٢٠٥
* شهادة الأصول للفروع
أ.د. سعاد إبراهيم صالح ١٢١٠
* النبى ﷺ والأسماء
لفضيلة الشيخ عبدالحفيظ فرغلى ١٢١٣
* عمل المرأة
د. زينب صالح الأشوح ١٢١٩
* الفتـــاوى
إعداد الأستاذ عبدالمنعم فودة ١٢٢٥

● الشعر والشعراء ●

* الله للشاعر : ابراهيم عيسى ١٢٢٧
* خواطر فى ليلة القدر
للشاعر : البسيونى قنعان ١٢٢٨
* فى حظيرة الدجاج
للشاعر : محمد عبدالرحمن صان الدين ١٢٣٠
* تقدموا إخوة الشيشان
للشاعر : رشاد محمد يوسف ١٢٣٢
* حللت أهلا
للشاعر : إبراهيم عيسى ١٢٢٧

* طرائف ومواقف
للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ... ١٢٣٤
* من روائع الماضى « أولادنا »
إعداد الأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات ١٢٣٦
* من أعلام الأزهر « د. محمد البهى »
أ.د. محمد رجب البيومى ١٢٣٩

● العلوم الكونية ●

* وفى الأرض ايات للموقنين
أ.د. أحمد فؤاد باشا ١٢٤٤
* الأجرام السماوية تشهد للقيامة
لفضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوى ١٢٤٩
* من أمراض الطفولة
د. جيهان أحمد مصطفى ١٢٥٧
* الجديد فى العلم والتقنية
د. نجوى السيد أحمد ١٢٦٠

● اللغة والأدب والنقد ●

* اللغة العربية فى تاريخها
أ.د. توفيق محمد شاهين ١٢٦٣
* أهل البيت فى مصر ـ عرض وتقديم
الأستاذ عبدالسلام إبراهيم ناصف ١٢٦٩
* العلم هو الخاصية المميزة للإنسان
د. كارم السيد غنيم ١٢٧٣
* فى ذكرى مصطفى صادق الرافعى
للأستاذ محمد عبدالوهاب ١٢٧٧
* الأثر العربى فى الأدب السواحيل
للأستاذ عادل رفاعى خفاجة ١٢٨٠
* بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم د. محمد عبدالحكيم ١٢٨٦
* أنباء مكتب الإمام
إعداد الأستاذين عمر البسطويسى
مصطفى عبدالمجيد ١٢٩٣
* أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ مجدى عبدالحميد بشير ١٢٩٦
* القسم الفرنسى ١٣٠٣

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه ـ بإحسان ـ إلى يوم الدين

المؤمن وثقوب فى السعادة

من أولى مراحل السعادة فى قلب المؤمن أن يتخلص ـ تماماً ـ من أسباب التعاسة ، ليس يتخلص منها ـ عن طريق مقاومتها فحسب ؛ فإن المقاومة تقتضى منه مجهوداً ومراقبة لكل ما نسميه سبباً للتعاسة ، ومن ثم يخوض معركة نفسية لمطاردتها ، لذا كان الأهم فى تحصيل السعادة ليس هو منازلة التعاسة ، بل القضاء عليها فلا تجد طريقاً إلى قلبه ، ومن ثم تتمثل فى نفسه مشاعر البهجة والاستمتاع وطمأنينة النفس ، وتحقيق الذات فيتم له « الرضا الشامل » فى هذا الوجود وتتحقق له السعادة .

والسؤال البديهى الذى يملى نفسه علينا بصورة أولية . هو نفسه الذى يضعنا ـ وجهاً لوجه ـ مع أولى أسباب التعاسة فى نفوس الناس ، وذلك عندما نتساءل :

من هو هذا الذى يفسد على الناس سعادتهم ، ويطارد تفاؤلهم ، ويقذف بهم إلى الهَّم والغم ، ويغرقهم فى يَمِّ الكآبة فالضيق ، ويسلب منهم مشاعر الغبطة والسرور . إنه الشيطان عدو الإنسان المبين الذى أقسم لرب العزة أن يطيح بالناس إلى جهنم فيشاركونه مصيره ، أليس أبوهم آدم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ كان هو بوجه ما ـ سبب طرده من رحمة الله ؟! فبات لا يرضيه إلا أن يتشفى من بنى آدم فيلقيهم فى النار ، تلك هى عقيدته .

حكى المولى ـ عز وجل ـ هذا الموقف كله فى قصة الملأ الأعلى ، إذْ أقْسم (إبليس) كما حكى المولى ـ عز وجل : « قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » ولأنه ـ أى إبليس ـ يعلم أن من عباد الله ـ تعالى ـ من هم أشد منه قوة وأعَزُّ مَنَعَةً بإخلاصه لله ـ وَحْدَهُ ـ قال : « إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ » ص: ٨٢ ـ ٨٣ إذن هناك من عباد الله ـ تعالى ـ من لا يستطيع الشيطان أن ينال منهم ، وهم هؤلاء (الرَّاضُون) عن الله ـ سبحانه ـ الذين امتلأت أفئِدتهم ودماؤهم وأنفسهم جميعا بالإخلاص لله ، وبالرضا الشامل عن قَدَرِهِ ـ تعالى ـ فسدوا ـ فى نفوسهم ـ مسالك الشيطان ، فقضَوْا على أسباب التعاسة ، وَسَدُّوا ـ فى أنفسهم ـ ثقوب الشيطان .

وما ثقوب الشيطان إلى المؤمن إلا صفات إنْ لم تتم له السيطرة عليها صارت مسالك فى نفسه،ما أسهل أن تكون مدارج الشيطان إلى روحه فيجرى فيها مجرى الدم من العروق . صفات إذا خفى على الإنسان أمرها استحكمت فبوأت للشيطان فى نفسه حصنا حصينا ينتهى به إلى جهنم وبئس المصير ، نعوذ بالله .

تلك الصفات ـ أو الثقوب ـ هى : الحرص وسوء الظن ، والاستخفاف بالناس وقلة احترامهم ، والعُجْبُ بالنفس ، والكِبْرُ وغَمْطُ الحق ، وحب الحياة على أى وجه تكون وطول الأمل وطلبُ الراحة والنعمة ، والطمع ، والْحَسَد ، والبُخْل ، والرياء .

صفات ما أسوأ أن يتمتع بها إنسان ، ثم يطلب السعادة .. ! ؟ وأنَّى تكون .. ؟!

إن السعادة نعمة يُحققها الرضا عن الله ـ تعالى ـ .. عن قدره .. ثم هى التزام ما يحبه ـ سبحانه ـ وما يحب رسوله ﷺ .

وإنما يحب الله ورسوله : الثقة والقناعة ليس الحرص وسوء الظن ، ومعرفة حق الناس وحرمتهم لا قلة احترامهم والاستخفاف بهم ، وحَمْدَ الله على نعمته لا الْعُجب ، والتواضع لا الكبر ، وحَذَرَ الموت لا حب الحياة وطول الأمل ، والممارسة الشريفة مع واقع الحياة لا طلب الراحة والنعمة ، والثقة بما عند الله لا الطمع فيما فى أيدى الناس ، والقناعة لا الحسد ، والإخلاص لله ، ثم للحق لا الرياء ومدح الناس .

تلك سدود الثقوب لطهارة الروح من عبث الشيطان يقدمها الإسلام لمن شاء سعادة دائمة ونعيما لا يزول .

د. علي أحمد الخطيب

مع
الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

يـــوم المـــودة والمحبـــة والتواصـــل

عيـــد الفطـــر

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهـــر

هذا يوم من أيام الله المباركة ، قد أتم الله به النعمة على المسلمين حيث وفقهم لصيام شهر رمضان ، وقيام ليله بتلاوة القرآن ومدارسته وبالصلاة ، وبذكر الله بما شرعه الله وأوصى به رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

هذا يوم عيد الفطر من السنَّةِ أن نبدأه بالتكبير : الله أكبر ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، لا إلا الله وحده لا شريك له مخصلين له الدين ولو كره الكافرون .

العيد فى الإسلام له مظهران :
أحدهما : الاعتداد بقيم الأمة الإسلامية .
والمظهر الآخر : الجهر بالاعتداد بهذه القيم وإعلاناً .. وتعليمها للناس ..
فى عيد الفطر من السنة .. افتتاح التكبير ليلة الفطر إلى الشروع فى صلاة العيد .

ومن السنَّةِ:العناية بالمظهر بأن يتزين الناس بأحسن ثيابهم وأنظفها .. فقد زينوا باطنهم بالصوم وطهروا به قلوبهم من الغل والحقد والحسد .

والأعياد فرصة لتجديد الحياة فى نطاق ما أحل الله ، فرصة لتقوية الصلات الأسرية والاجتماعية بالصلح بين المتخاصمين .. والصفح بين المتقاطعين .

إن المجتمع الإسلامى لم تتميز حياته على غيره بالأطعمة وألوانها وأسلوب تناولها ، وبالتقدم أو

بالتأخر فى الحضارة وما يتبعها من فنون الصناعة وما أشبه ذلك مما يعرض لجماعات عديدة أو يشترك فيه أكثر من جماعة إنسانية ، لكن حياة المسلمين امتازت بالإيمان بالله الواحد ، وبالاحتفاظ بالوحدة فى الشعار وفى العلاقة بينهم ، تلك الوحدة التى توحى بها العبادات : الصلاة والزكاة والصوم، كما امتازت حياة المسلمين وصار سمة لهم ، ذلك النداء الذى يبدأون به يوم عيدهم ،وكل صلواتهم ، الله أكبر : نزيد عليها فى يوم العيد : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

يوم العيد يوم نجدد فيه العهد على الاحتفاظ والمحافظة على عناصر الوحدة التى قامت عليها أمة الإسلام وربطت بين شعوبها على اختلاف ألسنتها وألوانها ..

إن عيد الفطر يعقب صوم شهر رمضان ، وهذا الصوم قد أيقظ فى نفس كل صائم الإخلاص لله فى السر والعلن ، مستشعراً أن الله قريب : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ ..

هذا العيد مودة ومحبة ومسرة وشكر لله سبحانه .. أن أتم النعمة ..

ولقد سن رسول الله ﷺ صلاة العيد ، وأمر أن يخرج إليها الولدان والرجال والنساء فرحين مستبشرين يتبادلون التهانى ، متعاطفين ، متعاونين على البر والتقوى، فى يوم العيد تستيقظ العلاقات الإنسانية بين الأفراد والأسر حتى تشمل المجتمع كله فتزول الجفوة وتحل المودة والمحبة . ذلك لأن غاية الصوم فى رمضان لم تكن مجرد الإمساك عن الطعام والشراب وسائر الشهوات، وعن لغو الحديث فحسب . وإنما مع هذا إمساك عن الغضب مع تحمل للأذى ، فالصوم كان إمساكاً نفسياً ومادياً مما هيأ الصائم للتدريب على مواجهة ما يعترض حياته الإنسانية سواء فيما يتصل ببدنه أو نفسه على حد سواء ..

وقد هيأه الصوم للتماسك والصفاء مع غيره وفى نهاية الصوم يأتى العيد وقد تكاملت فى النفس عوامل التجديد والترشيد للسلوك الخاص والعام .

عيد الفطر شكر لله على توفيقه للانتصار على الشيطان وحزبه ، فليكن الشكر مزيداً من طاعة الله باداء فرائضه، والامتناع عما نهى الله عنه وتوثيقاً للصلات الإنسانية مع المجتمع، وإصلاحاً وتهذيباً للطباع، واستقامة على الطريق المستقيم ..

وليس العيد كبتاً وتزمتاً ، كما أنه ليس موسماً للخروج على قيم الإسلام وآدابه فروحوا فيه عن أنفسكم وأهليكم بما أباحه الله ، ودون تجاوز لحدود الله أو تعد على الناس ..

ونحن ـ المسلمين ـ نحتفى بعيد الفطر المبارك علينا أن نذكر ما تتعرض له بعض شعوب الأمة الإسلامية من انتهاك لحرماتها ولحقوق الإنسان بوجه عام، وأن على الأمة أن تعين هذه الشعوب على مقاومة العدوان على كيانها البشرى وعلى أرضها ودورها ، وأن تمد المستضعفين من المسلمين بما يثبت

منهم الأقدام فى مواجهة أعدائهم الذين لم يدخروا جهداً فى العدوان والإذلال والله من ورائهم محيط ..

ونحن –المسلمين– نذكر فى تاريخ الإسلام واحدة من أعتى هذه العواصف التى تعرض لها المسلمون ..

ذلكم يوم تجمعت أحزاب الشرك وتنادت إلى حصار المدينة المنورة وسبقت إلى المسلمين أخبار هذه الجموع الحاشدة : عشرة آلاف مقاتل من قريش وأحلافها بعتادهم وأسلحتهم جاءوا مصرين على ارهاب المسلمين وإبادتهم فماذا كان من المسلمين وهم قلة فى العدد والعدة ، هل نال منهم الإرهاب والتهديد والكثرة الكاثرة والشرر المتطاير.لقد فكروا وقدروا فرتبوا أمكنة لحماية النساء والولدان وحفروا الخندق لأول مرة فى بلاد العرب ، أى أنهم بلغة العصر أقاموا التحصينات والتدريب للمقاتلين ، واستعدوا للقاء أعدائهم ، لكنهم مع هذا صبروا وصابروا مقدرين لكل خطوة موقعها وآثارها ، استثارهم العدو المهاجم المحاصر لهم، فثبتوا فى مواقعهم وخلف خندقهم يحرسون مدينتهم ، وحين نشبت المناوشات الفردية بين المقاتلين كانت الغلبة لمن دخل الحلبة من المسلمين ..

هذا الثبات والصدق مع الله ومع النفس دفاعاً عن الأرض وعن العرض دون تهور ، بل مع تقدير كل الظروف والقدر للفريقين وكانت العاقبة ما وصف الله فى قوله سبحانه فى سورة الأحزاب ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ ﴾

ونحن – المسلمين – نواجه العاصفة أو الإعصار والحصار من كل اتجاه وفى عديد من المجالات فعلى الشعوب الإسلامية أن توحد خطتها وتواجه أزمتها بشجاعة جند غزوة الأحزاب دون اندفاع تنثلم به وحدة الصف .

فلتأخذ الأمة الإسلامية كافة ، شعوباً وحكومات وزعماء حذرها ولتصد ولتواجه التحدى بالحكمة المقرونة بالعدة ، ولتثق الأمة بنفسها وبزعمائها حتى تجتاز هذه المحن المترادفة المتواكبة ولتحذر الخلاف فإنه اتلاف للقوة وتمهيد للنكبة ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾

ولقد أوضح القرآن عناصر النصر فخذوا بها ولا يكن أمركم عليكم غمة .... ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ .

أهنىء أمة الإسلام – شعوباً وحكومات وزعماء –بعيد الفطر ، وأدعو الله سبحانه أن يتقبل منا جميعاً صوالح أعمالنا، وأن يغفر لنا ما فرطنا أو فرط منا أو نسينا وأن يوفقنا للعمل بالإسلام وأن يعيد أمثال هذا العيد على الأمة الإسلامية جميعاً وقد تكاملت صفوفها وتوثقت صلاتها ..

﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ .

فتوى للإمام الأكبر

فى بيان حكم حلق اللحية وسماع الأغانى مع آلات العزف والموسيقى والنظر إلى التلفاز وما يعرض عليه ، وبيان زكاة الحلى سواء أكان للزينة أو للتجارة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وبعـد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب جاء فيه :

أسأل فضيلتكم عن بعض الأحكام الفقهية ألا وهى :

أولا : ما حكم حلق اللحية ؟ أو أخذ شىء منها ؟

ثانيا : ما حكم سماع الأغانى المصحوبة بآلات العزف ؟

ثالثا : ما حكم النظر إلى التلفاز وخصوصا المسلسلات بأنواعها ؟

رابعا : ما حكم زكاة الحلى للذهب المأخوذ للبس فقط وليس للتجارة ؟

وأرجو منكم الكتابة إلى بالتفصيل مع بيان الاختلاف بين العلماء إن وجد، و ذلك على العنوان التالى : (مستودعات صحة الطائف ــ المملكة العربية السعودية ــ مدينة الطائف ــ تسلم ليد/محمد بن حامد بن على الغامدى

والجــواب

أولا : اللحية وما يتعلق بها :

من المسائل الفقهية الفرعية ، موضوع اللحية حيث تكاثر الخلاف حولها بين الإعفاء والحلق حتى إتخذ بعض الناس إعفاء اللحية شعارا يعرف به المؤمن من غيره .

والحق أن الفقهاء اتفقوا على أن إعفاء اللحية وعدم حلقها مأثور عن النبى ﷺ فقد كانت له لحية يعنى بتنظيفها وتخليلها وتمشيطها وتهذيبها لتكون متناسبة مع تقاسيم الوجه والهيئة العامة .

وقد تابع الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ الرسول ﷺ فيما كان يفعله وما يختاره .

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة ترغب فى الإبقاء على اللحية والعناية بنظافتها وعدم حلقها ، كالأحاديث المرغبة فى السواك وقص الأظافر واستنشاق الماء .

ومما اتفق الفقهاء عليه أيضا أن إعفاء اللحية مطلوب ، لكنهم اختلفوا فى تكييف هذا الإعفاء ، هل يكون من الواجبات أو من المندوبات ، وقد اختار فريق منهم الوجوب وأقوى ما تمسكوا به مارواه البخارى فى صحيحه[1] عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال :

« خالفوا المشركين ووفروا اللحى واحفوا الشوارب » .

وما رواه مسلم[2] فى صحيحه عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : « أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى » حيث قالوا : إن توفيرها مأمور به والأصل فى الأمر أن يكون للوجوب إلا لصارف يصرفه عنه ، ولا يوجد هذا الصارف ، كما أن مخالفة المشركين واجبة والنتيجة أن توفير اللحية أى إعفائها واجب .

قال الإمام النووى[3] فى شرحه حديث « أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى » أنه وردت روايات خمس فى ترك اللحية ، وكلها على اختلافها فى ألفاظها تدل على تركها على حالها .

ومما رتبوه على القول بوجوب إعفاء اللحية ما نقله ابن قدامة الحنبلى[4] فى المغنى أن الدية تجب فى شعر اللحية عند أحمد وأبى حنيفة والثورى ، وقال الشافعى ومالك فيه حكومة عدل وهذا يشير إلى أن الفقهاء قد اعتبروا إتلاف شعر اللحية حتى لا ينبت جناية من الجنايات التى تستوجب المساءلة إما بالدية الكاملة ، كما قال الأئمة : أبو حنيفة وأحمد والثورى ، أو دية يقدرها الخبراء كما قال الإمامان مالك والشافعى .

وذهب فريق آخر إلى القول بأن إعفاء اللحية سنة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها وحلقها مكروه وليس بحرام ولا يعد من الكبائر وقد استندوا فى ذلك إلى ما رواه مسلم[5] فى صحيحه عن عائشة عن النبى ﷺ قال :

« عشر من الفطرة : قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظافر وغسل البراجم[6] ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء[7] قال مصعب : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة .

حيث أفاد هذا الحديث أن إعفاء اللحية من السنن والمندوبات والمرغوب فيها إذ كلُّ ما نص عليه من السنن العادية .

وقد عقب القائلون بوجوب إعفاء اللحية ـ على القائلين بأنه من سنن الإسلام ومندوباته ـ بأن إعفاء اللحية جاء فيه نص خاص أخرجها عن الندب الى الوجوب وهو الحديث المذكور سابقا « خالفوا المشركين » .

ورد أصحاب الرأى القائل بالسنة والندب بأن الأمر بمخالفة المشركين لا يتعين أن يكون

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٠ ص ٣٤٩ ط مكتبة الغزالى بدمشق ـ مؤسسة مناهل العرفان بيروت .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٣ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ ط دار الكتب العلمية .

(٣) المرجع السابق ص ١٥١ .

(٤) جـ ٨ ص ٤٣٣ باب التعزير فى الإسلام .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٣ ص ١٤٧ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٦) البراجم : مفاصل الأصابع من ظهر الكف (بتصرف : مختار الصحاح) .

(٧) انتقاص الماء : يعنى الاستنجاء .

للوجوب ، فلو كانت كل مخالفة لهم محتمة لتحتم صبغ الشعر الذى ورد فيه حديث الجماعة « إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم »[٨] مع إجماع السلف على عدم وجوب صبغ الشعر فقد صبغ بعض الصحابة ولم يصبغ البعض الآخر كما قال ابن حجر فى فتح البارى ، وعززوا رأيهم بما جاء فى كتاب نهج البلاغة :[٩] سئل على كرم الله وجهه عن قول الرسول ﷺ « غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود » فقال : إنما قال النبى ذلك والدين قلّ فأما الآن وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فامرؤ وما يختار .

من أجل هذا قال بعض العلماء : لو قيل فى اللحية ما قيل فى الصبغ من عدم الخروج على عرف أهل البلد لكان أولى بل لو تركت هذه المسألة وما أشبهها لظروف الشخص وتقديره لما كان فى ذلك بأس .

وقد قيل لأبى يوسف صاحب أبى حنيفة — وقد رؤى لابسا نعلين مخصوفين بمسامير — إن فلانا وفلانا من العلماء كرها ذلك ، لأن فيه تشبها بالرهبان فقال : كان رسول الله ﷺ يلبس النعال التى لها شعر وأنها من لبس الرهبان .

وقد جرى على لسان العلماء القول : بأن كثيرا مما ورد عن الرسول ﷺ فى مثل هذه الخصال يفيد ان الأمر كما يكون للوجوب يكون لمجرد الإرشاد إلى ما هو الأفضل وأن مشابهة المخالفين فى الدين إنما تحرم فيما يقصد فيه الشبه بشىء من خصائصهم الدينية أما مجرد المشابهة فيما تجرى به العادات والأعراف العامة فأنه لا بأس بها ولا كراهة فيها ولا حرمة[١٠]

لما كان ذلك كان القول بأن إعفاء اللحية أمر مرغوب فيه وأنه من سنن الإسلام[١١] التى ينبغى المحافظة عليها مقبولا وكان من أعفى لحيته مثابا ويؤجر على ذلك ومن حلقها فقد فعل مكروها لا يأثم بفعله هذا اعتبارا لأدلة هذا الفريق .

● ● ●

ثانيا : سماع الأغانى المصحوبة بآلات العزف :

موضوع الأغانى المصحوبة بآلات العزف كثر الحديث عنها ووقع الخلاف فى حكمها ما بين تحريم وكراهة إلى إباحة واستحسان بإطلاق أو بقيد وشرط على النحو التالى :

---

(٨) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى ـ التاج الجامع للأصول جـ ٣ ص ١٧٤ .

(٩) جـ ٢ ص ١٤١ .

(١٠) يراجع كتاب إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكانى ط أولى ١٣٢٧ هـ ص ٩١ فى المقصد الرابع فى الأوامر والنواهى حيث قال : قال الرازى فى المحصول : قال الأصوليون .
صيغة أفعل مستعملة فى خمسة عشر وجهاً منها : الإيجاب والالتماس ، والتكذيب والمشورة والندب والإرشاد .
ومثل ذلك فى كتاب كشف الأسرار للبزدوى فى أصول الفقه طبع ١٣٠٧ هـ فى المجلد الأول باب موجب الأمر ص ١٠٦ وما بعدها حيث قال : إن صيغة الأمر استعملت لوجوه والمشهور منها ثمانية عشر وجهاً منها : الوجوب ، والندب ، والارشاد ، والاباحة والاكرام ، والامتنان ، والتسوية ، والتعجب ، والإهانة ، للتكوين وللتأديب ، وللتسخير وللتمنى .
وفى أصول الفقه للدكتور/ محمد أبو النور زهير جـ ٢ ص ١٣٣ وما بعدها ان صيغة أفعل قد ورد استعمالها فى معان كثيرة ذكر البيضاوى منها ستة عشر معنى وهى : الوجوب ، والندب ، والارشاد ، والاباحة ، والتهديد ، والامتنان ، والإكرام ، والتسخير ، والتعجيز ، والإهانة ، والتسوية ، والدعاء ، والتمنى ، والتكوين ، والخبر ، وأن الخبر قد يستعمل فى الأمر ، وقد يستعمل فى النهى .

(١١) بيان للناس جـ ٢ ص ٣٢٨ ، الفتاوى الإسلامية جـ ١٠ ص ٣٤٧٨ ، جـ ٩ ص ٣٠٨٢ .

(أ) الضرب بالدف وغيره من الآلات مباح باتفاق فى حالات معينة .

(ب) سماع الموسيقى وحضور مجالسها وتعلمها أيا كانت آلاتها من المباحات ما لم تكن محركة للغرائز ، باعثة على الهوى والغواية والغزل والمجون مقترنة بالخمر والرقص والفسق والفجور أو اتخذت وسيلة للمحرمات أو أوقعت فى المنكرات أو ألهت عن الواجبات .

ونشير بإيجاز إلى ما سبق صدوره(١٢)فى هذا الصدد بما يلى :

نقل ابن القيسرانى فى كتابه(١٣)السماع قول الإمام الشافعى : الأصل قرآن وسنة ، فان لم يكن فقياس عليهما ، واذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ وصح الإسناد فيه فهو سنة والإجماع أكبر من خبر المنفرد . والحديث على ظاهره واذا احتمل الحديث معانى فما أشبه منها ظاهرة أولاها به فإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسنادا أولاها وليس المنقطع بشىء ما عدا منقطع ابن المسيب .

وفى كتاب السماع(١٤)أيضا : وأما القول فى استماع القضيب والأوتار ويقال له التغيير ، ويقال له : الطقطقة أيضا ، فلا فرق بينه وبين الأوتار إذ لم نجد فى إباحته وتحريمه أثرا ، لا صحيحا ولا سقيما ، وإنما استباح المتقدمون استماعه ، لأنه مما لم يرد الشرع بتحريمه ، فكان أصله الإباحة ، وأما الأوتار فالقول فيها كالقول فى القضيب لم يرد الشرع بتحريمها ولا بتحليلها وكل ما أورده فى التحريم فغير ثابت عن رسول الله ﷺ وقد صار هذا مذهبا لأهل المدينة لا خلاف بينهم فى إباحة استماعه وكذلك أهل الظاهر بنوا الأمر فيه على مسألة الحظر والإباحة .

وأما القول فى المزامير والملاهى(١٥)فقد وردت الأحاديث الصحيحة بجواز استماعها ، ويشير إلى هذا أيضا قول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾(١٦)

وبيان هذا من الأثر ما أخرجه مسلم فى باب الجمعة عن : جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ كان يخطب قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائما ، فمن نبأك بأنه كان يخطب جالسا فقد كذب ، فقد والله صليت معه أكثر من ألفى صلاة . وعن جابر بن عبدالله أنه كان يخطب قائما يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا فأنزلت هذه الآية . وأخرج الطبرى هذا الحديث عن جابر وفيه أنهم كانوا إذا نكحوا تضرب لهم الجوارى بالمزامير فيشتد الناس اليهم ويدعون رسول الله ﷺ قائما ، فهذا عتاب الله عز وجل بهذه الآية .

ثم قال ابن القيسرانى : والله عز وجل عطف اللهو على التجارة ، وحكم المعطوف حكم المعطوف عليه ، وبالإجماع تحل التجارة ، فثبت أن هذا الحكم مما أبقاه الشرع على ما كان عليه فى الجاهلية ، لأنه غير محتمل أن يكون النبى ﷺ

---

(١٢) الإجابة من فتوى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى المجلد العاشر من الفتاوى الإسلامية ص ٣٤٥٩ ـ ٣٤٦٨ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وقد نقل كتاب بيان للناس الفتوى بتلخيص جـ ٢ ص ٣١٩ .

(١٣) ص ٣١ .

(١٤) ص ٦٢ .

(١٥) كتاب السماع ص ٧٢ .

(١٦) سورة الجمعة آية رقم ١١ .

حرمه ثم يُمَر به على باب المسجد يوم الجمعة ثم يعاتب الله عز وجل من ترك رسوله قائما ، وخرج ينظر إليه ويستمع ، ولم ينزل فى تحريمه آية ، ولا سن رسول الله ﷺ فيه سنة فعلمنا بذلك بقاءه على حاله .

ويزيد ذلك بيانا ووضوحا ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة من الأنصار إلى رجل من الأنصار ، فقال رسول الله ﷺ :
« أما كان معكن من لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو »[17]

والغزالى فى « الإحياء » خصص كتابا للسماع جاء فيه : أن الآله إذا كانت من شعار أهل الشرب أو المخنثين وهى المزامير والأوتار ، وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة ، وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة ، كالدف وإن كان فيه الجلاجل ، وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات .

ونقل القرطبى قول القشيرى[18] : ضرب بين يدى النبى ﷺ يوم دخل المدينة فهم أبوبكر بالزجر فقال رسول الله ﷺ :
« دعهن يا أبا بكر حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح » فكن يضربن ويقلن :

نحـــن بنـــات النجـــار
حبـــذا محمـــــد من جار

ثم قال القرطبى : وقد قيل إن الطبل فى النكاح كالدف ، وكذلك الآلات المشهرة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن رفثا .

ونقل الشوكانى فى « نيل الأوطار »[19] أقوال المحرمين والمبيحين وأشار الى أدلـــة كل من الفريقين ، ثم عقب على حديث « **كل لهو يلهو به المؤمن فهو باطل إلا ثلاثة : ملاعبة الرجل أهله ، وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه** »[20]

يقول الغزالى : قلنا قوله ﷺ « فهو باطل » لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة ثم قال الشوكانى وهو جواب صحيح لأن مالا فائدة فيه من قسم المباح ، وساق أدلة أخرى فى هذا الصدد ، من بينها حديث من نذرت أن تضرب بالدف بين يدى رسول الله ﷺ إن رده الله سالما من إحدى الغزوات ، وقد أذن لها بالوفاء بالنذر والضرب بالدف ، فالإذن منه يدل على أن ما فعلته ليس بمعصية فى مثل هذا الموطن ، وأشار الشوكانى إلى رسالة عنوانها « إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السماع » .

وفى المحلى لابن حزم[21] أن رسول الله ﷺ قال : « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » فمن نوى استماع الغناء عونا على معصية الله تعالى فهو فاسق ، وكذلك كل شىء غير الغناء ، ومن نوى به ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله ــ عز وجل ــ وينشط نفسه بذلك على البر فهو

---

(١٧) رواه البخارى فى كتاب النكاح .
(١٨) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٥٤ .
(١٩) جـ ٨ ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٢٠) رواه أصحاب السنن ، وقال العراق فيه اضطراب .
(٢١) جـ ٩ ص ٦٠ .

مطيع محسن وفعله هذا من الحق ، ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه ، كخروج الإنسان إلى بستانه متنزها وقعوده أمام بيته متفرجا .

وعقد البخارى فى صحيحه[٢٢] بابا بعنوان « كل لهو إذا شغله عن طاعة الله » وعقب فى إرشاد السارى على هذا العنوان بقوله : ولو كان مأذونا فيه كمن اشتغل بصلاة نافلة أو تلاوة أو ذكر أو تفكر فى معانى القرآن حتى خرج وقت المفروضة عمدا .

وفى الفقه الحنفى : جاء فى كتاب البدائع للكاسانى[٢٣] : فيمن تقبل شهادته ومن لا تقبل ؟ : وأما الذى يضرب شيئا من الملاهى فإنه ينظر إن لم يكن مستشنعا كالقضيب والدف ونحوه لا بأس به ولا تسقط عدالته وان كان مستشنعا كالعود ونحوه سقطت عدالته لأنه لا يحل بوجه من الوجوه .

وفى مجمـــع الأنهر[٢٤] فى ذات الموضع : أويلعب بالطنبور لكونه من اللهو ، والمراد بالطنبور كل لهو يكون شنيعا بين الناس احترازا عما لم يكن شنيعاً كضرب القضيب ، فانه لا يمنع قبولها الا أن يتفاحش بأن يرقصوا به فيدخل فى حد الكبائر ، وجاء مثل هذا فى كتاب الدر للحصكفى[٢٥] وحاشية رد المحتار لابن عابدين .

وفى المغنى لابن قدامة[٢٦] : الملاهى على ثلاثة أضرب :

• محرم : وهو ضرب الأوتار والنايات والمزامير كلها والعود والطنبور والمعزفة والرباب ونحوها ، فمن أدام استماعها ردت شهادته .

وضرب مباح وهو الدف فان النبى ﷺ قال : « أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف » أخرجه مسلم . وذكر أصحابنا وأصحاب الشافعى أنه مكروه فى غير النكاح ، وهو مكروه للرجال على كل حال .

وأما الضرب بالقضيب فمكروه إذا إنضم إليه محرم أو مكروه كالتصفيق والغناء والرقص ، وإن خلا عن ذلك لم يكره لأنه ليس آلة طرب ولا يطرب ، ولا يسمع منفردا بخلاف الملاهى ومذهب الشافعى فى هذا كمذهبنا .

وفى لسان العرب : اللهو مالهوت به ولعبت به وشغلك من هوى وطرب ونحوهما — والملاهى آلات اللهو ، وفيه القضيب كل نبات ذى أنابيب ، والقاصب الزامر ، والقصاب الزمار .

وفى المصباح المنير : وأصل اللهو الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة ، وألهانى الشىء شغلنى ..

وقد اتفق الفقهاء على إباحة السماع فى إثارة الشوق إلى الحج ، وفى تحريض الغـــزاة على القتال ، وفى مناسبات السرور المألوفة كالعيد ، والعرس وقدوم الغائب وما إليها .

وهم فيما وراء ذلك على رأيين ، يقرر أحدهما الحرمة ، ويستند إلى أحاديث وآثار ، ويقرر الآخر الحل ويستند كذلك إلى أحاديث وآثار ، وكان من قول القائلين بالحل (أنه ليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله ولا فى معقولهما من القياس والاستدلال ، ما يقـــتضى تحريم مجرد سماع

(٢٢) جـ ٩ ص ١٧١ فى آخر كتاب الاستئذان .
(٢٣) ج ٦ ص ٢٦٩ .
(٢٤) جـ ٢ ص ١٩٨ .
(٢٥) جـ ٤ ص ٣٩٨ .
(٢٦) جـ ١٠ ص ٢٤٠ ، ٢٤٢ .

الأصوات الطيبة الموزونة مع آلة من الآلات) وقد تعقبوا جميع أدلة القائلين بالحرمة وقالوا : إنه لم يصح منها شيء .

وقد كتب فى هذا الموضوع أحد فقهاء القرن الحادى عشر المعروفين بالورع والتقوى رسالة هى (إيضاح الدلالات فى سماع الآلات) للشيخ عبد الغنى النابلسى الحنفى ، قرر فيها أن الأحاديث التى استدل بها القائلون بالتحريم على فرض صحتها ، مقيدة بذكر الملاهى ، وبذكر الخمر والقينات ، والفسوق والفجور ، ولايكاد حديث يخلو من ذلك .

وعليه كان الحكم عنده فى سماع الأصوات والآلات المطربة أنه إذا اقترن بشىء من المحرمات ، أو اتخذ وسيلة للمحرمات ، أو أوقع فى المحرمات كان حراماً ، وأنه إذا سلم من كل ذلك كان مباحاً ، فى حضوره وسماعه وتعلمه .

وقد نقل عن النبى ﷺ ، ثم عن كثير من الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء أنهم كانوا يسمعون ويحضرون مجالس السماع البريئة من المجون والمحرم .

وذهب إلى مثل هذا كثير من الفقهاء ، وهو يوافق تماماً فى المغزى والنتيجة الأصل الذى قررناه فى موقف الشريعة بالنسبة للغرائز الطبيعية .

ويستخلص من هذا أن سماع الآلات ذات النغمات أو الأصوات الجميلة ، لايمكن أن يحرم باعتباره صوت آلة ، أو صوت إنسان ، أو صوت حيوان وإنما يحرم إذا استعين به على محرم أو اتخذ وسيلة إلى محرم أو ألهى عن واجب .

ذلك أن الله خلق الإنسان بغريزة يميل بها إلى المستلذات والطيبات التى يجد لها أثراً فى نفسه ، به يهدأ وبه يرتاح ، وبه ينشط وتسكن جوارحه فتراه ينشرح بالمناظر الجميلة كالخضرة المنسقة والماء الصافى والوجه الحسن والروائح الذكية ، وأن الشرائع لاتقضى على الغرائز بل تنظمها والتوسط فى الإسلام أصل عظيم أشار إليه القرآن الكريم فى كثير من الجزئيات : منها قوله تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ سورة الأعراف ٣١

وبهذا كانت شريعة الإسلام موجهة للإنسان فى مقتضيات الغريزة إلى الحد الوسط ، فلم تعمد إلى المنع طلباً لانتزاع الغريزة فى حب المناظر الطيبة ، ولا المسموعات المستلذة ، وإنما جاءت بتهذيبها وتعديلها إلى ما لاضرر فيه ولا شر .

ومن ثم فإن الضرب بالدف وغيره من الآلات مباح فى الحداء وفى تحريض الجند على القتال ، وفى العرس ، وفى العيد ، وقدوم الغائب ، والتنشيط على الأعمال الهامة ، وأن الاختلاف الذى ثار بين الفقهاء وجرى فى كتبهم كان فى حل أو عدم حل الاشتغال بالموسيقى سماعاً وحضوراً وتعلماً إذا صاحبها محرم كشرب خمر أو غناء ماجن أو رقص أو غزل ، أو كانت الموسيقى مما يحرك الغرائز ويبعث على الهوى والفسوق ، كتلك التى تستثير فى سامعها الرقص والخلاعة ، والتى تُستعمل فى المنكرات المحرمات كالزار وأمثاله ، أو فوتت واجبا .

وهذا ظاهر مما قاله فقهاء المذهب الحنفى من أن الضرب غير المستشنع لا بأس به ولا يسقط العدالة ، وفسروا المستشنع بأن يرقصوا به فيدخل فى حد الكبائر .

وظاهر أيضاً مما قال به ابن العربى المالكى فى أحكام القرآن من أن الطبل فى النكاح ، كالدف

وكذلك الالات المشهره .. للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن رفثاً .

ومن جملة ماقال به ابن قدامة فى المغنى نقلاً لمذهب الإمامين الشافعى وأحمد فى هذا الموطن يتضح أنه لايخالف أو يختلف مع ما قال به الفقه الحنفى والمالكى وأورده من قيود .

ثم إن ما جاء فى عبارات الفقهاء من إجازة الضرب ببعض الآلات دون بعض ، يبدو أن المنع فى بعضها إنما هو للآلات التى تدفع سماعها لفحش القول أو الرقص وليس لذات الالات كما يدل على هذا قول فقهاء الحنفية الذى سبق نقله ، وماقال به الفقه الحنبلى والشافعى من انضمام المحرم أو المكروه كالتصفيق والرقص هو المحرم ، وما قال به ابن العربى المالكى ولم يكن معه رفث .

وهذه القضية قد واجهها الفقه الإسلامى وتصدى لها بتحقيق نصوصها : محمد بن طاهر بن على بن أحمد بن أبى الحسن الشيبانى أو الفضل المقدسى المعروف بابن القيسرانى ، من رجال الحديث ، وتصدى لها النابلسى وجعلها ابن حزم مرتبطة بالنية ، والغزالى والشوكانى قالا :

إن بطلان اللهو لا يدل على التحريم ..

وعليه فالقول بالتحريم على وجه الإطلاق خال من السند الصحيح قال تعالى :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾

[سورة النحل الآية ١١٦]

وكذلك القول ـ هنا ـ بأن التحريم من باب سد الذرائع أو من باب درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، ليس مقبولاً فالموسيقى ليس الشأن فيها دائماً أن يصحبها الخمر وغيره من المنكرات فمثلها كمثل الجلوس على الطريق يجوز عند الخلو من المنكرات ، ففى صحيح مسلم قال النبى ﷺ :

« إياكم والجلوس فى الطرقات فقالوا يارسول الله مالنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها ، فقال فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه ، فقالوا وماحق الطريق يارسول الله ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » ومن هذا نأخذ أن من المباحات مايحرم إذا اقترن به محرم ، وعندئذ تكون الحرمة طارئة ، بمعنى أنها ليست حكماً أصلياً .

ووقوفاً عند الوسط من الأقوال نميل إلى القول بأن سماع الموسيقى وحضور مجالسها وتعلمها أياً كانت آلاتها من المباحات مالم تكن محركة للغرائز باعثة على الهوى والغواية والغزل والمجون مقترنة بالخمر والرقص والفجور والفسوق أو اتخذت وسيلة للمحرمات أو أوقعت فى المنكرات أو ألهت عن الواجبات ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

[سورة الأعراف الآية ٣٢] .

ومن معانى زينة الله : جمال الدنيا فى ثيابها وحسن النظرة فى ملابسها وملذاتها كما قال ابن العربى[٢٧] ، والطيبات فى الآية تشمل كل طيب ، والطيب يطلق بإزاء الطاهر والحلال ، وصيغة العموم كلية تتناول كل فرد من أفراد العام فتدخل أفراد المعانى الثلاثة كلها ، ولو قصرنا

(٢٧) أحكام القرآن جـ ٢ ص ٧٨٢ .

العام على بعض أفراده لكان قصره على المتبادر وهو الظاهر .

وقد صرح ابن عبد السلام فى دلائل الأحكام أن المراد فى الآية بالطيبات المستلذات ذكر كذلك الشوكانى فى « نيل الأوطار »[٢٨] .

هذا وقد عقد الغزالى فصلًا للرد على حجج المحرمين للسماع على الإطلاق فى كتابه « إحياء علوم الدين »[٢٩] نوجزه فيما يلى :

١ ــ قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ [سورة لقمان الآية ٦] ولهو الحديث هو الغناء ، والجواب : شراء لهو الحديث بالدين استبدالاً به ليضل عن سبيل الله حرام مذموم ، وليس النزاع فيه ، وليس كل غناء بدلًا عن الدين مشترى به ومضلًا عن سبيل الله ، فلو قرأ القرآن ليضل عن سبيل الله به لكان حراماً ، كما روى أن عمر هم بقتل منافق كان يؤم الناس فى الصلاة ، ويحرض على قراءة (عبس) لما فيها من عتاب الرسول ...

٢ ــ قال الرسول ﷺ : « إن الله تعالى حرم القينة وثمنها وتعليمها » قال العراقى حديث ضعيف ليس بمحفوظ ، والجواب : إن القينة هى الجارية التى تغنى للرجال فى مجلس الشرب ، وغناء الأجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام ، أما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة بدليل ماروى فى الصحيحين من غناء الجاريتين فى بيت عائشة رضى الله عنها .

٣ ــ حديث « كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى » فقد جمع بين النياحة والغناء ، قال العراقى لم أجد له أصلًا عن جابر ، والجواب : ليست كل نياحة محرمة ، إذ من المباح نياحة دواد عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم ومن الغناء المباح مايحرك السرور والشوق إلى الحلال ، فقد سمعه النبى ﷺ فى يوم العيد وعند قدومه إلى المدينة ..

٤ ــ حديث : « مارفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك » قال العراقى حديث ضعيف ، والجواب : إن ذلك فى بعض الغناء لا فى جميعه ..

٥ ــ قول ابن مسعود : (الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل) رفعه بعضهم إلى النبى ﷺ وهو غير صحيح .

٦ ــ كان ابن عمر فى طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه ولم ينزعهما حتى بعد عن الطريق وقال : (هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع) قال العراقى حديث منكر ، والجواب : أن امتناع ابن عمر عن السماع لايدل على حرمته بل يدل على أن الأولى تركه ، والمباحات إذا أثرت فى القلب كان الأولى تركها ، كما خلع الرسول ﷺ بعد الفراغ من الصلاة ثوب ابن جهم ، إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه ، فهل يدل ذلك على حرمة الأعلام على الثوب ؟

وأضاف الغزالى أن اللهو دواء القلب من داء الإعياء والملال فينبغى أن يكون مباحاً ، ولكن .

(٢٨) جـ ٨ ص ١٠٥ .

(٢٩) جـ ٢ ص ٢٦٠ وما بعدها .

لاينبغى أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء، ثم قال ومن أحاط بعدم علاج القلوب ووجوب التلطف بها لسياقتها إلى علم الحق علم قطعاً أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لاغنى عنه(٣٠) ..

● ● ●

ثالثاً : حكم النظر إلى التلفاز وخصوصاً المسلسلات بأنواعها :

التلفاز جهاز ناقل للصوت والصورة وهو من الأجهزة الحديثة التى اخترعها الإنسان ، فمارس صنعها وتوجيهها والإفادة منها ..

وقد عم هذا الجهاز العالم أجمع فلا نكاد نجد دولة من الدول أو قطر من الأقطار يخلو منه ، وأصبح الناس يتسابقون لاقتنائه وحيازته فى بيوتهم ونواديهم ومؤسساتهم ومكاتبهم ودور تعليمهم ، بل قد يتكرر وجود التلفاز فى المنزل الواحد لكل حجرة جهاز حسب الإمكانات .

ولا شك أن جهاز التلفاز له من الفوائد مالا يمكن إنكاره أو إهماله بالسكوت عنه ، وهو لذلك مطلوب الجماهير ، وأفراد كل أسرة حريصون على تملكه من أجل ما تحقق لديهم من مردود نافع يسمعونه ويرونه فى البرامج الثقافية والتوعية الدينية وفى مقدمتها : القرآن الكريم والآذان والأحاديث النبوية الشريفة ، غير ذلك من بث الوعى الصحى والاجتماعى والاقتصادى ، والوقوف على أخبار العالم من خلال نشرات الأخبار العالمية والمحلية ، والتعرف على حلقات من التاريخ الإسلامى وغيره من تاريخ الأمم لربط الحاضر بالماضى وإلقاء الضوء على المستقبل وما يرتجى فيه .

وبجانب ما تقدم يبث التلفاز مسلسلات وتمثيليات وبرامج مختلفة لها منتظرون يحرصون على رؤيتها والاستماع إليها ، وفيها مايفيد ، كما أن بها مايضر السذج الذين لايفقهون ماترمى إليه ، وتستهويهم الأغانى والموسيقى ومناظر الممثلين والممثلات ، وبعضهن على حال تخدش الحياء وتخالف الدين وتحرك فى قلوب الشباب والشابات شهوات منكرة تؤثر بالسلب على عواطفهم ووجدوانهم وتخالف أدب الإسلام وسلوكياته وأخلاقه .

فالتلفاز ــ بهذا ــ كسلاح ذو حدين ، خيره خير ، وشره شر ، من رأى واستمع إلى مالا يتعارض مع الفضائل ولم ينشغل بذلك عن أداء الحقوق والواجبات سواء كانت دينية أو

---

(٣٠) ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى :
ــ إحياء علوم الدين للإمام الغزالى .
ــ مدارج السالكين لابن القيم .
ــ عوارف المعارف للسهروردى .
ــ كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع لابن حجر الهيثمى .
ــ تحريم السماع لأبى الطيب الطبرى .
ــ السماع لابن القيسرانى .
ــ الفتاوى الإسلامية المجلد العاشر ص ٣٤٥٩ .
ــ المواهب اللدنية للقسطلانى جـ ٢ ص ٣٥٨ .

اجتماعية ، شخصية أو أسرية ، فإن الأصل فى ذلك على الإباحة ، ومن شغل نفسه بمرائى التلفاز المتعارضة مع أصل الإيمان فقد تجاوز وأغفل ما هو مسئول عنه لصالحه أو لصالح وطنه ودينه وأسرته ، واتخذ التلفاز ملهاة مستمرة فإنه ـ عندئذ ـ ملوم ومسئول عن ضياع وقته فيما لاينفعه أو ينفع غيره ويعرض نفسه للمسئولية أمام الله ـ عز وجل ـ القائل :

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾
[سورة الاسراء الاية ٣٦] .

ولا جدال فى أن المسلسلات المشتملة والمتضمنة أقوالاً وأفعالاً تناقض سلوكيات الإسلام وأخلاقياته يكون الأجدر بالمسلمين إهمالها ، والالتفات عنها ، وبخاصة حين تكون الأقوال والأفعال وسيلة للمحرمات ، موقعة فى المنكرات ، ملهية عن الحقوق والواجبات ، محركة للغرائز باعثة على الشهوات والغواية والغزل والمجون والفجور والفسق .

وذلك طلباً لاكتساب الصفات التى امتدح الله بها المؤمنين فقال :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ سورة المؤمنون

وذكَّرهم فقال : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ سورة الإسراء

وإذا كان شأن المسلم أن يكون كيساً فطناً كان عليه أن يقبل على النافع من الأمور ، ويعرض عن اللغو قولًا وعملًا ، وأن يسعى لما فيه صلاح دينه ودنياه وآخرته ، وبذلك يكون موفقاً وسعيه مشكوراً .

● ● ●

رابعاً : حكم زكاة الحلى من الذهب المأخوذ للبس فقط وليس للتجارة :

اختلف أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وفقه الأئمة الأربعة فى زكاة ماتتحلى به المرأة على ماجرى به العرف من الذهب ، وبالنظر فى أقوال هؤلاء وضح أنها تؤول إلى رأيين .

الرأى الأول : وجوب زكاة الحلى المتخذ زينة للبس المرأة ، وهذا رأى جمهور الصحابة والتابعين وسفيان الثورى والأحناف إذ قالوا :

إن حلى المرأة متى بلغ نصاباً ، وحال عليه الحول يزكى ، وبلوغ النصاب يكون بالوزن لا بالقيمة والنصاب فى زماننا وزنه خمسة وثمانون جراماً من الذهب عيار (٢١) وهو مايقابل العشرين مثقالًا التى رويت فى نصاب الذهب عن رسول الله ﷺ ..

وحجة القائلين بهذا مارواه أصحاب السنن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم أن امرأة أتت النبى ﷺ ومعها بنت لها وفى يد بنتها مسكتان(٣١) غليظتان من ذهب فقال لهما : أتعطين زكاة هذا قالت : لا قال : أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار ؟ قال فخلعتهما فألقتهما إلى النبى ﷺ وقالت : هما لله ورسوله .. ولفظ الترمذى : (رأى النبى ﷺ فى أيديهما سوارين من ذهب فقال أتؤديان زكاته قالتا : لا ، فقال لهما رسول الله ﷺ : أتحبان أن

(٣١) مسكتان : تثنية مسكة والمراد بها الأسورة .

يسوركما الله بسوارين من نار ، قالتا : لا . قال : فأديا زكاته ..

وعن أم سلمة - رضى الله عنه - قالت كنت ألبس أوضحاً(٣٢) من ذهب فقلت يارسول الله أكنز هو ؟ فقال : مابلغ أن تؤدى زكاته فزكى فليس بكنز)(٣٣) .

الرأى الثانى : عدم وجوب زكاة الحلى ، وهو رأى بعض الصحابة والتابعين وجمهور الفقهاء ودليلهم ماروى عن نافع عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أنه كان يحلى بناته وجواريه بالذهب ثم لايخرج منه الزكاة)(٣٤) ..

وعن عمرو بن دينار - رضى الله عنهما - قال سمعت رجلًا يسأل جابر بن عبد الله عن الحلى ، أفيه زكاة ؟ قال : لا قال : وإن كان يبلغ ألف دينار ، قال : وإن كثر)(٣٥) .

ومعلوم ورع ابن عمر وشدة تمسكه بالدين وعدم إخرجه الزكاة لابد أن يكون على علم به ، كما أن جواب جابر هذا لابد أن يكون عن علم .

ومن هذا حديث مالك : (أن عائشة كانت تلى بنات أخيها يتامى فى حجرها ولهن الحلى فلا تخرج عنه الزكاة) .

وللدارقطنى أن أسماء بنت الصديق كانت تحلى بناتها الذهب نحو الخمسين ألفا ولا تزكيه .

قال الخطابى الحيطـــة فى أداء زكاة الحلى للأحاديث الصحيحة التى استند عليها أصحاب الرأى الأول ، ولاقيمة للإيثار معها ، وقد رد على هذا بأن الأحاديث الواردة بالوجوب كانت قبل حل الذهب للنساء أو هى من باب التزهيد فى الزينة(٣٦) ..

وما سبق حكم الحلى المباح ، أما حلى الرجال والأوانى ففيها الزكاة باتفاق والله أعلم ..

وقد ابتنى على هذين الرأيين الخلاف بين أئمة فقهاء المذاهب الأربعة على النحو التالى :

١ - المذهب الحنفى : الزكاة واجبة فى الحلى سواء كان للرجال أو النساء تبرا كان أو سبيكة ، آنية كان أو غيرها ويعتبر فى زكاته الوزن لا القيمة ...

٢ - المذهب المالكى : الحلى المباح كالسوار للمرأة ، وقبضة السيف المعد للجهاد ، والسن ، والأنف للرجل لازكاة فيه إلا فى الأحوال الآتية :

أولاً : أن ينكسر بحيث لايرجى عوده إلى ما كان عليه إلا بسبكه مرة أخرى .

ثانياً : أن ينكسر بحيث يمكن عوده بدون السبك مرة أخرى ولكن لم ينو صاحبه إصلاحه .

ثالثاً : أن يكون معداً لنوائب الدهر وحوادثه لا للاستعمال .

رابعاً : أن يكون معداً لمن سيوجد للمالك من زوجة وبنت مثلاً .

---

(٣٢) الأوضاح جمع وضح بالتحريك وهو خلخال .

(٣٣) رواه أبو داود والحاكم وصححه .

(٣٤) رواه مالك والشافعى .

(٣٥) رواه الشافعى والبيهقى .

(٣٦) هذه الأحاديث والآثار واردة فى الجزء الثانى ص ٢٣ ، ٢٤ من كتاب التاج الجامع للأصول .

خامساً : أن يكون معداً لصداق من يريد أن يتزوجها أو يزوجها لولده .

سادساً : أن ينوى به التجارة .

ففى جميع الأحوال تجب فيه الزكاة .

وأما الحلى المحرم كالأوانى والمرود والمكحلة فتجب فيه الزكاة بلا تفصيل ، والمعتبر فى زكاة الحلى الوزن لا القيمة .

٣ ـ المذهب الشافعى : لاتجب الزكاة فى الحلى المباح الذى حال عليه الحول مع مالكه العالم به ، أما إذا لم يعلم بملكه كأن يرث حلياً يبلغ نصاباً ومضى عليه الحول بدون أن يعلم الملك إليه فإنه تجب عليه زكاته ، أما الحلى المحرم كالذهب للرجل فإنه تجب فيه الزكاة ، ومثله حلى المرأة إن كان فيه إسراف كخلخال المرأة إذا بلغ مائتى مثقال ، فإنه تجب فيه الزكاة أيضاً ، كما تجب فى آنية الذهب والفضة ، وتجب الزكاة فى قلادة المرأة المأخوذة من الذهب إذا لم تكن لها عروة من ذهب أو نحاس فإن كان لها عروة منهما فلا زكاة فيها ، ويعتبر فى زكاة الحلى الوزن لا القيمة ، وإذا انكسر الحلى لم تجب زكاته إذا قصد إصلاحه ، وكان إصلاحه ممكناً بلا صياغة وإلا وجبت ..

٤ ـ المذهب الحنبلى : لازكاة فى الحلى المباح المعد للاستعمال أو الإعارة لمن يباح له استعماله ، فإن كان غير معد للاستعمال فتجب زكاته إذا بلغ النصاب من جهة الوزن ، فإذا بلغ النصاب من جهة القيمة لا الوزن لاتجب فيه الزكاة .. أما الحلى المحرم فتجب فيه الزكاة كما تجب فى آنية الذهب والفضة البالغة نصاباً ووزناً ، وإذا انكسر الحلى فإن أمكن لبسه مع الكسر فهو كالصحيح لايجب فيه الزكاة ، وإن لم يمكن فإن كان يحتاج فى إصلاحه صوغ وجبت فيه الزكاة ، وأن لم يحتج إلى صوغ ونوى إصلاحه فلا زكاة فيه(٣٧) ..

ومما سبق يعلم الجواب عن كل سؤال مع أسانيده ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(٣٧) الجزء الأول من الفقه على المذاهب الأربعة كتاب الزكاة ـ زكاة الذهب والفضة ص ٥٧٤ ، ٥٧٥ .

شيخ الأزهر فى ملتقى إسلامى بالشرقيـــة: ليس من الإســـلام القتـــل والإرهـــاب

صرح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق .. شيخ الأزهر فى اللقاء الذى نظمته « لجنة الدعوة الإسلامية » بمحافظة الشرقية ؛ بأهمية التمسك بالقيم الرفيعة والمبادىء الأخلاقية السليمة النابعة من منهج القرآن الكريم والسنة النبوية .

وقال فضيلته : إن توحيد كلمة الأمة الإسلامية فى جميع أنحاء العالم ضرورة حتمية ، وإن الترابط والتكاتف بين الشعوب المسملة تتطلبه الظروف الراهنة التى تجتاح أوطان المسلمين نتيجة الفتنة وبذور الخلاف التى وضعها المغرضون بهدف إحداث الشقاق فى صفوف المسلمين وتفتيت وحدتهم .

وقال شيخ الأزهر فى لقاء إسلامى بمحافظة الشرقية إن الإسلام دين يقوم على مبدأ التعاون والتماسك لتحقيق الخير للناس كافة ، وينهى عن العدوان وارتكاب الجرائم والآثام عملاً بقول الله ـ تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الآثم والعدوان » .

وأكد فضيلة الإمام الأكبر على أن مرتكبى حوادث القتل والإرهاب ليسوا بمسلمين ، ولا يصح أن نطلق عليهم تسمية « جماعات إسلامية » أو « متطرفين إسلاميين » ، لأن الإسلام برىء من كل هذه الأفعال .. وأن هؤلاء الأشخاص ليسوا سوى دعاة فتنة وضلالة بين المسلمين .

وقال فضيلته : إن الله تعالى طالبنا بمواجهتهم فقال ـ تعالى : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ . سورة البقرة ـ ١٩٣

● د عبد الجليل شلبى ●
الأمين العام السابق لمجمع البحوث الاسلامية

إلى الملأ الأعلى مع فيض من رحمة الله وبركاته

أستاذى فضيلة الدكتور عبدالجليل عبده شلبى

تنعاك ـ على رضا من قضاء الله ـ سبحانه ـ قطراتٌ ندَّت عن كلماتك الطيبات على صفحات بيض تقاطرت تحمل تفسيرا لكتاب الله العزيز ، وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وفقها يهدى إلى الحق وطريق مستقيم .

خلت « مجلة الأزهر » وصحف ، و « إذاعة موجهة » كنت تسطر لها جميعا من علم الله ـ تعالى ـ فيضا من هدى ورحمة ينزل على قلوب قرائك ومستمعيك سكينة ورشاداً .

ينعاك رجال ونساء ، شيب وشباب ، حملوا همومهم ، وجاءوك بها فى « لجنة الفتوى » بالأزهر الشريف ، بتلك القاعة التى عرفت الفتوى خالصة لوجه الله ـ وحده ـ فألقيت عن ظهورهم ـ جميعا ـ أثقالها ـ وخرجوا بفتواك على هدى مستقيم مستبشرين .

وعنك استمعت الكلمة التى كانت أقوم زاد لى أثناء عملى رئيسا لتحرير هذه المجلة حين قلت : « مجلة الأزهر تعيش ـ الآن ـ عصرها الذهبى » . كم كان لهذه الكلمة من تأثير حىّ نشيط حين تمر بى لحظات من كَبِدِ الناس ، أو كيدهم ، فتدفعنى إلى استمرار متين .

لقد عرفتك ، وأنا أدرج طالبا بمعهد الإسكندرية الدينى فى منتصف الأربعينات وأنت أستاذ ، لك شأنك الرفيع ، وكرامتك الحقة ، تلك الكرامة التى قدرها شيخنا الجليل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ مأمون الشناوى شيخ الأزهر الأسبق (رحمه الله) فكان إلى جانبك ، فظللت شامخا بكرامتك ، عظيما بتواضعك ، رمزا فذا لهذا الأزهر العتيق .

عليك رحمة الله ، فإن ذخائره ـ تعالى ـ لا تنفد ، وعطاءه غير مجذوذ رحمة عليك داخل مثواك ، وعلى ألسنة ذاكريك ، وفى الملأ الأعلى .

صلاة وسلاما وتحية ورحمة وبركة كل حين ..

د / على أحمد الخطيب

آداب الاستئذان في «سورة النور»

للأستاذ الدكتور / حسن أليك*

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وأصلى وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين الذى جاء متمما لمكارم الأخلاق ، وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـــد :

فمن المعلوم أن سورة النور مستوعبة للكثير من الآداب الاجتماعية ، وذلك لصالح الفرد والمجتمع منها : « آداب الاستئذان » أى : آداب دخول البيوت . وما يقوم مقامها مما له حرمة الاختصاص لا العموم .

الاستئذان أدب إسلامى اجتماعى هام ، اهتم به الإسلام اهتماما بالغا ، وشرع له الآداب المنظمة والكيفية الحسنة التى يؤدى بها ، وقد حوت صورة النور عدة آداب فى هذا الأدب الرفيع قبل أربعة عشر قرنا فى حين كان الناس يعيشون فى الخيام ، مما يؤكد أهمية الاستئذان . واستمر الحال على ذلك إلى يومنا هذا غير فاقد أهميته ؛ لأن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان ؛ ولأنه منهاج الحياة البشرية ، وهذا المنهج لا يهدف إلا إلى إسعاد البشر ، وذلك يحفظ ما يهمهم من صيانة النفس والمال والعرض والسكن إلى غير ذلك بإرشادهم إلى الطريق الأقوم .

(*) الكاتب : أستاذ بجامعة مرمرة ـ كلية الإلهيات ـ استنبول ـ تركيا .

ونحن نتناول فى بحثنا هذا ضرورة حفظ وصيانة البيوت وما فى حكمها بوسيلة تسمى : « الاستئذان » حسب ما جاء فى « سورة النور » .

وبتتبعنا للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة فى الاستئذان يتبين لنا أنه يتنوع إلى نوعين :

الأول : الاستئذان من خارج البيوت : إذا أراد إنسان الدخول سواء أكان قريبا أو غريبا .

الثانى : الاستئذان من داخل البيوت : كأن يستأذن الابن على أمه ، والزوج على زوجته ، والمماليك على سادتهم وهكذا .

ولنبدأ بالنوع الأول : الاستئذان من خارج البيوت ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

معنى الاستئذان :

الاستئذان لغة : طلب الإذن ، أى لرفع الحرج ، قال الجوهرى : ويقال : إئذن لى على الأمير ، أى : خذ لى منه إذنا[1] .

واصطلاحا : هو طلب الإذن فى الدخول على غيره .

قال ابن حجر : (الاستئذان طلب الإذن فى الدخول لمحل لا يملكه المستأذن)[2] .

آيات الاستئذان :

قال ــ عز من قائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴾[3]

أدَّبَ الله ــ تعالى ــ عباده المؤمنين بالآداب الجليلة ، ودعاهم إلى التخلق بكل أدب رفيع ؛ فأمرهم بالاستئذان عند إرادة الدخول إلى بيوت الغير ، والسلام على أهل هذه البيوت ، ونهاهم عن الدخول بغير إذن كى لا تقع أعينهم على عورات الناس وإذا لم يكن فى البيوت أحد أو لم يؤذن له بالدخول فعليه الرجوع دون الوقوف على الأبواب ؛ لأن فى ذلك أيذاء لصاحب البيت ، أما البيوت التى ليس بها ساكن أو البيوت التى فيها أمتعة ، فلا مانع من دخولها .

وقال المفسرون فى معنى قوله تعالى ﴿ غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ ﴾ :

أولا : أنها الحانات والبيوت المبنية للسابلة ليأووا إليها بأمتعتهم . هذا قول قتادة .

ثانيا : أنها البيوت الخربة ، هذا قول عطاء .

ثالثا : أنها بيوت مكة ، قاله : محمد بن الحنفيَّة .

رابعا : حوانيت التجار التى بالأسواق ، قاله : ابن زيد .

خامسا : أنها جميع البيوت التى لا ساكن لها . هذا قول ابن جريج[4] . ورجح هذا القول ابن جرير الطبرى[5] .

(١) تاج العروس : ٩ / ١٢٠ .
(٢) فتح البارى : ١١ / ١ .
(٣) سورة النور : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٤) انظر لهذه الأقوال : زاد المسير لابن الجوزى : ٦ / ٢٩ .
(٥) تفسير الطبرى : ١٨ / ١١٥ .

واختلف المفسرون فى معنى « المتاع » على ثلاثة أقوال :

أحدها : الأمتعة التى تباع وتشترى .

والثانى : إلقاء الأذى من الغائط والبول .

والثالث : الانتفاع بالبيوت لاتقاء الحر والبرد(٦) .

فالاستئذان شرط فى البيوت المسكونة ، أما البيوت التى ليس بها ساكن فلا مانع من دخولها بغير إذن كما نفصله فى محله بتوفيق الله .

سـبب النـزول :

روى عن عدىّ بن ثابت قال : جاءت امرأة من الأنصار فقالت : يا رسول الله إنى أكون فى بيتى على حال لا أحب أن يرانى عليها أحد ، لا والد ولا ولد ، فيأتى الأب فيدخل علىّ ، وأنه لا يزال يدخل علىّ رجل من أهلى وأنا على تلك الحال فكيف أصنع ؟ فنزلت الآية : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٧)

ولما نزلت هذه الآية قال أبوبكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ : يا رسول الله : أفرأيت الحانات والمساكن فى طرق الشام ليس فيها ساكن ، فأنزل الله تعالى :

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾(٨)

ضرورة الاستئذان وحكمة تشريعه :

إن الإنسان قد يكون فى بيته مستورا بعيدا عن الأعين يتصرف بحرية ، وقد يكون فى حالات وأوضاع لا يرغب أن يراه فيها أحد ، ولذلك كانت مشروعية الاستئذان فى إطار هذه الرغبة الفطرية ، حتى يكون اللقاء وديا لزيادة المودة والمحبة .

وإذا كان المفروض من الزيارة توثيق المحبة والمودة بين أفراد المجتمع الإسلامى ، أو لقضاء مصالحهم الفردية ، أو الجماعية الدينية أو الدنيوية ، فعلينا أن نختار لها أنسب الأوقات وأحسنها إلى نفس صاحب البيت الذى نريد زيارته ؛ لكى تحقق الزيارة أهدافها المطلوبة والمرجوة دون إلحاق أى إزعاج أو حرج بصاحب البيت مثل : الزيارة فى الظهيرة ، أو وقت الراحة ، أو فى الليل بعد منتصفه .

أما إذا كان الدخول بغير إذن فإنه يؤدى إلى الإيذاء وإلى النفرة والكراهية ، ويرسب فى النفس خواطر مؤلمة ولقد كان من عادة العرب فى الجاهلية دخول بيوت الناس قائلين : « حييتم صباحا ، حييتم مساء »(٩) ، وبدون استئذان من أهلها ، وتقع أنظارهم على نسائهم ــ وهن فى حالة غير جديرة بالنظر ــ وكان ذلك يؤذى أو يحرج ، ويحرم البيوت من أمنها وسكينتها ، كما أن فى دخول بيوت الغير بدون استئذان من أهلها وقوعا للتهمة ، وعلى المؤمن أن يتقى مواقع التهم .

---

(٦) زاد المسير : ٦ / ٣٠ .

وقال ابن قتيبة : المتاع : المنفعة . أى ينفعكم ، ويقيكم من الحر والبرد .

تفسير غريب القرآن : ٣٠٣ ، تأويل شكل القرآن من : ٥١٢ .

(٧) أسباب النزول للواحدى : ص ١٨٦ .

تفسير الطبرى : ١٨ / ١١١ .

تفسير ابن كثير : ٦ / ٤٠ .

الدر المنثور : ٥ / ٣٨ .

(٨) أسباب النزول : ص : ١٨٦ ، الدر المنثور ٥ / ٣٨ .

(٩) ذكرهُ السيوطى فى الدر : ٥ / ٤٠ ؛ وذكره الألوسى فى تفسيره : ١٨ / ١٣٦ ؛ والرازى فى الكبير : ٢٣ / ١٩٧ .

قال المفسرون : إن أهل الإفك إنما وجدوا السبيل إلى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة : فصارت كأنها طريق للتهمة . فأوجب الله - تعالى - أن لا يدخل المرء بيت غيره إلا بعد الاستئذان والسلام ؛ لأن فى الدخول على هذا الوجه إيقاع للتهمة ، وفى ذلك من المضرة مالا يخفى(١٠) .

حكمة الاستئذان :

ويتبين لنا فى هذا البحث أن حكمة الاستئذان هى : لتنبيه أهل البيت حتى يتهيئوا لاستقبال الزائر ، وحتى لا يقع نظره على عورة من عورات المسلمين ، تكون سببا فى الوقوع فى جريمة الزنا ومفاسده أو غيرها من الجرائم كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم : « إنما الاستئذان من النظر »(١١) .

والاستئذان خير للمستأذن وأهل البيت كما قال - تعالى :

﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١٢) .

قال الزمخشرى : « ذلكم » أى : الاستئذان والتسلم ، «وخير لكم» من تحية الجاهلية و (الدُّمُورُ) - وهو الدخول بغير إذن - واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب(١٣) .

يقول المودودى : « لقد كان الغرض من الأحكام المذكورة فى بدء السورة أن يتدارك ما يظهر فى المجتمع من المفاسد . وها أن الله تعالى يبدأ فى هذه الآيات سرداً لأحكام ، المقصود من ورائها الحيلولة دون نشوء المفاسد فى المجتمع أصلا واستئصال الأسباب التى تظهر لأجلها مثل هذه المفاسد . وذلك بإصلاح طرق المدنية ، والحياة الاجتماعية .

ويجب أن نكون على ذُكْرٍ من أمرين قبل دراسة هذه الأحكام :

الأول : أن بيان هذه الأحكام بعد ذكر (حادثة الإفك) على الفور يدل على أن نفوذ بهتان سافر على شخصية عالية كزوج الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى المجتمع ما كان إلا نتيجة لوجود وسط شهوانى - بين المنافقين - .

والله تعالى قد اختار أحسن طريق لتغيير هذا الوسط الشهوانى وهو : أن ينهى الناس عن دخول بعضهم بيوت بعض بغير استئناس أهلها ...(١٤) .

ويقول سيّد قطب فى حكمة تشريع الاستئذان :

لقد جعل الله البيوت سكنا ، يفىء إليها الناس ، فتسكن أرواحهم ، وتطمئن نفوسهم ، ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم ، ويلقون أعباء الحذر والحرّ المرهقة للأعصاب ، والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون أمنا لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنه ، وفى الوقت الذى يريدون ، وعلى الحالة التى يحبون أن يلقوا عليها الناس .

ولقد كانوا فى الجاهلية يهجمون هجوما ، فيدخل الزائر البيت ثم يقول : لقد دخلت ! وكان يقع أن يكون صاحب الدار مع أهله فى الحالة التى لا يجوز أن يراهما عليها أحد ، وكان أن يقع أن تكون

---

(١٠) البحر المحيط : لابن حيان ٦ / ٤٤٥ .
التفسير الكبير : للرازى ٢٣ / ١٩٦ .
(١١) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى الاستئذان ، الحديث : ٥١٧٤ ، ٤ / ٣٤٤ .
(١٢) سورة النور : ٢٧ .
(١٣) تفسير الكشاف : ٣ / ٥٩ .
(١٤) تفسير سورة النور : ١٤٢ .

المرأة عارية أو مكشوفة العروة هى أو الرجل ، وكان ذلك يؤذى ويحرج ، ويحرم البيوت أمنها وسكينتها ، كما يعرض النفوس من هنا ومن هناك للفتنة ، حين تقع العين على ما يثير .

من أجل هذا وذاك أدب الله المسلمين بهذا الأدب العالى : أدب الاستئذان على البيوت ، والسلام على أهلها لإيناسهم ، وإزالة الوحشة من نفوسهم قبل الدخول »[١٥]

إن القرآن منهاج حياة فهو ينظم الحياة كلياً وجزئياً ، فالاستئذان جزء هام من الحياة الاجتماعية ، إن الله ـ تعالى ـ قد جعل البيوت حرماً آمنا ، وليس لأحد أى حق أن يستبيح هذه الحرمات .

وعلى المسلم أن يتجنب الاطلاع على عورات البيوت وأهلها ، وهذا لا يمكن إلا باتباع ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية من آداب الاستئذان وكيفية الدخول للبيوت .

ولقد رعاها الذين آمنوا يوم خوطبوا بها أول مرة عند نزول آيات الاستئذان ، وبدأ بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقد نجد اليوم الرجل يهجم على بيت صديقه بدون رعاية الوقت المناسب للزيارة مثل وقت الظهيرة أو فى الليل بعد منتصف الليل أو فى موعد الطعام . ولا يتبع آداب الاستئذان ويظل يطرق الباب مراراً ولا ينصرف أبدا ويزعج أهل البيت حتى يفتح له الباب وقد يكون ـ مع عمله ذلك ـ فى البيت هاتف يمكن أن يستأذن عن طريقه .

يقول أحد العلماء : وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة ، قد تركوا العمل به ، وباب الاستئذان من ذلك ، وليس هناك أى علاج للتخلص من هذا المرض الاجتماعى إلا بالتأدب بآداب الإسلام .

كيفية الاستئذان :

الأعمال المندوبة عند الاستئذان :

من عظمة الشريعة الإسلامية وضبطها للقضايا الإنسانية وإحكامها للمسائل الاجتماعية التى هى بطبيعة الحال صلات قربى ووشائج محبة بين أفراد النوع الإنسانى ، ولن يتحقق هذا أو ذاك إلا بالالتزام بما جاء به خاتم المرسلين فاتباع أولئك يظلل المسلمين بظل الاحترام والصفاء والتقدير ، ويكفل لهم وحدتهم وتآخيهم ، ويؤكد ترابطهم وتعاونهم على البر والتقوى .

ومن هنا يلزمنا فى هذا البحث أن نذكر أهم الأعمال المشروعة حين الاستئذان .

١ ـ استقبال الباب من أحد ركنيه :

فينبغى على المستأذن أيا كان وضع الباب الذى يقصد دخوله ، مفتوحا أو مغلقا ، مكشوفا أو مستورا ، أن يأخذ بأحد ركنيه الأيمن أو الأيسر كيلا يقع بصره من النظرة الأولى على العورات فيؤذى من غيره .

قال ابن كثير : ينبغى للمستأذن على أهل المنزل ألا يقف تلقاء الباب بوجهه ، ولكن ليسكن الباب عن يمينه أو يساره[١٦] ، فعن عبدالله بن بسر ـ رضى الله عنه ـ قال : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ، ويقول : السلام عليكم ! السلام عليكم ! »[١٧] .

(١٥) فى ظلال القرآن : ج ٤ ص ٢٥٠٧ ، ٢٥٠٨ .
(١٦) تفسير ابن كثير : ٦ / ٣٧ .
(١٧) سنن أبى داود ، كتاب الأدب رقم الحديث ٥١٨٦ ، ٤ / ٤٣٨ .

لهذا ندب التجنب والأخذ بأحد ركنى الباب خيفة وقوع النظر على ما يؤثمه أو يحرجه فيقابل بما يسوؤه .

وهذا الأدب الإلهى ينبغى أن نلتزم به فى زماننا هذا ؛ فإن الدُّورَ ولو كانت مغلقة الأبواب ، ولها ستور ، فإن الطارق إذا استقبلها من تلقاء وجهه فإنه قد يقع نظره عند فتح الباب على ما لا يجوز ، أو ما يكره أهل البيت اطلاعه عليه . فعن هزيل : « جاء سعد فوقف على باب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستأذن فقام على الباب ، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هكذا عنك ؟ فإنما الاستئذان من النظر »[18] .

وفى هذا الحديث دلالة على ما ذكرنا من أن المستأذن لا يقف مستقبل الباب خوفا أن يفتح له الباب ، فيرى من أهل المنزل ما لا يحبون أن يراه ، بخلاف ما لو كان الباب عن يمينه أو يساره فإنه وقت فتح الباب لا يرى ما فى داخل البيت .

٢ ـ رعاية حرمات البيوت :

اهتم الإسلام بحفظ حرمات البيوت وصونها عن أن تنتهك بالأبصار ؛ لهذا تراه يحول دون وقوع جريمة الزنا بتحريم النظر إلى محارم الغير وذلك استدامة لرعايتها وحمايتها ممن لا يرون بأسا أو حرجا فى كشفها أو استطلاعها بأى أسلوب يروق لهم .

قال الله ـ تعالى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[19] .

لا يجوز لأحد أن يطلع على دار غيره ، أو يدخل فيها النظر ، بل ولا أن يقرأ رسالته بدون إذنه كما روى عن عبدالله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر فى النار »[20] .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : إن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا دخل البصر فلا إذن له »[21] أى : أن الله ـ تعالى ـ إنما أمر بالاستئذان لئلا ينظر الناس بعضهم فى بيوت بعض .

٣ ـ تعريف المستأذن بنفسه :

يجدر بالمستأذن حين يدق بيت الغير ، ويسأل : من بالباب ؟ أو من الطارق ؟ أن يصرح بما اشتهر به بين الناس من اسم أو كنية .

ويكره أن يكنى عن نفسه بما يشمله وغيره كأن يقول : « أنا » ومن المسلم به لغة أن الضمير ـ مع كونه أعرف المعارف ، إلا أنه يقال على كثيرين ، فكلمة « أنا » صالحة لكل متكلم . لهذا كره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قول الذى أجابه بالتكنية عن نفسه بضمير المتكلم « أنا » .

وعن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ قال : أتيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى دين كان على أبى فدققت الباب ، فقال : من ذا ؟ فقلت : أنا ، فقال : « أنا أنا » كأنه كرهها .[22] .

---

(١٨) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى الاستئذان ، الحديث ٥١٧٤ ، ٤ / ٣٤٤ .

(١٩) النور : ٣٠ .

(٢٠) سنن أبى داود ، كتاب الوتر ، باب النظر فى الدور ، رقم الحديث : ١٠٨٩ ، ٢ / ٥٢٣ .

(٢١) الأدب المفرد : ٢ / ٥٢٣ .

(٢٢) صحيح البخارى ، كتاب الاستئذان ، باب إذا قيل : من ذا فقال : أنا ، ٨ / ٦٨ ؛ صحيح مسلم ، كتاب الآداب ، باب كراهة قول المستأذن : أنا إذا قيل : من هذا؟ : ك٣٨ ، باب ٨ ، ح : ٢١٥٥ ، ٣ / ١٦٩٧ .

وذكر الخطيب – فى جامعه – عن على بن عاصم الواسطى قال : قدمت البصرة فأتيت منزل شعبة ، فدققت عليه الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أنا ، فقال : يا هذا : ما لى صديق يقال له أنا ؟»[٢٣] .

وذكر عن عمر بن شيبة ، حدثنا محمد بن سلام عن أبيه قال : « دققت الباب على عمر بن عبيد فقال لى : من هذا ؟ فقلت : أنا ، قال : لا يعلم الغيب إلا الله[٢٤] .

إذن فالطريق الصحيح للاستئذان أن يصرح المستأذن باسمه أو كنيته المشهورة كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه . روى أبو داود فى سننه أنه إذا أتى النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : « السلام عليك يا رسول الله ! السلام عليكم ، أيدخل عمر ؟ »[٢٥] .

٤ – عدد مرات الاستئذان : (الاستئذان ثلاث) :

لم يترك الإسلام شأن الاستئذان مغفلا فى عَدَدِهِ ؛ بل حدد له مرات ثلاث ، فإذا استنفدها المستأذن ، فلم يؤذن له لزمه الرجوع ، أما إذا أذن له فقد حق له الدخول كما قال الإمام ابن كثير – رحمه الله : « وهذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك فى الاستئذان ، أمرهم أن لا يدخلوا بيوتا حتى يستأنسوا أى : يستأذنوا قبل الدخول ، ويسلموا بعده ، وينبغى أن يستأذن ثلاث مرات فإن أذن له ، وإلا انصرف . »[٢٦] .

وهذا العدد يؤكد فعل الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن أنس – رضى الله عنه : « أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان إذا سلم سلم ثلاثا ، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا »[٢٧] .

وعن أبى موسى الأشعرى – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « إذا استأذن أحدكم ثلاثا ، فلم يؤذن له فليرجع »[٢٨] .

وحكمة ذلك : أن المرة الأولى ربما يكون المانع فيها انشغال أهل البيت ، أو من فيه بمهام حياته ، وأما المرة الثانية ربما يكون هناك من الأمور التى تلهى الإنسان وتصم آذانه ، وأما المرة الثالثة ، إذا لم يؤذن فيها فلعل المستأذن ممن لا يسمح له ولا يرتضيه من فى البيت نزيلا أو ضيفا ، فقد روى عن قتاده – فى قوله – تعالى :

﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا ﴾

قال : « هو الاستئذان ، والاستئذان ثلاث ، فمن لم يؤذن له فيهن فليرجع . أما الأولى : فيسمع الحى ، وأما الثانية : فيأخذوا حذرهم ، وأما الثالثة : فإن شاؤا أذنوا وإن شاؤا ردوه »[٢٩] ..

وقال الإمام الرازى – فى حكمة الاستئذان ثلاثا : « واعلم أن هذا من محاسن الآداب ؛ لأن فى أول مرة ربما منعهم بعض الاشتغال من الإذن ، وفى المرة الثانية ربما كان هناك ما يمنع أو يقتضى المنع ،

---

(٢٣) انظر تفسير ابن كثير ٦ / ٣٨ .

(٢٤) تفسير القرطبى ٦ / ٤٦٠٩ .

(٢٥) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى الرجل يفارق الرجل ، رقم الحديث : ٥٢٠١ ، ٤ / ٣٥١ .

(٢٦) تفسير ابن كثير ٦ / ٣٦ .

(٢٧) صحيح البخارى ، كتاب الاستئذان ، باب التسليم والاستئذان ثلاث ، ٨ / ٦٧ .

(٢٨) صحيح البخارى ، كتاب الاستئذان ، باب التسليم والاستئذان ثلاث ، ٨ / ٦٧ ؛ وصحيح مسلم ، كتاب الآداب ، باب الاستئذان ، ٣ / ١٦٩٤ .

(٢٩) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ، ٥ / ٣٩ .

فإذا لم يجب فى الثالثة يستدل بعدم الإذن . ولذلك يجب فى الاستئذان ثلاثا أن لا يكون متصلا ، بل يكون بين كل واحدة والأخرى وقت » .(٣٠) .

وقال أبو حيان : « أنه لا يزيد على ثلاث ، إلا أن يتحقق أن من فى البيت لم يسمع »(٣١) .

وهذا الذى صرح به أبوحيان ، قد يخالف فى ظاهره ، النصوص الواردة فى تحديد المرات كما أسلفت ، إلا أنه من حيث مضمونه حيث يترتب تحصيل منفعة أو دفع مضرة يحمل إليه فيه نصيحة أو تحذير فهو من القبول بمكان إذ ربما يكون أهل البيت فى شغل شاغل ألهاهم عن طارق أتاهم بأمر هام أو بلاغ لزمه ، وهذا البلاغ متعين عليه إبلاغه إليهم ، وحينئذ يجوز له الزيادة على الثلاث .

وبعد : فالسنة المطهرة شرعت المرات الثلاث بالنصوص ـ التى سبق أن عرضت لها . **كما وأنه بعد انتهاء المرات الثلاث يحسن الرجوع كما فعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين لم يسمع كلام سعد**(٣٢) وهذا لون من الآداب الإسلامية الرفيعة التى من شأنها حماية المستأذن والمستأذن عليه مما ينتقص من كليهما أو أحدهما . وسترا للعورات ، واحتراما للحقوق ، وحفظا للناس بالغيب ، توثيقا للصلات ، وتأكيدا للمودات ، ورعاية للحرمات .

٥ ـ الرجوع عند عدم الإذن :

لا يجوز أن يلح الزائر فى الاستئذان ، أو يلتزم باب الدار إن لم يجد الإذن من صاحبها ، بل عليه أن يستأذن ثلاثا ، فإن لم يؤذن له فعليه الرجوع .

فربما كان فى البيت صاحبه ولم يرد عليه ، أو لم يأذن له أو لم يكن فيها أحد ، وعلى الحالين لا يجوز للزائر أن يدخل ولا أن ينتظر ، ولا يجوز لأحد أن يدخل إلى بيت لا يوجد فيه صاحبه ولو كان الباب مفتوحا كما أشار إليه الإمام القرطبى قائلا : « سواء كان الباب مغلقا أو مفتوحا ؛ لأن الشرع قد أغلقه بالتحريم بالدخول حتى يفتحه الإذن من ربه »(٣٣) .

وقال ابن العربى فى هذا الصدد : « هذا تبيان من الله لإشكال يلوح فى الخاطر ، وهو أن يأتى الرجل إلى منزل لا يجد فيه أحدا فيقول فى نفسه : إذا كانت المنازل خالية فلا إذن ؛ لأنه ليس هنالك محتجب . فيقال له : إن الإذن يفيد معنيين : أحدهما : الدخول على أهل البيت ، والثانى : كشف البيت واطلاعه ، فإن لم يكن هنالك أحد محتجا فالبيت محجوب لما فيه وبما فيه إلا بإذن من ربه »(٣٤) . وهذا مصداق قوله ـ تعالى :

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾(٣٥) .

أى : ارجعوا دون أن تجدوا فى أنفسكم غضاضة ، ودون أن تستشعروا من أهل البيت إساءة لكم أو نفرة منكم .

قال قتادة : « قال بعض المهاجرين لقد طلبت عمرى كله هذه الآية فما أدركتها ، أن أستأذن على بعض إخوانى فيقول لى : ارجع ! أرجع وأنا مغتبط لقوله ـ تعالى :

(٣٠) التفسير الكبير للرازى ، ٢٣ / ١٩٨ .
(٣١) البحر المحيط ، ٦ / ٤٤٦ .
(٣٢) مسند أحمد ، ٣ / ١٣٨ .
(٣٣) تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦١٢ .
(٣٤) أحكام القرآن : ٣ / ١٣٦٢ .
(٣٥) النور : ٢٨ .

﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ ﴾(٣٦)

فإن من حق كل إنسان إذا كان لا يريد مقابلة أحد أن يأبى مقابلته أو يعتذر إليه إن كان مشتغلا بأمر يمنعه من الفراغ لمقابلته . ونفهم من قوله تعالى : ﴿ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ أنه لا يجوز لأحد أن يقف على باب غيره إذا لم يؤذن له بدخوله بيته ؛ بل عليه أن ينصرف ، وليس من حقه أن يكرهه على المقابلة ، أو يزعجه بالوقوف على بابه ؛ لأن رب البيت قد يتأذى بوقوف غيره على بابه .

قال الزمخشرى : « فإذا نهى الزائر عن الإلحاح لأنه يؤدى إلى الكراهية وجب الانتهاء من كل ما يؤدى إليه من قرع الباب بعنف ، والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل فى عادات من لم يتهذب من الناس . »(٣٧) .

وإنما الأدب فى صفة الدق أو ضرب الجرس أن يكون خفيفا قليلا بالقدر الكافى فى الإعلام . وكفى بقصة بنى أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله ـ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(٣٨)

تأويل هذا الأدب العالى الذى يطهر نفوسنا مما فيها من روثات الجاهلية ليتطهروا ، ويحفظ للبيوت حرمتها ، ويجنب أهلها من الحرج الذى كثيرا ما يقعون فيه بسبب عدم التزام كثير من الناس فى أيامنا هذه بآداب الزيارة والاستئذان .

قال الزمخشرى : « وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك »(٣٩) .

فلو عرضنا أخلاقنا الاجتماعية على هذا الميزان لمالت الكفة ولعلمنا علم اليقين كم أوغلنا فى تقاليد الجاهلية ، فكثيرا ما يزورك زائر ثقيل الدم فى أحرج الأوقات ، فيضع يده على جرس المنزل ولا يرفعها حتى تصل أنت بنفسك ، وتفتح له الباب فيقابلك بضحكة عريضة لا تدل إلا على سوء الأدب ، وهو بهذا لا يزعجك وحدك بل يزعج أهل الدار ؛ فإذا دخل أطال الزيارة وعطل عليك عملا كنت قد حبست نفسك لأجله ، أو موعد زيارة كنت تنوى الخروج من أجله أو .... إلخ .

ومن هنا يأتى الشرع الحكيم فيضع الحرج عن صاحب الدار الذى لا يريد مقابلة أحد ، أو لا يستطيع أن يقول للزائر بصريح العبارة : « ارجع ! » ولكن على الزائر أن يتقى الله ربه ، وأن ينصرف فى الحال دون أن يجد فى نفسه غضاضة ، أو يستشعر من أهل البيت إساءة أو نفرة منهم ودون أن يعاتبهم ، أو يقطع صلاته بهم ؛ لأن الرجوع أزكى له « وكان بعض أهل العلم يتمنى إذا استأذن على بعض أصدقائه أن يقولوا له : ارجع ! ارجع ، فيحصل له فضل الرجوع المذكور فى قوله ـ تعالى : ﴿ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ . لأن ما قال الله أنه أزكى لنا . لا شك أن لنا فيه خيرا وأجرا . »(٤٠) .

والله الهادى إلى سواء السبيل .

---

(٣٦) تفسير الطبرى : ٨ / ١١٣ .
(٣٧) تفسير الكشاف : ٣ / ٦٠ .
(٣٨) الحجرات : ٤ .
(٣٩) الكشاف : ٣ / ٥٩ .
(٤٠) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن : ٦ / ١٨٠ .

التجويد بين العامة والخاصة

لفضيلة الشيخ / عبدالعظيم الخياط •

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .... وبعد

فيظن كثير من عامة الناس (ومعهم بعض المثقفين ثقافة غربية حديثة النائين بأنفسهم عن الثقافة الإسلامية وهم أحوج ما يكون إليها . يظن هؤلاء جميعاً) أن المقصود بتجويد القرآن الكريم هو الترنم به وتوقيعه على أصول الألحان من غير نظر إلى أحكام تلاوته التى أخذت من صفة قراءة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتى رويت عنه بالسند الصحيح والطريق المتواتر ، ولا شك أن هذا ظن خاطىء لمفهوم التجويد ناشىء عن أمرين كلاهما بعيد عما يجب أن تكون عليه تلاوة القرآن الكريم .

أولهما : عدم العلم بسيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسنته الصحيحة . ومنها صفة قراءته للقرآن الكريم التى نقلها عنه صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ وقرءوا بها وأقرءوا التابعين بها كما سمعوها من فِيهِ الشريف ، وقرأ بها التابعون ، وأقرءوا بها من بعدهم كما سمعوها من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وهكذا قرىء بها وأُقْرِأ بها جيل بعد جيل حتى وصلت إلينا مجودة محكمة محفوظة من التحريف والتغيير كحفظ القرآن الكريم نفسه .

ثانيهما : عدم العلم باللغة العربية الفصحى ؛ لأن التجويد معناه فى اللغة : التحسين ، يقال : جود الشيء إذا حسنه وأتى به على أكمل ما يكون من الجودة والحسن .

وليست قراءة القرآن الكريم بالنغمات الغنائية ـ المجردة من أحكام التلاوة الصحيحة أو الخارجة عنها ـ ليست مثل هذه القراءة تحسيناً للقرآن الكريم ، بل هى على العكس من ذلك : مسخ وتشويه له وذهاب بقدسيته وجلاله ، ونزول به من أعلى منازل الرفعة والإجلال إلى مستوى الغناء والألحان التى تلهى عن ذكر الله تعالى ـ وعن الصلاة ، وتبعث فى النفس نوازع النزوات والشهوات .. التى من شأنها أن تقسى القلب فلا ينتفع بنور القرآن الكريم ولا يتدبر فى أحكامه ولا

• شيخ مقرأة سيدى أحمد الدرديرى .

يتعظ بعظاته ، وبالجملة فهى تبعد الإنسان عن ساحة الرحمن وتجعله مرتعا خصبا لوساوس الشيطان وحاشا للقرآن الكريم ـ المتعبد بتلاوته ، والذى أنزله الله نورا ورحمة وهداية للعالمين ـ أن تكون قراءته داعية لمثل ذلك اللهو واللعب والمجون .

إن الصوت الحسن نعمة جليلة من نعم الله لا ينكرها إلا جاحد فإذا استعملها صاحبها فيما خلقت له مما يرضى الله ورسوله فقد أدى شكرها ، واستحق رضى الله ــ تعالى ــ والفوز بسعادتى الدنيا والآخرة .

ومن أهم استعمالها فى ذلك قراءة القرآن على الوجه الصحيح الذى يحفظ للقرآن الكريم جلاله ، ويدعو السامع إلى الإنصات والتدبر والتأثر بالقرآن الكريم والانتفاع به .

نعم ، إذا كان حسن الصوت والترنم بالقرآن الكريم محاطا إحاطة تامة بأحكام التلاوة الصحيحة لا يخرج عنها فى قليل أو كثير ولا ينحدر بها إلى حركات تلحينية ماجنة لا تتفق وجلال القرآن الكريم وقدسيته وتخرج بالقارىء عن مراعاة الأدب والخشوع .

أقول : نعم إذا كانت القراءة بالصوت الحسن بهذه الصفة المذكورة فنعمت القراءة إذن ، ونعم القارىء بها ، ونعم السامع لها . فالكل متأدب وصفهم الله بقوله :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ سورة الأنفال

وقد ثبت فى السنة الصحيحة أن رسول الله ﷺ حث على قراءة القرآن الكريم بالصوت الحسن . فقد ورد فى سنن النسائى وأبى داود عن البراء أن رسول الله ﷺ قال (زينوا القرآن بأصواتكم) وقد علمت مما سبق كيف يكون تزيين القرآن وتحسينه ، كذلك ورد فى سنن أبى داود ـ أيضا ـ أن رسول الله ﷺ استمع إلى أبى موسى الأشعرى ــ وهو يقرأ القرآن ، وكان حسن الصوت ، ولا يعلم أن النبى يستمع إليه ــ فلما أبلغه الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ بذلك وقال له : (لقد أعطيت مزمارا من مزامير داود) قال ــ رضى الله عنه : (لو أعلم أنك تستمع إلى قراءتى لحبرتها لك تحبيرا) أى لبالغت فى تزيينها وتحسينها . وسكت الرسول ﷺ فكان ذلك دليلا على إقراره .

أما إذا كان صاحب الصوت الحسن الذى يقرأ به القرآن الكريم لا يتقيد بأحكام التلاوة الصحيحة ولا يخشع قلبه لذكر الله ولا يتدبر فى معانى القرآن الكريم وكل همه هو الإعجاب بنفسه وإظهار مقدرته الفنية فى الألحان وإرضاء نفسه وهواه وسامعيه ممن لا يهتمون مثله إلا بالاستماع إلى الصوت الحسن والموسيقى أقول : إذا كان هذا القارىء كذلك فهو ــ والمعجبون به ــ من المغضوب عليهم الذين حذرنا رسول الله ﷺ من أن نقرأ بقراءتهم ونلحن القرآن ، فقال فى حديثه الشريف (اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل العشق ، ولحون أهل الكتابين ، وسيجىء بعدى قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم ، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم) نوادر الأصول عن حذيفة وأبى داود .

ومثل هؤلاء القراء الذين لم يستعملوا نعمة الله

من حسن الصوت فيما خلقت من أجله ، وفيما يرضى الله ـــ تعالى ـــ بل قابلوا النعمة بالجحود ، ومحاربة المنعم . أقول : مثل هؤلاء معرضون فى الدنيا لسلب هذه النعمة وغيرها ، وأمرهم فى الآخرة موكول إلى ربهم : إن شاء عذبهم ، وإن شاء عفا عنهم نعوذ بالله ـــ تعالى ـــ ونبرأ إليه من كل شر .

هذا هو مفهوم التجويد عند العامة ومن يوافقهم وقد علمت خطأ هذا المفهوم وما يترتب عليه من فتنة وفساد كبير .

أما مفهومه عند الخاصة ـ وأقصد بهم العلماء الذين درسوا الشريعة الإسلامية ، وأحاطوا بالسنة الشريفة ، وعرفوا للقرآن الكريم قدره وفهموا قول الله ـ تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ . سورة البقرة

وعرفوا كذلك صفة قراءة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما رويت عنه بالسند الصحيح ، والطريق المتواتر . أقول : إن مفهوم التجويد عند هؤلاء يختلف اختلافا جذريا عن مفهومه عند سابقيهم . إذ هو عندهم المبالغة فى تحسين لفظ القرآن الكريم لفظا عربيا غير ذى عوج وإيصاله إلى السامع بطريقة تقرع سمعه ، وتنبه عقله ، وتؤثر فى قلبه ، وتصفى روحه ، وتزكى نفسه فيقبل على الله بقلب خاشع ، ونفس مطمئنة وروح صافية شفافة وعند ذلك يزداد إيمانا إلى إيمانه ، ويسعد بنعيم الله ورضوانه . هذه هى الطريقة المثلى لقراءة القرآن الكريم : إخراج كل حرف من مخرجه وإعطاؤه حقه من الصفات الثابتة له كالاستعلاء والاستفال ، وإعطاؤه مستحقه من الصفات الناشئة عن هذه الصفات الثابتة كتفخيم المستعلى ، وترقيق المستفل ، وغَنُّ ما يجب غَنُّه ، ومد ما يجب مده ، وقصر ما يجب قصره وإظهار ما يجب إظهاره ، وإدغام ما يجب إدغامه ، وإخفاء ما يجب إخفاءه .. إلى غير ذلك من أحكام التلاوة الصحيحة المدونة فى كتب التجويد والقراءات ، والمنتشرة فى جميع أقطار البلاد الإسلامية . ولابد من أن يصحب هذه الصناعة اللفظية للقراءة بالنسبة للقارىء نفسه قلب خاشع متأثر بالقرآن الكريم حتى تكون فى قراءته (مغناطيسية روحية) تنتقل منه إلى السامع فتجذبه جذبا قويا إلى القرآن الكريم ، وتفعل فيه فعل النور فى الظلام . فلا ينتقل من مكانه إلا وقد هداه الله ـــ سبحانه ـــ بعد الضلال إن كان ممن أغواهم الشيطان وأبعدهم عن ساحة الرحمن ، أو ازداد إيمانه إيمانا إن كان ممن هداهم الله ، وأسبغ عليهم من نعمته وتوفيقه ورضوانه .

هذا هو مفهوم التجويد للقرآن الكريم عند الخاصة وهو المفهوم الذى يتفق مع قراءة رسول الله ﷺ الثابتة عنه بالسند الصحيح والطريق المتواتر كما ذكرت سابقا . وهو كذلك المفهوم الذى يتفق مع المعنى اللغوى العربى للتجويد .

أما مفهومه عند العامة ومن يوافقهم فهو مفهوم خاطىء لا تقره سنة صحيحة ، ولا يسنده معنى لغوى عربى .

ولعلى فى هذه العجالة أكون قد أوضحت أمرا هاما كان يفهمه كثير من الناس على غير وجهه الصحيح ، وأسأل الله العلى القدير أن يجعلنا ممن يتلون كتابه حق تلاوته . وممن إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون . هذا وبالله التوفيق .

قبس من أنوار النبوة

ظلم النفس أو الغير .. ظلمات

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : « سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضادَّ الله – عز وجل – ومن خاصم فى الباطل – وهو يعلم – لم يزل فى سخط الله حتى ينزع ، ومن قال فى مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغه الخبال حتى يخرج مما قال .. » .

رواه أحمد وأبو داود .

المفردات :

حالت : منعت – الشفاعة : التوسل والوساطة فى الخير ، وهى هنا فى الشر – حد : عقوبة واجبة – ضاد الله : عاداه – ينزع : يترك – الردغة : الوحل الكثير – الخبال : صديد أهل النار – يخرج مما قال : يتخلص منه .

البيـــان :

إن الإسلام الذى ارتضاه الله – سبحانه – دينا لعباده يهدى للتى هى أقوم ، ويعمل على تحقيق الخير والاستقرار فى حياة المجتمع ، ويحرص كل الحرص على تصحيح خط سير الإنسان فى هذه الحياة ليجعلها حياة مثمرة ، آمنة مستقرة ، ويقف بالمرصاد لانحراف الناس عن هذه القاعدة ، واندفاعهم وراء شهواتهم وأغراضهم ، وما يجره ذلك على الفرد والمجتمع من اختلال الأعمال وضياع المصالح والأوقات . بل نجد فى تعاليم هذا الدين الدعوة الصريحة إلى تحقيق مجتمع الحق والعدل والكفاءة فى كل ما يقررون أو يعملون . ليطمئن الناس على حقوقهم ، وينصرفوا إلى أعمالهم ، ويستريحوا من كثرة الشفاعات والوساطات التى تنافى

العدل ، وتصد العقاب عن الجانى حتى تتحقق سيادة العدل ، وقد علمنا ذلك أمراً واقعا فى حادثة أيام الرسول ﷺ وتركت لنا إنذارا وتوجيها وقدوة نحن فى أشد الحاجة إلى أن نعيها جميعا : فقد سرقت امرأة تنتسب إلى إحدى القبائل العريقة ، فَتَجَمَّعَ كبار رجالها ، يفكرون فى مصيرها حين يطبق الرسول - ﷺ - أمر الله عليها ، وما يلحقهم من عار . وهداهم تفكيرهم - وهم يبحثون عن وسيط يشفع لها عند رسول الله ، كى يعفيها من قانون الله - إلى شاب حبيب إلى الرسول - ﷺ - وهو أسامة بن زيد ابن حارثة حب رسول الله وابن حب رسول الله - ﷺ - وذهب أسامة بحسن نية يشفع عند الرسول عليه الصلاة والسلام ، فغضب الرسول غضبا شديدا وقال : « أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » ثم يأتى بعد هذا الإنذار الحاسم لإقامة الحق والعدل حيث يقول الرسول ﷺ : « والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » . قول فصل لا يترك مجالا لأحد أن يفتح فمه بشفاعة فيها تعطيل لقانون الله - تعالى .. إذ معنى تعطيله إزهاق الحق وتأكيد للظلم ، وفى ذلك ما يصيب المجتمع بالتفكك ويشيع اليأس والإحباط .

من أجل هذا كان الشفيع الذى يحمى المجرم عدواً لله فى ملكه .

كذلك من صور الظلم ما يتمثل فى الاعتداء على حقوق العباد والمخاصمة بالباطل لسلبهم ما يملكون .

إن من يخاصم فى باطل عامدا مع علمه بأنه باطل يستحق غضب الله حتى يترك ما هو فيه ، لأن المجتمع الذى لا يطمئن فيه الإنسان على حقه ، ولا يسود فيه الأمن ولا تنتشر فيه الثقة يتفكك وتنتشر فيه الريبة والفشل . وفوق هذا غضب الله تعالى وسخطه - نعوذ بالله .

ثم تأتى قضية ثالثة فى حديث الباب وهى تتمثل فى تلويث الشرف وتجريح الأعراض ، وتشويه سيرة الناس بالباطل . ومن كان كذلك استحق غضب الله الذى ينزله الدرك الأسفل من النار حيث صديد جهنم يلوثه ، كما كان يلوث شرف المؤمنين بالباطل وفى الكتاب العزيز :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

هذا هو الإسلام فى تعاليمه لإقامة الحق والعدل ، وحفظ الحقوق وصيانة الأعراض ، والحفاظ على مكارم الأخلاق . حتى تسود المحبة والمودة بين المسلمين .

إن من يشفع فى حد أو يخاصم فى باطل أو يقول فى مؤمن ما ليس فيه ظالم لنفسه بتعريضها لغضب الله ، وظالم لغيره بضياع حقه ، وظالم للمجتمع بتعريضه للضياع والتفكك والانحلال ، ونشر العداوة والتفرق والبغضاء .

وصدق رسول الله ﷺ : حيث يقول - فيما رواه الطبرانى فى الأوسط - عن أبى هريرة قال:قال رسول الله - ﷺ « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى ملكه ، ومن أعان على خصومة لا يعلم أحق أو باطل فهو فى سخط الله حتى ينزع ، ومن مشى مع قوم يرى أنه شاهد وليس بشاهد فهو كشاهد زور ، ومن يحكم كاذبا كلف أن يعقد بين طرفى شعرة ، وسباب المسلم فسوق وقتاله كفر . هدانا الله سواء السبيل .

أدب الصـــحبة

لفضيلة الشيخ / مصطفى الشيخ*

الصحبة والرفقة : معاشرة وخلطة وامتزاج ، وهى ضرورة من ضرورات الإنسان ، ولازمة من لوازم إنسانيته ، بها ينتظم فى سلك أفراد نوعه انتظاماً جِبّلياً يرتكز على فطرته ، ويقوم على ماطُبع عليه ، ومارُكّب فيه ، وما قُدر له . قال ـ تعالى ـ فى سورة الحجرات :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾

والإنسان ـ فرداً ـ لايستطيع الحياة ـ منعزلًا ـ ، بل لابد لبقائه واستمرار حياته من الاجتماع بأفراد نوعه ؛ يتعلّم منهم ويعلمهم ، يخدمونه ويخدمهم ، يأنسون به ويأنس بهم .

الناس للناس من بدْو وحاضرة
بعضٌ لبعض وإن لم يشعروا ــ خدم

والإنسان مجبول بطبعه على طلب الرفيق والصاحب ؛ تدفعه إليه حاجته من جميع أقطارها : النفسية والعقلية والقلبية ، والعضوية المادية ، يطلبه ويُلِحُّ فى طلبه مضطراً ؛ لتحصيل أموره وتوفير شئونه يقضيها ، أو يفكر معه فيها ، يشاوره فيما يُهِمّ وفيما يُلِمّ ، والصديق ينعطف إلى الصديق ؛ يأتمنه على السّر ، ويطلب منه الرأى ويفاوضه فيه ، ويشكو إليه حاله ، ويجُد عنده عزاءه وسلوانه ، كما يجد عنده هناءه وبشره ، ويسترشد به دليلًا إلى أقرب السبل وأيسرها

(*) مفتش العلوم العربية بالأزهر

وصولًا إلى غاية أو إفضاء إلى نهاية تجلب خيراً أو تدفع ضراً .

والمرء يطلب فى الصديق أصولًا من الأخلاق سداها الحب ولحمتها الود يطلب فيه المكارم من الشيم ، وهى مجامع الإحسان وجوامع الاطمئنان والأمان ، يطلب الصدق والوفاء والشهامة والنبل والنجدة والأمانة ، والبصر بالأمور ورؤية عواقبها .

وإذا حصل المرء على مطلوبه ـ خلقاً وسلوكاً ـ فى رفيقه وصديقه فقد خَفَّ حمله ، وهانت عليه أموره ، وانكشفت وحشته ، وذهب خوفه ، واطمأنت نفسه : يقوى بعد ضعف ، ويعلم بعد جهل ، ويُقدم بعد إحجام ، ويقبل ـ مستأنفاً حياته ـ راضياً غير ساخط ، مستيقناً غير متردد ولا شاك .

وقد عرفت الحياة العربية قيمة الرفيق ومنزلة الصديق ؛ فوجَّهت النظر إلى انتخابه ، وجاءت حكمتهم : « الرفيق قبل الطريق ، والجار قبل الدار » وارتضته كريماً لاينزع إلى دناءة شريفاً لا يُلِمُّ بصغار ، ولا يتعاطى من الطباع إلا ما هو كريم شريف ـ عرفت ذلك فرفعت لواء النجدة والشهامة والكرم واستجاب الصريخ للصريخ ، وهتفت فى كل ناد بالمروءة والإحسان ، ورفيع الأخلاق ، وذمت وأنكرت النكوص عما يجلب العز ويحصِّل الهيبة والوقار ، وانطبعت علائق الأفراد فى القبيلة ، والقبيلة مع القبائل على إعلاء الشرف والكرامة دربا مسلوكاً وناموساً متبعاً متواضعاً عليه من الجميع تتغنى به النوادى وتقضى به الحكومات فصلًا فى الأقضية ودعوة إلى الحق ، ونشراً للفضيلة وإقراراً للأمان .

كان ذلك فى الحياة العربية ـ قبل الإسلام ـ قانوناً ونظاماً وعرفاً مألوفاً يعصم من التفكك ويصون من الضياع والتبدد ، وأصلًا تنهض به مظاهر الهيبة وعلائم التقدير ، من تخلف عنها فقد حكم على نفسه بالنبذ والطرد والهوان ، ورضى لها زوايا النسيان .

وبزغت شمس الإسلام فى البيئة العربية ترسل أشعتها على الأخلاق الطيبة الكريمة تؤكد حسنها وتدعو إلى التحلى بها موضحة وكاشفة ثمارها ونفعها فى الدنيا والآخرة ، تربط بينها وبين الإيمان .

فليس مؤمناً من بات شبعان وجاره جائع .

وليس مؤمناً من استبقى الحياة ـ جبناً ـ فتولى يوم الزحف .

وليس مؤمناً من لم ينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً .

وليس مؤمناً من ظلم الغير أو ضيَّع الحق .

وليس مؤمناً من خان أمانة أو غدر فى عهد ؛ إذ ليس من الإيمان الإفساد فى الأرض .

وصارت الأخلاق العربية الكريمة ـ بالإسلام ـ ديناً يثاب المسلم عليه ، ويُسْأل أمام الله ـ تعالى ـ عنه .

وكما ارتبطت المكارم بالإيمان فقد ارتبطت كذلك بالعبادة .

قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾

[سورة فاطر الآية ١٠]

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ

وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

[سورة العنكبوت الآية ٤٥]

وجميع العبادات من شهادة العبد لله بالتوحيد ولمحمد ﷺ بالنبوة والرسالة ومن صلاة وزكاة وصيام وحج لا تلقى القبول عند الله ـ تعالى ـ إلا إذا طهَّرت العابدين وأدّوها ـ وهم طاهرون من الآفات القلبية والرداءات الخلقية جاء ذلك فى الكثير من الآيات القرآنية والسنة النبوية .

ومكارم الأخلاق عند المسلمين من مظاهر الثمرات الطيبة للعبادة المخلصة لله رب العالمين .

وارتبط الأمن فى المجتمع الإسلامى بالمكارم ؛ فلا يعشش الأمن ولا يستقر السلام إلا حيث يكون العدل والنصفة والإيثار والعفاف والعفو والصفح ، وإلا إذا وضع كل شيء فى موضعه بحكمة ، ولا اطمئنان ، ولا استقرار إلا إذا ضُرِبَتْ أيدى المفسدين ، وضُيِّقَت الأرض بمنافذها ومناكبها على المجرمين ، وإلا إذا أخذ بخناق الماكرين من العابثين

وفى جو التقوى لله ـ تعالى ـ والخوف منه تظهر بركات المكارم فى المعاملات فلا غش ولا خداع ولا تلبيس ولا تدليس ؛ لأن الله ـ تعالى ـ مطلع وهو الرقيب ، وهنا يطمئن الناس ويسعدون وتهون المتاعب وتسهل المصاعب ، وييسر الله كل عسير ، ويقوِّم كل معوج ، ويليِّن كل عصى ، ويطوّع كل أبىّ ، وتنهض الحياة وتعمر الأرض ببركات الله فى دائرة الحب فيه ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

سورة آل عمران

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عنه ابو هريرة ـ رضى الله عنه ـ : « ألا أخبركم بخيركم من شركم ؟ : خيركم من يُرْجَى خيره ويؤمن شره ، وشركم من لايُرْجَى خيره ولا يُؤْمَنُ شره »[1] .

والأحاسِنُ من الناس أخلاقاً الموطئون أكنافاً الخافضون أجنحتهم من الذل رحمة وشفقة وتواضعاً ؛ كبراء عند الله ـ تعالى ـ وأحبهم إلى رسوله محمد ﷺ وأقربهم منه مجالس يوم القيامة مرضياً عنهم ومنعماً عليهم .

لقد اهتم الإسلام بأخلاق وآداب الصحبة ، وأولاها العناية البالغة من حيث التأثير والتأثر ، ومن حيث النتائج والثمرات ، وأقامها على دعائم الإيمان ثابتة باقية ؛ لأنها من أعمال الجنة فى الآخرة وجعل عناصرها وأفرادها دائرة فى فلك الحب فى الله ـ تعالى ـ وحب رسوله محمد ﷺ بطاعة الله فيما بلَّغ عنه رسوله مع الامتثال لأمر الله ونهيه فيما يتعلق بها ، وجعل الإحسان وهو : البرُّ البالغُ والرحمة العامة ـ مطلوباً للشرع ومقصوداً للدين يتمكن به الود ـ ويتثبت به الحب بين المسلمين ـ جعله دائراً مع الحياة فى كل نواحيها وجوانبها ودائراً مع العلاقات الإنسانية العامة والخاصة ، ونَفَّر من الإساءة بالميل إلى الهوى واتبـاع الشهوات ـ نَفَّر من الخيلاء والْعُجْب والكبر والآفات الخلقية من حسد وحقد وبخل وطمع وعدوان وغير ذلك من بضاعات الشيطان

(١) رواه أحمد فى مسنده والترمذى وابن حيان وهو حديث حسن .

الرخيصة ووسائله الخسيسة يَرَوّجها ويضل بها الناس عن طريق الهدى والحق ، ويخرجهم بها من النور إلى الظلمات يفسد ذات بينهم فيلوث الصحبة ويهتك اللحمة فيحصل النِّفار ، ويجرى فى الناس الخراب والبوار .

قال تعالى :

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾

سورة النساء

وقال ــ سبحانه :

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾

سورة الإسراء

وقال فى سورة فاطر الاية (٦) :

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ .

فلينظر الناظر فى هذه الآيات وأمثالها من كتاب الله ــ تعالى ؛ ليكون على بصيرة ، فقد أمر الله ــ تعالى ــ العباد أمراً مؤكداً بالإحسان ــ على إطلاق وشمول ــ بعد أمره بعبادته وحده لاشريك له ، أمرهم بالإحسان لمن وجبت نفقته ولمن لم تجب ، فمن لزمت نفقته وجب بره بالإحسان إليه وعدم المنّ عليه وتجنب إيذائه ، ومن لم تلزم نفقته حَسُنَ بِرُّه كذلك بالإحسان إليه بخفض الجناح والتواضع له ومواساته وإيناسه :

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾

سورة البقرة

ونبه ــ سبحانه وتعالى ــ إلى السبب فى فساد الفطر مع تنبيهه إلى سخطه وبغضه ــ تعالى ــ لمن تلبس به وتخلق بقوله :

﴿ إن الله لايحب من كان مختالاً فخوراً ﴾

ليعلم أن الإحسان مفتاحه كمال الإيمان مع التواضع والانكسار ، وأن الأذى والإساءة فى مَعِيَّة الاختيال والافتخار والسبب : عفونة الطبع وارتكاس الجِبلَّة ، والمختال المفاخر حريص على استبقاء خيلائه وفخره ؛ لأنه شيطان فى النفس يستبقى عناصر وجوده فيها ــ يحرص على المال يشح به.عن المروءات وتنبسط به فيما يكون فيه الظهور والخيلاء ، إنه لا يعرف الطريق إلى وصل الأرحام ولا الرحمة بالأيتام ولا يُغيث ملهوفاً ولا يعين بائساً ولايرحم فقيراً ــ لا خير فيه ولا مروءة عنده تحجّر قلبه وماتت إنسانيته وتخاذلت همته وامتطاه الشيطان ، فسقطت عند الله وعند الخلق كرامته وهيبته ، يكتم فضل الله ونعمته ويعيش أسير هواه عبداً لذاته ــ والله غنى حليم ، ولو كان عاقلًا لبسط يده بالخير من رزق الله على عباد الله ،

لكنه المحجوب المحروم من هذا الفضل ، والله به وبأمثاله عليم ، والله طيّب لا يقبل إلا طيبا ، وكـريم يحب كل كريم ، والمراءون بصدقـاتهم يبتغون بها الثنـاء والتمدح عنـد النـاس بطلت صدقاتهم وحبطت أعمالهم لارتكانهم إلى المخاليق يصرفـون وجوههـم إليهم وهـــم لاينفعـــون ولايضرون ، والشيطـان يزيـن لهم فيهم النفـع والضر ، وقد اتخذوه قرينا وساء قرينا ، إن صحبته تفضى إلى دمار وتسحب صاحبه إلى النار وبئس القرار .

إن الإحسان محبوب إلى القلوب حبّب فيه الإسلام على كل حال وكتبه الله فى كل شىء وإلى كل شىء حتى فى الذبح والقتل الذى هو إنهاء الحياة فما بالك به مع وجود الحياة .

أحْسِنْ إلى الناس تستعبْد قلوبهم
فطـالما استعبـد الإنسانَ إحسانُ

يقول ﷺ فيما يرويه عنه ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ : « جُبِلَت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها »[٢] .

ارحـمْ أخــىَّ عبـــاد الله كلهـــم
وانظرْ إليهم بعين العطـف والشفقـة
وَقـرْ كبيرهـم وارحـــمْ صغيرهـــم
وراع فى كل وجهٍ وجهَ من خلقـه

وإحسان الصحبة فى الله عصمة من الشيطان ، وعون على طاعة الرحمن ، وسبيـل الـود بين المؤمنين :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [سورة مريم]

والصحبة فى الله توجب ــ إحسانـاً ــ على الصاحب أن : يستر العورة ويسد الخلة ويغفر الزلة ويرعى الحقوق ويلزم الأدب ويفيض بالرحمة : يبسط اليد ويبذل النفس ، ينأى عن التنفير والتكدير يجتنب الأذى والعدوان رعاية لحق الله فى الصاحب لايستحـل حرمـة ، ولايجتـرىء على اقتراف مأثمة ــ قال ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾

سورة الأحزاب

وبعد : فإن الأدب الإسلامى فى الصحبة ركيزة الطهر فى النفوس وأساس لعصمة الأمن فى المجتمع وقوام الطريق إلى النهوض والتقدم دنيا وأخرى ، لاتُعرف فيه عفونة ولاخبث ولا دهاء ولا مكر ولارياء ولا نفعيَّة مقيتة ــ إنه الوفاء لايغدر ، والأمانة لاتخون ، والصدق لايكذب .

وقد وجب أن ينتبه المسلمون إلى ما كلَّفهم به دينهم من أدب الصحبة وأن يطهروا أخلاقهم وأخلاق ذويهم وأهليهم وأن يرفعوا راية الفضيلة فى بيوتهم ونواديهم ومجالسهم وأسواقهم وجميع مجالات أعمالهم ، وأن يجتنبوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ، وأن يستصحبوا الأدب الإسلامى فى تعاملهم ومنافعهم وأن يذكروا الله فى نعمه ــ وكم لله من نعم ــ حتى تدوم .

إذا كنت فى نعمـــة فارعهـــا
فإن المعــاصى تزيـــل النّعـــم

(٢) رواه ابن عدى فى الكامل ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الإيمان ــ الجامع الصغير .

وداوم عليها بذكـــــر الإلـــــه

فإن الإلـــــه سريـــــع النقـــــم

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ربَّى صغيراً حتى يقـول : لا إلـه إلا الله لم يحاسبه الله » رواه الطبرانى .

وقال ﷺ : « الزموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم » . رواه ابن ماجه .

فهل للمسلمين ـ فى هذا العصر ـ وقد نصب الشيطان شباكه فى كل طريق يصطاد المرضى فى قلوبهم والمهزومين بشهـواتهم ، وافتتـن النـاس بألوان الفتن فخانوا وغدروا وكذبوا وظلمـوا واتبعوا أهواءهم ..

هل لهم أن يعودوا فيسلكوا درب السلامة ، وبأيديهم أن يرتقوا وينهضوا إذا طبعوا حياتهم بأساليب المحامد المحمدية لأنفسهم وأهـليهم والناشىء من بناتهم وبنيهم على مكارم الأخلاق والآداب فيعرف المسلم طريقه إلى من يصاحب ويخالل ومن يجانب ويفارق وتعرف الأمة من تخالط وتمازج ومن تهجر وتباعد .

هل لنـا ـ ياقومنـا ـ والشيطـان ـ هكـذا سبيله ـ يتربص بنا ، يغزل ويفتل وينسج من حبائله لنا .

هل لنا أن نصطحب الهدى والخير والنور وأن نعود إلى ماكان عليه أسلافنا وأجدادنا من أدب شريف ، وطبع كريم ، ودين عاصم وغيرة على الفضيلة ؟!

إن التجارة فى الأغذيـة الفـاسدة مرفـوضة محظورة ؛ لأنها تدمر الأجساد وتـنشر الأوبئـة والأمراض التى تفزع الناس ، ومن أجلها تقوم حملات التفتيش تقبض على أصحـابها وتحكـم بإعدامها لعدم صلاحيتها .

فهل أغذية قلوبنا وعقولنا وتربيتنا وآدابنا أهون علينا من أغذية بطوننا وأقوات أجسادنا حتى تُترك بلا فحص ، وتُعرض بلا تنقية ومراجعة ، ولا تنهض لها حملات تفتيش تحكم بإعدام الفاسد منها وتحاكم المروّج لها والمتعاطى لتجارتها .

إن الـواجب الإسلامـى والعـربى والقومـى والوطنى يحتم على كل المسلمين فى الأرض أن يميزوا الخبيث من الطيب والغث من السمين من هذه الأغذية حماية للدين ورعاية للوطن ودفعاً للأمة إلى أسباب النصر والقوة . عليهم أن يفتشوا وسائل الإعلام بكل ألوانها وأن يفتشوا الوافد من أخلاق الآخرين وعوائدهم وعقائدهم .

هل من رقيب غيور فى كل وطن إسلامى يحمى الشرف والفضيلـة بإصدار أحكـــام تكـــبت الضلال ، وتحبس الشر ، وتقبّح الفواحش .

هل لهم فى رقيب غيور يواجه من غمز أو لمز قُدساً من أقداسنا ، أومسّ أساس حياتنا وحيائنا .

إن المقـدَّم المعـروض فى الأسواق من هذه الأغذية كثير رائج وهو سم قاتل فليكن الرقيب يقظاً ، وليضرب على أيدى العابثين والخلعاء من الشياطين ، وليعمل عملاً صالحاً تسلم به أرواحنا وتصح به أخلاقنا وتأمن به معايشنا ونلقى به عند الله فى الآخرة القبول .

يا بارىء الـــذوات والصفـــــات

يارب سلِّمنـــــــــا من الآفات

اللهـم إنك أنت المأمـول ، وأنت أكـــرم مسئول .

والله من وراء القصد وهـو حسبنـا ونعـم الوكيل .

خطاب الرئيس عزت بيجوفيتش في احتفال توزيع جائزة فيصل بالقاهـــرة

(٢٠ شعبان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥/١/٢١)

فخامة الرئيس مبارك .... السادة الضيوف .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إنه لمن دواعى فخرى وسعادتى أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير لفخامة الرئيس مبارك لاستضافته لهذا المؤتمر على أرض الكنانة التى حباها الله - سبحانه وتعالى - بأزهرها الشريف ، منارة العلم والمعرفة الإسلامية ، ومصدر اعتزاز المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها على مدار أكثر من ألف عام ، وأتقدم بعظيم شكرى وتقديرى لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ، وإلى صاحب السمو الملكى الأمير خالد رئيس جائزة الملك فيصل العالمية .

وأنتهز تلك المناسبة السعيدة لأنقل إليكم تحيات شعب البوسنة والهرسك ، هذا الشعب المسالم الذى يتعرض لحملة تصفية وإبادة عرقية لم يعرف التاريخ لها مثيلًا ، وعلى الرغم من شدة المصاب إلا أننى لن أتكلم عن هذه الجراح التى تنزف بغزارة ، ولكننى أكتفى بالقول فقط أنه بفضل المولى - عز وجل - استطاع هذا الشعب المناضل - عن دينه وعرضه - الصمود الأسطورى أمام قوى البغى العالمية لأكثر من ثلاث سنوات ، وعلى الرغم من الخسارة الفادحة التى تكبدناها فى الممتلكات والأرواح ، إلا أن الأعداء لم يتمكنوا من إخماد روح المقاومة فى نفوس ووجدان هذا الشعب البطل الذى تأججت روح المقاومة فى نفسه دفاعاً عن تراب وطنه وعرضه ، أو استشهاداً فى سبيل الله .

وأفضل أن أتكلم اليوم عن الإسلام والحضارة العربية ، ومع أننى لست متخصصاً فى هذا الميدان إلا أننى أود أن أدلى بخواطرى فى هذا الصدد .

وأستهل هذا الموضوع بإلقاء نظرة تاريخية موجزة : فعقب وفاة الرسول ﷺ فى عام ٦٢٣م ، قام الخلفاء الراشدون من بعده بنشر رسالة الإسلام من الحدود المطلة على المحيط الأطلنطى حتى حدود الصين فى غضون مائة عام فقط ؛ فمثلًا تم فتح سوريا فى عام ٦٣٤م ،

ومصر والهند فى عام ٦٤١م ، وغرناطة فى عام ٦٤٧م ، وسمرقند ٦٧٦م ، وأسبانيا (الأندلس) ٧١٠م ، واسطنبول ٧١٧م ، وجنوب فرنسا فى ٧٢٠م وفى عام ٨٣٠ دخل الإسلام منطقة جاوه .

وكان من نتيجة هذا الاتساع الهائل للأمبراطورية الإسلامية ، أن انبثق عنها العديد من مراكز العلم والمعرفة فى منطقة الشرق الأدنى وأسبانيا والهند وامتدت لما يقرب من ألف عام تقريباً .

ويجدر بنا فى هذا المقام الاستشهاد بقول أحد المؤرخين العرب : أنه بالرغم من بداوة العرب فى القرن السابع الميلادى إلا أنهم تمكنوا من التفوق على العديد من الحضارات الأخرى مثل الحضارة الفارسية والإغريقية والرومانية والهندية سواء من الناحية العسكرية أو الثقافية أيضاً .

ومنذ ذلك الوقت والعبقرية العربية فى إبداع مستمر حتى بلغوا أسمى درجات الحضارة والتقدم فى الوقت الذى عاشت فيه أوربا فى عصور الظلام والتخلف ، حتى أصابها التصدع وتوقفت تلك العبقرية عن إبداعاتها .

وللأسف لم تستطع الأجيال المتعاقبة أن تواكب نهج أسلافها مما أدى إلى تخلفهم بينما نهض الآخرون من سباتهم ، ووثبوا فى نهضتهم على أكتاف المسلمين ، مما دفع بعض المحللين الغربيين أن يسألوا : لماذا لم يستيقظ المسلمون من غفوتهم لاستعادة مجد أسلافهم ؟

ونظراً لتعدد الإجابات وتشابكها فى هذا الصدد ، أكتفى بإثارة بعض الأسئلة :

- هل من الضرورة بمكان ، اقتباس كافة مزايا ومساوىء الحضارة الغربية لمواكبة التقدم فى عالمنا المعاصر ؟ وفى نفس الوقت يجب ألا يغيب عن بالنا مآسى بعض الدول التى فقدت هويتها عندما سلكت هذا المنهج .

ومما هو معلوم للجميع ، أن العالم الإسلامى يعتمد فى وقتنا الراهن على العالم الغربى فى تنمية صناعته ، مما يستتبعه حتمياً الاعتماد عليه أيضاً فى النواحى السياسية .

وطبقاً لتقديرات هيئة اليونسكو فإنه ينبغى توفير (١٤٠٠) عالم ومهندس لكل مليون نسمة لتحقيق التنمية فى دول العالم الثالث ، بينما لاتتوفر هذه النسبة إلا فى القليل من الدول بينما تعانى معظم الدول الأخرى فى هذا الصدد ؛حيث لايتوفر لديها إلا النذر اليسير من العلماء .

والحقيقة المفجعة التى تُدمى القلب ، أنه من بين ثلاثة ملايين عالم يشتغلون فى قضايا الأبحاث والتنمية فى العالم تتركز نسبة ٩٥٪ منهم فى اليابان وأوروبا وشمال أمريكا وروسيا ، بينما تتوزع نسبة ٥٪ الباقية على مختلف دول العالم ومن بينهم دول العالم الإسلامى .

وفى الوقت الذى يطالب فيه برنامج التنمية الأوربى دول العالم الثالث تخصيص نسبة ١٪ من إجمالى إنتاجها القومى لقضايا الأبحاث والتنمية ، لانجد سوى القليل من تلك الدول التى رصدت نسبة $\frac{1}{2}$٪ من إنتاجها القومى لهذا الغرض فى العام الماضى .

وبدلًا من مشاركة العالم الإسلامى كمنتج فعال على الساحة الدولية أصبح مستهلكاً سلبياً لايستطيع الوفاء باحتياجاته الأساسية ، مما جعل القلة النادرة من خيرة علمائه يهاجرون إلى الدول المتقدمة .

وعلى الرغم من ميزة الموقع الجغرافى للأمة الإسلامية ، وما حباها ـ سبحانه وتعالى ـ من موارد بشرية ومادية هائلة من : بترول ومواد خام أخرى لاتتوفر للأمم الأخرى ، فإنها لم تستغل تلك الإمكانيات الهائلة للنهوض من كبوتها .

ولذا فالسؤال الملح الآن ، هل سنقبل العلم والتكنولوجيا طريقاً للحياة أم لا ؟ وإذا قبلنا ذلك فهل سيكون على حساب كرامتنا وقيمنا وحضارتنا ؟

وعلى ضوء ذلك ، أريد أن أطرح بعض الأسئلة التالية :

أولاً : هل عالمنا الإسلامى يستطيع مواكبة التقدم العلمى الهائل وهو غير منظم ؟

ثانياً : هل تَدَنِّى مستوى النظافة فى مدننا وفى مختلف أنشطة الحياة يتوافق مع مبادىء شريعتنا الإسلامية ؟

ثالثاً : كيف نستطيع تنقية الفكر الإسلامى من الخزعبلات والخرافات التى علقت بوجدانه ؟

رابعاً : كيف السبيل لِلَمِّ شمل جميع المسلمين على كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ؟

فإذا استطاع أحد الإجابة على تلك الأسئلة ، فهو المستحق الفعلى لجائزة الملك فيصل العالمية .

وشكراً

رئيس البوسنة

على عزت بوجوفيتش

وقعت كلمة أثناء الطبع من حديث قدسى فى هدية عدد شعبان ١٤١٥ هـ «بداية الهداية» وصحة العبارة :

« ... ولا يزال عبدى يتقرّبُ إلىَّ بالنـوافل حتى أحبـه ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به .. » لذا لزم التصحيح لوضعه فى موضعه

في رحاب نعمة الأمن

الشيخ / عبد المنصف
محمود عبد الفتاح (٥)

إن من أجل نعم الله ــ عز وجل ــ على عباده فى هذا الوجود : نعمة الأمن ، ففى ظلاله يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وفى رحابه ينصرفون إلى شئونهم ومصالحهم فى غير خوف ولا ذعر .

وفى رحاب الأمن : تؤدى الأعمال ، وتتحقق الآمال ، ويسود النظام وتسعد الأمة ، وتحلو الحياة .

إن السعادة تنشر على الناس أجنحتها ، حيث يحل الأمن والأمان ، ويكثر الخير ، وينمو الرزق ، ويزيد الإنتاج ، والله ــ تعالى ــ إذا أحب قوما رزقهم حب الطمأنينة والسلامة ، ودفعهم إلى طريق الخير والرشد والاستقامة ، وباعد بينهم وبين الشرور والمآثم ، وحال بينهم وبين إحداث الجرائم : التى تنذر بالخطر ، وتطلق الشرر ، وتجلب المتاعب ، وتخلق المصائب ، وتلقى الرعب فى القلوب .

فالأمن : ضرورى للإنسان : كضرورة الطعام والشراب والعافية للأبدان ، ولعظم شأنه فى إسعاد العباد ، مَنَّ الله ــ تبارك وتعالى ــ به ، وجعله عديلا للطعام : الذى تُدْفَعُ به ثورة الجوع فقال تعالى :

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ سورة قريش

فالطعـــــام وإن كان غذاء للأجسام والأشباح (١) .. فالأمن حصن للقلوب والأرواح ..

وإن مما تكفل الله ــ تبارك وتعالى ــ به : الأمن والطمأنينة بين الناس ، فقال جل شأنه :

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (٢) ..

ومع حفظه ــ تعالى : ضَل من ضل : من أتباع إبليس ، وبحفظه : سَلِمَ من سَلِمَ : من

---

(٥) عضو لجنة الفتوى بالأزهر

(١) الأشباح : جمع شبح : وهو الشخص .

(٢) سورة سبأ : ٢١ .

المؤمنين الصادقين . أتباع الأنبياء والمرسلين .

وقال ــ عز من قائل ــ :

﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ (٣) .

فمن حاول الإخلال بالأمن ، أو حدثته نفسه بإحداث القلق بين عباد الله ، بطريق من طرق الإرهاب ، أو الترويع ، أو التخويف ، أو سفك الدماء ، فقد تَحَدَّى الله ــ تعالى : فى سلطانه ، ونازعه فى جبروته وقدرته ، ولا يغلب الله غالب ، قال ــ جل شأنه ــ :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝٤٣ ﴾ (٤)

وعن جابر بن عبدالله الأنصارى ــ رضى الله عنه ــ أنه قال : « لما رجعت مُهَاجِرَةُ الحبشة إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال « ألا تخبرونى بأعجب ما رأيتم فى أرض الحبشة ؟ فقال قتيبة ــ وكان منهم ــ بلى يا رسول الله . بينما نحن جلوس إذ مَرَّت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قُلَّةَ ماء ، فمرت بِفَتىً من فتيانهم ، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ، ثم دفعها ، فخرت المرأة على ركبتها ، وانكسرت قلتها !! ، فلما قامت التفتت إليه ، ثم قالت : سوف تعلم يا غَدَّار ، إذا وضع الله الكرسى ، لفصل القضاء ، فجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون ، سوف تعلم : ما أمرى وأمرك عنده غداً ؟» .

فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « كيف يُقَدِّسُ الله قوما ، لا يؤخذ من قويهم لضعيفهم » .

وعن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ : « أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعث معاذاً ــ رضى الله عنه ــ إلى اليمن ، فقال : اتق دعوة المظلوم ؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب »(٥) .

وفى معرض التنفير والتحذير من إزعاج المسلم وتخويفه ، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « لا تروعوا المسلم ، روعة المسلم ظلم عظيم » ، وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « لا يحل لمسلم : أن يروع مسلما »(٦) .. وقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ « من أخاف مؤمنا كان حقا على الله ، ألا يؤمنه من أفزاع يوم القيامة » وقال الله ــ تعالى ــ :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٧)

وقد جعل الله ــ تعالى : عقوبة من ينشرون الفزع بين الناس ويهددون أمنهم ، أو ينهبون أموالهم أو يهتكون أعراضهم ، أو يسفكون دماءهم : من أقسى العقوبات ، التى تنخلع من هولها القلوب ، وتطير من هولها الأفئدة ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ

(٣) سورة هود : ٥٧ .

(٤) سورة إبراهيم ٤٢ ، ٤٣ .

(٥) أخرجه البخارى ومسلم .

(٦) أخرجه أحمد وأبوداود والطبرانى : من حديث عبدالرحمن بن أبى يعلى .

(٧) سوة الأحزاب ٥٨ .

وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٨)

وعن أنس ــ رضى الله عنه : « أن ناسا من عرينة ، قدموا المدينة ، فاجتووها ، فبعثهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : فى إبل الصدقة ، وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها ، ففعلوا فصحوا ، فارتَدُّوا عن الإسلام ، وقتلوا الراعى ، وساقوا الإبل ، فأرسل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى آثارهم ، فجىء بهم : فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسمر أعينهم(٩) .. وألقاهم فى الحرة(١٠) ، قال أنس : فلقد رأيت أحدهم : يكدم الأرض ، بفيه عطشا حتى ماتوا »(١١) ونزلت :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ (١٢)

وقد ذهب جمهور الفقهاء : إلى أن القتل فى الآية : للقاتل ، والصلب مع القتل : لمن أخذ المال وقتل ، وقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى : لمن أخذ المال وأخاف ، والنفى : لمن أخاف ــ ولم يقتل ــ ولم يأخذ مالا .

واختلف الفقهاء بالنسبة للصلب : هل يصلب حيا ، ويترك حتى يموت ، بمنعه من الطعام والشراب ، أو يُقْتَلْ برمح أو نحوه ، أو يقتل أولا ، ثم يصلب ، تنكيلا ، وزجرا وتشديدا ، لغيره من المفسدين ؟ والمراد بالنفى : أن يُخْرَجَ من بلده إلى بلد آخر : فَيُسْجَنُ فيه ، وقال الإمام الأعظم : أبو حنيفة النعمان ــ رضى الله عنه ــ : المراد بالنفى هنا : السجن .

واشترط بعض العلماء لإقامة الحد على قطاع الطريق ، ومن حذا حذوهم ثلاثة شروط :

الأول : أن يكون معهم سلاح يعتمدن عليه .

الثانى : أن يكون ذلك فى صحراء ، أو فى مكان لا تنفع فيه الاستغاثة .

الثالث : أن يأتوا مجاهرين ، يعتمدون على الْقُوَّةِ والغلبة لا على الخفية واللصوصية .

فالدين الإسلامى يحرص أشد الحرص على حقن الدماء ، وصيانة أرواح الناس ، ويعتبر القتل ظلما جريمة كبرى من اشنع الجرائم وأفظعها ؛ لأنها سَلْبٌ لحياة المجنى عليه ، بغير حق ، وحرمان له من حظه فى الحياة ، وترميل لزوجته ، وتيتيم لأطفاله ، وحرمان لأهله وذويه ومجتمعه منه ، وهى اعتداء صارخ على حق الحياة وزعزعة لما يرجوه المجتمع الإنسانى من أمن وهدوء واستقرار .

وقد توعد الله ــ تبارك وتعالى ــ : قاتل النفس باللعنة والغضب ، وسوء المصير فى الآخرة ، فقال تعالى :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (١٣)

وعن ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « لا يحلُّ دم امرىء مسلم ، يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله » إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والتارك لدينه ، المفارق

(٨) سورة المائدة ٣٣ .

(٩) كحلها بمسمار محمى فى النار .

(١٠) أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار .

(١١) رواه أبوداود والنسائى والترمذى .

(١٢) سورة المائدة ــ ٣٣ ..

(١٣) سورة النساء ٩٣ .

للجماعة »(١٤) .. وعنه ــ رضوان الله عليه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « أول ما يُقْضَى بين الناس يوم القيامة : فى الدماء »(١٥) .

وعن أبى بكرة بن الحارث الثقفى قال : « سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما : فالقاتل والمقتول فى النار ، فقلت : يا رسول الله : هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه »(١٦) .. وقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة : جاء يوم القيامة ، مكتوباً بين عينيه : آيس من رحمة الله » .

وعن ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « يجيء المقتول متعلقا بقاتله يوم القيامة ، آخذا رأسه بيده الأخرى ، فيقول : « يارب سل هذا فيم قتلنى ؟ قال : فيقول : قتلته لتكون العزة لك ، فيقول : فإنها لى ، ويجيء آخر متعلقا بقاتله ، فيقول : رب سل هذا فيم قتلنى ؟ قال : فيقول : قتلته ، لتكون العزة لفلان ، قال : فإنها ليست له ، بإثمه ، قال : فيهوى فى النار سبعين خريفا » .

هذا : وقد جاء فى فضله نعمة الأمن : ما روى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « إذا أصبحت آمنا فى سربك(١٧) ، معافىً : فى بدنك ، عندك قوت يومك : فعلى الدنيا العفاء(١٨) ،(١٩) ، فقول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « إذا أصبحت آمنا فى سربك » أى فى نفسك ، أو فى مسلكك من أنواع البلاء وصنوف الرزايا « عندك قوت يومك » وطريقك .. « مُعَافىً فى بدنك » أى مؤنتك ، ومؤنة من تلزمك نفقته ، ذلك اليوم ، فعلى الدنيا العفاء » الدُّرُوسُ وذهاب الأثر ، وفيه التزهيد فى الدنيا ، مع بيان فضل نعمة الأمن .

ومن طريف ما يروى . « أن الحجاج بن يوسف الثقفى : سأل الجوهرى : ما النعمة ؟ قال : الأمن ؛ فإنى رأيت الخائف ، لا ينتفع بعيش ، قال : زدنى ، قال : الصحة ؛ فإنى رأيت السقيم ، لا ينتفع بعيش ، قال : زدنى ، قال : الشباب ؛ فإنى رأيت الشيخ ، لا ينتفع بعيش ، قال : زدنى ، قال : لا أجد مزيدا » .

وجاء فى بعض الكتب المنزلة : « إن عبدا أغنيته عن ثلاثة : لقد أتممت عليه النعمة عن سلطان يأتيه ، وطبيب يداويه ، وعما فى يد أخيه » .

فجدير بنا : أن نُقَدِّرَ نعمة الأمن ، وألا نَدَّخِر وسْعاً : فى المحافظة عليها : إن مقاومة المفسدين ، والضرب على أيدى العابثين ، بأمن الناس وسلامتهم ، واجب لإسعاد المجتمع ، إننا لو فعلنا ذلك : سلمنا من أذاهم ، وعاش الكل فى صفاء وهناءة ، وراحة بال : وصلاح حال ، يُؤَدُّونَ واجبهم فى هدوء واطمئنان ، فيكثر الخير ، ويعم الرخاء .

---

(١٤) أخرجه البخارى ومسلم .
(١٥) أخرجه البخارى ومسلم ..
(١٦) أخرجه البخارى ومسلم وأبوداود والنسائى .
(١٧) أى ارجع بإثمه ..
(١٨) أخرجه أحمد والنسائى ..
(١٩) السرب : النفس .
(٢٠) العفاء : التراب .
(٢١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان .

من تراث علمائنا

النسخ في الشريعة الإسلامية

الرد على منكري النسخ

الجزء الأخير

بقلم أ. د/ محمد سعاد جلال

سوء استغلال اللغة فى موضوع النسخ :

٢ ـ لكننا نجد فى هذا الموضع أمراً كبير الأهمية يجب التنبيه إليه وهو راجع إلى طبيعة اللغة ، وطريق النظر فيها .

فإن اللغة العربية كما اختبرنا أساليبها وألفاظها ووجوه البيان بنصوصها ، لغة شديدة المرونة قابلة للمط إلى أمد بعيد ، ومن المحتمل أن يكون هذا شأن اللغات بصفة عامة على درجات متفاوتة ، وقد كان من هذه الطبيعة اللغوية الشديدة المرونة الكبيرة الكثيرة التصاريف فيما يقع عليه اللفظ الواحد ، والجملة الواحدة أن أعطت مجالاً فسيحاً ، ومكنة واسعة لمن يذهب مذاهب التأويل والتخريج فى نصوص هذه اللغة : مجازاتها وكناياتها وألفاظها العامة والخاصة ، وما كان منها مطلقاً ، أو مجملاً ، أو مشتركاً ، وما سوى ذلك مما يظهر خطره بالذات فى نصوص الكتاب الكريم ، حتى لا يكاد يوجد صاحب رأى من الآراء الصحيحة أو الفاسدة إلا حاول أن يستشهد على رأيه بنص من القرآن الكريم أو السنة المطهرة ، وأظهر مثل على ذلك ، صنيع الإسماعيلية ، والشيعة ، والباطنية ، والمتصوفة ، من أصحاب القول بالحلول ، ومذهب وحدة الوجود ، فإن هؤلاء جميعاً ، ومن إليهم من فرق المعتزلة والخوارج ، وكل ذى نحلة إسلامية ظهرت فى تاريخ الفكر الإسلامى لم تعجز أن تجد لها من تلك المرونة اللغوية الملابسة لكيان القرآن والسنة ـ فضلاً عن عمل الإعجاز البلاغى فى فنية الأداء عن أساليب القرآن ، ولم تعجز أن يجد لها سبيلاً لتعزيز بعض آرائها بما شاءت من التكلف أو الاصطناع وشد الألفاظ والجمل ، وإساءة استغلال الاستعارة والمجاز .

وليس الأمر كذلك ، فإن للغة حدوداً تقف عند هذه الحدود دلالاتها ولا تجاوزها معانى الألفاظ والجمل ، والتبادر هو الحد الفاصل بين ما تدل عليه اللغة دلالة سهلة فطرية ، وما يستكره للدلالة عليه بالتكلف والقسر .

ولعل التمرس بذات اللغة ، والنفوذ فى معانيها والإلف الفعلى لما جرت عليه استعمالاتها عند أصحابها مما يهدى إلى معانيها القريبة ، وأسرارها المقصودة .

عنينا بأن نكتب لكم هذا الاستطراد لنصل منه إلى أن المانعين للنسخ فى القرآن ــ وهم أبو مسلم الأصفهانى فى القرن الرابع ، وبضعة نفر فى العصر الحاضر ، عمدوا إلى التوفيق بين الآيات الناسخة والآيات المنسوخة بوجوه من التأويل البعيد ، والتكلف الشديد لا يهدى إليها التبادر ، ولا تحتملها معطيات اللغة القريبة ، وأيضاً لا يتفق والمنقول إلينا من أسباب النزول ، والمأثور الصحيح من أقوال الصحابة وشواهد السنة .

ولو ذهبنا نجيز فهم القرآن على هذا الوجه من التكلف وبعد التأويل ما ساغ لنا أن نخطىء أحداً من أصحاب المذاهب الفاسدة فى شاهد على مذهبه من آيات القرآن أو النصوص للسنة ، لكن الأمر على غير ذلك .

حصر الآيات المنسوخة والناسخة :

حيثما يمكن وجود اختلاف بين العلماء فى نسخ بعض الآيات أو عدم نسخها ، لا يمكن الجزم بحصر الآيات المنسوخة والآيات الناسخة غير أن لبعض العلماء ترجيحات واختيارات للآيات التى صح وقوع النسخ فيها ، ومن ذلك ما ذهب إليه السيوطى فى (الإتقـــان) من حصر الآيات المنسوخة فيما يبلغ عشرين آية تقريباً عددها بأعيانها فى كتابه هناك .

وتبعه على ذلك المرحوم الأستاذ الخضرى فى كتابه (أصول الفقه) ، وحاول أن يوجد توفيقات متكلفة مستمداً ذلك مما كتبه غيره ، كأبى مسلم ، بين كثير من هذه الآيات ، لإخراجها من حيز النسخ .

على أن الأمر ذا البال الذى يجب التنبيه إليه أن الشيخ الخضرى ، ليس من المنكرين للنسخ ، بل هو معترف بجواز النسخ فى الشريعة ووقوعه فى القرآن ، وقد وافق على وقوع النسخ فى آية (المزمل) كما سنورد فيما بعد .

وإنما عمد إلى التوفيقات المشار إليها ــ لأنه يحاول أن ينهج منهج ابن العربى والشاطبى ، فى تضييق دائرة النسخ فى مقابلة عمل أناس أكثروا من ذكر الناسخ والمنسوخ ، وتساهلوا فى الحكم بذلك تساهلاً لا يحتمله البرهان ، ولا يتفق مع واقع القرآن .

ونحن من أصحاب هذا الرأى ــ نرى أنه يلزم منتهى التدقيق وسعة العلم ، وشدة الاحتياط ، والتركيز على الموضوعية الخالصة ، فى الحكم بوجود ناسخ ومنسوخ مما يؤدى حتماً إلى الحد من تلك المجالات الواسعة التى يعمل فيها من ألف فى خصوص الناسخ والمنسوخ كابن النحاس وغيره .

وإنما اهتممنا بتحرير رأى المرحوم الشيخ الخضرى ؛ لأن بعض الناس نسب إليه جزافاً بسبب تلك التأويلات المشار إليها ــ القول بإنكار النسخ وليس بصحيح .

ولا نستطيع الآن فى هذه العجالة أن نعرض لهذه الآيات العشرين بالدرس والتحليل ، وإنما حسبنا أن نقدم لكم بعض نماذج وأمثلة يتبين منها اختلاف وجهات النظر بين متجاذبيها إلى النسخ أو الإحكام ، وتكون مادة حية لتحقق وقوع النسخ فى القرآن ، وهو الدليل الثالث .

المثـال الأول :

قال ـ تعالى ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ سورة الأنفال (٦٥)

قال السلف إن هذه الآية منسوخة بقوله ـ تعالى :

﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ ﴾ سورة الأنفال (٦٦)

ولم يصل إلينا تشكيك فى صحة هذا النسخ عن أحد من العلماء من عهد الصحابة إلى أواخر القرن الثالث إذ ظهر أبو مسلم فى خلال هذه الفترة ، فكان أول من شكك فى نسخها ، لا دليل على أن أحداً سبقه من علماء الأمة إلى هذه المقالة ، حتى ليوشك أن يكون نسخ هذه الآية إجماعاً من كافة العلماء .

ووجه استدلالنا بمثل هذه الاتفاقات من آراء العلماء ليس هو استحالة أن يفتح الله على عالم بمسألة فى العلم لم يسبق إليها ، كلا ، ولكنا نتخذ منها قرينة قوية على تخطئة الرأى المصادم لها ، لأنه يستبعد فى العادة أن تكون مسائل الشريعة مبسوطة للناظرين ، ويتقلب على بحثها والنظر فيها مئات العلماء من الصحابة والتابعين والأئمة الراسخين واضعى المذاهب ، وقد استفرغوا فى البحث جهدهم ، وبلغوا فى إجادة النظر كل مبلغ ، ثم غاب عنهم جميعاً ـ ما فطن إليه عالم واحد ، لا يبلغ مثل درجة كثير منهم ، أمانة وعلماً ، وحياطة لدين الله .

ألا يصح بعد هذا التوضيح أن يكون اتفاق العلماء الأئمة المستمر إلى أواخر القرن الثالث على إثبات مسألة فى الشريعة دليلاً على صحتها وخطأ خلافها ، فكيف مع هذا إذا كان البحث الموضوعى المجود لا يسعف القول بصحة هذه المسألة على غير ما ذهب إليه الأئمة والصحابة .

ظاهر من منطوق الاثنين معاً ، أن الآية الأولى القاضية بوجوب ثبات المسلم الواحد لعشرة من الكفار فى الجهاد كانت تمثل تجربة شقت على المسلمين فى أول الأمر ، وأن الله قد خفف عنهم هذه التجربة فرفع عنهم الدخول فيها ، ونقلهم إلى تجربة أيسر منها ، وذلك بالاكتفاء منهم بثبات الاثنين فقط بدل العشرة .

وفى أسباب النزول ما يشير إلى ذلك ..

روى أن المهاجرين قالوا : لما نزلت الآية الأولى ، « نحن جياع وعدونا شباع ، ونحن فى غربة وعدونا فى أهليهم » ، وكذلك قال الأنصار مثل قولهم فنزلت الآية الثانية بالتخفيف عليهم ناسخة لحكم الآية الأولى .

وبيانه ـ أكثر ـ من الوجهة الأصولية الفنية أن مقتضى الآية الأولى أنه يحرم على المسلم الواحد إذا التقى بعشرة من الكفار أن يفر منهم ، فإن فعل ذلك كان آثماً قد باء بغضب من الله ورسوله(١) ، ثم نسخ الله هذا الحكم بالآية الثانية ، ومقتضاها رفع هذا التحريم ، فإذا فر المسلم الواحد أمام عشرة من الكافرين ، لا يكون آثماً ، لأن الواجب فى حقه بمقتضى التخفيف الوارد فى الآية أن يثبت أمام رجلين فقط ، ولا يلحقه إثم الفرار من الزحف إذا كانوا عشرة .

(١) إشارة لقوله تعالى : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة ، فقد باء بغضب من الله ﴾

لكن الشيخ الخضرى ـ يعارض بعد تردد ـ هذا الوضوح فى نسخ الآية ، ويحكم بأن التفاعل بين الآيتين من قبيل العلاقة بين العزيمة والرخصة فى الأحكام كمشروعية التيمم مع مشروعية الوضوء ، وهو حكم خطأ للفرق البين ، بين المنسوخ والناسخ ، والرخصة مع العزيمة .

إن مقتضى النسخ رفع الحكم مطلقا عن المكلف فلا يأثم بتركه ، ولا يطالب بفعله فى حال أبداً ، أما الحكم الثابت عزيمة فهو الحكم المبنى على غير أعذار العباد ، ولا يرتفع الطلب به عن المكلف ، إلا رفعاً موقوتا فى حال الأعذار التى اعتبرها الشارع ، وأذن فيها للمكلف أن ينتقل من موضع العزيمة إلى موضع الرخصة فإذا زال العذر المبيح للرخصة ، رد المكلف إلى العمل بالعزيمة وهو الحكم الأصلى الذى شرع أولا ، غير منظور فيه إلى استثناءات الأحوال .

فنسأل صاحب هذا القول عن مسلم واحد يلتقى فى المعركة بعشرة من الكافرين فيفر منهم ، هل يكون بفراره آثما ، أم يكون بريئا من الإثم ؟ فإن زعم أنه يكون آثما عاصيا بفراره فقد خالف إجماع المسلمين إلى اليوم ، وإن اعترف بخروجه من الإثم بإعمال الآية الثانية فقد التزم القول بالنسخ .

وإن تمادى فزعم أن هذه هى حال الرخصة التى قدرها قلنا له : فأين حال العزيمة على مذهبك ؟ دلنا على الموضع الواحد الذى يكون فيه الحكم عزيمة لا رخصة ، ويحرم فيه فرار الواحد من العشرة بإعمال الآية التى تنازعنا فيها للنسخ ، فإن لم يجد موضعاً واحدا لإعمال هذه الآية ، ولن يجد ، فليس ذلك إلا لأن الآية منسوخة البتة .

المثال الثانى :

قال ـ تعالى :

﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ .

قال أهل العلم من السلف : نسخت هذه الآية بقوله ـ تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

النسخ فى هذه الآية ظاهر لأمرين :

ـ أولهما سبب النزول : روى عن ابن عباس أنه قال : لما نزلت هذه الآية ، جاء أبو بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف ومعاذ ، وناس إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم . وقالوا يارسول الله :

« كلفنا من الأمر ما لا نطيق ، إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت فى قلبه ، وأن له الدنيا ، فمكثوا فى ذلك حولا ، فأنزل الله » :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

وثانيهما الموجب اللغوى ، للفظ « ما » ، فإنها من صيغ العموم التى تفيد ثبوت الحكم لجميع ما تدل عليه ثبوتا قطعيا ، فتفيد فى هذا الموضع ثبوت محاسبة الله للمخاطبين بها على كل شىء يبدونه من الأقوال ، والنيات والمشاعر ، وكل شىء يخفونه من النيات والمشاعر ، والخواطر العارضة والمبيتة لا يخرج عن ذلك شىء قل أو كثر ، عظم أو صغر : ذلك بحسب قضية العموم اللغوى المستفاد من لفظة « ما » كما فهمه الصحابة فإذا جاءت آية متأخرة حولا عن هذه ـ الآية ، تقول :

﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ .

نسختها لانها أخرجت من دائرة ما سيحاسب عليه المكلف : الخواطر والهواجس ، والتمنيات السيئة ، وأحاديث الشر الباطنة ، التى قد ينساق فيها كثير من الناس وهم عاجزون عن دفعها ، وهذاأمر لا ينكر حصوله أى إنسان من نفسه .

وقد عارض الإمام الشاطبى ، كما عارض الشيخ الخضرى ، فى ثبوت النسخ فى هذه الآية ، بأسلوبين مختلفين ..

قال الشاطبى : إن الآية متعلقة بكتمان الشهادة ، والمعنى : إن تظهروا ما فى أنفسكم من الشهادة بأن تقولوا لصاحب الحق نعلمه ولا نشهد به ، أو تخفوه بألا تطلعوا صاحب الحق عليكم يحاسبكم به الله .

ولكن هذا ضعيف لأنه تكلف بعيد ، وقصر لعموم الآية على بعض أفراد العام من غير دليل ، وكأنما أحس الشاطبى نفسه بقلق هذا التأويل ، وعدم ثباته فلجأ إلى وجه آخر وهو أن يكون انفعال الآية الأولى بالآية الثانية من قبيل التخصيص لا النسخ ، وهو وجه غير مسلم له عند المذهب الحنفى ، لأن النص المخرج لبعض ما تناوله العام ـ إذا كان متأخراً عن العام كان عمله نسخا بيقين ولا يجعل تخصيصا ، فلم تتم محاولة الشاطبى فى رد هذا المنسوخ .

وكما لم تفلح محاولة الإمام الشاطبى ـ رضى الله عنه ـ لم تفلح أيضا محاولة ـ الشيخ الخضرى ـ رحمه الله ـ ، إذ قال :

﴿ إن الله يحاسب الناس على ما أظهروه من الأقوال والأعمال ، وما أضمروه ، وهو مع ذلك لا يكلفهم إلا ما فى وسعهم ، وليس فى ذلك محال ، لأن فى وسع الإنسان ألا يضمر شراً ، وليس من ذلك خطرات النفس العارضة﴾ .

هذا كلام الشيخ الخضرى بنصه ، وهو كلام إذا تجاوزنا ظاهره ؛ ألفيناه ينطوى على التناقض ، والغلط ، والتحكم فى النص العام .

أولا : فما دام يسلم لنا بأن الله يحاسب الناس على جميع ما يظهرونه وما يخفونه من الأفعال ، والأقوال والنيات ، والخواطر التى يمكن مدافعتها والتى لايمكن مدافعتها ، كما هو حكم العموم اللغوى الذى فهمه الصحابة من الآية ، والذى يتعين فهمه لكل عارف باللغة ، فليس له أن يعقب على هذا التسليم بقوله وهو مع ذلك لا يكلفهم إلا بما فى وسعهم .

فكيف يأتى هذا مع أن من جملة المكلف به فى عموم الآية من التصورات السيئة ، والأحاسيس الخبيثة ، والخواطر الشريرة ما لا يمكن مدافعته حقا وواقعا وهو خارج عن وسع المكلف بلا شك ، وقد أقر هو هذا العموم ، أليس هذا تناقضا ملحوظا :

ثانيا : يقول الكاتب وفى وسع الإنسان ألا يضمر شرا وليس من ذلك الخواطر السيئة التى تعرض وتزول وهذا خطأ ثان ـ فليس النزاع فى إضمار الشر الذى يخضع لإرادة الإنسان ، ولكن موضوعه الشر الذى يهجم على قلب الإنسان وتصوراته من غير استجلاب له ، وذلك حاصل قطعا ، ومن ذلك ما دل عليه حديث مسلم أن الصحابة قالوا يارسول الله : (إنا لنجد فى انفسنا ما تتعاظم أن نقوله) .

فما هذا الشيء الذى كان يجده الصحابة فى أنفسهم : الشيء الذى يجدونه تلقائيا ، ولا يوجدونه باختيارهم ، فيتعاظمون أن تنطق به ألسنتهم ؟ أليس هو شرا ، ثم أليس هو شرا رهيبا ؟ .

ثالثا : ثم يقول : (وليس من ذلك العوارض التى تعرض وتزول) يعنى أن الخواطر العارضة ليست داخلة فى عموم التكليف بحكم الآية الأولى .

وهذا خطأ ثالث ، لأن هذه الخواطر اللاإرادية التى تعرض وتزول ، هى مشمولة بعموم النص لغة وإخراجها منه ، إذا كان بالآية اللاحقة وهى : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ . فهذا هو النسخ بعينه وإن كان بدليل متأخر لا نعرفه فهو النسخ أيضا ، وإن كان بدليل مستقل مقارن ـ فهو التخصيص ولم يذكره أيضا ، وإن كان غير بغير دليل فهو التحكم الذى وصفناه به .

المثال الثالث :

قوله ـ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ﴾ .

ذهب السلف إلى أنها منسوخة بقوله تعالى :

﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ .

سورة المجادلة

والنسخ فيها واضح ، ويؤيده النقل عن الصحابة والتابعين ، لا أقصد أن مناط الحكم بالنسخ محض رأى الصحابى ، لأن ذلك قد يكون عن اجتهاد منه ، وحجية اجتهاده فى تفسير النص أو نسخه محل خلاف بين أهل العلم ، ولكن أقصد أن حكايته لظروف الآيتين ، وتاريخهما هو مكان الحجة المعتبرة لاسيما إذا كان مؤيدا من دلالتهما اللغوية .

أوجبت الآية الأولى على من يتلقى من المسلمين شرف مناجاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يسبق ذلك بتقديم صدقة ، وماهو المتبادر للظاهر من كلمة « صدقة » أليس مالا يصل ليد فقير ؟ .

وأبانت الآية الثانية أنهم أشفقوا من تقديم هذه الصدقة ، فلم يفعلها إلا الإمام على ـ رضى الله عنه ـ وأنهم لما أشفقوا من تقديم الصدقة كذلك ولم يفعلوا ، رفع الله عنهم التكليف بالفعل ، وتاب عليهم ـ بمعنى أنه عاملهم معاملة التائبين فى رفع التبعة عنهم ـ ثم استحثهم على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة واكتفى منهم بذلك ، وأذن لهم فى المناجاة من غير تقديم صدقة ، وحصلت المناجاة من غير تقديم الصدقة فعلا ، واستمر العمل على ذلك .

فانظر بعد ذلك تكلف الشيخ الخضرى والنفر الآخذين برأيه ، قال بالنص : (وهذه الآية ـ يقصد الآية الثانية ـ بيان من الله أن الصدقة لا يلزم أن تكون مالية زائدة عن الصلاة وإيتاء الزكاة ، وهذا صدقة) .

فكانه يقول : إن الصدقة موضوع التكليف قبل المناجاة لا تزال باقية لم تنسخ وأنها تحولت إلى

الزكاة الواجبة ، والصلاة المفروضة .

نقول حتى – ولو سلم هذا الشطط فى التأويل – فإنها تكون قد نسخت بهذا التحول أيضا ، لأن الحكم قد رفع بهذا التحول من واجب متميز بكيان مستقل ، وزمان معين ، وغرض خاص ، وموضوع على اختيار المكلف إلى واجب اندمج فى غيره ، وذهبت مشخصاته ، وخرج التزامه عن اختيار المكلف أو أقيم غيره بدلا عنه .

أليس ذلك هو النسخ بعينه !!

ثم إذا جاز أن نسمى الزكاة صدقة ، فكيف نسمى الصلاة صدقة ، إذن يكون ذلك مجازا قطعا ، والأصل فى إطلاق الكلام الحقيقة لا المجاز .

ولو انتقلنا من صحة التسمية إلى صحة الاعتبار – وقلنا إن المقصود هو اعتبار صدقة المناجاة – نوعا من الخير تشمله الصلاة أو تغنى عنه الصلاة ، والزكاة ، لعدنا مرة ثانية إلى عين النسخ ، فمن كل وجه نرى أن الاعتساف مهما بلغ فى التأويل ، يردنا إلى صحة القول بنسخ الآية .

المثال الرابع :

قوله – تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ ﴾ .

سورة المزمل

كان من قضاء هذه الآية أول الإسلام إيجاب قيام الليل على النبى – صلى الله عليه وسلم – والمسلمين معه ، فروى أحمد ومسلم وغيرهما أن المسلمين فعلوا ذلك سنة حتى تورمت سوقهم وأقدامهم . ثم نسخ ذلك بالآية الثانية ، وهى قوله – تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ ﴾

سورة المزمل

ويتعلق بهذا المثال ملاحظتان على جانب من الأهمية :

إحداهما أن الشيخ الخضرى ، اعترف فى هذا المثال بالنسخ صريحا فقال : (والظاهر أن الآية الثانية تخفيف فهى رفع للحكم الأول ، وهو طلب قيام أكثر الليل) .

وثانيهما ، أن الشيخ الخضرى – كما قلنا مرة قبل الآن – لايقدم على القول بإنكار النسخ ، لأنه على كل حال رجل عالم وأمين على دين الله .

وأما الذين يقلدونه فربما كانوا أقل منه احتياطا وتحرجا ، لأنهم يجترءون على إنكار النسخ فى القرآن جملة بغير برهان مبين .

و﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ . وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وأصحابه أجمعين .

ظاهرة التجاوز في بناء الفكر

الدكتور/ عبد الله مبروك النجار (*)

تمهيـــد :

يحتاج أى مجتمع إنسانى إلى نوعين من البناء لا ينفك أحدهما عن الآخر ، ولا يستغنى عن واحد منهما لحفظ مقومات حياته ، وأساس وجوده ، وهما : البناء المادى ، والبناء الفكرى .

والنوع الأول ، هو الذى يختص باحتضان المظاهر المادية للوجود الإنسانى بما يحفظ له قوام ذلك الوجود .

أما الثانى فإنه يمثل شريان الحياة للجانب الروحى فى المجتمع . ويكاد هذان الجانبان يمثلان جناحى الحياة السوية للناس ، ومن خلالهما معا تتكامل كل مظاهر الوجود الإنسانى بصورة متوازنة .

.. ولما كان هذان الجانبان على درجة واحدة من الأهمية ، كان من اللازم ؛ بل ومن الواجب أن يلقيا اهتماما إنسانيا متساويا ، فلا يستأثر أحدهما بما يزيد عن الآخر ، حتى لا يحدث خلل فى التوازن المطلوب بين هذين الجانبين ، وقد يقع فى الحياة ما يخالف ذلك ، فيلقى البناء المادى اهتماما خاصا ، وعناية فائقة ونظاما حاسما ، لا يسمح لشخص بالخروج على حدود التنظيم المقررة له فى شكله وتصميمه ، بل والذوق الجمالى والبيئى الذى يجب أن يكون عليه ، وإذا حدث مخالف لذلك يكون الجزاء باترا وسريعا وحاسما ، يبدأ بإزالة مقدار التجاوز ونوعه ، ويتصاعد للغرامة

(*) الكاتب : أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون ـ القانون الخاص ـ جامعة الأزهر .

الباهظة ، وربما ينتهى أمر المخالف إلى السجن ؛ بل إن الناس من فرط اهتمامهم به لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة من أمره إلا جعلوها موضع تنظيم يفرض احترام حدوده على المستويين : الخاص والعام فلا يسمح لشخص أن يجور بالبناء على ملك غيره ، كما لا يجوز له أن يخرج ببنائه إلى الطريق العام أو يعتدى به على ملكية الجماعة .

أما البناء الفكرى ، وهو الذى لا يقل أهمية عن نظيره المادى بإقرار الجميع ، فإنه مازال رغم ذلك خلوا من مثل هذا الجزاء الفعال ، أو نصفه أو ربعه أو أقل من ذلك ؛ بل إن الضوابط التى تنظمه فى معظم جوانبه مازالت مبهمة ، وما يوجد من معالم تلك الضوابط فى بعض القوانين المتفرقة كقانون حماية حق المؤلف بصفة خاصة ، والنصوص التى تحمى الملكية الفكرية بصفة عامة ، لا تحمى سوى الجانب الخاص من البنيان الفكرى ، دون اهتمام ملحوظ بالجانب العام الذى يستهدف المحافظة على قيم الجماعة ومصالحها العليا ، ومن ثم كان التجاوز فى مجاله كثيرا . وكانت أعداد المخالفات فيه أكثر ، ووجد البعض فى ظل تلك الظروف التنظيمية الهشة فرصة يقولون فيها ما لا يصح أن يقال ، وطرقوا بكتاباتهم المناطق المحرمة ، بعد أن فهموا خطأ مبدأ حرية التعبير عن الرأى على إطلاقه ، دون مراعاة للمبادىء السماوية ، أو اعتبار لقيم المجتمع وتقاليده ، وأصبحنا من فرط الخروج على خط التنظيم فى هذا البناء أمام ظاهرة خطيرة ، هى ظاهرة التجاوز فى بعض الكتابات(1) ، التى أصبحت تحدث بكثرة ولا تجد للأسف « بلدوزر » ، أو حتى فأسا ، أو منقارا يزيلها ، مما شجع الكثير على التمادى فيها ، ونحن من خلال تلك الدراسة نطرق هذه الظاهرة بما يوجه الأنظار إليها ، ويكشف عن خطرها ، ويضع العلاج لها من مدخل إسلامى ، وذلك من خلال عنصرين :

أولهما : حدود التنظيم فى البناء الفكرى .

ثانيهما : مظاهر التجاوز فى البناء الفكرى .

أولا : حدود التنظيم فى البناء الفكرى :

تعد نعمة البيان من أعظم نعم الله على الإنسان ، حيث تعتبر تلك النعمة أداة لرقيه ونهضته ، ووسيلة لتقدمه وتفوقه فى سبيل تحقيق الغايات الكريمة فى الحياة ، والوصول به إلى شرف العبودية لله ــ عز وجل ــ وليقوم بواجب الخلافة لله ــ عز وجل ــ فى أرض الله خير قيام ، فلا يسعى فيها فسادا ، ولا ينقلب على أساس وجوده هدما وتخريبا ، وقد بين الله ــ عز وجل ــ فى كتابه الكريم ٱلأساس الذى خَلَقَ من أجله الخلق من الجن والإنس بقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾(2)

(1) يبدو أن تلك الظاهرة موجودة منذ فترة طويلة ــ بدليل ما وجد لها من أثر فى شعر حافظ إبراهيم شاعر النيل . حيث جاء فى قصيدته عن دور العلماء والمفكرين التى دافع فيها عن إنشاء الجامعة المصرية ونشرت بتاريخ ١٩ / ٣ / ١٩٠٧ م :

كم عالم مد العلوم حبائلا لو قيعة وقطيعة وفراق
فى كفه قلم يمج لعابه سما وينفثه على الأوراق
يرد الحقائق وهى بيض نصع قدسية علوية الإشراق
فيردها سودا على جنباتها من ظلمة التموية ألف نطاق

راجع : ديوان حافظ إبراهيم ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

(2) سورة الذاريات ــ آية ٥٦ ــ ٥٨ .

فمهمة الإنسان فى الحياة كما حددها له ربه فى كتابه : هى أن يقوم بواجب العبودية لله ـ عز وجل ـ خير قيام ، وأعظم تطبيق للقيام بهذا الواجب أن يمتثل العبد أوامر ربه ونواهيه ، وأن يحتكم إلى شرعه فى كل شئون حياته . فيحل حلاله ، ويحرم حرامه ، وأن يكون رائده فى ذلك التطبيق قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾(٣) .

وقوله ـ عز من قائل :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٤)

والآيتان الكريمتان تدلان على أن كل مؤمن ومؤمنة يجب عليه الامتثال الكامل لما قضى به الله ورسوله ، وهذا الامتثال يجب أن يرق فى قلب المؤمن وضميره درجة من القوة والثبات تدحض هوى النفس ، وتبدد موارد الزيغ ، وتضع اختيار الإنسان على ذلك الطريق المستقيم بحيث لا يرضى عنه بديلا ولو كان ذلك البديل مما يمكن أن يكون لعمل الشيطان فيه مدخل كبير ، حين يلبس عليه الحق بالباطل ، ويهون عليه أمر الانفلات من قيود الدين وأحكام الشريعة تحكيما لما يركن إليه العقل ، أو اتباعا لما يؤذن به الهوى ، فكل تلك التعليلات فى نظر المؤمن عليلة ، وآثارها فى قلبه هزيلة ، وجميع تلك الوساوس إذا وزنها العقل المؤمن بميزان الإيمان ، فلن يكون لها من تفكيره نصيب ؛ لأن ما عند الله فى ذاكرته خير وأبقى ، وأن ما عند الناس ينفد وما عند الله باق ، وأن كل مظاهر الحياة الدنيا ومباهجها وتطلعاتها لا تساوى فى ميزان ذلك العقل المؤمن شيئا ، إذا ما جاءت على حساب دين الله ـ عز وجل ـ ، لأن الدنيا ـ إن جاءت على حساب الدين فإن الخسارة ستكون جسيمة ، وسيكون متاعها شرا ، ونعيمها شقاء ، وأداة النجاة من ذلك هى الامتثال الصادق لأحكام الله ـ عز وجل ـ فلا يرضى الإنسان عنه بديلا ، ولا يختار سواه ، ولا يستشعر فى نفسه حرجا من الاحتكام لتوجيهه وهداه .

معطيات نعمة البيان :

ولئن كانت نعمة البيان على هذا القدر من الأهمية فى توجيه الإنسان نحو الوجهة الصحيحة فى الحياة وإمداده بالمقومات التى يحقق من خلالها كيانه الإيمانى الممتثل لمنهج الدين ، والمحتكم إلى تعاليم الشريعة فى كل ما تقضى به ، وتنتشر بسببه العدالة والمحبة والتعاون على البر والتقوى ؛ فإنها مع ذلك تعتبر أداة التفاهم والتواصل بين بنى الإنسان على مختلف مشاربهم وأجناسهم ، كما أنها تعد همزة الوصل بين الأجيال المتعاقبة ، ومنذ الماضى البعيد إلى وقتنا الحاضر ، وسيمتد ذلك التواصل إلى المستقبل ، لتجد الأجيال القادمة من ثمار ذلك البيان زادا يمهد لها طريق الخير ، ونورا يبدد من حياتها ظلمات الجهل والطيش والهوى ، ومن خلالها تنعم البشرية جمعاء وعلى توالى أجيالها المتعاقبة بمبادىء النور والخير التى تكتنفها تلك النعمة العظيمة نعمة البيان .

---

(٣) سورة الأحزاب ـ آية ٣٦

(٤) سورة النساء ـ آية ٦٥

ولعل فى هذا ما يبرز جانبا من جوانب عظمة تلك النعمة وأهميتها فى حياة الناس جميعا ، وخطورتها فى تشكيل سلوك الأجيال على طريق الخير ، ودروب الرشاد ، بل لعل ذلك يمثل جانبا من الجوانب التى تكشف عن حكمة امتنان الله – تعالى – بها على خلقه فى قوله – تعالى – :

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾(٥)

والقسم بالقلم وما يسطر فى قوله – عز وجل – :

﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾(٦) .

ضوابط نعمة البيان :

ونعمة لها هذا التأثير الإيمانى فى حياة الناس جميعا ، لابد أن تستأثر باهتمام الشارع الحكيم – سبحانه – حتى لا تستغل تلك النعمة العظيمة فى حياة الناس على غير ما يوده الشارع ، وتكون أداة للهدم بدل البناء ، وللتشكيك بدل التثبيت ، وللانحراف بدل الاستقامة ، وللإلحاد بدل الإيمان ، فحدد للبيان غايات ، وأوجب على أهل البيان أن يلتزموا فى عملهم معالم تلك الغايات حتى لا ينحرفوا بنعمة البيان عما رسمه الشارع بسببها للإنسانية من خير وفلاح ، كما نظم له الوسيلة التى يجب أن يظهر بها فى دنيا الناس ، حتى لا تنفصل غاية البيان عن وسيلته ، وحتى لا يكون الخير المرجو منه قاصرا على مرحلة من مراحله بل يجىء ثمرة للبيان فى موضوعه وشكله ، فى وسيلته وغايته . فما غاية البيان ؟

(١) غاية البيان :

غاية البيان – وفقا لما يرشد إليه خطاب الشارع تتمثل فى :

احترام مبادىء الإيمان وأحكام الإسلام ، فلا يخرج البيان عن مقتضى تلك المبادىء ولا يخالف مدلول تلك الأحكام ، فإنه – إن فعل ذلك – يكون قد خرج عن خطه ، وانحرف عن مساره ، وأصبح أداة هدم وتخريب فى حياة الناس والمجتمعات ؛ فالإيمان بالله ، هو الأصل الذى تستقيم فى ظله كل شئون الحياة ، وإذا اختل ذلك الأصل أو حجبت ثماره عن دنيا الناس اضطربت شئون حياتهم ، وتفشى الباطل والظلم بينهم ، وأصبحت الحياة هجيراً لا يطاق ، وجحيما لا يحتمل .

● وإذا الإيمان ضاع فلا أمان :

وسيتجاسر الناس على الحرمات ، فتنتهك الأعراض وتسلب الأموال ، وتضيع الأنفس ، وتستباح القيم ، فالإيمان سياج الحماية لذلك كله ، وبدلا من أن يكون الحكم فى أمور الحياة لله بالحق والعدل ، سيكون للناس بعقولهم التى يوجهها الهوى ، وتحركها الأهواءوالأغراض ، وتسيرها المصالح الشخصية الضيقة ، والنظرة الذاتية المحدودة ، ولما كانت عقول الناس مختلفة ، وأفكارهم متباينة ، ومصالحهم متعارضة ، ونظرتهم الذاتية متناقضة فإن حياة شأنها كذلك ستأكل نفسها بنفسها ، وستعيش شقاء لا فكاك منه ، ونزاعا لا مخرج من إطاره ، وهلاكا لا شك فى حلوله .

---

(٥) سورة الرحمن – الآيات من ١ – ٤ .

(٦) سورة القلم – الآية الأولى .

ومن يتأمل آيات القرآن الكريم التى تتحدث عن الفكر والبيان ، يجد أن تلك الآيات قد جعلت للبيان غاية ، وأن تلك الغاية محددة بالمحافظة على قيم الإيمان وأحكام الإسلام ، والبعد بالناس عن طريق الانحراف والضلال . ليكون البيان سببا للهداية :

من ذلك قول الله ـ تعالى :

﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧).

حيث جعل الحق ـ سبحانه ـ البيان سياجا يحول بين الإنسان وضلال العقيدة .

ويقول الله ـ تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٨).

ويقول ـ عز من قائل :

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٩)

ويقول ـ عز من قائل :

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٠)

ولا يخفى ما تدل عليه تلك الآيات الكريمة من المقاصد والغايات التى تحكم البيان ، وهى غايات تتمثل فى تحقيق التقوى فى قلوب الناس ، وتحصيل الهداية والإيمان ، وشكر الله ـ تبارك وتعالى ـ على نعمائه التى أعظمها نعمة : الإيمان به ، وإذا كانت تلك المقاصد قد وردت فى صورة إخبار من الله ـ عز وجل ـ إلا أنها إخبار فى معنى الطلب ، حيث يجب أن يكون البيان فى دنيا الناس مقيدا بالغايات التى شرعها الله ـ عز وجل ـ ، وشرع الله واجب الاتباع ، فيجب اتباع تلك المقاصد والتقيد بها ، وقد جمع كل تلك المقاصد حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنتى »(١١) ، حيث جعل هذا الحديث الغاية من اتباع الكتاب والسنة هى : الإيمان بالله والبعد عن الضلال والانحراف .. وتلك هى الغاية الكبرى التى يجب على كل مشتغل بالكتابة والبيان مراعاتها .

وسيلة البيان :

وأما وسيلة البيان فإنها يجب أن تكون متوائمة مع تلك الغاية السامية له ، فلا تتضمن فى ذاتها سوءا ، قال ـ تعالى :

﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (١٢)

ولا تنطوى على ما يخدش الحياء ويثير الفاحشة فى الذين آمنوا ، قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٣).

كما يجب أن لا تتضمن تلك الوسيلة فى بنائها اللفظى ما يمس حق الناس فى حماية أعراضهم وسمعتهم ، وكل ما يشكل المعانى التى يقوم عليها كيانهم الأدبى فى المجتمع ، يدل على ذلك قول الله ـ تعالى :

(٧) سورة النساء ـ آية ١٧٦ .
(٨) سورة البقرة ـ آية ١٨٧ .
(٩) سورة المائدة ـ آية ٨٩ .
(١٠) سورة آل عمران ـ آية ١٠٣ .
(١١) رواه الحاكم عن ابن عباس .. وقال صحيح الاسناد ، راجع الترغيب والترهيب للمنذرى ـ جـ ١ ـ ص ٤١ ـ دار الحديث .
(١٢) سورة النساء ـ آية ١٤٨ .
(١٣) سورة النور ـ آية ١٩ .

﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (١٤)

وقول الله ـ تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (١٥) .

ولهذا حرم الغيبة ونهى عنها بقوله :

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ (١٦) .

كما يجب ـ وذلك هو الأهم ـ ألا ينطوى على ما يمس مشاعر الناس الدينية ؛ فإن المساس بتلك المشاعر مُؤلم وَوَقعه على نفوس المؤمنين مر ، وربما يحتمل الإنسان طيش غيره فى أبيه أو جده ، لكنه لا يحتمل أدنى ذرة مما يمكن أن يكون ماسا بدينه وعقيدته ، ولهذا حرم الشارع الوسائل التى تؤدى إلى ذلك المساس ، وسد الذرائع الموصلة إليه بقوله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (١٧) .

حيث نهى عن سب أولئك الذين يدعون من دون الله مع ملاءمته لسوء مسلكهم حتى لا يؤدى ذلك إلى ما يمكن أن يصدر منهم مسيئا للدين الحق ، وماسا بالعقيدة الصحيحة لله ـ عز وجل ـ ظلما .

ويجب أن تكون وسيلة البيان واضحة لا عوج فيها ولا التواء ، ليكون الوصول إلى الحق سهلا ميسرا . فإن الحق أبلج ، والباطل لجلج أعوج ، **وليس مما يتواءم مع تلك الخاصة فى البيان من جهة أسلوبه أن يعمد الكاتب إلى المراوغة ، واللف والدُّوران والغموض ، ويسلك مسلكا معوجا فى أسلوبه ، ليستدرج الناس إلى قبول أفكاره العليلة ، وقراءة كتاباته المغرضة ، فذلك أسلوب غير سوى كما أنه غير مستقيم .**

ويدل على وجوب الصدق فى أسلوب البيان .

أنه وسيلة لغاية يرسمها الشارع وهى الهداية والتقوى والشكر والاستقامة على منهاج الله ـ عز وجل ـ وهذه أمور تدخل فى نطاق الواجبات الشرعية ، ومن ثم وجب أن تكون الوسيلة إليها على نحو من الوضوح واليسر والاستقامة بما يلائم تلك الغاية ، ويكون وضوح الأسلوب من الواجبات التى تمليها صنعة البيان ، يدرك هذا من يتأمل قول الله ـ تعالى :

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨)

وقوله :

﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٩)

وقوله :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (٢٠)

وقوله ـ تعالى :

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (٢١) .

---

(١٤) سورة الحجرات ـ آية ١١ .
(١٥) سورة الأحزاب ـ آية ٥٨ .
(١٦) سورة الحجرات ـ آية ١٢ .
(١٧) سورة الأنعام ـ آية ١٠٨ .
(١٨) سورة الأنعام ـ آية ٩٧ .
(١٩) سورة يونس ـ آية ٢٤ .
(٢٠) سورة الرعد ـ آية ٢ .
(٢١) سورة الأنعام ـ آية ٩٨ .

حيث جعلت تلك الآيات الكريمة تفصيل أسلوب البيان ووضوحه أداة للعلم والتعقل والفقه والتفكر ، والوصول بالمخاطب إلى درجة اليقين بالله ـ عز وجل ، وهو ما يشير إلى أهمية الوضوح فى أسلوب البيان . وقد أبرز كل تلك المعانى مارواه أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : خطبنا رسول الله ﷺ بمسجد الخيف من مِنَى ، فقال : « نضَّر الله امرءاً سمع مقالتى فحفظها ووعاها ، وبلغها من لم يسمعها ، ثم ذهب بها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »[22] حيث يشير الحديث إلى أهمية الوضوح فى بيان الحكمة والعلم النافع من خلال الحفظ الجيد والوعْى الكامل فى سماع المقال ليبلغه لغيره بما يسهل عليه فهمه ، كما روى أنس ـ رضى الله عنه : « أن النبى ﷺ ـ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه »[23] وهو مايدل على أهمية وضوح الأسلوب فى البيان بما يستقيم معه فهم المطلوب منه ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن (الأغلوطات)[24] وهى المسائل الغامضة التى لا يستقيم فهمها للناس ، وتثير شراً وفتنة وهى لا تنفع فى الدين ولا الدنيا[25] ولذلك تدخل تحت باب العلم الضار الذى يحرم نشره .

---

(٢٢) رواه الطبرانى فى الأوسط ، راجع ، الترغيب والترهيب للمنذرى ـ جـ ١ ـ ص ٦٤ ، وقد روى عن طريق ابن مسعود ، راجع : شرح السنة للبغوى ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٦ ـ طبعة مجمع البحوث ـ ومسند الإمام أحمد ـ جـ ١ ص ٩٦ ـ طبعة شاكر .

(٢٣) رواه أبو داود فى سننه ، كتاب العلم ، باب تكرار الحديث ـ جـ ٣ ـ ص ٤٣٦ ، وراجع : شرح السنة للبغوى ـ السابق ـ ص ٢٩٨ .

(٢٤) رواه أبو داود من حديث معاوية فى كتاب العلم ، باب التوقى فى الفتيا ـ جـ ٣ ـ ص ٤٧٣ ـ راجع مسند أحمد ـ جـ ٤ ـ ص ٤٧٥ .

(٢٥) شرح السنة للبغوى ـ جـ ١ ـ ص ٣٠٤ هامش .

ليس التبرج قرين الحضارة

لفضيلة الشيخ/
عبد العزيز أحمد رضوان (*)

يشيع بين بعض المغرضين أن الإسلام ظلم المرأة ولم يعطها حقها فى الانطلاق والحرية . ثم يرددون ، ويرددن : ما بال الفتى يلهو كما يشاء ، ويعبث أنى شاء ولا يحاسبه أحد ، بينما الفتاة لو غابت عن البيت حوسبت ، وهاج وماج أهلوها وذوو قرباها ؟!! أليست تلك تفرقة عنصرية بينما الإسلام دين المساواة ؟!!

ولماذا يعاب على المرأة أن تبدو أنيقة ذات هندام جميل ؟ أليس الله جميلا يحب الجمال ؟ ولماذا إقرار مظاهر الكآبة والحبس فى البيـوت وتعطيل نصف المجتمع من العمل والإنتاج ؟ أليس هذا ظلماً وأى ظلم ؟!!

وهل هذا الذى تدعون الناس إليه إسلام ؟ إلخ هذه الافتراءات .

وهذا الكلام وأمثاله ـ مما يشاع عن الإسلام فيه خلط وطمس للحقيقة ، وجهل بحقائق الإسلام الذى جعل المرأة صنو الرجل من حيث الثواب والعقاب ، فالإيمان والتقوى هما اللذان يرفعان أو يخفضان بصرف النظر عن النوع والجنس . قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾(١) .

وقال ـ سبحانه ـ :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٢)

---

(١) سورة آل عمران : من الآية ١٩٥ .
(٢) سورة النحل : الآية ٩٧ .

(*) الكاتب : المدير العام لمنطقة السويس الأزهرية للتعليم والدعوة .

وليست قوامة الرجل على المرأة ، وجعل عصمة الزواج بيد الرجل - على سبيل المثال - من باب التحيز للرجل ، وإنما مرد ذلك للخلقة التكوينية للرجل والوظائف التى فطره الله عليها لينهض بعبئه ، فهى من قبيل التكليف لا التشريف ، وهذه نماذج من خلط هؤلاء المغرضين :

إذا ما تباطأ القضاء فى إصدار حكم ينصف امرأة مظلومة ، قالوا : هذا هو الإسلام !!

وهذا رأى الناس : « أريد حلًا » .

وإذا ما حدث فى بيئة غاشمة أن أجبرت الفتاة ظلماً على الزواج بمن تكره ، قالوا : هذا هو الإسلام .

وإذا سيقت المرأة كارهة إلى زوج لا تريده ، أو إلى ما كان يسمى (بيت الطاعة) يوماً ما ، قالوا : هذا هو الإسلام !! ورأى الناس فيلم (بيت الطاعة) .

وإذا جار جائر فى قضية وكان قد رفع شعار الولاء للإسلام قالوا : هذا هو الإسلام !!

وإذا ما صدرت فتوى شاذة لا يقرها الإسلام ولا جمهرة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، كتحريم ارتداء ربطة العنق ، أو قيادة المرأة للسيارة ، أو بطلان صلاة غير الملتحى ، أو اعتبار صوت المرأة عورة ، قالوا : هذا هو الإسلام !! وهكذا .

أولئك كارهون للإسلام ، عازفون عن النظر فى نصوصه ومن يكن كارهاً حقوداً فإنه لا يصلح لريادة أمة ، ولا يصلحُ به عمل ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٣]

إن هؤلاء لا يعيشون إلا مسارعين فى الإثم والعدوان ، صيادين للشبهات ، عاملين لخلخلة بنيان المجتمع ، داعين لهدم الوحدة والتقارب بين المسلمين ، متغنين بأمجاد المذاهب الهدامة .

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا

إن الفتيات الآن يتلقين التعليم فى أنحاء العالم الإسلامى وفى أعرق جامعات الدنيا كلها « الأزهر الشريف » فكيف ينسب للإسلام أنه حبس المرأة فى البيت ومنعها من التعليم ؟.

وكيف ينسب للإسلام أنه أباح للفتيان الانطلاق الفارغ واللهو الماجن فى حين منع الفتيات هذا (الحق) ؟

إن الإسلام يحرم العبث والمجون على الجنسين ، والقرآن الكريم ملىء بمثل هذه المعانى ، ومنها دعاء عباد الرحمن : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ ﴾[٤]

وقال - تعالى - عن المؤمنين :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[٥] وقال آمراً المؤمنين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[٦]

والله - سبحانه - يصف الكافرين بأنهم

(٣) سورة محمد : الآية ٩ .

(٤) سورة الفرقان من الآية ٧٤ .

(٥) سورة الطور من الآية ٢١ .

(٦) سورة التحريم من الآية ٦ .

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾(٧) .

ثم إن الإسلام لم يحرم على المرأة أن تخرج من بيتها لضرورة العمل أو البيع والشراء والتعلم والتعليم وغير ذلك من الضرورات الشرعية ما دامت ملتزمة بلباس الوقار وآداب الإسلام . مصداقاً لقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾(٨) .

﴿ ... وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ... ﴾(٩) الآيات ويقول الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾(١٠) .

ويحذر رسول الله ﷺ هؤلاء النساء اللواتى يتبخترن فى مشيتهن ويتسكعن فى الطرقات دون ما خجل أو حياء فيقول : « **صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** »(١١) . والإسلام لايعيب على المرأة التزين لزوجها وإشاعة جو الجمال والحس المرهف إلى جانب المودة والرحمة والسكينة فى بيت الزوجية ، وإعفاف زوجها عن النظر إلى غيرها .

ولكن الأوضاع الآن انعكست . فالبيت فى كثير من البيوت مهمل ، والزوج مضيع الحقوق ، تهجره الزوجة وتحتقره وتعصيه ، فإذا ما خرجت إلى الطريق تعطرت وتكسرت إغراء ، وغيرت خلقة الله لها بألوان شتى ، فإذا ما أهيب بها أن تتقى الله وأن تعود إلى آداب الإسلام ؛ صاح أعداء الإسلام هذا جمود ، هذا تحجر ، هذه رجعية !!!

إن الحبس فى البيت جعل عقوبة للواتى يأتين الفاحشة كما قال القرآن الكريم :
﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾(١٢)

أما بنات الهوى وطالبات المتع المحرمة فإنه لا ينبغى أن ينطلقن فى بؤر الفساد ومواطن اللهو والفجور غير عابئات بدين ولا مستمسكات بأخلاق . وصدق شاعر النيل إذ يقول :

أنا لا أقول : دعوا النساء سوافرا
بين الرجال يجلن فى الأسواق
يدرجن حيث أردن ، لا من وازع
يحذرن رقبته ، ولا من واق
فتوسطوا فى الحالتين وأنصفوا
فالشر فى التقييد والإطلاق
الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

---

(٧) سورة الأعراف من الاية ٥١ .
(٨) سورة الأحزاب : من الآية ٣٢ ، ٣٣ .
(٩) سورة النور : الآية ٣١ .
(١٠) سورة الأحزاب من الآية ٥٩ .
(١١) رواه مسلم .
(١٢) سورة النساء آية : ١٥ .

إن المذاهب الهدامة ـ جعلت من المرأة سلعة للتجارة بها ، ويتناولها رجال ليجعلوها واجهة الإغراء فى المحال التجارية ، وفى الإعلانات وحرضوها على ترك البيت والزوج لترقص وتغنى وما إلى ذلك فماذا أخذت وماذا أخذوا ؟

أبهذه السخافات نصف حضارة القرن الحادى والعشرين ؟!!

إن التكريم الحقيقى للمرأة هو الذى أعطاه لها الإسلام بعد أن كانت تورث ولا ترث . وبعد أن كانت تقاسى من ظلم الرجل فى العادات الجاهلية ، من (وأد) ، (وإيلاء) ، (وظهار) ، فحرم أن تورث وقرر لها ميراثاً وحكم لها بالطلاق رغم أنف زوجها إذا أساء عشرتها ، وتعدى حدود الله معها ثم استخلص لها حقها منه ، وقرر لها أن تختلع من زوجها لو كرهته حتى ولو لم يسىء إليها بشروط الخلع المقررة فى القرآن والسنة ، وأعطاها حقها بنتاً وزوجاً وأماً ، وأوصى بها وبالصبر عليها ، والأدلة على ذلك من آيات القرآن والسنة أكثر من أن تحصى .

يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾[١٣] .

وقال ـ عز وجل ـ : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١٤]

وسؤال خولة بنت ثعلبة لرسول الله ﷺ وسماع الله ـ عز وجل ـ لها من فوق سبع سموات ، ونزول صدر سورة المجادلة لأجلها معروف مشهور .

ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ مستهجنا ما كان عليه العرب ـ أو بعبارة أصح بعضهم ـ من وأدهم للبنات : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾[١٥] .

وها هو رسول الله ﷺ يقول من خطبته فى حجة الوداع : « ألا واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنما هن عوان عندكم ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا »[١٦] ..

وبعد :

فليعلم اعداء الإسلام مهما زاد عددهم وكثرت افتراءاتهم ، وساندتهم شياطين الإنس والجن أن دين الله « الإسلام » الذى ارتضاه لعباده باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾[١٧] .

---

(١٣) سورة النساء : الآيات من ١٩ ـ ٢١ .
(١٤) سورة البقرة : الآيتان ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(١٥) سورة التكوير : الآيتان ٨ ، ٩
(١٦) رواه الترمذى وحسنه وصححه .
(١٧) سورة غافر : الآيتان ٥١ ، ٥٢ .

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

منعنى المرض من صيام شهر رمضان ١٤١٤هـ (أى العام الماضى) وأدى هذا المرض إلى منعى القضاء حتى رمضان القادم بأمر الأطباء .

فهل يجوز أن أصوم رمضان القادم ١٤١٥هـ وأقضى صيام رمضان ١٤١٤هـ بعد رمضان ١٤١٥هـ وذلك لعذر المرض ورأى الأطباء .

أفيدونا أفادكم الله .

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فبالاطلاع على السؤال المبين بصدر هذا نفيد :

بأنه مادام هذا المريض قد استمر مرضه إلى حلول شهر رمضان لعام ١٤١٥هـ فعليه إذا استطاع صوم شهر رمضان الحالى أن يصومه ، ثم يقضى صوم شهر رمضان الذى فاته صيامه بسبب المرض سنة ١٤١٤هـ متى استطاع ذلك ، ولا يشترط فى قضاء صيام ما فاته التتابع .. هذا وبالله التوفيق

● ● ●

السؤال موجه من مسجد هالتون بولاية توزينو بكندا عن كيفية وضع الميت فى القبر وما الحكم ؟

الجواب

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .

فنفيد بأنه يسن أن يوضع الميت فى قبره على جنبه الأيمن ورأسه متجهه الى جهة القبلة ، وأن يوضع تحت رأسه قطعة من الطوب اللبن سواء كان بكفنه أو موضوعا فى صندوق ، ويوضع فى حفرة ويهال عليه التراب لقوله تعالى « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » ولا مانع من وضع شاهد مذكور عليه اسمه والله تعالى أعلم .

سؤال من السيد/إيهاب فخر الدين هندى .

يسأل عن الحكم الشرعى لطفل الأنابيب بوضع الحيوان المنوى للزوج وبويضة الزوجة للإخصاب فى (أنابيب) بدون تدخل أىّ بويضة أو حيوان منوى آخر ، بل خاص بالزوج والزوجة فقط وذلك لظروف مرضية خاصة بالزوجة أو الزوج .

أفيدونا أفادكم الله

الجواب : فتوى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر من كتاب « الفقه الاسلامى مرونته وتطوره » لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ/جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر من ص ٢٦٩ إلى ص ٢٧٣ ، وكتاب « بيان للناس » ص ٢٤٠ إلى ص ٢٥٤ .

عن السؤال المقدم :

١ ـــ وصورته أن تؤخذ بويضة الزوجة التى لا تحمل وتلقح بمنى زوجها وتم تفاعلهما وإخصابهما خارج رحم هذه الزوجة (أنابيب) وأعيدت البويضة ملقحة إلى رحم تلك الزوجة دون استبدال أو خلط بمنى إنسان آخر أو حيوان ، وكان هناك ضرورة طبية داعية لهذا الإجراء كمرض للزوجة يمنع الاتصال العضوى مع زوجها ، أو به هو قام المانع ، ونصح طبيب مسلم حاذق مجرب بأن الزوجة لا تحمل إلا بهذا الطريق ، ولم تستبدل الأنبوبة التى تحضن فيها بويضة ومنى الزوجين بعد تلقيحهما ، كان الإجراء المسئول عنه فى هذه الصورة جائزا شرعا ، لأن الأولاد نعمة وزينة وعدم الحمل لعائق وإمكان علاجه أمر جائز شرعا ، بل قد يصير واجبا فى بعض المواطن «فقد جاء أعرابى»[1] فقال : يارسول الله أنتداوى ؟ قال : نعم فان الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله . رواه أحمد ، فهذه الصورة والصورة فى السؤال الأول من باب التداوى مما يمنع الحمل والتداوى بغير المحرم جائز شرعا ، بل يكون التداوى واجبا اذا ترتب عليه حفظ النفس أو علاج العقم فى واحد من الزوجين ولا يجوز أن تحل مكان الأنابيب حيوانات تصلح لاحتضان هذه البويضة أى تحل محل رحم هذه الزوجة لحين أو لفترة معينة يعاد الجنين بعدها إلى رحم ذات الزوجة .

والله تعالى أعلم

---

(١) منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ ص٢٠٠ فى أبواب الطب .

من أعلام الأزهر

الدكتور محمد البهى

مفكراً ومصلحاً

٢

أ.د/ محمد رجب البيومى

ترك الدكتور محمد البهى أكثر من سبعين مؤلفاً فى شتّى نواحى الثقافة الإسلامية ، أحلّته مكاناً رفيعاً بين أعلام الثقافة الإسلامية المعاصرة ، إذ انفردَ بإبداعٍ منهجى فى التفكير والتعبير معاً ، فهو دقيقُ العبارة واضحُها ، ولا يفارقهُ هذا الوضوح وهو يتحدث عن أدق مسائل الفلسفة ذاتِ الغوْص البعيد ، إذ أنّ مرانه التعليمى فى قاعات الدّرس الجامعى أورثه درايةً واعية بمخاطبة الأفهام على اختلاف حظوظها فى التلقّى الفلسفىّ الدقيق ، فإذا خاطب القارىء فى سِفْرٍ عام فقد اكتسب مَذْهباً محدّداً فى التفهم والتوجيه ، وإذا كانت مؤلفاته ، قد جاوزت السبعين فإنّ واحداً منها قد نالَ من الحظوة لدى الدارسين ما جعله مصدرًا أولياً فى موضوعه وما أتاح له الانتشار فى شتّى ربوع الإسلام عن طريق الترجمات المختلفة ، هذا الكتاب الذائع ذو الشهرة المستفيضة هو (الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى) وقد تحدّث عنه البهى فى مقدمة الطبعة الثالثة حيث قال[١] :

« فبالرغم من أنّ له كتباً وكتابات غير كتاب (الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى) فقد كنتُ أُعرَّف به فى رحلاتى المختلفة فى المشرق والمغرب التى قمتُ بها منذ عام ١٩٦٠ إلى آخر عام ١٩٦١ سواء فى الباكستان أو الملايو أو أندونسيا أو الفلبين أو فى شمال أفريقيا فى ليبيا والمغرب أو فى غرب أفريقيا فى نيجيريا ، فما ذُكِرتُ فى مرّةٍ من المرات أثناء هذة الرحلات ، وما عُرِّفت عند إلقاء محاضرة أو حديث إلّا بأنّى مؤلف (الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى) .

(١) مقدمة الطبعة الثالثة .

فإذا أراد القارىء أن يعرف الدافع الذى بعث المؤلف إلى تسطير كتابه ، فإنّه سيقف على حقائق مؤلمة حين يعلم أنَّ الدراسات الإسلامية فى جامعات أوربا وأمريكا تُتخذُ وسيلة للطعن فى الإسلام تحت شعار البحث العلمى ، وقد كان الدكتور البهى أستاذاً بمونتريال الأمريكية فشاهد من غرائب الاحتيال العلمى والتدليس التبشيرى ما أشار الدكتور إليه فى قوله(٢) ـ ببعض التصرف اليسير ـ .

لقد أشفقت على نفسى فى هذا العام أن أموت حزناً على ما ينشره المستشرقون ضدّ الإسلام فى الغرب والشرق على السواء ، فما يُسمَّى « معهد الدراسات الإسلامية بمونتريال » عبارةٌ عن مسْرح تمثّل عليه (خرافة) الإسلام ! وتناقضات المبادىء فى القرآن ! واللاإنسانية واللاحضارة فى المجتمع الإسلامى ! ويجلب إليه الطلبة من البلاد الإسلامية ، ويُختارون من أصحاب النفوذ فى المستقبل ، كما يُدعَى المدرسون والأساتذة ، وهم ثلاثة أنواع ، نوعٌ من الانجليز والأمريكان ممن يثيرون الشبة ضد الإسلام ، ونوعٌ من المسلمين ضعاف الشخصيّة تستهويهم الإقامة فى الحياة الأمريكية ، وهى حياةٌ مملوءةٌ بالإغراءات المادية ، ونوعٌ آخر من المسلمين عرف بشخصيته القوية ، ويُرادُ له عن طريق مثل هذه الدعوات أن يتعاطف يوماً مع ما يكتبه المستشرقون ، كان هناك تركى مسلم اسماً ، يدرس علم الاجتماع الإسلامى فى كتاب ألفه يهودى نمساوى ، ينكر فيه أن يكون الإسلام صاحب اتجاه حضارى فى تكوين الأمة والمجتمع ، وهناك باكستانى يقوم بتدريس التناقض فى آيات القرآن ، وقد تنصر هو وزوجته فكتب له عقد طويل الأمد ، وفى قاعات البحث تطرح الشكوك من قبل الطلاب والطالبات الأمريكيات كطرف مواجه للمسلمين ، ويقوم بالرد مثل هذا التركى وذلك الباكستانى » !

فى هذا المجتمع الحاقد بدأ الدكتور البهى يخطّ كتابه عن الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربى ليدحض كل مايتردد فى هذه الدوائر التبشيرية من افتراءات ، وليبين أن للإسلام حضارته واستقلاله وإنسانيته ، وكلّها تفوق بالدليل المادى ما يزعم الغربُ لنفسه من دعاوى الحرية والإخاء والمساواة ، وقد ابتدأ بفاتحة موجزة تتحدّث عن تسلل الاستعمار الغربى إلى العالم الإسلامى ، ووسائله المُريبة فى تحطيم الكيان الإسلامى ، ثم يلى ذلك حديثٌ مركّز عن داوهى الاستشراق وما يبثّه من سموم ذات أثر قاتل يؤكّد على تمجيد القيم الغربية وتوهين التعاليم الإسلامية مفترياً ومضللًا .

وإذا كان جمالُ الدين الأفغانى ومحمد عبده قد قاوما الاستعمار مقاومةً واجبة يسندها الدليل الملزم ؛ فقد بسط الدكتور البهىّ جهوده فى النطاق ، فارقاً بينهما وبين جماعة من المسلمين عرفوا بالإصلاح الدينى على مذهب الغرب ، فتخلوا عن تعاليم أصيلة فى مبادىء الإسلام زعْمًا بأنها لا تصلح للبقاء ، فكسبوا الشهرة والمال وخسروا الشرف والكرامة ... وحين انتهى المؤلف من ذلك بسط الحديث الشافى عن اتجاه الفكر الإسلامى منذ القرن العشرين ، وأثر الحملة الصليبية فى تشويه الإسلام ومبادئه ، وعن المجددين فى مصر ، وقد فضح أساليب التجديد المنحرف حين أفاض فى

(٢) حياتى فى رحاب الأزهر للدكتور البهى ص ١٢٧ .

تحليل ماكتبه المستشرق (جب) عن « بشرية القرآن » وما تورط فيه الدكتور « طه حسين » من أغاليط فى كتاب الشعر الجاهلى لها أصولها الواضحة فى كُتُب الاستشراق ، واطّرد البحث فشمل كتاب « الإسلام وأصول الحكم.» ومادار حوله ، وما أعقبهُ من تأثير ضار ، أما ما كتبه البهى فى تفنيد الشيوعية فقد كان شجى فى حلوق ذيولها فى مصر ، فعملوا على مطاردة الكتاب ، وحاربوا إعادة طبعه فى « الدار القومية للنشر » بعد أن تعاقدت على نشره ، ثم خُتم الكتابُ ببحث واف عن الدكتور محمد إقبال ومنحاه التجديدى موازنًا بفلاسفة الغرب ، ولعلّى بعد هذا العرض الموجز أكون قد دفعت من لم يقرأ هذا الكتاب إلى ضرورة مطالعته واتخاذه درعاً واقياً من الأراجيف ، ولا أكتم الحقيقة حين أقول إن كثيراً ممن أعقبوا الدكتور البهى فى الخوض فى هذه المسائل قد اقتفوه ، وانتفعوا بما قدم ، أشاروا إليه أم سكتوا عنه ، وليس أقر لعين الكاتب من أن يرى أفكاره تمتدّ وتستفيض ، وأن يلمس تلاميذ . من الناشئة فى غير جامعته يعتنقونها ، ثم تصبح مصدراً من مصادرهم العلمية حين يتجهون إلى التأليف بعد حين ..

ومن بين ما أنتج الدكتور البهى سلسلته القرآنية التى سماها « من التفسير الموضوعى » حيث شملتْ ثنتيْن وعشرين سورةً من كتاب الله ـ تعالى ـ غير جزء عم المتمم لها ، وقد كُنتُ أفهم أن يكون التقسيم الموضوعى عاماً لا يخص بسورة واحدة ، أم أن يكون التفسير الموضوعى خاصًّا بسورة معينة فهذا ما لم تتضحْ لى وجهته السديدة إلى الآن ، وأذكُر أنّى بسطت هذا الرأى فى كتابى (التفسير القرآنى) حيث قلت[٣] :

« لقد أصدر الدكتور محمد البهى أكثر من عشرين جزءًا لَطيفاً ، يضم كلّ جزء تفسير سورة خاصة من كتاب الله ، وكلها تحت عنوان « التفسير الموضوعى للقرآن الكريم » ومن هذه الأجزاء ما يَشْملُ سور « الأنعام ويونس ويوسف والرعد والنحل والكهف وطه والمؤمنون والشعراء والقصص والصافات والأعراف وهود وإبراهيم والحجر والإسراء ومريم والأنبياء والفرقان والنمل والعنكبوت والجن » حيث مضى فى التفسير آيةً آيةً وفق السرد المعهود فى المصحف الشريف ، وزاد عليه أن بدأ كل سورة بملخص لعناصرها العامة التى تدور حولها الجزئيات ، إذ أنّ أصحاب هذا الاتجاه يروْن أن كلّ سورة قرآنية ذاتُ وحدة موضوعية يتلمّسون لها الأسباب بذكر العناصر التى يهتدون إليها ، لتكون بمثابة دوائر يجتمع فيها جزئياتٌ تنتهى إليها .

وأرى أن معنى التفسير الموضوعى فى هذا الاتجاه يَسْقُط سقوطا تاما عند الوقوف لدى عناصر السورة الواحدة ، لأنّ كلّ سورة من سُور الكتاب لا تستقلّ بموضوع خاصّ لا تشملُه السّور الأخرى ، فإذا أردنا ـ مثلا ـ أن نفسّر سورة النور جعلناها من أمثلة التفسير الموضوعى ، فإننا نترك ما يدورُ حول أغراضها مما جاء فى سُور « النساء والطلاق والأحزاب » ، لأن جميع هذه السور

(٣) التفسير القرآنى ص ٧٧ وما بعدها للدكتور رجب البيومى .

تتحدث عن المرأة فى القرآن ، فكيف تكون السورة الواحدة من هذه السور المشار إليها مما يندرج تحت التفسير الموضوعى ، وهى لا تشملُ الموضوعَ بأكمله ؟ نحن لا نمنع أن تُفَرد السورة الواحدة بتفسير خاص ، ولكننا نمنع أن يكون هذا الإفراد من قبيل التفسير الموضوعى ، وهو منه بعيد »

نعم قد يكونُ من قبيل التفسير الموضوعى ما أخرجه الدكتور البهى تحت عنوان (المجتمع الحضارى وتحدياته من توجيه القرآن الكريم) حيثُ عقد فصْلين هامّيْن يتحدثُ أولهما عن مظهر الوحدة فى القرآن ، إذ يشير إلى وحدة المعبود ، وإلى الوحدة فى ذات الإنسان ، وإلى الوحدة فى اتجاه المجتمع وإلى الوحدة باعتبارها مظهرا حضارياً ، أما الفصل الثانى فيتحدّث عن تحدّيات المجتمع الحضارى فى القديم والحديث متعرّضا إلى المذاهب الضالة من قديمة ووافدة ، وفى كلا الفصلين جمعٌ شافٍ لآياتٍ مختارة من القرآن تعطى مدلولا متكاملا لما يعنيه الباحث من التوجيه الهادى إلى ذخائر القرآن الكريم ، إنّنا نعتبر كتاب « المجتمع الحضارى وتحدياته من توجيه القرآن الكريم »محاولةً لتفسيرٍ موضوعى يضمّ النظير إلى النظير من آيات الكتاب العزيز ، أما أن تكون السّورةُ الواحدة مثلًا للتفسير الموضوعى فهذا ما لم يتضحْ لى وجهتُه على نحو مقنع ، وقد أكون مخطئاً ولكنّى أبسطُ ما يخالجنى من ملاحظات ·

وبعد ، أتُرانِى أُنْهى الحديثَ عن الدكتور البهى دون أن أُشير إلى دَوْره القيادى فيما يُسمَّى بحركة التطوير فى التعليم الأزهرى معهدًا وجامعةً ، إنّ كثيراً من الناس يَرحْبون بأخطاء التطبيق إلى ما وافقَ عليه من نظامٍ نَقَلَ كليّات الأزهر من وضع إلى وضع ، كذلك جعل المعاهد الدينية تُقاسمُ المدارس فى علومها المدنيّة ، ولم تكنْ فكرةُ هذا التطوير جديدةً على فكر البهى وقد اخْتير لتنفيذها فجأةً كما يُحاولُ بعض الناس أن يقول ، ولكنّ فكرةَ التّطوير لديه قد بَدتْ فى ذهنه من يوْم أن رَجع من ألمانيا وقام بتدْريس الفلسفة فى كلية أصول الدين ، حيثُ رأى كليّات الأزهر بعامة تأخذُ مظهر التعليم الجامعى شكلًا لا موضوعا ، فالتعليمُ الجامعّى فى لبابه الأصيل — ودعْكَ من مسألةِ المذكّرات المنْتشرة الآن فى شتى الجامعات بالجمهورية فهل دخيلة على المنهج الجامعى كما يدخل العلَق فى جسم المريض يمتص دمه ، ويهن قوّته — هذا التعليمُ الجامعّى فى لبابه الأصيلُ لا يعتمدُ على كتابٍ قديم تُشرح ألفاظهُ وعباداته كل عامٍ ولا يتعدّاه الأستاذ إلى سواه كما عَرَفْنا ذلك أيّام الطلب ولمسناهُ عن يقين ، بل يعتمدُ على موضوع تجمعُ له المصادر المختلفة وينسجهُ الأستاذُ نسجًا جديدا ، تظهر فيه روحُه العلمية مناقشةً ونقداً وإضافة ، والطالبُ من ورائه يتتبع المصادر ويولى الخطوات فى شتّى الأسفار المختلفة ، حتى يعرف كيف اهتدى أستاذه بتوجيهه الخاص — إلى ما قرّر من الحقائق !! لقد بحث الدكتور البهى عن الكتاب الجامعى الجديد ، فلم يجده ، كذلك بحثَ عن الأستاذ الجامعّى الذى يستطيع القيامَ بالتأليف المنهجى على وجْهه الصحيح ، فوجدَ القلّة المبْدعة تضيعُ بين الكثرة المقلّدة حتّى ما يكاد يسمعُ لها صوت ! وقد كتبَ فى الأهرام مرّاتٍ عديدة مقالاتٍ تربويّة تنقد الاتجاه السائد ، ومنها ما أذكُر عنوانَه « الأزهر بيْن مبدأيْن متنافرين » ولا أعرفُ الآن تاريخ صُدوره لبعد

الزمن ، وإنْ كانت حقائقُه تشغلُ ذهنى منذ قرأْته ، كما أذكرُ مقالًا نشره بمجلة الرسالة تحت عنوان (الأزهر وبعثاته العلمية[٤]) ضمنَ بعض آرائه فى الكتاب والأستاذ ، قال فيه :

كما أنّ مبدأ قداسة بعض المواد دُون بعضٍ يسودُ التعليمَ فى الأزهر . كذلك مبدأ الكتابة ، إذ أن مدرّس الموضوع لم يخلُقْ بعدُ فى الأزهر ، وإذا كان فى طريق الخلْق والتكوين ، فالحقائق العلمية فى مادةٍ من المواد مصدرُها كتابٌ معيَّن بالذات ، والتمكينُ فى الخلافات العلمية ، ومشاكل البحث لم يزلْ إلى كتاب مخصوص » .

فإذا تركنا التعليم الجامعى إلى المعاهد الأزهرية من إعدادية وثانوية ، فإننا نجدُ ما أُضيف من المواد الحديثة ؛ كان ردّاً على صيْحَات متكررة قام بها من يُنادون بوحدة التعليم الابتدائى والثانوى فى مصر ، دون تفريق بين التعليم المدنىّ والتعليم الدينى ، وهى دعوةٌ نادى بها الأستاذ إسماعيل القبانى قبل أن يفكّر فيها الدكتور طه حسين بعدّة سنوات ، ثم تلقفها الدكتور ليسجلها فى كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر) ولما يجد صدىً لدعوته ، ارتقب عدّة سنوات حتى حانت له الفرصة ، فصاح بما سماه (الخطوة الثانية) فإذا أُضيفت هذه العلومُ إلى الدراية الأزهرية فقد قطعت ألسنة الناقدين ، ولا أنكر أن المنهج قد أصبح متخما إتخاما يتطلب التعديل الجزئى ، وهذا ما ندعو إليه مخلصين ، على أن تراعى الفروق بيْن طلاب القسم العلمى وطلاب القسم الأدبى مراعاةً جوهرية تنفذ إلى الصميم .

وقد ولى الدكتور البهى وزارة الأوقاف ليقدم النموذج الممتاز للوزير المسئول ، فقد شاء أن يرعى إدارات الأوقاف . ومساجد الدولة بنفسه ، فكان يذهب إلى المسجد منفرداً[٥] فى أقاصى الجمهورية ليرى الوضع فى مشهده الطبيعى ، وقد شاهد من مظاهر الإهمال ما دفعة إلى المؤاخذة الجادة ، وأذكر أنه فى بعض جولاته الميدانية شاهد أرملةً فقيرة تطلب المعاش المتأخر منذ شهور فلمْ تجد غير الطّرد والغضب المفزع ، فساءَه أن تشهد هذا الخزى المنكر ، وقد ذهب متنكراً ليرى ما يسوء ، فعاقب المهمل المستخف ، وثارت عليه الثوائر فى الأوقاف لأنه يسلك مسلك الجد الصارم كما ثار عليه بعض أساتذة الجامعة لأنه ألزمهم بكتابة بحوث للترقية ، بعد أن ألفوا مجيء الترقية ، بالأقدمية المطلقة ، أو بغير الأقدمية لمن يُجيد الاتصال بذوى الأمر ، هذا النهج الحازم صار مدعاة لغط لا مبرر له ، وقد مضى الزمن فانكشفت الحقائق على وجهها الصريح ، وأنا الآن أُورخ لعالمٍ مصلح مجتهد ، ونابغةٍ بحاثة مبتكر ، فما علَّى غير أن أسجل ما اعتقد ، مؤكداً أنى لم أحظ بلقائه ، وإخالُه لم يسمع لى ، وإنما أدْرس وأسجل ، لأعلن ما اعتقد أنه الصواب ، وهذا حسبى .

---

(٤) الرسالة : ١٩٤١/١/٦ .

(٥) فى مذكراته التى نشرتها مكتبة وهبه بعد وفاته ما يشير إلى وقائع مشابهة ، فليرجع إليها القارىء إذا أراد ، وقد جاءت تحت عنوان (حياتى فى رحاب الأزهر طالباً وأستاذاً ووزيراً) .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« نصائح »

للإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه -:
إنكم فى أجل محدود ، وأمل ممدود ، ونَفَسٍ معدود ، ولابد للأجل أن ينتهى وللأمل أن يطوى ، وللنَّفَس أن يُحْصَى .

« كم سن القاضى ؟ »

لما وُلِّى المأمون يحيى بن أكثم قضاء البصرة وكانت سِنُّهُ نحو نيف وعشرين سنة ، أراد بعض أهل البصرة أن يعيره بذلك . ويضع منه ؛ فقال : كم سن القاضى ؟ فقال : سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله ﷺ مكة ، فجعل جوابه احتجاجاً .

« نصيحة »

إذا آنست من خل جفـــاء
فلا أجفو وإن هو قد جفـانى
ولكنّــى أداريــه برفـــق
وأمسك عن تناولـــه لسانى

« بلغنى أنك تغتابنى »

قال رجل للحسن البصرى : بلغنى أنك تغتابنى ، فقال : لم يبلغ من مقامك عندى أن أحكمك فى حسناتى .

« حقاً »

رأيت النـــفس تكـــره ما لديها
وتطـــلب كل ممتنـــع عليها

« شر الجلساء »

شر الجلساء : ثلاثة : عالم لا يمكنّك من أن تقول ، وجاهل لايفهم عنك ماتقول ، وبين بين ذو فضول .

« ليأمنك الأبرار ويخفك الفجار »

قيل : قال عمر بن الخطاب قبل أن يستعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة : « ماتقولون فى تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوى مشدد ؟! » .

فقال المغيرة : أما الضعيف المسلم فإن إسلامه لنفسه وضعفه عليك ، وأما القوى المشدد فإن شِداده لنفسه ، وقوته للمسلمين ..

قال عمر : « فإنا باعثوك يامغيرة » فكان المغيرة عليها حتى مات عمر ـ رضى الله عنه ـ وذلك نحواً من سنتين وزيادة ، فلما ودعه المغيرة للذهاب إلى الكوفة قال له : « يامغيرة ليأمنك الأبرار ، وليخفك الفجار » .

فيم تكذبان ؟

نظر رجل إلى اثنين يتحدثان .

فقال : فيم تكذبان ؟

فقالا : فى مدحك .

« بم عوضك الله ؟ »

قال بعضهم لبشار بن برد : ما أذهب الله كسر عينى مؤمن إلا عوضه خيراً منها فيم عوضك ؟

قال : بعدم رؤية الثقلاء مثلك .

« حقيقة »

حكى الاصمعى قال : مربى أعرابى سائلاً فقلت له : كيف حالك ؟ ، قال : أسأل الناس إلحافاً فيعطونى كرهاً فلا يؤجرون على مايعطونى ، ولا يبارك لى فيما آخذ .

« إنها .. لا تعرف الشر »

ذُكِرَت السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين ــ رضى الله عنهما ــ عند الخليفة عمر عبد العزيز ، وكان لهما معظما . فقيل : إنها لا تعرف الشر . فقال عمر : عدم معرفتها للشر جَنَّبها الشر ــ رضى الله عن الجميع » .

« دعاء »

« اللهم افتح مسامع قلبى لذكرك ، وارزقنى طاعتك وطاعة رسولك ، وعملًا بكتابك » .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

العالم الذى نوه الدين بذكره وخطأ الناس فى ذلك

لصاحب الفضيلة الشيخ يوسف الدجوى

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات

من العالم الذى يطلق عليه لفظ : عالم ــ حقا وصدقا ؟

وما العلم الذى يؤهل صاحبه لتسنم هذه المكانة السامية ؟

أما العالم ، فذلكم الذى يتغلغل العلم فى شغاف قلبه ، وحسه فيملك عليه كيانه ووجدانه فيعيش بالعلم وللعلم حتى يصل إلى روح اليقين ، عالما أنه مع ذلك لم يبلغ درجة الكمال ؛ ولذلك لا نجده يعتبر نفسه عالما .

وأما العلم ، فهو العلم الدينى والدنيوى على اعتبار أنهما مكملان لبعضهما وعليهما وبهما تقوم سعادة البشرية فى شتى مراحلها .

وما أنزل الله رسالاته السماوية إلا لإسعاد البشرية ولن تصل البشرية إلى تلك السعادة إلا بالعلم بشقيه السابقين ، فليتنا نعرف حدودنا وحجمنا وإمكاناتنا فقف عندها .

قال الأستاذ ــ رحمه الله .

يعتقد كثير من أهل العلم أنه ممن وردت فيه الآيات والأحاديث ، اغترارا بما معه من شهادة ما أنزل الله بها من سلطان ، أو تصنيف فى الفقه أو النحو أو البلاغة أو الأصول أو نحو ذلك ، باهلا أن ما افتخر به من ذلك قد يوجد فى غير المسلمين ، وها هى ذى كتب مدارسهم التى ألفها آباؤهم وعلماؤهم يشهد لها الناظر ويعترف بفضلها المنصف ، وما تسمعه عن مستشرقى أوربا أعجب وأغرب فهم شركاؤك فيما علمت ، فلا بد أن يكونوا شركاءك فى خاصة ذلك العلم ، وإلا وجد الشىء بدون خاصته وهو محال ، فاذا يجب أن يكون سر تفضيل العالم والثناء عليه من الله ورسوله راجعا إلى شىء آخر ، وأن تكون هذه العلوم التى ترفّعنا بها على الجهلاء ، وامتلأنا بها

عجبا وكبرا وغرورا ، وزالت بها سلامة فطرتنا وطهارة قلوبنا بما أورثتنا من الصفات المهلكة ، ونخشى أن نكون ممن قال الله فيهم : « وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ » أشبه شيء بالصنائع التى يتعلمها المسلم واليهودى والنصرانى ، ولا يرجع بها الفاسق عن فسقه ، ولا يتميز بها عن بنى نوعه ، إلا على قدر ما يتميز العالم بصنعة من الصنائع عن الجاهل بها

نعم يجب أن يكون سر التفضيل أمرا وراء ذلك كله ، وهو الذى جعل العلماء ورثة الأنبياء ، وجعل خشية الله خاصة من خواصهم « إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ » وكان مجلس واحد من مجالس العالم خيرا من عبادة ستين سنة ، ذلك العلم الذى يبلغ بك تلك الغاية ، ويحلك تلك المنزلة الرفيعة ، ومن أجله احترمك الجهلاء وعظمك الكبراء ، معتقدين أنك عرفت ما لم يعرفوه ، ووصلت إلى مالم يصلوا إليه ، والقلوب الإنسانية تحس بشرف العلم الأعلى ومكانة ذويه ، وتجل الروحانيين الربانيين إجلالها للملائكة المقربين ، وتنظر إليهم نظر أهل الأرض لأهل السماء على موجب ذلك الإحساس الذى لايكاد يخلو منه إنسان فيه روح الإنسانية .

ذلك العلم يجل عن أن يكون هو العلم بأحكام الفاعل والمفعول ، والتصغير والتكسير والمسند والمسند إليه ، والحقيقة والمجاز ، وتناقض الموجهات ، وأحكام المختلعات وفروع الطلاق ، والبيع والجنايات ، إلى آخر ما اشرأبت به الأعناق ، وعظم فيه السباق ، وتبجحت به النفوس ، وارتفعت به الرءوس ، بل يجب أن يكون هو العلم بجلال الله تعالى وعظمته وبديع آياته وعظيم أسراره فى خلقه ، مع معرفة خفايا النفوس ودقائق مكرها ، وتلبيسها وكثرة دسائسها وسرعة طيرانها نحو شهواتها ، فتراهم يتهمونها فى كل شيء ويعاملونها معاملة العدو المحتال ، باحثين وراءها فى كل ما تشير به ، خائفين من أن يكون لها فيه هوى دفين وشهوة خفية ، مجاهدين لها ما عاشوا ، ذائقين لقوله تعالى : « وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ » قائلين : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » وجلين من أن يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، فكانوا ممن عرفوا نفوسهم فعرفوا ربهم ، فامتثلوا قوله ــ تعالى : « وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ » فعزلوها عن منصب الرياسة فتخلصوا من غوائلها كلها ، فلم يتحركوا إلا لله ولم يسكنوا إلا لله ، ولم ينطقوا إلا لله ، ولم يسكتوا إلا لله، متحققين أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم فصبروا على بلائه ، وشكروا على نعمائه ، بل رضوا بقضائه وسارعوا إلى رضائه ، فلم يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضى وقدر ، بل سلموا له تسليما ، شأن العبد الصادق فى العبودية مع مولاه ، فرقين أن يندرجوا فى سلك من قال الله فيهم : « وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ » سائرين فى الدنيا على قدم الانبياء يتجرعون فى سبيل الحق شدة الأذى ، كاظمين غيظهم ، صابرين على ما أصابهم ، بل عافين عن الناس محسنين إليهم مشفقين عليهم على نهج من قال الله ــ تعالى ــ فى وصفه الكريم « حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » « فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن

لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا » زاهدين فى الدنيا راغبين فى الآخرة ، مقبلين على الله ـ تعالى ـ بكليتهم ، داعين إليه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، عالمين أنها محل المحن ودار الفتن ، فلا يحبونها إلا على ما رسم الشرع لهم ، مشفقين من قوله ـ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۞ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ مستبصرين فيها بما بصرهم سيدهم ، موقنين بما وعدهم من نعيم وملك عظيم ، عالمين أنها سريعة الفناء وشيكة الانقضاء ، يرون قريبا ما يراه الناس بعيدا .

أرى الموت يغتال النفـــوس ولا أرى
بعيـدا غدا، ما أقرب اليـــوم من غد!

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ » مقتفين أثر من قيل له : « وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ » واصلين إلى روح قولـه ـ تعالى : « سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ » « أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ » محبين للمرشد الأعظم والنبى الأكرم الذى هداهم الصراط المستقيم ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور محبة تزيد على محبة الوالد لولده ، والولد لوالده ، متحققين بما جاء فى حديث البخارى من قوله ﷺ : « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » وما ورد فى حديث البخارى أيضا « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » فوصلوا بذلك إلى روح اليقين ، حتى صارت مظان ثوابه ومواقع مرضاته ـ تعالى ـ مما تنشرح له صدورهم وتلتذ به نفوسهـم ، عالمين أنهم لا يبلغون درجـة الكمال ، وينتفى عنهم الحرج والمشقة ، ويصلون إلى محل الأمن ، إلا إذا تخلل ذلك جميع أجزائهم ، ورسخ فى كل ذراتهم ، فيميلون إليه ميلا طبيعيا يتقاضى منهم المسارعة إليه والعكوف عليه ، إذ هو محل الأنس وحضرة القدس ، مجتلين فى تلك الحضرات من عرائس الجمال الإلهى ما يفوق كل نعيم ، ويحتقر معه كل لذة سوة ، حتى قال قائلهم : « نحن فى لذة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف » فكادوا يهيمون بما يشاهدون من سبحات هذا الجمال ، ويذوبون عندما يوغلون فى سرادقات ذلك الجلال ، مدهوشين مما يذوقونه فى تل الحضرات من مناجاة وإلهامات وملاطفات وأنوار وأسرار ، فكانوا من قوم « يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » يتيهون على ملوك الدنيا استغناء وعزة ، على حين أنهم يتواضعون للفقراء ويخضعون للضعفاء ، ولكن أبى لهم مقامهم الذى يعرفونه من أنفسهـم ، وعزتهم التى يحسون بها من أعماق قلوبهم ، أن يتواضعوا لأهل العظمة والكبرياء ، وقد قال ـ تعالى : « وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ » إلى آخر ما يطول شرحه ولا يمكننا الآن أن نأتى عليه .

وبالجملة فقد اتصفوا بكل فضيلة ، وتخلصوا من كل رذيلة ، وأدركوا من شريف الأحوال ورفيع المقامات مالا عين رأت ولا أذن سمعت ،

ولا خطر على قلب بشر ، فكانوا بذلك ورثة الرسل وقادة الأمم ودواء العلل وكــواكب الظلمات ، وسرج المشكلات ، بهم تنحل العقد وتنفرج الكرب « وراثة نبوية وخلافة إلهية » ولذلك كانوا مرجع الأمراء والكبزاء حتى قال القائل قديما :

إن الأكابر يحكمون على الــورى
وعلى الأكابــر تحكــم العلمـــاء

وقد قالوا : إن الأمة تفسد بفساد الأمراء والأمراء يفسدون بفساد العلماء . فانظر أين أنت من تلك المقامات ، وإلى أى حد وصلت من البعد عن تلك الصفات أيها المتبجح بعلمك ، المترفع على بنى نوعك ، الغافل عن كون الإنسان لا يزال متعلما طالبا من العلم ما يكون وراء ما علم ، وكلما ازداد منه رياً ازداد عطشا وكلما زاد فضله ، بأن له جهله ، وقد قال ـ تعالى ـ لأعلم العلماء وأعظم العظماء : « وقل رب زدنى علما » وقال : « وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ »
وقال : « وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا »

وإن العالم حقا ليستحى من الله أن يتبجح بعلمه وهو يعلم أنه جعله محل الضعف والجهل والنقص والغفلة والنسيان ويرى أن العلم أمامه متسع الفجاج متلاطم الأمواج ، وهو بساحله يرجو أن يتطاير عليه من بحره رشاش ينقع به مزيد غلته ، ويشفى به بعض علته ، وإن لم يعرف ذلك فهو من الجهلاء لا من العلماء .

انظر الى ذلك كله ثم قل لى بعيشك هل أحببت النبى ﷺ حبا وجدانيا يزيد على محبتك للناس أجمعين ؟ وهل صار هواك تبعا لما جاء به ؟ بل هل سعيت إلى ذلك سعيه يوما من الأيام ، وآلمك من أجله ضميرك ، وعاتبتك عليـــه نفسك ؟ أم هل أحسست بحب الله تعالى من أعماق قلبك حبا يهون عليك قضاءه ويخفف عنك بلاءه ؟ أم هل صدقت فى بيع نفسك لله تعالى وقد جعل ذلك من صفات المؤمنين فضلا عن العلماء منهم ، فخلصت أعمالك من الأغراض والشوائب حتى صارت كلها لله فلم تتكالب على أمورك الشخصية ولم تتهالك على شهواتك النفسية ولم تذل لأهل الدنيا ذل العبيد ولم تنافق لهم نفاق صغار النفوس لئام الطباع ؟ وهل ذقت لعزة المؤمنين طعما ، أو عزفت لها معنى ؟ وهل أنت ممن قال الله فيهم : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ؟ أوممن قال فيهم : فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وهل أنت ممن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ؟ وهل أنت ممن يقول لأخيه عندما يقابله : اجلس بنا ساعة نؤمن ، كما كان يقول ذلك أصحاب النبى ﷺ بعضهم لبعض ؟ وهل أنت ممن « إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » ؟ وهل وهل الخ ؟ أم أنت ممن أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، وقد أحاط به الشره واستعبده حب الدنيا ، فليس يهمه إلا شىء يعود عليه وذرهم يصل إليه ، ففاتته عزة العلماء وثروة الأغنياء ، فهو لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وهو بالجهلاء أشبه منه بالعلماء ؟

نعم يوشك أن تكون من العلماء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : « أول من تسعر به النار يوم القيامة عالم لم يعمل بعلمه فيطيف به أهل النار فيقولون له مالك وقد كنت تأمرنا وتنهانا فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنها كم عن المنكر

وآتيه » كما يوشك أن تكون ممن قال الله فيهم : « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ » وقد أوحى الله إلى بعض أنبيائه « قل لعلماء السوء ألسنتكم أحلى من العسل وقلوبكم أمر من الصبر فبى يستهزءون وإياى يخادعون فوعزتى وجلالى لأتيحن لهم من الفتنة ما يدع الحليم حيران » وفى الأثر « لا تجالسوا من العلماء إلا من يأخذ بكم عن محبة الدنيا إلى محبة الله وعن الكبر إلى التواضع ، وعن التباغض إلى التحابب » ولا قدر للدنيا حتى تبيع بها السعادة الأبدية ، وقد قال بعض الملوك عندما حضرته الوفاة : كنت أظن أنى ملكت كل شىء فإذا كل شىء لا شىء وقال بعض الحكماء : « أعظم الناس ندامة صانع المعروف عند من لا يشكره ، وعالم فرط فى علمه فلم يعمل به حتى حضره الموت » .

وقد سقت لك ذلك عسى أن يحرك منى ومنك شوقا إلى العمل بالعلم وندما على ذلك العمر العزيز وخوفا من أن يخاطبنا الله ــ عز وجل يوم القيامة بقوله : « أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » ورجاء أن نكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا :

نُجُب الأيـــام بنـــا تثب
ما أسرع ما تصل النـــجب
والشمس تطير بأجنحـــــة
والليـــل تطايـــره الشهب
والدهـر يجد بفعـل الجــــ
ــد فليس يليق بك اللعب
ما القصد سواك فخل هوا
ك وكـن رجـلا فلك الطلب
سل دهـرك أيـن قرون الأر
ض يجبـــك بأنهمُ ذهبـــوا
ساروا عنـــا سيرا عجـــلا
فكـــأن مسيرهــــم الخبب
ما أفصحهـم ولقـد صمتـوا
ما أبعدهـــم ولقـــد قربـــوا
يا لاعب جد بفعـــل الجد
فلـــيس الأمـــــر به لعب
واحـذر دنيـــاك وزخرفهـــا
فجميـــع منـــاصبها نصب
فكـــأنك والأيـــام وقـــــد
فتحت بابا فيـــه النـــوب
وبقيت غريب الـدار فـــلا
رسل تأتـــــيك ولا كتب
وسلاك الأهل ومل الصحــ
ــب كأنهمو لك ما صحبوا
فاذا نقـــر الناقـــور جثـــو
ت ويومئـــذ يـــوم عجب
فيصيخ السمع ويجثو الجمـــ
ـــع ويجرى الدمع وينسكب
وجميـع النـاس قد اجتمعـــوا
ثم افترقـــــوا ولهم رتب
ذا مرتفـــع ذا منخـــــفض
ذا منجـــزم ذا منتصـــــب
فهنــــاك المكسب والخسرا
ن وثم الراحـــة والتعـــــب

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف

ألحان بلا أوتـــار

شعر : إبراهيم عيسى

خليُّــونَ .. أجـــلْ .. لكـــن لنـــا بالشوق أنسابُ
فإنْ مالت بنـــا الدنيـــا .. وأهـــلُ الـــفضلِ ما آبوا

° ° °

وإنْ غَلَّـــقَت الأبـــوابَ .. أو أغْـــمَضَ سردابُ
فإنَّـــا فى مناكبِهـــا لنـــا بالـــعشقِ أبـــوابُ

° ° °

نُفتِّحهـــا على أمـــلٍ له فى الـــرُّوح محرابُ
وفى المحرابِ لا ليْـــلٌ .. ولا ويْـــلٌ .. ولا غابُ

° ° °

تُنضِّرُ دمعـــةٌ أُنْثٌ .. فإنَّ الدمْـــعَ هَيَّـــابُ
يخافُك ياسَخِـــىَّ العفْـــوِ .. والحَنَّـــانُ وهَّـــابُ

° ° °

ويـــا بُشْراىَ لما قيـــل غفَّـــارٌ وتـــوَّابُ
ويـــا بشراىَ لما فُتِّـــحَتْ للنـــورِ أبـــوابُ

° ° °

ونـــفسى حينما ارتَجَـــفَتْ .. فَفَـــيْضُ الصفـــح سَكَّـــابُ
وقيـــل لها : ادخلى الصَّرْحَ .. فعـــرْشُ الحبِّ غلَّابُ

يا عيد أقبل

للشاعر
رشاد محمد يوسف

أقبل فللأرواح شوق . أقبل فللأعماق تَوْقُ
أقبل بكل البشريات . خطاك إيمان وصدق
أقبل كما وعد الكريم . ووعده نور وحق
يا عيد أنت ـ بفضل ربك ـ من لظى النيران عتق
وهدية للمسلمين وفيض رضوان ورزق
يلقاك وجدان التقاة ، ومن لهم فى الخير سبق
تأتى مكافأة لمن صاموا وقاموا واستحقوا
فالصوم وجدان يذوب هدى ، وجارحة ترق
ومشاعر يزكو بها فى القلب بالأنوار عمق
فاطرق على سمع الحياة عسى يفيق اليوم خلق
يا عيد قد عاد العداة . بهم على الإسلام حنق
عادوا بأغلال التعصب ، وهى ظلماء ورق
يستهدفون المسلمين وخطوهم محق وسحق
زرعوا المفاسد بيننا فانقاد أقوام وشقوا
وتنازعوا ما بينهم والخلف مأساة وحمق
والأدعياء المارقون علا لهم صوت وطرق
يا عيد وأشفع عند ربك ما سرى فى الأفق بَرْقُ
فالله وحّد خطونا والدين آصِرَةٌ وعرق
تسمو به شيم النفوس ، يضىء بالتسبيح نطق
يا عيد جَمِّعْ شملنا كى لا يرى فى الصف خرق
تاهت سفينتنا مع التيار. غام اليوم أفق
غابت عن الشط الأمين ولفها رعد وبرق
ومحمد طوق النجاة وما لنا إلاهُ طوق
يحنو ويهدى للصواب وخطوه نور ورفق
يدعو شتات العالمين فليس فى الإسلام فرق
والجرح فى عمق البلاد وما نجا غرب وشرق

يـــا حيـــاة ..

شعر/ محمد عبد الرحمن صان الدين

خففـــى الإيقـــاع فالإنسان فى دنيـــاه نِضْوُ
خائـــف مستـــوحش حتـــى وإن ألهاه لهو
لاهث الأنفـــاس قد أضنـــاه فى البيـــداء عَدْوُ
ماعلى الـــغبراء قلب من هموم العـــيش خِلـــو
والـــذى يدمـــى فؤاد الحر بالتجديـــف صِنْـــو

* * *

أنتِ آناً تبهريـــن الـــعين حسنـــا وجمالًا
وتحيـــلين الكئـــيب الجهـــم أنساً وجـــلالا
ثم آناً تفعـــمين النـــفس يأساً ومـــلالا
أو يصير الحسن قبحـــاً والريـــاحين نِصَالا
يا حيـــاة فاقت الحربـــاء ألوانـــا وحـــالا

* * *

ذات وجـــه واحـــد يـــدو لراء فى وضوح
أم وجـــوه ليس تحصى من كـــيب وصبـــوح

تجعـــل الإنسان فى دنيـــاه كالــــطير الذبيـــح
أى وجـــه أى قول ؟ فى منـــاحيها صحيـــح
لا تُحَـــدِّث ذا ارتيـــاب عن جميـــل وقبيـــح

* * *

من سبـــات العـــيش دبّت صحـــوة هزت كيـــانى
فاستفـــاق العقـــل والوجـــدان من سكـــر الأمـــانى
فرأيت الحق نِضْواً تحت أثقـــــــــال الهوان
ورأيت الباطـــل المختـــال يستوهـــى زمـــانى
حينما قد راح يمشى فى بريـــــق (الهيلمـــــان)

* * *

بلبـــــاس الخير عاق الشر فى خبث تسربـــــلْ
كم سليم القـــلب والوجـــدان بالتمويـــه ضلـــل
هكـــذا التمساح عنـــد الختـــل بالمغتـــر يفعـــل
بابـــتسام أو دمـــوع أو بقـــول يتـــوسل
من نقض لنقـــيض لاغتنـــام يتشكـــل

* * *

هذه الدنيـــا تزيت للـــذى ألغـــى الضميرا
فأحـــال المال والعرفـــان شراً مستـــطيرا
ومضى فى الأرض كالطـــاووس مختـــالًا غرورا
فارقبـــــوه عن قريب حينما يهوى حسيرا
إن شعبـــاً طاغيـــاً لابـــد يومـــاً أن يـــورا

في الشـــعر

تحريك المياه الساكنة !

بقلم الشاعرة : جليلة رضا

سعدت بقراءة مقال الأستاذ الشاعر محمد عبدالوهاب عن ديوانى : « العودة إلى المحارة » . واستوقفنى منه عدم اقتصاره على الحديث عن ديوانى الذى جعله عنوانا لمقاله ، ليكون العنوان دالا على المضمون .. ومهما يكن من شى فإننى أشكر له إشادته بديوانى سالف الذكر ، و للكثير من قصائده ، وتعاطفه معها .

أما عن ملاحظاته على قولى فى قصيدة « جاء الخريف » :

كأنك لم تعد تشكو على الدنيا .

وأن الشكوى لا تكون « على » فهى لا تكون إلا « من » أو « إلى » ، .. فهو شاعر يدرك ــ بطبيعة الحال ــ عملية التكثيف الشعورى والإيجاز التعبيرى ؛ فإن المعنى الذى قصدته أن الشكوى على مدى الدنيا من الناس .. وهذا هو المعنى الذى يدركه القارىء المتمعن فى كلمات وعبارات النص الشعرى .

* * *

وعندما يتحدث عن قصيدتى : « عصفورة وعملاق » و « الروابى الحالمة » ــ وهما من أحسن ما كتبت فى تقديرى ــ أجده يقول ــ عنهما : إنهما من تداعيات الخاطر ، وأنهما تفتقران إلى الجوهر المتألق لمكنون الشعر !؟

وهذا الحكم المتعجل يفتقر إلى التدليل عليه ، وذكر أبعاده ، فضلاً عن التحليل والتعليل ، والموازنة التى لا بد منها .. وهل الشعر فى أحسن حالاته إلا « تداعيات الخاطر » فى لحظة التجلّى ؟ والتعبير

عن التجربة الشعورية بعمق وإحساس .. هل يدُلّنى الشاعر المجيد على بديل آخر لتداعيات الخواطر أثناء الإبداع الفنى ، من واقع تجربته الذاتية ، أو من واقع تجارب غيره من الشعراء .؟

هل يدون الشاعر قصيدته من غير تيارات الوعى الباطن ــ والظاهر أيضاً ــ ومحاولة المواءمة بينهما ، كسوانح تعرض بأفقه الشاعرى ، بين الحين والحين ، يقتنص منها المُتاح ، للتعبير عن المعنى الذى يقصده ، وإذا كان موفقاً محظوظاً .. فقد تنبثق من أعماقه الشوارد والسوانح ــ على حد تعبير الشاعر الكبير محمد عبد الرحمن صان الدين ــ التى لا تخطر على بال سواه .

★ ★ ★

ثم أراه يقول أيضاً : أن القصيدتين تفتقران إلى الجوهر المتألق لمكنون الشعر !! وهذا قول غير محدد ، ومرسل غامض ، فلا أدرى ما يقصده بتعبير « الجوهر المتألق » وكذلك تعبير « مكنون الشعر » لماذا لم يفصِّل القول ويأتى لنا بالشواهد والشروح ، ويضرب لنا المثل للتوكيد على ما يقول ، بدلاً من هذا الأسلوب « التلغرافىّ » ؟!

وإذا أراد أن يعطى النقدَ حقه ــ كما يقول ــ فكان يتعين عليه أن يُعلِّمنا ويعرِّفنا ــ على كِبَر بمكنون الشعر من وجهة نظره ، وكيف يراه ؟..

ويصف لنا أيضاً « الجوهر المتألق » الذى افتقده فى القصيدتين المشار إليهما .. ولماذا لم يقدم لنا الموازنة أو الحيثيات الضرورية لتوضيح غرضه والإبانة عن طبيعة هذا الجوهر .. وما مداه وما أبعاده ؟ وكذلك مكنون الشعر .. ما علاماته وشواهده ، وكيفية إدراكه والنزول بساحته .

★ ★ ★

ثم ينتقل إلى قصيدتى : « الضيف الدائم » فيذكر أننى قد تلاعبت بأعصابه أمام « لغز » ضيفى الدائم ، ولم أكشف له عن هويته إلا فى آخر كلمات القصيدة المذكورة ، إذ اتضح ــ كما يقول ــ أننى أعنى : « القلق » ؟..

فهل مطلوب من الشاعر المباشرة والتقليد ، ليفصح عن غرض قصيدته منذ بدايتها حتى نهايتها ؟ أليس لكل شاعرة أو شاعر منّا خصائصه فى التعبير والتصوير ؟

★ ★ ★

وبالنسبة لوصفه لقصيدتى : « الحلم المنتصر » وأنها ذات جَرْس عالٍ ، فإننى لا أوافقه على هذا الرأى ، إذ أن القصيدة المذكورة حافلة بالرموز والإيحاءات ، وهى أقرب إلى الهمس والنجوى .

ومهما يكن من أمر فلا يسعنى إلا إزجاء الشكر للأستاذ الشاعر الوجدانى الرقيق محمد عبدالوهاب على ما يقوم به من تقويم ــ لشعر الشعراء، وإزجاء موفور الشكر لمجلة «الأزهر» الغراء لنشرها مثل هذه الدراسات الجادة ، مما يثرى النقد ، ويحرك المياه الساكنة .

وكم نتمنى للشاعر الناقد أن يواصل تقديمه ونقده للشاعرات والشعراء على السواء .

والله ولىّ التوفيق .

العلوم الكونية

تصنيف علوم الطب فى تراث المسلمين

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا

كانت الحضارة الإسلامية مصدر الإشعاع الوحيد الذى غمر بنوره كل أنحاء الدنيا فى العصور الوسطى ، ولا تزال مؤلفات علماء المسلمين خير شاهد على ما أنجزوه من تقدم فى مختلف فروع العلم . وفى مجال الطب كان لهؤلاء العلماء القدح المعلى ، سواء فى فن الترجمة والتأليف ، أو فى اتباع المنهج العلمى السليم ، أو فى السبق إلى العديد من الاكتشافات التى لا يزال العالم ينعم بثمارها وفوائدها حتى اليوم . ويمكن تصنيف التراث الطبى الإسلامى بلغة العلم المعاصرة إلى علوم فرعية تشمل التشريح والجراحة والطب السريرى وطب الفم والأسنان وطب النساء والتوليد والطب النفسانى وغيرها .

أولا : علم التشريح

حظى علم التشريح ، والتشريح المقارن باهتمام خاص لدى علماء الحضارة الإسلامية ، حيث جعلوا دراسته أساسا لكل فروع الطب ، واعتبروا ممارسته ضرورية لفهم وظائف الأعضاء ، وإتقانه ضمانا لسلامة التشخيص والعلاج . ولم تكن مؤلفات اليونان فى التشريح هى المصدر الوحيد لمعلومات علماء المسلمين كما يدعى بعض المؤرخين غير المنصفين ، ولكن الإبداع الحقيقى فى هذا العلم بدأ فى عصر النهضة الإسلامية حيث كانت النتائج تُستخلص بناءً على المشاهدات والتجارب ، وليس على ما قاله الأقدمون من آراء نظرية وفلسفية . وكان الحكم فى أى قضية علمية للعقل والمنطق والخبرة والتجربة ، بصرف النظر هل وافق هذا الحكم رأى السابقين أو خالفهم .

ويعتبر أبو بكر الرازى من أوائل الأطباء المسلمين الذين ألفوا فى علم التشريح عن دراية واقتدار ، فقد ذكر أن رجلا سقط عن دابته فذهب حس الخنصر والبنصر ونصف الوسطى من يديه ، ولما علم أنه سقط على آخر فقار فى الرقبة قام بمداواة ما بين كتفيه لأنه كما يقول ــ كان يعلم من التشريح أن العصب الذى يخرج من أول خرزة بين الكتفين يصير إلى الأصبعين الخنصر والبنصر ويتفرق فى الجلد المحيط بهما وفى النصف من جلد الوسطى .

وعندما علم عبد اللطيف البغدادى ، أحد أصفياء صلاح الدين الأيوبى ، بوجود تل كبير من الهياكل العظمية البشرية فى مكان ما بالقاهرة ، سافر إلى هناك وفحص الآلاف من هذه الهياكل فحصا دقيقا ، وشاهد – كما يقول – من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها وأوضاعها ما أفاده علما لم يكن ليجده بين دفات الكتب ، وكان من بين ما توصل إليه أن الفك الأسفل عبارة عن عظمة واحدة بدون مفصل وليس مؤلفا من عظمتين يجمع بينهما مفصل أو تدريز كما قال « جالينوس » .

وقد أوصى ابن النفيس بأهمية دراسة التشريح المقارن لما رأى من تباين فى تركيب أجسام الحيوانات المختلفة ، وتوصل من ذلك – قبل « هارفى » الإنجليزى بعدة قرون – إلى كشف الدورة الدموية الصغرى بعد أن عرف تشريح الشرايين والأوردة فى الرئة ، وضمّن هذا الاكتشاف الرائد كتابه الشهير المعروف باسم « شرح تشريح القانون » كذلك توصل ابن النفيس من تشريح عيون الحيوانات إلى أن منفعة العين كآلة للإبصار لا تتم إلا بعصب يأتى من المخ ويميز المرئيات ، وهو العصب النورى أو العصب البصرى الذى يعرفه العلم الحديث ويقوم بنقل المرئيات التى تنطبع على الغشاء العصبى لشبكية العين إلى مركز الإبصار بالمخ ، حيث يتم تفسيرها وتحليلها والرد عليها بأجوبة وأفعال فورية ، فليست العين فى حقيقة الأمر سوى جهاز يرى به المخ كل شىء .

كذلك كتب ابن سينا وعلى بن عيسى الكحال وغيرهما فى علم التشريح الوصفى عن تشريح العين وطبقاتها ورطوبتها وأعصابها ومصدر غذائها وعلامات أمراضها ، وعرفوا أن حركة المقلة تحدث نتيجة لانقباض عضلات العين ، وأن حركة الحدقة تتم بانقباض القزحية وانبساطها .

وبينما كان علم التشريح يشهد أزهى مراحل تطوره فى عصر النهضة الإسلامية ، ويدفع فى ركابه كل فروع الطب الأخرى لتحرز الكثير من الاكتشافات العلمية الأصيلة ، كانت أوروبا فى العصور الوسطى تعتبر مهنة الطب بصفة عامة ، وممارسة التشريح والجراحة بصفة خاصة من الأعمال المشينة التى تنال من جلال الروح والجسم وتزيد الآلام أكثر مما تعمل على تخفيف وطأتها . ولم يؤخذ بالتشريح كعلم أساسى فى كليات الطب فى أوروبا إلا فى القرن السادس عشر الميلادى بعد أن تعلم الغربيون أصوله واقتبسوا فنونه من المؤلفات العربية لعلماء الحضارة الإسلامية .

ثانيا : علم الجراحة

تقدم علم الجراحة وعلا شأنه بين فروع الطب على أيدى العديد من علماء المسلمين الذين برعوا فى إجراء العمليات الجراحية بآلات وأدوات مناسبة ، واستخدموا الأوتار الجلدية وأمعاء القطط والحيوانات الأخرى فى تخييط الجروح بعد العمليات الجراحية ، وأظهروا دراية فائقة بجراحة الأجزاء الدقيقة من الجسم كالأعصاب والعظام والعيون والأذن والأسنان والفتق وشق القصبة الهوائيةوتفتيت الحصاة داخل المثانة واستئصال الأورام الليفية فى الأغشية المخاطية واستئصال الأورام الخبيثة وغيرها .

وقد وصف أبو بكر الرازى فى كتابه « الحاوى » عملية جراحية فى الأعضاء الآلية بقوله : « يجب أن تكون عالما بالعصب الذى يأتى إلى كل واحد من الأعضاء ، وما منها عصب الحس وما منها عصب الحركة ، وفعل العصب يبطله إما بتره البتة فى العرض ، أو رضه ، أو سده ، أو لورم يحدث فيه أو لبرد شديد يصيبه ، إلا أن الورم والسدة والبرد قد يمكن أن يرجع فعله إذا ارتفعت علله ، وإن حدث فى نصف العصب عرْضاً قطع استرخت الأعضاء التى فى تلك الناحية ، وإن شُقَّ العصب بالطول لم ينل الأعضاء ضرر البتة ، فاقصد أبداً عند بطلان حس عضو أو حركة إلى أصل العصب الجائى إليها » .

وللرازى وصف جيد لعملية إزالة جزء من العظام المريضة أو استئصالها كلها ، واستخدامه الماء البارد فى علاج الحروق ، وهى طريقة حديثة جدا وتستعمل فى الوقت الحاضر كإجراء إسعاف أوّلى لحروق الأطراف ، حيث يوضع الذراع أو الساق فى ماء بارد لمدة دقيقتين ، وقد ثبت أن هذا يؤدى إلى تخفيف الألم وتقليل فقدان البلازما . وللرازى كتاب آخر اسمه « المنصورى » ، أفرد فيه المقالة السابعة للجراحة ، وجعلها من تسعة عشر فصلا ، وهى تعنى بجمل من صناعة الجبائر والجراحات والقروح وعلاجاتها .

أما أبو القاسم الزهراوى ــ الملقب بفخر الجراحة العربية ــ فيعتبر كتابه « التصديق لمن عجز عن التأليف » موسوعة طبية تقع فى ثلاثين جزءا ومزودة بأكثر من مائتى شكل للأدوات والآلات الجراحية التى كان يستخدمها ، ومعظمها من ابتكاره . ولقد حظى هذا الكتاب باهتمام كبير لدى أطباء أوروبا وبقى مرجعا تدريسيا معتمدا فى الجامعات الأوربية لعدة قرون . وأول لغة ترجم إليها هذا الكتاب عقب ظهوره كانت اللغة العبرية ، ثم ترجم إلى اللاتينية « بالبندقية » عام ١٤٩٥ م « وفينيسيا » عام ١٤٩٧ م « واستراسبورج » عام ١٥٣٢ م « وبال » عام ١٥٤١ م . ونشر الجزء الخاص بالجراحة من هذا الكتاب مرتين : إحداهما للنص العربى مع ترجمته اللاتينية فى مجلدين بلندن عام ١٧٧٨ م ، والثانية للنص العربى فقط فى « لكنو » بالهند عام ١٩٠٨ م .

ولقد عرف علماء الحِضارة الإسلامية نظام الفريق فى إجراء العمليات الجراحية الكبيرة ، حيث يشرف أحد الأطباء على التخدير ويراقب آخر حالة النبض ، بينما يقوم الثالث بإجراء العملية يعاونه مساعد يمسك له موضع الجرح بآلة ذات شقين . ويأتى وصف على بن العباس لإحدى عمليات استئصال الورم دليلا على المستوى الرفيع الذى وصل إليه علم الجراحة فى عصر النهضة الإسلامية ، فيقول مُعلّماً تلاميذه : « عليك أن تقصّ بهدوء وتروّ ، فتفصل الورم عما حواليه واحرص على ألا تقطع أى شريان أو أن تقطع أى عصب فإذا فعلت فينبغى لك أن تسرع وتلحم الشريان حتى لا يحدث أى نزيف مكان العملية فيضايقك فى عملك ويعوقك عن الرؤية . فإذا ما انتزعت الورم ، أدخل إصبعك فى التجويف وتحسسه لعل هناك بقايا منه ... وإذا ما انتزعت الورم كله وتأكد لك زوال بقاياه المترسبة ، اجمع الجلد واقطع منه الزائد واستعمل فى التخييط نسيلاً من الأمعاء ... وأما السرطان فهو حقل لم يفلح فيه

الطب والتطبيب إلا نادرا ، لذلك عليك أن تقلع الورم من جذوره حتى لا تبقى منه بقايا أو رواسب ، ثم تضع فى التجويف خرقة (مطهرة) لئلا يحصل أى تعفن أو التهاب .

وإدراكا من علماء الحضارة الإسلامية لأهمية الجراحة ، فإنهم أدخلوا نظام الامتحانات وإعطاء الإجازات ، وفيما يلى نص شهادة حصل عليها طبيب عربى مختص بالجراحة الصغيرة « بسم الله الرحمن الرحيم » . بإذن البارى العظيم نسمح له بممارسة فن الجراحة لما يعلمه حق العلم ويتقنه حق الإتقان حتى يبقى ناجحا وموفقا فى عمله ، وبناء على ذلك فإن بإمكانه معالجة الجروحات حتى تشفى ، واستئصال البواسير ، وقلع الأسنان وفتح الشرايين ، وتخييط الجروح ، وتطهير الأطفال ... وعليه أيضاً أن يتشاور دوما مع رؤسائه ويأخذ النصح من معلميه الموثوق بهم وبخبرتهم .

ثالثا : علم الطب النفسانى

اهتم علماء الحضارة الإسلامية لأول مرة فى تاريخ الطب بالأمراض العصبية وأثر الوهم والعوامل النفسية فى إحداث الأمراض العضوية ، ويعتبر أبو بكر الرازى أول من وضع أصول علم الطب النفسانى ، وألف فيه كتابا أسماه الطب الروحانى ليكون – كما قال – قرينا وعديلا لكتاب « المنصورى » الذى ألفه فى الطب الجسمانى ، فقال فى هذا الموضوع : « قد يكون لسوء الهضم أسباب بخلاف رداءة الكبد والطحال منها حال الهواء والاستحمام ونقصان الشرب وكثرة إخراج الدم والهموم النفسية » ، ففى هذه الحالة قد يكون المرض جسمانيا والسبب نفسانيا وهو ما يعنى به أحدث فروع الطب المعروف باسم « الطب النفسانى » .

كذلك درس ابن سينا النبض وحالاته دراسة وافية وبيّن أثر العوامل النفسية فى اضطرابه ، وتوسع فى دراسة الأمراض العصبية والاضطرابات النفسية وعالجها عن فهم ودراية ، وقال « علينا أن نعلم أن أحسن العلاجات وأنجعها هى العلاجات التى تقوم على تقوية قوى المريض النفسانية والروحية ، وتشجيعه ليحسن مكافحة المرض ، وتجميل محيطه وأسماعه بما عذب من الموسيقى ، وجمْعه بالناس الذين يحبهم » .

وكان الكندى – فيلسوف العرب وعالم الرياضيات والفلسفة والموسيقى – يتخذ من الألحان وسيلة لعلاج مرضاه وردّ طبيعتهم الخارجة عن الاعتدال إلى التوازن النفسى والعقلى الذى يعيد الصحة . كذلك كان ابن الهيثم يكتب عن تأثير الموسيقى فى الإنسان والحيوان وكان يُخَصَّصُ فى كل مستشفى كبير قسم لعلاج الأمراض العصبية والعقلية بطرق إنسانية مبتكرة .

وبينما كان هذا هو مفهوم الطب النفسانى فى عصر النهضة الإسلامية ، فإن مرضى الأعصاب فى أوروبا كانوا يعاملون كمجرمين ، فيُسجنون ويُعذَّبون اعتقادا بأن هذا المرض لعنة من السماء حلت بصاحبها عقاباً له على إثم زعموا أنه ارتكبه ، أو أن شيطانا دخل فى نفسه ولا سبيل إلى طرده إلا بالقوة وبقيت هذه الخرافات شائعة فى الغرب حتى أواخر القرن الثامن عشر عندما تجرأت بعض الأصوات وبدأت تنادى بضرورة تحرير المجانين السجناء وتسليمهم لعناية الأطباء .

ولا زال للموضوع بقية فى العدد القادم . إن شاء الله .

أمراض الدم

(ا) فقر الدم الناتج عن نقص الحديد

- ٢ -

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

فى مقالنا السابق تطرقنا إلى الحديث عن أسباب فقر الدم عند الأطفال وبدأنا الحديث - بإسهاب - عن (مرض فقر الدم) الناتج عن نقص الحديد ، وذلك بذكر أسبابه ، ونختم الحديث عن المرض بذكر أعراضه ، ووسائل تشخيصه ، وطرق علاجه .

أعراض فقر الدم الناتج عن نقص الحديد :

١ - أعراض عامة General symptoms ، تبدو على المريض مثل :

الشحوب Pallor مع قلة تركيز الطفل (ذهول الطفل) وإصابته بالنسيان Amnesia ، والأرق Insomnia والصداع Headache والعصبية الزائدة Nervousness ، وغشيان البصر (الزغللة) Blurring of vision ، كذلك تقل شهية الطفل للطعام Anorexia ، ويصاب بـ (بَهْرِ التنفس[1] - اضطراد التنفس وتتابعه Dyspnea ، وسرعة الشعور بالتعب (إنهاك بدنى وحيوى) Easy Fatigability عند بذل أدنى مجهود .

٢ - إصابة الجهاز الهضمى Gastro intestinal التهاب اللسان Glossitis مع ضمور فى حُلَيْمات اللسان[2] Atrophy of tongue papillae .

● التهابات فى جوانب الفم Angular stomatitis :

وإصابة الطفل بالإسهال Diarrhae فى أغلب الأحيان .

وسوء الهضم Maldigestion وقلة الشهية للطعام Anorexia .

٣ - إصابة أظفار الطفل The Nails :

---

* الكاتبة : ماجستير فى طب الأطفال .   (١) يطلق عليه العامة فى مصر النهجان .   (٢) السطح الأعلى الخشن من اللسان .

فتصير هشة سهلة الكسر brittle مع طمس لمعانها Loss of Luster وتقعرها Spooning ووجود خطوط طولية بها Longitudinal riding .

٤ ـ إصابة القلب
Cardiovascular symptoms :

فيشعر الطفل بالخفقان Palpitation نتيجة لزيادة سرعة نبضات القلب Tachycardia .

وقد يشعر بآلام فى صدره anging أو فى بطن ساقه claudication عند بذل أدنى مجهود .

كذلك يزداد حجم القلب (يتضخم القلب) ، وقد يُسمع به لغط Murmur نتيجة للزيادة فى سرعة الدورة الدموية Hyper dynamic circulation .

وفى الحالات الشديدة يصاب الطفل بهبوط فى القلب Heart Failure .

٥ ـ وتصاب الكلى Renal symptoms :

فيزداد عدد مرات التبول ، كما تزداد نسبة الزلال فى البول ، وقد يصابُ ـ فى الحالات الشديدة ـ بتورم فى الكاحل (عرقوب[1] القدمين) ankle oedema نتيجة لهبوط القلب وقلة نسبة الزلال فى الدم .

٦ ـ تضخم الطحال Spleenomegally بنسبة تتراوح بين ١٠ ٪ إلى ١٥ ٪ من الأطفال .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأعراض تتجلى بوضوح عندما تقل نسبة الهيموجلوبين فى الدم عن ٦ جم ٪ .

● كيفية تشخيص مرض فقرالدم الناتج عن نقص الحديد :

١ ـ يُؤْخَذ تاريخ المرض بدقة عن طريق الاستفسار عن وجود أعراضه ، وفحص المريض جيداً .

٢ ـ ثم القيام بعمل صورة دم كاملة Complete blood picture مع التأكيد على بيان جزئيات ومكونات الدم حيث تقل نسبة الهيموجلوبين وعدد كرات الدم الحمراء . وتكون كرات الدم الحمراء صغيرة الحجم ، وتقل نسبة الهيموجلوبين بها Hypochromic microcytic ويكون هناك اختلاف فى حجم كرات الدم الحمراء anisocytosis . وتقل نسبة الخلايا الشبكية Reticulocytes ولكنها تزداد أثناء العلاج بالحديد أو إذاكان سبب المرض هو إصابة الطفل بالنزف .

٣ ـ قياس نسبة الحديد فى مصل الطفل Serum iron حيث تكون أقل من معدلها الطبيعى وأيضاً تقل نسبة البروتين الذى يتحد مع الحديد (الفيريتين) . فى مصل الطفل Serum ferrtin .

٤ ـ عمل بزل[2] للنخاع العظمى
Bone marrow aspiration :

وبالفحص المجهرى يكون النخاع العظمى كثير الخلايا Hypercellular مع زيادة عدد وحجم الخلايا الأم المكونة لكرات الدم الحمراء ، وتحول النخاع العظمى الأصفر (فى الأطفال الكبار) إلى نخاع عظمى أحمر نشط لتكوين كرات الدم الحمراء . ومن الجدير بالذكر أنه نادر جداً ما نحتاج إلى عمل بذل للنخاع العظمى لتشخيص المرض .

(١) العرقوب : عصب موثق خلف الكعبين .

(٢) اى سحب .

٥ ـ القيام بعمل فحوص لمعرفة سبب المرض حتى يتم علاجه ، وأهم هذه الفحوص القيام بعمل تحليل براز كامل للبحث عن وجود طفيليات مثل بويضات البلهارسيا والإنكلوستوما ، وأيضاً وجــــــــود دم غير مرئى فى البراز occult blood in stools وعمل صورة دم لقياس نسبة الكُرَيَّا البيضاء المتحمضة Eosinophils بالدم حيث تزداد إذا كان الطفل يعانى من الإصابة بأحد الأمراض الطفيلية .

٦ ـ القيام بعمل فحوص ـ لتبين وجود مضاعفات للمرض مثل القيام بإجراء أشعة على الصدر ورسم قلب ـ قد تثبت وجود تضخم بالقلب .

● علاج مرض فقر الدم الناتج عن نقص لحديد :

١ ـ علاج سبب المرض ـ إذا تم تشخيصه ـ مثل علاج الإنكلستوما أو البلهارسيا أو الاسكارس إذا كان الطفل مصاباً بها ، وعلاج السبب شديد الأهمية ؛ لأنه إذا عولجت (الأنيميا) ولم يعالج سبب المرض فسوف يتكرر حدوثه .

يجب أن يتم إعطاء الطفل غذاءً وفيراً غنياً بالحديد مثل : اللحم الأحمر ، والخضروات كالإسفاناخ ـ والفواكه (كالتفاح والموز) وينبغى إعطاء الطفل كمية وفيرة من فيتامين (ج) لأنه يساعد على امتصاص الحديد .

٣ ـ العلاج بالحديد :

ويتم إعطاؤه عن طريق الفم أو الحلق (حوالى ٦ ملجم / كجم يومياً) .

(أ) العلاج بالحديد عن طريق الفم :

يتم إعطاؤه فى صورة (سلفات أو جلوكونات أو فيومارات) الحديد iron sulfate or iron gluconate or iron fumarate ولكنه قد يؤدى إلى حدوث المضاعفات الآتية :

● إمساك Constipation

● تهيج الجهاز الهضمى Gastrointestinal irrritation ويؤدى هذا إلى حدوث قىء ، وإسهال وألم بالبطن ، ولهذا يجب إعطاء الحديد بعد الطعام .

● قد يصبح لسان الطفل أسود اللون black tongue ولكى يكون العلاج ناجحاًلابد من زيادة نسبة الهيموجلوبين بمعدل ٠,٣ جم ٪ يومياً .

(ب) العلاج بالحديد عن طريق الحقن :

ويتم إعطاؤه فى صورة(دكستران أوسوربتول الحديد) iron dextran or iron sorbitol ويتم حقنه فى العضل بعمق أو فى الوريد فى الحالات الآتية :

١ ـ عدم مقدرة الطفل أو رفضه لتناول الحديد عن طريق الفم .

---

(١) هى ـفى عامية مصر ـ السبانخ .

٢ ـ فقدان الحديد بسرعة وبنسبة كبيرة (كما فى حالات النزف) بحيث يصعب تعويضه عن طريق الفم .

٣ ـ إصابة الطفل بسوء الهضم ، أو حدوث تهيج فى الأمعاء نتيجة لتناول الحديد عن طريق الفم .

وقد يؤدى الحقن بالحديد إلى الأعراض الجانبية الآتيه :

١ ـ صداع وهبوط فى الضغط الدموى .

٢ ـ ألم شديد وحدوث خراج فى مكان الحقن .

٣ ـ ارتفاع درجة حرارة الجسد وظهور طفح جلدى urticaria .

٤ ـ حدوث ضيق فى الشعب الهوائية bronchospasm .

مدةالعلاج بالحديد ؟

يجب أن يستمر العلاج بالحديد لمدة تتراوح بين شهرين إلى ثلاثة بعد شفاء الطفل ، وذلك حتى يتم تخزين كمية كافية من الحديد فى الكبد .

٤ ـ قد يحتاج الطفل فى الحالات الشديدة إلى نقل دم blood transpusion إذا كانت نسبة الهيوجلوبين أقل من (٦ جم ٪) ويتم إعطاء كرات الدم الحمراء فقط Packed red cells وليس الدم كله whole blood لمنع حدوث هبوط فى القلب .

٥ ـ علاج مضاعفات المرض إذا حدثت مثل هبوط القلب .

ومن الجدير بالذكر أنه يجب منع حدوث المرض بإعطاء الحديد بكميات كافية (١ ملجم / كجم يومياً) لكل الأطفال بعد الشهر الرابع أوالشهر الثانى إذا كان الطفل مبتر أو ناقص النمو ،

يتبع

«وَيخلق مَا لا تعلمونَ ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد . د/ نجوى السيد أحمد

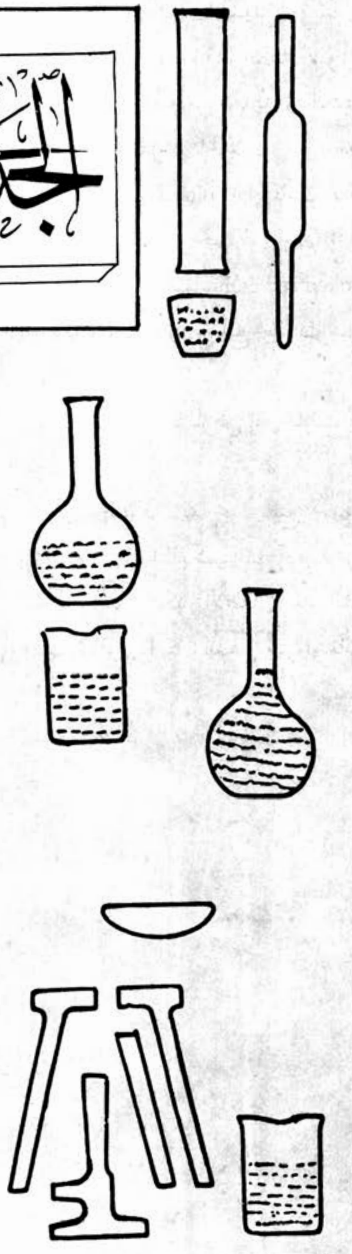

١ ـ سيارة توجه آليا بالأقمار الصناعية

نجحت التقنية اليابانية فى إنتاج سيارة مجهزة برادار الموقع الأراضى الذى يحدد الموقع بدقة آليا بفضل إشارات يتلقاها من قمر صناعى ، وجهاز الرادار الذى تزود به السيارة يتألف من هوائى ومستقبل للإشارات الرادارية وشاشة تعمل بالبلورات السائلة وقارىء للأقراص المدمجة التى تحتوى على خريطة شاملة لكل طرقات وشوارع اليابان لتحديد مكان ومنطقة السيارة مع لائحة إضافية بأسماء وعناوين المطاعم والفنادق ومكاتب السياحة فى أى منطقة تعبرها السيارة .

٢ ـ ساعة يد لمراقبة نبضات القلب :

قامت احدى الشركات اليابانية بإنتاج ساعة يد لمراقبة سرعة نبضات القلب بعد قيام الإنسان بأى مجهود أو نشاط رياضى أو أثناءه ، ويقوم جهاز إرسال موجود فى حزام مطاطى بتحديد سرعة نبضات القلب ويرسلها إلى مستقبل موجود

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث .

فى ساعة اليد ، وبالضغط على زر معين فى الساعة يمكن معرفة عدد نبضات القلب فى الدقيقة ، وهذه الساعة مقاومة للماء وتحتوى على منبه وساعة إيقاف ، وتعمل بواسطة بطارية صغيرة .

٣ ـ الأشعة الشمسية لتعقيم المياه الملوثة

فى ولاية « نيو مكسيكو » الأمريكية ــ حيث ترتفع درجات الحرارة إلى مستويات قياسية لشدة أشعة الشمس ــ أقيمت أول منشأة نموذجية تجريبية لتطهير المياه وتعقيمها بواسطة أشعة الشمس ، وتسقط هذه الاشعة الحادة على مجرى يتألف من عدد من السطوح المعدنية العاكسة ، بشكل قطع مكافىء ، والمتلاصقة فيما بينها ، ويمر فى وسط المجرى أنبوب شفاف يحتوى على

الماء العكر فى بداية الأنبوب وبمروره فى الأنبوب يفقد ما فيه من شوائب ومواد سامة حتى ينسكب فى نهايته نقيا تماما وشفافا كالماء المقطر ، وتستغرق هذه العملية حوالى ٥ دقائق ولا تكلف شيئا لأنها تعتمد على فاعلية أشعة الشمس .

٤ ـ لمبة جديدة تعمل بالموجات الراديوية

صنعت شركة أمريكية لمبة مميزة تشكل تحديا فى مجال الإنارة ، لأنها تستهلك طاقة أقل بأربع مرات من اللمبة العادية وبالتالى تطول مدة إنارتها إلى حوالى عشر سنوات ، وتعمل اللمبة الجديدة بالموجات الراديوية حيث تثير إشارة عالية التردد إلكترونات الذرات للزئبق الغازى والتى تصدر بدورها « فوتونات » ضوئية فى المجال فوق البنفسجى غير المرئى ، ثم تقوم طبقة فسفورية تغطى داخل اللمبة بامتصاص هذه الفوتونات وتحوله إلى ضوء مرئى .

٥ ـ مادة صلبة جديدة أخف من الهواء

نجح مجموعة من الباحثين فى أحد المختبرات الأمريكية فى اختراع مادة جديدة من أصل طبيعى صلبة ، أخف من الهواء ولا يتعدى وزنها أجزاء الجرام لدرجة أنها قد تطير لولا الهواء الذى يملأ مساماتها الدقيقة ، وهذه المادة هشة عند إنتاجها بصيغة خفيفة وصلدة عند إنتاجها بكثافات عالية ، تماما مثل خشب « البلزا » الذى يستخدم فى بناء نماذج الطائرات ، وتستعمل هذه المادة الجديدة فى تعبئة الرغاوى وكبسولات العقاقير وعزل البرادات ، كما أنها قابلة للانحلال البيولوجى ولا تشكل أى خطر على الإنسان .

٦ ـ مترجم مصغر الكترونى متعدد اللغات

قامت احدى الشركات الفرنسية بتصنيع آلة صغيرة إلكترونية تترجم ٢٦ لغة مختلفة ويستطيع أى شخص أن يحملها إلى أى بلد يزوره ، والمترجم الصغير بحجم البطاقة العادية ، وذاكرته تستوعب ألف كلمة من كل لغة ، ولوحة مفاتيحه وضعت عليها أعلام الدول المعنية ، ويكفى إدخال حرفين فقط من كل كلمة يراد ترجمتها ، فتظهر على شاشة بلورية الترجمة الفورية للغة المطلوبة .

٧ ـ تقنية حديثة فى مجال التشخيص بالأشعة

تم انتاج جهاز إلكترونى عبارة عن هاتف ذى شاشة ملونة يستطيع الأطباء من خلالها إرسال الصور « الفيديوية » لنتائج التصوير الإشعاعى السينى والمقطعى المدعوم بالحاسوب ، أو حتى الصور نفسها ، إلى الاخصائيين أو الأطباء الاستشاريين بواسطة الخطوط الهاتفية فى خلال ١٥ ثانية ، وهذا الجهاز متوفر بألوانه المختلفة وهو متصل بالحاسوب الشخصى ويتألف من وحدة مُسْتَقبلة وآلة لمسح الوثائق .

٨ ـ حاسب إلكترونى للمكفوفين

يتميز هذا الحاسب الإلكتـــرونى بلوحـــة « برايل » ويسمح بتخزين المعطيات فى ذاكرة شبه ناقلة ، ويستقبل كمية الدخل بواسطة مركب الكلام وخلية « برايل » التى تعمل إلكترونيا ، كما يمكنه تخزين حتى ١٢٨ صفحة وذاكراته قابلة للتوسع بواسطة بطاقات ذاكرة يمكن توصيلها به ، ويتم الحصول على نص كامل ، بعد إدخال المعلومات على شكل مختصرات « برايل » ويمكن إعادة ترجمة المادة المخزونة إلى نص كامل يظهر على طابعة عادية أو على مطبوعة برايل البارزة .

٩ ـ ارتفاع ضغط الدم وعلاقته بفترة الطفولة

أظهر مسح للأطفال بين الخامسة والسابعة من العمر ـ أجرى فى بريطانيا ونشرت نتائجه فى « المجلة الطبية البريطانية » ـ وجود علاقة بين عوامل فى طفولة الإنسان ومستويات ضغط الدم عنده بعد أن يكبر ، وأكدت النتائج للمسح الذى أجرى على حوالى ٣٥٠٠ طفل بأن الأطفال الأكبر وزنا والذين يولدون بوزن أقل من المعدل الطبيعى أو الأطفال الذين يولدون لأمهات فوق سن الخامسة والعشرين من العمر معرضون لارتفاع ضغط الدم عند الكبر ، كما أن الأطفال الذين يولدون بوزن أقل يكونوا أكثر تعرضا للأمراض القلبية عندما يكبرون .

اللغة والنقد

والأدب

اللغة العربية فى تاريخها

٢

أ.د/ توفيق محمد شاهين

العربية والساميات ومهدها

صنف علماء أصول اللغة لغتنا العربية تحت مجموعة اللغات السامية .

وقد اطلق العالم الألمانى (شلوتزر SCHLöZER) سنة ١٧٨١ م اصطلاح (اللغات السامية) على مجموعة من لغات الشعوب القديمة ، بعد ما قام بدراسة وأبحاث على هذه الشعوب ولغاتها ، للدلالة على ما بين لغات الشعوب ــ التى ذكرت التوراة أنها من نسل سام بن نوح عليه السلام ــ من قرابة لغوية ، على ما جاء فى (سفر التكوين : الإصحاح العاشر) .

وعارض كثير من الباحثين المحدثين والمعاصرين هذا الاصطلاح ؛ لأنه بعيد عن الدقة والاصطلاح فى نظرهم ، لأسباب منها :

ــ أن الدراسات اللغوية أثبتت فيما بعد : أن التوراة ذكرت أسماء شعوب لها لغات ، ولكن هذه اللغات لا تمت الى لغات شعوب الجزيرة العربية بصلة ، مثل الشعبين : العيلامى والليدى .

وأنه أغفل ذكر الشعب الكنعانى بين أبناء هذه السلالة ، ولكن الدراسات اللغوية والعرقية أثبتت أنه ينتمى الى السلالة نفسها ، وأن لغته تعد من أهم لغات شعوب الجزيرة العربية ــ وأن لغات كثيرة فى وقت شلوتزر ــ وخاصة اللغات الجنوبية ــ لم تكن قد اكتشفت بعد .

* واضح أن « شلوتزر » يطلق لفظ (التوراة) على المتداول بأيدى أهلها ، أو ما يسمى بـ (العهد القديم) وهى شىء غير ما أنزل على موسى ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

(فشلوتزر) كان متسرعا فى نظر الباحثين فى إطلاق هذه التسمية ، والواجب بعد أن تقدمت الدراسات اللغوية (وعلم اللغة المقارن ، وجَدَّتْ نتائج علمية دقيقة) أن نبحث عن تسمية أخرى أكثر دقة ووضوحا ؛ وخاصة لما ثبت أن اللهجات البدائية لشعوب الجزيرة العربية كانت مرتبطة بروابط تجعل منها وحدة لغوية إلى جانب الوحدة العرقية ، وبحكم البيئة والنشأة ، جعلت من مجموعهم فروع أصل واحد (شعب) ، ومن لغاتهم لهجات (لغة) واحدة ، واللوم يقع على علماء العرب إذا لم يجدوا اليوم تسمية أخرى دقيقة .

ومن ثم اطمأن الباحثون إلى اليوم بأنه توجد — على وجه التأكيد — صلات لغوية وثيقة وقديمة بين لغات أو لهجات تلك القبائل القديمة ، تكون أصلا واحدا لفروع هذه الاسرة اللغوية الواحدة فى السمات والملامح والخطوط العريضة .

والذى روج لانتشار هذه التسمية وبقائها حتى اليوم : أن دراسة لغات الشعوب قديما كانت من التوراة ، وأن علماء اليهود قد تنبهوا إلى وجود صلات قوية بين العبرية وبين لغات شعوب الجزيرة العربية الأخرى ، وجاء اسم (سام) فى التوراة مشجعا ومسعفا للمستشرقين — وجلهم من اليهود — فنسبوا المجموعة اللغوية كلها إلى السامية ، واضفوا بالتالى على لغة التوراة قدسية الدين ، وجلال العلم ، وكمال المعرفة[1] .

وقد دلت الدراسات التى أجريت على قواعد جميع لغات الجزيرة العربية : المندثرة والحية ، كالبابلية ، والأشورية ، والأكدية . والفينيقية ، والكنعانية ، والعربية والعبرية ، والآرامية منذ أكثر من قرنين ولغات جنوب الجزيرة وغربها منذ مطلع هذا القرن : كالأوغاريتية ، والمعينية ، والسبئية ، والحضرمية ، والقتبانية ، واللحيانية ، والثمودية ، والصفوية ... الخ

دلت الدراسات على أن هذه اللغات جميعها : قديمها وحديثها ، وشرقيها وغربيها وجنوبيها كانت قد نشأت فى بيئة جغرافية واحدة ، ونمت فى ظروف مناخية (وحياتية) واحدة ، بل وفى موطن معين رجح العلماء أنه جنوب الجزيرة نفسها ، كما ذكرت (الدكتورة باكزة حلمى) فى بحثها[2] .

وقد أثبتت كل الدراسات التاريخية والبشرية واللغوية أن الجزيرة العربية كانت موطنا لقبائل بدائية لا حصر لها ، تتصف جميعا بخصائص عرقية متشابهة ، تجعل منها فروعا لأصل واحد . ومن لغاتها أثبتت الدراسات اللغوية المقارنة وجود صلات وثيقة وقديمة بين قواعدها وأصولها لهجات لغة واحدة ، الأمر الذى دفع العلماء الى تصنيفها فى : (أسرة لغوية واحدة) وجعل (شلوتزر) يختار لها (السامية) علما ، وتصبح كذلك فى دراسات علماء أصول اللغة وكتاباتهم .

---

(١) راجع تاريخ اللغات السامية . د. إسرائيل ولفنسون ص ٢ و ٣ وتاريخ العرب قبل الاسلام د . جواد على ص ١١٦ . ولغات الجزيرة العربية د. باكزه رفيق حلمى فى بحث بمجلة المجمع العلمى العراق مجلد/٢٤ سنة ١٣٩٤ ه . وغيرها .

(٢) لغات الجزيرة العربية ، مجلة المجمع العلمى العراق مجلد ٢٤ سنة ١٣٩٤هـ ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

وعلماء اللغات يقسمون لغات الجزيرة العربية إلى ثلاث مجاميع ، هى :—

(ا) المجموعة الشرقيـة ، وتشمـل البابلية والأشورية .

(ب) والغربيـــة أو الشماليـــة الغربيـــة ، وتشمل : الكنعانية ، والعبرية والآرامية .

(جـ) والجنوبيـة ، أو الجنوبيـة الغربيـة ، وهى : العربية والحبشية .

وهذا التقسيم جغـرافى ، وبعض الباحثين لا يرتضيه ، ويفضل تقسيم الدراسة التاريخية السابقة ، لبيان المراحل التى مرت فى البحث وما همّلت من لغات ، وبالتالى لمجانسة القرابة فيما بينها ، والسمات المشتركة التى تربط بينها قربا أو بعدا .

العربية والحفائر الأثرية :

تاريخ لغة ما والعلم بها يبدأ من أقدم مدونلتها ويدلنا على بدئها ونشأتها وليس قبل ذلك وقد كشف المنقبون فى الجزيرة العربية عن حفائر أثرية ، أزاحت غمـوض جوانب من اللغـات السامية عامة ، والعربية خاصة .

وحاول علمـاء اليهود استغـلال الـكشوف الأثرية — كالعادة — لصالحهـم ، وادعـاء أن العبرية أقدم وأكمل اللغات السامية ، ولكن الواقع لايؤيد ذلك ، كما سنرى فيما بعد :

ففى صيف عام سنة ١٩٤٧ م عثر أحد الرعاة على سبع لفائف من النصوص المدونة بالعبرية القديمة بالقرب من البحر الميت ، داخل أحد الكهوف المهجورة

وواصل الحفائـــر من اليهود فى المنطقـــة (الأركيليجيـون) ، بقيـادة عالم الساميـــات (جون الليجرو) ، وأجروا الأبحاث ، وفك رموز الكتابات والمحتوى بواسطة المختصين(٣)

وتوفرت النصوص بعدئذ ، وعكف المختصون على دراستها فى كثير من العواصم العربية منها اكتشافـات (بيبلـوس ، أو جبيـل الفينيقية بلبنان) ، واكتشافات (راس الشمرا) بالقرب من اللاذقية عام سنة ١٩٢٩ ، والتى ترجع نصوصها ووثائقها الى الألف الثانى قبل الميلاد .

كما تم اكتشاف حفائـر ونصوص (إيبلا السورية) فى السنوات الأخيرة ، بمدينة إيبلا ، أو القبلى القديمة ، والتى ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد ، وعثر فى هذا الاكتشاف عما يزيد على (١٦,٥٠٠) لوحـة مسماريـة (وهى كتابات فى الطين تشبه الأسفين) ، وقد كشفت أوجها كثيرة من الحياة فى ذلك الوقت فى تلك المنطقة .

وذكر عالم فقه اللغـة (جيوفـانى بتينانـو) خلاصة دراسة هذه الألواح بأنها تصف إيبلا(٤) بأنها كانت دولة صناعية فى المقام الأول وإلى حد

(٣) مقال للدكتور شوق عبد الحكيم ، بصحيفة (العرب) التى تصدر بلندن ، بتاريخ ١٩٨٣/١٢/٢٠ .

(٤) مجلة (استيقظ) التى تصدرها جماعة شهود يهوه ، والتى تطبع قرابة التسع ملايين نسخة من كل عدد ، مجلد/٦٥ عدد سنة ١٩٨٤ ، وتصدر ب ٥٢ لغة .

بعيد ، وأن اقتصادها اعتمد على المنتوجات الصناعية والتجارة الدولية ، قبل أن يعتمد على الزراعة وتربية الحيوان ، وأنهم كانوا على دراية بالشئون الإدارية .

كما أشارت المكتشفات إلى نصوص أسطورية و(فلكلورية) ، وحروب شبت فى المنطقة قديما .

والظريف أن هذه الكشوف تعتبر حِفْظُ حريق تاريخى هائل ، أضرمه أحد ملوك العراق المغيرين منذ خمسة آلاف عام فى قصر ملكى ، فدمر الحريق القصر ، ولكنه شوى – فى نفس الوقت – اللوحات ، وحفظ كتاباتها ، ونصوصها ، وأحالها إلى لوحات ارتوازية أو فخارية متينة ، تحدت الزمن والكوارث ، وأصبحت تعد اليوم من أهم مكتشفات الجذور السامية الأولى لحضارتنا العربية .

كما حفظ لنا كنزاً تاريخياً أثرياً ، تضمن الأصول الأولى للغة العربية وآدابها وساطيرها ، وملاحمها ، وسيرها محفوظة بالخط المسمارى على ألواح من الطين – حولها الحريق إلى فخار – شبيهة بألواح تحفيظ القرآن الكريم المنتشرة فى كتاتيبنا إلى اليوم . وقد وصل عددها إلى أكثر من سبعة عشر ألف نص ، والبقية تحت الدراسة والبحث(٥) .

وقد أحدثت هذه الكشوف ضجة علمية فى القرن العشرين ، وألقت أضواء على مملكة (إيبلا) أو قبلة ، نسبة إلى تقديس هذه المدينة أو هذه المدن .

وقد أطلق العلماء على المخطوطات المسمارية : البابلية والأشورية بلغات بابل وآشور اسم (اللغة الأكدية) .

وفهم من هذه الكشوفات كثير من النصوص الأدبية ، والأسطورية ، وأصول المعتقدات والمقدسات ، والجغرافيا والتنظيمات الإدارية ، والمراسلات بين الملوك والحكام فى تاريخ الشرق الأوسط منذ الألف الثالثة قبل الميلاد ، وهى الفترة التى تعاصر أواخر الدولة القديمة ، وعصر بناة الأهرام فى مصر .

كما كشفت عن الحياة الاجتماعية والطبقية والتعليمية ، ومحو الأمية ، ونظم المدارس والتربية .

وتضمنت بعض اللوحات قوائم معجمية لمفردات لغوية شبيهة بالمعاجم الموسوعية فى أيامنا ، وما نسميه بالمعاجم المزدوجة ؛ فقد تألفت من مفردات سومرية ، مع ما يقابلها فى لغة (إيبلا) من مفردات سامية تطورت إلى اللغة الكنعانية ، التى جات منها العبرية القديمة ، وكذلك الأبجدية الفينيقية ...

* ومن اللافت للنظر : أنّ الكثير من مفردات لغة أهل (إيبلا) (٢٢٥٠) قبل الميلاد ، لا تزل حية فى لغتنا العربية حتى الآن ، مثل :

كتب ، ملك ، يد ، حية ، كلب ، رأس ، حنش ، مسمار ، بل ، عين جور ، ضلع ، شعر ، أنثى .... إلخ(٦) .

---

(٥) صحيفة العرب فى ١٩٨٣/١٢/٢٠ بتصرف .

(٦) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة د . محمود فهمى حجازى ص ٥٣ .

كما تضمنت هذه اللوحات أفكاراً رئيسية عن خلق الإنسان ، وخلق المرأة من الضلع ، وذكر الحية ، والطرد من الفردوس ... إلخ .

وتضمنت أسماء المئات من المدن ، مع بعض تحريفات فيما نتداوله وننطقه منها اليوم ، مثل : (أرمان) أو أرمينيا ، فى روسيا اليوم ، و (إيما) أى حمص فى سوريا ، و (إيماء) أى حماة .. و (ديمشكى) أى دمشق ، وجبيل أو بيبلوس بلبنان ، وقطنة ، وأوغاريت أو رأس الشمرا بالقرب من اللاذقية الحالية الساحلية فى سوريا[٧] .

★ وأفادتنا (كشوف رأس الشمرا) التى كشفت عام ١٩٢٩م كثيراً من النصوص التى بينت جوانب كثيرة من جوانب الحضارة ، والمعتقدات للشرق الأدنى القديم ، لقبائل وممالك العرب البائدة ، مثل : عاد ، وثمود (أو سدوم وعمرونى) وأسدود ، والعماليق ، وعرفات ، وجرهم ، وكذلك الكثير عن التراث الأسطورى السامى ، والعبرى والعربى .

إلاّ أن كشوف (إيـــلا) فاقت هذه الكشوف ، وكذلك ما عثر عليه فى حفائر (تل مردوخ) ، وفاقت أيضاً ما عثر عليه من نصوص البحر الميت باللغة العبرية ، والتى يعدها اليهود من أهم وأقدم الوثائق التاريخية الإسرائيلية .

وترجع ميزات كشوف (إيبلا) على ما عداها ؛ بكثرة نصوصها التفصيلية ، التى ألقت الضوء على حضارة المنطقة ، وكذلك المنازعات والحروب التى كانت بين مملكة إيبلا وجيرانها ، وسبب الصراع يرجع إلى التنافس على التجارة ، والحصول على المعادن المستخرجة من الأناضول ، وتجارة الخشب من غابات الساحل السورى ...

وعلى الجملة نجد أن استقراء نصوص (إيبلا) دلت على حضارة عامة ، وحضارة إنسانية رفيعة لهذه الدولة التى كانت تأوى الغريب وتحميه ، وتهبه كل حقوق المواطن . ودلت على السمات الأساسية لتراثنا العربى ، والمعتقدات السابقة .. والشىء الكثير عن الأساطير (والفولكلور) والأفكار التى لم نتوصل إليها إلى اليوم على مستوى العالم العربى .

ذكر العرب والعربية فى اللغات الساحلية :

فى الخمسين سنة الأخيرة ، التى أجرى فيها علماء اللغات أبحاثهم ومقارناتهم على لغات الجزيرة العربية القديمة .. توصل الباحثون إلى أن اللغة العربية لا العبرية هى أقدم هذه اللغات تاريخيا ، وأكثرها احتفاظاً بكل الخصائص اللغوية القديمة التى فقدت معظمها لغات الجزيرة الأخرى ، فى المرحلة التاريخية الثانية ، على إثر تطورها وتأثرها باللغات المجاورة الغربية .

ويرجع الأستاذ عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ أن العربية هى أصل الساميات ، وأن ما نعده من الساميات كان لهجات للأم والأصل الواحد وهو اللغة العربية ، يقول :

« أما الذى نؤثره ، ونستند فى إيثاره على الأصول المعقولة ، فهو تغليب كلمة « العربية » على كلمة « الفينيقية » أو كلمة « السامية » على

(٧) صحيفة العرب بتاريخ ٢٠/١٢/ ٨٣.

اختلاف مدلولاتها ؛ حيث يرجع الأمر إلى أربعة آلاف سنة من تاريخ هذه اللغات القديم ، أو على الأصح من تاريخ اللهجات – كما ينبغى أن تسمى فى ذلك الحين – ؛ لأنها كانت قبل أربعين أو خمسين قرناً لهجات تتفرع على أصل واحد قديم »[٨] .

فربما كانت اللغات السامية المندرجة تحت هذا الاسم لهجات للغة العربية القديمة ، لأن ما اكتشف من لغات فى جنوب الجزيرة العربية – ، وفى غربها الشمالى ، ودراسة المقارنات دلت على ذلك ، وتقول الدكتورة باكزة حلمى : بأن ذلك ثبت بالدليل القاطع[٩] .

ويرجع ذلك إلى خيوية العربية ومرونتها ومقدرتها على استيعاب وهضم ما يدخلها من طارىء ، وما يصادفها من غريب ، تخضعه لقواعدها دون أن يصيبها خلل أو فساد ، لعراقتها .

بل إن التاريخ يثبت اسم العربية وأرضها منذ أقدم العصور لقبائل البادية الغربية المتاخمة لحدود بلاد آشور :

(فيذكر نص أشورى (٨٥٤ سنة قبل الميلاد) فى عهد الملك شلمناصر الثانى ، أن مشيخة للعرب (AREBI) كانت مصدر قلق دائم لهم على الحدود الغربية) . وتاريخ هذا النص يسبق تاريخ تدوين التوراة ، الذى بدأ فى القرن الثامن ق.م. واستغرق انجازه ثلاثة قرون .

– وجاء فى نص بابلى : (ماتو – أربى) أى أرض العرب ، ويلاحظ أن الهمزة قامت مقام (العين ، والغين ، والحاء والهاء والخاء) فى تلك اللغات أو اللهجات القديمة ، كما دلت الكتابة المسمارية على ذلك .

وفى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، فى عهد (الهاخامنشيين الفرس) ، جاء فى نصوصهم (عربايه) و(أربايه) ، نقلاً عن المصادر الكدانية المعاصرة لهم .

مما يدل على اتصال العرب بالفرس .

كما ان اليونان عرفوا الجزيرة العربية ، وحين درسوا طبيعتها ومناخها وشعوبها قسموها إلى ثلاثة أقسام ، كما يذكر الدكتور جواد على .

١ – العربية السعيدة ، وهى أرض اليمن والحجاز .

٢ – والعربية الحجرية ، وهى أرض الأنباط وكنعان .

٣ – والعربية الصحراوية ، وهى أرض البادية الفاصلة بين العراق والشام[١٠] .

وفى التوراة جاء ذكر العرب فى أسفار أشعيا ، وأرميا :–

فقد جاء نص يقول : (ولا يخيم هنك أعرابى)[١١] وآخر يقول : (وكل ملوك

---

(٨) أشتات مجتمعات ، للأستاذ العقاد ص ٢٤

(٩) مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ٢٤ سنة ١٩٧٤ م

(١٠) تاريخ العرب قبل الاسلام ١١٨/١

(١١) سفر اشعيا ٢٠/١٣

العرب)[١٣] .

كما جاء ذكر العرب وموطنهم فى جميع اللغات العربية : (AREBI) فى الأكدية . و (العرب)

فى العربية ، و (عبريم) فى العبرية ، و (أربايا) فى الآرامية ، علما للعرب .

ومعنى هذا أن العربية والعرب وموطن العرب ذكر بكل اللغات أو اللهجات الأخرى على مختلف اللغات وعند المؤرخين ، وفى الكتب المقدسة أيضا .. فهى قديمة قدم القائلين بذلك .

ومن هنا ترى الدكتورة باكزة حلمى بأنه يجب علينا ــ كعرب ــ تسمية اللغات القديمة فى موطنها باسم : لغات شعوب الجزيرة العربية لا اللغات السامية ؛ لأن أقدم لغاتها هى العربية ، التى احتفظت بالقواعد والأسس اللغوية التى تمثل كل المراحل التاريخية التى مرت بها ، وأوضحها تاريخا ، وما عداها كانت لهجات بدائية لقبائل بادت والتحمت لهجاتهم مع العربية فى الشمال والجنوب ، وكونت حضارة وتراثا فكريا مذكورا وثابتا .

وأثبتت الدكتورة باكزة ــ أيضا ــ أن اللغات الأكدية والأوغاريتية والمعينية أكثرها اتصالا بالخصائص الأولى للأسرة اللغوية التى تسمى اللغات (السامية) ، والتى دلت الدراسات المقارنة الأخيرة على أن (العربية) اليوم ، هى أكثر لغات هذه الأسرة الحية احتفاظا بتلك الخصائص ، بالرغم من تطورها الواسع فى مرحلتها التاريخية الحديثة ، الأمر الذى يدعو ــ بالضرورة ــ إلى إطلاق اسمها على الأسرة للدلالة على تلك الحقائق[١٣] .

وقد حددت المخطوطات تاريخ أقدم لهجات هذه الأسرة العريقة بالألف الثالث ق . م وهو تاريخ سبق تاريخ جميع لغات العالم فى التدوين ، ومن المؤكد أن وجود هذه اللغات قد سبق التدوين بها بزمن طويل ؛ لأن التدوين لاحق لوجود اللغة ونشأتها واستعمالها طبعا .

كما أنه ليس بمستبعد أن تكون اللهجات البابلية والآشورية قد حلت بأرض بابل وأشور قبل تاريخ التدوين بها بقرون . وعند الحديث عن الأبجدية العربية فيما بعد سنبين ذلك بفضل الله تعالى .

---

(١٢) سفر ارميا ٢٤/٢٥

(١٣) مجلة المجمع العلمى العراق ، مجلد/٢٤ سنة ١٩٧٤ م ص ١٧٧ بتصرف .

تداعيات الصلة الوجدانية

بين

الدكتور / عبد الوهاب عزام

وشاعر الباكستان إقبـــال

★ د. عبد الوهاب عزام ★

رحمه الله تعالى

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

كفى بالمرء أجراً ، وكفاه نبلاً ..أن يقدمُ لحياته أعمالاً جليلة ، تعيش من بعده ، ويرقى بها إلى الذُرى .. بصفاء نفس ، وطهارة سريرة ، وعمق فكر وعقيدة ..وهذا ما اتفق للأستاذ الدكتور عبدالوهاب عزام ـ رحمه الله ـ فحيثما جال المرء بين صفحات كتبه ومقالاته ، يجد فيها الزاد الإسلامى الرفيع ، حيث لم يقتصر جهده فيه على القول الحصيف الرصين فحسب ،بل تعداه إلى السلوك العملى فى الحياة ، إلى حرص على تحقيق الأخوَّة الإسلامية بين المؤمنين ، شرقاً وغرباً ، أثناء رحلاته العديدة ، هادياً ومرشداً إلى الطريق التى هى أقوم .. ولتوثيق الصلات بين رجالات الأمة الإسلامية لتعبئة القوى والمواهب لترسيخ العمل بالعقيدة الإسلامية ،حتى تصبح أساساً ومنهاجاً ، لخير أمة أُخرجت للناس .

وقد اتصل ـ وجدانياً فى أول الأمر ـ بعبقرية إقبال ـ شاعر (باكستان) الكبير ـ بعد إتقانه للغات الشرقية : الأوردية والفارسية والتركية ، بجانب الإنجليزية والفرنسية ـ وأثمر ذلك قيام عزام بترجمة بعض دواوين إقبال شعراً إلى العربية ، وذلك ـ كما يقول ـ :

« استجابة لما فى نفسى من عشق وإكبار لهذاالشاعر الفيلسوف المؤمن »[1]

ونقف على طريقة الدكتور عزام فى الترجمة ، من قوله فى مقدمة لديوان (بيام مشرق) لإقبال :

« وطريقتى فى الترجمة أن أحافظ على المعانى الأصلية ، والصور التى تبرز فيها ، بل على أوزان الشعر ، وأسلوب التَّقْفية ، جهد الطاقة ... ولا ريب أن بعض العبارات المألوفة فى لغة ، تُعد

(١) أنظر كتابه (محمد إقبال ـ سيرته وفلسفته وشعره) ص ٦ .

مستغربة ، بل مضحكة ، إن نقلت كما هى إلى لغة أخرى .. وعلى المترجم أن يتصرف فى هذه العبارات .. وخير طريقة فى الترجمة ـ كما هدتنى التجربة ـ أن يُقَدِّر المترجم أن المعانى التى يعالجها قد أُلهمها هو ، ثم ينظر إلى طريقة التعبير التى اتخذها المترجم ، وطرائق التعبير فى اللغة التى يترجم إليها ، فيتخذ الصور التى اختارها المؤلف ، إلا أن تقتضى لغة الترجمة تغييرا أو تبديلا .. ولا بأس أن يتصرف كذلك بالإطناب أو الإيجاز ، استجابة لمقتضى الحال ، فى اللغة التى يترجم إليها ، والناس الذين يترجم لهم . ومقياس التصرف فى هذا أن يتبين المترجم أن تصرُّفه ليس بعيداً مما عُرف من مذهب المؤلف ، ومن مقصده فى موضع التصرّف ، وأن المؤلف لو عرض له هذا التصرف ـ حين التأليف ، أو عرض عليه بعد التأليف ـ لم ينفر منه . »[٢] .

ومن واقع معالجتنا لترجمة الشعر الأجنبى ـ شعرا ـ إلى العربية ، نشهد بأن طريقة الدكتور عزام فى ترجمة الشعر هى الطريقة المثلى ، التى أخذنا بها وسرنا عليها .

وإن كان هذا لا يمنع من أن الدكتور عزام قد لجأ إلى ترجمة بعض آثار إقبال ـ نثراً ـ إلى العربية ، كما اقتضت الضرورة ذلك ، حينما يكون النثر مواتيا بدرجة أدق ، لإبراز المعانى التى تحتاج للسرد والتفاصيل ، ومن ذلك القصة التى نظمها إقبال فى كتاب (رموز بيخودى) ، وترجمها عزام فيما يلى نثراً :

« سائل كالقضاءالمبرم .. طرق بابنا طرْقا متواليا ، فثُرت غضبا ، وضربتُه بعصًا على رأسه ، فتبعثرما جمعه بسؤاله . والعقل أيام الشباب ، لا يفرِّق بين ضلال وصواب .. ورآنى والدى ، فاغتمّ ، وأربدَّ وجهه وتأوَّه ، وسال الدمع من عينيه .. واضطربت روحى الغافلة ، وَطَارَ لُبِّى ..

قال أبى :ـ تجتمع غدا أُمّة خير البشر ، تجتمع أمام مولاها ، ويُحشر غزاة الملة البيضاء وحكماؤها والشهداء ـ وهم حُجَّة الدين ، وأُنجم هذه الأمة ، والزهاد والوالهون ، والعلماء والعُصاة .

ويأتى هذا السائل المسكين صائحا فى المحشر ، شاكيا . فماذا أقول ، إذا قال النبى ﷺ :

« إن الله أوْدعك شابا مسلما ، فلم تودِّبْه بأدبى ، بل لم تستطع أن تجعله إنسانا .. »

فَتَمَثَّلْ عتاب النبى الكريم ، ومقامى فى خجلى ، بين الخوف والرجاء . تفكَّرْ قليلا يا بُنى . اذكر اجتماع أمة خير البشر . انظر يا بنى إلى شَيْبى ، واضطرابى وقلقى ، ولا تَقْسُ على أبيك ، ولا تفْضحْه أمام مولاه .. إنك كمٌّ فى غُصْن المصطفى ، فكُنْ وردةً من نسيم ربيعه ، خُذْ من ربيعه نصيبا من الريح واللون ، لابد لك أن تظفر من خُلُقه بنصيب . »[٣] .

ويحدثنا الدكتور عبدالوهاب عزام ، عن رؤيته لإقبال لأول مرة ،حينما احتفلت بمقدمه جمعية الشبان المسلمين ،يقول الدكتور عزام :

---

(٢) أنظر عدد مجلة الثقافة الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٨٢ من مقال للأستاذ محمد عبدالغنى حسن بعنوان : (منهج للترجمة عند الدكتور عبدالوهاب عزام) ص ١١ .

(٣) أنظر كتاب (محمد إقبال ـ سيرته وفلسفته وشعره) للدكتور عزام ص ٢٤ ـ ٢٥ .

« ودعانى أستاذى الشيخ عبد الوهاب النجار ـ رحمه الله ـ وكان وكيل الجمعية ـ إلى أن أعرِّف الحاضرين بالضيف العظيم ، فتكلمت على قدْر معرفتى بإقبال يومئذ ، وأنشدْت ما تذكرت من شعره ... وأذكر أنى أنشدت أبياتا من ديوانه : (رسالة المشرق) ...

وأذكر أنى كنت فى درس التاريخ الإسلامى فى كلية اللغة العربية من الجامع الأزهر ، فدخل هو وجماعة معه ، وأنا أتكلم فى أنساب العرب ، ثم برح القاهرة ،وكان هذا آخر عهدى به .. توجَّه تلقاء بيت المقدس ، فشهد المؤتمر الإسلامى ، وتكلَّم هناك ، ولو سُجِّلتْ كلمة إقبال فى المسجد الأقصى ، لوجدنا فيها للمسلمين خيراً كثيراً . » .

ويقول : « وفى السنة التالية شهد مؤتمر الطاولة المستديرة الثالث ، وفى عودته مَرَّ بإسبانيا ، ورأى آثار المسلمين فيها ، فأوحت إليه شعرا ، منه قصيدته الخالدة فى (جامع قرطبة) .. وقد استأذن حكومة إسبانيا فى أن يصلى بالجامع .. ولعلها أول صلاة فيه ، منذ غابت شمس الإسلام عن قرطبة . » .

ويستطرد الدكتور عزام ، قائلا :

« والذى يرى صورة شاعرنا الفيلسوف المسلم الغيور ، مُصلِّيا فى جامع قرطبة ، يقرأ قصيدة بليغة ، ويتخيَّل ما جال فى فكر شاعر الإسلام ، فى هذا المقام الهائل ، والمشهد الرائع .

لقد نظم إقبال نفسه هذه القصيدة ، فى ديوان (بال جبريل) ، وهى إحدى بدائعه ، لا يفوق شاعر إقبالا فيما نظم فى جامع قرطبة ، ولكن أرى فى صلاته قصيدة : تروع نفسى معانيها ، ويكاد قلمى يخط ألفاظها ، وعسى أن أخُطَّها يوما ..

ماذا جال فى نفس شاعر الإسلام ، وهو فى محراب الجامع ؟ والجامع عُطِّل من الصلاة والأذان ؟

وهو ـ كما قال البحترى ـ فى إيوان كسرى :

فهو يُبدِى تجلُّدًا وعليه كلْكَلٌ من كلاكل الدهر مُرْسِ

بل كما قلت ـ أنا فيه [أى عزام] ـ من شعر الصبا :

فهو قلب من الأمان خَلِىٌّ حائر فى بَلَاه ليس بسال
كادُ يمْلى على عقائده الشك : زوالَ التسبيح والإهلال
فهو لَولا الإيمان هَدَّمه اليأ سُ ، فيخوى على الذرى والقلَال
كيف آىَ أضاءها فى جدارِ قلمٌ مُدَّ من مداد الجمال
.. هل لها قارىء هناك عليم بمعانى الهدى وسر الجلال
سُوَر تسكن الغُبار كما غا ض برَمْلٍ نبعُ النمير الزلال
ومرايا الزمان تصْدأ كالمِز آةَ طَال عهدها بالصقال

ثم يعقب الدكتور عزام على ما تقدم متسائلا :

ليت شعرى أاستطاع إقبال أن يسمع ـ من وراء الأجيال ـ الأذان ، تردده مآذن جامع قرطبة ؟

أم أنصت إلى القرآن يرتله الأئمة فى محرابه ؟

أم انطلقت آيات القرآن ـ التى لا تزال تنير فى جدران المسجد ـ ترتيلا فى أذنه ، ووحْيا فى قلبه ؟ أى قصيدة هذه ؟

أى شاعر ينظم القصيدة التى عنوانها : (إقبال .. فى محراب قرطبة)(٤) .

* * *

ومن خميلة الشعر لدى إقبال ، يقدم لنا عزام هذه الباقة ، ونبدأها بالأبيات التالية (فى التوحيد المطلق الذى ينفى عن النفس الوهن) :

مَنْ يمسِكُ بِعَصَا مِنْ : (لا إلَـهَ) طَلْسَمُ الخوف تُحَطِّمُـــهِ يداه
كل من بالحق أخيـــــــا نَفْسهُ ليس للباطـــــل يخنِـــــى رأسهُ

* * *

ويقول فى حقيقة المسلم :

إيـــــهِ يا فارسَ طِرْ فى الزمـــــنِ إيـــــه يا نورًا بعين المُمْكِـــــنِ
قُمْ فسَكِّـــــنْ من ضجيـــــج الأمم وامــــلإ الآذان حُلـــوَ النغـــــمِ
جَدِّدَنْ فى النـــاس قانـــونَ الإخـــاءْ وأدِرْهــــــا كأس حب وصفــــاء
أرْجِعَـــنْ فى الأرض أيـــام الوئـــامْ أبْلَـــغُ النـــاس رسالات السلام
لبنـــــى الإنسان أنت الأمَـــــلُ أنت من رَكْبِ الحيـــــاة المنـــزلُ
أذْبــلَتْ كفُّ الخريـــف الشجـــرا فاغـــدُ فى الـــروض ربيعـــا نضرا

ويصف الفرق بين المؤمن والكافر ، بقوله :

إنما الكافـــــــــــــر حيرانٌ له الآفاقُ تِيــــــــــــــهْ
وأرى المؤمـــــــــنَ كوْنـــــا تاهتْ الآفاق فيــــــــــه

وهكذا نجد أن الدكتور عزام قد رأى فى شعر إقبال وفلسفته : « رسالة الأمل والجهاد للمسلمين ، فأحب أن ينقلها إلى اللغة العربية ، مشاركا فى إذاعة هذا التراث الضخم ، الذى كان

---

(٤) المصدر السابق ص ٥٦ ـ ٥٩ .

يوجِّه الدعوة إلى الحياة العزيزة ، ونقْد المدنية الحاضرة ، والكشْف عن أمجاد تاريخنا وتراثنا ، من صور إنسانية رائعة » كما يقول صديقنا الأستاذ أنور الجندى بكتابه (الكتاب المعاصرون)(٥) .

وبلغ من شدة التأثر الفنى بين عزام وإقبال ، بالتقاء روح بروح ، وامتزاج وجدان بوجدان ، لكل منهما قدر ونصيب فى مَرَاق السمو ـ بلغ من ذلك أن قال العقاد فى تقديمه لديوان : (المثانى) للدكتور عبدالوهاب عزام :

« كان أول ما قرأت من شعر الدكتور عزام ، ديوانا لطيفا جمع بين طائفة من مترجماته للشاعر المتصوف محمد إقبال ، الملقب (بشاعر الإسلام) ، وطائفة من مبتكرات عزام فى المعانى الصوفية ، أو المعانى الروحية ، وتشابه النسق فى الشعرين ؛ لأنهما ـ فى العربية ـ من كلام ناظم واحد .. وتشابه الجوَّان ، ولا أقول تشابه المعنيان ، حتى لقرأت مثنوية لعزام ، حسِبْتُها من كلام إقبال ، ولم أصحح هذا السهو ، إلا بعدم مراجعة وتحقيق . »

ثم يعلل العقاد لهذا الأمر بقوله مستطردا : « لا يتشابه الجوَّان الروحيان هذا التشابه ؛ لأن الدكتور عزام يعجب بإقبال ويترجم كلامه إلى العربية ، فلابد من سليقة صوفية فى روح شاعرنا العربى ، توحى إليه معانيه وخواطره ، ولاشك أن الأصح من القولين ، أن هذه السليقة الروحية فى نفس عزام ، هى التى حببت إليه إقبالا ، ومالت به إلى الإعجاب بشعره ، فهذه السليقة هى مصدر الإعجاب بإقبال ، وليس إقبال مصدرها الأول ، وباعثها الأصيل .. »(٦) .

يتبع

---

(٥) أنظر ص ١٦١ من الكتاب المذكور .

(٦) أنظر ص ٧ ـ ٨ بمقدمة (المثانى) للدكتور عزام .

الأثر العربي في الأدب السواحيلي

الشـــــــعر

«أ»

بقلم الأستاذ/ عادل فاعي خفاجة

تناولنا بتوفيق الله فى العدد السابق الجانب النثرى من الأدب السواحيلى ومدى تأثره بالأدب العربى .وكنا قد طَوَّفنا فى بستان الأدب بين القصة والخطبة والحكم والأمثال ..الخ وبان لنا الأثر العربى واضحا فى كل ذلك وبخاصة فى الحكم والأمثال الشعبية .

وسنحاول فى هذه السطور التالية ـ بعون الله ـ تجلية ذلك الأثر فى الشق الشعرى ، وهو بستان الأديب .

يسجل الشعر جُلّ مناسبات السواحيلى من أفراح وأتراح وأنشطة من (الصيـــد) إلى (الحصاد) ..الخ ، بالإضافة إلى الملاحم التاريخية والدينية ، وهى فى الغالب من نوع القصائد الطويلة التى تربو أبياتها على المائة بيت ، ومنها ما يصل إلى عدة آلاف ، ومعظم هذه القصائد مخطوطات محفوظة بمكتبات لندن ودار السلام وغيرهما ، ومن هذه القصائد[1] :

١ ـ قصائد تذكر أسماء الله ونعمائه مثل : (طيب الأسماء) و(ظل العرش) .

٢ ـ قصائد تقص سيرة المصطفى ﷺ :

(ا) منها ما يتحدث عن مولده ﷺ مثل : مولد البرزنجى .

(ب) ومنها ما يتحدث عن معجزاته ﷺ مثل : (المعـــراج) و(انشقـــاق القمـــر) و(حديث الجمل والعزال) .

(جـ) ومنها ما يتحدث عن جهاده ﷺ مثل : (غزوة بدر) و(غزوة أحد) و(غزوة خيبر) .

---

(١) د. محمد إبراهيم أبو عجل : مصادر القصائد السواحيلية الطويلة ومحتوياتها ـ مجلة كلية اللغات والترجمة ـ جامعة الأزهر ـ العدد (١٧) ص١١ : ١٩ .

(د) ومنها ما يتناول هجرته ﷺ مثل : قصيدة (الهجرة) .

(هـ) وبعضها عن زوجاته ﷺ مثل : (خديجة) و (عائشة) .

(و) ومنها ما يروى عن أهل البيت مثل : (فاطمة بنت محمد) و (حديث على وفاطمة) و (الحسن بن على) و (الحسين) رضوان الله عليهم .

(ز) ومنها ما يعدد مناقبه ﷺ مثل : (البردة)(*) و (كتاب المديح) و (بانت سعاد) و (خلق الرسول) و (مدح الرسول) و (الهمزية) .

(حـ) ثم ما يروى عن وفاته ﷺ مثل قصيدة : (وفاة الرسول ﷺ) .

٣ – قصائد تتحدث عن الدين الإسلامى وأركانه مثل :

قصيدة (الديـــن) و (أركان الإسلام) و (الصوم وفوائده) و (وداع رمضان) .

ومنها ما يتحدث عن اليوم الآخر كقصيدتى : (القيامة) و (النشور) .

٤ – قصائد تمجد الشخصيات الإسلامية مثل : (أهل بدر) – (ابـــن مسعـــود) (المقداد بن عمرو) .

٥ – قصائد تتحدث عن الأنبياء مثل : (آدم عليه السلام وزوجته حواء) و (نوح عليه السلام) و (أيوب عليه السلام) و (عيسى عليه السلام) و (محمد ﷺ) .

ويذهب الدكتور محمد إبراهيم – أستاذ الأدب السواحيلى بجامعة الأزهر – إلى أن هذه القصيدة (محمد ﷺ) هى أطول قصيدة فى الأدب السواحيلى حيث قوامها ٦٣٨٤ (ستة آلاف وثلاثمائة وأربعة وثمانون بيتا)(٢) .

إلى جانب الشعر الذى يغنى فى المناسبات الشعبية كاحتفالات العرس ويستخدم المعانى الإفريقية المحلية . وكذلك شعر المنازلات وعادة ما ينبرى شاعران كل منهما ينازل أخاه مستخدما المتقعر من الكلمات والغامض من المعانى ليضمن الفوز على أخيه .

أوزان الشعر السواحيلى :

إن طبيعة اللغة السواحيلية جعلت أوزان الشعر تأخذ نمطا قوامه عدد المقاطع لا عدد التفعيلات ، فالوزن Mizani : هو عدد المقاطع Silabi فى السطر ، وعلى سبيل المثال : نجد أن وزن كلمة مثل (Bahati) هو ba-ha-ti أى ثلاثة مقاطع ومن هذه المقاطع تتكون وتتشكل أوزان الشعر السواحيلى ، وفيما يلى نذكر أشهر هذه الأوزان :

١ – وزن Utenzi :

هو أكثر الأوزان استعمالا فى الشعر الدينى ، وخاصة القصص والملاحم وهو يتكون من أربعة أسطر ، يحتوى كل سطر – فى أشهر أنواعها – على ثمانية مقاطع ، تتفق الأسطر الثلاث الأول فى المقطع الأخير ، أما السطر الرابع فينتهى بمقطع آخر ، يتكرر فى السطر الرابع من الأبيات التالية ، مُشكلا قافية القصيدة .

(*) هذه البردة اسم لقصيدة استوحاها شاعر من قصيدة نهج البردة للإمام البوصيرى .

(٢) المرجع السابق .

٢ ـ وزن Shairi :

ويتكون السطر فى هذا النوع من الشعر من ستة عشر مقطعا ، تقسمه (وقفة) بعد المقطع الثامن ، أى أن هذا النوع يحتوى على قافيتين : إحداهما فى منتصف السطر ، والأخرى فى آخره .

وهذا النوع يستخدم فيما يستخدم فى « منازلات الشعراء » حيث يبدأ أحد الشعراء بإلقاء بيتين ثم يرد عليه الآخر ببيتين آخرين من نفس القافية والوزن ، وكثيرا مايحمل هذا النوع من الشعر قدراً من الحكمة والأمثال الشعبية .

٣ ـ وزن Ukawafi :

وهو وزن شائع ، وأكثر استخدامه فى الشعر الدينى ، ويتكون البيت من أربعة أسطر ، كل سطر خمسة عشر مقطعا ، ويعتبر هذا النوع من أقدم أشكال الشعر السواحيلى .

٤ ـ وزن Kisaramba :

وهو من الأوزان القديمة ، ويتكون البيت من أربعة أسطر ، كل سطر يحوى أحد عشر مقطعا ، وله وقفتان ، إحداهما تمثل المقطع السادس والأخرى مع نهاية السطر .

٥ ـ وزن Gungu :

ويتكون هذا الوزن من أحد عشر مقطعا فى السطر ، ويستخدم فى الأغانى المرحة والأغراض التعليمية : كتحفيظ أصول الدين .

٦ ـ وزن Wimbo :

ويتكون البيت ـ فى الغالب ـ من ثلاثة أسطر أو اثنين كلّ يحتوى على اثنى عشر مقطعا ، وله (وقفة) بعد المقطع الرابع أو السادس .

٧ ـ وزن Utembuizi :

ويتكون البيت من سطرين كل سطر أربعة عشر مقطعا مع (وقفة) تقسم السطر إلى شطرين ، أحدهما : ثمانية مقاطع والآخر : ستة مقاطع .

٨ ـ وزن Tahamisa :

ويتكون فيه البيت من خمسة أسطر ، كل سطر يحوى خمسة عشر مقطعا مع (وقفة) داخلية فى المقطع السادس ؛ فتأتى الأسطر الأربع الأولى على قافية واحدة ، ثم تأتى قافية أخرى فى البيت الخامس لتشكل قافية القصيدة .

٩ ـ وزن Tarabu :

ويتكون البيت من ثلاثة أسطر ، كل سطر يحتوى على ستة عشر مقطعا ، ويشكل المقطع الثامن قافية الوسط .

ولعل المتأمل لهذه الأوزان وخاصة التى تتكون من أربعة أسطر يجد أنها تتشابه مع ذلك النوع المعروف فى الأدب العربى بالرباعيات ؛ بل هى بمثابة صدى للمؤثرات العربية الإسلامية ، ومما يؤيد هذا الرأى أنها ارتبطت بقصائد ترجمها السواحيليون من العربية إلى السواحيلية واتخذوها نموذجاً لأشعارهم . ومن بين هذه القصائد قصيدة « نهج البردة » للبوصيرى وقصيدة « الانكشاف » للشيخ عبدالله بن على بن ناصر وقصيدة الهمزية للشيخ عيدروس بن عثمان بن على[٣] .

---

(٣) د . حامد حريز : المؤثرات العربية فى الثقافة السواحيلية فى شرق افريقيا ص١١٣ دار الجيل ـ بيروت .

مما سبق يتضح الأثر العربي الواضح من ذلك الكم من القصائد ذات الأسماء الإسلامية التى تعالج مضامين إسلامية ، وهو الأمر الذى لا يدع مجالا للشك أن الأدب العربي أثر تأثيراً واضحا ملموسا فى الأدب السواحيلى .

وفيما يلى نقدم بعض نماذج الشعر الدينى ونتبعه بنماذج أخرى من الشعر الذى يُعالج موضوعات اجتماعية .

أولا الشعر الدينى :

لاقت قضايا خلق السموات والأرض وخلق الملائكة وخلق الإنسان اهتمام الشاعر السواحيلى ، فنظم القصائد الطوال التى تتحدث عن تلك الموضوعات ، فقدم بشعره هذا مرآة صادقة تعكس قوة ذلك الأثر العربي .

وما المقتطفات التى نقدمها إلا أبيات من قصائد عدة لأكثر من شاعر .

يقول الشاعر :

Ndiye wa tangu na tangu
Kabula ya ulimwengu
Muumba nti na mbingu
Milele ataabakiya

كان (الله) موجوداً منذ الأزل
قبل العالم
فهو خالق الأرض والسموات
وللأبد يبقى

وهذا المعنى نجده فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٤)

Si muhitaji wa Kitu
Cha kwima Mola Watu
Si muhitaji wa mtu
Wa Kupata Kumuzuwa

الله ليس محتاجا لشىء
ليعتمد عليه ، فهو مولانا
وليس محتاجا لأى إنسان
لكى يتعرف عليه

وهو مستقى من قوله ـ تعالى :

﴿ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾(٥)

ولننتقل إلى موضع آخر .

ثم لنتأمل قول هذا الشاعر الذى يقول :

Na mbingu Akazikita
bila viguzo na Ku'uta
Akaweka nyingi nyota
hisabuye yamwelea

ورفع السموات
بلا عمد ولا جدر
وجعل فيها نجوما كثيرة
وعددها معلوم لديه

وهو معنى قد جمعه الشاعر من قوله ـ تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾(٦)

ومن قوله ـ تعالى :

﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾(٧)

---

(٤) الحديد/٣ .
(٥) إبراهيم/٨ .
(٦) الرعد/٢ .
(٧) فصلت/١٢ .

ويقول :

Akaumba na viumbe
Wa masikio na pembe
mbuzi ngamia na ng'ombe
na nyama Walosalia

وكذلك خلق المخلوقات
ذات الآذان وذات القرون
الماعز والجمال والأبقار
وخلق كل الحيوانات الأخرى

ونجد الشاعر يستطرد فى سرد ووصف الكثير مما يرى من مخلوقات الله ، وما أكثرها وما أكثر تباينها لونا وشكلا وحجما وخفة وسرعة نجد هذه الكثرة التى تلائم خصوبة الغابة الإفريقية قد أثْرَتْ خيال الشاعر السواحيلى وأيقظت إحساسه الجمالى فشرع يعد الكثير من هذه المخلوقات فى سياق جميل بديع لا تعوزه القافية المتقنة أو الوزن الدقيق .

وهذه أبيات أخرى عن خلق الملائكة :
يقول الشاعر :

Kaumba na malaika
Laki laki Kawaweka
Wakipanda na Kushuka
na wangine wa Kukaa

خلق (الله) الملائكة
بمئات مئات الألوف
يصعدون وينزلون
وآخرين يمكثون فى مكان واحد

Malaika wa mbinguni
na wangine aridhini
akawaweka Dayyani
Kusudi Kutwangalia

ملائكة للسماء
وآخرين للأرض
جعلهم الديَّان
لمراقبتنا

Na Kazi yao hakika
Walopawa malaika
ni ibada Kuishika
na Kushukuru Jaliya

وحقيقة عملهم
المناط بهم
هو المثابرة على العبادة
والشكر لله الجليل

ويواصل الشاعر ذكر صفات الملائكة ، غير مبتعد عن قول الله ـ تعالى :

« ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ »(٨) .

وقوله ـ تعالى :

« وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ »(٩) .

وبعد ، فالشعر السواحيلى لديه زخيرة فى هذا الباب . وتبقى تلك القصائد ذات الموضوع الاجتماعى التى نسأل الله ـ تعالى ـ أن يوفقنا إلى أن نفرد لها حديثاً فى عدد قادم .

---

(٨) فاطر /١ .
(٩) الزمر /٧٥ .

عرض وتحليل الأستاذ * مصطفى دسوقى كسبة

٢

تناولنا فى عدد شعبان ١٤١٥ ص ١١٣٤ عرضاً وتحليلاً للباب الأول من الكتاب حيث تبينا أموراً هامة ؛ مثل :

- الأكذوبة القائلة : بَشَر أكثر مما يجب وأرض أقل مما يجب .
- هل البشر عقبة أم مورد ؟
- حديث عن تحديد النسل ، وتحديد الثروة .
- ضغط السكان على البيئة ، وأسبابه الحقيقية .
- رعب الأسعار .
- الغذاء مقابل السموم .

وهذا عرض وتحليل للبابين : الثانى والثالث :

لوم الطبيعة

وهو الباب الثانى ، وفيه يلقى المؤلفان ضوءاً على المجاعات والتاريخ لدحض آراء الذين يرون أن هناك ارتباطاً بين المجاعات وكوارث الطقس حيث يسوق الكثير الحجة القائلة أنه (كانت هناك مجاعات دورية طوال تاريخ البشرية) وأن هذه المجاعات ترتبط بكوارث الطقس التى لا نستطيع التحكم فيها بالتأكيد لكن المجاعات ــ فى الواقع ــ لا تحدث بسبب الطقس ، بل تحدث نتيجة تصرفات البشر .

---

* رئيس قسم الاستشارات بمركز الاقتصاد الإسلامى ــ جامعة الأزهر

ذلك أن البشر عاشوا على هذا الكوكب مدة تكفى ليعرفوا أن تقلبات الطقس المعاكسة متوقعة . وتطور الحضارة الإنسانية يمكن تعريفه بدرجة كبيرة بأنه عملية ابتكار طرق بارعة عديدة لحماية أنفسنا من تقلبات الطبيعة . ومن ثم فعندما نسمع عن مجاعة واسعة الانتشار يجب ألا يكون السؤال الأول الذى نسأله هو ما الحدث الطبيعى المفزع الذى سببها ؟ بل لماذا لم يكن ذلك المجتمع قادراً على التوافق مع الحظ السيء ؟ لماذ يحدث أن يعانى بلد من الكوارث الطبيعية ولا تحدث فيه وفيات بينما يموت فى بلد آخر مليون شخص ؟

وفى فصل الجفاف فى الساحل الأفريقىء يرجع إلى الاستخدام السيء للأرض حيث يفترض الكثير خطأ ، أن جفاف الساحل الأفريقى الذى بدأ عام ١٩٦٩م كان هو الجفاف الساحلى الإفريقى . لكن علماء المناخ يعتبرون الجفاف جزءاً متكاملاً من مناخ المنطقة . وعبر القرون ، طور صغار الزراع فى الساحل الأفريقى ـ فهماً عميقاً لبيئتهم ـ عرفوا ضرورة ترك الأرض للراحة لفترات تمتد إلى عشرين سنة ، وكانوا يزرعون تشكيلة واسعة من المحاصيل ، كل منها يلائم بيئة مصغرة مختلفة لكنها معاً تتيح تكاملاً غذائياً . وعادة ماكان الزراع والرعاة يقيمون علاقات نفع متبادلة فيقدم الزراع للرعاة ، أرضاً للرعى فى موسم الجفاف وغلالاً مقابل اللبن والروث للحقول ، والحمير للحرث .

ويتساءل المؤلفان : ماذا حدث لنظام تَطَوَّرَ عبر قرون لمواجهة الجفاف الدورى ؟

ويحاول المؤلفات الإجابة عنه بأنه قبل الغزو الفرنسى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت هذه الحضارات قد تعرضت بالفعل لتدمير شديد بفعل قرنين من التفريغ السكانى القسرى حيث كان ملايين من أكثر أفرادها شباباً وقوة يؤخذون كعبيد إلى العالم الجديد ، ثم جاء الفرنسيون وجاءت سنوات من القتال الدامى .. وحين أقام الفرنسيون وجوداً متمكناً لأنفسهم أخذوا يبحثون عن وسائل يجعلون بها رعيتهم الجديدة تدفع التكاليف الإدارية للاحتلال .

وكان حل الفرنسيين لمشكلتهم هو إجبار الفلاحين على زراعة المحاصيل للتصدير . وأساليب الاستعمار وتأثيرها المدمر على الأرض والبشر لم تنته حتى بعد أن حصلت دول الساحل الأفريقى على استقلال شكلى فى الستينات ؛ فقد كانت الحكومات التالية تفوق الفرنسيين عادة فى فرض إنتاج محاصيل التصدير ، وكانت الضرائب المتزايدة وكذلك انخفاض أسعار التصدير تجبر الفلاحين على زيادة إنتاج محاصيل التصدير ، وأدى هذا التوسع فى إنتاج محاصيل التصدير إلى أن الأرض التى كان يسمح لها بالراحة لعدد من السنين وتسمدها قطعان الرعاة مجبرة على زراعة لاتكاد تنقطع ، والزراعة المتصلة تستنزف الأرض بسرعة .

إن جل من يعرف الساحل الإفريقى يعلم أنه بالإمكان إنتاج كميات أكبر بكثير ـ بلا شك مما هو كائن ، لكن سيطرة مجموعات النخبة الحكومية والشركات المتعددة الجنسية على ذلك الإنتاج تؤدى إلى أن غالبية السكان لا تستفيد من هذا الإنتاج .

أى أن التنظيمات السياسية والاقتصادية هى السبب الحقيقى لتلك الإنتاجية المنخفضة وذلك

الحرمان البشرى أكثر من تغيرات المطر والمناخ .

التركة الاستعمارية

وهى موضوع الباب الثالث ، ويطالعنا فيه هذا السؤال :

لماذا لا تستطيع الأمم إطعام نفسها ؟

للإجابة عن هذا السؤال قام المؤلفان بتجلية وتوضيح البعد التاريخى للتخلف الاقتصادى فى دول العالم الثالث ومنها دول العالم الإسلامى . مع شرح أهم الإستراتيجيات التى اتبعها الاستعمار لتدمير الزراعة فيها .

كان المستعمر ينظر إلى الزراعة فى البلدان الخاضعة باعتبارها بدائية ومتخلفة ، وهذا الاعتبار كان يدعم مبرر المستعمر فى تدميرها مما أدى إلى أن تصير الزراعة مجرد وسيلة لاستخلاص الثروة (مثل الذهب من منجم) لصالح القوة الاستعمارية . ولم تعد الزراعة مصدراً لغذاء السكان المحليين واستراتيجيات القوى الاستعمارية فى فرض إنتاج المحاصيل النقدية هى :

الأولى : استخدام القوى المادية أو الاقتصادية لإجبار السكان المحليين على زرع محاصيل التصدير بدل الغذاء على أراضيهم ، ثم تسليمها إلى المستعمر للتصدير .

الثانية : الاستيلاء المباشر على الأرض بالمزارع الكبير التى تزرع المحاصيل للتصدير . وكان إدخال نظام المزارع الضخمة يعنى (الطلاق) بين الزراعة والتغذية ، إذ ضاع مفهوم القيمة الغذائية أمام القوة المتزايدة (للقيمة السوقية) فى التجارة الدولية .

واختيرت محاصيل مثل السكر والتبغ والبن ـ ليس على أساس أطعامها للبشر ـ بل من أجل قيمة أثمانها العالية بالنسبة لوزنها وحجمها بحيث يمكن الاحتفاظ بهوامش الربح حتى بعد نفقات شحنها لأوربا .

الثالثة : إبقاء أسعار الغذاء المستورد منخفضة ؛ لتحقيق هدفين :

١ ـ إخبار الفلاحين أنهم لايحتاجون إلى زراعة الغذاء ؛ لأن بإمكانهم دائماً أن يشتروه رخيصاً بأجورهم من المزارع .

٢ ـ تدمير سوق الغذاء المحلى ، وبالتالى إفقار منتجى الغذاء المحليين .

رابعاً : منع الفلاحين من زراعة المحاصيل النقدية بصورة مستقلة ، حتى لاينافسوا المصالح الاستعمارية التى تزرع نفس المحصول ؛ إذ أثبت الفلاحون أنهم قادرون على التفوق فى الإنتاج على المزارع الضخمة سواء فى كمية الناتج لكل وحدة من الأرض ، أم فى التكلفة الرأسمالية لكل وحدة منتجة .

وترتب على هذه الاستراتيجية :

١ ـ منع المنافسة المباشرة من جانب المنتجين المحليين الأكثر كفاءة لنفس المحصول .

٢ ـ ضمان توافر قوى عاملة تعمل فى المزارع التى يملكها الأجانب .

ونحن ـ أبناء العالم الإسلامى ـ إزاء هذه الاستر تيجيات علينا أن نتفحصها جيداً لكى نستطيع فهم البعد التاريخى لمشكلة الأمن الغذائى ، هذا فضلًا عن استخلاص الدروس والعبر للاستفادة منها فى تبنى مفاهيم وأساليب جديدة فى عمارة الأرض وخصوصاً فى مجال الزراعة ترتكز على توفير الطعام أولاً ، ثم استخدام الفائض من الموارد البشرية والموارد الطبيعية للمحاصيل النقدية مع الإحاطة بأن المستفيد

الأكبر من عوائد المحاصيل النقدية هم الوسطاء وليس المنتجون .

وفى فصل : ميراث الاستعمار .

تناول المؤلفات سرد الميراث الذى خلفه الاستعمار فى الدول المستعمرة حتى بعد استقلالها . لم يكن من الممكن محو تأثيرات الاستعمار ببساطة بمجرد إعلان استقلال المستعمرات حيث أن فرض الاستعمار لزراعة التصدير أعجز التطور اللاحق بتوجيه هياكل الإنتاج والتجارة المحلية لخدمة مصالح التصدير الضيقة .. وترتب على ذلك :

١ ـ تدمير التجارة الداخلية التى كانت تفيد كوسيلة للتطور المستقل .

٢ ـ تدمير الصناعات المزدهرة التى تخدم الأسواق المحلية .

ونظام المزارع الضخمة الاستعمارى قام عبر أجيال بتجريد شعوب كاملة من مهارات الزراعة الأساسية بالإضافة إلى أنه من الصعب اليوم أن يعود الناس مرة أخرى إلى زراعة الغذاء الذى يحتاجونه ؛ لأن الزراعة أصبحت مرتبطة فى أذهانهم بالبؤس والانحطاط .

كما كان نقل الأفراد من جنس وثقافة معينة إلى العمل فى المزارع فى بلد آخر استراتيجية أساسية للاستعمار فى كل أجزاء العالم ، فى ظروف شديدة القسوة ، بالإضافة إلى استغلال العداوات والخلافات العرقية للسيطرة على قوة العمل . وخلَّف هذا الاختلاط القسرى للأجناس والثقافات ميراثاً من التوترات الاجتماعية يجعل التعاون والوحدة الاقتصادية شبه مستحيلين .

كذلك دمر الاستعمار البنية الأخلاقية للمجتمعات التقليدية . فالمجتمعات التقليدية يكون فيها للزعيم أو أمير الحرب أو رئيس القرية سلطة غير محدودة . وفى هذه المجتمعات كان الفلاحون مضطرين لخدمة حكامهم فى معظم المجتمعات التقليدية .

وكان ثمة نخبة مميزة ملتزمة بالعمل لحماية غالبية الفلاحين ورفاهيتهم أوجدت درجة من الثقة والتعاطف فى العلاقات الإنسانية، لكن الاستعمار دمر أساس هذا النظام الأخلاقى التقليدى . إذ أفقد الحكام التقليديين الكثير من مكانتهم فى أعين الفلاحين الذين أثبتوا عجزهم عن حماية أراضيهم فى مواجهة الغازى الاستعمارى ، وتمّ إدخال نظام إنتاج تجارى ، استبدل بالالتزامات التقليدية روابط تقوم على النقود . كما تم الاستعاضة عن الاعتقاد بأن الحاكم والمحكوم كل منهما مسئول عن الآخر بمفهوم أن إجمالى الناتج القومى المتزايد سوف يكفى الجميع .

ومن الجدير بالذكر أنه فى الوقت الذى دمر فيه الاستعمار الاحترام التقليدى لطبقة النخبة منح هذه الطبقة قوة حقيقية أكبر ، وذلك بتركيز ملكية الأرض فى أيدى القلة مما أدى إلى حرمان الكثير من الأرض ، وهذه التركة هى التى تعمل تشكل عقبة ضخمة أمام التنمية الزراعية الحقيقية اليوم .

إن معرفتنا بالماضى أساسية لفهمنا للحاضر .. ويجب أن يكون تاريخ الفترة الاستعمارية معروفاً لأى منا ، وأن تكون محصلته متوقعة من أى منا : إنتاج متناقص من الغذاء ، واستيراد متزايد للغذاء ، إفقار متزايد ، تعرض متزايد للخطر نتيجة التقلبات المستمرة فى السوق الدولية ، ونمو غير متساو داخلياً

وضع الأطفال

فى العالم عام ١٩٩٥م

عرض وتقديم الأستاذ
عبد السلام إبراهيم ناصف

تلقت مجلة الأزهر كتيباً بهذا العنوان صادراً عن رئاسة (اليونيسف) إحدى منظمات الأمم المتحدة . ولسنا نشك فى أنه يعطى بعض المعلومات المفيدة إلى جانب ما تعوده العالم الثالث من طنطنة الإعلام الخاوية الوفاض .

على أن ما قدم الكتيب من معلومات مفيدة يمكن أن يكون إعلاماً بما عليه وضع الأطفال ، وبخاصة فى العالم الثالث ، من حيث حاجتهم إلى : الاهتمام بالمستوى الصحى ، وتوفير المياه النقية ، والاهتمام بالصرف الصحى ، ومقاومة أمراض الطفولة ، والاهتمام بالتعليم فى جو تربوى تماماً .

وكذلك من حيث المحن التى يتعرضون لها فى : البوسنة والهرسك وأفغانستان والسودان وأنجولا والصومال .. حيث تتواصل سلسلة المآسى فى أعمالها الفتاكة بأجساد اثنى عشر مليون طفل بين قتيل ومصاب ومعوّق ومشرّد إلى جانب ما يترتب على أوضاعهم من أحوال سيئة تعم أوطانهم .

احتوى الكتاب ـ ما أسماه تحقيقات تتعلق بموضوعات اجتماعية ، منها :

الإيدز .. مأساة الأطفال :

المساعدة الحقيقية للتنمية الحقيقية .

دوامة الفقر والسكان والبيئة ... وغيرها .

أعد الكتاب « جيمس . ب . جرانت » المدير

التنفيذى لليونيسف (منظمة الأمم المتحدة للطفولة) والكتاب بين فقرة وأخرى تبدو منه إلحاحة شديدة على ما تريد الأمم المتحدة تحقيقه فى العالم الثالث ؛ أعنى :

(أ) تخفيض معدّلات الخصوبة (تحديد النسل) .

(ب) الربط بين زيادة النسل وانخفاض مستوى المعيشة .

وكلتاهما قضية باطلة .

لكن - إلى جانب ذلك - نجد فى الكتيب - مطالب لها أهميتها بالنسبة للأطفال نادى بها مؤتمر نيويورك فى سبتمبر ١٩٩٠ الذى صدرت قراراته تنشد تخفيض نسبة وفيات الأطفال بمكافحة أمراضهم القاتلة ، وتحصينهم ضدها ، وتوفير الأمصال والدواء والغذاء والماء والعيش الكريم والتعليم المجانى لهم .

وهذا المؤتمر حضره أكثر من مائة وخمسين دولة كما حضره واحد وسبعون من رؤساء الدول ، وبعد أربعة أعوام من هذا المؤتمر لم يتحقق له كل ما يصبو إليه .

فقد وضع المؤتمر العالمى أهدافاً اجتماعية يمكن أن تتحقق بنهاية عام ١٩٩٥ يجملها التقرير فى النقاط التالية :

١ - رفع مستوى تحصين الأطفال ضد الأمراض المعوِّقة والقاتلة .

٢ - الاهتمام بالرضاعة الطبيعية والكف عن بدائلها .

٣ - القضاء على نقص فيتامين (ا) ونقص معدن الحديد .

٤ - اضافة اليود إلى ملح الطعام .

٥ - القضاء على أمراض الجفاف والاسهال .

وبرغم نقص الاحصائيات وعدم دقتها ، فإن تقرير منظمة (اليونيسيف) يؤكد تحقيق هذه الأهداف أو بعضها أو جزء منها - اعتماداً على ما يرد إليها من تقارير أو ما تسجله لجانها خلال زياراتهم لهذه البلاد .

وقد جاء بالتقرير تفصيل ما اعتبرته المنظمة إحراز تقدم نجمله فيما يلى :

١ - إضافة اليود إلى ملح الطعام الذى يدخل فى مكونات التغذية ويؤكد التقرير أن أكثر من نصف عدد الدول قد التزمت بتنفيذ هذه التوصية .

٢ - تحسين مستوى التغذية صحياً باضافة فيتامين (ا) ومعدن الحديد إلى الغذاء أو تناولها مباشرة على هيئة أقراص .

٣ - التزمت أغلب الدول بتحصين أطفالها بمساعدة المنظمة ضد الأمراض المعوقة والقاتلة وإمدادها بجرعات الأمصال ضد شلل الأطفال وكزَّاز المواليد والحصبة والجدرى والنزلات الرئوية والمعوية والإسهال وغيرها .

٤ - التزمت كل بلاد العالم بالرضاعة الطبيعية عدا دولة أو اثنتين - وامتنعت عن تقديم الألبان البديلة والمجففة للأطفال .

٥ - تحققت نسبة مطمئنة من إمداد المساكن بالمياه النقية والصرف الصحى فى نحو أربعين بلداً على مستوى العالم الثالث .

٦ - ارتفعت نسبة الحاق الأطفال بالمدارس الابتدائية .

ولم تلتزم الدول الصناعية بوعودها فى تقديم المعونات لتحقيق قدر من الرفاهية لأطفال العالم

الثالث النامى ـ إلا أن الأمل لازال معقوداً على أن تفى بوعدها ـ خاصة بعد انتهاء عصر الحروب الباردة .

ولقد وضعت المنظمة عدداً من وسائل (ترجمة الأقوال إلى أفعال) أجملها فيما يلى :

١ ـ تجزئة الأهداف الكلية إلى مقترحات عملية يسهل إنجازها وقياس ما ينجز منها .

٢ ـ تدعيم الأهداف بموافقة رؤساء الدول والإصرار على توقيعهم على قرارات المؤتمر ليتحقق لها التنفيذ .

٣ ـ تسخير وسائل الإعـــلام لنشر هذه الأهداف .

٤ ـ حشد قنوات الاتصال بالمجتمع لشرح مفاهيم هذه الأهداف .

٥ ـ الاستفادة من خبرات وإمكانيات الأمم المتحدة لتحقيق هذه الأهداف .

وأخذ التقرير مثالا عملياً كهدف (الصحة للجميع) ـ ورتب أولوياته كما يلى :

مراقبة النمو ـ معالجة الجفاف ـ الرضاعة الطبيعية ـ التحصين ـ .

ثم جاهدت لأن يوقع رؤساء الدول على هذا الهدف وتم لها ما أرادت حين وقع عليها أكثر من مائة رئيس دولة .

وتركز المنظمة على مؤتمر (كوبنهاجن) الذى سوف يعقد فى منتصف هذا العقد لتخفيض نسبة الفقراء وإيجاد فرص عمل للعاطلين لرفع مستوى معيشتهم وتخفيض اتساع الفوارق الطبيعية .

لذلك تريد أن توصى بتخصيص نسبة ٢٠٪ من ميزانية كل دولة للمساعدات الأساسية كالغذاء والماء النقى والرعاية الصحية والالتزام بالتعليم ـ وعلى أن تلتزم بخطة زمنية فى التنفيذ إضافة إلى تخفيض نفقاتها العسكرية ؟

وجاء الموضوع الأخير فى هذا التقرير تحت عنوان (آلام الحاضر وآمال المستقبل) تقترح فيه المنظمة عدة اقتراحات أو أهداف لتحقيق مستقبل أفضل ـ نجمله فيما يلى :

١ ـ إعادة توزيع وسائل الإنتاج خاصة الرقعة الزراعية وتحسين وسائل الرىّ والصرف والالتزام بتسويق منتجاتها .

٢ ـ تخفيض النفقات العسكرية وتحويلها إلى الإستثمارات الاجتماعية .

٣ ـ خلق فرص عمل للمتعطلين ـ لزيادة دخولهم .

إلى جانب ما يخصص لهم من منح هيئات الأمم المتحدة .

وقد يلقى هذا معارضة من الطبقات الأعلى ـ إذ أن الأصل فى تطبيق (الديمقراطية) .. كذا فى هذه الدول كفيل بتحقيق التنمية ـ التى تهىء بدورها مناخ الديمقراطية ـ فالطبقات الدنيا بعيدة عن مركز إصدار القرار ـ وتأثيرها منعدم فى هذا المجال لصالح أنفسهم .

وانتهى التقرير بتأكيد مبدأ وجود هوة سحيقة بين الحاكم والمحكومين الذين يرزحون تحت خط الفقر لديكتاتورية الحكام ورغبتهم فى البقاء فى السلطة مهما كلفهم ذلك من جهد لعل أقصاه يتمثل فى تضخيم الميزانية العسكرية على حساب التنمية .

ومن ثم ظهرت الحركات التحريرية والمنظمات الأهلية تنادى بفكرة إعادة رسم حدود الممكن ليجد الناس تضامنـاً جديـداً وثقـة عريضة فى

حقوقهم وقدراتهم على المشاركـــة فى إدارة شئونهم .

فإذا ما تحققت أهداف هذه الجماعات وتلك المنظمات ــ فإن المستقبل سوف يحمل اهتماماً بحقوق واحتياجات الأطفال ــ وهى الغاية للتنمية الشاملة .

وبعـد :

فقد صور التقرير العالم الثالث النامى على أنه غابة مخيفة يرزح سكانها تحت وطأة المرض والجهل والفقر ؛ هذا الثالوث الرهيب الذى أرادنا الاستعمار على التسليم بأنه قدرنا .

وتحاول منظمات وهيئات الأمم المتحدة أن تؤكده ، وهى لا ترى لذلك من علاج سوى تخفيض معدل الخصوبة بشتى الوسائل الممكنة ــ وتنتهز الفرصة لنشر هذا الاعتقاد عن طريق المؤتمرات والندوات وحشد وسائل الإعلام المختلفة والتى هيمنت على كل دول العالم لنشر ما تعتقد به ــ ضاربة بأى قيم أو مثل عرض الحائط .

ولولا أن قيض الله لمصرنا من دفع عنها هذا الأذى لكانت توصيات مؤتمر القاهرة مليئة بما يؤذى الشعور .

فأما إن كان الهدف هو حماية الأطفال ــ فمرحباً بهذا الهدف وأهلًا به والله يرعى من يرعى فلذات الأكباد .

وبنظرة ثاقبة على المتاح زراعة فى عالمنا العربى نجده يجاوز المائة والستين مليون هكتار فى حين أن ما يتم زراعته لا يزيد على خمسين مليوناً منها .. وإذا ما تضافرت الجهود واستثمرت الموارد لأمكن استزراع المتاح فى كل الدول العربية وتحسين تربتها وإمدادها بالوسائل الحديثة فى الرىّ والصرف .

وبذا يجد كل فرد فرصة كريمة للعيش ــ فيزداد دخله ويرتفع مستوى معيشته ويتم الاستقرار والأمن والأمان وتنتشر العدالة وتتوفر لكل طفل بيئة كريمة تحقق له الرفاهية والحياة الهانئة فينشأ سليماً معافى محصناً ضد كل ما يعوّقه أو يؤلمه ويجد مكاناً ملائماً له فى دور التربية والتعليم والتثقيف فيشب على حب وطنه يركز دعائمه ويحمى حدوده ويزود عنه ويصبح لبنة قوية فى مجتمعه يزيد من دخله ، ويرفع من مستوى معيشته ــ فيصبح مصدر عطاء لتنمية موارده وليس عبأ عليه .

دعـــاء

« اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى ، وتجمع بها أمرى ، وتلم بها شعثى ، وتصلح بها غائبى ، وترفع بها شاهدى ، وتزكى بها عملى ، وتلهم بها رشدى ، وترد بها ألفتى ، وتعصمنى بها من كل سوء .

اللهم أعطنى إيمانا ويقينا ليس بعده كفر ، ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة ؛ اللهم إنى أسألك الفوز فى القضاء ، ونزل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء .

اللهم إنى أنزل بك حاجتى ، فإن قصر رأيى وضعف عملى افتقرت إلى رحمتك ، فأسألك يا قاضى الأمور ، ويا شافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير ، ومن دعوة الثبور ، ومن فتنة القبور .

اللهم ما قصر عنه رأيى ولم تبلغه نيتى ، ولم تبلغه مسألتى من خير وعدته أحداً من خلقك أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك ، فإنى أرغب إليك فيه .

وأسألك برحمتك يارب العالمين ؛ اللهم يا ذا الحبل الشديد ، والأمر الرشيد ، أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود ، الركع السجود ، الموفين بالعهود ، إنك رحيم ودود ، وإنك تفعل ما تريد .

اللهم اجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، سلما لأوليائك ، وعدوا لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ، ونعادى بِعَدَاوَتك من خالفك ؛ اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجهد ، وعليك التكلان .

اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ، ونورا فى قبرى ، ونورا بين يدىّ ، ونورا من خلفى ، ونورا عن يمينى ، ونورا عن شمالى ، ونورا من فوق ، ونورا من تحتى ، ونورا فى سمعى ، ونورا فى بصرى ، ونورا فى شعرى ، ونورا فى بشرى ، ونورا فى لحمى ، ونورا فى دمى ، ونوراً فى عظامى .

اللهم أعظم لى نورا ، وأعطنى نورا ، واجعل لى نورا .

سبحان الذى تعطفَ بالعز وقال به ، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به ، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له ، سبحان ذى الفضل والنعم ، سبحان ذى المجد والكرم ، سبحان ذى الجلال والإكرام »

(*) تخريج السيوطى (ت محمد بن نصر ، فى الصلاة ، طب ، هق فى الدعوات) عن ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

بين يدى هذا الباب

لا يزال الحرص قائما على تنويع هذا الباب بنشر أكبر عدد من الأفكار والمعلومات والملاحظات والإبداعات التى يتلقاها الباب ، غير أنه أمام كثرة الرسائل وقلة المساحة نضطر إلى تأجيل الرد على بعضها أملا فى أن تأخذ دورها ــ تباعا ــ مع الأعداد القادمة ؛ عناية من المجلة باهتمامكم ومتابعتكم لمادتها .

وفى هذا العدد يضم الباب كلمات عدة من الأهمية بمكان ، فتجد كلمة عن الإمام « البخارى » الذى قال العلماء عن كتابه « صحيح البخارى » : إنه أصح كتاب بعد كتاب الله ــ تعالى ــ وهو الكتاب الذى أصبح « البخارى » به أمير المؤمنين فى الحديث

وهى كلمة تبين فى منطوقها أهمية « السنة » كمصدر ثان للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم ، وتحذر من الانسياق وراء الدعاوى الفاسدة التى تدعو إلى الاكتفاء بالقرآن ، حيث يمثل « القرآن » النصوص الأساسية للأحكام ، وتمثل « السنة » المواد التفسيرية التى تفصل ما أجمل القرآن وتشرح تفاصيل ما يجب على المسلمين أن يفعلوه ، مما يبرز لنا أهمية « السنة » ودور أئمة الحديث .

كما تجد ــ عزيزى القارىء ــ كلمة أخرى عن خطبة الجمعة وشكلها الأمثل ، وذلك نظرا لأهميتها فى ربط المخلوق بخالقه وإعداده لحمل الأمانة وتحقيق الخلافة فى الأرض ، وتجد كلمة ثالثة عن « أدب النصيحة » ورابعة عن فضل « العفو عند المقدرة » وخامسة عن « خامس الخلفاء الراشدين » ، وذلك فضلا عن زاوية الإبداعات للشعر ، وزاوية الردود والتعليقات والإجابة عن الاستفسارات ، والله ــ تعالى ــ من وراء القصد ..

المحـرر

أمير المؤمنين فى الحديث

كتب الأستاذ/ محمد إبراهيم الدمرداش ـ بمجلس مدينة بركة السبع ـ منوفية ـ كلمة عن « الإمام البخارى » الذى تألقت شخصيته فى علم الحديث النبوى ، وفى سماء المجد العلمى لشدة شرطه فى كتابه « الجامع الصحيح » .

ورد فى تاريخ بغداد للحافظ أبى بكر ـ ج ٢ ـ قال ابن عدى : سمعت عدة مشائخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخارى قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، ودفعوها إلى عشرة رجال لكل رجل عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوها على « البخارى »

وأخذوا منه موعداً فحضر ، وحضر جماعة أصحاب الحديث من أهل خراسان وغيرها من البغداديين . فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال البخارى : لا أعرفه فسأله عن آخر فقال : لا أعرفه . وما زال يلقى عليه واحد بعد واحد حتى فرغ من عشرته وهكذا فعل بقية العشرة حتى فرغوا جميعاً من الأحاديث المقلوبة والبخارى لا يزيدهم على : لا أعرفه .

فلما علم البخارى أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول فهو كذا ، وحديثك الثانى فهو كذا ، والثالث والرابع على التوالى حتى أتى على تمام العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها ،

فأقر له الجميع بالحفظ وأذعنوا له بالفضل ،ومن ثم لُقِّبَ « البخارى » « بأمير المؤمنين فى حديث سيد المرسلين » .

نحو خطبة جمعة أفضل

كتب الأستاذ / حبيشى حسن حسين ـ الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف ـ كلمة يركز فيها تجربته وخبرته فى مجال الدعوة وخطبة الجمعة ـ لتكون نبراسا لزملاء مهنته أينما وجدوا .

« من منطلق خبرتى بالخطابة التى أحبها وأقوم بأدائها ـ منذ ثلاثين عاما ـ فى المساجد والمناسبات ، أتقدم بهذه الخبرة لجميع إخوانى العاملين فى هذا المجال آملا الاهتمام بدراستها والعمل بها ، ويمكن تلخيصها فى هذه النقاط :

١ ـ أن تكون الخطبة باللغة العربية المبسطة وليس بالعامية كما يحلو للبعض استخدامها بحجة التبسيط والشرح[1] .

---

(١) مجلة الأزهر : اللغة المباشرة فى مستواها العملى الاجتماعى والتى تستخدمها الصحافة هى الأولى فى لغة الخطابة .

٢ ـ أن تكون الخطبة فى موضوع واحد لا يخرج الخطيب عنه ، فتعدد الموضوعات يجعل المستمع يخرج من الخطبة متسائلا عما قاله الخطيب .

٣ ـ أن لا تزيد مدة إلقاء الخطبة عن ربع الساعة ، فخير الكلام ما قل ودل ، وقد كان سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطيل الصلاة ويقصر الخطبة ، أما سيدنا أبوبكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فقد كان يطالب الخطباء بالإيجاز ، ومن ذلك قوله « إذا وعظت فأوجز فإن كثرة الكلام ينسى بعضه بعضا » .

٤ ـ أن تحتوى خطبة الجمعة على الدلائل القرآنية والنبوية وبعض المواقف مما يحدث للناس والمجتمعات

٥ ـ أن يكون صوت الخطيب وسطا ومتغيرا حسب المواقف التى يتحدث فيها

٦ ـ أن يكون الخطيب ملما عارفا بما يجرى فى مجتمعه من حوادث ، ملما بعصره ، وبما ينشر فى الإعلام .

٧ ـ أن يبتعد الخطيب كل البعد ـ عن الهمز واللمز للمصلين خاصة إذا كان بينه وبين بعضهم عداء كالذى يحدث فى القرى وفى المناطق الشعبية بالمدن الصغيرة .

٨ ـ أن يكون الخطيب ـ خاصة فى القرى والمناطق الشعبية ـ قدوة حسنة وأسوة صالحة يقول ما يفعل

٩ـ أن تكون موضوعات الخطبة مناسبة لحل مشكلاتنا المعاصرة .

أدب النصح فى الإسلام

كذلك كتب الأستاذ / كمال عبدالمنعم محمد خليل ـ من الكوم الأحمر ببنى سويف ـ عن آداب النصح فى الإسلام والمحاذير التى ينبغى على الناصح مراعاتها حتى تؤتى نصيحته ثمارها .

لقدذكر الله ـ تعالى ـ النصح فى القرآن الكريم فقال ـ تعالى : إخباراً عن نوح ـ عليه السلام ـ ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ الأعراف : ٦٢

وعن هود ـ عليه السلام ـ :
﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ .
سورة الأعراف ـ آية : ٦٨

وبيّن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن النصيحة أمر شأنه كبير فى الإسلام ، ففى الحديث الذى أخرجه مسلم فى صحيحه عن تميم بن أوس الدارى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

إن الذى ينصح أخاه بإخلاص إنما ينصحه نتيجة حب له وخوف عليه ، ولكن النصيحة أحيانا إنما تتحول إلى تشهير وتنقلب بهذا الشكل إلى كشف العورات وهذا ما نهى عنه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمر بستر عورة المسلم فقال : « ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » متفق عليه ورواه ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ .

فإذا أراد المسلم أن ينصح أخاه المسلم فليكن ذلك فى السر وبعيدا عن أعين الناس حتى لا يكشف ستره ، قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ « المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويعيّر » .

خامس الخلفاء الراشدين

وكتب الأستاذ / عبدالحميد فتحى محمد ـ بالبنك الأهلى المصرى فرع كفر الدوار ـ تلك الكلمة عن عدل خامس الخلفاء الراشدين سيدنا عمر بن عبدالعزيز وورعه :

اجتمع لهذا الخليفة الراشد من مكارم الأخلاق وشريف الآداب ما لم يجتمع فى كثير من بعده ، وكان أبرز ما فيه رعايته للحق وزوده عنه وإقراره العدل بين الرعية ورفعه المظالم عن كواهلهم . كما كان ـ رضى الله عنه ـ لا يحابى فى الحق قريبا لقرابته ولا عظيما لعظمته ، بل يحق الحق للحق ولا يخشى فيه لومة لائم .

ومما ورد عنه فى مقام الزهد أنه بلغه أن ابنا له اشترى فصا بألف درهم فتختم به فكتب إليه عمر : عزيمة منى عليك أن تبيع الفص الذى اشتريته بألف درهم وتتصدق بثمنه وتشترى فصا بدرهم تنقش عليه رحم الله امرءا عرف قدر نفسه .

ولما مات عمر بن عبدالعزيز رثاه « جرير » بقوله :

تنعى النعاة أمير المؤمنين لنا
يا خير من حج بيت الله واعتمرا
وحملت أمرا عظيما فاضطلعت به
وسرت فيه بحكم الله يا عمرا
الشمس طالعة ليست بكاسفة
تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

العفو عند المقدرة

وكتب الأستاذ / خيرى إبراهيم أبوالروس ـ أحد خطباء الجرايدة بكفر الشيخ ، هذه الكلمة عن صفة « العفو » وأهميتها :

مدح لله ـ تعالى ـ العافين عن الناس مع القدرة على أخذ الحق منهم فقال ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤ ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ١٣٤

ورغب الحق ـ سبحانه وتعالى ـ فى مقابلة السيئة بالحسنة فى قوله :

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ .

سورة فصلت ـ آية : ٣٤

وفى التاريخ الإسلامى نماذج عظيمة تحتذى فى إيثار العفو وكظم الغيظ ، نذكر منها : أن عبدالله بن طاهر وزير الخليفة العباسى المأمون ـ قال : كُنت عند المأمون يوما فنادى : يا غلام فلم يجبه أحد ، فكرر النداء فلم يجبه أحد ، فنادى الثالثة فدخل غلام تركى ثائر ، فقال للخليفة : أما ينبغى للغلام أن يأكل ويشرب ؟ كلما خرجت من عندك تصيح يا غلام يا غلام !! .

قال عبدالله بن طاهر : فما شككت أن المأمون قاتله ، لكنه سكت مليا ثم قال لى : « إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خَدَمِهْ ، وإنّا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لتحسن أخلاق خدمنا » .

من إبداعات القراء

« مأســـاة القـــــدس »

للشاعر/ عبد العزيز أحمد رضوان

مسرى الـــــرسول أسير ، والعـــــدو به
يجوس ، منتفـــــخ الأوداج مجنونـــــاً
مسرى الـــرسول ينادينـــا ، يهيب بنـــا
فهـــل نجيب ؟ نلبـــى من ينادينـــا ؟
تلك المصائب قد راحت تراوحنـــــا
وبالمذلـــــة قد جاءت تغادينـــــا
لم يُلقهـــا قدرٌ عفـــوا ليظلمنـــا
نحن الذيـــن صنعناهـــا بأيدينـــا !!
يامسلمـــون ثقـــوا فى الله مقتـــدراً
كونـــوا بدينكمـــو طراً منادينـــا
لا تنصروا الـــزور والفـــحشاء واطرحـــوا
فكـــراً لعلمنـــة بالشر تغزونـــا
تريـــد دينـــاً له لهو وتسليـــة
لا شرع ، لا حقّ ، لا إخـــلاص لا دينـــا
ما جاء (تنويرهـــم) إلا ليُعتمنـــا
ولا سعـــادتهم إلا لتشقينـــا

« الدب الروسى .. يزحف »

للشاعر/ مصطفى محمود مصطفى

بالأمس قد زحفـــوا إلى الأفغـــان
واليـــوم قد زحفـــوا على (الشيشان)
و(الـــدب) مالم يقتـــنص سيدوسنـــا
ويجوس فى الأرجـــاء كالغيـــلان
يا أمـــة الإسلام ، هبـــى ، واجهـــى
خطـــراً ، يطاردنـــا ، بدون توان
أعداؤنـــا ، نصبـــوا فخاخـــاً حولنـــا
رصدوا الخطـــا منـــا بكـــل مكـــان
فاستجمعـــوا يا مسلمـــون شتاتكـــم
حتـــى نصدَّ جحافـــل الطغيـــان

ردود وتعليقات

● **القارىء/ عماد عبد العال .. مدرس العلوم بأبى تيج .**

تلقيت رسالتيك عن « الله عز وجل ـ والأحدية » وانشرحت لما انطوتا عليه من تسبيح وفيض .

● **القارىء/ عادل على على إسماعيل ـ قورص ـ أشمون ـ منوفية .**

مرحباً بك وبإبداعاتك وفى انتظار رسائلك .

● **القارىء/ محمد عباس محمد ـ أسيوط ـ الواسطى .**

لاتزال هذه البحوث بأيدى الأساتذة الذين يقرأونها ، ولم تنته بعد مهمتهم .

● **القارىء/ محمد محمود الغنيمى العطار ـ بلقينة المحلة الكبرى ـ غربية .**

نتمنى مثلك ـ تماماً ـ إعادة طبع الأعداد الماضية من « جمع الجوامع » للسيوطى لمساعدة العلماء الذين لم يواكبوا إصدار هذه الموسوعة ، ويبدو أن الفكرة ليست بعيدة عن المسئولين فى الأزهر .

● **القارىء/ محمد فتحى حسنى محمد ـ كلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر .**

● **القارىء/ وسيم عبد العليم عزب ـ شمال سيناء ـ العريش .**

● **القارىء/ محسن سعد أحمد ـ كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر .**

هذه المراجع ليست تحت أيدينا .. نأسف لعدم استطاعتنا تحقيق الرغبة .

● **القارىء/ حسام فتحى عبد الجواد عيسى ـ الإدارة الهندسية بالإسكندرية .**

نأمل أن تكون معالجة المجلة لقضية « الختان » جاءت فى حينها ، وفيها الغنى والكفاية ، تم ذلك بعدد جمادى الأولى ١٤١٥هـ بقلم فضيلة الإمام الأكبر/ شيخ الأزهر ، ومن خلاله عرف الناس حكم الختان .

● **القارىء/ مصطفى على محمد الخميس ـ البرية ـ مركز الرياض ـ كفر الشيخ .**

الدين الذى ندين الله ـ تعالى ـ عليه أن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بالقدس على دابة البراق .

● **القارىء/ عاطف كريم عبد الله ـ بولاق الدكرور ـ جيزة .**

الحقيقة أن ملاحقة الحوادث والكشف عما لم يسبق نشره من كنوز التراث لايدعان للمجلة فرصة إعادة طبع « الهدايا » مرة أخرى ، وعلى كل يمكنكم الحصول على رسالة « الختان » لفضيلة الإمام الأكبر ـ مجاناً ـ من مدير مكتب فضيلته بإدارة الأزهر بالقاهرة .

● **القارىء/ أسامة أبو حسيبة محمد ـ نزة قرار بمنفلوط ـ أسيوط .**

● **القارىء/ طاهر فائق الغرباوى ـ ملوى ـ المنيا .**

وصلت كلماتكم متأخرة عن مناسبتها ، وفى انتظار إبداعاتكم .

● **القارىء/ عبد الله عبد العزيز ـ كلية التربية .**

« التبرج والسفور » سبق للمجلة معالجته فى أكثر من مقال ، وصدر عنه كتيب هدية للدكتور عبد الودود شلبى ، وقد يمكن إعادة طرحه مستقبلًا .

● **القارىء/ سعيد على البرقمانى ـ بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر .**

أبرزتم فى كلمتكم عن « التبرج » أهمية الحشمة لدى المرأة ؛ لأن أعز ما تملكه هو الشرف والعفاف ، ومحافظتها على الفضائل .. محافظة على إنسانيتها فى أسمى صورها ، وليس من صالح المرأة ولا من صالح المجتمع تخليها عن ذلك ، وهذه حقائق لا ينكرها إلا دعاة الفساد .

● **القارىء/ حسن أحمد مكرم ـ بمعهد إعداد الدعاة ـ بأسيوط .**

نشكركم على تحيتكم الرقيقة وبإذن الله ـ تعالى ـ تتسع المجلة لإسهاماتكم الطيبة مستقبلًا .

● **الأستاذ/ صابر حسن عبد العاطى ـ بمعهد فتيات ساقلته ـ سوهاج .**

تناولتم فى كلمتكم جانباً من الحكمة التشريعية لتعدد زوجات النبى ﷺ ، ولعل أقواها هى الإكثار ممن يشاهد وينقل أخلاقه وأحواله وأحكام الدين التى يطلع عليها أزواجه ﷺ حيث كانت بيوته ﷺ مدارس لأمته رجالًا ونساء .

● **القارىء/ عماد الدين عبد المنعم ـ بدار طباعة النقد بالبنك المركزى .**

فى كلمة « مواكب النصر » ركزتم على حقيقة تاريخية فى حياة المسلمين وهى اقتران الشدة بالفرج والعسر باليسر ، ذلك أن أكثر عصور أمتنا مرت بفترات عصيبة نتيجة الصراع الأبدى بين الحق والباطل ، وكانت نهايتها ـ كما أشرتم ـ هى انتصار الحق وزهوق الباطل ، ولعل هذا يبشر ـ فى واقعنا المعاصر ـ بهزيمة الجمع المعادى للإسلام من حيث لم يحتسبوا .

● **القارىء/ السيد محمد القزاز ـ بكالوريس علوم .**

● **القارىء/ محمد رمضان عبد الباسط ـ كلية الحقوق ـ جامعة الأسكندرية .**

● **القارىء/ عبد العزيز فرج اسماعيل عزو ـ عين شمس ـ الزهراء ـ القاهرة .**

نشكركم على هذا الاهتمام بمجلة الأزهر وبمشيئة الله تعالى ـ ترون مبلغ الاهتمام بها يتزايد ـ مع كل عدد ـ فى خدمة الإسلام والمسلمين .

● **الكاتب/ محمد مصطفى الغمرى ـ من أسنيت ـ مركز كفر شكر .**

نتلقى ببالغ التقدير رسائلكم وما تحتوى عليه من انتقادات واقتراحات هى محل عناية إدارة المجلة ، وسبق أن أرسلتم تقريظاً موضوعياً لكتابىّ « مقدمة قبل الهجرة .. الحلف والإيلاف والجوار » لفضيلة الدكتور/ على الخطيب رئيس التحرير ، غير أنه رأى فى نشره كأنه يزكى عمله ، وأنه ليحمل لكم خالص الشكر والتقدير .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يفتتح ملتقى الفكر الإسلامى

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى الثانى من شهر رمضان المعظم ملتقى الفكر الإسلامى بالسرادق الذى تقيمه رئاسة الجمهورية بالتعاون مع الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف كل عام بميدان الإمام الحسين .

وقد ألقى فضيلته كلمة جامعة طالب فيها المسلمين أن ينتهزوا فرصة شهر رمضان المعظم لإعادة ترتيب البيت المسلم فى الداخل والخارج بما يحقق المصلحة العامة للإسلام والمسلمين مؤكداً على أنه على كل مسلم أن يراجع نفسه ويحاسبها عما قدم لدينه ولنفسه ولوطنه مشيراً إلى أنه ينبغى أن يكون سلوك المسلمين بعيداً عن التسويف واللامبالاة .

حضر اللقاء د . محمد على محجوب وزير الأوقاف والسيد محافظ القاهرة ، وفضيلة وكيل الأزهر الشريف ، وفضيلة الدكتور نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وقيادات الدعوة بالأزهر والأوقاف وسفراء الدول العربية والإسلامية بالقاهرة .

الإمام الأكبر وجائزة الملك فيصل

تلقى فضيلة الإمام الأكبر رسالة من سمو الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية : هذا نصها

سماحة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ـ حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد ـ

يسرنى أن أفيد سماحتكم بأن لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية قد اختارتكم فائزاً وحيداً بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا العام ١٤١٥هـ .. كما يسعدنى أن أقدم التهانى الخالصة لكم بهذه المناسبة السعيدة ، وأفيدكم بأن الجائزة ستمنح فى حفل رسمى كبير تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله وسنوافيكم مستقبلاً بالموعد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية

خالد الفيصل بن عبد العزيز

الإمام وتكريم المشاركين فى حفظ القرآن بمدينة طنطا

● أقامت محافظة الغربية احتفالا كبيراً بجوار المسجد الأحمدى بـ « طنطا » عاصمة محافظة الغربية مساء ٢١ من رمضان ١٤١٥ ـ تكريماً للمشاركين فى مسابقة حفظ القرآن الكريم من أنحاء العالم الإسلامى الذين بلغ عددهم (١٧٠) سبعين ومائة حافظ ، قدموا مصر من خمس وعشرين ومائة دولة ، فكانت وفود خير تجمعت فى ليلة مباركة ترتل من آى الذكر الحكيم ما عَمَرَا القلوب رحمة وحبا ، وغزا النفوس إحسانا وعطفا .

تقدم الحفل الكريم فضيلة الإمام الأكبر الذى ترتبط رسالته برعاية العالم الإسلامى أجمع ، ومعه السيد محافظ الغربية ، والسيد وزير الأوقاف وفضيلة الشيخ وكيل الأزهر ، وأصحاب الفضيلة : الشيخ محمد بشير رئيس المعاهد الأزهرية ، والشيخ محمد يوسف عفيفى رئيس الإدارة المركزية للإمام الأكبر .

● كان وجود فضيلة الإمام الأكبر فرصة أمام الشباب لطرح أسئلة عدة أجاب عنها فضيلته ، فقال ـ بصدد تهديد أمن المواطنين ، والعدوان عليهم تحت أى مسمى :

الأمة بحمد الله مسلمة والحريات محفوظة ، والذين يكفرون الأمة ، إنما هم خارجون لأنهم يحاربون الله ورسوله ، وجزائهم أن يقتلوا أو يصلبوا ، وتقطع أيديهم وأرجلهم ، وعلى المجتمع أن يقف فى وجه هؤلاء . وأن يمنعهم عن بغيهم .

● **وعن القدس أكد فضيلته :**

أن القدس قضية المسلمين أرضاً وعرضاً ، فهو ثالث الحرمين ومسرى رسول الله والقبلة الأولى التى صلى إليها رسول الله والمسلمون معه . وعلى كل مسلم أن يدافع عنها ويعمل على تحريرها .

● **وأجاب عما تردد عن الزيارة لإسرائيل بقوله :**

إذا كنا مطالبين بحسن الجوار فعلى هؤلاء الذين يطالبوننا به أن يحسنوا جوارنا .. ولكن إسرائيل لا تحسن الجوار وإذا كانت لم ترتدع بما كان فى حرب رمضان مع مصر وبالهزيمة الساحقة التى حاقت بها فإن أى مسلم لا يرغب إطلاقا ، فضلا عن شيخ الأزهر فى أن يزور إسرائيل ، أو يلبى لها طلباً مادامت على هذا المنوال لا تعرف عهداً ولا وعداً ولا حسن جوار .

وفى حفل إفطار الأوقاف مساء اليوم التالى الذى يعتبر رمزاً للوحدة الوطنية ـ تحدث فضيلته فتناول الحكمة من الصيام ؛ فبين فضيلته :

إن الصوم اختبار من الله تعالى للإنسان على تحمله الأمانة ، ولأن نكون صفاً واحداً لصالح وطننا .

وبشأن واجب المصريين قال :

على كل انسان بأرض مصر أن يغير رأيه فى بعض السلوكيات التى بدأت تطفو على السطح فتفرق الصف بدلا من أن توحده . وأكد ضرورة الابتعاد عن التنابز بسيىء اللفظ والعادات المرذولة حتى لا نشكو من وجود بعض المنبوذين بيننا .. ولا نقول المتطرفين ـ لأن مصر بلدنا براء من ذلك وأن نعيد نشر الخير والحق بين أجيالنا من الصغار ، وأن يراجع الكل نفسه وننشىء بيننا من يقول للمخطىء توقف لأن الدين النصيحة .

الإمام الأكبر يضع حجر الأساس لترميم الجامع الأزهر الشريف

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بوضع حجر الأساس لبدء إعمار وترميم الجامع الأزهر الشريف ، وتطوير المنطقة المحيطة به نظراً لما يمثله الجامع الأزهر من منارة العلم والمعرفة ، ولكى يظل دائماً مؤدياً لدوره ورسالته قامت وزارة المجتمعات العمرانية الجديدة بوضع خطة متكاملة لإعمار وترميم المسجد وتطوير مشروعات البنية الأساسية للمنطقة المحيطة به وقد صرح د . محمد ابراهيم سليمان وزير المجتمعات العمرانية الجديدة بأن مشروع الترميم يشمل ترميم الأسقف والحوائط والأعمدة والأساسات وقد روعى فيه أن يكون مطابقاً لما كان عليه الجامع بالإضافة إلى الاهتمام بالنسيج العمرانى للمنطقة المحيطة بالمسجد

شارك فى الاحتفال السادة محافظ القاهرة ووزير التعليم ووزير العدل وسفراء الدول الإسلامية والعربية ولفيف من علماء الأزهر الشريف ، وتتكلف هذه الأعمال مايقارب المائة مليون جنيه ويستغرق التنفيذ حوالى خمس سنوات .

وقد صرح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن الرئيس حسنى مبارك مهتم ببدء إعمار وترميم وتجميل الجامع الأزهر والمنطقة المحيطة به كما أن الدولة تقدم كل ما تستطيع لتحقيق هذا الهدف النبيل وقال : إن من حسن الطالع أن يفتتح باب التبرع لهذا العمل الجليل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حيث تبرع بـ ١٠ ملايين جنيه كما تبرعت بى نظير بوتو رئيسة وزراء باكستان خلال زيارتها للأزهر بمائة ألف دولار .

الإمام الأكبر يكرم الأئمة والدعاة الوافدين

وزع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر شهادت التفوق على الأئمة والدعاة الوافدين من دول العالم المشاركين فى الدورة السابعة والعشرين وذلك فى إطار رسالة الأزهر الشريف التى بدأت منذ عشر سنوات تم خلالها تخريج ١٧٠٠ داعية يمثلون العديد من دول العالم وقاراته المختلفة .

وقد انتظم فى هذه الدورة أربعون إماماً وداعية يمثلون دول كينيا وألبانيا وأوزبكستان والكاميرون وأثيوبيا والولايات المتحدة الأمريكية والصين ونيبال والكونغو برزافيل وبلجيكا ونيجيريا .. وقد ألقى فضيلته كلمة أشار فيها إلى أن هذه الدورات وضعت لدراسة أحكام الدين وتعاليمه لتبليغها للناس ، وأن على الأئمة والدعاة أن يبذلوا قصارى جهدهم لتقديم هذه الأحكام والهداية للناس ، وأن يلموا بالأساليب المعاصرة لهذا وأن يكون الأئمة قد استفادوا من محاضراتهم وحواراتهم مع الأساتذة .

وأشار فضيلته إلى أننا نحن المسلمين فى هذه الظروف الحالية فى حاجة إلى أن نجمع شمل شعوبنا وأن نوحد صفوفنا وكلمتنا وأن نحافظ على أن يكون عملنا وسلوكنا فى نطاق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الذى أخبرنا : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى » وفى نهاية اللقاء قال فضيلته .

أرجو لكم عوداً حميداً وأن تبلغوا شعوبكم وإخوتكم بأننا هنا فى مصر حريصون على العلم وتعليمه وأننا نأمل أن نتعاون جميعاً على البر والتقوى ونعمل على جمع كلمة الأمة وأن نبتعد عن الخلافات .

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

فلسطين

صرح إسحق رابين بأن قواته احتجزت مؤخرا ما لا يقل عن ألفين فيمن زعمتهم متطرفين إسلاميين ، فى الوقت الذى تشتبك فيه قوات الصهيونيين مع الفلسطينيين فى مدينة الخليل التى شهدت إضرابات فى مناسبة مجزرة الحرم الإبراهيمى التى حدثت فى منتصف رمضان من العام الماضى والتى فتح فيها مستوطن يهودى النار على المصلين وهم سجود ، فقتل ما لا يقل عن ثلاثين وأصاب العشرات بجراح دون أن يتحرك جندى صهيونى لوضع حد لهذه المجزرة .

وقد حملت الأنباء تصريحاً لبعض رجال الدين الذين اعتقلهم الصهاينة بتهمة تهريب السلاح للفدائيين نذكر منها :

إنه إذا كانت العملية السلمية ـ وهى خطوة متواضعة جداً ـ المسرى الأول على طريق الألف كيلو متر لكوننا سنصل فى النهاية إلى ما نصبوا إليه من عزة وكرامة وإقامة الدولة الفلسطينية التى ضحينا فى سبيلها بآلاف الشهداء ، وتحملنا كل ألوان التعذيب والاضطهاد فأهلا وسهلا بها .

أما إذا كان اتفاق (غزة ـ أريحا) هو أمر مؤداه حكم ذاتى لا تتعدى صلاحياته العناية بالماء والكهرباء والطرقات وجباية الرسوم على المعابر وتصريف الأمور اليومية الحياتية العادية فهذا أمر مرفوض كليا .

ونقلت هيئة الإذاعة البريطانية تصريحا جاء فيه : إن القدس محاصرة منذ عام ونصف ومغلقة فى وجه الفلسطينيين ، وسكان الضفة ممنوع عليهم دخولها حتى للصلاة إلا بإذن مسبق يصعب الحصول عليه .

لقد احتكر الصهاينة القدس وأعلنوها عاصمة أبدية لهم متحدِّين العالم أجمع ظانين أنهم يضعونه أمام الأمر الواقع ، فلابد ـ إذن ـ من التحرك المباشر والتضامن عربيا وإسلاميا ، فبقاء هذا الحال من المحال ، واعتبار القدس عاصمة لليهود مرفوض شكلا وموضوعا ، فالقدس مهد الديانات السماوية الثلاث ولا يمكن لأى قوة فى العالم مهما عظمت أن تحتكرها .

الشيشان

يحاول المفاوضون الروس والشيشان ترسيخ الاتفاق الهش الخاص بوقف إطلاق النار بين الجانبين وذلك بتبادل قوائم بأسرى الحرب لدى الطرفين تمهيدا للإفراج عنهم قريبا .

وقد اتفق الطرفان فى محادثات جرت فى جمهورية الأنجوش المجاورة للشيشان على مدّ فترة العمل بوقف النار حتى الأحد ٢/١٩ لكن القائد العسكرى الشيشانى (أصلان سخادوف) قال : إن الطرفين لم يتفقا بعد على الإجراءات الخاصة بالتبادل الفعلى لأسرى الحرب وكرّر الدعوة لإجراء محادثات مع الروس مؤكدا أن القادة العسكريين لا يمكنهم أبدا حسم الأزمة القائمة فى الشيشان .

هذا وقد بدأ وقف إطلاق النار منذ الأربعاء ٢/١٥ الماضى لكنه اتفاق هش تم انتهاكه عدة مرات حيث لاتزال الانفجارات تهز مواقع حية من أرض الشيشان .

أفغانستان

قال الرئيس الأفغانى برهان الدين ربانى إنه يود إعادة التفاوض على شروط نقل السلطة إلى هيئة مؤقتة .

وأكد متحدث باسمه أن هناك حاجة ماسة إلى إجراء مزيد من المباحثات ، ذلك لأن فصائل جديدة قد برزت بينما أخفقت فصائل أخرى فى العاصمة كابول فثمة حرب أهلية يستعر أوارها منذ ثلاث سنوات وهى إشارة إلى الحركة الإسلامية الطلابية المعروفة باسم (طالبان) التى وصلت المليشيات التابعة لها إلى مشارف كابول وباتت تهدد بالزحف على العاصمة الأفغانية كلها .

وإلى أفغانستان وصل الجمعة ٢/١٧ محمود المستيرى مبعوث الأمم المتحدة لأفغانستان للإشراف على عملية نقل السلطة خلال يومين من وصوله لكنه صرح بأن نقل السلطة قد يتأخر بسبب إجراء مزيد من المباحثات بشأن عضوية الأطراف المشاركة .

وتواجه تلك العملية عقبة تتمثل فى فتور حماس الحركة الإسلامية الطلابية القوية فى الانضمام إلى عضوية المجلس المؤقت .

والمعروف أن الحركة المذكورة هى التى تمكنت من قلب موازين القوى فى أفغانستان حيث دحرت قوات حكمتيار كما قضت على قوات عبدالرشيد ـ سيتم فيما يعد انفراجا فى الأزمة الأفغانية .

استدراك

بعد طبع الملزمة الأولى من المجلة لوحظ وقوع خطأ مطبعى بالعنوان الفرعى الوارد فى صفحة (١٣٢٠) وصحته :

ثالثاً : حكم النظر إلى التلفاز

compagnons entendant ce compliment de la part du Messager (b.s.) souhaitaient chacun être cet homme, pour jouir de cette dignité!

Omar Ibn Al-Khattab dit: "Je n'ai jamais souhaité devenir gouverneur autant que ce jour-là avec l'espoir de remplir cette fonction. Je me rendis tôt à la prière du midi. Une fois la prière achevée, comme le Messager (b.s.) fit la salutation finale en tournant la tête à droite et à gauche j'allongeai le cou afin qu'il m'aperçoive". Le Prophète regardait toujours jusqu'à ce qu'il vit Abou Obaida Ibn Al-Garrah; il l'appela et lui dit: "accompagne-les, juge leur différend en toute justice". Abou Obaida partit pour remplir cette mission...!! Ce fait ne signifie pas que Abou Obaida jouissait seul de cette confiance et de l'estime du Messager (b.s.) mais cela signifiait qu'il était parmi ceux qui jouissaient de la confiance et de l'estime du Messager (b.s.). Mais il était le seul dont les cironstances permettaient de quitter Médine et d'accomplir cette mission.

(à suivre)

Hoda Hussein Cha'arawy

ses yeux épiaient le Messager avec précaution et inquiétude. Quand il s'apercevait qu'un danger menaçait le Prophète (b.s.), il quittait sa place et accourait en sautant sur l'ennemi d'Allah en le faisant reculer sur ses pas avant qu'il ait pu atteindre le Messager.

Soudain une flèche tirée par un polythéiste atteignit le visage du Prophète, le sang coula sur son visage et deux mailles de son casque s'enfoncèrent dans sa joue. Le Messager essuya le sang de sa main droite et dit: "Comment un peuple peut-il être juste en blessant le visage de son Prophète alors que celui-ci les appelle à la fois en leur Seigneur? Abou Bakr accourut alors vers le Prophète (b.s.) tandis qu'un autre homme s'approchait à toute vitesse en venant du côté de l'Est: c'était Abou Obaida qui dit à Abou Bakr: "Je te demande par Allah Ô Abou Bakr de me laisser ôter la maille du visage du Messager. Abou Obaida avec son incisive tira l'un des mailles, son incisive s'arracha et tomba par terre. Puis il prit la seconde maille et la seconde incisive s'arracha aussi, si bien qu'il parut comme édenté.

Quand les responsabilités des compagnons se multiplièrent, Abou Obaida était toujours à la hauteur de ces responsabilités par sa sincérité et sa fidélité.

Quand le Prophète (b.s.) l'envoya pour l'expédition "d'Alkhabat", il commandait 300 hommes qui n'avaient comme provisions qu'un sac de dattes. La mission était difficile et le voyage était long. Abou Obaida remplit son devoir avec dévotion et gaieté, il traversa avec ses hommes les distances, ne mangeant durant toute la journée qu'une poignée de dattes. Comment les provisions diminuaient, la portion de chaque soldat était réduite à une seule datte par jour. Une fois, les dattes consommées, ils frappèrent les arbres pour faire tomber les feuilles, les ramassèrent, les écrasèrent et les mangèrent, puis burent de l'eau. Pour cela cette expédition fut nommée "Alkhabat" (feuilles d'arbres). Ils ne se souciaient ni de leur faim ni de la privation, leur seul souci était d'accomplir avec leur chef la mission pour laquelle le Messager les avait choisis !

Un jour, à Médine, une délégation de Najrane au Yémen vint pour embrasser l'Islam et demander d'envoyer quelqu'un avec eux pour leur enseigner le Coran, la Sunna et l'Islam. Le Messager (b.s.) leur dit: "Je vais vous envoyer un homme de confiance... de grande confiance". Les

Abou Obaida Ibn Al-Garrah qu'Allah soit satisfait de lui L'homme de confiance de cette communauté

par Hoda Hussein Cha'araoui

Nous avons l'honneur d'accueillir sur ces pages Abou Obaida Ibn Al-Garrah. Le compagnon que le messager (b.s.) a pris par la main droite en le présentant ainsi: "Chaque nation a un homme de confiance, et celui de cette communauté est "Abou Obaida Ibn Al-Garrah". L'homme que le Prophète (b.s.) a envoyé pour l'expédition de "Zat-Al-Salassel" en le mettant à la tête d'une armée où se trouvaient Abou-Bakr et Omar. L'homme grand de taille et élancé, à la barbe légère était le compagnon à qui on a donné le surnom de "le prince des princes". Cet homme robuste et loyal était l'un des dix promis pour le paradis. "Omar Ibn Al-Khattab a dit de lui sur son lit de mort "Si Abou Obaida Ibn Al-Garrah était vivant, je l'aurais désigné comme calife des Musulmans. Si Allah me demanderait pourquoi? Je lui dirai: j'ai désigné l'homme de confiance d'Allah et de son envoyé".

Abou Obaida, à l'âge de 27 ans s'est converti grâce à Abou Bakr à l'aube de l'Islam. Il émigra en Ethiopie puis en retourna pour être aux côtés du Messager d'Allah (b.s.) dans tous les combats. Sa conduite, son comportement et sa fidélité vis-à-vis de ses responsabilités l'ennoblirent au point qu'il mérita le titre que le Messager lui a donné: "L'homme de confiance de cette communauté".

Examinons de près ce que fit Abou Obaida le jour de la bataille de "Ohod". Le jour de la bataille de "Ohod", alors que les polythéistes étaient déterminés à vaincre et à tuer le Messager d'Allah (b.s.) Abou Obaida frappait courageusement de son épée l'armée hostile alors que

De l'Orient à l'Occident, tous les musulmans du monde éprouvent les uns envers les autres la même compassion et la même miséricorde qu'ils soient riches ou pauvres. Cette miséricorde est le fruit de la privation que ressent le musulman lorsqu'il jeûne: c'est là un des buts sociaux du jeûne, car, à partir du moment où le riche éprouve de la compassion envers le nécessiteux qui a faim, il essaie d'alléger la peine de ce dernier dont il a éprouvé la souffrance par le jeûne; ainsi un noble but social est atteint.

Le jour où les musulmans quittent le mois de Ramadan pour accueillir la fête, ils doivent se poser la question suivante; en quittant ce mois sont-ils devenus meilleurs qu'ils n'étaient en l'accueillant ?

Vous, les musulmans, êtes-vous certains de vous être acquittés de ce culte comme il se doit? Vos âmes se sont-elles purifiées, votre nature s'est-elle adoucie et vos sentiments se sont-ils ennoblis? Le jeûne vous a-t-il rendus plus proches d'Allah et a-t-il réveillé vos consciences? Vos relations avec les autres sont-elles plus solides et vos coeurs se sont-ils remplis de compassion et d'endurance ?

Il est souhaitable que le musulman, pendant tous les mois de l'année, n'oublie pas les profits qu'il a tirés du mois de Ramadan; qu'il évite de commettre le mal, de nuire aux autres, de dire du mal d'autrui, qu'il purifie son âme de toute envie, de toute jalousie et de toute rancune.

Comme nous avons réussi à dompter nos instincts durant ce mois, nous devons préserver dans cette voie.

La joie de la fête, si elle est mêlée aux fruits du jeûne, devient un bagage de dévotion pour le coeur et l'âme, à la fois une force physique et un remède moral.

Allah — qu'Il soit exalté — a dit dans le Saint Coran :

[Ô vous les croyants, soyez patients et endurants (face à vos adversaires). Craignez Allah, peut-être obtiendrez-vous le succès] Sourate "Al Imran, le sens du verset 200.

Rokeya Gabr

Al'Id vise essentiellement à se développer dans la communauté l'esprit du bon voisinage de sorte que tout pays musulmans forme avec ses voisins un état musulman unique où l'on trouve la mise en applicatin du vrai sens de la fraternité, où la fidélité est la règle et où les gens échangent les cadeaux malgré l'éloignement de leurs habitations et les différences de leurs situations.

Par là, la fête devient une occasion pour mettre en évidencve l'authencité et les particularités sociales de la nation islamique qui la distinguent des autres nations: C'est du produit du travail de ses mains qu'elle s'habille et se nourrit, fière de son industrie et de tous ses produits, gardant l'espoir en l'avenir, respectant les vieillards et compâtissante envers les enfants.

Dans cette société, les qualités humaines se complètent mutuellement pou former un édifice solide. Ainsi la vraie fête c'est de sentir qu'on a réussi à se dénuer de toute jalousie, de toute envie, de toute rancune et à se parer de nobles qualités.

Grâce au jeûne, les âmes se sont élévées au-dessus de tous les instincts et de toutes les bassesses. Les gens qui ont enduré avec patience jusqu'à l'expiration du mois de Ramadan, éprouvent la joie d'avoir accomplir ce devoir religieux comme il se doit; car la règle en Islam c'est d'endurer les difficultés avec courage et patience afin de jouir un jour de la joie du triomphe sur autrui et sur ses propres faiblesses.

Le jeûne est un exercice où le musulman éprouve sa force de volonté. Cette épreuve est particulièrement profitable lorsque nous savons en tirer une leçon et une règle de conduite dans notre vie. C'est alors que la fête devient l'expression de la force d'une communauté et un jour de triomphe où la société goûte les fruits du jeûne: l'éducation, l'enseignement et l'épreuve.

Ce jour-là tous les musulmans sentent qu'ils ne forment qu'un seul être, d'une même nature, qu'ils éprouvent les mêmes sentiments. Ce jeûne est couronné par la force de volonté du musulman et sa soumission totale à Allah.

Le vrai sens de la fête *(Al'Id)* pour les Musulmans

par ROKEYA GABR

Combien nous avons besoin, nous les musulmans de l'époque actuelle, de comprendre le vrai sens de nos fêtes afin de savoir nous y préparer et de faire en sorte que les jours de fêtes soient à la fois joyeux, raisonnables et laborieux et qu'ils éveillent nos âmes aux valeurs prioritaires de l'existence.

Que notre principale souci, durant les jours de fête, ne soit point l'achat de vêtements neufs ni l'occupation des loisirs.

En effet, l'importance de ce jours n'est pas en lui-même, mais elle réside dans le sens social et humain que ce jour renferme.

La fête (Al'Id) en Islam vise en premier à faire sentir à toute la communauté musulmane qu'elle est capable de changer son état. Ainsi, il est dit dans le Coran :

[Allah ne change l'état des gens, que s'ils se changent eux-mêmes]
Sourate Al Ra'd, le sens du verset 11.

C'est pourquoi le jour de la fête est celui où la communauté veille à se parer des beautés de son système social. C'est le jour où tous les membres de la société éprouvent un sentiment partagé et s'unissent autour d'une parole unique.

REVUE AL-AZHAR

Vol. 67 Part X

Shawal 1415 Higrah

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Départe ment de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

during Ramadan's nights. We should not forget that we are seeking more and more spirituality to curb the excessive materialistic tendencies of the modern age. In recent days, it has been discovered that there is a direct correlation between the central nervous system and the immunity system through the action of glands and hormones. On the one hand, when a believer fasts he becomes more calm and self-disciplined and, thus, develops a strong immunity system.

Furthermore, when a less believing person fasts, he becomes unsatisfied and depressed because of his deprivation from eating and drinking, and therefore he can easily catch diseases starting from headaches.

Muslims have to watch out their conduct during Ramadan. Prophet Muhammad (MPBUH) encouraged Muslims to fast Ramadan. He persuaded them by his saying to his wife, mother of the faithful, "Aaisha" may Allah be pleased with her; "Keep knocking on Heavens door." She then asked him "How can this happen ?" He answered her : "By Fasting."

Bearing hunger is only one aim of fasting as there are others which are very important too, such as ethical and virtuous conduct, nourishment of the spiritual, needs putting aside all the materialsistic demands of life. Prophet Muhammad (MPBUH) used to seclude himself for worship during the last ten days of Ramadan. The prophet has asked Muslims to have their last meal (sahur) just before dawn and not earlier may be to encourage them to spend the night in worship and then have the sahur meal. He said : "My 'Umma will remain in good condition so long as they early begin breaking their fast and keep the last meal before daybreak toward the end of the night."

There are other desirable habits in Ramadan such as the frequent reading of the Holy Quran and providing the poor with money donations "Zakah". It is also important to assert the intention to fast. According to Prophet Muhammad's (MPBUH) saying : "The one who will not assert the intention to fast in the previous night, will not be considered fasting."

Finally, to sum up, the aim of fasting in Ramadan is to consolidate the Muslims spiritual conditions by learning endurance, patience, wisdom and abstaining from anger and hatred. Prophet Muhammad, (MPBUH) taught Muslims to improve their conduct especially in Ramadan by saying :

"If someone is to fast, he must not do any bad deeds nor mention bad words, he must not be angry and if someone tempts him by insulting or beating, he should have to say : "I am fasting."

In conclusion, Ramadan is the real practical examination of individual faith. It is therefore, the annual chance provided from Allah the Greatest to permit believers to rise to higher status.

In one of the sacred sayings Allah, the Most Gracious and Most Merciful says : All human deeds are for themselves, except fasting, it is for Me and I reward them for it."

Reference : An Interpretation of THE HOLY QURAN with full Arabic Text. By Abdallah Yusuf Ali.

Sh. Muhammad Ashraf - Kashmiri Bazar Lahore.

preceded by the governor on his white horse, followed by a group of detachments riding their horses too. Moreover, the procession included the police orchestra wearing their formal uniforms. Also, all manual workers sects were to follow the procession preceded by their "Sheikhs". For example, the tinmen sect was to move on a carriage loaded with lanterns to distribute to children all the way through. "Konafa" maker was to be also on another cart with an oven and utensils to distribute warm and fresh "Konafa" to the children. Carpenters and the rest used to do the same. The procession used to end where the legislative court was located. There, a big tent was to be held for the great number of ministers, sciéntists and notable men who waited for the announcement of Ramadan's moon confirmation. When it had been confirmed, all mosques were to be lighted and people would start to congratulate each other.

There is a consensus among researchers that to-day's customs and traditions of celebrating Ramadan's "Moon Vision" don't differ so much from those of the Fatimid's state. The only difference relates to to-day's materialistic civilization which employs mass media for such celebration and prophet Muhammad tradition and sayings which are focused on more during Ramadan in television and radio.

Ramadan has its special rank among the rest of the months. It is associated with kindness and generosity. Prophet Mubammad (MPBUH) said : "If people were to know the degree of goodness specified to Ramadan, they would with the whole year be Ramadan."

The most important values of goodness in Ramadan are as follows :

First, the revelation of the Quran -- the greatest eternal goodness to all human beings. In addition, it has been cited from Prophet Muhammad traditions that Prophet Ibrahim's papers were revealed in the first, Ist of Ramadan, the Torah in the sixth, 6th of Ramadan and the Bible in the thirteenth, 13th of Ramadan.

Second, Fasting is the purest spiritual worship because it is a secret confinement between Allah and His slaves.

Third, Allah, the most merciful and most generous, has indicated his kindness and compasis equivalent to seventy prayers during the other months.

Fourth, during Ramadan, Paradise's doors are open and Hell's doors are locked and devils are imprisoned.

Fifth, the true fasting prevents one from committing sins and ingrains righteousness and truthfulness in sayings and deeds. Prophet Muhammad, peace be upon him, said : "The one who doesn't refrain from lying in his speech and deeds doesn't need to refrain from eating and drinking."

In addition to all what previously mentioned, fasting enhances the body immunity. Abstainment from eating and bearing hunger and thirst educate oneself to behave well and to be moderate in eating and drinking habits. We have to preserve such advantage and not to spoil it by over-eating after sunset. This is because if one eats muĉh, one feels heavy and blood goes from the head to the stomach to help in the process of digestion. As a result, one becomes unable to carry out his spiritual duty

WHAT IS SO SPECIAL ABOUT RAMADAN

Presentation : Wiaam Kamal Gabr

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

"Ramadan is the (month)
In which was sent down
The Quran, as a Guide
To mankind, also clear (signs)
For guidance and judgement
(Between right and wrong).
So everyone of you
Who is present (at his home)
During that month
Should spend it in fasting,
But if anyone is ill,
Or on a journey,
The prescribed period
(should be made up)
By days latter" Sura II, Verse 185

شَهْرُ
رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ

In the old days, in the 8th century of Hijra, Muslims used to celebrate the appearance of Ramadan's new moon in the following manner :

The Judge and the notable men in the country used to gather in the 29th day of Sha'ban. then, they were to go out of the city followed by ordinary people and children to watch the moon from a high place. After the sunset prayer, they return carrying lighted candles, blazes and lanterns. That was an indication that Ramadan's moon was born.

If the moon did not show up due to weather problems or clouds gatherings, or if it appeared in one place and not in the other; then, the testimony of two men witnesses was considered enough. After the confirmation of the seeing of Ramadan's moon, merchants used to light candles in their firms and everywhere else, particularly in mosques.

In the 1920's, it was the duty of the legislative court to announce the appearance of Ramadan's new moon and the beginning of fasting in Egypt. After the announcement, the so-called "moon appearance procession" was to start from the governorate place

areas is to be considered a violation of the sanctity of Al Aqsa mosque as well as an aggression against its holiness. The Fatwa (religious rule) stated as well that the Hebron mosque is a sacred Islamic mosque and any aggression against it should be considered a violation of its sanctity and sacredness.

In fact, his eminence the Grand Sheikh of Al Azhar Jad Al Haq Ali Jad Al Haq has condemned the statements announced lately by president Bill Clinton, namely considering the united Jerusalem the capital of Israel and not referring to it as being a part of the occupied Arab lands.

His reverent has expressed his surprise and astonishment regarding these statements that coincide with the efforts currently exerted to resume peace talks concerning the Arab lands among which is Jerusalem. His reverent has asked the senior influential politicians to have a say and a clear stance if it has been proved that such statements were declared by the American President.

Al Azhar has asways and is still supporting the Arabs of Palestine in their independence, in practicing self rule, and in stopping the building of Israeli settlements in the occupied territories. It calls upon the World Public opinion and the international organizations to take a serious positive action in order to implement the international resolutions that stipulate the return of the occupied lands to their owners, i.e. the Arabs of Palestine, and these lands should include Jerusalem in its united form as it used to be because it is the city of peace.

But even the Israeli side should assert its desire in peace and the Israeli government should stop claiming rights in holy Jerusalem and to stop its aggression against the Arabs all over Palestine.

Thus, if calling for peace has become the language of the age in which we are living, and the language which the international community aspires, them we want it to be a real peace which is not based an aggression. Maybe, hopefully, conveying our message of peace to the international community would impede the schemes of Israel and isolate it from the wold public opinion which provides it with all needs and backs its existence and continuation. It is hoped that the international community would understand that the Muslims are the ones who call for peace based on justice, equality, security, safety and human rights all over the world. It is also hoped that the international community would not listen to what is reiterated by some media that wish to tarnish the image of Muslims and present them in a way that contradicts their true nature and their real image.

Let the international community remember that this city is a sacred, holy city and that it contains the sanctities of the three religions :Judaism, Christianity and Islam.

Henceforth, we would like to know isn't it the duty of this international community to respect and preserve the holiness and sacredness of this city and the heavenly messages ?

In fact, the issue of holy Jerusalem is not only an issue of inhabitants and sacred or holy places but it is also a living symbol of achieving peace called upon by heavenly teachings.

In conclusion, I would like to assure you that this is the message of Al Azhar which we have pledged never to give up until Doomsday.

The Jewish explorer Isacc Ben Yusuf had frankly admitted that in the 14th century AD (8th century A.H.J.) the Jews had lived in peace and happiness in Jerusalem. He had attributed this fact to the justice of the Islamic governments.

Here is another British writer (Thubron Coplin) who asserts that in the early centuries, Muslims had been tolerant with the Jews and they lived together in peace. Meanwhile, Europe had been extremely suffering oppression. Muslims had been also so keen to safeguard the Christian sanctities in the same way they safeguarded Muslim sanctities in Jerusalem, in particular, and all over Palestine, in general. Muslims, in so doing, were reviving the history of their good ancestors and were following, in application, the steps of the wise Caliph Omar (MGBWH) who had given the pledge of safety to the patriarch of Jerusalem in 15AH/636A.D.

I think we are in no need for any further assertion that Islam has recommended the kind treatment of the people of the Book, i.e. the Jews and the Christians. We needn't as well to be distracted from our basic topic by being completely preoccupied by reviewing historic events that are well known throughout our Islamic history that covers 14 centuries. Consequently, we hope that the current events would be dealt with from the present prespective which we are now experiencing.

Hence, if Al Azhar Al Sharif supports the Palestinians' free will to determine what they want regarding the continuation of negotiation for the sake of peace, yet it believes that Israel's insistence on carrying out its schemes to judaize Jerusalem is something that cannot be accepted from both the Islamic and the Arab point of view.

It is quite evident that the procedures taken day after day by Israel regarding the status of Jerusalem, are, in fact, a kind of forging history and a sufficient reason for the continuation of struggle in the area.

In this context, Al Azhar condemns openly the resolution issued by the highest court in Israel on 23/9/1993 which puts Al Aqsa mosque in Jerusalem under Israel's sovereignty, the consequence of which was the authorizing of the group so called (The Sons of the Temple) to control this holy site.

Thus, Al Azhar affirms the illegality of this court in imposing such a mandate on the Aqsa mosque. In addition, this resolution embodies a flagrant violation of the religious, historic and legal rights of the Arabs in Palestine. It obviously contradicts the claims made by the Israeli authorities from time to time in which they declare that they are honestly seeking peace.

Again, Al Azhar is reiterating what it had previously announced in Ragab 1388AH September 1968 AD, namely affairming the religious Fatwa (religious rule) issued by the Muslim Ulamas and Muftis in the west bank in Jordan on the 17th·Gumadi First 1387 AH / 22nd August 1969. This Fatwa (religious rule) stated that the blessed Al Aqsa mosque, from the religion point of view, includes Al Aqsa, the Sacred Rock and all the areas surrounding them, and that any act of aggression against any of these

THE HOLY JERUSALEM IN THE CONSCIENCE OF AL AZHAR AL SHARIF[1]

By : Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.

No doubt that Jerusalem is the main axis of Islamic solidarity because of its sublime status in the conscience of all Muslims, because of its holiness being the homeland of all prophets and messengers and being the land of peace which is called upon by all heavenly teachings.

The first thing that should be taken into consideration is that Al Azhar as a mosque, as a university and as an institutin has honestly expressed its extreme sorrow and its strong refusal of the terrible massacre that took place in the mid of Ramadan 1993 at the hands of one of the Israeli settlers against the peaceful prostrating Muslims in the Hebron mosque. Certainly, this aggression completely contradicts the peace called upon by all three heavenly religions.

Undoubtedly hole Jerusalem is entirely qualified to be considered by the believers of all three religions : Judaism, Christianity and Islam as the symbol of peace, justice and tolerance.

If the history of Jerusalem affirms that it is an Arab country in origin we should not forged that under the rule of Islam it had been a model of peace, religious tolerance and peaceful co-existence among all communities in the shadow of the sublime principles that were characterised by justice and mercy.

Any study of the history of Jerusalem will show that peaceful co-existence under the Islamic rule was not a temporary thing, but it was based on fixed pillars well established by Islamic teachings. These teachings recognized all human rights and granted the people of the Book complete freedom not only to practice their religious rituals but also to practice their economic, social and cultural activities.

We have, here, to assert to the international community that Muslims, believing in and being convinced of the sublime principles of Islam, had opened their country to the Jews, allowed them to enter it peacefully, and even entrusted them to perform many things. Hence, some of them become merchants, others physicians and even ministers.

---

(1) The information included herein is based on the article published by Al Azhar Magazine in May 1994 under the title "The holy Jerusalem in the conscience of Al-Azhar Al Sharif."

AN APOLOGY

This section due to out-of-hand technical reason was not published in the month of Ramadan.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 67 Part X
Shawal 1415 Higrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس

الموضوع — الصفحة

● الافتتاحية (المؤمن وثقوب فى السعادة)
فضيلة الدكتور/ على أحمد الخطيب ١٣٠٥

● مع الإمام الأكبر
عيد الفطر ١٣٠٨
فتوى فى حلق اللحية وسماع الأغانى ١٣١١

● آداب الاستئذان فى سورة النور
ا. د. حسن أليك ١٣٢٦

● التجويد بين العامة والخاصة
الشيخ/ عبدالعظيم الخياط ١٣٣٥

● قبس من أنوار النبوة
(ظلم النفس أو الغير .. ظلمات)
فضيلة الشيخ/على حامد عبدالرحيم ١٣٣٨

● أدب الصحبة
الشيخ/ مصطفى الشيخ ١٣٤٠

● خطاب رئيس البوسنة فى احتفال توزيع
جائزة فيصل بالقاهرة ١٣٤٦

● فى رحاب نعمة الأمن
للشيخ/عبدالمنصف عبدالفتاح ١٣٤٩

● النسخ فى الشريعة الإسلامية
ا. د. محمد سعاد جلال ١٣٥٣

● ظاهرة التجاوز فى البناء الفكرى
د. عبدالله مبروك النجار ١٣٦٠

● ليس التبرج قرين الحضارة
الشيخ/ عبدالعزيز أحمد رضوان ١٣٦٧

● الفتاوى: إعداد الأستاذ/ عبدالمنعم فودة ١٣٧١

● من أعلام الأزهر (د/ محمد البهى)(٢)
ا. د. محمد رجب البيومى ١٣٧٣

● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد ١٣٧٨

● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
إعداد/الأستاذ/عبدالفتاح الزيات ١٣٨٠

● الشعر والشعراء ●

● ألحان بلا أوتار
للشاعر/ ابراهيم عيسى ١٣٨٦

● ياعيد أقبل
للشاعر/ رشاد محمد يوسف ١٣٨٧

● ياحياة.. للشاعر محمد صان الدين ١٣٨٨

● تحريك المياه الساكنة !
بقلم الشاعرة/ جليلة رضا ١٣٩٠

● العلوم الكونية ●

● تصنيف علوم الطب فى تراث المسلمين
ا. د. أحمد فؤاد باشا ١٣٩٢

● من أمراض الطفولة (فقر الدم)
د. جيهان أحمد حافظ ١٣٩٦

● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد:د. نجوى السيد أحمد ١٤٠٠

● اللغة والأدب والنقد ●

● اللغة العربية فى تاريخها (٢)
أ. د/ توفيق محمد شاهين ١٤٠٤

● تداعيات الصلة الوجدانية بين شاعرين
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١٤١١

● الأثر العربى فى الأدب السواحيلى (الشعر)
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ١٤١٦

● صناعة الجوع (٢)
للأستاذ/ مصطفى دسوقى كسبة ١٤٢١

● وضع الأطفال فى العالم عام ١٩٩٥
عرض وتقديم أ/عبدالسلام ناصف ١٤٢٥

● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم د. محمد عبدالحكيم ١٤٣٠

● أنباء وأراء ●

● أنباء مكتب الإمام الأكبر .. إعداد :
الأستاذ/عمر البسطويسى ،
الأستاذ/مصطفى عبدالمجيد ١٤٣٧

● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٤٤٠

● القسم الفرنسى ١٤٤٨

● القسم الإنجليزى ١٤٤٩

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
دكتور / على أحمد الخطيب
مدير التحرير
على حامد عبد الرحيم
سكرتير التحرير
عادل رفاعى خفاجة
المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩
الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين .

أين التناقض ؟!

الأستاذ الدكتور رشاد عبد الله الشامى ، أستاذ الدراسات العبرية بجامعة عين شمس . هو صاحب البحث رفيع المستوى الذى جعل عنوانه : « الشخصية اليهودية فى أدب إحسان عبد القدوس »(١) .

هذا البحث بحق ينبغى أن يكون من مصادر المتخصصين فى « الأدب والنقد » ؛ لأنه يقدم خصائص الشخصية اليهودية عامة ، ثم العملية خاصة ، من خلال قصص الأستاذ إحسان - رحمه الله - ويحيط المتخصصين علماً دقيقاً بما بهذه الشخصية من ممارسات دينية فى مصر ، ثم ينتقل إلى حديث عن طوائفهم فيها ، ومَذْهَبَيْهِمْ وأعيادهم وشعائرهم ، مسلطاً الضوء بقوة على محاولاتهم طمس ما عرف عن شخصيتهم إبان القرون الماضية إلى يومنا هذا كى تظهر لهم شخصية أخرى طيبة وصلت إلى قمتها فى « مسرحية كمبرلاند » ثم لترتفع - بعد - إلى (الملائكية) ... كذا أرادوا .. !!

(١) سلسلة الهلال - الكتاب رقم ٤٩٦ .

ولولا أن رواسب الشخصية هى صاحبة التوجيه الأول فى دوافع السلوك لَصدَّق كثير من الناس شيئا من هذا السمو المختلق الذى تأثر به الفاتيكان نفسه ؛ فإنه ما ارتفعت من بينهم صيحة : « آخر يهودى وأول عبرى » مع أهداف الصهيونية حتى أعادت الصورة إلى ما كانت عليه من حقيقة .

إن البحث يجعلنا أمام أستاذ عالم متخصص ، لقلمه قِيَمٌ علمية رفيعة ، وهذا ما دعانا إلى العَتْب عليه فى أشياء آثرت السكوت عنها إلا فيما جاء بكتابه ص(٨٦) فصل :

« صورة اليهودى على النحو الذى وردت به فى القرآن الكريم » حيث قال :

« وقد وقف الإسلام من اليهود ، أو من بنى إسرائيل – منذ البداية – موقفين متناقضين ، أو هكذا يبدوان ، نراهما معا فى كتابه الكريم » .

دهشت ، كيف لهذا القلم الذى جرى فى محيط الدراسات العبرية شوطا عالميا نقب خلاله عما كتب عن اليهود ثم عاد بحصيلته الدسمة من المعارف يقول هذا عن القرآن ..

أليس كان القرآن الكريم يتطلب منه وقتا يستجلى فيه تفاصيل الكتاب العزيز فيما أُنْزِلَ على رسول الله محمد ﷺ عن اليهود ، عن بنى إسرائيل : أصولا ، وفروعا ، ثم ذراريَّ : كان منهم من آمن وظل مستقيم الدين مستمسكا بشريعته ، ومنهم من تجنبها ، بل منهم فريق الصدوقيين الذى أنكر اليوم الآخر ، وألقى أمره دَبْرَ أُذنيه .. ! ؟[٢] .

وانتظرت أن يُلحق المؤلف الفاضل طبعة أخرى لكتابه تصحح هذه العبارة .. فلم يحدث . وظلت دراسته تحمل هذه الكلمة . فكان – واجبا – بيان موقف القرآن الكريم من هؤلاء الناس .

أئذا تحدث القرآن الكريم عن أصول بنى إسرائيل ، وهى أصول نبوية كريمة فمدحها ، كما مدح من استمسك منهم بدينه ، وعكف عليه ؛ فقال : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف – ١٥٩) .

ثم قسَّمَهُمْ – فى وضوح – إلى فريقين ، فقال : ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ (الصف – ١٤) .

ثم مدح مُؤْمنيهم التابعين خطَّ الإيمان معتصمين به مُسْلِمِينَ ، فقال :

﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ سورة آل عمران

ثم عرج فذم عصاتهم الفجرة فقال : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ

(٢) سلسلة الهلال – عباس محمود العقاد – حياة المسيح ص ٤٣ العدد ٢٠٢ .

﴿ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ سورة المائدة

أئذا سلك القرآن الكريم هذا السبيل الموضّح للواقع يكون متناقضا .. ؟

حاش لله .

هذا ـ أستاذنا الفاضل ـ موقف القرآن الكريم من بنى إسرائيل .. وهو موقف سبقه ميثاق مَنْ عَمِلَ به استحق المدح ، ومن خرج عليه استحق السخط ، وهو ـ أى الميثاق ـ فى الكتاب العزيز واضح حيث يقول المولى ـ عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ سورة البقرة

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾ سورة المائدة

ميثاق أقروه ولم يمارسوا العمل به .

أستاذنا الفاضل :

إنما التناقض أن أقول عن إنسان فى لحظة واحدة : هو قائم قاعد ، أو يقول القرآن فى صالحى بنى إسرائيل : مفسدون ، أو فى مفسديهم : صالحون .

وإنى ـ والله ـ والنقد والأدب تخصصى : أَضِنُّ بموسوعتك أن تحمل هذه العبارة فتنزل بها عن مكانتها . لاسيما ، والعَتْب عليك ـ أستاذنا ـ قائم ؛ فإن تخصصك الرفيع جعلك على علم بكتاب اليهود المتداول « العهد القديم » وأنت ـ أستاذنا ـ أعلم : كم من نص فيه ذم بنى إسرائيل ، غلاظ الرقبة بكفرهم ، بل وباستقبالهم فى الهيكل مشرق الشمس وصلاتهم إليه تاركين قبلتهم ، كما أن ـ فى العهد ـ مدحا لصالحيهم .. !

وعتبى ـ أيضا ـ أستاذنا ـ على مرورك على ما كُتِبَ عن أم المؤمنين صفية ـ رضى الله عنها ـ بالسكوت(٣) ، وهذا تاريخها فى قومها ، ثم فى حياة رسول الله ﷺ .

أما كانت اليهودية ، ولها قوامها بين العرب المعتنقين لها ، تستحق نظرة .. وبعد : فإن لقلمك عليك حقا ـ أستاذنا الكريم .

د. على أحمد الخطيب

(٣) ص ٣٥٨ .

مضامين كلمة الرئيس فى الاحتفال بليلة القدر

إعداد د/ محمود الفشنى

● فى الاحتفال «بليلة القدر» الذى أقيم بجامعة الأزهر الشريف فى رحاب هذه الذكرى الخالدة التى انبثقت من فجر الإسلام لكى تبدد ظلام الجاهلية . فى هذا العام حضر المسلمون من كل فج ؛ ليشاهدوا نور القرآن الكريم ، ونفحات هذه الذكرى العطرة على أرض مصر والتفوا ينصتون لحديث عذب فى لحظة صفاء بكلمات تلاها القائد «الرئيس مبارك» يرثى فيها أحوال المسلمين ويحثهم على التقارب والتآلف والود بينهم .

● مراجعة أحوال المسلمين فى الحاضر الذى يعيشون فيه ، والمستقبل الذى يتطلعون إليه :

فى البداية تحدث سيادته عن مضمون أحوال المسلمين قائلا :

«لعل أعظم احتفال بهذه المناسبة هو أن ننتهزها فرصة لمراجعة أحوال أمتنا فى حاضرها الذى تعيشه ومستقبلها الذى تتطلع إليه ، ولرصد صورتنا وصورة العالم من حولنا ، ولنرى واقعنا فى داخلنا ، ونعرف موقعنا من المتغيرات والتحديات التى تحيط بنا .

ثم نسلك الطريق الذى فيه صلاحنا ونجاحنا ، وفيه ضمان عزتنا ونهضتنا ، وخير طريق نسلكه هو الطريق الذى أضاءه القرآن الكريم الذى « لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ... » ؛ لأنه « ... تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ... » .

فالقرآن الكريم لم ينزل لنتغنى بعباراته ونطرب لبلاغاته ؛ وإنما نزل لنهتدى به ونسير على نهجه ونأخذ أنفسنا بتعاليمه وقيمه ، وأن نتدبر أحوالنا فى ضوئه ونتصدى لمشاكلنا ونواجه التحديات المتزايدة فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ العالم » .

● الظواهر السلبية التى تسىء إلى الإسلام فى كل مكان :

ثم أشار إلى مضمون الظواهر قائلا : « إذا تأملنا أحوال عالمنا الإسلامى اليوم لوجدنا أن واجب المصارحة والصدق مع النفس يتطلب منا أن نقرر أن هناك ظواهر سلبية لا سبيل إلى تجاهلها والسكوت عليها فهى تسىء إلى المصالح الأساسية للأمة الإسلامية بل إنها تسىء إلى الإسلام وصورته

فى كل مكان ، وهو برىء من تلك السلبيات التى يتورط فيها بعض من ينتسبون إليه .

إن ما يؤلم كل غيور هو أن هذه الظواهر السلبية برغم فرديتها وبعدها عن صحيح الإسلام تضر أمتنا أبلغ الضرر ، وتضع فى طريقها المعوقات ، وتضاعف أمامها المشكلات فى الوقت الذى تواجه فيه تحديات خطيرة بسبب المتغيرات الدولية الأخيرة . تلك المتغيرات التى جعلت مستقبل الأمة فى الميزان ، ووضعتها فى مفترق طرق وعرضها لاختيار بالغ الصعوبة وتحد غير مسبوق » .

● العالم أصبح عالم الكيانات الكبيرة والتجمعات القوية :

ثم استطرد قائلا : « العالم من حولنا قد أصبح بعد المتغيرات الأخيرة عالم الكيانات الكبيرة والتجمعات القوية ، الذى لا مكان فيه للكيانات الهزيلة ، ولا تستطيع فيه الدول الصغيرة أن تؤسس موقفها على المنافسة بين محورين متنافرين . تعتمد على مساندة أحدهما فى مواجهة الآخر .

عالم اليوم هو عالم الاعتماد على الذات ، عالم التقدم والنظرة المستقبلية الطامحة ، الذى لا موضع فيه للتوقف ، فضلا عن التخلف والارتداد إلى الوراء .

● بعض الظواهر السلبية التى يتورط فيها البعض وتسىء إلينا كمسلمين موحدين :

وقد حرص على إبراز أهم المضامين لعرضه لبعض الظواهر السلبية فى حياتنا مؤكدا ما قاله مرارا من قبل « بأنه يعرض كل هذا من منطلق الشعور بالمسئولية أمام الله ثم أمام الشعوب وفى مواجهة التاريخ .

وتلك الظواهر هى :

أولا : إهدار القوة الذاتية :
ثانيا : إغفال الروابط الأخوية :
ثالثا : إهمال الحقوق الإنسانية :
رابعا : تشويه صورة الإسلام :

● أولا : إهدار القوة الذاتية :

« ظاهرة تتضح عند كثير فى عدم اهتمامهم بالتسلح بالعلم النافع والاستنارة بالفكر الصحيح والوصول إلى جوهر الدين الحق .

كثير من أبناء الأمة لا يزالون على أميتهم وبعض من تعلّموا خلطوا فكرهم بما ضللهم فاندفعوا إلى التشبث بأفكار لا تتفق مع جوهر الإيمان والدين الصحيح ولا تمت بصلة إلى روح الإسلام الحق .

● النتائج المترتبة على إهدار القوة الذاتية :

« وقد أبرز هذه النتائج فى تعدد الفصائل الفكرية المتنازعة .. وتباين الجماعات الإسلامية المتصارعة واتجاه هؤلاء وهؤلاء إلى التصادم فيما بينهم أحيانا ، وفيما بينهم وبين مجتمعهم أحيانا أخرى كانت المحصلة من كل هذا ضعف الجميع وإهدار القوة الذاتية لكل المتناحرين ، حيث فرق النزاع الشمل وشتت الجمع ، وكثيرا ما أسال

الدماء وهدم البناء ؛ وغرس العداوة والبغضاء فى قلوب الأشقاء » .

● **إهدار القوة الذاتية يتنافى مع ما دعا إليه ديننا الحنيف من الأخذ بكل أسباب القوة معنوية كانت أو مادية :**

دعا الإسلام إلى القوة معنويا بالعلم النافع وبالفكر الصحيح .

أما القوة فى الجانب المادى الذى أساسه الترابط والتجمع . فكثير من النصوص تدعو إليه وتحث عليه فقول المولى – عز وجل – : « وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ » وقوله – تعالى – : « وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ » .

من هذه الآيات نرى أن إهدار القوة الذاتية فى جانبها المعنوى بالجهل المظلم أو بالفكر المنحرف هو من الظواهر السلبية المنافية لتعاليم القرآن الكريم والمتعارضة مع رسالة الإسلام كما نراها من جانبها المادى بالتفرق والتمزق والنزاع والصراع » .

● **ثانيا : إغفال الروابط الأخوية :**

« ظاهرة تتجاوز ما يحدث بين أبناء البلد الواحد من منازعات وصراعات إلى العدوان من بلد إسلامى على بلد إسلامى آخر ، يماثله فى الدين ، ويجاوره فى الارض ، ويقاسمه فى الماضى ، ويشاركه فى الحاضر والمستقبل .

ويأتى هذا العدوان بدافع الطمع فى التوسع أو الرغبة فى السيطرة والتسلط ، أو بسبب الرغبة فى فرض مذهب مرفوض أو تصدير فكر مشبوه ، أو من أجل تصفية حسابات قديمة عفا عليها الزمن أو إيقاظ نزعة عرقية لفظتها ذاكرة التاريخ .

إن ما حدث من هذا العدوان فى السنوات الأخيرة وفى أكثر من موضع على خريطة أمتنا بسبب إغفال الروابط الأخوية قد جلب على الأمة خسائر مادية ومعنوية وبشرية لا تعوض إلا بعد عشرات السنين ، وقد لا تعوض على الإطلاق . فالإسلام لم يقف عند الدعوة إلى عدم العدوان وإلى كف الأذى عن الجار ، بل دعا إلى الترابط والتعاون والتكافل والبر بين الأخوة المسلمين أجمعين » .

● **ثالثا : إهمال الحقوق الإنسانية :**

قال السيد الرئيس : « توهم البعض أن موقفنا من أصحاب الديانات الأخرى هو موقف عدائى يتطلب الكراهية والمواجهة والصدام ، وليس موقفا إنسانيا يقتضى التسامح والتعاون والسلام . من هنا ركزت بعض الجماعات نشاطها فى معاداتها الآخرين لمجرد أنهم مخالفون فى الدين ، وتجاوز البعض الآخر هذا إلى العدوان على هؤلاء المخالفين معتقدا أنه يجاهد فى سبيل الله وأنه بعدوانه يوسع رقعة الاسلام ويكسب أرضا جديدة للمسلمين ، ولم يقتصر هذا على التصرفات المحلية إنما تعدى خطر هذا الفكر إلى المواجهة مع بعض البلاد الأجنبية من منطلق مفهوم خاطىء للدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

كانت النتيجة أن ساعد هذا الفكر المنحرف على خلق جبهات مضادة فى تلك البلاد راحت تنظر للإسلام من خلال التصرفات الفردية غير المسئولة ، على أنه الخطر الجديد المهدد للآخرين وأنه المذهب المصادر للحرية الذى حل فى ذلك محل المذاهب المنهارة .

لقد جهلوا أن ديننا الحنيف قد أكد حرية العقيدة ضمن ما أكده من المبادىء الإسلامية

الأساسية وأنه قرر لغير المسلمين حق الحياة الكريمة تماما كإخوانهم المسلمين بل أقر الحق لغير المسلمين فى أن يعتنقوا فى بلادهم ما يشاءون ، وليس لأحد أن يفرض عليهم العقيدة بالقوة ، أو يغرس فى قلوبهم الإيمان بحد السيف فقد تناسوا قول الله — تعالى — « لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ » وقوله : « فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ » وقوله : « **ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا** » .

● **الدين الحنيف يدعوا إلى إقامة العلاقات بين المسلمين وغيرهم على أسس إنسانية تحقق التعاون :**

« ليس من مقاصد الإسلام صراع بين الأديان . وليس من قيمه أن يعادى المسلمون غير المسلمين مادام هؤلاء مسالمين غير معتدين ، والنصوص واضحة فى ذلك بقوله — تعالى — : « وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ »

وقوله — تعالى —

« لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ » .

إن العداء يجر إلى القطيعة ، والقطيعة تؤدى إلى التصادم والتصادم معوق للمسيرة بل مخرب للحياة مناف لحكمة المولى من استخلاف الإنسان فى الأرض ليعمرها بالنماء والاستقرار والازدهار » .

● **رابعا : تشويه الصورة الإسلامية :**

وفى نهاية حديثه أوضح آثار السلبيات وبين ما حدث للمسلمين فى العالم ، فأشار قائلا : « هذه السلبية تمثل النتيجة الحتمية لكل السلبيات فنظرا لإهدار القوة الذاتية ، وإغفال الروابط الأخوية وإهمال الحقوق الإنسانية ، اهتزت صورة الإسلام والمسلمين فى عيون الكثير .

أصبح الإسلام مرتبطا فى أذهان هؤلاء القوم بالفكر الهادم والخطر القادم ، وإذا ذكر المسلمون تداعى إلى أذهانهم التخلف والجمود والنزاع والصراع والتطرف والإرهاب .

وعلى الرغم من أنها سلبيات فردية منافية للإسلام والمسلمين فى حقيقتها ، فإنها نجحت بكل أسف فى رسم تلك الصورة الظالمة للإسلام والمسلمين فى أذهان كثير من أبناء الحضارات غير الإسلامية بالإضافة إلى أن هذه الصورة قد أسهمت فى فقدان القضايا الإسلامية ما تستحقه من مساندة ومؤازرة ، بل شاركت فى الحرب التى تشن من بعض قوى البغى على المسلمين .

وهكذا كانت سلبيات بعضنا عونا لأعدائنا علينا . وأسلحة ضمن أسلحتهم ضدنا وتعددت أخيرا مظاهر العدوان على المسلمين .. حيث حصدت الأرواح وانتهكت الأعراض وهدمت المدن ، وأريقت دماء الأبرياء ثم أسلم الملايين من الأشقاء للضياع والشقاء ، وبهذا تكون السلبيات قد أضعفت أمتنا فى الداخل ، وأوهنت موقفها فى الخارج »..

علينا أن نتصدى للسلبيات وأن نعقد العزم الصادق على أن نبدلها بالعمل النافع لأمتنا ومستقبل أجيالنا :

« علينا أن نعمل بكل ما نستطيع من قوة وعزم على أن تحافظ كل دولة إسلامية على قواها الذاتية ،

وأن يكون ذلك فى الجانب المعنـوى والجانب المادى على السواء .

الجانب المعنوى بالعلم النافع والفكر الصحيح والخلق الكريم .

والجانب المادى بنبذ الصراع وتنحية النزاع والأخذ بأسباب الوئام والترابط والاعتصام بحبل الله .

علينا أن نحافظ على الروابط الأخوية بين البلاد الإسلامية من منطلق ما يجمع بيننا من دين وعقيدة وما يقـرب بين أوطاننـا من جوار فى الأرض والحدود .

إذا ما نشب خلاف أو نزاع بين الاخوة الأشقاء فالاعتماد لابد أن يكون على التفاهم الأخوى والحضارى والتحاور الهادى الموصل إلى إحقاق الحق وإعلاء راية العدل .

وفى هذا الجانب حثنا الرئيس على المحافظة على الحقوق الإنسانية للآخرين ما داموا غير معتدين فلا نفرض علاقة عداء بيننا وبينهم لمجرد مخالفتهم فى دينهم ، لا شك أن بيننا وبين الأمم الأخرى مصالح مشتركة ، ومنافع متبادلة ، ومن الخير لنا ولهم أن تقوم علاقاتنا بهم على التعاون والتواصل ومراعاة المصالح .

علينا أن نعمل على تصحيح صورتنا فى عيون غيرنا :

ويتحقق ذلك تلقائيا إذا ما تجنبناتلك المظاهر السلبية التى يتورط فيها بعض أبناء أمتنا .

أمة قوية بالعلم ، وناضجة بالفكر ومتآزرة بالوحدة .

أمة متقدمة بالعمل النافـع والإنتـاج الجيـد والعطاء الوفير .

أمة تسامح ومحبة ، وتعايش وسلام ؛ تقـوم العلاقات بين أفرادها على الروابط الأسريـة .. وتتأسس الصلات بين أقاليمها على الأخوة الحقيقية وتنطلق نظرة أبنائها نحو الآخرين من مبادىء الإسلام الداعية إلى رعاية الحقوق الإنسانية لغيرهم من الأمم والشعوب ؛ فامتنا قد أرسى دينها قواعد الحق والعدل والحرية والديمقراطية .

هذا واجبنا جميعا فى هذه المرحلة من تاريخنا . أن نعمل على تحقيق هذه الغاية الكريمة ، وأن يقوم كل بدوره فى موقعة وحسب قدرته . فالمسئولية عامة والقضية مشتركة ، وأمتنا جميعا فى سفينة واحدة ، وان نسعى جميعا وبكل الجهد لكى تحترم الدول الأخرى مشاعر أمتنا ، وأن تتجنب سياسة التعصب ضدنا ، وممارسة العـدوان على بعض إخواننا وتوجيه الاتهام الظـالم لمجموعنـا بسبب تصرفات رعناء لبعض من ينتسبون إلينا » .

نبدأ بأنفسنا دون حساسية أو تردد فى نقد الذات :

ثم قال : « لكننا فى الوقت نفسه لا نجامل غيرنا على حساب حقوقنا وسمعة أمتنا وديننا فنحن إذ نطالب أنفسنـا بالإصلاح ومراعـاة الحقوق الإنسانية نطالب الآخرين بالعدل والحق والحفاظ على الحقوق الاسلامية » .

هذه هى مضامين كلمة الرئيس مبارك فى أعظم احتفال تشهده الأمة الإسلامية مُجتمعين منصتين لكل ما هو رسالة أخوية ينبض بها قلب كل مسلم غيور على دينه محبٌ لأمته لتسترد عافيتها وتستعيد عزتها ونهضتها نهضة خير أمة أخرجت للناس .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر في الاحتفال بليلة القدر

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله
السيد الرئيس محمد حسنى مبارك « رئيس الجمهورية »
الحفل الكريم :
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد :

فإذا كنا نحتفى الليلة بذكرى نزول القرآن الكريم فى ليلة القدر فإن السيد الرئيس معنا فى هذا الحفل يحتفى « بأهل القرآن » ، ولعل إضافة « ليلة أهل القرآن » أمر حتمى مع هذا المهرجان الدولى الإسلامى العالمى .

نشكر السيد الرئيس على هذه الحفاوة وعلى هذا الإقبال على الاحتفاء بأهل القرآن وتكريمهم ، فقد كرم الله القرآن كتابه ، فذكره فى آيات عديدة ، وأفرد له سورة معدودة الآيات كانت خاصة بإعلاء ذكره ، وذكر ليلته ، وبالرد على من جحد القرآن وأنكر نزوله من عند الله ، أكدت هذه السورة أن القرآن كتاب الله ، وأنه كلامه سبحانه أنزله على رسوله ﷺ فى ليلة مباركة ، ليلة تساوى ألف شهر ، تلك ليلة القدر ، قال عنها : « وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ » ، ليرفع ذكرها وليعلى أمرها إعلاء لمحتواها وهو نزول القرآن الكريم .

إذا كان هذا شأن هذه الليلة ، وشأن ما أنزل فيها ، فإن القرآن أمانة بين يدى هذه الأمة عليها دائما أن تحفظه وتحافظ عليه .

وإن مصر فى المرتبة الأولى ذات مسئولية فى هذا المقام ـــ وبحمد الله ـــ ونحن على ذلك من الشاهدين بهذا الجمع ـــ تقوم بهذا الواجب برجالها وبعلمائها وبأبنائها ، وبما انضموا إليها من أبناء الأمة الإسلامية .

إن القرآن يبشر المؤمنين دائما بأن تكون لهم الحياة الفاضلة فى الدين والدنيا إذا هم التزموا بهذا الكتاب ، وأقاموا أحكامه وحفظوه وصانوه واحتفظوا له بما يليق به من الوقار والاحترام الذى حفظه الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ له .

سيادة الرئيس كرمك الله كما كرمت أهل القرآن .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الحج

مؤتمر عام للمسلمين

فضيلة الإمام الأكبر
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال :

خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : « يا أيها الناس ـ قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا » . فقال رسول الله ﷺ : لو قلت : نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ثم قال : ذرونى ماتركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه » .
رواه البخارى ومسلم .

الحج أحد فرائض الإسلام التى بينها رسول الله ﷺ فى قوله : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » .

الحج فى واقعه هجرة إلى الله ، وتلبية لدعوته ، وهو مدة من الزمن يتجرد فيها المرء من زينة الحياة وزخرفها ، سعيدا بالطواف بالبيت العتيق ، وبرؤية مهبط الوحى ومسرى رسول الله ﷺ ومكان تنزيل القرآن .

الحج قصد إلى بيت الله الذى عمره آدم ـ عليه السلام ـ ثم عمره من بعده الأنبياء حتى انتهى إلى أبى الأنبياء : إبراهيم الخليل عليه السلام ، فقد أمره الله سبحانه برفع قواعد البيت وتشييد بنائه فكان إبراهيم الخليل إمام أهل البيت وأتباعه ، وقد ورثه الله عز وجل من بعده لنبيه محمد ـ ﷺ وعلى آله وصحبه ـ ومازال هذا البيت معظما مهابا يزداد حجاجه وعماره تشريفا من الله وتكريما وتعظيما ومهابة ورفعة .

ولقد سجل القرآن الكريم فضل هذا البيت ومكانته عند الله ، فهذا قوله ـ سبحانه ـ فى سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

والحج مؤتمر عام للمسلمين يجمعهم من كافة نواحى الأرض ، يلتقون جميعا على صعيد واحد ، فى يوم واحد على عرفات ، ذاكرين الله شاكرين فضله أن هداهم للإيمان بالله ورسوله وأعانهم على الاستجابة لندائه ، فلبوا سراعا ، تاركين الأهل والولد والمال هاجرين الدنيا وزخرفها ، متجردين من كل زينة شعثا ، غبرا ، متشابهين ، رافعين أكف الضراعة لربهم الذى خلق فسوى ، خاضعة جباههم ، خاشعة قلوبهم ومنادين ربهم « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » ، بهذا النداء الذى يستسلم به المرء لربه ، ويهاجر إليه ، لايبتغى به سوى رضائه ، بهذا الهتاف الجماعى تتوحد المشاعر وتذهب الهواجس ، من قلوب هذا الجمع الحاشد الذى لم يأت طلبا للمال وإنما ابتغاء وجه الله وطاعة له واستجابة لندائه .

إنهم يتعارفون ويتجاورون ويتداولون فى أمورهم فتتقارب العادات وتتبادل المنافع والثقافات ، وتذوب الفوارق ومن ثم فهم أمة واحدة يتجهون إلى قبلة واحدة ، ويحجون إلى بيت واحد ويصومون شهرا واحدا ، إمامهم واحد هو القرآن ، ونبيهم واحد هو محمد ـ عليه الصلاة والسلام .

والحج من بواعث الإصلاح الاجتماعى وسبل التهذيب والتقويم ، ففيه صقل للنفوس ، وهداية للقلوب ، وتهذيب للمشاعر ، مما يضفى على جماعة المسلمين استقامة السلوك ورفق التعامل وبذلك تبتهج بهم الحياة وتسعد ، أليسوا قد اجتمعوا فى رحاب الله وتلبية لندائه ، فصفت القلوب ، وزكت الأرواح ، وساروا فى ركب الإخلاص والمخلصين ، ومشوا فى مواكب العاملين الذين يدعون ربهم خوفا وطمعا ، يتعبون أجسادهم أملا فى رضوان الله ورحمته وطمعا في جناته ، يتوبون إلى الله مخلصين ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ . سورة البينة

والحج من أفضل الأعمال فقد سئل رسول الله ﷺ عن أى الأعمال أفضل ؟ قال : ﴿ **إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال : ثم حج مبرور** ﴾ والحج المبرور هذا هو : الذى لا يخالطه إثم .

وقد روى مرفوعا ــ بسند حسن ــ أن بِرَّه : إطعام الطعام ولين الكلام ، وهو ماحق للذنوب ، فقد قال رسول الله ﷺ فيمارواه أبو هريرة :

﴿ **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه** ﴾

والحجاج وفد الله وضيفه ، فقد روى أبو هريرة قول رسول ﷺ : «الحجاج والعمار وفد الله إذا دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم » .

وثوابه الجنة فقد روى ابن جريج بإسناد حسن عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ **هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة وإن رده رده بأجر وغنيمة** ﴾ .

فتوى لفضيلة الإمام الأكبر

فيما يحل أكله من الذبائح

الطرق الشرعية للذبح

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعـــد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر ـ رسالة من السيد / يعقوب إسماعيل القاسمى ـ رئيس مجلس التحقيقات الشرعية « ببريطانيا » ـ هذا نصها :

إن فى بلاد الغرب ذبح الحيوان له طرق مختلفة حسب التفاصيل الآتية ؛ وإنى أرجو من فضيلتكم أن تبينوا لى أى طرق يجوز أكل ذبيحتها للمسلم :

١ ـ طريقة ذبـح « الخروف » : الخروف يضرب بصدمة كهربائية خفيفة تجعله مغمى عليه ، ثم يذبحه مسلم مع تسمية الله ـ تعالى ـ ، وفى وقت الذبح يكون الحيوان حياً ، وعلامة الحياة هى : حركة اليدين والرجلين ، وتنفسه وخروج الدم .

٢ ـ طريقة ذبح « البقرة » : البقرة تضرب برصاص خاص يجعلها مغمى عليها ثم يذبحها مسلم مع تسمية الله ،*وتكون البقرة حية وقت الذبح وعلامتها : حركة اليدين ، والرجلين ، والعينين ، وخروج الدم .

٣ ـ طريقة ذبح « الدجاجة » : الدجاجة تعلق برجلها ثم إنها تسير فى ماء مكهرب يجعلها مغمى عليها ، ومن ثم يذبحها مسلم مع تسمية الله ـ تعالى ـ وتكون الدجاجة حية عند الذبح .

٤ ـ (أ) « الدجاجة » تمر بماء كهربـائى معلقة برجلها ثم إنها تذبح بسكين ميكانيكى الذى يعمله مسلم بضغط زراره مع تسمية الله ـ تعالى ـ ، وأنه لا يسم الله إلا مرة واحدة فقط حين يبدىء السكين ثم يستمر السكين يذبح الدجاج والسكين

تارة يقطع أربعة عروق أو ثلاثة أو اثنين وتارة واحداً ، فهل هذه الذبيحة حلال أو حرام للمسلم ؟

(ب) إذا كان رجل مسلم قائماً عند السكين الميكانيكي حين تمر « الدجاجة » أمام السكين هو يقول : « بسم الله تعالى » فهل يكفى هذه التسمية لحل الذبيحة أم لا مع العلم بأن الرجل لا يُعمل السكين ؟

٥ ـ هل يجوز أن يقاس الذبح الميكانيكى بالذبح الاضطرارى ؟

٦ ـ هل التسمية شرط للذبح أو شرط للمذبوح ؟ لأنه لو كانت شرطاً للمذبوح فإنه بتعدده تتعدد التسمية وإلا فلا تتعدد التسمية .

٧ ـ إن مواطنى أمريكا وأوربا الذين يسمون أنفسهم « يهود » « ونصارى » وما ذلك إلا رسمياً منهم هل يجوز أكل ذبيحتهم للمسلم على الطرق المذكورة أعلاه أم لا ؟

٨ ـ المسلم يترك التسمية عمداً عند الذبح ، على حرمته إجماع السلف أو فيه اختلاف ؟

وأخيراً أتمنى لكم أطيب التمنيات وأزكى التحيات مع الرجاء بسرعة الإجابة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

توقيع يعقوب إسماعيل القاسمى

(رئيس مجلس التحقيقات الشرعية)

والجواب

تمهيد :

أولا : معنى الذبح شرعاً :

الذبح شرعاً : « إسالة الدم مما يؤكل من حيوان أو طير من محله بمحدد غير السن والظفر بيد مسلم أو كتابى » .

ثانيا : اشترط الفقهاء فى حل الذبيحة شروطاً منها :

(أ) ما يتعلق بآلة الذبح وهى : أن تكون محددة تقطع أو تخزق بحدها لا بثقلها وألا تكون سناً ولا ظفراً .

فإذا اجتمع هذان الشرطان فى شىء حل الذبح به ـ سواء أكان حديداً أم حجراً أم خشباً أم غير ذلك ـ كما جاء فى الحديث الشريف : عن رافع بن خديج قال : قلت يا رسول الله إنا نلقى العدو غداً وليس معنا مدى ؟ فقال النبى ﷺ : « ما أنهر الدم ، وذُكر اسم الله عليه فكلوا ما لم يكن سناً أو ظفراً ، وسأحدثكم عن ذلك : أما السن : فعظم وأما الظفر : فمدى الحبشة »[(١)].

وإن كان يسن الذبح بسكين حاد لأنه من باب إحسان الذبح المأمور به شرعاً كما جاء فى الحديث النبوى الشريف فى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحَ وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته »[(٢)].

---

(١) رواه الجماعة ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ ص١٤١ .

(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجة ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ ص١٤١ ط دار الحديث .

(ب) وما يتعلق بالذابح نفسه وهو : أن يكون قادراً على الذبح ، عاقلاً ، مميزاً ، وأن يكون مسلماً أو من أهل الكتب السماوية (اليهود والنصارى) لقوله تعالى فى « سورة المائدة » :

﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾(٣) أى ذبائحهم .

أما تسمية الذابح (باسم الله) على الذبيحة حين ذبحها فقد اختلف فيه الفقهاء فى اشتراطها :

فعن الإمام أحمد أنها غير واجبة فى عمد ولا سهو ، وبه قال الإمام الشافعى ، والمشهور من مذهب الإمام أحمد وغيره من أئمة المذاهب : أنها شرط مع التذكر وتسقط بالسهو والنسيان .

وأما ذكر اسم غير الله تعالى على الحيوان حين ذبحه فهو محرم شرعاً عند الجمهور إذا علم ذلك أو شوهد ـ سواء أكان الذابح مسلماً أم كتابياً ـ لقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾(٤)

ولقوله ـ سبحانه ـ :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾(٥)

ونقل عن بعض الفقهاء : عطاء ، والزهرى ، وربيعة ، والشعبى ، ومكحول ، حل أكله إذا كان الذابح كتابياً لأنه ذبح على الملة وكانت هذه ملتهم قبل نزول القرآن وأحلها فى كتابه .

وقد روى هذا عن صحابيين جليلين : أبى الدرداء ، وعبادة بن الصامت ـ رضى الله عنهم ـ أجمعين .

لكن العمل بقول ـ الجمهور ـ أولى وأحق لموافقته النص القرآنى المحرم لما أهل لغير الله به .

ثالثا : طريقة الذبح الشرعية :

(أ) فيما قُدر عليه : تكون بين الحلق والصدر مع ضرورة قطع الحلقوم (مجرى النفس) والمرىء (مجرى الطعام والشراب) وأحد الودجين وهما (عرقان فى صفحتى العنق) يندفع منهما أو من أحدهما الدم بقطعهما أو قطع أحدهما وذلك عند « الحنفية » .

وقال المالكية : لابد من قطع الحلقوم ، والودجين ولا يشترط قطع المرىء .

وقال الشافعية والحنابلة : لابد من قطع الحلقوم والمرىء ولا يشترط قطع الودجين بل يسن ذلك .

وما قال به الحنفية والمالكية أولى وأحق ـ إذا اقتصر الذابح على قطع ما لابد منه فى الذبح فقط ـ لأن المراد من الذبح هو إنهار الدم أى تدفقه وخروجه انفصالاً عن اللحم ليطيب أكله لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا** »(٦).

(ب) وفى غير المقدور على ذبحه بين الحلق والصدر كبعير نفر ، أو صال عليه ، أو وقع فى بئر فذكاته عقره بجرح مزهق لروحه فى أى موضع من بدنه .

---

(٣) من الآية رقم ٥ .

(٤) من الآية رقم ١٧٣ من سورة البقرة .

(٥) من الآية رقم ٣ من سورة المائدة .

(٦) سبق تخريجه .

لما كان ذلك كان الجواب على ما ورد بورقة السائل كما يلى :

أولا : عن الأسئلة الثلاثة الأولى :

بأن ذبح المسلم (الخروف) مع تسميته الله - تعالى - بعد أن يضرب بصدمة كهربائية تجعله مغمى عليه وكذا (البقرة) بعد أن تضرب برصاص خاص يجعلها مغمى عليها و (الدجاجة) بعد سيرها وهى معلقة من رجلها بماء مكهرب يعتبر ذبحاً شرعياً يحل معه أكل المذبوح شرعاً - باتفاق الفقهاء - إذا كان الذبح بآلة غير « السن » « والظفر » تقطع بحدها ما يجب قطعه فى محل الذبح - السابق بيانه - وكان ضرب (الخروف) بالصدمة الكهربائية وضرب (البقرة) بالرصاص الخاص ، وسير (الدجاجة) فى الماء المكهرب ، لا يؤثر على حياة كل منها بمعنى أنه تبقى فى كل منها - بعدما فعل به ذلك - حياة مستقرة بحيث لو ترك من غير ذبح عاد إلى حياته الطبيعية ولو ذبح تفجر منه الدم ، أو تحرك المذبوح بشدة .

وتكفى أية حياة - وإن قلت - فى مذهب الإمام « أبى حنيفة » .

أما إذا كان ضرب (الخروف) بالصدمة الكهربائية ، وضرب (البقرة) بالرصاص الخاص وسير (الدجاجة) فى الماء المكهرب يؤثر فى حياة كل منها بحيث لو ترك كل منها من غير ذبح فقد حياته ، ولو ذبح لم يتفجر منه الدم ، أو لم يتحرك بشدة فإن الذبح - حينئذ - لا يفيد حله ولا جواز أكله شرعاً لأنه يكون وارداً - وقتئذ - على ميتة موقوذة أو منخنقة إذ يحتمل موت كل منها « بالصدمة الكهربائية » « وبالرصاص الخاص » « وبالسير فى الماء المكهرب » أو « بالتخدير » قبل ذبحه .

ونصوص فقه الشريعة الإسلامية تقضى بأنه إذا اجتمع فى الذبيحة سبب محرم ، وآخر مبيح غلب المحرم على المبيح احتياطاً فتكون محرمة كما إذا رمى شخص طائراً بسهم فجرحه فسقط فى الماء فانتشله الصائد ميتاً فإنه لا يحل أكله لاحتمال موته بالغرق ، لا بجرح السهم ، يدل لهذا ما روى البخارى ومسلم عن عدى بن حاتم قال : سألت رسول الله ﷺ قال : « **إذا رميت بسهمك فاذكر اسم الله فإن وجدته قد قتل فكل إلا أن تجده قد وقع فى ماء فإنك لا تدرى الماء قتله أو سهمك** » .

ثانيا : وعن السؤال الرابع بقسميه أ ، ب :

إن ذبح (الدجاجة) أو غيرها بعد مرورها بماء مكهرب - معلقاً من رجلها - بسكين ميكانيكية يديرها مسلم بضغط زرارها مع تسمية الله - تعالى - يعتبر ذبحاً شرعياً يحل معه أكلها إذا كانت السكين تقطع بحدها ما يجب قطعه فى موضع الذبح - المبين سابقاً - وكان مدير السكين الميكانيكية - بضغط زرارها - ممن توافرت فيه شروط الذابح السابق بيانه باعتبار تلك السكين الميكانيكية كالسكين التى فى يد الذابح ، وحل أكل ذبيحتها التى ذكر اسم الله عليها - مديرها بنفسه حين ضغطه على زرارها .

أما إذا ذكر - اسم الله تعالى - على (الدجاجة) أو غيرها - حين الذبح - غير الذابح بسكين فى يده أو غير مدير السكين الميكانيكية فلا تحل - حينئذ - الذبيحة عند من يشترط من الفقهاء ذكر اسم الله عليها حين

ذبحها ـ إذ التسمية ـ عندهم ـ شرط فى الذابح نفسه لحل ذبيحته ، ومثله فى ذلك مدير السكين الميكانيكية حين ضغطه على زرارها كما هى شرط فى الصائد حين إرساله الجارحة أو السهم للصيد فلا تكفى تسمية غيرهم ممن ليس له دخل فى الذبح أو الصيد .

والأصل فى هذا قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾(٧)

وقول الرسول ﷺ لأبى ثعلبة الخشنى : « **ما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل ..... »**(٨)

وقوله لعدى بن حاتم : « **إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله تعالى فكل مما أمسك عليك فإن أكل منه فلا تأكل »**(٩)

فالمأمورون فى الآية السابقة بذكر الله على المعلم من الجوارح حين إرساله للصيد « **واذكروا اسم الله عليه** » هم أنفسهم المرسلون لهذه الجوارح المعلمة لغرض الصيد دون غيرهم .

والمخاطب فى الحديث الشريف بذكر اسم الله على القوس حين رميه بقصد الصيد « **وذكرت اسم الله عليه فكل** » هو نفسه الصائد بقوسه دون غيره

وكذا المخاطب فى الحديث الثانى ـ بذكر اسم الله تعالى ـ على الكلب المعلم حين إرساله للصيد « **وذكرت اسم الله تعالى فكل مما أمسك عليك** » هو نفس مرسل الكلب ، فدل ذلك على أن التسمية ـ عند من يشترطها من الفقهاء ـ شرط فى الصائد نفسه حين إرساله الجارحة المعلمة أو السلاح الجارح « كالقوس » « والسهم » ونحوهما لغرض الصيد حتى يحل أكل المصيد ومثله فى ذلك الذابح بيده ومدير السكين الميكانيكية التى تعتبر كالسكين فى يد الذابح .

ثالثا : وعن السؤال الخامس ونصه :

(**هل يجوز أن يقاس الذبح الميكانيكى بالذبح الاضطرارى ؟**) .

إنه لا يجوز قياس الذبح الميكانيكى على الذبح الاضرارى لأن الذبح الاضطرارى إنما يكون فيما لم يقدر على ذبحه بين الحلق والصدر كحيوان نفر أو صال عليه ، أو وقع فى بئر فذكاته ـ حينئذ ـ عقره بجرح مزهق لروحه فى أى موضع من بدنه ـ كما بينا سابقاً .

أما الحيوان فى الذبح الميكانيكى فهو مقدور على ذكاته بين الحلق والصدر فلابد من ذكاته ـ ليحل أكله شرعاً ـ من قطع الحلقوم والمرىء ، وأحد الودجين كما هو عند « الحنفية » أو قطع الحلقوم والودجين ، ولا يشترط قطع المرىء كما هو عند « المالكية » أو قطع الحلقوم والمرىء ،

---

(٧) الآية رقم ٤ من سورة المائدة .

(٨) من حديث متفق عليه ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ ص١٣٠ ط دار الحديث .

(٩) رواه أصحاب السنن .

ولا يشترط الودجين بل يسن ذلك كما هو عند « الشافعية » « والحنابلة » .

وقد سبق بيان ذلك فى طريقة الذبح الشرعية فيما قدر عليه .

فعلّة جواز الذبح الاضطرارى فى أى مكان من جسد الحيوان وهى عدم القدرة على ذبح الحيوان فيما بين الحلق والصدر التى تسوغ القياس أى إلحاق شىء بشىء فى حكمه لعلّة مشتركة جامعة بينهما ، غير موجودة فى الحيوان الذى يذبح ميكانيكياً إذ هو مقدور على ذكاته بين الحلق والصدر ، وما دامت علّة المقيس عليه (الذبح الاضرارى) غير موجودة فى المقيس (الذبح الميكانيكى) فلا يصح قياسه على الذبح الاضرازى لفقدان العلّة التى تسوغ ذلك .

رابعا : وعن السؤال السادس :

هل التسمية شرط للذبح أو شرط للمذبوح ؟

إن التسمية من الذابح شرط عند بعض الفقهاء حين الذبح لحل ذبيحته شرعاً فتتعدد وتتكرر – عندهم – بتعدد الحيوان أو الطير الذى يراد ذبحه – بآلة فى اليد أو بآلة ميكانيكية – لأنه إذا تعدد الحيوان أو الطير الذى يراد ذبحه وسمى الذابح حين الذبح على واحد فقط صدق على ما لم يسم عليه منها أنه لم يذكر عليه (اسم الله) فيكون داخلًا تحت قوله – تعالى – :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾[10]

وعلى هذا : فيحل شرعاً – عند من يشترط التسمية لحل الذبيحة – أكل ما سمى عليه منها دون ما لم يسم عليه عمداً .

أما عند من لم يشترط التسمية من الفقهاء حين الذبح – فالكل عنده – ما سمى عليه وما لم يسم عليه حلال شرعاً مادام لم يذكر اسم غير الله – تعالى – عليه لأن التسمية – وقت الذبح – سنة عنده وليست شرطاً لحل المذبوح .

وبهذا يعلم جواب الفقرة (أ) من السؤال الرابع ونصها : (وأنه لا يسمى الله إلا مرةواحدة فقط حين يبدىء السكين ، ثم يستمر السكين يذبح الدجاج ..) .

إذ يجوز أن تعتبر التسمية عند الضغط على زرار إدارة السكين دوراناً متصلا دون توقف تسمية على كل الدورة ، وما يحدث فيها من ذبح باعتباره عملًا غير منفصل فكأن الذبح لكل ما مر به السكين قد ذكر اسم الله عليه وعندئذ يصير المذبوح حلالًا إذا قطع السكين العروق الأربعة أو ثلاثة أو اثنين منها – على ما سبق بيانه – أما إذا قطع واحداً فقط فلا يحل .

خامسا : وعن السؤال السابع ونصه :

إن مواطنى « أمريكا » « وأوربا » الذين يسمون أنفسهم يهوداً ونصارى وما ذلك إلا رسمياً منهم فهل يجوز للمسلم أكل ذبيحتهم على الطرق المذكورة أعلاه أم لا ؟

فإنه يجوز للمسلم الأكل من ذبائح أهل الكتاب (اليهود والنصارى) مما أحله الله – سبحانه –

(١٠) من الآية رقم ١٢١ من سورة الأنعام .

من الماشية والطيور ـ بأية طريقة من الطرق السابقة ـ إذا توافرت الشروط التى سبق ذكرها فى ذبائح المسلم بأى طريقة منها لقوله تعالى :

﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾(11)

أى ذبائحهم أو لحومهم لأنها هى التى كانت موضع الشك ، أما باقى أنواع المأكولات فقد كانت حلالا بحكم أن الأصل فى الأشياء الإباحة لقوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾(12)

فإن ذكروا على ذبائحهم حين الذبح بسكين فى اليد أو حين الضغط على زرار السكين الميكانيكية غير اسم الله تعالى ، وعلم ذلك أو شوهد لم تحل ذبائحهم عند جمهور الفقهاء حيث أهل لغير الله به ويدل لهذا قول الله ـ تعالى ـ ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾(13)

وقوله تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾(14).

وروى عن بعض الفقهاء : عطاء ، والزهرى ، وربيعة ، والشعبى ، ومكحول ، حل أكلها إذا كان الذابح كتابياً لأنه ذبح على الملة وكانت هذه ملتهم قبل نزول القرآن وأحلها فى كتابه .

وقد روى هذا عن صحابيين جليلين: أبى الدرداء ، وعبادة بن الصامت ـ رضى الله عنهم ـ أجمعين .

لكن العمل بقول الجمهور أولى وأحق لأنه الموافق للنص القرآنى المحرم لما أهل به لغير الله .

أما من لم يعلم ، ولم ير مخالفة لشرط من شروط الذبح المتفق عليها فإنه يحل له الأكل من ذبائحهم لإطلاق قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾(15)

وللحديث الذى رواه البخارى والنسائى وابن ماجة عن عائشة : « **إن قوماً قالوا : يا رسول الله إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ فقال : سموا عليه أنتم وكلوا ...** »(16).

وجاء فى الخبر المشهور عن طريق شعبة عن هشام بن زيد عن أنس(17) بن مالك : أن يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة أو ذراعاً فأكل منها ، ولم يثبت أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ سأل عن كيفية ذبحها .

وقد أشار إلى ذلك ابن رشد فى كتابه : (بداية المجتهد) وابن حزم فى كتابه : (المحلى) فقالا :

« كل ما غاب عنا مما ذكاه مسلم فاسق أو جاهل أو كتابى فحلال أكله »

وعليه : فمن علم أو شاهد مخالفة لشرط من شروط الذبح المتفق عليها حسبما تقدم حرم عليه أكل شىء منها لأنها حينئذ ميتة .

---

(11) من الآية رقم ٥ من سورة المائدة .

(12) من الآية رقم ٢٩ من سورة البقرة .

(13) من الآية رقم ١٧٣ من سورة البقرة .

(14) من الآية رقم ٣ من سورة المائدة .

(15) من الآية رقم ٥ من سورة المائدة .

(16) نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ ص١٣٩ .

(17) الروض النضير جـ٣ ص١٦٧ وما بعدها .

أما من لم يعلم ولم ير مخالفة لشرط من شروط الذبح المتفق عليها فإنه يحل له الأكل منها لإطلاق قوله – تعالى – :

﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾[18]

ولأن الحرام ما ثبتت حرمته بيقين .

ولأن الدين يسر ولن يشاد أحد إلا غلبه :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[19]

وإذا كان ذلك :

فإنه يجوز للمسلمين فى غير بلاد الإسلام – إذا لم يتيسر لهم مباشرة الذبح لأنفسهم أو زادت تكلفته – أن يأكلوا من ذبائح أهل الكتاب (اليهود والنصارى) من الماشية أو الطيور التى أباحها الإسلام بعد التأكد – قدر الاستطاعة – من توافر شروط الذبح الحلال المتفق عليها ، وهذا إذا لم يتيسر لهم الحصول على لحوم من ذبائح المسلمين .

سادسا : وعن السؤال الثامن :

لم ينقل إجماع من السلف الصالح على حرمة الأكل من الذبيحة التى تركت التسمية عليها عمداً ، وقد سبقت الإشارة إلى الخلاف بين الفقهاء فى لزوم التسمية أو عدم لزومها ، وبالتالى حرمة الذبيحة التى لم يذكر اسم الله عليها عند الذبح أو حلها باعتبار ذلك من السنن لا من الفروض .

وهذا إذا كان الحال كما ورد بورقة السؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم

٦ من شوال سنة ١٤١٥هـ

٧ من مارس سنة ١٩٩٥م

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

---

(١٨) من الآية رقم ٥ من سورة المائدة .

(١٩) من الآية رقم ١٨٥ من سورة البقرة .

تعريف بما جاءت به سورة النور

٣ آدابُ صيانة العرض

للأستاذ الدكتور/ حسن أليك (*)

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وأصلى وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين الذى جاء متمماً لمكارم الأخلاق وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : إن آداب صيانة العرض من الآداب الاجتماعية التى تضمنتها « سورة النور » ، والحقيقة أن « الزنا » يعتبر فى نظر الشريعة الإسلامية جريمة كبيرة ومنكرا من أخبث المنكرات ، ومن مقاصد الشريعة الغراء ، حفظ الضروريات ، وهى حفظ : العقل والنسل والنفس ، والدين والمال .

وقد حرم الإسلام فاحشة الزنا ودواعيها وما يقرِّب إليها ، وذلك حفظا للأعراض ، وصيانة للأنساب من الضياع ، وقد وضع الإسلام آدابا وقائية لصيانة المجتمع الإسلامى من مضارها ، هذا وقد أقمت بحثى فى دراسة هذه القضية « آداب صيانة العرض » حسب الترتيب الذى جاءت به هذه الآداب فى سورة النور ، وذلك على النحو التالى :

١ ـ غض البصر .
٢ ـ عدم إبداء الزينة .
٣ ـ تشريع الحجاب .
٤ ـ الترغيب فى النكاح والدعوة إلى الاستعفاف .

أولا : غض البصر

حرَّم الإسلام الزنا ودواعيه وقاية للمجتمع الإسلامى ، وحفظا لأعراض المسلمين ، وصيانة للذرية من الضياع ، وإبقاء على الأخوة والمودة بين المسلمين . والشريعة الإسلامية عندما تحرم الجريمة ، فإنها تحرم أسبابها ودواعيها ،وكل ما يقرب إليها ، يقول الله تعالى :

(*) الكاتب أستاذ بجامعة مرمرة ـ كلية الإلهيات باستنبول ـ تركيا.
وقد سبق نشر بحثين من دراسته عن سورة النور فى مجلة الأزهر بعددى ، ذى الحجة ١٤١٤هـ ، شوال ١٤١٥هـ .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[1] أى : لا تفعلوا ما يقرب من الزنا . كالنظرة الفاحشة واللمس وما إليها .

يقول الإمام القرطبى فى تفسير هذه الآية : « أبلغ من أن يقول : ولا تزنوا ، أن يقول لا تدنوا من الزنا »[2] فهذه الآية تنهى عن مقدمات الزنى ، وإذا كانت مقدماته محرمة

فهو محرم من باب أولى . والأسباب الداعية إلى الزنا كثيرة ، وقد وضع الإسلام لها من الآداب ما يعد وقاية منها ، ومن أهم هذه الآداب : غض البصر ، حيث قيد الإسلام النظر إلى الأجنبيات دفعا لإثارة الشهوات ومنعا من الوقوع فى الويلات ، لأن النظر خائنة نفسية ، ولأنه رسول الشهوة وبريد الزنا ورائد الفجور .

ويقول الله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[3] .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله : « هذا أمر من الله ــ تعالى ــ لعباده المؤمنين أن يغضوا أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظرون إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه ، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم »[4] .

وليس المقصود من غض البصر[5] منع النظر مطلقا ، بل المقصود سد ذريعة الفتنة بما لا تدعو إليه حاجة ولا منفعة ، والاجتناب ما قد عبر عنه فى الحديث من زنى النظر ، والتلذذ برؤية جمال الأجنبيات وزينتهن ، وبتعبير آخر : أن لا ينظر إلى شىء بملء العين وأن يكف النظر عما لا يحل إليه . ويدل على هذا المعنى كلمة « من » لأنها للتبعيض .

يقول الزمخشرى : « والمراد : غض البصر عما يحرم ، والاقتصار على ما يحل .

فإن قلت كيف دخلت « من » فى « غض البصر » دون « حفظ الفرج ؟ » .

قلت : دلالة على أن أمر النظر أوسع ، وأما أمر الفرج فمضيق ، وكفاك فرقا أن أبيح النظر إلا ما استثنى منه ، وحظر الجماع إلا ما استثنى منه »[6] .

فبهذا الاعتبار نستطيع أن نقول : إن الله ــ تعالى ــ لا يمنع من أن تنظروا بملء عيونكم إلى كل شىء ، وإنما يريد أن يقيد نظركم فى دائرة مخصوصة تمنع النظر إلى ما يحرم من النساء ، والأمر الذى يأمر الله تعالى بكف العين عن النظر إليه هو : نظر الرجال إلى النساء ، أو إلى عورات غيرهن ولو من الرجال ، أو إلى مناظر الفاحشة ، وهذا هو المراد بغض النظر .

وأما نظر الفجأة المجرد من قصد السوء لا ضير فيه ولا إثم منه كما جاء فى الحديث ، قال رسول الله

(١) الإسراء : ٣٢.

(٢) تفسير القرطبى : ٥ / ٣٨٦٩.

(٣) النور : ٣٠.

(٤) تفسير ابن كثير : ٦ / ٤٣.

(٥) معنى غض البصر لغة : النقص والخفض والوضع. فيقال : غض الشىء أى : خفضه ، ومنه نقص ووضع قدرة. وغض البصر : أى : كسره.

(٦) القاموس المحيط : ٢ / ٦٠ .

(٧) سنن أبى داود : كتاب النكاح ، باب ما يؤمر به من غض البصر ، الحديث رقم ٢١٤٩ ، ٢ / ٢٤٦.
وروى الترمذى بلفظ مشترك وقال : هذا حديث حسن غريب. أبواب الاستئذان ، باب ما جاء فى نظر الفجأة ، الحديث : ٢٩٢٧ و ٤ / ١٩١. والبيهقى : ٧ / ٩٠.

ـ صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب ـ رضى الله عنه : « **يا على لا تتبع النظرة النظرة . فإن لك الأولى وليست لك الآخرة** » . يقول الشوكانى فى شرح هذا الحديث : « فيه دليل على نظرة الواقع فجأة ، من دون قصد ولا تعمد ، فإنه لا يوجب أثم الناظر ، لأن التكليف به خارج عن الاستطاعة »(٨) .

وقال النووى : « ومعنى نظر الفجأة : أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد ، فلا إثم عليه فى أول ذلك ، ويجب عليه أن يصرف بصره فى الحال ، فإن صرف فى الحال ، فلا إثم عليه ، وإن استدام النظر أثم لهذا الحديث ، فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمره بأن يصرف بصره مع قوله تعالى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾(٩)

فالإسلام يحض المؤمنين على الغض من أبصارهم لما يترتب على النظر من العواقب الوخيمة التى تُنهى بالمرء إلى سوء العواقب ووخيم النتائج فى الدنيا والآخرة ، مما لا قبل للإنسان عليه ولا هرب له من عقابها . قال الغزالى : « من لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه »(١٠) .

ولعل هذا هو السر فى تقديم غض البصر على حفظ الفرج ، لأن النظر وسيلة إلى عدم حفظ الفرج ، والوسيلة مقدمة على المرسل إليه ، ولأن النظر مقدمة الزنا ، ورائد القلب ، كما أن الحمى رائد الموت .

يقول ابن القيم : « ولما كان مبدأ الخطر من قبل البصر ، جعل الأمر يغضه مقدما على حفظ الفرج ، فإن كل الحوادث مبدؤها من البصر ، كما أن معظم النار مبدؤها من مستصغر الشرر . ثم تكون نظرة ، ثم تكون خطرة ، ثم تكون خطوة ، ثم تكون خطيئة . ولهذا قيل : **من حفظ الأربعة أحرز دينه : اللحظات ، والخطرات ، واللفظات ، والخطوات** .

والنظرة أصل عامة الحوادث التى تصيب الإنسان ، فإن النظرة تولد خطرة ثم تولد الخطرة فكرة ، ثم تولد الفكرة شهوة ، ثم تولد الشهوة إرادة ، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة ، فيقع الفعل ولابد ، ما لم يمنع منه مانع .

وفى هذا قيل : « الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ما بعده »(١١) .

إذن فالعلاج الوحيد فى الوصول إلى قمة العفة والتسامى هو غض البصر عن الحرمات .

وفى هذا الصدد يقول الإمام ابن كثير : « النظر داعية إلى فساد القلب » كما قال بعض السلف : النظر سهم إلى القلب ، ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التى هى بواعث إلى ذلك »(١٢) .

وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعة لغض البصر ، أو هو الخطوة التالية لتحكم الإرادة ، ويقظة الرقابة ، والاستعلاء على الرغبة فى مراحلها الأولى ، ولأجل ذلك يجمع بين غض البصر

(٨) نيل الأوطار : ٦ / ١٢٧.
(٩) شرح النووى : ١٤ / ١٣٩.
(١٠) إحياء علوم الدين ، ٣ / ١٠٢.
(١١) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى ، المسمى (الداء والدواء) ص : ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، بتصرف.
(١٢) تفسير ابن كثير : ٦ / ٤٤.

وحفظ الفرج فى آية واحدة ، بوصفها سببا ونتيجة ، أو باعتبارهما خطوتين متواليتين فى عالم الضمير وعالم الواقع ، والمراد بحفظ الفرج : أى حفظه عما لا يحل لهم على رأى جمهور العلماء »(١٣) .

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا » كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾(١٤)
وتارة يكون بحفظه من النظر إليه ، كما جاء فى الحديث فى مسند أحمد والسنن : « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك »(١٥) وقد وعد الإسلام النظر إلى ما لا يحل لك من خيانة الأعين ، قال الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾(١٦)

قال ابن عباس : « هو الرجل يكون جالسا مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها ، وعنه أيضاً : هو الرجل ينظر إلى المرأة ، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره ، فإذا رأى منهم غفلة تلبس بالنظر ، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره ، وقد علم الله ــ عز وجل ــ منه أنه يود لو نظر إلى عورتها »(١٧) .

وروى عنه أيضاً « هو الرجل ينظر إلى المرأة الحسناء تمر به ، أو يدخل بيتا هى فيه ، فإذا فطن له غض بصره وقد علم الله ــ تعالى ــ أنه يود لو اطلع على فرجها ، وإن قدر عليها زنى »(١٨) .

وقال مجاهد عن خائنة الأعين : « هى سارقة نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه »(١٩) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾(٢٠) ، أى : يسأل كل واحد منهم عما اكتسب ، فالفؤاد يسأل عما افتكر فيه واعتقده ، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع(٢١) .

وقد روى فى سبب نزول هذه الآية التى تأمر بغض البصر « مر رجل على عهد رسول الله عليه وسلم فى طريق من طرقات المدينة ، فنظر إلى امرأة ونظرت إليه ، فوسوس لهما الشيطان أنه لم ينظر أحدهما إلى الآخر إلا إعجابا به ، فبينما الرجل يمشى إلى جنب حائط ينظر إليها ، إذ استقبله الحائط فشق أنفه .

فقال : والله لا أغسل الدم حتى آتى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأعلمه أمرى ، فأتاه ، فقص عليه قصته ، فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا عقوبة ذنبك . وأنزل الله : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾(٢٢)

وقد عبر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن النظر الخائن بزنا العين ، لأنه قد يؤدى إلى الزنا : حيث قال : « زنا العين النظر ، وزنا اللسان

---

(١٣) انظر زاد المسير : ٦ / ٣٠.
(١٤) المؤمنون : ٥ ــ ٦.
(١٥) تفسير ابن كثير : ٧ / ٤٤ ، وانظر للحديث : مسند أحمد : ٥ / ٣ ــ ٤ ، سنن أبى داود : كتاب الحمام ، باب ما جاء فى التعرى ، رقم الحديث : ٤٠٤٠١٨ / ٤٠ ــ ٤١ ، تحفة الأحوزى : أبواب الاستئذان ، باب ما جاء فى حفظ العورة الحديث : ٨٠٢٩٤٦ / ٧٧ ــ ٧٨ ، قال الترمذى : هذا حديث حسن.
(١٦) المؤمن : ١٩.
(١٧) تفسير القرطبى : ٧ / ٧ / ٥٧٤٧.
(١٨) فتح البارى : ١١ / ٩.
(١٩) تفسير القرطبى : ٧ / ٥٧٤٧.
(٢٠) الإسراء : ٣٦.
(٢١) تفسير القرطبى :٥ / ٣٨٧٥.
(٢٢) الدر المنثور : ٥ / ٤٠.

النطق ، والنفس تتمنى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه »(٢٣) يقول الغزالى : « وزنا العين من كبائر الصغائر وهو يؤدى إلى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج »(٢٤) .

غض البصر للنساء :

فحكم غض البصر موجه إلى الرجال والنساء على حد سواء لقوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾(٢٥) .

يقول القرطبى : « فقد خص الله سبحانه هنا الإناث بالخطاب على طريق التأكيد ، فإن قوله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين ﴾ يكفى ، لأنه عام يتناول الذكر والأنثى من المؤمنين حسب كل خطاب عام فى القرآن »(٢٦) .

كما حرم الإسلام نظر الرجال إلى النساء الأجنبيات ، كذلك حرم على المرأة النظر عمدا إلى الرجال الأجانب .

وهناك مواقف قد يباح فيها للرجل أن ينظر إلى المرأة إذا دعت إليه الحاجة أو الضرورة ، ولا يتأثم فيها الرجل والمرأة ، فإذا أراد مثلا : أن ينكح امرأة فإن النظر إليها مستحب كما جاء فى الأحاديث الشريفة ، أو النظرة إلى امرأة مشتبهة عند تحقيق الجرائم ، أو عند الشهادة ، أو نظر الطبيب للمعالجة . ولا يسعنا تفصيلها .

وقد رغب الإسلام فى غض البصر وجعل ثوابه الجنة . عن سهل بن سعد عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « من يضمن لى ما بين لحيتيه وما بين رجليه أضمن له الجنة »(٢٧) .

ثانياً ــ عدم إبداء الزينة :

وهنا نعرض للون آخر من الآداب الاجتماعية التى شرعها الإسلام لتساهم فى حفظ العرض ، ووقاية المجتمع من الفاحشة وهو : أدب « عدم إبداء الزينة » .

فالله سبحانه لا يحرم على المرأة زينتها وثيابها الجميلة ، كما لا يحرم عليها طعامها وشرابها ، ولكنه سبحانه يحرم ما يكون فيه الفتنة وينتشر به الفساد فى المجتمع ، وهى الزينة التى تريد بها المرأة أن تحلو فى أعين الرجال الأجانب . وهذا يعتبر فى الإسلام تبرج الجاهلية يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾(٢٨) وهى إظهار المرأة من زينتها ما يجب إخفاؤه(٢٩) .

ومن جهة أخرى حض النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ النساء على التزين والتطيب لأزواجهن فى حدود الاعتدال بل يجب على المرأة أن تبدى زينتها لزوجها إظهاراً لحبه . إذن فالقسطاس هنا أن الزينة إذا كانت بعيدة عن كل نية فاسدة ولا يترتب عليها فتنة ولا فساداً ، فهى الزينة المرغوبة فيها ، وإلا فهى زينة الجاهلية التى نهى الإسلام عنها .

وقبل أن نعرض للمسائل المنوطة بعدم إبداء الزينة وآراء العلماء فيما يعتبر زينة ، فإنه يجدر بنا

---

(٢٣) صحيح البخارى : كتاب الاستئذان ، باب : زنى الجوارح دون الفرج ، ٤ / ٨٨ ، صحيح مسلم : كتاب القدر ، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره ، الحديث ٢٦٥٧ ، ك : ٤٦ ، باب ، ٤٠٥ / ٢٠٤٦ ، وسنن أبى داود : بنفس اللفظ ماعدا : (كله) ، كتاب النكاح ، باب ، مايؤمر به من غض البصر ، الحديث : ٢٠٢١٥٢ / ٢٤٦ ــ ٢٤٧ ، روى الإمام أحمد بلفظ أبى داواد وكلمة المنطق عنده (النطق) ، ٢ / ٢٧٦. واللفظ للبخارى.

(٢٤) إحياء علوم الدين : ٣ / ١٠٢.

(٢٥) النور : ٣٦. (٢٦) تفسير الطبرى : ٦/٤٦١٨.

(٢٧) صحيح البخارى : كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ٤ / ١٢٥ بحاشية السندى.

(٢٨) الأحزاب : ٣٣.

(٢٩) مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٢ / ٦٩.

أن نقدم هنا كلمة مجملة عن معنى الزينة .

الزينة : إسم لكل ما يتزين به ويتجمل(٣٠) .

قال الراغب : قال :زانه كذا وكذا ، وزينه : إذا أظهر حسنه إما بالفعل أو بالقول(٣١) .

والزينة إما أن تكون :

سماوية : مثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾(٣٢)

أو أرضية : كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾(٣٣) أو حياتية مثل : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾(٣٤) أو بشرية مثل : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾(٣٥) .

أو خاصة بالنساء : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾(٣٦) . ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾(٣٧)

والمراد بزينة المرأة : كل ما يزينها ويجملها ويجعلها مقبولة مستحسنة فى العين والخاطر(٣٨) .

وهى على قسمين :

الأول : أمور معنوية : وهى الزينة الخُلُقية .

والثانى : أمور حسية : وهى على نوعين :

أ ـ الزينة الْخَلْقِيَّة : مثل : الوجه فهو أصل الزينة وجمال الخلقة ومجمع المحاسن .

ب ـ الزينة المكتسبة : وهى ما تحاوله المرأة فى تحسين خلقتها بالوضع ، مثل : الملابس الجميلة(٣٩) والحلى وغير ذلك من أنواع الزينة الحديثة والمعروفة بما يعبر عنها فى زماننا هذا بالتجميل .

وقد أنكر بعض العلماء وقوع اسم الزينة على الخلقة ، لأنه لا يقال فى الخلقة أنها من زينتها وإنما يقال فيما اكتسبته من كحل وخضاب وغيره(٤٠) ولكن الأقرب أن الخلقة داخله فى الزينة لأن الوجه أصل الزينة وجمال الخلقة .

وكما قال القرطبى : « الزينة » على قسمين : خَلْقية ، ومكتسبة :

فالخلقية : وجهها فإنها أصل الزينة وجمال الخلقة .

وأما الزينة المكتسبة : فهى ما تحاوله المرأة فى تحسين خلقتها كالثياب والحلى والكحل ، والخضاب . ومنه قوله تعالى :

﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾(٤١)

وقال أبو حيان : فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾(٤٢) دليل على أن الزينة ما يعم الخلقة وغيرها ، منعهن من إظهار محاسن خلقهن ، وأوجب سترها بالخمار(٤٣) .

ويؤيد هذا الرأى ما قاله الراغب والفيروز آبادى :

الزينة بالقول المجمل ثلاث :

زينة نفسية : كالعلم والاعتقادات الحسنة .

زينة بدنية : كالقوة وطول القامة .

وزينة خارجية : كالمال والجاه(٤٤) .

---

(٣٠) تاج العروس : ٩ / ٢٣٩ ، المفردات : ٣١٩ ، وقيل : تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة ، تاج العروس : ٩ / ٢٣٩.

(٣١) المفردات : ٣١٩. (٣٢) الصافات : ٦. (٣٣) الكهف : ٧

(٣٤) الكهف : ٤٦. (٣٥) الأعراف : ٣١.

(٣٦) النور : ٣١. (٣٧) النور : ٣١.

(٣٨) زينة المرأة بين التشريع الإسلامى والواقع الإنسانى ص ١٥. (٣٩) نفس المرجع :١٥.

(٤٠) نفس المرجع : ١٥ ـ ١٦

(٤١) تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦٢١. وانظر : أحكام القرآن لابن العربى ٣ / ١٣٦٨. (٤٢) النور : ٣١.

(٤٣) البحر المحيط : ٦ / ٤٤٨. (٤٤) المفردات : ٣١٩.

ويفهم من هذا الأقوال والآراء أن ما يطلق عليه زينة لاحقة بالنساء ، سواء أكانت خلقية أم مكتسبة-صناعية-وكانت مجلبة لإثارة الرجال وافتتانهم يعد حراما وممنوعا .

وقد نهى الله سبحانه وتعالى النساء عن إبداء الزينـــة ، بقولـــه تعـــالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾[٤٥] .

فدلت الآية الكريمة على حرمة إبداء المرأة زينتها أمام الأجانب ، وليس لها أن تظهر أى شيء من زينتها خارج بيتها أبدا حسب النهى الإلهى . أما الزينة الظاهرة التى لا يمكن إخفاؤها وهو ما يظهر بدون قصد أو تعمد فلا إثم ولا حرج من إبدائه كما أشار إلى ذلك قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ونفهم من هذه الآية أن النساء لا يجوز لهن أن يظهرن زينتهن عمدا ، بمعنى أن المرأة إن كشفت شيئا من نفسها إظهارا لحسنها وجمالها فهو إثم ، وأن ظهر منها شيء بنفسه بدون أن تتعمد إظهاره فلا جناح عليها[٤٦] .

وهنا نجد أن العلماء قد اختلفوا حول تحديد معنى (ما ظهر منها) . على النحو الآتى :

(١) ما ظهر منها هو : الوجه والكفان ، وهذا هو المشهور عند الجمهور[٤٧] .

(٢) الثياب[٤٨] .

(٣) الكحل والخاتم .

(٤) الكف والخاتم والوجه ، رواهما سعيد بن جبير عن ابن عباس[٤٩] .

(٥) القلبان ــ وهما السواران ــ والخاتم والكحل قاله المسور بن مخرمة .

(٦) الخاتم والسوار قاله الحسن .

(٧) الكحـــل والخاتم ، والخضاب ، قالـــه مجاهد[٥٠] .

قال ابن جرير الطبرى : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : عين بذلك الوجـــه والكفان ، يدخل فى ذلك إذا كان كذلك الكحل والخاتم ، والسوار والخضاب[٥١] .

ويعد تتبـع النصوص والإطلاع على آراء العلماء يبدو أن المرأة لا يجوز لها أن تبدى زينتها للأجانب إلا ما ظهر منها ، وهو الزينة الظاهرة التى ذكرنا آراء العلماء فيها ، وأما الأشخاص الذين سماهم الله فى الآية ، ومن فى حكمهم كالعم والخال والأقارب من الرضاع فلا إثم ولا حرج على المرأة من إظهار بعض زينتها أمامهم .

يقول القرطبى : « من الزينة ظاهر وباطن ، فما ظهر منها فمباح أبدا لكل الناس من المحارم والأجانب ، وأما ما بطن ، فلا يحل إبداؤه إلا لمن سماهم الله تعالى فى هذه الآية »[٥٢]

أبيح للمرأة أن تظهر زينتها الظاهرة للأجانب بعد النهى العام لقوله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ لأن سترها فيه حرج ، وسمح لها أن تظهر زينتها الخفية لمحارمها مما قد تشتد الحاجة إلى كشفه وذلك لقولـــه تعـــالى :

---

(٤٥) النور : ٣١ .

(٤٦) انظر : الحجاب للمودودى ص ٢٩٤ بتصرف .

(٤٧) انظر : تفسير ابن كثير : ٦ / ٤١ ، تفسير النسفى : ٣ / ١٤١ ، والكشاف : ٣ / ٦١ ، أحكـام القـرآن : ٣ / ١٣٦٩ ، تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦٢٢ .

(٤٨) زاد المسير : ٦ / ٣١ ، وانظـــر الـــطبرى : ١٨ / ١١٧ ـ ١١٩ .

(٤٩) زاد المسير : ٦ / ٣١ .

(٥٠) أنظر لهذه الأقوال : زاد المسير : ٦ / ٣١ .

(٥١) تفسير الطبرى : ١٨ / ١١٨ .

(٥٢) تفسير القرطبى : ٦ / ٢ .

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾[٥٣]

يقول أبو السعود : « كرر النهى باستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر ، بعد ما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور »[٥٤] .

والعلة فى ذلك هى ضرورة الداعية إلى المداخلة ، والمخالطة ، والمعاشرة ، ولأن هذا تقتضية ضرورة الحياة فى بيت واحد حيث يكثر الدخول عليهن والنظر اليهن بسبب القرابة ، والفتنة مأمونة من جهتهم « ذلك لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وكذلك قلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى طباع الفريقين من النفرة عن ممارسة القرائب »[٥٥] .

وهكذا يجمع الإسلام بين الحرص على صيانة المجتمع من الفاحشة وأسبابها وإزالة الحرج والمشقة . وهذا من مزايا الاسلام وتكريمه للمؤمنين .

بقى علينا أن نقول :

إن المرأة مع الرجال الأجانب يحرم عليها إبداء الزينة متى كان فى ذلك فتنة وإثارة لهم ، أما مع زوجها فمباح لها ، ولها أن تضع ما تشاء فهى لباس له وهو لباس لها . وكذلك مع الأصناف الباقية التى عرضت لها الآية الكريمة لها أن تبدى زينتها معهم .

من الأشخاص الذين تبدى المرأة أمامهم زينتها ؟

استثنى القرآن الكريم من الرجال الذين منعت أن تظهر المرأة أمامهم زينتها الخفية الآتى :

١ ـ الزوج :بدليل قوله تعالى : (إلا لبعولتهن) ، البعل هو الزوج والسيد فى لسان العرب[٥٦] فالزوج يرى الزينة من المرأة وما هو أكثر من الزينة ، لأن كل بدنها حلال له لذة ونظرا .

٢ ـ الآباء : لقوله تعالى : (آبائهن) ، فكلمة الآباء والأجداد ، سواء أكان من جهة الوالد أو الأم

٣ ـ آباء الأزواج: لقوله تعالى (أو آباء بعولتهن) .

٤ ـ الأبناء : لقوله تعالى : (أو أبنائهن) ويدخل فيه أولاد الأولاد ، وإن نزلوا .

٥ ـ أبناء الأزواج : لقوله تعالى : (أو أبناء بعولتهن) ، وذلك لنزولهم منزلة الأبناء فى المحرمية ، وأيضا يدخل فيه أولاد الأولاد وإن نزلوا .

٦ ـ الإخوة : لقوله تعالى : (أو إخوانهن) سواء كانوا أشقاء أو لأب ، أو لأم .

٧ ـ أبناء الإخوة : لقوله تعالى : (أو بنى إخوانهن) لأنهم فى حكم الإخوة .

٨ ـ أبناء الأخوات : لقوله تعالى : (أو بنى أخواتهن) .

وهؤلاء كلهم من المحارم يحرم عليهم نكاحهن ، ويجوز للمرأة إبداء الزينة أمامهم من

---

(٥٣) سورة النور : ٣١.
(٥٤) تفسير أبى السعود : ٦ / ١٧٠ .
(٥٥) نفس المرجع : ٦ ـ ١٧٠ .

(٥٦) قال أبو عبيدة : بعولتهن : جمع بعل وهو أزواجهن ، مجاز القرآن ، ٢ / ٢٦٥ .

غير إثارة لهم أو استدعاء لشهواتهم ، وأبيح للمرأة أن تظهر زينتها أمام هؤلاء المذكورين فى الآية لكثرة المخالطة وضرورات الحياة .

ولم تذكر الآية الأعمام ، والأخوال ، وهم من المحارم كما هو معروف . ولم تذكر المحارم من الرضاع أيضاً ، الا أن العلماء أكثرهم على أن حكم هؤلاء كحكم سائر المحارم المذكورين فى الآية ، كما قال القرطبى : « والجمهور على أن العم والخال كسائر المحارم فى جواز النظر لهما إلى ما يجوز لهم ، وليس فى الآية ذكر الرضاع وهو كالنسب »[٥٧] .

وقيل : لم يذكرهم سبحانه لأن الأحوط أن يسترن عنهم حذرا من أن يصفوهن لأبنائهم فيؤدى ذلك إلى نظر الأبناء إليهن[٥٨] .

ويحسن بنا هنا أن نشير إلى نقطة هامة وهى : أن المحارم الذين ذكروا فى الآية تختلف مراتبهم حسب ما فى نفوس البشر . أجمعت الأمة على أنه لا يلحق غير الزوج بالزوج فى النظر ، وإن كان قد شورك بينهم فى لفظ العطف الذى يقتضى التشريك فى ذلك كله[٥٩] .

يقول القرطبى : « ولما ذكر الله تعالى الأزواج وبدأ بهم ثنى بذوى المحارم ، وسوى بينهم فى إبداء الزينة ، ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما فى نفوس البشر ، فلا مرية أن كشف الأب والأخ على المرأة أحوط من كشف ولد زوجها ، وتختلف مراتب ما يُبدَى لهم فيُبدَى للأب ما لا يجوز إبداؤه لولد الزوج »[٦٠] .

فعلى أى صورة ينبغى أن يكون لباس المرأة وسلوكها معهم ؟

هذا مما لم يذكر تحديده فى الشريعة ، لأن التحديد لا يمكن لاختلاف حدوده ويختلف ذلك باختلاف الأقارب حسب اختلاف قرابتهم وسنهم ، وسن المرأة ، وأحوالهم ، وأحوال المرأة ، كسكناهم مع المرأة ، من الروابط الأسرية .

بقى علينا أن نذكر الأنواع الباقية التى ذكرتها الآية الكريمة فهى :

١ ـ النساء : لقوله تعالى : (أو نسائهن) ، اختلف العلماء فى المراد من قوله تعالى : (أو نسائهن) .

فقال بعضهم : المراد بهن المسلمات اللاتى هن على دينهن ، وهذا قول أكثر السلف .[٦١]

يقول ابن كثير : (أو نسائهن) يعنى : للمراة المسلمة أن تظهر بزينتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة ، لئلا يصفنها لرجالهن ، وذلك وإن كان محذورا فى جميع النساء ، إلا أنه فى نساء أهل الذمة أشد ، فانهن لا يمنعهن من ذلك مانع ، أما المسلمة فتعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه[٦٢] .

وقال بعضهم : المراد بقوله تعالى : (أو نسائهن) جميع النساء فيدخل فى ذلك المسلمة والكافرة ، وقد ذهب إلى هذا الرأى الإمام الفخر الرازى ، وغيره .

(٥٧) تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦٢٥ .

(٥٨) انظر : تفسير أبى السعود : ٦ / ١٧٠ ، روح المعانى : ١٨ / ١٤٣ ،التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٠٧ .

(٥٩) انظر : أحكام القرآن : ٣ / ١٣٧٠ .

(٦٠) تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦٢٤ .

(٦١) التفسير الكبير : ٢٣ / ٧ .

(٦٢) تفسير ابن كثير : ٦ / ٤٦ .

وقال الرازى : « المراد بنسائهن : جميع النساء وهذا هو المذهب وقول السلف محمول على الاستحباب والأولى »[٦٣] ، وتابعه الألوسى على هذا بقوله : « وهذا القول أرفق بالناس اليوم فإنه لا يكاد يمكن احتجاب المسلمات عن الذميات »[٦٤] ، وقال ابن العربى : « والصحيح عندى أن ذلك جائز لجميع النساء ، وإنما جاء بالضمير للاتباع ، فإنها آية الضمائر ، إذ فيها خمسة وعشرون ضميرا لم يروا فى القرآن لها نظير ، هذا للاتباع »[٦٥] .

يقول المودودى : « إن المراد (بنسائهن) النساء المختصات لهن بالصحبة والخدمة والتعارف ، سواء أكن مسلمات ، أو غير مسلمات . وأن الغرض من الآية : أن تخرج من دائرة النساء الأجنبيات اللاتى لا يعرفن شيئا عن أخلاقهن وآدابهن وعاداتهن . فليست العبرة بالاختلاف الدينى ، بل هى بالاختلاف الخلقى . فلنساء المسلمات أن يظهرن زينتهن بدون حجاب ولا تحرج للنساء الكريمات الفاضلات ولو غير مسلمات . وأما الفاسقات اللاتى لا حياء عندهن ، ولا يعتمد على أخلاقهن وآدبهن فيجب أن تحتجب عنهن كل إمراة مؤمنة صالحة ولو كن مسلمات . لأن صحبتهن لا تقل عن صحبة الرجال ضررا على أخلاقها »[٦٦] .

ويبدو لى بعد سرد آراء العلماء ، رجحان هذا الرأى الأخير الذى يعتمد على الأخلاق ، والعادات ، ويهتم بالفضيلة ولا يكتفى بمجرد ذكر « اسم المسلمة » بل يلزمهن بعد ذلك بالأخلاق الفاضلة ، والصلاح للصحبة والمعاشرة ، هذا أحوط الآراء . وبخاصة بعد فساد النساء وشيوع الأخلاق السيئة ، وانتشار الإباحية . ومع ترجيحى لهذا الرأى فإن الواجب يدفعنى إلى تقرير حقيقة ، وهى : أن الفضليات من النساء أكثرهن من المسلمات المؤمنات ، مما يعطى للرأى الثانى وجاهته .

٢ ـ **المماليك** : لقوله تعالى : (أو ما ملكت أيمانهن)

إن ظاهر الآية يشمل العبيد والإماء ، المسلمات والكتابيات[٦٧] ، وبهذا قال بعض العلماء ، وهو مذهب الشافعية ، فقد نص ابن حجر فى «المنهاج » على نظر العبد إلى سيدته كالنظر إلى محرم ، فينظر منها ما عدا بين السرة والركبة[٦٨] ، وقال ابن عباس : « لا بأس أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته »[٦٩] .

وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة وهو قول الشافعى أيضاً إلى أن العبد كالأجنبى ، فلا يحل نظره إلى سيدته لأنه ليس محرما[٧٠] ، وتأولوا الآية بأنها فى حق الإماء فقط دون العبيد . واستدلوا مما روى عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه أنه قال : « لا تغنيكم هذه الآية (أو ما ملكت أيمانهن) إنما عنى بها الاماء ، ولم يعن بها العبيد »[٧١] ، وقال القاضى أبو يعلى : « إنما ذكر الإماء فى الآية لأنه قد

(٦٣) التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٠٧
(٦٤) روح المعانى : ١٨ / ١٤٣ .
(٦٥) أحكام القرآن لابن العربى : ٣ / ١٣٧٢ .
(٦٦) تفسير سورة النور للمودودى : ١٦٤ ـ ١٦٦ .
(٦٧) تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦٢٥ .
(٦٨) المنهاج : ص : ٥١ .
(٦٩) أحكام القرآن لابن العربى : ٣ / ١٣٧٣ تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦٢٥ .
(٧٠) وقال مالك : هو كالمحرم وهو أحد قولى الشافعى ، لقوله تعالى : (أو ما ملكت أيمانهن) ولأن الحاجة متحققة لدخوله عليها من غير استئذان .
(٧١) ذكره السيوطى فى الدر : ٥ / ٤٣ ، والقرطبى : ٦ / ٤٦٢٦ .

يظن الظان أنه لا يجوز أن تبدى زينتها للاماء ، لأن الذين تقدم ذكرهم أحرار ، فلما ذكر الإماء زال الأشكال »[٧٢] .

والرأى الثانى هو الأولى بالإتباع لما فى المماليك والإماء من دوافع بشرية فطرية لا تقصرهم عن الأحرار أبدا ولأن الواقع قد أثبت أن كثيرا من الفساد ظهر من قبل المماليك والخدم بسبب اختلاطهم ، واطلاعهم على عورات سادتهم ومخدوميهم ، وعلى هذا فالأخذ بالرأى الثانى أحوط سدا للذرائع ومنعا من عموم البلاء وانتشاره .

٣ ـ التابعين غير أولى الإربة من الرجال :

يباح للمرأة أن تبدى زينتها أمامهم لقوله تعالى : (أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال) ، الإربة : الحاجة ، والجمع مآرب ، قال تعالى : (وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ)[٧٣] أى : حوائج[٧٤] والمعنى : الاتباع الذين ليست لهم إربة فى النساء ، أى : حاجة ، مثل الخصى ، والخنثى ، والشيخ الهرم[٧٥] ومنهم الرجال البله المغفلون الذين لا يعرفون من أمور النساء شيئا ، وليس لهم ميل نحو النساء ، أو اشتهاء لهن بسبب عجزهم الجسدى ، أو ضعفهم العقلى ، أو ما عدا ذلك . لكن التابع (غير أولى الإربة) يخشى منه الفتنة ولا يؤمن جانبه مثل (أولى الإربة) ومن ثم لا يسمح له بالدخول على النساء .

٤ ـ الأطفال : استثنت الآية الكريمة الأطفال ، فسمحت للمراة أن تبدى زينتها أمامهم ، بدليل قوله تعالى : (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) ، والطفل : اسم جنس بمعنى الجمع ، والدليل على ذلك نعته بـ (الذين) ، هكذا قال القرطبى[٧٦]، وقال ابن قتيبة : « أو الطفل : أى يريد الأطفال ، بدليل قوله (لم يظهروا على عورات النساء)[٧٧]، وقال الزمخشرى : « وضع الواحد موضع الجمع ، لأنه يفيد الجنس ويبين ما بعده أن المراد به الجمع ونحوه : (يخرجكم طفلا)[٧٨]، [٧٩].

قال بعض العلماء : المراد بالأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء أى : لم يبلغوا احد الشهوة للجماع .

وقال البعض : بل المراد الذين لم يعرفوا العورة من غيرها لصغرهم ، قال ابن قتيبة : « لم يظهروا : أى : لم يعرفوها ولم يفهموها »[٨٠]، وقال أبو حيان : « لم يظهروا : إما من قولهم : ظهر على الشىء إذا اطلع عليه ، أى : لا يعرفون ما العورة ، ولا يميزون بينها وبين غيرها ، وأما من : ظهر على فلان ، إذا قوى عليه ، فاصبحوا ظاهرين[٨١] أى : غالبين قادرين عليه . فالمعنى : لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء »[٨٢].

---

(٧٢) زاد المسير لابن الجوزى : ٦ / ٣٣ .
(٧٣) سورة طه : ١٨ ج
(٧٤) تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦٢٦ .
(٧٥) تفسير غريب القرآن : ص : ٣٠٣ وانظر : لهذه المعانى بالتفصيل : زاد المسير : ٦ / ٣٣ ـ ٣٤ ، مختصر تفسير ابن كثير : ٢ / ٦٠١ ، تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦٢٦ ، تفسير الطبرى : ٨ / ١٢٢ ـ ١٢٣ .
(٧٦) تفسير القرطبى : ٣٠٤ .
(٧٧) تفسير غريب القرآن : ٦٧ .
(٧٨) سورة المؤمن : ٦٧ .
(٧٩) تفسير الكشاف : ٣ / ٦٢ .
(٨٠) تفسير غريب القرآن : ٣٠٤ .
(٨١) الصف : ١٤ .
(٨٢) البحر المحيط : ٦ / ٤٤٩ .

وقال القرطبى : « يظهروا » معناه : يطلعوا بالوطء ، أى : لم يكشفوا عن عوراتهم للجماع لصغرهن ، وقيل : لم يبلغوا أن يطيقوا النساء »[٨٣]، وغير الأشخاص المذكورين فى الآية الذين شرحناهم ، وبينا آراء العلماء فى كل منهم ، وأشرنا إلى مواضع الاختلاف بينهم ، لا يباح للمرأة المسلمة الصالحة أن تظهر أمامهم بزينتها .

زينة الخلخال وأشباهه :

ومن الزينة ما هو لا يعرف إلا بضرب الرجلين ، كما أشارت الآية الكريمة ، وهى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « كانت المرأة فى الجاهلية إذا كانت تمشى فى الطريق وفى رجلها خلخال صامت لا يسمع صوتها ، ضربت برجلها الأرض فيسمع الرجال طنينة ، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك ، وكذلك إذا كان شىء من زينتها مستورا فتحركت بحركة لتظهر ما خفى ، دخل هذا فى النهى »[٨٤] .

ومن هنا نعلم أن إبداء الزينة إما أن يكون بالفعل كالسفور ، وإما أن يكون بالحركة ، أو الإشارة ، أو الصوت وما إلى ذلك .

فكل فعل من أفعال المرأة إذا كان يثير حواس الرجال ، ومشاعرهم بأى طريق كان ، فهو حرام . لأن الجوهر هنا هو المنع عن التلذذ والشهوات وإثارة الفتنة والمفسدة سواء أكانت بالفعل أم بالقول ، أم بأى حركة أخرى ، فصوت الخلخال أو السوار إذا كان مثيرا لانتباه الرجال حرِّم ، وعد من إبداء الزينة ، إذ ربما سكت اللسان ونابت منابه حركات أخرى .

قال أبو السعود : « ولا يضربن بأرجلهن الأرض ليقعقع خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال ، فإن ذلك يورث الرجال ميلا إليهن ويوهم أن لهن ميلا إليهم . وفى النهى عن إبداء صوت الحلى بعد النهى عن إبداء زينتها من المبالغة فى الزجر عن إبداء مواضعها ما لا يخفى »[٨٥] .

يتبع بالقسم الأخير

---

(٨٣) تفسير القرطبى : ٦ / ٤٦٢٨ .
(٨٤) تفسير ابن كثير : ٦ / ٥٢ .
(٨٥) تفسير أبو السعود : ٦ / ١٧١ .

قبس من أنوار النبوة

الحجاج والعمار وفد الله ...

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : « تابعوا بين الحج والعمرة ؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة . وما من مؤمن يظل محرماً إلا غابت الشمس بذنوبه » .

رواه الترمذى ــ وقال حسن صحيح

وليس فى بعض نسخ الترمذى « وما من مؤمن .. الخ . » وكذا رواه النسائى وابن خزيمة . وزاد (رزين) فيه « وما من مؤمن يلبى لله بالحج إلا شهد له ما على يمينه وشماله إلى منقطع الأرض »

المنذرى : الترغيب والترهيب .

عبادات الإسلام وأركان الدين وفرائضه وشعائره كلها تهدف إلى خير الدنيا وسعادة الآخرة .

والحج إلى بيت الله الحرام عبادة يتقرب بها المسلمون إلى خالقهم ، فرضه الله على القادر ، إحياء لذكرى رسالة الهدى وتوضيح السبيل الحق التى جاء بها إبراهيم ــ عليه السلام ــ توجه إلى التوحيد فى عبادة الله ، وعدم الشرك به ، وحملها من بعده جميع رسل الله فى الأرض . ثم أكدتها رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين ــ محمد ﷺ ــ قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

وقال ـ جل وعلا :

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ سُورَةُ النَّحْلِ

ومن هنا كانت شعائر الحج صورة صادقة لهذه الذكرى التى تحكى ما وقع فى عهد نبى الله إبراهيم وابنه إسماعيل من بعده ـ عليهما السلام ـ حيث قال تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ سُورَةُ الحَجِّ

فعن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن داود النبى ـ عليه السلام ـ قال : إلهى ما لعبادك عليك إذا هم زاروك فى بيتك ؟ قال : إن لكل زائر حقاً على المزور .

يا داود : لهم علىّ حق أن أعافيهم فى الدنيا ، وأغفر لهم إذا لقيتهم » الطبرانى فى الأوسط .

إن المؤمنين بالله حقاً حين يؤدون مناسك الحج والزيارة بين البيت الحرام بمكة ، وجبل عرفات ـ بالقرب من مكة ـ من الطواف حول الكعبة ، والسعى بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة إلى غروب شمس اليوم التاسع من ذى الحجة ، والنزول إلى «المشعر الحرام» ـ جبل المزدلفة بين عرفة ومنى ـ ورمى الجمار . حيث تتأكد الأخوة بين المسلمين فى وحدة القلوب ووحدة الدعاء ، ووحدة المظهر فتنصهر الفوارق بين أجناس المسلمين وقبائلهم ، وموطنهم ولغاتهم وألوانهم وثقافتهم ، ومنازلهم الاجتماعية.

هتافهم جميعاً «لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك». فتصفو نفوسهم وتشف قلوبهم فى مشارق الفيوضات ، وترفرف أرواحهم مع نسمات الرضا التى تتفتح بها معانى الطهر العطرات ، ويلتقون على المودة ، تربط بينهم أواصر المحبة على تباعد الأقطار ، واختلاف الديار من كل فج عميق .

﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ . سُورَةُ البَقَرَةِ ١٩٧

يعيشون فى جو من العفاف والأدب العالى ، فلا تدلى إلى رفث ، ولا ميل إلى فسوق ، ولا نطق بطائشة ، ولا نظرة فاحشة ، فيعودون إلى أوطانهم أطهاراً . روى البخارى ومسلم ، أن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : كنت جالساً مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مسجد منى ، فأتاه رجل من الأنصار ، ورجل من ثقيف ، فسلما ثم قالا : يا رسول الله جئنا نسألك ، فقال : إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألانى عنه ، فعلت . وإن شئتما أن أمسك وتسألانى ، فعلت ؟ فقالا أخبرنا يارسول الله ، فقال الثقفى للأنصارى : سل ، فقال : أخبرنى يا رسول الله فقال : جئتنى تسألنى عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ومالك فيه ؟ وعن ركعتيك بعد الطواف ، ومالك فيهما ؟ وعن طوافك بين الصفا والمروة ومالك

فيه ؟ وعن وقوفك عشية عرفة ومالك فيه ؟ وعن رميك الجمار ، ومالك فيه ؟ وعن نحرك ، ومالك فيه مع الإفاضة ، فقال : والذى بعثك بالحق . لَعَنْ هذا جئت أسألك ؟

قال : فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم ـ تقصد ـ البيت الحرام لا تضع ناقتك خفاً ، ولا ترفعه إلا كتب الله لك حسنة ، ومحا عنك خطيئة ، وأما ركعتاك بعد الطواف ، كعتق رقبة من بنى إسماعيل ـ عليه السلام ـ وأما طوافك بين الصفا والمروة كعتق سبعين رقبة .

وأما وقوفك عشية عرفة ، فإن الله يهبط ـ تنزل رحمته ـ إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة ، يقول : عبادى جاءونى شعثا من كل فج ـ طريق واسع ـ عميق ، يرجون جنتى ؛ فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل ، أو كقطر المطر ، أو كزبد البحر لغفرتها . أفيضوا عبادى مغفوراً لكم ولمن شفعتم له . وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات .

وأما نحرك فمذخور لك عند ربك . وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ، ويمحى عنك بها خطيئة وأما طوافك بالبيت بعد ذلك ؛ فإنك تطوف ولا ذنب لك ، يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك ؛ فيقول : اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما ماضى » .

قال ﷺ ـ فيما رواه البيهقى ـ « الحجاج والعمار وفد الله عز وجل ـ قاصدو الله ، وطالبو إحسانه ، وعباده الصالحون .. يعطيهم ما سألوا ، ويستجيب لهم ما دعوا ، ويخلف عليهم ما أنفقوا ، الدرهم ألفُ ألفٍ » .

اللهم وفقنا لأداء الحج والعمرة ، وأنلنا المغفرة والرحمة .. آمين .

شكل (١)
مئذنة مسجد الجيوشى بجبل المقطم
لايعلوها هلال (٧٨٤ هـ)

الهلال فوق المئذنة

أحمد رجب محمد على (*)

من الظواهر اللافتة للنظر أن أغلب مآذن مصر الإسلامية يعلوها هلال صغير ، وفى هذا البحث نناقش سبب وجود الهلال فوق المئذنة ومدلولاته ونماذج من أشهر المآذن التى توجت بهلال .

أسباب وجود الهلال فوق المئذنة

نستطيع أن نرجع وجود الهلال فوق المآذن إلى عدة أسباب

١ ـ أن الهلال هو المعول عليه فى إثبات الشهور الشرعية لاعتماد الحساب القمري[١]

٢ ـ وأن ارتباط الهلال بمناسبات لها أهميتها عند المسلمين أهمها : شهر رمضان يليه عيد الفطر وشهر ذى الحجة . وقد جرت العادة فى العصور الإسلامية المتعاقبة بإقامة الاحتفالات وسير المواكب لاستطلاع الهلال[٢]

وكانت المآذن هى الأماكن التى يستطلع من فوقها الهلال على أساس ارتفاعها ، ويؤكد ذلك ماذكره المؤرخون من أن مئذنة مدرسة السلطان قلاوون بشارع المعز لدين الله الفاطمى (٦٨٤ هـ ـ ١٢٨٤ م) كان يستطلع من فوقها الهلال .

(*) الكاتب مدرس مساعد بقسم الآثار الإسلامية ـ كلية الآثار ـ جامعة القاهرة .

(١) أحمد رجب محمد على : خوذات ماذن مصر الإسلامية ، بحث بمجلة الأزهر عدد المحرم ١٤١٤هـ يوليو ١٩٩٣م . ص ١٠٤

وهناك تعليل آخر لوجود الهلال فوق المآذن حيث إن بعض المآذن قامت بوظيفة المئذنة ووظيفة (الفنار)(٣) فى وقت واحد ، وكانت تضاء قمتها ليلا على السواحل لهداية السفن ، ومن هنا أطلق على بعض المآذن اسم المنـــارات (٤) لالمشابهتها لأبراج (الفنارات) وإنما لأن من وظائف المئذنة إرسال الإشارات للمراقبة والهداية(٥) وأيضا داخل القاهرة كان يوجد مصباح (قنديل) أعلى المئذنة للإعلان عن دخول (وقت) صلاتى العشاء والفجر ، وللاعلان عن المناسبات الهامة كليلة (أول) رمضان وليلة عيد الفطر ... الخ . وهو ماتؤكده وثيقة مدرسة السلطان برقوق (٧٨٨هـ ١٣٨٦م) حيث جاء فيها : إن الناظر (أى ناظر المدرسة) كان يرتب شخصين من الصوفية يتوليان تعمير القناديل أعلى المئذنة فى شهر رمضان ، وفى ليلة النصف من شعبان ، وفى ليلة الفطر(٦)

كما جاء بوثيقة الجمال يوسف أن خوذة مئذنة مدرسة الجمـــال يوسف بـ (الحمـــزاوى)(*) بالأزهر ، وترجع إلى عصر المماليك الجراكسة . وكان يعلوها هلال نحاسى وثلاثة صوارٍ برسم المصابيح(٧) وهذا هو السبب الذى دعا بعض العلماء إلى القول بأن بعض مآذن مصر الإسلامية قد اقتبست فى تكوينها من (فنار) الأسكندرية

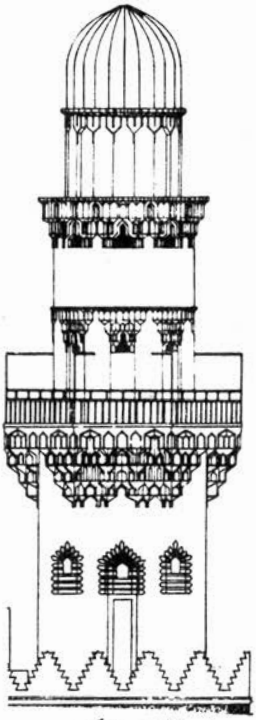

شكل (٢)
مئذنة خانقاة
بيبرس الجاشنكير
لايعلوها هلال
(٧٠٩ هـ)

حيث كانت تتكون من قاعدة مربعة الشكل يعلوها بَدَنٌ مثمن مستدير يعلوه مصباح(٨) وهو رأى ضعيف حيث إن إشعال النيران فوق الأماكن المرتفعة للهداية والإرشاد موجود منذ قديم الزمان ، وهو ظاهرة لاحقة على تكوين المئذنة ، وإن المعمارى المسلم قد قفزت الى ذهنه فكرة وضع القناديل فوق المآذن بعد أن لاحظ ارتفاعها

(٢) نفس المرجع : ص ١٠٤

(٣) الفنار : مصباح قوى الضوء ينصب على سارية عالية ، أو شبه برج مرتفع لإرشاد السفن إلى طرق السير وتجنب مواطن الخطر (وهو المنار محرفا) المعجم الوسيط

(٤)... بل كان اسم المنار هو أول اسم أطلق على المئذنة ، ثم سميت مئذنة فيما بعد . راجع د/ حسين مؤنس : المساجد ص ١٢٩ ــ ١٣٦ عالم المعرفة

(٥)د/ السيد عبدالعزيز سالم : المآذن المصرية نظرة عامة عن أصلها وتطورها من الفتح العربى حتى العصر العثمانى ــ الأسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ص ٦

(٦) د/ عبدالله كامل موسى : تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربى وحتى نهاية العصر المملوكى . دراسة معمارية زخرفية . رسالة دكتوراه غير منشورة ــ كلية الآثار ــ جامعة القاهرة ١٩٩١م ــ ص ٦٠٩

● الحمزاوى : مكان بالقاهرة

(٧) د / محمد عبدالستار : نظرية الوظيفة فى العمارة الإسلامية ص ٢٥٥

(٨) Butlre: The Arab Conquest of Egypt- Cairo 1922 - p - 345

بالنسبة لما حولها وتوسطها للمدينة ، فقد كانت تقام المساجد الجامعة وسط المدن . ولم يكن على أساس اقتباس من الفنارات القديمة ودليل ذلك أن المآذن الأولى القريبة العهد من (فنار) الاسكندرية لم يكن يوجد فوقها قناديل للإضاءة .

وأخيراً وطبقا لهذه الأقوال ففى اعتقادى أن وجود الهلال فوق المئذنة حيث تثبت المصابيح أو تشعل النيران للهداية أو للإعلان عن دخول وقت الصلوات أو ثبوت رؤية هلال رمضان وهلال الفطر وهلال ذى الحجة هو من قبيل التشابه المعنوى بين ظهور الهلال الذى لم يلبث أن يصير قمرا ينير فى ظلمات الليل وبين المآذن التى تضاء ليلًا لهداية الناس وللإنارة ظلمات الليل ، فكأن المآذن برؤوسها المضاءة ليلاً أقماراً تضيء السماء فى ظلمات الليل . ومن الأسباب التى يمكن أن نذكرها أيضاً : السبب الجمالى حيث جرت العادة فى المبانى المرتفعة أن تنتهى بقمة جمالية تعد نهاية ، ومن قبيل ذلك الأبراج والبنايات المرتفعة التى تنهض بقمة مخروطية أو بأشكال أعلام ورايات .. ولما كان المعمارى المسلم حريص على الشكل الجمالى للمئذنة فلقد تخير الهلال قمة جمالية يتوج بها المآذن للاعتبارات التى ذكرناها آنفا .

تاريخ وجود الهلال فوق المآذن

فى الواقع يصعب تحديد تاريخ دقيق لوجود الهلال فوق المآذن حيث إن أغلب المآذن سواء فى مصر ، أو فى العالم الإسلامى قد جددت خوذاتها فى عصور تالية على عصر إنشائها : ففى القاهرة مثلا تعد قمة مئذنة الجيوش فوق جبل المقطم ـ والتى ترجع إلى عصر الدولة الفاطمية ٤٨٧هـ ـ

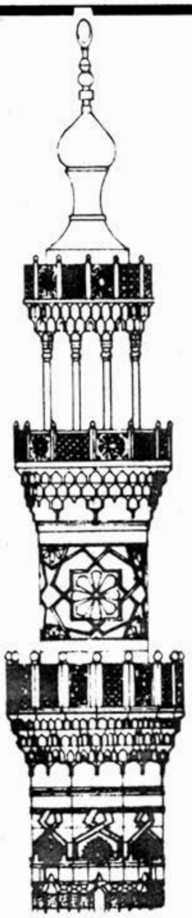

شكل (٣)
مئذنة مدرسة السلطان قايتباى بقرافة المماليك بالقاهرة يعلوها هلال نحاسى (٨٧٧ هـ)

أقدم قمة وصلتنا فى عمارة المئذنة المصرية فى مدينة القاهرة (٩) وهى متوجة بقبة لايعلوها هلال أما عصر انتشار الأهلة فوق المآذن فهو العصر المملوكى ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ حيث توجد الأهلة فوق المآذن فى المدارس المملوكية مثل مئذنة مدرسة السلطان حسن بالقلعة (٧٥٧هـ ـ ١٣٥٦م) ومئذنة مدرسة السلطان قلاوون ٦٨٤هـ ١٢٨٤م) ومئذنة مدرسة الناصر محمد بشارع المعز (٦٩٤هـ ١٢٩٥م) ... الخ

(٩) د/ عبدالله كامل . المرجع السابق ص ٦٠٥

ومن الجدير بالذكر أننا قد وصلنا نماذج لأهلة على شكل سفن فى مصر كما فى قبة الإمام الشافعى بالقاهرة سنة ٦٠٨هـ ، وفى مئذنة الجامع الطولوني حيث ذكر المؤرخون أمثال المقريزى وابن دقماق أن مئذنة الجامع الطولونى كان لها هلال على شكل سفينة يرجع إلى عصر السلطان لاجين السيفى سنة ٦٩٦ هـ(١١) سقط سنة ١١٠٥ هـ ١٦٩٣ م .

أما الهلال فوق المئذنة بالشكل الذى نعرفه الآن فلم ينتشر إلا في العصر المملوكى «٦٤٨ – ٩٢٣» ومن الجدير بالذكر أن انتشار الهلال فوق المئذنة لم يقتصر على مصر وحدها فى ذلك الوقت بل شاع استخدامه فى مآذن العالم . ففى بلاد المغرب توج الهلال أغلب مآذن المغرب بأهلة صغيرة من النحاس ومثال ذلك مآذن مسجد سيدى أبو الحسن فى الجزائر(١٢)

كما كانت بعض المآذن فى المغرب تعلوها عمد حديدية مثبت بها بعض الكرات المختلفة الأحجام وكان يثبت فى قمة المئذنة المغربية صارى من حديد يعلق عليه راية بيضاء فى أوقات الصلاة(١٣) .

أما فى شرق العالم الإسلامى فقد تميزت المآذن فى الهند بأن أغلبها لا يعلوها هلال وإنما يعلوها عمود من المعدن عبارة عن أشكال كرات مختلفة الأحجام يعلوها قمة تشبه الحربة (مدببة)(١٤)

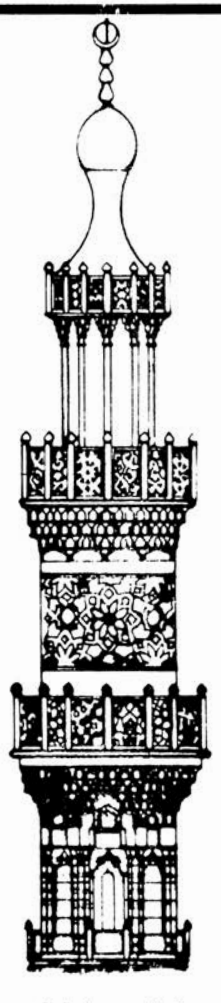

شكل (٤)
مئذنة مدرسة أبوبكر مزهر بالحسينية بالقاهرة يعلوها هلال نحاسى (٨٩٣ هـ)

وقبل العصر المملوكى بنحو أربعين عاما فقط كانت مئذنة الجامع الكبير – فى صنعاء باليمن التى أعيد بناءها فى عهد الأمير علم الدين بن وردسار (٦٠٩هـ) كان تعلوها سفينة صغيرة(١٠)

(١٠)د/ محمود إبراهيم حسين – المآذن اليمنية – دراسة أثرية فنية ص ١٦ القاهرة ١٩٩١

(١١) د/ كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر . القاهرة ١٩٨٧ . ص ٢١ .

(١٢) Rachid Bourpia: Art Religieux Muslman En Elgerie, Elgerie 1973 - p - 152

(١٣) د/ محمد محمد الكحلاوى : العمارة الإسلامية فى المغرب الإسلامى – عمائر الموحدين الدينية فى المغرب . رسالة دكتوراه غير منشورة – جامعة القاهرة ١٩٨٦م ص ٤٣٧

(١٤) Waltkuluren Und Baukunst: islamisches indian. Berlin 1969 - p - 102: 12

ظاهرة التجاوز في بناء الفكر

الجزء الأخير

الدكتور/ عبد الله مبروك النجار (*)

ثانياً – مظاهر التجاوز فى البناء الفكرى :

ولنا بعد بيان تلك المبادىء العامة . أن نتساءل عن مدى التزام بعض الكتاب بها ؟ ومدى تطابق ما يكتب على الساحة معها ؟. وما مدى خروج بعض الكتاب على مقتضياتها من واقع ما ينشر ؟

.. إن الإجابة على تلك التساؤلات هى التى سوف تجلى تلك الظاهرة التى لفتت الانتباه فى الوقت الحاضر ، من خلال بعض الكتابات التى تنشر على الناس هنا أو هناك ، والتى بلغت من شدة خروجها على قيم الكتابة ومبادئها درجة تجعلها حرية بمسمى « الانفلات » فهى فى واقع الأمر انفلات من الضوابط التى تجسد أمانة الكلمة ، بل هى شرود عن القيم التى يجب أن تحترمها صناعة البيان ومهنة الكتابة ، فإذا ما استباح كاتب لنفسه أن يتناول بالتشويه أو التحريف تعاليم الدين ، أو أن يكتب كلاماً يستحث فى فهم من يقرؤه التحرر من الالتزام بتلك الأحكام أو يشجعه على تركها ، والاحتكام لغيرها مما يروج له بعض أولئك الكتاب من أفكار تجافى جوهر الدين وتناقض أحكامه ؛ يكون بهذا المسلك قد خالف القيم والمواثيق التى تحكم شرف الكلمة بصفة عامة ، والمعدة للنشر بصفة خاصة .

التعامل مع الأفكار لا مع الأشخاص :

ونحن إذ نستعـــرض من خلال بعض الكتابات التى نشرت فى بعض وسائل النشر الدورية المكتوبة . ملامح ظاهرة التجاوز التى نتحدث عنها . فإننا لا نتعامل مع أشخاص أصحاب تلك المقالات ، وإنما نتعامل مع الفكرة مجردة عن أصحابها ، ليكون نقاشنا لتلك الأفكار ، ونقدنا لهذه الآراء ، لاسيما

(*) الكاتب أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون القانون الخاص – جامعة الأزهر .

التى تتضمن أفكاراً تمس جماعة أو فئة . أو قطاعاً من الناس ، فى مصالحها أو حقوقها أو مشاعرها .

وقد استقر الفهم القانونى ، وأيده التطبيق القضائى – وهو لا يخرج عما قررته الشريعة الإسلامية الغراء فى هذا الصدد – على أن أفكار الإنسان ملك له ، ما لم يعبر عنها ، مصداقاً لحديث النبى ﷺ : « **إن الله – سبحانه وتعالى – تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به** »[1] فإذا عبر عنها ، فإنها تنفصل عن شخصه ، وتخرج من نطاق الحماية المكفولة له ، فلا يمتنع نقده ، ومناقشة رأيه بغية إبراز ما فيه من عيب وخطأ ، بحيث يجوز نقد أفكاره وردها ، بل ورفضها ، دون أن يعنى ذلك أى مساس بشخص صاحبها ، أو سبًّا له ، أو نيلًا من منزلته بين قومه ، ولهذا أباحت الشريعة الإسلامية ذم الوضاعين والكذابين على رسول الله – ﷺ – وفضح أمرهم حتى لا يغتر الناس بأقوالهم ، حماية للدين وحفظاً للسنة المطهرة ، ورعاية لحرمة العلم الشرعى ، ولم يعتبر ذلك من قبيل الغيبة المحرمة ، بل من باب الدفاع عن الشريعة الإسلامية المكرمة[2].

قانون تنظيم الأزهر يوجب التصحيح والرد :

ومن هذا المنطلق الشرعى السليم ، أوجب القرار الجمهورى رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥، الصادر باللائحة التنفيذية للقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، بشأن إعادة تنظيم الأزهر ، والهيئات التى يشملها : « على الأزهر بحكم اختصاصه – ومن خلال مجمع البحوث الإسلامية – أن يتتبع كل ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامى من بحوث ودراسات للانتفاع بما فيها من رأى صحيح ، أو مواجهتها بالتصحيح والرد ، وقد قررت ذلك المادة (١٧، فقرة ٧) من القرار الجمهورى المذكور »[3].

محكمة النقض تحدد موجبات النقد العلمى :

كما يجيىء فى هذا الإطار أيضاً ما قررته محكمة النقض فى عدد من أحكامها ، انتهت فيها إلى أن نقد أفكار الإنسان من المباحثات التى يقتضيها الارتقاء بالمستوى العلمى ، وأن نقد أفكار الإنسان وكتاباته لا يعد مكوناً لواقعة (السب) طالما التزم الناقد حدود الرأى المنشور ولم يتطرق إلى شخص صاحبه[4]..

.. ونحن بدورنا ومن هذا المنطلق القانونى ، والقضائى ، وما يقتضيه الواجب الشرعى ، نتناول تلك الظاهرة – ظاهرة التجاوز فى البناء الفكرى – بالرصد والتحليل والرد بغية كشف أبعادها ، وتحذير القارىء من مخاطرها ، وفى

---

(١) صحيح البخارى – جـ ٥ – ص ١١٦ كتاب العتق ، والحديث متفق على صحته ، راجع : شرح السنة للبغوى ص ١١١ .

(٢) سبل السلام – للصنعانى – جـ ٤ – ص ٣٨٢ .

(٣) جاء هذا النص تطبيقاً للمادة ٢٥ من القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ . والتى تقضى باختصاص مجمع البحوث الإسلامية فى نطاق أغراض الأزهر ، بكل ما يتصل بالنشر والترجمة والتأليف .. الخ ..

(٤) حكم محكمة النقض بتاريخ ١٩٣٢/١/٤ ، مجموعة أحكام النقض س ٢ ق٣١١ ، ص ٣٧٩ ، وبتاريخ ١٩٦٥/١١/٢ ، المجموعة ، س ١٦ ، ق ١٤٩ ، ٧٨٧

النهاية تقويمها فى اطار البحث العلمى المجرد وعلى ضوء أحكام الشريعة الإسلامية ، والكتابات التى تجسد تلك الظاهرة كثيرة .. لكننا نختار منها أنموذجاً نجد فيه الكفاية لإبراز ملامح تلك الدراسة .

سلطة النص فى مواجهة العقل :

وفى هذا الصدد يجيىء بحث لكاتب فى إحدى المجلات عن « التراث بين الاستخدام النفعى والقراءة العلمية وسلطة النص فى مواجهة العقل » ، والكلام الوارد تحت هذا المسمى ، لا يستقيم من الناحية العلمية المجردة تسميته « بحثاً علمياً » لأن البحث العلمى يجب أن يكون محكوماً بغاية مشروعة ونبيلة يتوخى الوصول إليها فى موضوعية وتجرد ، وهذا ما لا يمكن إدراكه بسهولة من خلال ما كتبه الكاتب ، حيث لا يعدو أن يكون مجرد أفكار له .. أو خواطر خاصة به ، تعبر عن موقفه من النصوص الدينية بصفة عامة ، والتراث الإسلامى بصفة خاصة ، كما يكشف عن ولاء فكرى للغرب وما حققه من تقدم فى مجال العلم والصناعة ، وينص ـ بعد أن هجر النصوص الدينية ـ على «ترك العنان للعقل ليقرر ما يراه» وهو غاضب على المجتمعات الإسلامية لأنها لم تنح منحى الغرب فى ترك النقول الدينية التى اعتبرها عائقاً دون التقدم ، ولا تتفق فى نظره مع الحضارة ، وقرر أن ذلك سبب تخلفها وتبعيتها للغرب . ومجمل ما قرره الكاتب يمكن أن يفهمه منه القارىء بسهولة .. أنه يمثل دعوة للتحرر من أحكام التشريع ، وطمس الهوية الإسلامية ، والعربية ، وتسهيل تبريرات التبعية للغرب ، وذلك بالإضافة إلى ما يعكسه ذلك المفهوم من مساس بالمشاعر الدينية . وقيم الإيمان بما يمثلانه من قوة فى بناء الأمة ورفعة شأنها وبقاء وجودها ، ذلك ما يمكن فهمه من بحث الكاتب إجمالًا ، أما تفصيلًا فيمكن استجلاؤها فيما يلى . مع الأخذ فى الاعتبار أننا سنسميه فى ثنايا تلك الدراسة بحثاً مع افتقاره لمقومات البحث فى شكله ومضمونه ، وذلك على سبيل التجوز . وتغليباً لجانب حسن النية فى قصده مما كتب .

(١) الكاتب يفترض تناقضاً بين الدين والحياة :

وقد جاء هذا الافتراض المتوهم فى بحث الكاتب من خلال ربطه بين التراث والإسلام من وجهة نظره ، وقوله إنهما ضد المستقبل ، فيقول : « إذا كان التقدم يشير إلى المستقبل ، فإن التراث يشير إلى الماضى ويدل على السكون والجمود . كأن العربى قد كتب عليه دون البشر عامة أن تسير قدماه إلى الأمام بينما تلتفت رأسه إلى الخلف ، فلا هو يحقق التقدم ، ولا هو يقنع بالحياة التى ورثها عن الأسلاف » ، ثم يقول : « لقد تحول التراث الذى تم اختزاله فى الإسلام إلى هوية يمثل التخلى عنها وقوعاً فى العدمية ، وتعرضاً للضياع ، وصار معبراً عن عراقتنا وأصالتنا فى تاريخ الوجود الإنسانى ، فى حين أصبح التَّقدم مرتهناً بالعلم وما أنجزه العقل البشرى فى مجال العلوم ، وهو ما يعنى أن نتعلم من غيرنا الذين سبقونا ، وعرفناهم غازين محتلين لأوطاننا » .

وهذا القول ينطوى على مغالطات واضحة ، ويتضمن أخطاء جسيمة ، فالتناقض بين دين الله

والحياة لا يتصور وجوده فى تفكير معتدل ، وهو بعيد عن الحقيقة تماماً ، لأن من له أدنى إلمام بمبادىء دين الله يمكن أن يلمس مدى اهتمام الإسلام بالحياة والمستقبل دون أن يجعل ذلك على حساب الدين ، وإنما يسير على النحو الذى يحقق سعادة الدنيا والآخرة ، يدرك هذا من يتأمل قول الله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٥) ، حيث نجد الموازنة عادلة بين الدنيا والآخرة ، ومن يفهم أن الدين ضد الدنيا لا يفهم الإسلام على وجهه الصحيح ، يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٦) فالآية الكريمة لا تمنع من الاستمتاع بطيبات الحياة ، واتخاذ الأسباب المشروعة التى توصل إلى ذلك الاستمتاع بالعلم والعمل ، وموقف الإسلام من الاهتمام بالعلم لا ينكره إلا جاحد ، وقد فهم ابن عمر هذا المزج بين الدنيا والدين فى التشريع ، فجاء الأثر عنه معبراً فى قوله : « **احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا** »(٧).

ثم إن الكاتب يعاير المسلمين بتفوق الأوروبيين فى مجال العلوم ، ويبرر تقدمهم ببعدهم عن الدين ، ويدعو المسلمين ليحذوا حذوهم ، متناسياً أن أوربا لم تصل إلى ما وصلت إليه الآن إلا بفضل علماء المسلمين فى مجال العلوم الطبيعية والدنيوية ، وقد كان الأولى به أن يستنهض فى قومه أحكام الإسلام التى تدعو إلى الأخذ بأسباب العزة والتقدم .

(٢) التشكيك فى أصالة التشريع الإسلامى :

ثم يقول الكاتب عن القرآن الكريم « إنه قد استوعب النصوص السابقة ويطرح نفسه نصاً شاملًا » ، ولا يخفى ما ينطوى عليه ذلك القول من مغالطة تصوير الإسلام على أنه مجرد ثقافة شأنها شأن أى ثقافة وضعية يمكن التعامل معها قبولًا ورفضاً ، ومن ثم يمكن تجريده مما هو عليه من القداسة .

(٣) الادعاء بمقولة « المرحلة التاريخية » :

ولعل أخطر ما يمكن أن يفهم مما كتبه ، ادعاءه بأن الإسلام مجرد مرحلة تاريخية أضيفت لرصيد الحضارة الإنسانية ، وينبغى فهمها فى سياقها الزمانى والمكانى كمرحلة مسبوقة يمكن أن يرد عليها ما ورد على ما سبقها .

وهذا كلام يرمى إلى عزل الإسلام عن قدسية العقيدة ليسهل ترك الانقياد له والعمل بأحكامه ، كما قد يفهم أنه يعارض ماهو معلوم من الدين بالضرورة ؟ إن الإسلام خاتم الأديان ، وإن نبى الإسلام ـ محمد ﷺ ـ هو خاتم النبيين . وهو فكر ينقضه القرآن ، قال تعالى :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾(٨). وقال

(٥) سورة القصص ـ آية ٧٧ .

(٦) سورة الأعراف ـ آية ٣٢ .

(٧) نقله القرطبى فى تفسيره ، راجع : جـ ١٣ ـ ص ٣١٤ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٨) سورة الأحزاب ـ آية ٤٠ .

صلى الله عليه وسلم : « **مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى داراً ، فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فيها ، فكان من دخلها فنظر إليها قال : ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة ، فأنا موضع اللبنة ، ختم بى الأنبياء** »(٩) . وقال عليه الصلاة والسلام : « أنا العاقب فلا نبى بعدى »(١٠). وهذا الهدى النبوى يدل على خلود التشريع الإسلامى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأنه لن يأتى بعده دين ، ولن يكون بعد هذا النبى - ﷺ - رسول يشرع ، فقد أكمل الله به الدين وأتم النعمة .

(٤) إنكار دور السنة فى التشريع :

وفى الوقت الذى ينص فيه ذلك الكاتب على أن الدين هو ما يراه الناس أسلوباً لحياتهم فى الحاضر ، (يُعرِّف) السُنَّة النبوية بما يجعلها تؤدى هذا الدور ، ولكن فى سياق الماضى كسنن الأولين ، أى سيرتهم الماضية .

وهو بهذا المفهوم الخاطىء يسعى إلى تهميش دور « السنة النبوية » ويقطع صلتها بالحاضر ، بل ويقطع صلتها بالتشريع الإسلامى كمصدر أساسى من مصادره المقطوع بحجيتها .

.. كما يحاول فى موضع آخر مما كتبه أن يقسم السنة النبوية إلى ما أسماه بسنة الوحى وسنة العبادات : « التى تندرج سنة فى سياق الوجود الاجتماعى للشخص التاريخى » ، فمن هو الشخص التاريخى الذى تندرج سنة العادات فى سياق وجوده الاجتماعى ؟ ، ثم يقول : « وقد تم توسيع نطاق السنة ليشمل الأقوال كلها والأفعال كلها والمواقعات كلها الصريحة والضمنية على أنماط السلوك والممارسات الحياتية فى عصر النبوة وذلك بفضل الشافعى » ، والبحث هنا يحاول إفهام القارىء بأن السنة ليست كلها ذات حجية ، لأن جزءاً منها . لم يكتسب تلك السمة بالوحى وإنما بفضل جهد فقيه ، هو الإمام الشافعى ، ومن ثم فلا حرج من تنحية هذا الجزء من السنة عند الاحتكام إليه . إذ ليس كل مسلم ملزم بما يراه فقيه معين .

وغنى عن البيان ما فى ذلك الزعم من مخالفة الفقهاء والأصوليين فى تعريف السنة النبوية بأنها « ما أثر عن النبى - ﷺ - من قول أو فعل أو تقرير »(١١).

(٥) زعم الصراع بين النقل والعقل :

كذلك يزعم الكاتب وجود صراع مستمر بين النقل والعقل . حيث يقول : « ومنذ عصر التدوين صارت النصوص هى المسيطرة ، وهو ما يعنى أن الماضى هو الذى يصوغ الحاضر دائماً لأن الحاضر يتجه إلى الأسوأ .. وهذا ينافى العقل الذى يهتم بالواقع والحركة والصيرورة ، وقد حسم الصراع لصالح النقل ضد العقل » .

وليس من شك فى أن العقل السوى المجرد عن الهوى والغرض لا يصادم الدين أبداً ، لأن العقل أداة الإيمان بالله - عز وجل - ولا يكون الإيمان إلا بالنظر العقلى الصحيح .

---

(٩) أخرجه الطيالسى ورواه البخارى ومسلم والترمذى بنحوه ، راجع ابن كثير مختصر التفسير ، جـ٣ ، ص ١٠٠ .

(١٠) أخرجه البخارى ومسلم عن طريق الزهرى .. ابن كثير المرجع نفسه .

(١١) مبادىء الفقه الإسلامى للدكتور يوسف قاسم ، دار النهضة العربية - ص ١٨٩ .

والذيـن تتصور عقـولهم مثـل هذا الصراع لا يريدون الاحتكام إلى قوانين السماء ، وإنما يريدون أن يكون لهم عالمهم الخاص الذى تسود فيه أفكارهم ويتصرفون فيه على هواهـم دون ضابط من حكم أو رابط من تشريع .

(٦) الطعن فى مبدأ الشورى :

ولم يسلم مبدأ الشورى فى الإسلام من تحامل فكر الكاتب ، بما يُفهم منه التشكيك فى قواعد الإسلام ومبادئه ، وبذلك تكتمل دائرة التشكيك لديه لتشمل المبدأ والذين طبقوه .

ثم يقول عن القاعدة الفقهية المشهورة : « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » إنها مبـدأ إسلامى يقرر الركود الاجتماعى مهما كان الثمن ، ويجعـل الانقـلاب العسكـــرى أساس تداول السلطة ، وظلت كل سلطة انقلابية جديدة تحاول تعزيز مشروعيتها بالاستناد إلى التراث والماضى» وهذا فهم خاطـىء ، لأن القاعـدة الفقهيـة ، لا تعدو أن تكون تأصيلًا يندرج تحته فروع فقهية كثيرة ، ولـيس منها ذلك المثـل الـذى فهمـه الكاتب ، بل وليس لها صلة بالركود الاجتماعى والانقلاب العسكرى الذى يقوله .

(٧) ترديد إساءات المستشرقين :

كذلك ينقل عن المستشرقين نقلًا غير واع ، ويقتبس من أقوالهم ما يُسيىء إلى مشاعر المسلمين الدينية ، دون أن يعنى بنقدها أو بيان الكذب الذى تتضمنه ، بل الأدهى والأمر أنه يتعجب لعدم تقبل المسلمين لتـلك المقـولات الكاذبـة الضالة ، ولا يخفى ما ينطوى على ذلك المسلك من الإساءة للإسلام والتجنى عليه .

(٨) أخطاء ومغالطات بالجملة :

وفيما ذهب الكـاتب يبلـغ التعصب ضد الإسلام مداه ، حين يستعـــدى على الإسلام خصومـه ويعيب عليهم أسلـوب المهادنـة فى مواجهتـه ، والحق إن التجـاوز الفكـرى ضد الإسلام يعد بالجملة فى بحثه ، ولولا ضيق المقام لأفردنا فى الرد عليه الصفحات الطوال .

إذ أن عظمة الإسلام أنه لا يضيق ذرعاً بالمعاندين بل يشتد ويقوى إذا أثير أو اعتدى عليه ، وكم من متربص بالإسلام سعى ـ منذ القدم ـ للقضاء عليه فذهب مع الذاهبين ، والإسلام قائم ـ بحفظ الله ـ تعالى ـ إلى أن يرث الله الأرض ومـن عليها .. ينشر تعـاليمه وترتفع ألويته خفاقة فى ربوع الدنيا ، لأنه جاء ليعايش حركة الإنسان ولا ينعزل عنها ، جاء ليحقق عزة الإنسان وأمنه فى الدنيا والآخرة .

وبعد ، فقـد كانت تلك الـدراسة العلميـة رصْداً موضوعياً لظاهرة التجاوز التـى بدأت تظهـر على صفحـات بعض قنـوات الـنشر ، وبالرجـوع إلى ما استهلت به ، نجد أن تلك الظاهرة تمثل خروجاً سافراً على الضوابط التى يجب على كل صاحب قلم أن يلتزم حدودها خاصة ، وأن تلك الحدود ، لم تكـن وضعيـة فنشكك فى جدواها أو فائدتها للناس جميعاً . ولكنها من وضع الواحد الأحـد الـذى خلـق فسوى ، وقدر فهدى ، والذى أحاط بكل شىء علماً ، والذى لا تنفعه طاعـة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، ومن ثم فإن جميع أحكامه لا تخرج عن نطاق المصلحة الحقة التى تثمر الخير للنـاس أجمعين ، ومـا أحرانـا باستلهـــام تلك المبادىء ، لتصحيح تلك التجاوزات ، والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ابن عطية : عبدالحق بن غالب الغرناطى أبومحمد، مفسر فقيه أندلسى عارف بالأحكام والحديث، وله تفسير بعنوان : « المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز » مطبوع فى خمسة عشر مجلدا بدولة قطر .

يقول العلامة ابن تيمية : « تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشرى، وأصحُّ نقلا وبحثا، وأبعد عن البدع ، بل هو خير منه بكثير بل لعله أرجح هذه التفاسير » .

أما ابن خلدون فيقول عنه : لما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص، جاء أبومحمد عبدالحق بن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها .

الإمام ابن عطية

بين التفسير والتأويل

بقلم

د/عبدالفتاح أبوسنة (*)

أما من يقرأ عبارة ابن تيمية بتمامها التى جاءت فى كتابه « مقدمة فى أصول التفسير » ص ٢٣ يدرك أنه يغمز ابن عطية بالاعتزال، لكنه يخفف اعتزاله، ويجعله أقرب إلى أهل السنة بالنسبة إلى الزمخشرى ، فهو قرب نسبى ، لكن شيخ الإسلام ابن حجر المتوفى سنة ٩٧٣ هـ حين سئل : هل فى تفسير ابن عطية اعتزال ؟ فكان جوابه : نعم فيه شىء كثير « انظر فتاوى ابن حجر » .

فاصلة بين التفسير والتأويل

التفسير : كشف المغلق من المراد باللفظ، وقد استعمل القرآن الكريم مادة التفسير بهذا المعنى من الكشف والإبانة فقال:

« وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا » الفرقان ــ ٣٣ فهو إذن كشف وبيان عن مراد الله تعالى ، وهو لا يكون إلا إذا ورد عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه ــ رضوان الله عليهم ــ الذين شهدوا نزول الوحى عليه، وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وخالطوا

* الكاتب : عضو المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

رسول الله ﷺ ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معانيه .

ويفضل « التهانوى » تعريف التفسير بقوله : إنه علم نزول الآيات وشئونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها ، وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها(١) .

قلت : ولا يفوتك أيها القارىء الكريم أن علم الرسم وعلم القراءات داخلان فى التعريف. وكيف يخرجان عنه وعلم الرسم توقيفى .

أما القراءات فهى : ألفاظ القرآن الكريم فمن أمثلة علم الرسم ترى فى سورة الحاقة عند قوله تعالى : « إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ » كتبت (**طغا**) بالألف وفى سورة طه : « اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ » كتبت « **طغى** » بالياء، وما يترتب على ذلك من الإمالة وعدمها عند أئمة القراءة، والفرق بين طغيان الماء الذى لا عقل له، وطغيان الإنسان المكلف بمقتضى العقل، وحساب هذا والتجاوز عن ذاك عند الله ــ تعالى .

ومن أمثلة القراءات : قوله تعالى : « وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ » البقرة ٢٢٢ بالتخفيف والتشديد وما يترتب على القراءتين من أحكام فقهية .

● أما لفظ التأويل فيدور استعماله بين معنيين لا ثالث لهما . فاشتقاقه إما من « الأول » بمعنى الرجوع والعودة والعاقبة ، وإما من تفسير الكلام وتبين معناه . يقول البغوى : التأويل هو صرف الآية « يعنى من معناها الظاهر القريب الى معنى محتمل موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط(٢) .

ويضع الراغب الأصفهانى التأويل فى دائرة التفسير فيقول : والتفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله فى الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل فى المعانى .

ويقول العلامة الخروبى صاحب تفسير « رياض الأزهار وكنز الأسرار » :

وكما أن للتأويل أصلا أصيلا فى القرآن، فقد أقرته السنة النبوية الشريفة أيضا .

ثم يورد حديثا للنبى ﷺ : « **للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع** »(٣) ثم يعلق الخروبى على ذلك قائلا : وقد يكون الظهر هو اللفظ ، والبطن التأويل ... وقد يكون الظهر ما ظهر لأهل العلم من المعانى، والبطن ما تضمنته من الأسرار التى أطلع الله عليها أهل الحقائق(٤) .

ويؤكد الخروبى أن الصحابة قد فسروا القرآن تفسيراً إشارياً ، لأنهم فهموا من الكتاب ما لم يدركه غيرهم، فهم الذين شاهدوا التنزيل، وعايشوا الرسول، واللغة لغتهم، واللسان لسانهم،

(١) الإتقان للسيوطى : ٢٢٢/٢

(٢) راجع تفسير البغوى : ١٨/١ ط المنار

(٣) الحديث أخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه .

(٤) رسالة دكتوراه بقسم أصول الدين بكلية الدراسات . د. عبدالفتاح أبوسنة

وفقهوا فى دين الله كل الفقه حتى جعلوا للقرآن وجوها .

كما جاء فى الأثر عن ابن عباس — رضى الله عنهما : « القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه » وقوله : ذو وجوه يعنى أنه يحتمل من التفسير والمعانى بسبب إيجاز عبارته واتساعها، وتوجه آياته للبشرية جميعها فى كل عصر ومصر، أما حمله على أحسن وجوهه فيراد به تفسيره وتأويله على أحسن المعانى المحتملة .

ويلخص البرهان الزركشى معنى التفسير والتأويل فى عبارة موجزة بليغة فيقول : التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية .

المنهج العلمى فى تفسير ابن عطية

تفسير ابن عطية ذو منهج علمى قويم يسرد فيه التفسير بحسب رتبة اللفظ القرآنى من حكم شرعى أو شاهد نحوى أو لغة أو معنى أو قراءة، موردا جميع القراءات : متواترها وشاذها قدر استطاعته، ويكاد يتلخص منهجه فى مقولة لابن حيان الأندلسى النحوى فى كتابه « البحر المحيط » :

« كتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص »

ويقول عنه العلامة ابن تيمية : « وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة » .

ويقول عنه العلامة الخروبى : « وأعتمد فى التفسير على كتاب ابن عطية — رحمة الله تعالى — والقاعدة فى كتابى أن أجعل العين المهملة رمزا للإمام ابن عطية » أهـ .

كما يقول الثعالبى صاحب التفسير المرسوم : بالجواهر الحسان فى تفسير القرآن فى مقدمة كتابه : فإنى جمعت لنفسى ولك فى هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عينى وعينك. فقد ضمنته بحمدالله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية .

قلت : ومن منهج ابن عطية **أنه ينأى بتفسيره عن الاسرائيليات** بذكاء شديد فهو يسقط القصص التى ملأت كتب المفسرين قبله . وتلك نقطة تحسب له دون من سبقوه، وهى نقطة جديرة بالنظر والتقدير فإذا ذكر قصة منها رواها بصيغة التضعيف، وقد يُظهر ما فيها من زيف، وقد عرف العلماء لابن عطية هذا الفضل وقدروه حق قدره . **نعم هو ينقل آراء السابقين، ويعتمد على المأثور فى التفسير . وأول الآثار التى ينقلها هى الأحاديث النبوية، ثم أقوال الصحابة والتابعين وكبار العلماء المعروفين . ثم يبدى رأيه فى كثير من المواقف معتمدا على جهده وعلمه فى الاختيار أو الترجيح أو التوفيق بين الآراء المختلفة، ويظهر ذلك جليا فى اعتماده على اللغة والمنطق والعقل، كما يتجلى جهده وعلمه فى الرأى الجديد الذى يخرج به مخالفا للمفسرين قبله .**

ومن منهج ابن عطية أنه يميل إلى تضييق المجاز فى القرآن ويحرص على التزام الحقيقة فى كل لفظة يمكن حملها عليها ، فلا داعى عنده لإخراجها عن ذلك إلى ميدان التجوز . مع أنه يلجأ للاستعارة والتشبيه كثيرا مع خلطه بينهما أحيانا .

كما أنه يكثر — رحمه الله تعالى — من ذكر الاحتمالات التى يمكن حمل الآية عليها، فيكون تفسيره جامعا بين المأثور والرأى إلا أن الرأى الذى

فى تفسيره ليس رأيا مطلقا، بل هو رأى مقيد بدائرة المأثور .

ومن أجمل ما قرأت له محاولاته النابهة حين يذكر الأقوال المختلفة عند تفسير الآية : محاولة التوفيق بين هذه الأقوال : إما برجعها إلى معنى واحد للإشارة إلى أن الاختلاف بينها من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد، وإما بقوله : ان هذه الأقوال ذكرت فى الآية على سبيل المثال لا الحصر .

وينحو ابن عطية منحى يتجه فيه إلى إعلان الحرب على التفسير الإشارى والقول بالرمز، ويعتبر هذا اللون من التفسير خروجا على قواعد اللغة وأصولها. وبذلك يكون قد أغلق الباب على المتأولين بحجة أنه يؤدى بهم إلى تحريف الكلم عن مواضعه، مع علمه بما لهم من الأسانيد القائمة على الكتاب والسنة والإجماع . ذلك ما حدا بى إلى أن أقول فى موضع من « رسالة الدكتوراه » : إن غلق باب التأويل عند ابن عطية ومن جرى على نهجه بحجة أن ذلك يجر إلى « التحريف » بنوا رأيهم على قاعدة : « سد الذرائع » وهى من الأصول المقررة عند جميع الأئمة وأن الذريعة تعطى حكم ما هى ذريعة إليه . قلت : من الذرائع ما ألغى الشرع اعتباره، وما ألغاه الشرع فلا يصح للناس اعتباره، فإن ذلك يكون تشريعا لما لم يشرعه الله — تعالى — إذ ليس لأحد أن يقول : يحرم زرع العنب والنخيل وسائر ما يتخذ منه من الأشربة المحرمة سداً لذريعة اتخاذها ، فإن ذلك يكون تحريما لما أحل الله من زرع هذه الأشياء . وعليه فليس لابن عطية ومن شايعه أن يحظر التأويل . لأن « التحريف » من معانيه، فإن ذلك من غلبة الوهم ... الذى يتنزه عنه العلماء المنصفون .أهـ .

وما انتهيت من عبارتى حتى انبرى أحد أعضاء لجنة المناقشة الفضلاء — مشكوراً — فأوضح لى أن ابن عطية يقول بالرأى ويقر بالتأويل فى محرره الوجيز وقلت : لعل الشيخ ابن عطية لم تسعفه العبارة التى أراد أن يوضح بها فكرته أو أننى أسأت فهم مقصده . فعدت أقلب صفحات تفسيره لأكتب بحثا بالعنوان الذى صدرت به هذا المقال على أن أدعم ما كتبته ببعض الأمثلة التى جاءت فى تفسيره .

— عند قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾

أورد رحمة الله — تعالى — معظم أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين ثم قال : والصواب ما قاله الجمهور أن تفسر هذه الحروف ويلتمس لها التأويل، لأنا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظما لها ووضعا بدل الكلمات التى الحروف منها كقول الشاعر :

قلت لها : قفى فقالت : قاف . أراد قالت : وقفت وكقول القائل :

بالخير خيرات وإن شرا (فـــا)
ولا أريـــد الشر إلا أن (تـــا)

أراد : وإن شرا فشر، وأراد : إلا أن تشاء والشواهد فى هذا كثيرة فليس كونها فى القرآن مما تنكره العرب فى لغتها، فينبغى إذا كان من معهود كلام العرب أن يطلب تأويله ويلتمس وجهه .

— وعند قوله تعالى : « يخادعون الله » .

ذكر أقوال المفسرين وسماهم بالمتأولين، واستعار لفظ المتأولين للمفسرين فى معظم تفسيره لكنه عند قوله تعالى :

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

سورة البقرة

يقول ابن عطية : المرض عبارة مستعارة للفساد الذى فى عقائد هؤلاء المنافقين ، وذلك إما أن يكون شكا ، وإما جحدا بسبب حسدهم مع علمهم بصحة ما يجحدون . وبنحو هذا فسر المتأولون .

وكان ابن عطية كثيرا ما يحكم عقله فى ترجيح بعض الأقوال على بعض فعند قوله ـ تعالى ـ « **الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها** » يرجح ابن عطية أن السموات لا عمد لها ، ويستدل على ذلك بالدليل العقلى فيقول : والضمير فى قوله تعالى : « ترونها » قالت فرقة : هو عائد على السموات . فترونه ـ على هذا ـ فى موضع الحال . وقال جمهور الناس : لا عمد للسموات البتة . وقالت فرقة : الضمير عائد على العمد . فترونها ـ على هذا ـ صفة للعمد وقالت هذه الفرقة : للسموات عمد غير مرئية . قاله مجاهد وقتادة ، وقال ابن عباس : وما يدريك أنها بعمد لا ترى ؟

قال أبومحمد : (يعنى نفسه) : وهذا كله ضعيف والحق أنه لا عمد جملة إذا العمد تحتاج الى عمد ويتسلسل الأمر ، فلابد من وقوفه على القدرة وهذا هو الظاهر من قوله تعالى :

« وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ » الحج ـ ٦٥ ونحو هذا من الآيات(٥)

كما نرى ابن عطية يخرج أحيانا برأى جديد مخالف لأقوال المفسرين فعند قوله تعالى :

« يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ » آل عمران

يقول : القول عندى فى ذلك أن مريم أمرت بفصلين ومعلمين من معالم الصلاة، وهما : طول القيام والسجود وخصا بالذكر لشرفهما فى أركان الصلاة ولأن العبد يقرب فى وقت سجوده من الله تعالى ، وهذان يختصان بصلاتها مفردة، وإلا فمن يصلى وراء إمام فليس يقال له : أطل قيامك .

قلت : وهذا يقتضى أن من يؤم الناس فى الصلاة فليخفف .. للحديث ... ومن صلى وحده فليطول ما شاء .

وأكتفى بهذا القدر المتواضع من الأمثلة للتدليل على أن ابن عطية كان مفسرا ومؤولا ، وأن (محرره الوجيز) يفيض بالكثير من هذا اللون الذى وضع له شروطا تكون فى نظره على مراد الله قدر استطاعته . رحمه الله تعالى . ووفقنا جميعا للعمل بكتابه ولفهم محكمه والإيمان بمتشابهه، ووفقنا لاِحياء سنة نبيه المصطفى ورسوله المجتبى والحمد لله أولا وآخرا .

---

(٥) منهج ابن عطية فى تفسير القرآن الكريم د. عبدالوهاب فايد

النبى الرحمة

صلى الله عليه وسلم

للأستاذ / محمد زين العابدين العزازى

لم يجمع الله ــ سبحانه وتعالى ــ لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد جاء اسمه (محمد) ــ صلى الله عليه وسلّم ــ صريحا فى مواضع عدة من القرآن الكريم فى كل من : (آل عمران ، والأحزاب ومحمد) ــ صلى الله عليه وسلم ــ وورد اسمه ــ عليه الصلاة والسلام ــ (أحمد) بلفظه الكريم فى سورة (الصف) وكم من مدح له فى الكتاب العزيز ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

سورة التوبة

لقد امتن الله على المؤمنين بهذا النبى الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذى أخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وبرسالته الغراء إلى الناس كافة ، إنسهم وجنهم ، هذه الرسالة التى ستظل باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن هذا الامتنان والفضل العميم قوله سبحانـــــه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ . أى من حسبكم ونسبكم عربى قرشى مثلكم ، تعرفون حسبه ونسبه ، فليس غريبا عنكم ، ولا من جنس آخر لا تعرفونه ــ يقول المولى ــ سبحانه :

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

من سورة آل عمـــران ــ وفى قراءة ــ (من أَنْفَسكم) بفتح الفاء وهى : النفاسة ، أى من أشرفكم نسبا وأفضلكم حسبا ، وقد روى الإمام مسلم عن واثلة بن الأسقع ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

وفى رواية أخرى قوله : « فأنا خيار من خيار » .

وقد كان ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ بين

أهله وقومه قبل بعثته محبوبا سديد الرأى مرموقا ، حتى أطلقوا عليه « الأمين » لأمانته وعفته .

ويذكر المؤرخون أن عمه أبا طالب لما ذهب ليخطب السيدة خديجة للنبى – صلى الله عليه وسلم – قال فيما قال : « الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضىء مَعَدّ ، وعنصر مضر ، وجعلنا سدنة بيته ، وسواسى حرمه ، وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس – وإن ابنى هذا محمد بن عبدالله لا يوزن فتى إلا رجح .. وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل » .

وقد وصفه ربه – سبحانه وتعالى – « بالرءوف الرحيم » ، لأنه – عليه الصلاة والسلام – بلغ الدرجة القصوى فى الرأفة والرحمة ، حتى إن المشركين فى مكة لما آذوه بأنواع الإيذاء المختلفة ، ونالوا منه الكثير ، وضعوا سلا الجذور على ظهره الشريف وهو يصلى ، وألقوا القاذورات فى طريقه وعلى بابه ، وحاولوا خنقه وقتله ، كان عليه – أفضل الصلاة وأزكى السلام – يقول : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون »[1] .

وحينما ذهب إلى الطائف ، وشكا إلى الله – سبحانه وتعالى – ضعفه وقلة حيلته ، وهوانه على الناس ، قال : « إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى » فى تلك اللحظات العصيبة أرسل الله جبريل – عليه السلام – ومعه الملك الموكل بالجبال . فقال له جبريل : « إن الله تعالى أرسل اليك ملك الجبال لتأمره بما تريده وقال له ملك الجبال : (إن شئتَ أطبقت عليهم الأخشبين) – والأخشبان هما جبلا مكة المحيطان بها – فماذا قال نبى الرحمة وسيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه لملك الجبال ؟ قال : لا .. إنى لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به أحدا .. عند ذلك قال ملك الجبال (صدق من سَمَّاك الرءوف الرحيم)[2] ...

ومن مظاهر رحمته – صلى الله عليه وسلم – ، ما رواه عكرمة عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن أعرابيا جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسأله فأعطاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال الأعرابى : لا ولا أجملت ، فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه ، فأشار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنْ كُفُّوا فلما قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبلغ منزله دعا الأعرابى إلى البيت فقال : إنما جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت : ما قلت ، فزاده – صلى الله عليه وسلم – شيئا وقال : أحسنت إليك ؟ قال الأعرابى نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، قال النبى – صلى الله عليه وسلم – : إنك جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت وفى نفس أصحابى عليك من ذلك شيء . فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ذلك من صدورهم فقال : نعم . فلما جاء الأعرابى قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال . وإنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضى كذلك

(١) السيرة النبوية للدكتور محمد ابو شهيبة .

(٢) السيرة النبوية للدكتور محمد ابو شهيبة .

ياأعرابى ؟ . فقال الأعرابى : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : إن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل له ناقة فشردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا . فقال ــ لهم صاحب الناقة : خلوا بينى وبين ناقتى فأنا أرفق بها وأعلم . فتوجه إليها ، وأخذ لها من قشام الأرض ودعاها فاستجابت وشد عليها ، وإنى لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار(٣) .

وكان ــ عليه الصلاة والسلام ــ رحمة لجميع الخلق .

يقول ابن كثير : فمن قبل هذه الرحمة . وشكر هذه النعمة سعد فى الدنيا والآخرة . ومن جحدها خسر الدنيا والآخرة ، قال ابن عباس فى هذا : « من تبعه كان له رحمة فى الدنيا والآخرة ، ومن لم يتبعه ابتلى بما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف »(٤)

ولم تقتصر رحمته على الإنسان بل كان رحيما بالحيوان ، فكان يميل بيده الشريفة الإناء للهرة لتشرب ، ونهى نهيا شديدا عن تعذيب الحيوان ، بل لعن من اتخذ الحيوان غرضا .

فقال عليه السلام فى ذلك :« دخلت امرأة النار فى هرة حبستها لا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » ــ رواه الشيخان ــ .

وهكذا كان الرسول الكريم والنبى الرحيم . رءوفا رحيما حتى بالمشركين . ومن ذلك ما روى أن زيد بن سعنة جاءه قبل إسلامه يتقاضاه دينا عليه ، فجبذ ثوبه عن منكبه وأغلظ له فى القول ثم قال : إنكم يابنى عبد المطلب « مطل »(٥) فانتهزه سيدنا عمر وشدد له فى القول ، وسيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يبتسم ، ثم قال : « أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج ياعمر ، تأمرنى بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضى » ، ثم أمر عمر أن يقضيه ماله ، ويزيده عشرين صاعا لما روعه ، وقد كان هذا الموقف الفريد سببا فى إسلامه ، وبينما هو جالس مع أصحابه فى المسجد ، إذ دخل أعرابى فبال فى المسجد ، فغضب الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ وقاموا إليه فقال لهم النبى ــ صلوات الله وسلامه عليه : « دعوه حتى يتم ، وأهريقوا عليه ذنوبا من ماء »(٦) مرجع .

ومن رحمته بأمته تخفيفه وتسهيله ، وكراهته المواظبة على بعض السنن كالتراويح مخافة أن تفرض عليهم كما أنه عليه السلام كان يكره كثرة سؤالهم حتى لا يكون سببا فى تحريم ما سكت الله ــ تعالى ــ عنه رحمة بهم فصلوات ربى وتسليماته ورحمته وبركاته على هذا النبى العظيم ، الرءوف الرحيم ، نبى الرحمة وهادى الأمة ، وكاشف الغمة ، ونسأله ــ سبحانه ــ أن يملأ قلوبنا بأنوار عظمته وبجلال قدرته ، وأن ينير نفوسنا بمحبة سيد أنبيائه وأن يوفقنا إلى الاقتداء به ، والسير على منهاجه وسنته . فهو وحده الموفق والهادى إلى السبيل .

---

(٣) ــ (٤) ابن كثير

(٥) بضم الميم وسكون الطاء ، والمطل بفتح الميم : التسويف فى الدين .

(٦) السيرة النبوية للدكتور محمد ابو شهيبة .

خلق المسلم
على ضوء الكتاب والسنة

بقلم الدكتورة / فاطمة عمر نصيف (*)

مقدمة * *

الحمد لله الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى ، (وهديناه النجدين) ، أكْبَرَ الخلق الكريم وأعْظَمَ أمره ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ سورة الشمس

والصلاة والسلام على من بعثه ربه ليكون الأسوة الحسنى للإنسانية ، والقدوة العظمى لأهل الإيمان والإحسان ، وليكون الترجمة الصادقة لأخلاق القرآن ، فحوَّل الإيمان إلى عمل ، والفكرة إلى حركة ، والمبادىء إلى سلوك ، فأدى رسالة ربه (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) . فكان للأخلاق وبالأخلاق ، مستحقاً ثناء ربه (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) !! .

وبعد : فيتساءل كثير ممن يهمهم صلاح الأمة عن السبب فى أن الفساد يتزايد ، وأن الأخلاق الفاضلة تنهار ، مع كثرة الوعظ والإرشاد ، وكثرة الحديث عن الفضيلة ، وازدياد نشاط الدعاة إلى الخير من أفراد وجماعات !! .

وهذا الذى دعانى للبحث عن « الأخلاق » على ضوء الكتاب والسنة ، لأ تعرف على حقيقة المنهج الأخلاقى فى الإسلام الذى يختلف عن المناهج الوضعية لأنه من الله خالق الخلق ، العليم الخبير بما فيه صلاحهم وفلاحهم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ ؟! ! سورة الملك

ومن هنا ، عقدت العزم أن أعكف على دراسة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية بالتأمل والتدبر ، بعيداً عن الدراسات الأخلاقية ، للفلاسفة الإسلاميين وغيرهم ممن سبقهم أو جاء بعدهم ، رجاء أن أصل إلى تصور حقيقى صافٍ من النبع الأصيل : (الكتاب الكريم والسنة النبوية) دون سواهما .

---

* الكاتبة : أستاذ مشارك ـ قسم الدراسات الإسلامية ـ جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

* * اضطر التحرير بالمجلة إلى اختصار المقدمة فقط ليمكن القارىء من قراءة فصل كامل من البحث مع الإلمام بخطة الباحثة بدقة .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أمهد له ، بتعريف عام لمفهوم الأخلاق وتمييز الأخلاق عن غيرها من المسميات التى تداخلت معها حتى لا يختلط علينا ما ليس من قبيل الأخلاق بما هو منها ، ثم انتقلت إلى بيان مكانة الأخـلاق فى الكتاب والسنة . فاستعرضت كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستنطقت هذا الكم الهائل من النصوص التى شغلت الأخلاق فيها حيزاً عظيماً حتى إن سُوَراً بأكملها تكاد تكون حديثاً متصلاً عن الأخلاق ، ولا تكاد تخلو سورة واحدة من الحديث عنها والحث عليها والالتزام بها ، فجاءت الأخلاق متصلة اتصالاً وثيقاً بكل ما جاء فى القرآن من عقائد وعبادات ومعاملات وسائر جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

وكذلك أوضحت الفرق بين المنهج الأخلاق الإسلامى ، والمنهج الأخـلاق الوضعى ، فإن المنهج الإسلامى يقوم على أساس الإيمان بفضيلة الخلق الكريم ، من حيث هو كمال روحى للإنسان فى الدنيا ، وموجب لسعادته فى الأخرة ، فهو منهج روحى فى حقيقته ومقاصده ، لأن قيامه على أساس الإيمان ، يوجه الآخرين بآدابه ومبادئه إلى طلب الكمال النفسى والرقى الروحى ، ويمنعهم من الاتجاه إلى طلب المنافع الماديـــة والمآرب الشخصية ، ويطبعهم على الإيمان بفضائل هذه الأخلاق فى ذاتها .

وفى فصل مستقل تناولت أهم القيم التى تنهض عليها دعائم المجتمع الإسلامى مثل : « الإخاء » وما يتفرع عنه ، وما يحققه من ثمرات فى واقع الناس وحياتهم .

كذلك هناك قيمة لا غنى عنها لبناء أى مجتمع سليم ، تلك هى « الإنفـاق والإيثـار والبـذل والتضحية » التـى تضمـن التكافـل والتضامـن الاجتماعى ، إلى غير ذلك من القيم الثابتة ، وما تفرع من قيم ومبادىء عظيمة لابد منها لقيام المجتمع الفاضل .

ثم جاء دور الحديث عن « ضوابط هذا المنهاج وآثاره » . ذلك أن الشريعة تعتبر « الأخـلاق الفاضلة » أولى الدعائم التى يقوم عليها المجتمع ، ولهذا وضعت من النظم والعقوبات الصارمة ما يكفل حمايتها وعدم المساس بها ، وإن الأساس الذى قامت عليه العقوبات الشرعية هو حماية الفضيلة ومحاربة الرذيلة .

ثم ختمت بحثى بعرض الخطـوات العمليـة لاكتساب مكارم الأخلاق لعلها تكون مشاعل على طريق المسلم للتخلق بأخلاق القرآن ، وهى فى جملتها غيض من فيض من بحر التـوجيهات القرآنية والنبوية ، وإن كان أهمها فى نظرى هو التربية الخلقية بالقدوة فقد عُنِىَ القرآن الكريم أيما عناية بالتربية عن طريق القدوة الحسنة ، ذلك أن المبـادىء الساميـة الرفيعـة مهمـا كانت باهـرة جذابة ، لا يكون لها تأثيرها الفعال إلا إذا تحولت إلى حقيقة تتحـرك ، أو إلى بشر يترجـم عنها بأفعالـه ، وتتـجسم فى تصرفاتـه وسلوكنـه ، ومشاعره وأفكاره . ومن أجل ذلك كان الرسول ـ عليـه الصلاة والسلام ـ القـدوة الدائمـــة المتجددة على مر العصور وكر الأعوام

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب

هذه معالم البحث الذى أقدمت على دراسته

دراسة علمية تؤصل الموضوعات بالأدلة بعد تحقيقها وسبر أغوارها ومناقشتها .

وبعد فلعلى أكون قد شاركت فى مجال الدراسات الإسلامية ببحث متواضع ينفع الله به أبناء الأمة الإسلامية .

والله ولى التوفيق ،،،

الفصل الأول: مفهوم الأخلاق

تعريف الأخلاق :

الأخلاق لغة : جمع خُلق . والخُلق ـ بسكون اللام وضمها : السجّية . وفلان يتخلّق بغير خلقه أى يتكلفه[1] .

والخلق : حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية . وفى التنزيل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] . والخُلْق والخُلُق : السجّية وهو الدين والطبع . وفى حديث عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن خلقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت[3] : كان خلقه القرآن ، أى كان متمسكاً به وبآدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف[4] .

والخَلْقُ والخُلْق فى الأصل واحد كالشَّرْب والشُّرْبْ لكن خص الْخَلْقُ بالهيئات والأشكال المدركة بالبصر . وخص الخُلُق بالهيئات والأشكال المدركة بالبصيرة . والخَلَاق بضبط ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخُلُقه[5] . قال تعالى ﴿ وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾[6] .

قال مقداد يالجن[7] : (الخلق فى الأساس هو الخلق بحسن التقدير والحكمة . ويشمل الخلق على هيئة جميلة . ومن هنا استعمل للسلوك على نهج مستقيم جميل) .

ومما تقدم يظهر واضحا أن الخلق فى اللغة هو : الطبع والسجية ، وهذا يدل على أنه من الصفات الطبيعية للإنسان على هيئة صحيحة مستقيمة متناسقة .

(١) الرازى ، محمد بن أبى بكر عبد القادر مختار الصحاح ، مادة خلق . دار الكتاب العربى ، بيروت دمشق ١٩٦٧ م .

(٢) سورة القلم ، آية ٤ .

(٣) الحاكم النيسابورى ، المستدرك ، ج ٢ ، ص ٦١٣ ، دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، (د . ت) .

(٤) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب ، مادة خلق ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

(٥) الراغب الاصفهانى ، القاسم الحسين بن محمد المفردات فى غريب القرآن ، ص ١٥٨ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

(٦) سورة البقرة ، آية ٢٠٠ .

(٧) الاتجاه الأخلاقى فى الإسلام ، ص ٣٤ ، مكتبة الخانجى ، ط ١ القاهرة ، ١٩٧٣ م .

معنى الخلق عند العلماء الإسلام :

ومن السلف[٨] من يعد الدين هو الأخلاق الكريمة ، لقوله ـ تبارك وتعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ أى على دين عظيم .

والخُلُق قد يكون غريزة ، وقد يكون تَخَلُّقاً ، ولكن استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية[٩] .

وقد قسم ابن مسكوية[١٠] الأخلاق إلى قسمين [منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذى يحركه أدنى شيء ، نحو غضب . ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب ، وربما يكون مبدؤه الفكر ، ثم يستمر عليه أولاً فأول حتى يصير ملكة أو خلقاً] .

يتضح من كل هذا تحديد معنى الأخلاق ، حتى نميز بين الأخلاق وغيرها من صفات النفس البشرية ، وبين الأخلاق التى هى مستقرة فى النفس « فطرية » وبين الأخلاق المكتسبة . فالأولى « خُلُق » والثانية « تخلق » . والأُولَى تصدر عن السجايا والطبائع والغرائز الأصيلة الثابتة فى قرارة النفس ، ولكن ليس كل ما يصدر عن النفس يعد من الأخلاق الفطرية ، **بل إن منها غرائز ودوافع نفسية لا صلة لها بالأخلاق على الإطلاق . فليست الغرائز التى تعارف عليها علماء النفس كالأكل والشرب والميل للجنس الآخر ، والخوف من قبيل الأخلاق ، بل هى غرائز وداوفع مع أنها تصدر عن النفس استجابة لحاجة الجسم ، أو غرائز النفس الفطرية ، والذى يميزها عن الأخلاق هو آثارها فى السلوك للمدح أو الذم ، وبذلك يتميز الخلق عن الغريزة ذات المطالب المكافئة لحاجات الإنسان الفطرية ، ونستطيع قياس مستوى الخلق النفسى عن طريق آثاره فى سلوك الإنساس فالصفة الخلقية المستقرة فى النفس إذا كانت حميدة كانت آثارها حميدة ، وأن كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة[١١] .**

فالغرائز والدوافع النفسية لا تدخل فى باب الأخلاق ، ومن هنا خلط كثير من الباحثين بين مظاهر السلوك الإنسانى ، وبين السلوك الأخلاق ، وذلك لأنهم لا يملكون تحديداً واضحاً للأخلاق . ومن هنا اخطأ كثير من

(٨) القرطبى أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى ، الجامع لأحكام القرآن ، م ٩ ، ص ٢٢٧ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

ابن كثير الحافظ عماد الدين ابن الفداء إسماعيل ت ٧٧٤ هـ ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٤٠٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٦٩ م .

(٩) ابن حجر أحمد بن على العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ج ١ ، ص ٥٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، (د . ت) .

(١٠) أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب الرازى ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، ص ٥١ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط ٢ ١٩٧٨ م .

(١١) حبنكة عبد الرحمن الميدانى ، الأخلاق الإسلامية، ج ١، ص ٧ وما بعدها، دار القلم، دمشق ط ١ ، ١٩٧٩ م .

الباحثين أخطاء فادحة حين وضعوا السلوك الإنسانى فى باب الأخلاق ، بسبب عدم قدرتهم على التمييز الدقيق بين الأمرين .

ومن هنا اتضح لنا مدى أهمية التحديد الدقيق لمعنى الأخلاق ، حتى نميز بين الخلق والتخلق ، وبين الخلق المحمود والخلق المذموم ، وبين الغرائز والدوافع النفسية ، وبين الصفات الخلقية ، وبين الحكمة التى تضبط السلوك وتوجهه وفق مقتضى العقل السليم والدين القويم ، وبين الذكاء الذى يعنى القدرة على التكيف والتواؤم ، فلابد للباحث المدقق أن يميز بين هذه الأمور حتى لا يقع فى أخطاء فادحة فى موضوع الأخلاق .

وخلاصة القول من كل ما سبق أن للأخلاق ثلاثة معان بارزة :

الأول : الخلق : يدل على الصفات الطبيعية فى خلقه الإنسان الفطرية على هيئة مستقيمة متناسقة . وهذه هى الأخلاق الفطرية الطبيعية .

الثانى : تدل الأخلاق على الصفات التى اكتسبت ، وأصبحت كأنها خلقت مع طبيعته وهذه هى الأخلاق المكتسبة .

الثالث : إن للأخلاق جانبين : جانباً نفسياً باطنياً .
وجانباً سلوكياً ظاهراً .

فكل خلق فطرى أو مكتسب ، له ظواهر فى السلوك تدل عليه ، ولكنها دلالة ضمنية وليست قطعية ، فقد يمارس الإنسان سلوكاً ليس من طبيعته ، ولا من خلقه كما يفعل المنافقون ، وقد يكون تخلقاً وتطويعاً للنفس وترويضاً لها على مكارم الأخلاق ، فالعلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، والصبر بالتصبر .

إنه قد يجود الشحيح لغاية فى نفسه ، فيسمى العمل عطاء كريماً ، ولكن يظل صاحب هذا العطاء الكريم غير متصف بخلق الجود ، لأن خلقه الأصيل فى نفسه هو خلق الشح ، ويظل كذلك حتى يتحول بالتدريب والعادة فيكون جواداً فى نفسه ، وحتى يكتسب خلق الجود فيحل محل خلق الشح(١٢) .

مفهوم الأخلاق فى التصور الإسلامى :

إن مفهوم الأخلاق فى التصور الإسلامى ، والذى يقوم على مصادر المعرفة الإسلامية – وهى القرآن والسنة والمصادر التشريعية الأخرى – يتضح منها اتساع دائرة الأخلاق وشمولها ، ويبرز هذا الشمول فى ميدان الأخلاق والفضائل ، فالأخلاق الإسلامية ليست هى التى تعرف عند بعض الناس بالأخلاق الدينية التى تتمثل فى أداء الشعائر التعبدية واجتناب أكل لحم الخنزير وشرب الخمر ونحو ذلك لا غير .

إنها أخلاق تسع الحياة بكل جوانبها وكافة مجالاتها .

إن الأخلاق فى الإسلام لم تدع جانباً – من جوانب الحياة الإنسانية روحية أو جسمية ، دينية أو دنيوية ، عقلية أو عاطفية ، فردية أو اجتماعية –

---

(١٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣ .

إلا ورسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع ، فما فرقه الناس فى مجال الأخلاق باسم الدين وباسم الفلسفة ، وباسم العرف أو المجتمع قد ضمه القانون الأخلاقى فى الإسلام فى تناسق وتكامل وزاد عليه(١٣) :

(ا) إن الإسلام وسط فى الأخلاق بين غلاة المثالين الذين تخيلو الإنسان مَلَكاً أو شبه مَلَكٍ ، فوضعوا له من القيم والآداب ما لا يمكن له ، وبين غلاة الواقعيين الذين حسبوه حيواناً أو كالحيوان . فالإنسان فى الإسلام مخلوق مركب فيه العقل وفيه الشهوة قد هُدِىَ النجدين فيه استعدادهُ للفجور كاستعداده للتقوى ومهمته جهاد نفسه ورياضتها حتى تتزكى . قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾(١٤)

(ب) وهو وسط ـ كذلك ـ فى نظرته إلى حقيقة الإنسان بين النحل والمذاهب التى تقوم على اعتباره روحاً علوياً سجن فى جسد أرضى ، وبين المذاهب المادية التى تعتبر الإنسان جسداً محضاً ، وكياناً مادياً صرفاً ، أما الإنسان فى الإسلام فهو كيان روحى ومادى ، كما يشير إلى ذلك القرآن فى قوله ـ عز وجل ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝٢٩ ﴾(١٥) .

(ج) وهو وسط فى النظرة إلى الحياة بين الذين أنكروا الآخرة واعتبروا الحياة الدنيا هى كل شىء وقالوا ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾(١٦) وبين الذين رفضوا هذه الحياة فحرموا على أنفسهم طيباتها وزينتها وفرضوا على أنفسهم العزلة عن أهلها والانقطاع عن عمارتها والإنتاج لها . فالإسلام يعتبر الحياتين ، ويجمع بين الحسنين ، ويجعل الدنيا مزرعة للآخرة ، ويرى العمل فى عمارتها عبادة لله وأداء لرسالة الإنسان ، وينكر على الذين يحرمون الزينة والطيبات قال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾(١٧) كما ينكر على الآخرين انهما كهم فى الترف والشهوات ، يقول الله فى كتابه العزيز ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾(١٨) بل يعتبر القرآن السعادة والحياة الطيبة فى الدنيا من مثوبة الله لعباده المؤمنين(١٩) .

فيقول . ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٢٠)

الغاية من الالتزام بالأخلاق :

إن من أعظم أهداف الرسالة المحمدية بناء الفرد الصالح ، والمجتمع الفاضل وفق المنهج الربانى . بالتحلية بالفضائل والتخلية من الرذائل لإيجاد الإنسان الخليفة والأمة الربانية المتآلفة المتآخية

(١٣) القرضاوى يوسف ، الخصائص العامة فى الإسلام ، دار المعرفة الدار البيضاء ١٩٧٧ م ص ١١٧ .

(١٤) سورة الشمس ، الآيات (٧ ـ ١٠) .

(١٥) سورة الحجر ، آية ٢٩ .

(١٦) سورة الانعام ، آية ٢٩ .

(١٧) سورة الاعراف ، آية ٣٢ .

(١٨) سورة محمد ، آية ١٢ .

(١٩) القرضاوى ، الخصائص العامة للإسلام ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٢٠) سورة آل عمران ، آية ١٤٨ .

المتوادة التى يعمل فيها الفرد لمصلحة الجماعة ، والجماعة لمصلحة الفرد ، فى توازن وتناسق وتكامل إلى إيجاد المجتمع الفاضل والأمة الفاضلة ، والإنسانية السعيدة التى طالما راودت أحلام الفلاسفة والمصلحين والمفكرين عبر السنين ، وظلت فى عالم الخيال ، ولم تتحقق فى عالم الواقع إلا فى ظل التربية القرآنية والقيادة النبوية .

إنها الأمة العالمية التى اصطفاها الله لتكون المثل الأعلى للإنسانية ، إنها الأمة المسلمة التى اصطفاها الله من بين سائر الأمم لتحمل رسالة الإسلام العالمية ، وتكون الشاهدة والهادية والقائدة للبشرية . قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٢١)

ليست الأمة المسلمة تكتلاً أو حشداً أو كياناً عدائياً ، تقيم علاقاتها بالآخرين على أساس الهيمنة والقهر العقائدى ، بل هى – فى المفهوم الإسلامى – مشروع راق للحضارة الإنسانية التى تجسم معنى الاستخلاف فى الأرض ، وهذا هو معنى « الخيرية » التى هى مضمون حضارى يحقق ، وليست لقباً يعطى ، أو صفة تضفى . لقد أرسل الله – تعالى – رسوله – صلى الله عليه وسلم – هادياً ، ومعلماً ومربياً للبشرية كلها استجابة لدعوة أبى الأنبياء إبراهيم – عليه السلام . قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾(٢٢) .

فجاءت الرسالة المحمدية تربية وتعليماً وتهذيباً ، وتزكية للإنسانية ، كما حددتها هذه الآية الكريمة بكل دقة وصراحة ووضوح . لقد حددت الآية هدف البعثة النبوية بأمرين – يليان توضيح العقيدة الإسلامية وحكم اعتناقها :

(أ) التربية والتعليم ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ والكتاب هو القران . والحكمة هى السنة والسيرة . تربية تقوم على العقيدة والمبادىء والقيم والمُثل العليا ، التى هى حلم الإنسانية التى طال شوقها ، وانتظارها له . تربية شاملة متناسقة متوازنة تحقق للفرد حريته وكرامته وإنسانيته . فلا تطغى الماديات على الروحانيات ، ولا تطغى الجماعة على الفرد ، ولا ينفلت الفرد بأنانيته القاتلة التى تشل حركة الجماعة وتسخرها لإشباع رغباته وشهواته .. بل الكل يعمل فى اتجاه واحد لتحقيق هدف واحد هو صياغة الفرد الصالح والمجتمع الفاضل المتآخى المتكافل والمتراحم . إنه المنهج الربانى الذى وضعه خالق البشر لإصلاح البشر .

(ب) التربية والتزكية .. ولقد لخص الرسول المعلم – صلى الله عليه وسلم – رسالته وحددها تحديداً دقيقاً واضحاً (إنما بعث لأ تمم مكارم الأخلاق)(٢٣) .

فقوله ، إنما أداة قصر وحصر ، وكأن رسالته محصورة ومقصورة على التهذيب والتزكية ليكون الأسوة الحسنى والقدوة العظمى ، والتطبيق العملى للمنهج الربانى (القرآن) .

---

(٢١) سورة البقرة ، آية ١٤٢ .

(٢٢) سورة البقرة ، آية ١٢٩ .

«(٢٣)» البخارى أبو عبدالله محمد بن إسماعيل ، الأدب المفرد ص ٤٢ ط مكتبة الأداب – درب الجماميز .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبدالمنعم فوده

السؤال من السيد/ م . س . عبدالخالق

توفيت امرأة عن زوج ، أم ، ابن ، إخوة وتركت منقولاتها الزوجية ولها مؤخر صداق/ من يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فنفيد بأن على الزوج دفع مؤخر الصداق ويضاف إلى المنقولات ويُعَدُّ تركة للزوج منه الربع فرضا وللأم السدس فرضا والباقى للابن تعصيبا ولاشىء للأخوة لحجبهم بالفرع الوارث الذكر والله تعالى أعلم ،،،،،

السيد صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فأرجو الفتوى فى المسألة الآتية

قال رجل لو اشتريت هذه القطعة من الأرض سأبنيها مسجداً فاشتراها واحتاج لثمنها فهل يجوز له أن يتبرع بثمنها وبتكاليف بناء المسجد لبناء مسجد آخر . أو لا يجوز ؟

محمود عبدالفتاح

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه مادام المسجد لم يبن ولم يصل فيه يجوز لمالك الأرض أن يتصرف فيها ، ويتبرع بثمنها وقيمة تكاليف المسجد لبناء مسجد آخر والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/ صبحى عثمان شمس الدين

ماحكم الشرع فى رجل طلق زوجته ثلاث مرات متفرقات بقوله لها « أنت طالق » فما الحكم .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد بأنه إذا طلق الرجل زوجته ثلاث مرات متفرقات بقوله لها «أنت طالق» فإنه بالطلاق الثالث بانت منه بينونة كبرى لاتحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها دخولا حقيقيا ، فإذا طلقها الثانى أو مات عنها ، وانقضت عدتها حلت للأول بعقد ومهر جديد وبرضاها ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/ الشيخ حامد عبدالفتاح

هل يجوز ترجمة خطبة الجمعة إلى أى لغة بعد الانتهاء من إلقائها بالعربية وهل يجوز للخطيب أن ينتظر المترجم حتى ينتهى من ترجمته قبل صلاتها ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد :ـ بأنه لا مانع شرعا من ترجمة الخطبة إلى أى لغة ، كما أنه لامانع من أن ينتظر الخطيب حتى ينتهى المترجم من الترجمة لأنها موالية لما سبق : إما على سبيل الموعظة وإما على أن فاصل الترجمة نفسه لا يعد فاصلا أجنبيا عن الخطبة ، بل إن فيه فائدة كبرى لمن يستمع بلغة الترجمة مع مراعاة أن تقرأ الآيات القرآنية التى وردت بالخطبة بلغتها العربية ولا مانع من ترجمة معانيها بلغة الترجمة ، وبعد الانتهاء من الترجمة تقام الصلاة ويؤم الخطيب المصلين

هذا وبالله التوفيق والله تعالى أعلم ،،،،

السؤال من السيد/ تامر م . ع :

شاب خطب فتاة وقدم لها شبكة ومهراً حسب المتفق عليه والمشروط وبعد فترة قام الخاطب بفسخ الخطبة . علماً بأنه لم يعقد عليها فما الحكم فيما قدمه الخاطب لمخطوبته من شبكة ومهر وهدايا ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد ، فنفيد بأن الشبكة المشروطة والمتفق عليها جزء من المهر ، والمهر لا تستحقه المخطوبة إلا بالعقد عليها ، وحيث إن الشاب قام بفسخ الخطبة قبل العقد عليها فإن الشبكة والمهر يردان إلى الخاطب وكذلك الهدايا غير المستهلكة وليس للمخطوبة حق فيها ، لأنها أجنبية . أما الهدايا المستهلكة فهى من حق المخطوبة وليس للخاطب حق فيها ، حيث جاء الفسخ من قبله هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

من أعلام الأزهر

الأستاذ الدكتور الشيخ

عبد الجليل شلبي

- رحمه الله -

للأستاذ / محمود عبد العظيم طمان (*)

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١) كأنَّ القدر قد خبَّأ له هذا الطريق..! فلقد كان والده يتمنى له أن يكون من أهل العلم ، إذ كان يأنس لهم ويعيش معهم - ويحيطون به - فى مجلسه أو مجلس أحدهم ، قراءة أو سماعا حتى يستفيد منهم ، فهم يخالطون شغاف قلبه حباً .. وكانت إرادة الله غالبة ، فكان ما تمنى الوالد لولده وتحققت رغبته ..

نشأ الشيخ - رحمه الله - فى أسرة كريمة تنهج منهج أهل العلم والمتصوفين ، برغم اشتغالها بفلاحة الأرض ، فوالده الشيخ عبده شلبى كان له مجلس يؤمه الأصدقاء والرواد من أهل الطريق والعلماء فى قريته « غرب الوقف » مركز مطوبس حالياً بكفر الشيخ « إدارياً » ولكنها بالانتماء الأصيل تميل إلى رشيد ؛ لأنها مقابلة لها على الجانب الشرقى من فرع النيل ، وكان من أصدقاء والده الكبار الشيخ عبدالحميد عنتر أستاذ النحو فى كلية اللغة العربية ، الذى كان شريك والده فى قراءة كتب العلم والتصوف ، والتى ترك منها بعض الكتب الأمهات منها : شرح الخرشى على خليل فى الفقه وهو من أمهات كتب المالكية ، فقد كان الشيخ مالكى المذهب ، وكتاب الإحياء لأبى حامد الغزالى وغيرها ، مما يدل على أنه كان مقدراً للعلم وأهله .

(*) الكاتب : صحفى بالأهرام .

(١) النور : ٣٥ .

توفى والده وهو فى السادسة من عمره فاهتم به أخوه الأكبر، وكان به حفياً لنبوغه الباكر ، فدخل كتاب القرية وحفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة وبعض مبادىء الحساب على ما كان شائعاً فى تلك الأيام فى ريف مصر كلها ، ودخل مدرسة رشيد الابتدائية ، وبعد أن أتم تعليمه فيها تقدم لمعهد الإسكندرية الدينى التابع للأزهر فنجح بتفوق فى المسابقة فأدخلته اللجنة الصف الثانى مباشرة ، وبعد ذلك ظل فى تقدمه الدراسى حتى نال الشهادة الثانوية الأزهرية ، وتقدم لكلية اللغة العربية التى تناسب ميوله ، وفيها ظهر نبوغه وتفوقه فى موادها ، لاسيما الأدب والبلاغة والنقد ، وكان يقرض الشعر وينظمه ويلقى أشعاره فى المناسبات بين إخوانه من الطلاب والأساتذة ، فيقدرونه كل التقدير .

ولما أنهى دراسته فى الكلية تقدم لنيل درجة تخصص التدريس فنالها بعد سنتين ، وفى هذه الأثناء عين كاتباً فى معهد الإسكندرية فى الفترة التى كان يرأسه فيها فضيلة الشيخ محمود أبو العيون (رحمه الله) فكان به حفياً لنبوغه وجودة خطه الذى كان يتميز به ، ولما أقيمت (مسابقة للتدريس) تقدم لها فنجح فيها وعين فى نفس المعهد مدرساً للبلاغة والأدب ، وساعده الشيخ أبو العيون حتى نال حقه وبرز فى التدريس مما لفت إليه أنظار الطلاب والأساتذة ، وألف كتاباً فى البلاغة ذلل للطلبة فيه (عبارات السعد) وقربه إلى قلوبهم بأسلوبه الناضج المشوق فى عرض المادة . ثم نقل إلى معهد قنا ، فقبل النقل بسماحة نفس ورضا ، وظل يعمل هناك برغم العثرات التى كانت توضع فى طريقه حتى أعيد إلى معهد الإسكندرية ، وكان فى تلك الأثناء ينتسب إلى المدارس الليلية ويذاكر بجد حتى نال الثانوية العامة والتحق بكلية الآداب جامعة القاهرة ، فكان متقدماً فى دراسته فيها على أبنائها المتفرغين للدراسة بها . ونال منها درجة الليسانس ثم سافر إلى السودان أستاذاً للغة العربية فى (مدرسة الأحفاد) ، فكان له نشاطه واجتهاده فى الأخذ بيد الطلاب وتعليمهم بطرق تربوية ناجحة مما حدا بمدير المدرسة أن يتمسك به أشد التمسك ، وكان الدكتور محمود حب الله (رحمه الله) يقدره تقديراً خاصاً ، ويقدمه فى المركز الإسلامى بـ(لندن) ، ثم سافر إلى لندن رئيساً للمركز الإسلامى هناك وظل ثلاثة عشر عاماً ؛ كان فيها قمة النشاط والعمل .

وكان معجباً بحرص الإنجليز على الدراسة والتحصيل ويقول : العلم فى إنجلترا يحتاج لمن يجنيه كالثمرة الناضجة ؛ وكان برغم عمل المركز الإسلامى ومسئولياته : من الإمامة والمحاضرات والرد على استفسارات السائلين من كل الجاليات الإسلامية وغير الإسلامية مثابراً على النشاط والدراسة حتى نال (الدكتوراه) من جامعة لندن ثم أنهى البعثة بمحض اختياره وعاد للعمل فى مجمع البحوث الإسلامية خبيراً فنياً ثم أميناً مساعداً ثم أميناً عاماً للمجمع إلى أن أنهى حياته الوظيفية فى المجمع ، ثم سافر أستاذاً بجامعة أم القرى بالسعودية وظل هناك عدة سنوات ثم انتقل إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فعمل بها مدة عام واحد عاد بعده إلى القاهرة ثم تعاقد للعمل مع (جامعة قطر) فى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية وكلية التربية واستمر هناك عدة سنوات لقى فيها

الإعجاب والإكبار من الأساتذة والطلاب بل ومن من الشعب القطرى بكل فئاته .

رأيت ذلك بعينى وشاهدته لسنوات وقت أن كنت أعمل هناك صحفياً بجريدة (الراية) القطرية ، وكان يلتقى بالوفود الإسلامية والطلاب الآسيويين والأفارقة ويحاضرهم بلغتهم فيكبر فى نظرهم كل الإكبار ويقبلون على علمه بشغف وإعجاب ، ويلقى أحاديثه فى الإذاعة والتليفزيون ويخطب فى المساجد أيام الجمع ويحاضر فى النوادى الأدبية والجمعيات النسائية ، ويرد على استفسارات السائلين ومفتريات المبشرين ضد الإسلام ، وهو فى كل هذا موضع الإجلال والتقدير .

وفى جانب التأليف : ألف فى بداية حياته العملية بمعهد الإسكندرية كتاباً فى البلاغة . سبق أن أشرنا إليه .

وألف بإشارة من فضيلة الشيخ عبدالحليم محمود (رحمه الله) شيخ الأزهر كتاباً عن الشيوعية والشيوعيين ، وكان الشيوعيون المصريون قد علا صوتهم فى ذلك الوقت بغوغائية وإسفاف ضد شيخ الأزهر .

وألف كتاباً عن المبشرين وافترائهم على الإسلام فأبطل حججهم ، أما المكابرون وهم كثير فيصمتون إلى حين ، ثم يبدأون الهجوم من جديد ، وهذا شأن الحاقدين على الإسلام فى كل زمان ومكان .

وألف فى الخطابة وإعداد الخطيب متمثلا أمامه الجاحظ إمام الخطابة فى العربية ، لاسيما فى كتابه البيان والتبيين فجاء كتابه مستوعباً شاملًا لكل ما يهم الخطيب والواعظ ، ونجاح الداعية عنده أو فشله يرجع إلى أمرين رئيسين :

– جودة المعلومات التى يقدمها أو ضحالتها .
– وحسن إلقائه أو ضعفه .

وألف فى الفقه الإسلامى كتاباً فى فقه الغبادات أوْفَى بالمطلوب فى أسلوب سهل ، خال من المصطلحات الفنية التى لا تهم غير المتخصصين فى ذلك الفن من العلوم الإسلامية .

وألف فى علم أصول الفقه كتاباً لطلاب المعهد العالى للدراسات الإسلامية الذى كان يرأسه الشيخ الباقورى (رحمه الله) ولثقته فى جهود الشيخ شلبى أسند إليه تدريس مادة أصول الفقه فألف كتاباً فى المادة جاء فذاً فى بابه شهد له المتخصصون فى هذه المادة – وهى ماهى بين علوم الشريعة الإسلامية – سلك فيه منهجاً وسطاً يقربه إلى الأذهان ، وهو المادة الجدلية التى تكسب العقل متعة، وفيه هداية وتبصرة بمناحى الاجتهاد ، تهب دارسه كثيراً من سعة الأفق الفكرى فى استنباط الأحكام وتعليلها حتى يصل إلى مناط الحكم الذى يريد .

وحقق فى علم التصوف كتيباً صغيراً لا يعدو الورقات للإمام أبى حامد الغزالى فجعل منه كتاباً معدوداً بتعليقاته وإشاراته القيمة هو كتاب (بداية الهداية) .

وفى النحو حقق كتاباً ضخماً هو كتاب (معانى القرآن وإعرابه) للإمام الزجاج وكان فى حقيقة الأمر رسالته المتممة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة لندن ؛ لأن الشيخ كانت دراسته فى تلك الجامعة مقارنة الأديان ، ولكن اللجنة طلبت منه رسالة باللغة العربية فكان عمله هذا جاهزاً فقدمه لها فنال الإعجاب والثناء ، وقدمت له لجنة التحكيم التقدير الذى يليق به .

وكتب كتاباً كبيراً عن قادة الأديان ترجمه عن الإنجليزية التى يجيدها ، يحوى صوراً حية لجهاد اثنين وعشرين قائداً دينياً من مختلف الأديان والمذاهب .

ولم تنحصر جهوده فى هذا اللون من العمل ، بل كان يشترك فى التدريس فى مختلف الكليات : اللغة العربية وأصول الدين والدعوة ويشترك فى مناقشة الرسائل العلمية والتحكيم فى لجان الترقيات للأساتذة ويحضر المؤتمرات الإسلامية التى تعقد فى جميع بقاع الأرض وكان عضواً مؤسساً فى جامعة النيجر الإسلامية وعميداً لمعهد إعداد الدعاة بالقاهرة . وكان حتى آخر أيامه يأتى له الطلاب الأفارقة للدرس والإفادة فيخصص لهم من أوقاته الكثير ــ دروساً فى كتب النحو والفقه والبحوث الإسلامية ويحتسب ذلك عند الله ، ويقول : هؤلاء رسل بلادهم ، فلابد أن نزودهم بالعلم النافع حتى يعودوا لبلادهم جنوداً فى وجه التنصير والاستعمار الذى يمتص دماءهم ويتركهم كالسوائم . وحينما كان ينتدب للتدريب فى الدورات التدريبية لغير الناطقين بالعربية فى مدينة البعوث كان لا يتأخر مهما كانت الظروف .

ولبى طلب صحيفة الجمهورية لكتابة عمود يومى بعنوان : (قرآن وسنة) منذ ثلاثة عشر عاماً إلى أن وافاه الأجل ، برغم ما فى الكتابة اليومية من مشقة وجهد ، ومن الردود على الاستفسارات التى ترد إلى الجريدة ، واحتسب ذلك جهاداً فى سبيل الله ، وكذلك لبى طلب مجلة الأزهر لكتابة مقال فى تفسير القرآن الكريم كل شهر أنهى فيه تفسير سورة الأنفال وانتقل لسورة المجادلة وقد لبى نداء ربه ــ عز وجل ــ قبل أن ينتهى منها وكان لآخر لحظة من حياته وهو على فراش المرض ــ الذى رقد فيه ثلاثة أيام ــ تأتى له الاستفسارات والأسئلة من الصحافة والأفراد فلا يرد طلباً يوجه إليه ، ويتابع أخبار المسلمين وشئونهم ، ويوافينى بالجديد قبل أن أتكلم ، كلما ذهبت إليه صباحاً أو مساءً ، فما أن أُسَلِم حتى يقول : إليك الآتى إن لم تكن قد عرفت ، ويسرد لى أخباراً جديدة على سمعى .

لقد عشت بالقرب منه وبجواره وخالطته زمناً كبيراً فى الحل والترحال هنا وهناك فى الداخل والخارج ، فما لاحظت عليه إساءة لأحد أو غمزاً فى إنسان ، بل كان عف اللسان سليم الطوية ، يبتسم أو يضحك فى براءة الأطفال ، لا يمَلُّ جليسه حديثه الحلو الممتع ، دائم الذكر لله والتألم للمسلمين لما يلقونه من العذاب والويلات من الحاقدين على الإسلام والمسلمين فى كل بقاع الأرض . فجزاه الله عن ما قدم لدينه وعقيدته ، وأنزله منازل الشهداء مع النبيين والصديقين والأبرار .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« من آداب القضاء »

كتب سيدنا عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إلى سيدنا معاوية كتابا فى القضاء يقول فيه :

إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة . أو اليمين القاطعة ، وإدناء الضعيف حتى يشتد قلبه ، وينبسط لسانه ، وتعاهد الغريب فإنك إن لم تتعاهده ترك حقه ورجع إلى أهله ، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به ، وآس بين الناس فى لحظك وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يتبين لك فصل القضاء .

« توجيهكم فراشى »

اشتد وجع « سعيد بن المسيب » ، فدخل عليه « نافع بن جبير » يعوده فأغمى عليه .

فقال نافع : وجهوه ، ففعلوا ؛ فأفاق ، فقال : من أمركم أن تحولوا فراشى إلى القبلة ، « أنافع » ؟

قالوا : نعم ، قال « سعيد » : لئن لم أكن على القبلة والملة والله لا ينفعنى توجيهكم فراشى .

« فراسة »

طاف سائل مكفوف البصر بشوارع « أصبهان » يسأل الناس على حسب عادته .

فأعطاه رجل رغيفا ؛ فدعا له السائل ، وقال : رد الله غربتك ؛ فقال المتصدق : وكيف عرفت أننى غريب وأنت أعمى .

فقال الرجل : لأنى أسال الناس فى هذه المدينة منذ ثلاثين سنة ما أعطانى أحد رغيفا صحيحا .

« تنبيه على خطأ »

سأل الحجاج بن يوسف الثقفى «الشعبى» كم عطاءَك ؟ قال ألفين .

فقال الحجاج : ويحك ؛ كم عطاؤك ، قال ألفان .

قال الحجاج : كيف لحنت أولا ؟

فقال الشعبى : لحن الأمير فلحنت ثم أعرب الأمير فأعربت ، وما يليق بى أن يلحن الأمير وأعرب أنا .

« من أخبث السرائر الرياء »

كان الناس يراءون بما يفعلون لا بما يقولون ، فصاروا يراءون بما يقولون ولا يفعلون ؛ ثم صاروا يراءون بما لا يقولون ولا يفعلون .

« حقًا »

قال الأصمعى : مررت بأعرابية وبين يديها فتى فى السياق[1] ، ثم رجعت ورأيت فى يدها قدح سويق تشربه ، فقلت لها : ما فعل الشاب ؟ فقالت واريناه ، فقلت : فما هذا السويق ؟

فقالت :

على كل حال يأكل القــوم زادهــم
على البؤس والبلــوى وفى الحدثـــان

اللهم ارحمنا

قال الشعبى : تعايش الناس زمانا بالدين والتقوى ، ثم رفع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمم ، ثم رفع ذلك فما يتعايش الناس إلا بالرغبة والرهبة ، وأظنه ، سيجىء ما هو أشد من هذا .

« حقيقة »

لا ينبغى للعاقل أن يخاطب الجاهل الذى يظن بنفسه العقل أصلا ؛ لأنه إن خاطبه على مقتضى عقله كان مضيعا للعقل ومستهينا بفضله .

وإن خاطبه بحسب جهله كان متشبها به ومعدودا مثله ؛ قال الله ــ تعالى ــ لنبيه صلى الله عليه وسلم :

﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ .

(١) السِّيَاق : النزع والاحتضار :

« إذا كان مشويا »

سأل رجل آخر : هل الظبى معرفة أم نكرة ؟ فأجاب : إذا كان مشويا على المائدة فهو معرفة ، وإذا كان فى الصحراء يعدو فهو نكرة .

« الحمد ... والمجد »

سمع قيس بن عباده يقول فى دعائه : « اللهم ارزقنى حمدا ومجدا ؛ فإنه لا حمد إلا بفعال ولا مجد إلا بمال ؛ أللهم إنه لا يصلحنى القليل ولا أصلح عليه » أشار فى هذا إلى قول الشاعر :

ولا مجد فى الدنيا لمن قل مالــه
ولا مال فى الدنيــا لم قل مجده

« من حسرات يوم القيامة »

للإمام على ــ رضى الله عنه ــ :

إن اعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالا فى غير طاعة الله ؛ فورثه رجل فأنفقه فى طاعة الله ــ سبحانه ــ فدخل به الجنة ودخل الأول به النار .

« دعــاء »

« اللهم لا تدعنى فى غمرة ، ولا تأخذنى على غرة ، ولا تجعلنى من الغافلين » .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

رسالة الأستاذ الأكبر إلى شعوب العالم الإسلامى

لفضيلة الإمام شيخ الأزهر الأسبق
الشيخ عبدالمجيد سليم
ــ رحمه الله ــ

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات

من قديم الزمان ، وإلى وقتنا هذا ، سيظل الأزهر ، قادة وشيوخاً ، معقد الآمال وموئل الرجاء فى تبصير الأمة الإسلامية إلى مافيه خيرها فى الدين والدنيا ، وعالمنا اليوم تكتنفه الغيوم من كل جانب ، وتحوطه النزعات والنزاعات من كل اتجاه ، وتتناوشه سهام الفرقة والتفريق صباح مساء .

والإسلام دين اليقظة والتبصير ، مما جعل أعداءه يقفون له ولأهله بالمرصاد ، يزرعون بذور الفرقة والشتات بينهم ، ويغرسون غرس الشك والريبة فى نفوسهم ، حتى يظلوا دائما وأبداً فى تنافر وتناحر وقلق واضطراب وحتى تكون الغلبة لهؤلاء الحاقدين .

فكان هذا النداء يوقظ شعور المسلمين ويبصرهم بمواطن الخطر المحدق بهم .

إنها رسالة وأمانة ، لن يضطلع بهما إلا أصحاب النفوس الكبيرة والهمة العالية والرأى الصائب ، والكلمة السديدة والغيرة على الدين

قال الأستاذ : رحمه الله .

إننى ، وقد توليت منصبى هذا ، أعد نفسى قد حملت أمانة غالية دقيقة لا شك أنى مسئول عنها أمام ربى ، وأسأله تعالى أن يهبنى من لدنه عوناً ييسر صعابها ، ويذلل عقابها ، إن ربى لطيف لما يشاء . إنه هو العليم الحكيم .

لقد عشت طول حياتى معنيا بأمر المسلمين ، مفكراً فيما يصلحهم ، وينقذهم مما تورطوا فيه من الضعف والتخاذل والانحراف عن الصراط

السوى فى العلم والعمل ، فوجدت أن لا سبيل إلى ذلك إلا بأمرين :

أولهما : أن يؤمنوا إيمانا عن بينة وبصيرة بأنه لا صلاح لهم إلا بهذا الدين الذى صلح به أولهم ، وأنهم على حسب ماينحرفون عن تعاليمه ومبادئه يصابون فى بلادهم وأنفسهم وسائر أحوالهم بالضراء وألوان الشقاء .

وثانيهما : أن ينسوا أحقادهم وميراث عداوتهم الذى أورثتهم إياه عوامل الضعف ، وعهود الذلة والخوف وتسلط الأعداء ، فيعودوا كما تركهم رسول الله ـ ﷺ ـ أمة واحدة عزيزة كريمة تشعر بعزتها وكرامتها ، ولا غرض لها إلا إعلاء كلمة الله ، ونشر دينه ، والدفاع عن الحق حيثما وجدت لذلك سبيلا .

***

إن المسلمين إذا آمنوا حق الإيمان بالأمر الأول ، استقر فى قلوبهم حب دينهم ، وحرصوا على أن يسلكوا سبيله فى حياتهم ، وأن يسيروا على خطته ومنهاجه السديد فى كل شؤونهم . فإن الإيمان بشىء ما : هو أساس حبه وتوجه الرغبة إليه ، والحب الصادق يملك على صاحبه جوارحه وأعماله كما يملك قلبه وعواطفه ، وعلى هذا الأساس انتصر الإسلام فى أوله ، فقد شرى المؤمنون أنفسهم وأموالهم لله ، وكان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما من المال والولد والنعمة والمتاع ، ولولا ذلك ما استقام لهم أمر ولاتمكنوا ـ وهم القلة الضئيلة الهزيلة المستضعفة ـ من السيطرة على أكبر الأمم فى أقصر زمن عرفه التاريخ لأمة ناشئة ناهضة .

وقد سجل الله ـ تعالى ـ هذه الحقيقة فى قوله جل شأنه :

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ (٢٤) ﴾ . سورة التوبة

فبين بهذا القول الصريح ، أن أساس الإيمان هو إيثار الله ورسوله على كل ماسواهما بالمحبة الخالصة الصادقة ، وأن إيثار شىء عليهما فسق وخروج على أمر الله ، لايهدى الله أصحابه ، بل يجعلهم فى موضع المتربص المتوقع للبلاء حتى ينزل به ويأتى عليه .

والمسلمون ـ مع الأسف الشديد ـ فى هذا الموضع منذ زمن طويل ، فقلما نجد منهم من يؤثر الله ورسوله على شىء من متاعه الفانى ولو كان زهيدا ، ولذلك كانت حالهم هى تلك الحال التى تسر العدو ، وتسوء الصديق .

والسبيل إلى إصلاح هذه الحال ، أن يتعاون أهل العلم والرأى فى كل شعب على تعليم المسلمين دينهم تعليما نافعاً ، وأن يظهروهم على مافى الدين من محاسن ، ويقنعوهم بما يكفله لأهله من سعادة وقوة ، وينفوا عنهم ما أدخل عليهم من خرافات وأوهام ، كان الركون إليه سبب ضعفهم واستكانتهم .

ولاشك أن على الأزهر فى ذلك أكبر قسط ، فإنه الجامعة الدينية التى تهوى إليها أفئدة المسلمين من كل صوب ، والتى تضم طلابا من مختلف

أجناسهم نفروا إليها ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . وقد أخذت على عاتقى وشرعت ـ والله المستعان ـ فى توجيه هذه الجامعة الكبرى إلى ذلك توجيها عمليا صالحا ، أرجو أن يكون مبارك الثمرات على الإسلام والمسلمين ـ إن شاء الله ـ

وسوف لا أدخر وسعا فى إمداد المسلمين داخل الأزهر وخارجه بعلماء صالحين مصلحين يكونون رسل الثقفة الإسلامية الصحيـة حيثما حلوا ، وأساة الأرواح والقلوب أينما سلكوا ، حتى تربى أمة جديدة شبيهة بالأمة الأولى التى فتح الله بها مشارق الأرض ومغاربها .

وإذا كنت أعلن ما اعتزمته وبدأته فى ذلك . وأدعو إليه أبنائى الأزهريين أن يأخذوه بقوة فإنى أدعو كذلك سائر أهل العلم فى مختلف الشعوب والطوائف الإسلاميـة أن يقومـوا بما عليهم فى ذلك ، وأن يبثوا الدعوة للدين والعلم به فى أقطارهم ويحثوا على الأخذ بها أبناء وطنهم ، حتى يكون الإصلاح عاما ، والتوجيه كاملا .

أما الأمر الثانى ، وهو أمر الاتحاد وائتلاف القلوب ، والغض عن كل مايثير الأحقـاد ، وينكأ الجروح ، فذلك أمر له فائدته الكبرى فى التعجيل بالقضاء على الضعف ، والتفرغ لما ينفع المسلمين ويصلح شأنهم .

إن مثل المسلمين ، إذا احتفظوا بخلافاتهم ، وأنصتوا لداعى الفرقة والقطيعة ،كمثل شعب قامت فيه حرب أهلية طاحنة ، فهى تشغل أبناءه . وتستنفد قواهم ، وتضيع جهودهم ، وتلـــهيهم عن إصلاح أحـــوالهم ، وتقـــويم معوجهم ، وتعين عليهم أعداءهم ، وتكون سبباً دائمـاً فى إثقـال كواهلهـم بمالا يحتملـون من الأعباء ، وفى إلباسهـم لبـاس الـذل والخوف والشقاء .

لقد ألحت هذه الحروب الأهلية الضروس على الأمة الإسلامية منذ قرون ، فقطعت ذات بينها ، وأفسدت كثيراً من خطط الإصلاح على واضعيها الداعين إليها ، وما علـمت حربـا كهـذه نيرانها حامية ، وأسبابها واهية .

فليتدبر المسلمون موقفهم ، ـ ولاسيما ـ فى هذا الوقت العصيب ، الذى فغرت فيه المطامع أفواهم لابتلاعهم ، والذى أصبحت القوة فيه والتكتل هى لغة التخاطب السائدة ، وأسلوب التفاهم المفيد ، ولينسوا ما بينهم من الخلافات التى أوهنتهم ، وثبطت من عزائمهم ، وليقفوا صفا واحدا لإنقاذ أنفسهم ودينهم ، بل لإنقاذ العالم من المطامع الفاسدة ، والمبادىء الخطرة ، فإنهم أهل فكرة ، ووارثو رسالة ، وإن الله سائلهم عما أورثهم .

إنى لأعلم أن أحسن ماتطفأ به هذه الحرب الأهلية التى ظلت مستعرة بين المسلمين قرونا طويلة : هو التفاهـم ، وأن يدرك كل شعب ماعند الآخر ، ويومئذ يظهر للجميع أن أمـة الإسلام متفـاهمة على كل مايكـون به المسلـم مسلمـاً ، وأن ماوراء ذلك لايضر بالديـن ، ولاينبغى أن يكون سبباً فى قطع حبل الأخوة والائتلاف

أسأل الله أن يهيء للمسلـمين من أمرهـم رشدا ، وأن يوفق قادتهم وزعماءهم إلى النجاة بهم من العواصف والأنواء «إنه سميع مجيب» .

الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف

فى الإيمان أمانٌ

للشاعر / محمد عبد الرحمن صان الدين

إنــه فى النــفس سلطـــان رفيـــق الحكـــم زاجـــرْ
إنـــه اليقظـــان طول العمـــر فى الإنسان ساهـــر
إنـــه فى العـــيش بدر   ساطـــع الأنـــوار باهـــر
إنـــه فى القفـــر نهر   ماؤه السلسال غامـــر
ما على الـــغبراء أمْـــنٌ   إن خلت منـــه المشاعـــر

★ ★

كيـــف يشقـــى ذلك الإنسان حتـــى فى الهجـــود
ما الـــذى أحيـــاه عبـــدا   فى تبـــاريح القيـــود
مالـــه يشكـــو افتقـــارا   وهـــو فى عيش رغيـــد
مالـــه فى الأرض يحيـــا   فى ضلال كالشريـــد
ما به من آفـــــة أو   علـــة غير الجحـــود

ذلك المفتـــون ينسى   أنـــه خلـــق هزيـــلُ
فى دجـى الأهـــوال يمشى   درعـــه عقـــل كليـــل
ليس يغنيـــه فتيـــلا   أو يقيـــه ما يهول
إنما يحمـــى ويرعـــى   عيشه رب جليـــل
ما عن الإيمان بالـــرحمن فى الدنيـــا بديـــل

★ ★

لو يعـــى المفتـــون أن العـــيش ومض من سراب
أنـــه فى غربـــة لابـــد يومـــا من مآب
أنـــه كالطيـــف فوق الأرض أو مثـــل الحبـــاب
برهـــة يبـــدو ويخفـــى   عن عيـــون فى حجـــاب
لرأى بالعقـــل والوجـــدان لألاء الصواب

★ ★

كل إنسان على الـــغبراء فى تيـــه الضلال
يفسد الدنيـــا بعقـــل   فى سقـــام واعتـــلال
فيـــقضى العمـــر يعـــدو   فى هموم كالجبـــال
غير من عاشوا على الإيمان فى ضافى الظـــلال
هم عبـــاد الله حقـــا   فى حمى رب الجلال

★ ★

أيها الإنسان إن العقـــل محدود العطـــاء
صادق الإيمان يأتى   عن طريـــق الأنبيـــاء
لا يرى الآلاء والآيات إلا ذو صفـــاء
لا ينـــال الـــدر إلا   باجتهاد واهتـــداء
والـــذى ينـــأى عن الإيمان يحيـــا فى عراء

إلى حفيدى مهند

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

كحلى عينيه من نور الحرم ... وانشدى فى سمعه أزكى نغم
أرضعيه عزة النفس فما ... ساد فى القوم سوى عالى الهمم
واسقه من زمزم الرى الذى ... يحفظ البرعم من شر السقم
حصنى المهد بآيات الهدى ... وانشرى عطر التسامى والقيم
أسمعيه قصة الأرض التى ... باركت لقياه فى حضن الحرم
فهنا المختار أسمى قدوة ... هو فى عليائها الفرد العلم
ورسولا تسعد الدنيا به ... ومنارا قاد وجدان الأمم
وهنا أصحابه الغر الأولى ... بددوا غيم الدياجى والظلم
وهنا القرآن يسرى نوره ... من « حراء » النور بالنور الأعم

هذبى وجدانه إن الفتى ... من يُرَى فى القوم محمود الشيم
علميه يزدرى السفح حمى ... ويخوض الصعب سعياً للقمم
علميه لغة الضاد التى ... أقسم الله بها نعم القسم
علميه الحب حتى يرتوى ... قلبه الغضُّ حناناً ونغم

ذكريه قومه قولى له : ... مسلم أنت ومن أرض الهرم
جدك النيل ومن أعطافه ... سمرة الهام وعلياء الشمم
سلسلا ينساب ما بين الربا ... حاملا خيراته منذ القدم
وبنو قومك فى مصر العلا ... هم خيار الناس أرباب الكرم
سيرة تنضح كالعطر شذى ... لا غوى فكرٌ ولازلت قدم

هو سيف الله قد أسميته ... وجناح الحق سيف وقلم
فاسألى الرحمن يُثرى عمره ... من حنان ويقين ونعم
عطرى دنياه من هذا السنا
كحلى عينيه من نور الحرم

عشرة الكتب

للأديب الكبير / عباس محمود العقاد

يا كتبى أشكو ولا أغضب — ما أنت من يسمع أو يعتب
يا كتبى أورثتنى حسرة — هيهات لا تنسى ولا تذهب
يا كتبى ألبست جلدى الضنى — لم يغن عنى جلدك المذهب
كم ليلة سوداء قضيتها — سهران حتى أدبر الكوكب
ينتفع المرء بما يقتنى — وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى — وخبرة صاحبها تتعب
أنفقت منى ما يضن الورى — به على الله ولم يذنبوا
من ضوء عينى ومن صحتى — سدى ومن وقتى وما أكسب
ومن شباب فيك ضيعته — فما أنا إلا الفتى الأشيب

شكوتها والعمر فى فجره — فكيف بى لما دنا المغرب
لما دنا المغرب صالحتها — تلك التى تشكو ولا تغضب
غدا سنمسى كلنا مالنا — فى العيش إلا ذمك المترب
فليت لى إذ أنا تحت الثرى — جمجمة ثرثارة تخطب
رهضاً من القراء يرضوننى — رضاى عن بلواك إذ أغضب
يا كتْبى ما شئت فلتحسبى — أو شاء قرائى فليحْسبوا

العلوم الكونية

تصنيف علوم الطب في تراث المسلمين

بقلم أ. د أحمد فؤاد باشا

(٢)

رابعاً : علم الطب السريرى :

من المعروف فى مجال العلوم الطبية أن الطب السريرى (الإكلينيكى) يعتبر من المعارف الضرورية التى لايستغنى عنها أى طبيب فى أمور التشخيص والعلاج .

وقد كان أطباء الحضارة الإسلامية سباقين إلى تأصيل علم الطب السريرى وتقنيته ، حيث أدركوا أهمية التعرف على تاريخ المرض والمرضى وتسجيل الملاحظات السريرية (الإكلينيكية) ونتائج الفحوص والمعاينة ومراقبة تغيراتها .

وقد عرف عن أبى بكر الرازى أنه كان بارعاً ودقيقاً فى دراسة الحالات المرضية دراسة تحليلية تتضمن تاريخ الإصابة وتطور حالة المريض ، كما كان يصف مزاج المريض ومهنته وعمره وجنسه ويستفسر منه عن بيئته وحياته وأحوال معيشته والأمراض التى أصابته سابقاً والأمراض المتوارثة فى أهل بيته وعائلته وينصت إليه وهو يعرض شكواه ويعطى أهمية كبرى لفحص القلب والنبض والتنفس والبراز عند مراقبة تطور المرض ، ويسجل ذلك كله لكى يقف على مايطرأ من تحسن أو تدهور فى الحالة الصحية للمريض .

يصف الرازى بنفسه منهجه فى هذا المجال بقوله : « كان يأتى عبدالله بن سواده حميات مخلطة تنوب مرة فى ستة أيام ومرة غبا ومرة ربعا ومرة كل يوم ؛ ويتقدمها نافض يسير ، وكان يبول مرات عديدة ، وحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعاً ، وإما أن يكون به خُرّاج فى كُلاه. فلم يلبث إلاّ مُدة حتى بال مِدّة أعلمته أنه لا تعاوده هذه الحميات ، وكان كذلك . وإن ما صرفنى فى أول الأمر عن أن أبتّ القول بأن به خُرّاج فى كلاه أنه كان يحمّ قبل ذلك حّمى غبّ وحميات أُخر .. وقد كان كثرة البول يقوى ظنى بالخراج فى الكلى إلا أنى كنت لا أعلم أن أباه أيضا ضعيف المثانة ويعتريه هذا الداء ، وهو أيضا قد كان يعتريه فى صحته ، فينبغى ألا نغفل بعد ذلك غاية التقصى إن شاء الله ... » .

وتدل هذه الفقرة على سبق « الرازى » إلى إدراك أصول الطب السريرى ، فهو يلوم نفسه على عدم معرفة المرض لأول وهلة ، وكان يستطيع ــ لو تقصّى الحالة ــ أن يصل إلى البت فيها ... ثم يلوم نفسه على أنه لم يسأل المريض عن حالته قبل ذلك وعن حالة أبيه .

ويبدأ فهم علوم الطب السريرية عند المسلمين بما يسمونه الاستدلالات ، فيقرر « الرازى » فى كتاب المرشد أو الفصول أن استدراك علل الأعضاء الباطنة يحتاج « إلى العلم بجواهرها أولاً بأن تكون شوهدت بالتشريح ، لكن إذا برز منها شيء عرف مثال ذلك : أنه متى خرج بالنفث شيء من جوهر الرئة لم يعرف ذلك إلا من قد شاهد ذلك الجوهر فى الرئة مرات ، « ويحتاج إلى العلم بمواضعها فإن من علم موضع الكبد لم يظن إذا رأى وجعاً فى الجانب الأيسر من البطن أنه فى الكبد » ، « ويحتاج إلى العلم بأفعالها ، فإن من علم أن الحس والحركة تكون بالعصب والنخاع والدماغ ، لم يقصد عند بطلانها علاج أعضاء أخر » ، ويحتاج « إلى العلم بأشكالها ، فإنه قد تستدرك من ذلك أيضا العلة بأى عضو هى ، مثال ذلك أن الورم الهلالى الشكل فى الجانب الأيمن مادون الشراسيف[1] يدل على الورم فى الكبد ، إذ شكل الكبد كذلك » ، ويحتاج إلى العلم بأعظامها ، ومثاله أن الحصاه التى تعظم عن مقدار بطون الكلى لا يمكن تولدها فى الكلى » . ومن أبلغ ماذكر الرازى فى هذا المجال قوله : « علل الأحشاء ونحوها من الأعضاء المستترة عن البصر أصعب تعرفا لتواريها عن الحس ، والحاجة فى ذلك إلى استدلالات كثيرة »[2] .

ويورد ابن أبى أصيبعة فى كتابه « طبقات الأطباء » كلاما للطبيب المصرى « على بن رضوان » ــ طبيب الخليفة الحاكم بأمر الله ــ يقول فيه : « تعرف العيوب بأن تنظر إلى هيئةالأعضاء والسحنة والمزاج وملمس البشرة ، وتتفقد أفعال الأعضاء الباطنة والظاهرة ، مثل أن تنادى به من بعيد فتعتبر بذلك حال سمعه ، وأن تعتبر بصره بنظر الأشياء البعيدة والقريبة ، ولسانه بجودة الكلام ، وقوته بحمل الثقل والمسك والضبط والمشى ، وأنحاء ذلك مثل أن تنظر مشيه مقبلا ومدبراً ، ويؤمر بالاستلقاء على ظهره ممدود اليدين قد نصب رجليه وصفّهما ، وتعتبر بذلك حال أحشائه . وتتعرف حال مزاج قلبه بالنبض وبالأخلاق ، ومزاج كبده بالبول وحال الأخلاط . وتعتبر عقله بأن يسأل عن أشياء ، وفهمه وطاعته بأن يؤمر بأشياء ... » ، وقد علقت المستشرقة الألمانية « سيجريد هونكه » على ذلك فى كتابه المعروف « شمس العرب تسطع على الغرب » ــ بقولها ، يخيل إلينا ونحن نسمع ما قاله « ابن رضوان » أننا أمام أستاذ فى الطب فى عصرنا الحاضر » .

وحقيقة الأمر أن اهتمام أطباء المسلمين « بالطب السريرى » كان جزءاً من اهتمامهم الأكيد بأهمية المنهج التجريبى فى العلوم الطبية ، حيث يتضح من المؤلفات الطبية العديدة التى وصلتنا من تراث الحضارة الإسلامية أن المنهج التجريبى فى أدق تفاصيله المعروفة لنا حاليا كان هو أسلوب الأطباء فى ممارسة الطب وتعليمه ، ويقسّم مؤرخ العلم المعاصر « جورج سارتون » أطباء المسلمين من هذه الزاوية إلى مجموعتين : الأولى تضم فريق الأطباء الممارسين

(١) د. محمد كامل مسعد ، الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (بدون تاريخ للنشر)
(٢) الشرسوف : الطريق اللين من الضلع مما يلى البطن (ج) شراسيف .

الذين اهتموا فى المقام الأول بالمرض والتشخيص والعلاج معتمدين على المشاهدات والملاحظات ، وكانت الفلسفة عندهم وسيلة لبلوغ هذه الغاية ، ويمثل هذا الاتجاه أبو بكر الرازى الطبيب الفيلسوف . أما المجموعة الثانية فتضم فريق الأطباء المدرسين الذين درسوا الطب باعتباره جزءاً من المعرفة لا غنى عنه ، وسعيهم إلى استكمال المعرفة هو الذى دفعهم إلى الطب وممارسته بأسلوب منطقى ، ولهذا أطلق عليهم الفلاسفة الأطباء ، ويمثلهم ابن سينا . وجلىّ أن كلا الفريقين يتبع المنهج التجريبى ويعتمد عليه بصرف النظر عن أنه غاية أو وسيلة ، فالتقدم نحو إدراك الحقيقة أو الاقتراب منها لا يتحقق إلا بالتجربة العملية .

وكان لهذا الاتجاه التجريبى أثره البالغ فى محاربة الشعوذة وتجار الطب ومكافحة المشعوذين الذين كانوا يدّعون معرفة المرض والتنبؤ بمستقبل المريض بمجرد النظر إلى بوله ، ويستعينون على ذلك بإرسال الجواسيس لاستكشاف أخبار مرضاهم البسطاء والتقاط أسرارهم ، حتى إذا جاء هؤلاء المرضى إليهم أسّروا لهم بما عرفوه مدَّعين أن البول فضاح الأسرار .

خامساً : طب النساء والتوليد :

تحققت على أيدى علماء الحضارة الإسلامية اكتشافات رائدة وتجديدات هامة فى مجال « طب النساء والتوليد وطب الأطفال » ، فقد درس « ابن سينا » أحوال العقم ، وعرف أن حالاً منها تنشأ من فقدان الوفاق النفسى والطبيعى بين الزوجين ، ولايكون الإنجاب ممكنا إلا إذا افترق الزوجان العقيمان لهذا السبب ثم تزوج كل واحد منهما زوجاً جديداً .

واهتم ابن سينا وغيره بالأمراض المختلفة التى تصيب النساء خاصة ، وذلك على أساس من علم التشريح والجراحة ودراسة الأعراض التى تطرأ على الصحة ، فتحدثوا عن تشريح الرحم وخصائص الطمث واحتباسه ، كما تحدثوا عن أورام الرحم بشىء من التفصيل ، على نحو مايقول أبو بكر الرازى : « الورم فى الرحم ربما كان فى الرحم كلها ، وربما كان فى فمها ، وقد يكون فى نواحيها ، والعلامات الدالة على الورم على الإطلاق وجع فى المفاصل وحرارة وتمدد وثقل فى الصلب والفخذين والعانة وعسر البول واحتباس البراز » . ويضيف « على بن عباس » مزيدا من الإيضاح عن تكوين ألياف الرحم وإصابتها بالسرطان فيقول : « فمنها ليف ذاهب الطول وهذا الليف أقل ما فيه وليف ذاهب وارباً وليف ذاهب بالعرض .. وحدوث السرطان ربما كان مع تقرح أو من غير تقرح ، فما كان من غير تقرح فيستدل عليه بالوجع الشديد أسفل البطن والعانة . أما إذا كان مع تقرح فتعرض نفس الأعراض السابقة وكثيراً ما يسيل منها رطوبة مائية » . ويقول ابن سينا : « السرطان ورم صلب غير مستوى الشكل متفرع منه كالدوالى يؤلمه اللمس ردىء اللون ويزداد الألم » .

أما فيما يتعلق بالتوليد فقد وضع « على بن عباس » صاحب كتاب « كامل الصناعة » أول نظرية علمية فى التوليد تقضى بأن حركة الرحم المولدة هى التى تدفع بالثمرة إلى الخروج نتيجة لانقباض العضلات . وبهذا يكون « على بن عباس » قد أثبت خطأ نظرية « أبقراط » القديمة عن خروج الجنين بنفسه من رحم أمه نتيجة حركته التلقائية .

ويعترف المنصفون من مؤرخى علوم الطب بفضل

« أبى القاسم الزهراوى » الملقب بأمير الجراحة وفخرها فى عصر النهضة الإسلامية ، وذلك لما أسهم فى تطوير طرق التوليد وإدخال آلات حديثة وعلاجات جديدة ، فدرس طرق توليد الجنين فى حالة تقدم الأرجل على الرأس من باب الرحم ، وفى حالة تقدم الوجه على غيره من الأعضاء . كذلك أوصى أبو بكر الرازى بولادة الحوض ، ولكنها نسبت فيما بعد إلى غيره وعرفت فى كتب الطب الحديثة باسم « طريقة فالشر » .

على أن أفضل وصف لوضع الجنين الطبيعى فى جوف أمه يعزى إلى ابن القف الذى ذكر فى كتابه « العمدة فى الجراحة » مانصه : « أما قعوده فى جوف أمه فإنه يكون معتمداً بوجهه على رجليه وبراحتيه على ركبتيه وأنفه بين ذلك وساقه على فخذيه وهما على بطنه ووجهه إلى ظهر أمه » .

واهتم أطباء المسلمين كثيراً بطب الأطفال ، وخصوصاً ما يتعلق بالأطفال المولودين لسبعة أشهر والأطفال حديثى الولادة ، من حيث استقبالهم حين الولادة وكيفية تدثيرهم وتغذيتهم ، وأجمعوا على أن رضاعة لبن الأم أفضل طرق التغذية للطفل ، وحذروا من الفطام فى الصيف الحار أو الشتاء القارس ، وهى أمور يؤيدها الطب الحديث بعد بحث طويل ، وكتبوا كلاما مفيداً غير مسبوق عن معالجة الأمراض التى تصيب الأطفال كالاسهال والربو والبول فى الفراش والتشنجات والحول والحميات وغيرها .

ومن الجدير بالذكر أن النساء العرب كُنّ يخجلن أن يفحصهن الرجال فى أمراضهن الخاصة ، وفى حالات التوليد كان أكثر الأطباء العرب يأبون أن يفحصوا النساء ، فكانوا يعلمون القوابل طرق الفحص وكيف ينقلن المعلومات التى يدل عليها الفحص إلى الأطباء ، فيعرفون بذلك الكثير عن هذه الأمراض . وتشهد المؤلفات التراثية فى تاريخ الطب أن « الزهراوى » كان يقف خلف ستار خفيف ويعطى إرشاداته المناسبة للقابلات فى الحالات العسرة ، كما تذكر هذه المؤلفات قول الرازى : « إذا رأيت احتباس الطمث فقل للقابلة أن تجس عنق الرحم » . بل إن « الزهراوى » صنف مؤلفاً خاصاً فى « تعليم القوابل كيف يعالجن الأجنة الحية إذا خرجت على غير الشكل الطبيعى » .

ومع ما فى هذه الطريقة غير المباشرة فى علاج النساء من صعوبة فقد استطاع أطباء المسلمين أن يجمعوا معلومات قيمة عن أمراض النساء والقبالة (التوليد) وطب الأطفال ، ودوّنوا فى ذلك العديد من المؤلفات القيمة .

يتبع

من أمراض الطفولة

أمراض الدم

- ٣ -

للدكتورة/ جيهان أحمد مصطفى (*)

أنيميا كرات الدم الحمراء كبيرة الحجم (أنيميا الخلايا الضخمة)

تحدثنا فى المقالين السابقين عن ماهية مرض فقر الدم ، وتحدثنا بإسهاب عن أكثر أنواعه شيوعاً بين الأطفال ، وهو فقر الدم الناجم عن نقص عنصر الحديد ، واليوم نستأنف حديثنا عن هذا المرض الوبيل ، بإلقاء الضوء على نوع آخر من فقر الدم ، نتيجة نقص أحد العناصر اللازمة لعملية تكوين كرات الدم الحمراء ، وهى : أنيميا كرات الدم الحمراء ، كبيرة الحجم .

فما المقصود بأنيميا كرات الدم الحمراء الضخمة ؟ : Megaloblastic Anemia .

هى فقر دم ناجم عن نقص حامض الفوليك : Folic Acid أو فيتــامين (ب ١٢ B12) Vitamin ، وكلاهما فيتامين ضرورى لتكوين الحامض النووى : (د ن ا) DNA فى خلايا النخاع العظمى ، ولأن تكوين هذا الحامض النووى مهم لنضوج نواة الخلية Nuclear Maturation وتحويل الخلية غير الناضجة لأخــرى ناضجــة ، يؤدى نقص أى من (الفيتامِينَيْن) إلى عدم نضوج نوايا خلايا النخاع العظمى ، ويؤدى هذا إلى حدوث التغيرات الآتية :

(١) تتجمع الخلايا غير الناضجة المكونة لكرات الدم الحمراء Megaloblast فى النخاع العظمــى ، وتتميــز بأنها كبيرة الحجــم Macrocytic وتحتوى على نسبة كبيرة من الهيموجلوبين Hyperchromic على الرغم من توقف نمو ونضوج نواة الخلية ، ومعظم هذه الخلايا يتم تكسرها داخل النخاع العظمى :

* الكاتبة : ماجستير فى طب الأطفال .

intramedullary hemolysis

ويـؤدى هذا إلى زيـادة نسبـة (مادة البيليروبين) فى دم الطفل ، وترسُّب مادة (الهيموسيدرين) فى النخاع العظمى .

***

ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه الخلايا قد يحدث بها بعض النضوج النووى ، وتخرج هذه الخلايا غير مكتملة النضوج - إلى الدَّورة الدموية ، وتتميز بأنها خلايا كبيرة الحجم ، وتحتوى على نسبة كبيرة من (الهيموجلوبين) وبها بعض بقايا من النواة ، وهذه الخلايا قصيرة العمر - مُقارنة بخلايا الدم الحمراء المكتملة النضوج ، وسرعان ما يتم تكسرها فى طحال الطفل ، ويؤدى هذا أيضاً إلى زيادة نسبة مادة (البيليوبين) فى دم الطفل .

(ب) وقد يحدث أيضاً توقف فى نضوج الخلايا غير الناضجة ، المكونة لكرات الدم البيضاء White blood cells والصفائح الدموية Platelets مما يترتب عليه نقصان فى عدد خلايا الدم البيضاء Granulocytopenia ، والصفائح الدموية Thrombocytopenia .

***

● ونتحدث أولا عن : أنيميا الخلايا الضخمة الناجمة عن نقص حامض الفوليك Folic Acid Deficincy Megaloblastic Anemia

حامض (الفوليك) هو فيتامين قليل الذوبان فى الماء ، متواجد فى الخضروات الخضراء اللون Greem Vegetables وفى الكبد Liver ، وفى الحبوب Cereals ، وفى جوز الهند Nuts وفى الجبن Cheese ويتم تخزينه فى الكبد .

ويحتاج الطفل إلى هذا (الفيتامين) بكمية ضئيلة ، تتراوح بين ٢٠ إلى ٥٠ ميكروجرام يوميا وهو متواجد بكمية كافية فى لبن الأم ، ولبن البقر ، ولكن لبن الماعز لا يحتوى على نسبة كافية من هذا (الفيتامين) لسد حاجة الطفل .

★أسباب نقصان حامض الفوليك :

١ - قلة نسبة الفيتامين فى غذاء الطفل بحيث لا يفى بحاجته وخير مثال لهذا : الأطفال الذين يتغذون على لبن الماعز Goatmilk ، حيث إن نسبة حامض الفوليك به ضئيلة .

٢ - قلة امتصاص (حامض الفوليك) نتيجة لإصابة الطفل بأحد أمراض سوء الامتصاص Malabsorption Syndromes ، وبخاصة إذا كانت الإصابة فى الجزء العلوى من الأمعاء الدقيقة .

٣ - قلة المخزون من (الفيتامين) فى كبد الطفل إذا كان الطفل مبتسراً (أى ناقص النمو) ، أو إذا كانت الأم تعانى من نقصان هذا (الفيتامين) أثناء الحمل والرضاعة ، مع عدم إمداد الطفل به ، وأيضاً إذا أصيب الطفل بأحد أمراض الكبد الشديدة والمزمنة مثل مرض تليف الكبد : Liver Cirrhosis .

٤ - زيادة حاجة الطفل (للفيتامين) ، ويحدث هذا إذا كان الطفل مبتسراً ، أو إذا كان يعانى من أحد أنواع فقر الدم ، الناجم عن زيادة معدل تكسر كرات الدم الحمراء : Hemolytic anemia أو إذا كان الطفل يعانى من إصابته بأحد الأورام الخبيثة .

٥ ـ تناول الطفل لبعض العقاقير مثل :
* الأدوية المستخدمة لمنع حدوث التشنجات ، مثل عقار (الإيبانيوتين) ، لأنه يؤدى إلى قلة امتصاص (الفيتامين) عن طريق تقليل نشاط (الإنزيم) الذى يحول الحامض إلى صورة سهلة الامتصاص ، وأيضاً .. يتنافس هذا العقار مع الفيتامين على الاتحاد بـ (البروتين) الخاص الحامل للفيتامين Proteim Carrier فيتحد بهذا (البروتين) بدلا من الفيتامين .
* بعض الأدوية المستخدمة فى العلاج الكيميائى فى حالة إصابة الطفل بأحد الأورام الخبيثة .

٦ ـ عدم قدرة خلايا النخاع العظمى على استخدام الفيتامين فى حالة إصابة الطفل بمرض (الاسقربوط) Scurvy نتيجة لنقص (فيتامين « ج ») أو قلة نشاط الغدة الدرقية ltypothyroidism .

● أعراض المرض :

١ ـ أعراض عامة مثل تهتهة الطفل مع سرعة شعوره بالتعب عند بذل أقل مجهود .

٢ ـ قد يُصاب الطفل بالنزف bleeding ، إما تحت الجلد Purpura ، أو من الفتحات : (مثل الأنف أو الفم أو الشرج) ، وذلك نتيجة لقلة عدد الصفائح الدموية .

٣ ـ قد يُصاب الطفل بالالتهابات الحادة المتكررة ، نتيجة لقلة عدد كرات الدم البيضاء .

٤ ـ قد يصْفرُّ لون الطفل (الجلد والأغشية المخاطية وبياض العين) ، نتيجة لزيارة نسبة (مادة البيليروبين) ، نظراً لزيادة معدل تكسر خلايا الدم الحمراء .

● تشخيص المرض :

١ ـ القيام بعمل صورة دم كاملة :
Complete blood picture (CBC)

ويتجلى فيها الآتى :
* تكون خلايا الدم الحمراء قليلة العدد ، وكبيرة الحجم ومُحتوية على نسبة كبيرة من (الهيموجلوبين) وتظهر بها بقايا من نواة الخلايا .
* تزداد نسبة متوسط حجم خلايا الدم الحمراء Mean Corpuscular Volume (MCV) وأيضا تزداد نسبة متوسط كمية (الهيموجلوبين) فى خلايا الدم الحمراء Mean corpuscular Hemoglbim (MCH) .
* تقل نسبة الخلايا الشبكية Reticulocytes ، وهى خلايا الدم الحمراء ، غير مكتملة النضوج ، والتى تسبق مباشرة خلايا الدم الحمراء المكتملة النضوج .
* فى بعض الأحيان قد تقل نسبة كرات الدم البيضاء والصفائح الدموية .

٢ ـ التحاليل الكيميائية بالدم : Blood Chemistry
* تقل نسبة (حامض الفوليك) فى مصل الطفل ، وفى خلايا الدم الحمراء
* نتيجة لزيادة مغدل تكسر كرات الدم الحمراء وقد تزداد نسبة (مادة البيليروبين) غير المباشرة indirect bilirubin وأيضا نسبة الحديد iron فى مصل الطفل .

٣ ـ القيام بعمل بذل للنخاع العظمى Bone Marrow Aspiration .

البقية صـ ١٥٤١

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد . د / نجوى السيد أحمد

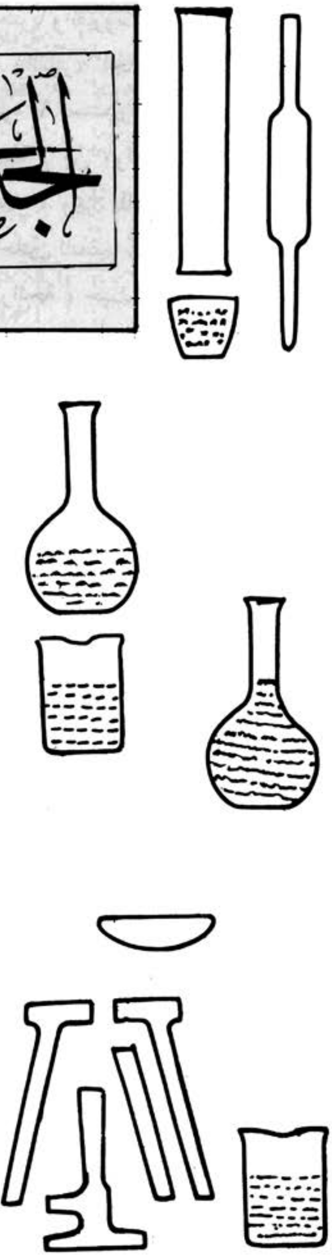

(١) الهندسة الوراثية لإنتاج خيوط العنكبوت

نجح فريق من العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية فى نقل المورثات «الجينات» المسؤولة عن إنتاج خيوط العنكبوت إلى بعض سلالات البكتريا حيث تتولى التكاثر وإنتاج بروتين نسيج العنكبوت ، بدون الحاجة إلى العنكبوت نفسه . وتتميز هذه الخيوط بأنها أقوى من حرير دود القز وأصلب من الفولاز . ويُتوقع أن تستعمل الخيوط الجديدة فى صنع «السترات» الواقية من الرصاص وحبال المظلات والخيم بل وربما الألياف البصرية .

(٢) جزىء تركيبى جديد يوقف تكاثر فيروس الإنفلونزا

أعلن فريق أبحاث أسترالى أنه نجح فى تركيب جزىء بسيط من البروتينات السكرية يوقف تكاثر فيروس «الإنفلونزا» فى فأر المختبر مما يخفف من حدة الإصابة ، وذلك بعد عدة سنوات قضاها الفريق فى دراسة بنية فيروس الإنفلونزا ، وهو مايشكل خطوة إلى الأمام على طريق معالجة

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث .

«الإنفلونـزا» عنـد الإنسان . والبنيـة الجزيئيـة للبروتين الذى يوجد على سطح فيروس الإنفلونزا على شكل تجويف جيبى تبقى ثابتة بينما يتغير المحيط الجزيئى للبروتين من سلالـة من الـفيروس إلى أخرى ، والجزىء الجديد يستطيع أن يتداخـل ويلتصق بالبروتين على سطح الفيروس ، ويعرقل التصاقه بالخلايا المضيفة التى تغطى سطح القناة التنفسية ويوقف تكاثر فيروس «الإنفلونزا» بينما تتعامل الاستجابة المناعية الطبيعية مع العـدوى للتخفيف منها .

(٣)«تكنولوجيا» جديدة لتحسين العديد من الأنظمة البصرية .

أنتجت إحدى الشركات الأمريكية لصناعة العدسات العينية عدسة جديدة تزرع للمرضى الذين أزيلت عدسات عيونهم الطبيعية وتمكنهم من أن يركزوا بصرهم على الأشياء القريبة والبعيدة كما لو كانوا يضعون عدسات مزدوجة البؤرة ، فى حين أن العدسات البلاستيكية التى تزرع عادة لا تركز إلا على الأشياء البعيدة مما يضطر المريض إلى استعمال النظارات لرؤية الأشياء القريبة ، حيث قامت الشركة بتجنب ذلك بتغطية نصف العـدسة المعـدة للـزرع بسلسـلة من الحروف المتدرجة والتى لايزيد ارتفاعها عن ٢ ميكرومتر وتـنضم هذه البنيـة إلى قوة الانـكسار الخاصة بالعدسة لتركيز الضوء الآتى من الأجسام على الشبكية ، أما المناطق الأخرى غير المغطاه من العدسة فتركز الضوء الآتى من الأجسام البعيدة .

(٤) أصغر «مرشح» لتنقية الماء .

قامت إحـدى الشركات الإنجليزيـة بتصميم وإنتاج جهاز ترشيح «فلتر» بسيط يسهل حمله إلى أى مكان لمعالجة المياه الملوثة بإزالة الطفيليات والبكتريا والفيروسات خلال أقل من أربع دقائق . يزن «الفلتر» الجديد حوالى نصف كيلو جرام وقطره ٩ سنتميرات وارتفاعه ١٨ سنتيمتـر ، ومصنوع من مواد بلاستيكية تتحمل الضغـط الشديد ، ويمر الماء عبر ثلاث مراحـل تصفيـة ومرحلتين للتعقيم ، مما ينتج عنه ماء نقى لا لون له ولا رائحة ، حيث يتم فصل المواد الصلبة أولا ثم إزالة المواد العضوية والروائـح وتحسين الطعـم بواسطة مصفاه مشربة بالفضة ، منشطة بالكربون وبعد هذه المعالجة الجزئية يمر الماء فى مركـب من الراتنج والأيودين معدّ خصيصا للتطهير وبذلك نحصل على مياه نظيفة ومعقمة .

(٥) الصحف القديمة لتخضير الأرض

ابتكـرت شركـة أُستراليـة طريقـة جديـدة لتخضير المساحات الصناعية المهملة مثل المحاجر أو المساحات المحيطة بالمصانع ، تقوم هذه الطريقة على استعمال الخليط الناتـج عن عجـن أوراق الصحف القديمة بالماء ومزيج من الأسمدة وبذور النبات ، ثم نشر هذا الخليط السائل على الأراضى المذكورة باستعمال صهاريج رشاشة .

(٦) تربة صناعية جديدة لاستعـادة خصوبـة الأراضى الزراعية .

اكتشف مجموعة من العلماء فى أحد مراكز الأبحاث الروسية طريقة جديدة فعالة وبسيطة لحل مشكلة إرهاق التربة من جراء كثرة الزراعة وعدم اكتمال الدورة الطبيعية للم . المغذية للنبات ، وترتكز هذه الطريقة على خلط الفحم الحجرى البنى مع كائنات عضويـة أنتجوهـا باستعمـال تقنيات الهندسة الوراثية فى خزان فولازى مملوء

بالماء ؛ ليسرعوا من عملية التحلل ، إذ أن هذا المحلول يتحول بعد ست ساعات تقريبا إلى مادة سائلة لزجة داكنة اللون تعرف باسم «التربة السوداء» وتتميز بخصوبتها الشديدة وتسرع فى نمو النباتات وتزيد من كمية المحصول .

(٧) اكتشاف منابع راديوية متزاوجة .

عثر علماء الفلك فى استراليا على منبعين راديوَيْن نابضين يدوران بسرعة كبيرة حول نفسيهما فى حشد نجمى عملاق واحد ، وكل منهما فى مدار حول نجم خاص به ، ويؤكد هذان الاكتشافان النظريات القائلة بأن المنابع الراديوية النابضة تدور حول نفسها بهذه السرعة نتيجة لتأثير عمل النجوم المرافقة ، وأن حالة هذين النجمين المتزاوجين لابد وأن تكون أكثر شيوعا فى الحشود النجمية ، وهذا ناجم عن أن الاحتمال الأكبر للنجم المفرد هو أن يمر على مسافة قريبة جدا من نجم آخر فينتهيان إلى أن يصحبا نجمين متزاوجين .

(٨) حاسب آلى يقرأ ويكتب خط اليد

اخترعت إحدى الشركات الأمريكية فى كاليفورنيا حاسب آلى جديد يقدم خدمات غير معتادة ، والجهاز بحجم الكتاب وبدلا من لوحة المفاتيح والفأر الإليكترونى ، هناك شاشة بلورات سائلة كبيرة وقلم إلكترونى صغير ويستطيع الشخص أن يكتب مباشرة على الشاشة الزجاجية مثل الكتابة على الورق وتتحول الكتابة فورا إلى أحرف تظهر داخل الشاشة ، ويتميز هذا الجهاز ببساطة القلم وقوة الحاسوب مع إمكانية التنقل به واستخدامه أينما كان .

(٩) أجهزة راديو جديدة مرئية .

بدأت بعض الشركات اليابانية للإلكترونيات فى إنتاج أجهزة راديو مرئية يمكن مشاهدتها والاستماع إليها في نفس الوقت ، فهى مزودة بشاشة لاستقبال الإرسال المرئى على موجات « FM » لبث معلومات مكتوبة على قناة فرعية مع الصوت . والراديو الجديد صغير في حجم كف اليد وسيكون بديلا للجريدة لراكبى السيارات والقطارات ويمكن استخدامه فى استدعاء الكثير من المعلومات المطلوبة عن الطقس والمرور والأخبار والبرامج المتنوعة .

بقية صـ ١٥٣٨

ويتجلى فيه الآتى :

* يكون النخاع العظمى كثير الخلايا Hypercellular وتكون الخلايا المكونة لكرات الدم الحمراء Megaloblast ، كبيرة الحجم ومحتوية على نسبة كبيرة من (الهيموجلوبين) وأيضا يزداد حجم (سيتوبلازم) الخلية ، وتكون النواة غير ناضجة ، مقارنة بالنضوج (السيتوبرومى) .

● علاج المرض :

١ ــ يتم هذا بإعطاء الطفل حامض الفوليك (٢ ــ ٥ مليجرام) يوميا ، عن طريق الحقن لمدة ثلاثة أيام ، ثم يستأنف العلاج عن طريق الفم (حوالى ٥٠ ميكروجرام) يوميا لمد (٣ ــ ٤ أسابيع) .

٢ ــ فى حالات فقر الدم الشديد قد يحتاج الطفل إلى نقل دم إليه .

اللغة والأدب والنقد

اللغة العربية فى تاريخها

الجزء الأخير

أ . د / توفيق محمد شاهين

المعاجم والقواعد والأصوات فى العربية :

بعض الباحثات فى الحقل اللغوى تعتقد : « أن الأمة العربية أول من عنى بتأليف المعاجم اللغوية ، ولم يسبقها ـ بحسب اعتقادها ـ إلى مثل هذا النوع من التأليف اللغوى إلاّ ما ظهر مؤخراً من ألواح المعاجم وجدت فى مدينة (إيبلا) السورية ، والتى يقال فيها : إنها معاجمّ ، وأنها معاجم ثنائية الأصول ، تعود إلى إسماعيل جد العرب ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ ويبدو أن اليونان أخذوا عن العرب هذا النوع من التأليف » .

فقد أرجعت نشأة تأليف المعاجم العربية إلى مرتبة تالية لمكتشفات (إيبلا) ، والتى قيل : إنها معاجم سامية وثنائية الأصول ، وأرجعتها إلى عهد جدنا إسماعيل ـ صلى الله عليه وسلم ـ وظنوا أن اليونان عرفت المعاجم عن العرب .. وهذه ظنون فى الواقع ما زالت بحاجة إلى أدلة .. وما كتب عن المعاجم العربية خاصة واللغوية عامة يجعلنا مترددين فى قبول هذا القول على علاته بغير سند أو دليل .

وإن كنت أميل إلى تأييد ثنائية الأصول فى هذه الفصيلة اللغوية السامية ، لما لمسته إبان بحثى ومعايشتى فى هذا الجانب ، وأكثر من ذلك وجدت أن للحرف قيمة تعبيرية ، كما فى الجدول الفينيقى الذى تحدث عنه الشيخ عبدالله العلايلى فى مقدمته[٢] .

(١) علم المفردات فى إرثنا اللغوى ، للدكتورة نشأة محمد رضا ظبيان ص ٩٩ .

(٢) أنظر كتابنا (أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية) مكتبة وهبة ـ القاهرة .

ولا ينكر أحد أن اكتشاف (اللغة الأوغاريتية) وكتاباتها ، وفك رموزها فى نصف القرن الماضى أدى بالعلماء إلى إعادة النظر فى كل ما قاموا به من دراسات عن الجزيرة العربية ولغاتها .

كما عرفوا بعض مراحل من تاريخ تطور الكتابة المسمارية المقطعية وأبجديتها ، وصوتياتها ، والصلات الكبيرة بينها وبين لغات الجزيرة العربية ـ الجنوبية (المعينية والسبئية) ، فأزالت غموضاً كان يخيم على الصلات اللغوية فى الشمال والجنوب.

ويذكر الدكتور جواد على : أن الفضل فى اكتشاف ألواح (الأوغاريتية) فى الربع الأول من هذا القرن يرجع إلى العالم M. Claude Schaeffer وقد وجد على هذه الألواح الأبجدية المسمارية بكاملها مدونة بخط جلى واضح[3] وعند قراءتها تبين أنها تتألف من ثلاثين رمزاً صوتياً ، لكل صوت صحيح فى اللغة رمز مستقل واضح[3] ، لا ترافقه حركة كما كان الأمر فى المسمارية المقطعية ، فيما عدا صوت الهمزة الذى بقى كما كان فى المسمارية المقطعية بثلاث صور مع حركة تلحقها : هى الفتحة والضمة والكسرة .

ويرى الدكتور (س. جوردون) فى كتابه : (قواعد الأوغاريتية) ، كما نقلته عنه الدكتورة باكزة حلمى : أن الأوغاريتية تشترك ـ أيضاً ـ مع العربية القديمة والحديثة فى أمور كثيرة ، مثل : الأصوات الصحيحة ، واللينة ، وكذلك القواعد ، مما يدل على قوة الصلة بين الأوغاريتية والعربية أكثر من غيرهما من لغات الجزيرة ، تتمثل فيما يلى :

١ ـ أجديتهما تحتوى على الأصوات الصحيحة الموجودة اليوم فى العربية ، بما فى ذلك حرفى (الضاد ، والظاء) اللذين تفتقر إليهما معظم لغات الجزيرة العربية . وعدد الأصوات الصحيحة واحدة فيهما ومتماثلة ، وكذلك الأبجديات للغات الأخرى فتتألف من اثنين وعشرين حرفاً .

٢ ـ وأصوات الحركة واللين (الألف ، والواو ، والياء) ، يضاف إليها الرموز الحركية ، أو أنصاف هذه الحركات ـ كما يعبر ابن جنى ـ فى اللغتين واحدة .

٣ ـ وكما اتفقت اللغتان فى الأبجدية واللفظ اتفقتا فى النطق كذلك بخلاف اللغات الأخرى حيث اتسعت مسافة الخلف فيما بينها وبين العربية .

٤ ـ واشتركتا كذلك فى الإعراب بالحروف والحركات ، بينما اختفت ظاهرة الإعراب فى اللغات الأخرى أو لغات المرحلة الثانية (العبرية والآرامية) وإن بقى من الظاهرة شىء لا يذكر .

واشتركت الأوغاريتية والعربية كذلك فى تقسيم الاسم إلى مفرد ومثنى وجمع ، وعلامات الجمع والتثنية ، سوى أن النون فى الأوغاريتية تقلب إلى (الميم) .

بينما تنعدم التثنية فى لغات المرحلة الثانية .

٥ ـ وقواعد الاشتقاق والتصريف تكاد تكون واحدة فيهما[4] .

ومعنى هذا أن الأوغاريتية تعد أقرب اللغات إلى العربية القديمة والحديثة ، وأقوى صلة بها ،

---

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٠٦/١ .

(٤) قواعد الأوغاريتية ـ د. جوردون ـ ص ٣ ـ ٥ .

للتشابه القوى والذى يقرب أن يكون تاماً بينهما .

وإذا كانت الأوغاريتية أقدم تاريخاً ـ أيضاً ـ فإن العربية قديمة ضاربة فى أعماق التاريخ أكثر من غيرها من لغات الجزيرة العربية .

وتدل الدراسات اللغوية على أن هناك لغات أخرى فى الجنوب (اليمن) ، والغرب (نجد والحجاز) عاصرت البابلية والأشورية فى الشرق ، والأوغاريتية فى الشمال الغربى (رأس شمرا) .

ومع أهمية لغات الجنوب والغرب ، إلاّ أن الحفريات لم تسفر للآن عن مراحل تطور تدوينها ، حتى يمكن إرجاعها إلى تاريخ بدء التدوين بلغات الجزيرة ، أى الألف الثالث ق.م ولم توضح ملامح الكتابة فى جنوب الجزيرة وغربها .

أما دراسة لغات جنوب الجزيرة العربية وغربها ، فلم يكشف النقاب عنها إلا فى أواخر القرن الماضى ، حيث توالت الكشوفات والدراسات التى أماطت اللثام ، وحلت الرموز التى عثر عليها ، فتم للعلماء معرفة كبيرة أكيدة بمعرفة مراحل اللغة العربية ، وشقيقاتها الحية والمندثرة ، وتكاملت الدراسات بالمقارنة لتثبت الملامح والصلات وتكشف المجهول . وعرف العلماء بذلك قواعد لغات الجزيرة العربية كلها : الحية والمندثرة على السواء .

فقد عثر المستشرق الفرنسى (هاليفى) على ستمائة وخمسة وستين نقشاً مكتوباً بخط المسند ـ ولم يعرفه العلماء قبل ذلك ـ فحل رموزها ونشرها فيما بين سنتى (١٨٦٩ ـ ١٨٧١)

وتابع العلماء الكشوف بعد (هاليفى)، ، ودرسوا قواعد ما عثروا عليه ، وأجروا مقارنات أفادت البحوث اللغوية كثيراً .

فوضع المستشرق (إينوليتمان) أينوليتامان دراسة موجزة لقواعد الصفوية ، والثمودية ، من لغات غرب وشمال الجزيرة العربية .

ثم وضع الأستاذ اغناطيوس جويدى سنة ١٩٣٠م كتاباً مختصراً بالعربية فى قواعد لغات الجزيرة العربية الجنوبية (لغة حمير) .

وأعاد (إينوليتمان) نشر بحوثه ودراساته مفصلة سنة ١٩٤٠م .

وقامت تلميذته (ماريا هوفنر Maria Hofner) بدراسة قواعد اللغة العربية الجنوبية سنة ١٩٤٣م .

وتبع هؤلاء باحثون فى هذا الجانب أيضاً ، مثل : العالم (كلازر) و (هومل) و (روسى) وأخيراً محمد توفيق ، والدكتور خليل يحيى نامى من كلية آداب القاهرة .

ومن هذه الدراسات : (أصبح لدى العلماء تاريخ كامل للغة العربية بمراحلها الثلاث ، منذ أقدم عهد لهذه الأسرة اللغوية حتى الآن بغير انقطاع أو ثغرة ، واستفادت منها دراسة البحوث المقارنة لهذه المنطقة كلها ما هى إلاّ لهجات « للغة واحدة » . تفرعت عنها وانتشرت فى أنحاء الجزيرة وأطرافها ، لتكون بدورها لغات مستقلة ، انفردت كل منها باسم خاص عرفت به ، وخصائص لغوية جديدة ميزتها عن أخواتها عبر الزمن)(٥) .

(٥) مجلة المجمع العلمى العراق مجلد ٢٤ سنة ١٣٩٤ هـ .

والعربية تنتمى إلى أسرة الساميات ، وتدخل فيها المجموعة الأكادية ، التى كانت فى العراق القديم . ويدخل فيها أيضاً المجموعة الكنعانية التى تضم الأجريتية والفينيقية والعبرية ، وكذلك اللهجات الآرامية المختلفة ، التى سادت العراق والشام فى الجاهلية .

ويدخل كذلك فى إطار اللغات السامية عدد من اللغات فى الحبشة .

والعربية التى نعرفا اليوم هى العربية الشمالية ، وهى لغة متميزة عن العربية الجنوبية ، التى حملت لنا حضارة اليمن القديمة ، كما يرى الدكتور محمود فهمى حجازى وغيره من علماء أصول اللغة قديماً وحديثاً(٦) .

وتكون العربية الشمالية والعربية الجنوبية ، واللغات السامية فى الحبشة : الفرع الجنوبى ، من أسرة اللغات السامية .

ويحاول المتخصصون فى اللغات السامية منذ القرن الماضى – إعادة تكوين اللغة السامية الأم ، أو السامية الأولى ، التى يفترض أنها كانت الأصل المشترك ، الذى خرجت عنه اللغات السامية المختلفة .

والأمر كذلك بالنسبة لفرع اللغات الهندية الأوربية ، إذا حاول بعض الباحثين إعادة تكوين هذه اللغة الأولى ، والتى يفترض أنها سبقت – كما يرى بعض العلماء – فى الوجود كل لغات هذه الأسرة اللغوية .

وجاءت كل الافتراضات ظنوناً فى الواقع ؛ لأن البحث – مع وصوله إلى مرحلة مبكرة فى التاريخ اللغوى للإنسانية – لم يقم على واقع مدون ، أو بمنهج علمى يقينى . ومن ثم توقفت الأبحاث فى المراحل التى ندرت فيها النقوش أو انعدمت ؛ لأن علم اللغة يبدأ حيث يوجد نقش قديم أو نص مدون فقط . وليس من الممكن أن يمضى الباحث فى تاريخه للأسرة اللغوية إلى المراحل السابقة على تدوين أقدم النقوش المكتوبة : فنشأة اللغة تخرج تماماً عن مجال البحث فى اللغة . وعلم اللغة يشبه فى هذا الصدد علم التاريخ ، فى أن كليهما يبدأ من أقدم الكتابات والنقوش ، تاركاً لعلم ما قبل التاريخ بحث المراحل السابقة على الكتابة .

وعن أقدمية العربية بين أخواتها الساميات ، بعد دراسات طويلة ومستفيضة ، تقول الدكتورة باكزة حلمى : (دلت الدراسات التى أجريت حتى الآن فى قواعد لغات الجزيرة الجنوبية على أنها تمثل أقدم صور اللغة العربية الحديثة .

ودلت على أن المعينية – التى تعد من أقدم تلك اللغات – هى أيضاً أكثرها صلة بأقدم لغة عرفت فى التاريخ من أسرة « لغات الجزيرة العربية – العربية » كما تفضل الدكتورة تسميتها البابلية الأولى ؛ فقد كانت معاصرة لها أو أقدم منها على الأغلب .

وتعلل الدكتورة ذلك ؛ بان البابلية – التى تعد بإجماع آراء علماء اللغة – إحدى أهم لغات هذه الأسرة وأقدمها ، انتقلت من موطنها الأول فى جنوب الجزيرة قبل بدء التدوين ، وحملت معها بلا شك تلك الصفات اللغوية التى رأيناها تشترك

(٦) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ص ١٦ – ١٨ بتصرف .

فيها مع المعينية العربية ، بل وتنفرد معها بكثير من تلك الصفات دون سائر لغات الأسرة الأخرى : الأمر الذى يدل على أنهما كانتا فى مرحلة واحدة من التطور حين افتراقهما .

وقد اندثرت البابلية قبل نهاية هذه المرحلة لتحل محلها لغات أخرى من الأسرة نفسها .

أما المعينية : فقد استمرت مع لهجات الجنوب الأخرى ، حية متطورة إلى جانب لهجات العربية الشمالية ، لتدخلا مرحلة جديدة من التاريخ بلهجات عربية الجاهلية الأولى ، ثم لتتبلور من بينها لغة متكاملة فصحى هى لغة التنزيل ، وأخيراً لتستقر فى هذه اللغة العربية الفصحى الحديثة العامة ، وفى هذه اللهجات المحلية التى لا حصر لها ، والتى تعود كل منها إلى إحدى اللغات القديمة التى اندثرت أسماؤها وبقيت حية فى لغات اليوم بأسماء جديدة(٧) .

وبعد :

فإنه من العجيب والغريب ، أن يعنى المستشرقون وتلاميذهم فى البحث عن تاريخنا القديم ، والتنقيب عنه فى أماكنه المظنونة ، ثم حل رموزه ، والعناية بطبعه ونشره ، ثم تدريسه بعدئذ فى معاهدهم ومعاهدنا العلمية حين يدعون أساتذة زائرين ومحاضرين .. بينما نظل نحن أبناء العروبة عازفين عن دراسة وبحث وطبع هذه الجوانب الأكاديمية الحضارية .. فلعل إثارتنا لهذا الموضوع تثير شاكلة انتباه عند أبناء العروبة بالذات : علمائهم وحكامهم ؛ لأن الأمر يخصنا ويشرفنا فى المقام الأول .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

(٧) مجلة المجمع العلمى العراق مجلة/ ٢٤ سنة ١٣٩٤هـ ص ١٨٩ - ١٩٠ .

الأثر العربي في الأدب السواحيلي

بقلم الأستاذ/
عادل فهمي خفاجة

الشـــــــعر « ب »

تناولنا فى الأعداد السابقة الأثر العربى فى اللغة والأدب السواحيلى ، ورأينا الكثير من الألفاظ العربية التى دخلت السواحيلية فى أكثر من مجال .

كما ذكرنا أسماء عديدة لقصائد إسلامية يذخر بها الأدب السواحيلى ، وقدمنا نماذج منها ، كما أوضحنا أن أطول قصيدة ظهرت فى الأدب السواحيلى هى : قصيدة بعنوان : « محمد ﷺ » وتزيد أبياتها على ستة آلاف بيت .

وفى هذا العدد نشير ــ بعون الله ــ إلى تلك القصائد التى تتناول الموضوعات الاجتماعية بصفة عامة وسوف نلاحظ أن الاسلام كان إماما مقدما فى علاج هذه الموضوعات .

من فحول الشعراء السواحيليين الشاعر « موياكا بن حاجى » وهو شاعر كينى عاش فى « ممباسا » فى الفترة ما بين النصف الثانى من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر . ونقدم له نموذجين : الأول موجه إلى حاكم مستبد ــ كما يرى الشاعر ــ والثانى يخاطب فيه ابنه .

أما الأول بعنوان : من بنى بيتا لا يبيت فيه .

يروى أن حاكما لمدينة « لامو » شرع فى بناء حائط للمدينة لكى يحتمى من هجمات أهل « ممباسا » ولكن الشاعر من أهل ممباسا يرسل إليه رسالة تفيد أن الأسوار لا تحمى الحاكم الظالم .

من هذه القصيدة نقدم ترجمة لبعض أبياتها .

يقول الشاعر :

كم من الحوادث مضت وانقضت
خبرناها كبيرها وصغيرها
فأين كنتم ؟ وليتم وتظاهرتم بالإقدام
من بنى بيتا لا يبيت فيه ، بل يبيت خارجه

***

لو كنتم تعلمون لأدركتم ذلك
ولما سئمتم وتجنبتمونا تجنب الداء
فالخالق هو الخالق ، وهذا أمر لا ينسى
من بنى بيتا لا يبيت فيه ، بل يبيت خارجه

***

أى أمر يصيبك أيها المخلوق حتى تتعظ
إلى متى تُصر على السير فى طريق الضلال
كفاك عناداً واترك قسوة الفؤاد
من بنى بيتا لا يبيت فيه ، بل يبيت خارجه

فلتنظر أنى لست بجوارك فيما يصيبك ، وكذلك أنت
فالتمس آخرين يسعفونك
واحذر الندامة التى تأتى فيما بعد
من بنى بيتا لا يبيت فيه ، بل يبيت خارجه

والقصيدة تفيض ألما واستنكارا لوقوع الظلم عليه من بنى جلدته ، وفيها تحذير لكل ظالم ، كما تحمل دعوة لتأمل نتائج هذه البغضاء التى جعلت كلًا من الحاكم والشاعر بعيدا عن الآخر ، وفى نهاية قصيدته يقول : « لن تَنْسلَّ تهديداتكم إلى قلبى » ، « فتصيبه بالمرض » .

إن الشاعر وهو يتناول موضوعا اجتماعيا كهذا ينظر إلى الدنيا نظرة لا تخلو من تأمل ، فهو من خلال ترديده المستمر لعبارة « من بنى بيتا لا يبيت فيه بل يبيت خارجه » يريد أن يؤكد أن الدنيا بأسرها ليست بيتاً نبيت فيه بل نبيت خارجه ، وعلينا أن نترابط ونتحابَّ ؛ لنظفر بما هو أبقى .

وكأنه يدعوه ألا يكون قصير النظر ، وأن عليه أن ينظر إلى ما بعد هذه الحياة إلى الآخرة التى هى خير وأبقى ، فالسور الذى بناه لن يمنعه من **الخروج من هذه الدنيا ، ولابد أن يأتى يوم يبيت** خارجه .

النموذج الثانى : « ليس هناك ما هو مستحيل » .

يعتزم الشاعر الرحيل ــ لما ضاق به العيش ــ إلى أرض أكثر رخاء ، وهو لا يستطيع أن يخفى مشاعر الخوف من السفر باستخدام ذلك الزورق البدائى المصنوع من أخشاب تضمها الحبال ، أو الخوف من هياج البحر ، إلا أنه يتسلح بإيمان قوى بالله الرزاق ، ويقرر ألَّا يتراجع ، ويطلب من ابنه الدعاء .

يقول الشاعر :

وداعا ولدى وداعا
فإننى عزمت ركوب الرياح الجنوبية
ولو كان البحر هائجا ، سأعتمد على الرزاق
إن مع العسر يسرا ، وليس هناك مستحيل

***

اسأل الله المجيب ياولدى
أن يعطينا ما نرجوه
اسأل من لا يعجزه عطاء أن يمنحنا القوت
ويرفع عنا الذل ، فليس هناك مستحيل

***

اسأله أن يرفع الذل عن عباده المكروبين
فلا نعانى جور الفقر
وتنعم القلوب بالسكينة وتنجو من الشهوات
كل شىء بيد الله ، ليس هناك مستحيل

والملاحظ أن هذه القصيدة وإن كانت لم تنظم لغرضٍ دينى إلا أنها تقطر إيمانا ، وتشف عن يقين كبير .

أما أمير شعراء السواحيليين « شعبان روبرت » فيرى أن اللون الأسود للإفريقيين إنما هو هبة من الله الوهاب ، وزينة من الله وليس دليل ذنب أو نقصان ، فالله الخالق جعل فى السماء مصابيح وجعل فى الأرض الأبيض والأسود والأحمر ؛ لتعلو وتتجلى كلمة الله فى السماء والأرض يقول فى تلك القصيدة التى سماها « ألواننا » Rangi Zetu :

إن اللهَ زيـن السمـاء بالنجـوم
وزَيَّـن الـورود والزهـور

فالألـــوان من عظمـــة الخالـــق
وليســـت دليـــل مـــرارة
وليســـــت ذنبـــــا
أو علامـــــة نقصان
الألـــــوان هبـــــة الله
الخالـــــق ذى الكمـــــال

***

فالله زيّـــن السمـــــاء
والمخلوقـــــات والأمم
وكل صـــنعتـــــــه
تتم بحكمـــــة ومعرفـــــة
يـــــدل العـــــالمين
بعض يموت وبـــعض يولـــد
فالألـــــوان منـــــة الله
وليســـت دليـــل مهـــانة

***

وفى قصيدة أخرى يتوجه الشاعر الى ابنته يوصيها بالصلاة ، لأنها ستبقى لها ذخراً بعد أن تفنى الدنيا ، ويوصيها بطاعة زوجها ؛ لأن طاعته واجبة .

وتموت زوجته الأولى « أمينة » فيرثيها بقصيدة تحمل اسمها ، يقول فيها :

أمينة ، لقد وقع الاختيار عليك لترحلى
ياحبيبتى الغالية ، لتكن الجنة مثواك
فالحب الذى ربط بيننا
لا يفصمه شىء

إلى جانب ذلك نجد الكثير ممن ينظمون الشعر باللغة العربية مثل الشيخ صالح محمد سيد إمام مسجد الرياض بمدينة « لامو ــ كينيا » الذى يقول قصيدة[1] يحيى فيها الأزهر ويثنى على دورة الأئمة والوعاظ التى تنظمها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف يقول فيها :

قل لمن بالأسفار يطوى الرحابـــا
حط بالأزهـــر الشريـــف الركابـــا
واغتنم فى « مصر العروبة » عِلماً
فهـــى بالعلـــم فاقت الأترابـــــا
كعبة المجد فى ثراها وأضحى الـ
مجد من برجها يباهـــى السحابـــا

وللشيخ أويس محمد البراوى[1] قصيدة بعنوان « حادية الأنام إلى قبر النبى عليه أفضل الصلاة والسلام » يقول فى مطلعها :

إذا ما شئت تيسير المراد
فصلِّ على رسولك خير هادى
وقـــل مستنجـــدا فى كل ناد
صلاة الله ما نادى المنـــــادى
على المختار مولانا الحمّاد

حبـــــيب الله أفضل من ترق
وقبره فاق كرسيـــا ومرقّـــــى

(١) يمكن الرجوع إلى نص القصيدة بمجلة الأزهر ــ عدد رجب ١٤١٥ هـ ص ٩٥٨ .

وكل مواضع الخيرات صدقـــا
يفـوح المسك والـــريحان حقـــا
لقبر محمدٍ نور الفؤاد

ويختم قصديته بقوله :

ورحمتنـــا ونعمتنـــا وبشرى
وعصمتنا بذى الدنيا وأخـــرى
وتسليم عليـــــه يفك عسرا
وخص الآل والأصحـــاب طرا
مع الأتباع ما نادى المنادى ·

هكذا يبدو الأثر الإسلامى والعربى فى الأدب السواحيلى ، ومعه يفيض حبٍ غامر للغة العربية والإسلام ، ويعـــتبر هذا الأدب « من أصدق مصادر التأريخ إذا عرفنا كيف نقرؤه ونفهمـــه وندرسه على ضوء مناهج البحث العلمى ، فهو يصور لنا حياة الأفراد والجماعات فى أزمـنتها المختلفة ، وهو بهذا ييسر لنا الموازنة والمقارنـة واستخلاص ما يجمع بين الناس من صلة ، وما يفصل بينهم من فروق[٣] .

وبعد ، فإن هذه المعمورة لم تُعْرَف منطقة منها لم تتعـرض لتـأثيرات مِن جيرانها أو من غزاة اقتحموها ، فتأخذ وتعطى ، وتطور فيما أخذت ، وتترك ما لا يتناسب مع قيمها وأعرافها ، ومع مرور الزمان يصبح ما أخذته أو طورته قليلا لا يثير انتباها إلا إذا كان له صلة بالعقيدة فإنه يبقى ويرسخ .

ومنطقة شرق إفريقيا تعـرضت لتـأثيرات ، ولكن ما أخذته ــ عن اقتناع ــ كان عقيدة سمحـة غراء ، رضوهـا لأنفسهـم دينـــا وأبى المُنَصِّرون ذلك ، فشنوا حربا على ذلك الأثر العربى الذى يحتضنه هذا الدين ؛ ليهدموا ركنا هاما للإسلام فى نفوس الإفريقيين وهو هدف بعيد المنال .

وإذا كان ذلك هو ما يفعله المنصرون ، فعلى العرب أن يمدوا أيديهم لإخوانهم فى إفريقيـا ، فيتعاونوا جميعا على دراسة المخطوطات والتراث العربى الإسلامى الموجود فى شرق إفريقيا ، حتى يعود التقارب الفكرى والوجدانى إلى جذوره فتلتحم الأمشاج ويقـوى الترابـط ، فنصل ما انفصم من عُرى ثقافية وتجارية .

وليس ذلك على الله ببعيد .

---

(٢) أحد شعراء (براوة) بالصومال .

(٣) راجع د. السيد تقى الدين : الأدب ماهية وفائدة ص ٣٠ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى ــ القاهرة ١٩٨٤م .

مع فضيلة الدكتور

عبد الوهاب عزام

★ د. عبد الوهاب عزام ★

رحمه الله تعالى

فى بدائعه وروائعه، وذكرى حياته

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

مازال أدب الدكتور عبدالوهاب عزام ـ رحمه الله ـ بحاجة إلى بحوث ضافية، ومقالات طوال .. تُبرزُ بدائعه، وتظهر روائعه ..

ولزام على من يتصدى للكتابة عنه ، أن يتغلغل فى ثنايا شخصيته، بعد أن تغاضى جُلُّ نُقّاد ومؤرخى الأدب عن مكانه ومكانته بين أدبائنا الكبار المعاصرين، لسبب أو لآخر .

وفى حوار لى مع فضيلة الدكتور على الخطيب، عن الميزة التى ينفرد بها الدكتور عبدالوهاب عزام ،عن سواه من الأفذاذ ،ذكر فضيلته أن« عزاما »هو الأديب الكبير الوحيد بينهم ،الذى استقى العلوم العربية والشرعية من الأزهر .. استقاها بطريقة منظمة فى دراسته به لفترة طويلة .. حاز بعدها أرقى الإجازات العلمية، ولم يحد بعد ذلك قيد أنملة عن سواء السبيل ، فى كل ما أبدع من آثار قلمية .. فى إطار الفضيلة والأصالة ، والنهج المستقيم .

ومن ثمَّ كان الدكتور عزام فى صفائه الدائم ، كشجرة السرو .. لكنه زاد عليها بكونه مثمراً دائما رائع العطاء فى سموق وصفاء .

وقد أشرْنا فى مقالنا عنه بالعدد الماضى ، إلى قصيدة (إقبال) الرائعة، التى نظمها وهو يزور مسجد قرطبة، ونضيف اليوم أن عزاما ــ رحمه الله ــ قد قام بترجمة هذه القصيدة ــ شعرا ــ إلى العربية ، وقدم للترجمة بقوله : « نظر إقبال إلى مسجد قرطبة، فلم يصف بناءه ولكن وصف الإيمان والعشق والجهاد، وغيرها من المعانى التى حملها المسلمون فى أرجاء العالم، وأقامت هذا البناء الخالد »

ثم يستهل عزام الترجمة الشعرية بقوله :

أمسجـــد قرطبـــة للوجـــودْ من الـعشق جئت فـــلت الخلـــودْ

سواء .. نشيــــد ونـــــقش ونحت بديــع الفنـــون : دمـــاء الكُبُـــود

فللقـــلب من قَطْـــرةٍ مَرمـــر ومـــن قطـــرة : أنَّـــةٌ أونشيـــد

فضاؤك نورٌ ولحنـــــــىَ نار هما للقلـــوب : الهُـــدى والصمـــود

● ● ●

ومن روائع شعر عزام، هذا الحوار اللطيف :

قيـل : ليــل مظلــم، قلت : اذكـــروا ــ فى ظلام الليــل ــ إشراق الصبــاح

قيــل : غيم مطبـــق ــ قلت انظـــروا رُبَّ نجم من وراء الـــــغيم لاح

قيـــل : شُهْبٌ طمست أعلامـــــه قلت : لكـــنْ فيـــه آيـــاتٌ صِحــاح

● ● ●

وقوله فى رثاء صديقه عبدالحميد العبادى :

راعنـــى فى البعـــاد نعْــــىُ صدِيـــق كان فى غمـــرة الحيـــاة رفيقـــى

علمتــــى مصيبـــة الموت فيـــه : أن نصْفَ الممـــات : موت صديـــق

● ● ●

ونثر الدكتور عزام يذكِّرنا بقول موريس هيبوليت عن المقال الأدبى بأنه كسارية الربيع : « ذلك العمود الذى يتخذه الإنجليز رمزاً لعيد الربيع، يزينونه بالزهور البديعة من كل صِبْغ،

والورود الجميلة من كل لون، فتبدو السارية وكأنها العروس فى جلوتها .. هذا ويرمز هيبوليت للمقال الصحفى بالعمود فقط، أى العمود العارى من جميع هذه الزينة[١]

والنوع الأول يمثل مقالات الدكتور عزام البليغة فى الرسالة والثقافة وغيرهما.. خُذْ مثلا قوله الذى ينضح العَبَق من أردانه، فى وصف الصبح إذا تنفَّس :

تجلى عن جمال الصبح ستر الظلام، وهبت من مهاجعها الناس والأنعام، وملأت الآفاق من الطير والأنغام، وموسيقى تملأ الأرض والسماء، كأن أوتارها أشعة الضياء، ومِضْرابها خفقات الهواء .. ثم يخلص من هذا الشعر المنثور، إلى الشعر المنظوم، بيسر وسلاسة، فيقول :

وإذا قلبى ينشد هذه الأبيات :

فالـــقَ الإصبـــاح ربَّ المشرقين باسط الليـــل ورب المغـــربين
ناشر الشمس خِضَمًّـــا من ضيـــاءْ طاوىَ الـــذرة شمسا فى خفـــاء
ياجَليًّـــا فى دجَـــى أستـــاره ياخفيًّـــا فى ضُحـــى أنـــواره
ناظـم الكـــون البليـــغ المبدعـــا مُحْسنـــا مطلعـــه والمقطعـــا
كل لفـــظ فيـــه نَظَّـــارٌ إلـــيك كل معنـــى فيـــه برهـــان علـــيك
جاوز الأفـــلاك يسعـــى نحوكا يكشف الأستـــار يبغـــى وجهكـــا

● ● ●

منك هذا القـــلب هذا الخافـــق فى الدياجـــى منك نور دافـــق
ذاكـــرٌ إيـــاك راج كل حين خَفْقُـــه ذكـــرٌ وشوقٌ وحـــنين
اجعَلـــنْ قلبـــى شهابـــا ثاقبـــا يصْدع الباطـــل حقـــا صائبـــا
وامْـــلأنْ قلبـــى بحُبٍّ وصفـــاء واجْنُبَنْـــهُ كلَّ بُغض ومـــراء
اجْعلـــنْ وجـــهك قصدى لا سواه هَوِّنَـــنْ فى عين قلبـــى ما عداه

● ● ●

وفى ذكرى الدكتور عبدالوهاب عزام ـــ بعد ربع قرن من رحيله ـــ كتب تلميذه الأستاذ عبدالمنعم شميس يقول عنه فى حديث الذكريات، راويا هذه الواقعة، التى تدل على عمق إيمانه : « كان ـــ غفر الله له ـــ لا يخاصم أحدا، ولا يجادل إلا بالتى هى أحسن، وكان مهذبا رقيق الحاشية،

---

(١) أنظر كتاب الدكتور عبداللطيف حمزة : (المدخل فى فن التحرير الصحفى) ص ١٧٣ .

لا يغضب إلا حين يُستغضب .. وقد حدث أن أستاذا مستشرقا كان يجلس معه فى غرفته بكلية الآداب، وتحدث هذا المستشرق عن النبى ﷺ حديثا فيه سوء فردَّه الدكتور عزام عن قوله، ولم يرتدع هذا المارق عن غَيِّه تحت ستار حرية العلم، فقال له الدكتور عزام :

ــ اعتذر عن قولك عن رسول الله ﷺ، وإلا ضربتك بهذه العصا حتى تتعلم الأدب .

وجاء له الذى فى نفسه شر، وهو الدكتور باول كراوس اليهودى . وقال له الدكتور عزام :

ــ أنْذرتك .. وقد أعذر من أنذر .. وأنت تناولت مقام النبى ﷺ بما قلت .. وإن لم تعتذر عن سفاهتك وجهلك فهذه هى عصاى .

ولم يعتذر باول كراوس، واستمر فى استهتاره، فهبَّ الدكتور عزام ــ وهو الحليم الغضوب ، وضربه بالعصا، حتى أدْركناه وهدَّأنا ثورة غضبه .. ثم اعتذر الدكتور كراوس عن كلماته الشائنة فى حق سيد المرسلين .

وعندما هدأت ثورة الدكتور عبدالوهاب عزام، سألناه :

ـ لماذا غضبت وأنت الحليم ؟ .

فقال لنا : أنا لم أغضب لنفسى ، ولو أن هذا الرجل سَبَّنى، لقلتُ له : سامحك الله .. ولكنه أساء إلى محمد ﷺ .. وأمة محمد ، فكيف أسكت ؟ ولو كان الأمر بيدى ، لأهدرت دمه .

ويختم الأستاذ شميس قوله عن أستاذه : « وفى نهاية رحلة حياته، بعد أن ترك خدمة الحكومة سفيرا، انصرف إلى العبادة على طريقته فأقام لنفسه مسجدا فى حلوان ، وجلس للناس يفسِّر القرآن ، ويروى حديث رسول الله ﷺ .. وكان يريد أن يجدِّد بطريقته ما عرفه المسلمون الأولون من عقد مجالس العلم ، واستطاع ــ بأسلوبه العصرى المتجدد ــ إحياء رسالة المسجد ، كان عبدالوهاب عزام ـ فى مسجده ـ يلقى الدرس ، وكأنه فى الجامعة .. يْسأل فيجيب : فى الشعر ، والأدب ، والفقه ، والتفسير .. وجعل المسجد جامعة ، حتى تحين الصلاة ، فيقوم الناس للصلاة .

وفى ١٨ يناير سنة ١٩٥٩ توفى عبدالوهاب عزام فى مدينة الرياض ، حيث كان مديرا للجامعة ، وكان بين يديه آخر بحث كتبه عن « المقارنة بين إقبال والمتنبى » ثم حمل جثمانه شقيقه عبدالرحمن عزام على طائرة خاصة ، ودُفن فى ركن من أركان مسجده فى حلوان[١] »

يرحمه الله

---

(١) أنظر عدد مجلة (الفيصل) رقم ٨٧ الصادر فى يونيو سنة ١٩٨٤م .

نظرات فى كتاب

« شرح ومعانى جزء عم » للأستاذ / محمد عتريس

بقلم فضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

إن من يقرأ فى القرآن الكريم ، تتبادر إلى ذهنه فى كل مرة ـ أفكار ومعان جديدة ، وإيحاءات تختلف عن كل مرة سابقة ، وتختلف عنها كل لاحقة ؛ ذلك ، لأن القرآن « لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه » ولأن اللغة العربية التى نزل بها القرآن أكثر اللغات اتساعاً وانتشاراً ، ولهجات العرب المختلفة جعلت العلماء يوجهون جهودهم لدراسة تلك اللهجات ؛ ليكون ذلك عوناً على تفهم قراءات القرآن ، وقد أعانت تلك الجهود النحويين واللغويين على وضع الكتب التى تيسر الفهم وتساعد على جلاء المعانى . فالنحويون درسوا القرآن لاستنباط قواعدهم وتطبيقها ، وأعربوا القرآن إعراباً دقيقاً ساعد على التفسير السليم .

وجاء اللغويون فألفوا كتباً فى غريب القرآن ـ كما فعل أبو عبيدة ـ واتجهت عنايتهم إلى تأليف كتب أسموها « معانى القرآن » كما فعل الكسائى ويونس بن حبيب ، وقطرب ، والفراء ، والمفضل الضبى ، وخلف النحوى ، وغيرهم .

ورغم اتفاقهم فى اسم الموضوع ، إلا أن المضمون كان مختلفاً ؛ فمنهم من عنى بمشكلات القرآن وما يوهم الاختلاف ، فتوقفوا عند الآيات التى يوحى ظاهرها بوجوب التنبيه إليها كما فعل قطرب فى مثل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (المؤمنون ١٠١) مع قوله تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (الصافات ٢٧) .

ومنهم من عكف على دراسة مجازات القرآن من مثل قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ (محمد ٤) . وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ (العلق ١٧) .

ومنهم من وجه اهتمامه للمسائل النحوية من مثل قوله تعالى : ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ طه ٦٣) وقوله تبارك وتعالى : ﴿والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾ (النساء ١٦٢) وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِـُٔونَ ﴾ (المائدة ٦٩) .

من هنا كان حث رسول الله ـ ﷺ ـ ، وصحابته ـ رضوان الله عليهم ـ على التماس الأسباب التى تعين على فهم القرآن .

قال أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما : « إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ حروفه » وقال الشعبى : قال عمر ـ رضى الله عنه ـ « من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد » .

ولقد بوأ الراغب الأصفهانى « ألفاظ القرآن » أعلى مقام ، وأسمى مراتب الشرف والرفعة التى يتشوف إليها المسلم .. حيث قال فى كتابه « المفردات فى غريب القرآن » : « ألفاظ القرآن هى لب

كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء فى أحكامهم وحكمهم ، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء فى نظمهم نثرهم ، وما عداها وماعدا المتفرعات عنها والمنتقاة منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة ، وكالحثالة والتبن بالنسبة إلى لبوب الحنطة » . ولا يزال القرآن بحراً زخاراً بأنواع العلوم يتحدى أساطين العلماء والبلغاء فإنه الكتاب المعجز المنزل على النبي الامى شاهدا على صدقه يحمل بين دفتيه برهان كماله وإعجازه

وعلى كثرة ما سطر العلماء من آسفار ، وما دونوا من نفائس يبقى القران زاخرا بالعجائب ، مملوءاً بالدرر والجواهر ، يحتاج إلى من يغوص فى أعماقه لاستخراج بعض كنوزه الثمينة ، واستنباط روائعه وأسراره وها هو الأستاذ الفاضل/ محمد محمد عتريس . يقدم لنا سفراً فى جهد مشكور حول (جزء عم) ـ لتيسير فهم آيات القرآن الكريم بأسلوب واضح وبيان ناصع ، لا حشو فيه ولا تطويل ، ولا تعقيد ولا تكلف ، مبرزاً فيه روعة الإعجاز والبيان بما يتفق وروح العصر ويلبى حاجة الشباب المتعطش إلى التزود من علوم ومعارف القرآن ، حيث يغوص المؤلف فى معانى الكلمات كما وردت فى معاجم اللغة وكتب التفسير ، وعلوم البيان والإعراب ، والقراءات وغيرها. مما يقرب المعانى جلية أمام القارىء حيث سلك فى كتابه الذى يضم ثلاثة أجزاء تشتمل على اثنين وأربعين وأربعمائة صفحة متتبعاً بعض الكلمات من كل آية بالشرح والتوضيح ، فهو يرد الكلمة إلى أصولها ومصادرها لبيان اشتقاقها مبرزاً لمعانيها فى إيجاز غير مخل ، بعيداً عن تطويل ممل .

حيث يأتى بالكلمة كعنوان ثم الآية التى توجد فيها هذه الكلمة ورقمها فى السورة ، فيردها إلى أصلها ومصادها ، مبيناً معانيها مستعيناً بكل ما يلقى الضوء ، ويزيد المعانى لمعاناً ووضوحاً يعلق بالأذهان ويخاطب الوجدان ، ويغرس فى القلوب ناصع الإيمان .

وإلى القارىء نفحة من فقرات الكتاب :

﴿ **مقام ربه** ﴾ ويأتى بنص الآية ورقمها .

ويقول : مقام ربه : أى عظمته وجلاله ، أو قيامه بين يدى ربه ـ عز وجل للحساب ، يوم الطامة الكبرى ....

﴿ **نهى النفس** ﴾ نهى النفس : زجرها عن الميل إلى الشهوات ... وضبطها بالصبر ولم يغتر بزهرة الدنيا وزينتها .

والخوف من الله هو : الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة

﴿ **الهوى** ﴾ : مطلق الميل ، وشاع فى الميل بالشهوات ،وسمى هوى : لأنه يهوى بصاحبه فى الدنيا إلى كل داهية وفى الآخرة إلى الهاوية .

لقد تيسر لى ما تيسر من الاطلاع على هذا الكتاب الذى أتمنى على الله أن يوفق صاحبه إلى المزيد من هذا الجهد الذى يذكر فيشكر ، كما أن لى بعض الملاحظات التى أرجو أن يوفقنى الله لإبرازها عند قراءة بقية الكتاب . وأن يتسع لها صدر الكاتب ـ خاصة من ناحية طباعته- حتى يظهر العمل فى ثوب أجمل .. وما أردت إلا الخير . والله الموفق .

دعـــاء

« اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى ، وتجمع بها أمرى ، وتلم بها شعثى ، وتصلح بها غائبى ، وترفع بها شاهدى ، وتزكى بها عملى ، وتلهمنى بها رشدى ، وترد بها ألفتى ، وتعصمنى بها من كل سوء .

اللهم أعطنى إيمانا ويقينا ليس بعده كفر ، ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة ؛ اللهم إنى أسألك الفوز فى القضاء ، ونزل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء .

اللهم إنى أنزل بك حاجتى ، فإن قصر رأيى وضعف عملى افتقرت إلى رحمتك ، فأسألك يا قاضى الأمور ، ويا شافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير ، ومن دعوة الثبور ، ومن فتنة القبور .

اللهم ما قصر عنه رأيى ولم تبلغه نيتى ، ولم تبلغه مسألتى من خير وعدته أحداً من خلقك أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك ، فإنى أرغب إليك فيه .

وأسألك برحمتك يارب العالمين ؛ اللهم يا ذا الحبل الشديد ، والأمر الرشيد ، أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود ، الركع السجود ، الموفين بالعهود ، إنك رحيم ودود ، وإنك تفعل ما تريد .

اللهم اجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، سلما لأوليائك ، وعدوا لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ، ونعادى بِعَدَاوَتك من خالفك ؛ اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجهد ، وعليك التكلان .

اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ، ونورا فى قبرى ، ونورا بين يدىّ ، ونورا من خلفى ، ونورا عن يمينى ، ونورا عن شمالى ، ونورا من فوقى ، ونورا من تحتى ، ونورا فى سمعى ، ونورا فى بصرى ، ونورا فى شعرى ، ونورا فى بشرى ، ونورا فى لحمى ، ونورا فى دمى ، ونورا فى عظامى .

اللهم أعظم لى نورا ، وأعطنى نورا ، واجعل لى نورا .

سبحان الذى تعطَّف بالعز وقال به ، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به ، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له ، سبحان ذى الفضل والنعم ، سبحان ذى المجد والكرم ، سبحان ذى الجلال والإكرام »

(*) تخريج السيوطى (ت محمد بن نصر ، فى الصلاة ، طب ، هق فى الدعوات) عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

بين يدى هذا الباب

لا يزال الحرص قائما على تنويع الباب بنشر أكبر عدد من الأفكار والمعلومات والإبداعات التى يتلقاها ، غير أنه أمام كثرة الرسائل وقلة المساحة نضطر إلى تأجيل الرد على بعضها أملًا فى أن تأخذ دورها مع الأعداد القادمة ؛ عناية من المجلة باهتمامكم ومتابعتكم لمادتها .

وهذا العدد يضم كلمات عدة بأقلام القراء فى مقدمتها كلمة عن « إحياء القوميات » والقصد الخبيث من وراء إحيائها ، ذلك أن الاستعمار قد أراد منذ مائة عام أن يبتلع الشرق الإسلامى ، فإنه اللقمة التى يسيل لها لعابه ، فلما خشى أن يغص بها بث ببراعة مدهشة نزعة القوميات لتقضى على الوحدة الإسلامية وتصدعها .

كما تجد عزيزى القارىء ــ كلمات أخرى بأقلام القراء ، فضلًا عن التنويه بأحد الإصدارات المهمة ، وزاوية الإبداعات للشعر والردود والتعليقات ، والإجابة عن الاستفسارات ، والله تعالى ــ من وراء القصد .

المحرر

خطر القوميات !!

كتب الأستاذ/رمضان محمد عبدالله بخيت ـ الطالب بمعهد قراءات دمنهور الأزهرى ـ بحثا عن إحياء النعرات القومية كفكرة غربية تستهدف ضرب الوحدة الإسلامية فقال :

لا يشك مخلص مسلم فى أنه لا سبيل إلى الوحدة الإسلامية إلا بالترابط والتماسك بين المسلمين ، وسقوط كل النزعات القومية والدعوات العرقية والعصبية ، فهذا هو الطريق الذى ترتفع به راية التوحيد وتتوارى به مادونها من الرايات .

والحقيقة أن أعداء الإسلام ما عملوا على إحياء القوميات والعصبيات الجاهلية بين شعوب العالم الإسلامى إلا لإدراكهم هذه الحقيقة ، فكانت الدعوة إلى « القومية العربية » بين العرب ، وإلى « الكردية » فى العراق ، و« الطورانية » فى تركيا ، وغير ذلك من القوميات والإقليميات التى تستهدف عزل المسلمين عن هويتهم الإسلامية ، فضلا عن تمزيقهم وتفتيتهم كى لا يكون لهم صوت فى عالم تحكمه الكيانات الكبيرة والتكتلات الكبرى التى نلمسها بأوربا وأمريكا .

وعلى الرغم من خطر ما ترمى إليه هذه الدعوات على مجتمعاتنا الإسلامية ، إلا أننا نجد قلة من بنى جلدتنا متأثرة بهذه الأفكار الغربية ، بل وتدعو إليها مخدوعة أو مأجورة ، متناسية فضل الإسلام بعلمائه وتراثه على حضارة أوربا العلمية ، وليتهم يرجعون إلى المستشرقين المنصفين فيما كتبوه عن الإسلام مثل « د.زيجريد هونكه » وكتابها « شمس الله تشرق على الغرب » ،وغيرها من المنصفين مثل : « رجاء جارودى » و«ناصر دينيه» ، والألمانى « د.مراد هوفمان » سفير ألمانيا فى المغرب ، وغيرهم ممن تدل بحوثهم وأفكارهم على أن الإسلام بوحدته هو الأجدر بالتوجه إليه والدعوة له .

من صفات أهل الجنة

من صفات أهل الجنة فى الدنيا أن يكون العبد « أوابا ، حفيظا ، يخشى ربه بالغيب ، يحمل قلبا سليما» جاء ذلك فى قوله تعالى :

﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة ق

فالأولى : أن يكون «أوابا» أى رجاعا الى الله من معصيته إلى طاعته ، ومن الغفلة عنه إلى ذكره .

وقال سعيد بن المسيب : « سيد فقهاء التابعين » : هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم

يتوب .

والثانية : أن يكون « حفيظا » وقال ابن عباس : لما ائتمنه الله عليه وافترضه . وقال قتادة « أحفظ أهل البصرة » : حافظ لما استودعه الله من حقه ونعمته .

والثالثة : قوله سبحانـــه : ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ وهذا يتضمن الإقرار بوجوده وربوبيته وقدرته وعلمه واطلاعه على تفاصيل أحوال العبد . ويتضمن الإقرار بكتبه ورسله وأمره ونهيه ويتضمن ، الإقرار بوعده ووعيده ولقائه . فلا تصح خشية الرحمٰن بالغيب إلا بعد هذا كله .

الرابعة : قوله ــ جل وعلا ــ : ﴿ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ قال ابن عباس : راجع عن معاصى الله ، مقبـــل على طاعـــة الله . ثم ذكـــر ــ سبحانه ــ جزاء من قامت به هذه الأوصاف بقوله : ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴾[1]

حسن أحمد مكرم ــ معهد إعداد الدعاه بأسيوط

موقف الدين من الشعر

وكتب الأستاذ/**أحمد مصطفى عبدالحميد مرسى** ــ ماجستير فى الأدب العربى الحديث ــ جامعة الأزهر فرع الزقازيق ــ عن قضية موقف الديـن من الشعـر ، مستهديـا بمنـاقشات عدة دارت ــ قديما وحديثا ــ حول هذا الموضوع وقـد تباينـت فيها الآراء بين مؤيـد ومعـارض ومحايد ، وقد استند الكاتب إلى آيات سورة الشعـراء (٢٢٤ ــ ٢٢٧) فى حسمـــه لهذا الموضوع ، ثم خلص إلى حقيقتين :

الأولى : أن الرسول ﷺ كان يستهجـن الشعر الذى يخرج عن خط الإسلام بالدعوة إلى وثنية بائده ، أو إشاعة فوضى بين الناس ، أو الإشادة برذيلـة ، لما يتـرتب عليـه من سوء العاقبـة ، ومثـل هذا الشعـر ينبغـى مقاومتـه والتصدى له .

الثانية : إذا تناول الشعر طبيعة النفس البشرية وأشواقها فى حدود مقبولة ، أو تأمل فى الكون والطبيعة وفى مخلوقات الله ــ عز وجل ــ دون أن يحلل محرَّما أو يحرم حلالا ، فإنه يتفق مع فطرة الإنسان وطبيعته التى جُبل عليها « فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ » سورة الروم

الحب فى الله عز وجل

من النعم التى أنعم الله بها على عباده المؤمنين الحب فى الله تعالى أى لغير هدف دنيوى استغلالى يقول تعالى « وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ » سورة الأنفال

(١) لمزيد من التفاصيل راجع الفوائد لابن القيم .

فَأَوْلى بالمسلم أن يحب فى الله ويبغض فى الله ، لأن النبى ﷺ قال : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى » رواه مسلم .

وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ قال : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : وعد من السبعة (ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه) متفق عليه .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ،**ولا** تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » رواه مسلم .

رأفت أحمد الصغير ــ قطور ــ غربية

منهج نقد الحديث النبوى

كتب الأستاذ/بدر عبدالحميد ابراهيم ــ مدرس أول ــ لغة عربية بإيتاى البارود ــ البحيرة تلك الكلمة عن منهج نقد الحديث سندا ومتناً :

(١) نقد الحديث سندا .

وضع العلماء المسلمون أصولا وخطوات لنقد السند ، قامت هذه الأصول على معرفة الرواة ، ودراسة حياتهم ، ولقد صور الشافعى

الله عنه ــ أهمية هذا الإسناد فقال : « مثل الذى يطلب الحديث بلا إسناد مثل حاطب ليل يحمل حزمة من حطب فيها أفعى تلدغه » ولذا وضع العلماء شروطا فى الرواة منها : العدالة والضبط .

(٢) نقد الحديث متناً

ومن المقاييس التى وضعها علماء الحديث فى نقد المتن :

١ ــ عرض متن الحديث على القرآن الكريم .

٢ ــ عرض الحديث على عمل الصحابة وفتاواهم .

ولقد علم هؤلاء بأن الحديث قد يكون صحيحا سندا ، ولكنه واه ضعيف من ناحية المتن ، فقواعد الصحة والاعتلال كما تنطبق على السند ، فإنها تنطبق على المتن أيضا .

فالراوى قد يكون متروك الحديث ومنكره ، وكذلك المتن فيه المتروك والمنكر والمعلل والمدرج والمقلوب ، والمضطرب ، فسارت خطوات نقد السند والمتن متزامنة متتابعة لتشكل فى النهاية منهجا راسخا من أعظم مناهج البحث العلمى .

الشرك الخفى

الشرك الخفى مذموم وقد يحبط أجر فاعله دون ما يدرى ولذلك يقول الرسول ﷺ فيما رواه الإمام أحمد فى مسنده : « الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل ، وسأدلك على شىء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول : « اللهم أنى أعوذ بك أن أشرك بك شيئا أعلمه ، واستغفرك لما لا أعلمه » فالإسلام الحنيف يحرص كل الحرص على أن تظل علاقة المسلم بخالقه ــ عز وجل ــ قوية لا تشوبها شائبة من ضعف أو رياء .

فالأعمال تقاس عند الله بالإخلاص لوجهه تعالى ، وكم من أعمال قليلة قبلها الله ورضى عن فاعلها ، وكم من أعمال كثيرة ردت ولم تقبل لأن أصحابها أرادوا بها غيره – عز وجل – .

يقول تعالى : « فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا » من الآية (١١٠) من سورة الكهف .

ويقول الله فى الحديث القدسى :

« من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله ، وأنا منه برىء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك »

محمد على البلجيهى أوبس الحجر – المنصورة

فى مواجهة « الدش »

عندما أصدر أحد المحافظين قرارا بإلغاء ممارسة (الدش) فى المقاهى والأندية العامة .. خرجت الأقلام العلمانية تعادى الاتجاه الأخلاقى وروح الإسلام ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الشورى – ١٠

ومع ظاهرة (الدش) وآفاق التسعينات أقول «لليسار» و«العلمانية» ما رأيكم فى قرار دولة الصين وهى بلد شيوعى ذو نمو سكانى يصل إلى نحو مليار ومائتى مليون نسمة أى مثل عدد سكان العالم الإسلامى .. ألغت الصين تركيب (الدش) لماذا ؟؟ لأنه بواسطة البث المباشر يغرس فى النفوس العديد من الصور والقيم والنماذج التى لا تتفق مع الأخلاق .

فما بالنا وأمتنا إسلامية .. هل الأبواق العلمانية تصر على أنها حرية ؟؟ أى حرية تلك ؟؟ والقيم السائدة داخل المجتمع الغربى هدفها إشباع الجسد بكافة الصور .. بينما الإسلام هو النور الذى يهدى الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور قال – تعالى :

﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الشورى – ٥٢ وواجب الإعلام العربى والإسلامى أن يتحرك نحو الخطة الآتية :

١ – توجيه الإعلام حسب المراحل السنية والأخذ من التراث وجذور الحضارة الإسلامية .

٢ – عدم إسقاط اللغة العربية بالإنكفاء نحو التغريب .

٣ – إحياء التاريخ الاسلامى ، وإبراز المثل العليا لدين الإسلام والتعريف بأمجاد الإسلام ، وسير قادته وابطاله .

٤ – تشجيع تبادل الانتاج الثقافى الإعلامى العربى والإسلامى .

ان الوعى الإسلامى أصبح ضرورة فى مواجهة ثقافة (الدش) وثماره الخبيثة ، والوعى يتأتى بتبصير المسلمين بعقيدتهم ومصادرها من كتاب الله الكريم ، وسنة الرسول ﷺ حتى تعود للأمة عزتها لقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ سورة النحل

يحيى السيد النجار

دمياط – شارع الحزاوى

توحيد اللسان في قراءة القرآن

« توحيد اللسان فى قراءة القرآن » هو عنوان أحد الكتيبات المهمة التى تلقاها الباب من مؤلفه الأستاذ/نبيل **محمد عبدالخالق** ، وترجع أهميته إلى حرص المؤلف على تعليم الإنجليزى كيفية نطق « أسماء الله الحسنى » بطريقة لالكنة فيها ، فينطقها نطقاً عربياً سليماً ، ومن ثم وضع تحديداً للحرف الذى تقع صعوبة النطق فيه ، بأن نبه على صوت الحرف بالدلالة على صوت يماثله مستخدم فعلا لدى الأجنبى .

لعل من فوائد هذا العمل .

الحفاظ التام على سلامة معانى الأسماء الحسنى لدى الشعوب الناطقة بالإنجليزيــة ــ بدون معلم ــ وبالتالى تيسير نطق القرآن الكريم عليهم دون تحريف لألفاظه عند النطق ، فيسهل بذلك فهمه لأن الألفاظ أوعية للمعانى

والكتاب مجاز من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر وكذلك من وزارة الأوقاف[٢] ونأمل من جانبنا نشر وتداول هذا العمل المبارك .

من إبداعات القراء في الشعر

محمد «صلى الله عليه وسلم»

للشاعر : على أبو القاسم

قمــــر يهل من الحجـــاز ويرتقـــى ... قمـــم الحيـــاة بعـــزة وإبـــاء
هيهات أن ترق البريــــة مثلــــه ... هو مفــــرد فى الحسن والعليــــاء
هو من يفــوح الصدق من أعطافـــه ... وتضوع منــــه سماحـــة الــــفضلاء
أنــا يا محمــد فى الشفاعـــة طامـــع ... هل لى بحبك شفعـــة الكرمـــاء
أنت الـــذى شرع الفضيلـــة دولـــة ... تهدى القلـــوب حقيقـــة الأشيـــاء
الحق فيها لا يخالطـــــــه الهوى ... كالسيـــف يطـــوى سطـــوة الجبنـــاء
داويت سقـــم الجاهليـــــة بالهدى ... وجـــدعت أنـــف الــكبر والظلمـــاء
شهـــدت لك الأعـــداء أنك قائـــد ... قاد الحيـــاة بحكمـــة العظمـــاء
صلى علـــيك الله يا خير الــــورى ... ترق الوسيلـــــة قدرك الــــوضاء

---

(٢) يطلب من الموزع N.R للفنون الحديثة بالقاهرة ــ هاتف : ٩٢٦٧٣٤ .

ردود وتعليقات

● **القارىء/ شريف مرشدى خليفة ـ جامعة الأزهر .**

لابد من التأكيد على قيم الإسلام وأهدافه ومعاييره ـ ونحن بصدد مقاومة الغزو الثقافى ـ ومن حشد الطاقات من أجل التنمية والتطور إلى الأفضل والعمل على مضاعفة الإنتاج ونحن بصدد مقاومة الغزو الصناعى ، وبذلك لايكون « للمستورد » علينا سبيل .

● **القارئة/ أم هاشم حسين يوسف على ـ**

● **القارىء/ أبو الحسن محمد رمضان ـ معهد إسنا الدينى ـ قنا .**

● **القارىء/ محمدحسين يوسف على ـ قنا**

دائماً نذكر قراءنا الكرام بأهمية الإسناد العلمى فيما يودون نشره بمجلة الأزهر .

● **القارىء/محمد أحمد مكرم ـ كلية الشريعة ـ جامعة الأزهر ـ فرع أسيوط .**

مرحبا بكم صديقاً دائما للمجلة وسوف ترون على صفحات المجلة بحثا وافيا يتناول الأخلاق وأهميتها من منظور إسلامى .

● **القارىء/أحمد رجب غزال ـ كفر الشيخ .**

فى كلمتكم عن «التدخين» كشفتم أثره على صحة المدخن وبنيانه الاجتماعى ، ونتفق معكم فى أن ضرره متحقق فيمن يمارسه ، بل فيمن يمارسه ويخالطه ، لكنَّنا لم نتلق إجماعا على تحريمه .

● **القارىء/خيرى محمد أبوالروس ـ خطيب مسجد بالجرايدة ـ كفر الشيخ .**

فى كلمتكم عن «المنهج الإسلامى فى التربية» بيَّنتم كيف أفرز ذلك المنهج من الرعيل الأول : الخلفاء الراشدين ، ومن والاهم ، وسار على نهجهم مثل «سيدنا أسامة بن زيد ، وسيدنا عبدالله بن عباس ، وسيدنا عقبة بن نافع» وغيرهم والحق أن هؤلاء ـ فوق ماذكرتم ـ قد ضربوا أروع المثل فى صدق الايمان وطهارة النفوس والاستمساك بمبادىء الوفاء والفداء ، فكانوا خير أنموذج للأمة العاقلة الفاضلة المناضلة ، رضى الله عنهم أجمعين .

● **القارىء/عبداللطيف مصطفى عبداللطيف ـ معهد بنها الأزهرى .**

لا شك أن الإعلام الإسلامى معنىٌّ بخدمة المجتمع الاسلامى وقيمه وأهدافه ، ويمكن توسيع مساحته ببذل المزيد من التعاون بين (الأكاديميين) فى هذا المجال والمؤسسات الإعلامية المهنية فى العالم العربى والإسلامى .

● **السيد فخر الدين حسنين ـ إجازة التدريس من كلية الشريعة :**

دأبت مجلة الأزهر على الاهتمام بالإسناد العلمى فيما تنشره على صفحاتها ، وكثيرا ما يكون افتقار الكلمة إلى هذا المنهج البحثى سببا فى عدم نشرها .

● **القارىء/كمال عبدالنعم محمد خليل ـ الكوم الأحمر ـ بنى سويف .**

نتفق معكم فى حاجة التاريخ الإسلامى الى من ينصفه ويرفع عنه الافتراءات التى ألصقها به المغرضون ، والحق أن ذلك ممكن متى توفرت الأمانة العلمية وحسن العقيدة لمن يقومون بهذا العمل كما تفضلتم .

● **وبمشيئة الله ـ تعالى ـ يواصل الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعا .**

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل أمير «ويلز» ولى عهد بريطانيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بمكتب فضيلته صاحب السمو الملكى الأمير « تشارلز » أمير « ويلز » وولى عهد بريطانيا وقد عبر صاحب السمو الملكى عن بالغ سروره لوجوده فى رحاب الأزهر الشريف ، هذا الصرح الإسلامى الشامخ على مر العصور والأزمان الذى يحمل لواء الدعوة الإسلامية ونور المعرفة والإنسانية إلى ربوع العالم أجمع . فكان بحق قبلة العلماء الذين يفدون إليه لينهلوا من فيض علومه ومعارفه ، كما عبر الأمير عن بالغ سروره بلقاء الإمام الأكبر صاحب المكانة السامية فى قلوب ووجدان المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها ، وقد أوضح صاحب الفضيلة الإمام الأكبر فى لقائه مع صاحب السمو الملكى عن سماحة الإسلام وسمو تعاليمه التى تحث على مبدأ الأخوة الإنسانية بين البشر جميعاً ؛ إذ لا إكراه فى الدين ، فكان السلام مبدءا أصيلا فى تعاليمه ، وقد ساد هذا المبدأ الكريم بين المصريين جميعاً لا فرق بين مسلم وغير مسلم ، وتطرق اللقاء إلى بحث أوجه التعاون بين الأزهر الشريف والجامعات البريطانية والهيئات العلمية ، وبخاصة المركز الإسلامى بجامعة أكسفورد ؛ لتوضيح التعاليم السامية التى تجمع بين الديانات السماوية الإسلام والنصرانية واليهودية .

كذلك نبَّه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف إلى ما ينبغى لوسائل الإعلام الغربية من وجوب الدقة والإنصاف فى كتاباتهم وإذاعاتهم عن الإسلام .

وقد اقترح فى هذا اللقاء :

١ - التعاون بين الأزهر والمؤسسات الأكاديمية والمعاهد الدينية البريطانية فى إطار الانفتاح والتعاون بين المؤسسات الدينية وتعزيز الاحترام المتبادل .

٢ ـ التعاون فى تنقية البرامج الدراسية مما يسىء إلى الإسلام .

٣ ـ تبادل الأساتذة بين جامعة الأزهر الشريف والجامعات البريطانية .

٤ ـ التشويه الذى تتعرض له صورة الإسلام وبخاصة فى الغرب .

٥ ـ حظر إصدار تعتيمات ضد الإسلام نتيجة لتصرفات مجموعات منحرفة لا يقرها الإسلام ذاته .

٦ ـ إبراز دور الأزهر الإسلامى عالميا وتقنيا ودوره ـ كذلك ـ فى نشر المعلومات والآراء الصحيحة .

وفى نهاية اللقاء وجه سمو الأمير الدعوة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة المركز الإسلامى بجامعة أكسفورد ، ورحب فضيلة الإمام الأكبر بهذه الدعوة ، وقام فضيلته بإهداء الأمير ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية وعدد من الكتب الإسلامية ونسخ عدة من مجلة الأزهر وبعض الهدايا الأخرى .

بين شيخ الأزهر الشريف وطلبة كلية اللاهوت الأمريكية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف وفداً من طلبة كلية اللاهوت بمدينة « ريد شيموند بولاية فرجينيا الأمريكية » ضم الوفد خمسة وثلاثين طالباً وطالبة برئاسة القس « د. مايكل شيلى » الأستاذ بالكلية .

دار حوار طويل بين أعضاء الوفد وفضيلة الإمام الأكبر تضمن نشأة الأزهر ورسالته فى مصر والعالم الإسلامى ، وامتدادها إلى المسلمين فى الدول غير الإسلامية كما تضمن دستور الحياة الاجتماعية فى مصر بين المسلمين وغير المسلمين ، وكذلك المواقف السياسية تجاه الدول الإسلامية .

قال شيخ الأزهر : إن الإسلام دين المحبة والسلام لجميع الناس لا يكره أحداً على الدخول فيه ، وإنما يبلغه علماؤه إلى البشرية جميعاً بصفته خاتم الأديان ، ثم يترك لكل فرد حرية الاعتقاد .

وقال فضيلته : إن الإسلام دين ودنيا بمعنى أنه ينظم كافة شئون العبادة فى الحياة ، ويعمل من أجل السلام مع الله ومع النفس ومع الناس جميعاً .

وضرب فضيلته مثلا بالحياة فى مصر ذات الأغلبية المسلمة فقال : إن المسلمين والمسيحيين واليهود يعيشون فى وئام وسلام وتعاون ، فالكل مصريون يعملون من أجل مصر ، ولا يوجد أدنى خلاف بينهم بسبب العقيدة ، فالمسلم يؤدى أمور عبادته بحرية تامة فى مسجده ، وكذلك المسيحى يؤدى أمور عبادته بحرية تامة فى كنيسته ، وعلى كل منهم واجب يؤديه نحو وطنه .

وأوضح فضيلته للوفد أن الإسلام دين السلام للبشرية كلها فى مشارق الأرض ومغاربها ، وخير مثال على ذلك أننا لم نجد فى عصرنا الراهن مسلمين اعتدوا على الآخرين بسبب الدين ، بينما نجد أن من غير المسلمين من يعتدى على المسلمين بسبب

الدين والمثال واضح فى الشيشان ، وفى البوسنة والهرسك وفى غيرهما ؛ ولذا : ناشد فضيلته كافة الدول العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية أن تتخذ موقفاً عادلًا ضد الاضطهاد والإبادة التى يتعرض لها الشعب الشيشانى وشعب البوسنة والهرسك وغيرهما من الأماكن الأخرى ، حتى تسود مظلة العدل والسلام بين الشعوب جميعاً وألا تلتزم تلك الدول بموقف الصمت فى مواجهة تلك الاعتداءات الصارخة .

شيخ الأزهر يكرم أوائل الشهادات الأزهرية

طالب فضيلة الإمام الأكبر وسائل الإعلام المختلفة بعدم المساس بالعقائد الدينية أو نشر أفكار المشككين فى العقائد والمحرفين للكلم عن مواضعه ، وحذر من خطورة تلك الحملات فى إحداث البلبلة الفكرية والإساءة لمعتقدات شعب مصر المعروف بتدينه الشديد على مر العصور .

• جاء ذلك فى الكلمة التى ألقاها فضيلته فى حفل تكريم أوائل الشهادات للمعاهد الدينية الأزهرية الذى نظمته «عقيدتى» .

وقد أشاد فضيلته بفكرة تكريم المجدين والممتازين من أبناء الأزهر الشريف ووصفها بأنها تقليد جيد فكر فيه المخلصون ، وأنه تقدير للأزهر الشريف الذى يحمل عبء الدعوة والتعليم فى مصر والعالم الإسلامى بكل ثقة واقتدار ، وأعرب عن أمله فى أن يمتد التكريم لجنود الأزهر المجهولين فى كل مكان من أرض مصر ؛ لنشر العلم والتوعية الدينية بالفكر الإسلامى الصحيح .

وقال فضيلته نحن سعداء أن يكون هذا التكريم والتقدير من رجال الإعلام ومن جريدة عقيدتى بصفة خاصة ، وهو ما يوجب علينا تقديم الشكر لمؤسسة دار التحرير وقياداتها لمثل هذا الاتجاه .

وقال فضيلته : إنه قد آن الأوان أن تكف وسائل الإعلام الأخرى عن منهجها فى النظرة إلى أبناء الأزهر الشريف ، وتقديمهم فى الصحافة بصورة غير مقبولة وبما يقلل ويهون من الجهد الذى يبذلونه لخدمة دينهم ووطنهم .

وأضاف : أن علماء الأزهر قاموا بواجبهم ولا يزالون – فى القرى والنجوع وفى كل مكان فى الداخل والخارج ، دون انتظار لكلمة شكر من أحد ، وهم يواجهون الأفكار الضالة والمنحرفة انطلاقاً من وعيهم بأهمية دورهم فى الحفاظ على الدين وحماية المجتمع واستقراره ، ولكن للأسف فإن أعين الإعلام غائبة عنهم مع أن الواجب يقتضى أن نقول للمحسن : « أحسنت » .

وحث فضيلته وسائل الإعلام بعدم التعرض للعقيدة الدينية للمسلمين أو المسيحيين على السواء لأن فى هذا إساءة لشعب مصر .

وقد أشاد الكاتب الصحفى سمير رجب بجهود فضيلة شيخ الأزهر ومواقفه الجريئة والصريحة حيث أدان فيها كل ما هو دخيل على الإسلام من إرهاب وتطرف ، ووصفها بأنها كان لها أبلغ الأثر فى نفوس المسلمين جميعاً ، وقرر استضافة أوائل

الشهادات الأزهرية فى رحلة أوائل الطلبة التى تنظمها جريدة عقيدتى سنوياً لزيارة الدول الأوربية .

وقد سلم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والأستاذ سمير رجب رئيس مجلس إدارة دار التحرير للطبع والنشر الجوائز وشهادات التقدير للفائزين من الطلاب ومن شيوخ المعاهد الأزهرية المتميزة على مستوى الجمهورية .

جائـــزة الملـــك فيصـــل

جائزة الملك فيصل العالمية فرع هام من فروع المؤسسة الفيصلية التى تقوم على دعم العلم والعلماء ، وهى بهذا أسهمت فى أن يظل العالم العربى والإسلامى موضع التقدير علمياً وأدبياً حيث تشجع العلماء المجدين والمجيدين بسخاء فى هذه الفروع التى اتخذتها مناراً للعلوم العربية والإسلامية والطب والعلوم .

والجائزة ـ بحمد الله ـ تنافس غيرها من الجوائز التى تقدمتها فى عمر الزمن ، وإن كانت جائزة الملك فيصل العالمية أقدم وأرفع بانتسابها إلى الإسلام والعرب .

والجائزة بهذا الوصف سمة من سمات عناية المملكة العربية السعودية بنشر العلم والدعوة إلى الاجتهاد فى تطوير العلوم المتنوعة وتقديمها للأجيال المعاصرة والقادمة فى لغة قريبة المنال رفيعة المستوى وللمملكة ـ مع هذا ومن قبله ـ قصب السبق فى نشر العلوم العربية والإسلامية على مستوى العالم ، ولها جهودها ، ولمطبوعاتها فضل كبير فى تنمية الرغبة والإقبال على الدراسات العربية والإسلامية ، والأمل أن تتواصل هذه الجهود وتتنامى وتزداد قوة وتعاونا مع غيرها من الشعوب الشقيقة حتى تتحدث هذه الشعوب لغة واحدة ، وتتميز عن غيرها من الشعوب بإسلامها وبقرآنها .

دعاؤنا إلى الله أن يبارك هذه الجهود حتى تثمر الثمرة المرجوة ، وهى تعاون الشعوب والحكومات الإسلامية على استعادة الشخصية الإسلامية كنوع متفرد فى هذا العالم الذى طغت عليه المادية ، وصار ميدانا للصراع وهضم حقوق الإنسان ، وإن كان الآخرون مازالوا يتنادون بأنهم حماة هذه الحقوق التى ضيعوها فعلا والأمثلة الواقعية فى العالم كثيرة .

أما نحن المسلمين فلا نقول إلا الحق ولا ننطق إلا بالصدق ، قلوبنا مملوءة بالرحمة لبنى الإنسان ، ليس فيما بين المسلمين فحسب وإنما بالوصف الإنسانى ، والخلق الإسلامى الذى أرشدنا إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان** ﴾ .

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

القدس مدينة السلام

انتهت ظهر ١٣ من شوال الماضى ١٤ من مارس أعمال الندوة التى عُقدت بالجامعة العربية بالقاهرة تحت عنوان (القدس مدينة السلام) واستمرت ثلاثة أيام تم خلالها مناقشة عدد من الموضوعات المتعلقة بمدينة القدس الشريف .

وقد أصدرت الندوة بيانها الختامى الذى ألقاه الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية والمسئول عن شئون فلسطين بالجامعة .

البوسنة والهرسك

رفض نائب الرئيس البوسنى طلب الرئيس الأمريكى بتجديد فترة وقف إطلاق النار فى البوسنة والذى ينتهى آخر شهر مارس .

قال أيوب جانتش فى واشنطن : إن المستفيد من ذلك هم الصرب الذين لايحترمون هدنة الأربعة أشهر فى إقليم (بيهاتش) المسلم . ويأتى تصريح نائب الرئيس البوسنى إثر رفض على عزت بيجوفتش - رئيس البوسنة الذى يقوم بزيارة لألمانيا - وقف إطلاق النار ما لم يكن ذلك مصحوبا بضغط دولى على الصرب لإجبارهم على تنفيذ خطة التقسيم التى قبلتها حكومة البوسنة لإنهاء صراع عرقى ودينى تجاوز الثلاث سنوات .

القاهرة

عُقد الاثنين ١٩ من شوال ٢٠ من مارس الماضى المؤتمر العلمى الدولى الأول لكلية العلوم جامعة الأزهر وذلك تحت شعار (العلوم والتنمية) .

وشارك فيه ١٢٠٠ باحث من الجامعات المصرية ومراكز البحوث العالمية ، وصرح السيد عميد الكلية بأن المؤتمر ناقش ٣٢٥ بحثاً فى العلوم الأساسية والتطبيقية التى من أهمها الأمان النووى واستخدام الحواسب الآلية (الكمبيوتر) .

وشارك فى افتتاح المؤتمر وزراء الزراعة والبيئة والبحث العلمى والبترول والطاقة والصحة

ورؤساء الجامعات وعمداء كليات العلوم فى جامعات مصر المختلفة .

نــدوة هامــة

أقامت كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فى العشرين من الشهر الماضى ندوة بعنوان البث المباشر بالأقمار الصناعية وتأثيره على المجتمع الإسلامى . وصرح الدكتور طه أبو كريشة عميد الكلية بأن الندوة حاضر فيها كل من : الأمين العام السابق للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية والدكتور كرم شلبى رئيس قسم الصحافة والإعلام والمستشار الإعلامى بجامعة الأزهر وشخصيات أخرى .

القاهــرة

أعلن وكيل وزارة الأوقاف لشئون الأزهر أنه يتم شرح دروس مناسك الحج بالمساجد الكبرى بالقاهرة والمحافظات توضيحاً لتلك الشعائر وأكد وكيل مديريات أوقاف العاصمة اختيار مائة مسجد لإلقاء هذه الدروس ويتم هذا العام ولأول مرة شرح المناسك عن طريق نماذج مجسمة للكعبة المشرفة ولكل المشاعر المقدسة حتى يمكن للحاج استيعاب شرح العلماء الأفاضل .

من اخبــار الحــج

قررت هيئة موانىء السويس والبحر الأحمر بدء موسم سفر حجاج القرعة والسياحة اعتباراً من ١٢ ابريل ١٩٩٥ من ميناء سفاجا لحجاج الوجه القبلى و ١٦ ابريل من السويس لباقى المحافظات . وصرح رئيس هيئة موانىء السويس والبحر الأحمر بأنه تم الاتفاق مع أصحاب ووكلاء البواخر على إعداد جداول زمنية لسفر الحجاج والالتزام بالمواعيد المقررة بالجداول .

المنصــورة

بدأت يوم السبت ١٧ من شوال ١٨ من مارس الماضى بمراكز الدراسات والاستشارات القانونية بجامعة المنصورة الدورة المتقدمة الثانية للأئمة والدعاة وتستمر ٤ أسابيع ، وشملت الدورة محاضرات لأساتذة الجامعة وقيادات الأوقاف بالدقهلية حول الجوانب الأساسية للتنمية ودور الإعلام فى التوعية بالقيم الأخلاقية والدينية ، كما كانت هناك محاضرات فى فن الخطابة والإلقاء وحضر افتتاح المؤتمر كل من محافظ الدقهلية ورئيس جامعة المنصورة .

lui répondit: "Je n'ai pas voulu interrompre ton combat et nous ne convoitons ni le pouvoir ni les biens de la vie d'ici-bas, nous sommes tous des frères dans l'Islam". Puis Abou Obaida fut surnommé "Le prince des princes" à Damas où il commanda les plus grandes armées de l'Islam en nombre et en équipement. Les gens admiraient sa force, sa grandeur et sa fidélité. Lorsqu'il entendit ce que les habitants de Damas disaient de lui, il les rassembla et les sermonna en ces termes: "Ô hommes! Je suis un musulman de Qaraïch, aucun de vous, qu'il ait la peau rouge ou noire n'est meilleur que moi par sa piété sans que je désire être tout près de lui! "Un jour, le prince des croyants décida de visiter Damas. A son arrivée, il demanda:"Où est mon frère?" On lui demanda: "Qui?" Il leur répondit: "Abou Obaida Ibl Al-Garrah" Abou Obaida, le prince des croyants l'entoura de ses bras puis l'accompagna chez lui où il ne trouva comme meubles que son épée, son bouclier et sa selle. Omar lui demanda "Pourquoi ne recherches-tu pas plus du confort pour toi-même. Abou Obaida lui répondit: "Ô prince des croyants cela me poussera à la paresse et à faire la sieste". Un jour, alors que le prince des croyants expédiait les affaires des musulmans à Médine, on lui fit part de la mort de Abou-Obaida affecté par la peste. Omar ferma ses paupières sur des yeux pleins de larmes, invoqua Allah pour qu'Il accueille son compagnon dans Sa miséricorde. Puis, évoquant ses souvenirs avec lui, il dit: "Si je pouvais souhaiter, je ne souhaiterais qu'une maison pleine d'hommes comparables à Abou Obaida". L'homme de confiance est mort sur une terre qu'il a purifiée du panthéisme des Perses et de la persécution des Romains. Aujourd'hui, en terre de Jordanie, reposent les restes d'un homme noble, dans une place de repos pour une âme charitable et un esprit apaisé. Celui qui visitera la Jordanie n'aura pas besoin de guide pour reconnaître l'endroit où se trouve la tombe de Abou Obaida, car le parfum émanant de ses cendres suffira pour lui en indiquer le chemin.

Qu'Allah te salue Ô Abou Obaida pour ta fidélité et qu'Allah soit satisfait de toi. Qu'Allah salue la religion qui t'a engendré et le Messager qui t'a servi de guide et de modèle.

HODA HUSSEIN CHAARAOUI

«ABOU OBAIDA IBN AL-GARRAH»
qu'Allah soit satisfait de lui
L'homme de confiance,
de cette communauté

par HUDA

HUSSEIN CHAARAOUI

2

ABOU OBAIDA vécut fidèle au Messager (b.s.) et cette loyauté dura même après la mort du Prophète (b.s.) en assumant sa responsabilité avec une fidélité qui aurait suffi à tous les habitants de la terre s'ils venaient y puiser. Il marcha sous le drapeau de l'Islam, en soldat et par bravour pareil à un prince.

Lorsque Omar Ibn Al-Khattab fut nommé Calife, Khaled Ibn Al-Walid commandait les armées musulmans dans l'une des grandes batailles décisives. Le prince des croyants, Omar, craignant que les gens ne soient séduits par les victoires de Khaled débuta son califat en désignant Abou Obaida à la place de Khaled. Le prince des croyants savait bien que la victoire vient d'Allah et il craignait que les gens attribuent la victoire à Khaled. Mais que fit Abou Obaida lorsqu'il reçut la lettre en plein combat? Il dissimula l'ordre avec intelligence et loyauté, refusant ainsi de prendre la tête de l'armée avant Khaled eut terminé sa grande conquête. Une fois la bataille terminée Abou Obaida, avec une grande politesse, présenta à Khaled la lettre du prince des croyants. Khaled lui demanda: "Qu'Allah te bénisse — Ô Abou Obaida — qu'est-ce qui t'a empêché de me remettre cette lettre?". L'homme de confiance

(Allah ne pardonne pas qu'on Lui associe un autre dieu, et Il pardonne ce qui est moins que cela à qui Il veut). Allah nous renseigne sur le repentir véritable dans la Sourate "Taha" (le sens du Verset)

: (Je suis en vérité Celui qui pardonne sans cesse à celui qui se repentit, qui croit (en Moi), qui fait le bien, puis qui suit le Droit Chemin)

— On trouve ainsi que le repentir est suivi de la fois sincère, de l'accomplissement des actions vertueuses et du comportement de celui qui est bien guidé. C'est par tout cela que l'on prouve la sincérité du repentir.

Allah - qu'Il soit exalté - nous montre dans la Sourate "Al-Tahrim" (La Prohibition) quelle sera la rétribution des repentants: (Ô vous qui croyez, revenez vers Allah, dans un repentir sincère. Il se peut que votre Seigneur pardonne vos fautes et vous introduise dans des jardins sous lesquels coulent les rivières, le Jour où Allah ne couvrira de honte ni le Prophète ni ceux qui auront cru que lui. Leur lumière les précèdera et sera à leur droite. Ils diront : Ô notre Seigneur! parachève pour nous notre lumière et pardonne-nous; Tu es l'Omnipotent) (le sens du verset 8).

à suivre

«Le Mérite du Repentir»

par "Dr. Rokeya Gabr"

— 1 —

— Les trois lettres "Ta - Wa - Ba" format le terme "Tawba" signifiant "repartir" ainsi que ses divers déclinaisons ont été mentionnées 88 fois dans le Coran.

Or, si nous réfléchissons sur les versets coraniques où ce terme est mentionné, nous découvrons qu'ils renferment une invitation au repentir adressé par Allah - le Très - à Ses serviteurs.

— Allah ouvre les portes du repentir aussi bien aux insoumis, qu'aux pêcheurs. Allah a créé en l'homme à la fois le bien et le mal: l'être humain est à mi-chemin entre la spiritualité des anges et la bassesse des démons. Allah - le Très Haut-nous apprend que les anges (ne désobéissent point à Allah et exécutent Ses ordres): ce sont des créatures de lumière.

Quant aux démons, Allah nous dit à leur sujet: (Satan est un ennemi déclaré de l'homme) On trouve également cette recommandation dans la Sourate "Al Nour" (la Lumière), (Ô, vous qui croyez, ne suivez pas les traces du démon. Celui-ci ordonne d'accomplir des actions immorales et réprouvées à celui qui suit ses traces) (le sens du verset 21).

L'être humain, par sa nature primitive, est un "ange"; toutefois, dès qu'il se laisse aller à ses instincts et aux instigations de Satan, il se transforme en démon sous une apparence humaine.

Dans la Sourate "Al An'Am" "(les Troupeaux) Allah - gloire à Lui - dit: (De même, Nous avons suscité pour chaque prophète un ennemi parmi les hommes démoniaques et les Djins qui s'inspirent mutuellement des paroles trompeuses) le sens du Verset X 112

— EN QUOI CONSISTE LE REPENTIR.?

C'est à la fois le regret d'avoir commis la faute ou le péché, quel qu'il soit, et la ferme décision de ne plus commettre cette faute, qu'elle soit grande ou petite. Car Allah accepte le repentir de tous les péchés à l'exclusion de celui du polythéisme:

REVUE AL-AZHAR

Vol. 67 Part XI
Zil Kei'da, 1415 Hijrah

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

are to be treated in a manner similar to that with which these countries treat Muslim subjects. Islam commands Muslims to establish friendly, compassionate and co-op. erative relations with them in our countries. They are to enjoy their religious rights and to be granted protection for their souls, money and honour.

It is "Ahl-u-l Zimmah" who occupy the greatest position of all in Islam. The word "Zimmah" means that Allah Al-mighty is the consience, protection, security and guardian.

It was stated in the Prophet's (MPBUH) Hadith that ; is legally pumished with fire loshes on the Day of Judgement." Al Khatib El Boghdady — a great Imam and preserver of Sunah (Prophet Tradition) — relates that of Abdullahi Ibn Massud the companion of the Prophet (MPBUH), the Prophet (MPBUH) said: "He who inflicts harm on a Zimny I will be his adversary. He whom I become his adversary, I will be also his opponent on the Day of Judgement on the basis of these Prophet sayings, Emir Al Noeminin (The Leader of the Believers) Omar Ibn El Khatab gave his orders to Amr Ibn Al Aas, the higher commander of Egypt's conquering Army and the First Waly (Governor) of the Nile valley. He wrote to Amr Ibn Al Aas saying: "Beware Amr of becoming an adversary of the Prophet (MPBUH). He who shows enemity towards him shall become his adversary". In the peace treaty he wrote up to the people of Jerusalem upon conquering it, Omar Ibn Al Khattab, undertook upon himself to "grant them security of Soul, properties, churches, all religious sects, not to dwell in their churches, not to decrease them, not to take away any of its profits (its waqfs or charities), their crosses, not to be coerced into embracing Islam, and not to inflict harm on them".

Fuqahaa (Islamic Jurists) have inferred certain legislative rulings from a man (Muslim) should not under his brother or engage his brother pormer the saying that : "a man should not undercut his brother or getengaged to his brother's partner". This undercuting on a non-Muslim enjoying the protection of Islam is like undercutting a Muslim, and the getting engaged to a woman engaged to a non-Muslim is like getting engaged to a Muslim woman. Both are unlawful and are prohibited".

In the disciplines of Soual Relations, Fuqaha highlighted the rights of Anl-ul-Zimmah called for treating them kindly and for enduring harm for their sake of their heighbourhook, protecting their reputation from defamation, and fighting back those who harm them.

In his Al Forouq (The Differences) Al Shehab Al Qarrafi, a great Imam of Islamic legislation — points out that "contracts of Al Zimmah stipulates for their rights, because they are our under neighbours, our protection, safety and under the Guandianship of Allah the Almighty, the Prophet (M. PBUH) and Islam. He who assaults them even verbally with a bad word or defamed their honour or inflicted upon them any harm or helped to inflict it upon them is considered as having forfeited the protection of Allah the Almighty, the Prophet (M. PBUH) and that of the religion of Islam!

In describing the graduation of consensus Imam Ibn Hazm said "Those who are in our (Zimmah) Protection and fighters attack us (with the purpose of inflicting harm on those who are under our protection), then it is obligatory that we should go out to fight them with horses and weaponry and die for this cause. Giving them up without a right would entail a forfeiting of the Zimmah contract!

Tolerance in Islam has illuminated the path for Muslims. They have learned from it the ethics to treat people of other religions favourably, provided that those people do not plot against them, or support others against them. Islam has guided Muslims to coexist with non-Muslims in peace and to cooperate with them. Those who deviate from these rulings and ethics are those who diviate from their religion — may Allah forbid.

Islam's Tolerance In Dealing With Non-Muslims * Part II

by : Dalal Mahmoud El Gemei

Islam, illustrating the kindness upon which military policy was based, has forbidden inflicting harm on those who have not taken part in war against Muslims; including: monks, farmers, women, children, the aged, the hireling, the mentally disturbed, the blind and those with chronic diseases. In fact, some Fuqahaa (Sheyoukhs) with thorough and deep knowledge of Islamic Jurisprudence (Fiqh) and Shariah (Legislation) — have prohibitted the killing of the blind and those with chronic diseases even if the were the masterminds behind the war against Muslims.

Books, rather than a journalistic article, would suffice for an in depth discussion of the supreme humanistic principles of military rulings in Islam.

The second category is that of the mutahidun (those who have peace treaty with Muslims). Muslims should fully honour their treaty and be straight and correct with them as long as they are correct with Muslims. The prophet (MPBUH) recommended his nation to treat kindly. Those who have atrecity with Muslims. In this respect it was related that the prophet said : "He who wrongs of overtaxes those with whom a treaty, his enemy on Doom's Day". Even when Muslims anticipate treachery and deceit from the enemy who has concluded a peace treaty with them, they should not rush into fighting them except after giving them an ultimatum and declaring the end of the state of peace with them. Allah, the Almighty, says in this respect in Surah Al Anfal : "And if thou fearest treachery from and folk, then throw back to them (their treaty) fairly. Lo! Allah loveth not the tracherous" (Surah Al Anfal (The Spoils of war — ayah: 58). Then, Allah, the Almighty, continues this issue saying in the Surah Al Tawabah: "Excepting those of the idolaters with whom ye (Muslims) have a treaty, and who have since abated nothing of your right nor have supported anyone against you. (As for these), fulfill their treaty to them till their term. Lo! Allah loveth those who keep their duty (unto him) (Surah of Repentance — ayah: 4). In the same Surah Allah, the Almight, adds saying "And if anyone of the idolaters seeketh they protection (O Muhammad), then protect him so that he may hear the words of Allah, and afterward convey him to his place of safety. That is because they are a folk who know not." (Surah of Repentance — ayah: 6). M. Piktha!

Most rulings that dedcribe ways of treating those who have peace treaty with Muslims are based first on fulfillment of the peace treaty, and second on the principle of reciprocity. Subjects of countries with which Muslims have concluded a peace treaty

* This essay is based on an essay Writen by Grand Imam Sheikh El Khedr Hussein

The feast day sermon starts by Allahu Akbar (Allah the Greatest) the first sermon by nine exclamations and the second by seven . Such sermons end by Allah's words : "

سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

Glorified be thy Lord , the Lord of Majesty from that which they attribute (Unto Him), and peace be unto those sent (to warn) . And praise be to Allah , Lord of the worlds ! "

(verse 180 - 182 . Those who set the Ranks) .

Praise be to Allahwho revealed this guidance to us , and without Him we not be guided .

Finally , feast prayer must be offered in congregation. The wisdom that latents behind this fact is that praying in congregation creates among the Muslims a bond of love and mutual understanding . It gives them the feeling of collective unity and strengthen among them national fraternity . Undoubtedly , saying prayers in congregation establishes a deep feeling of brotherhood , and equality for the rich and the poor , the low and the high , the ruler and the ruled , the black and the white , all stand in one row and prostrate in humiliation before their Creator AllahAlmighty .

manner as the two prostrations of the usual prayer except that seven exclamations (Takbeers) Allahu Akbar (Allah the Greatest) should be added in the first prostration . Each two exclamation (Takbeers) are separated by ٣٠ seconds during which one recites : " Glorified be thy Lord , praise be to Allah , Allah is Great, there is no power , and no might Save in Almighty , glorified be His name . " As for the second prostration one should add after the first exclamation (Takbeer) of Allahu Akbar , five more exclamations . With each extra exclamation (Takbeera) the hands should be raised up to the shoulder level , with fingers stretching to the earlobes as in the (Takbeer Tahrim) , i.e. the first Allahu Akbar after which every common and wordy action , talk or movement is forbidden All extra exclamations (Takbeers) should be pronounced before starting the recitation of the Qur 'an . Jabir bin Muhammad reported : " No doubt , prophet Muhammad

(MPBUH), Abu Bakar (May AllahBe pleased with him) ، and umar (May AllahBe pleased with him) said seven extra ' takbeers in the first prostration (rakah) of their feast (Eid) and Rain prayer and five extra ' Takbeers ' in the second prostration (rakah) of their feast (Eid) or Rain prayer . Prophet Muhammad (MPBUH) offered feast (Eid) prayer before(khutbah) speech and recited aloud . " .

It is recommendable that one goes to the place of the feast prayer on foot and starts pronouncing the exclamation of glorification till the Imam starts the prayer . After the prayer the Imam goes to the tribune and delivers two cancise sermons indicating the behaviour to be followed on such a day , like being cheerful , calm , sociable , friendly , forgiving , tolerant etc. ..

The appointed time for the fast prayer is after the sun rise, when it reaches the height of the two poles in the lesser Bairam (Al- Fitr feast). In other words, it should be offered when the sun can be seen clearly above the horizon In fact, the prayer of the lesser Bairam (Al . Fitr feast) was delayed to all Muslim to give alms (Zakah) before it. It is related that Ibn Abbass (May AllahBe pleased with them) said : " The prophet (MPBUH) imposed the alms - giving of Al - Fitr (Zakat) as a purification for the fastened from folish talk and sêxual intercourse, and to help the poor. If this charity is given before the prayer, it is an accepted Zakat, but if given after the prayer it is a simple charity ". Contray to the Lesser Bairam (Al - Fitr) prayer, the appointed time for the Greater Bairam (Al - Adha) prayer is after the sunrise when it reaches the height of ǒn pole, i.e. the prayer of Al - Adha is performed early to leave time for immolation : " So pray unto thy Lord and Sacrifice. "

The feast prayer consists of two prostrations (rakahs) with no call to prayer (Azan) or second call to prayer (Iqamah). The prevailing opinion is that no extra (Nafl) prayer should be offered before or after the feast prayer. Jaber (May Allah Be pleased with him) said : " I participated with the prophet (MPBUH) to the feast prayer, which started before the speech with no call to prayer nor a second call. " Ibn Abbass (May AllahBe pleased with him) said : " The prophet (MPBUH) went out on the Adha and Al - Fitr feast and prayed making two prostrations with no other prayers before or after it ".

The feast prayer does not differ from any obligatory (Fard) or supererogatory prayer. The two prostrations (rakahs) of the feast prayer should be offered in the same

(2) Optional (Ghair Mu'akadah) prayers . There are prayers offered occasionally by prophet Muhammad (MPBUH) .
It is noteworthy to mention that extra (Nafl) prayer is not to be offered after dawn (Fajr) prayer until the sun rise , or after the afternoon (Ars) prayer until the sun set , though a missed obligatory (Fard) prayer can be offered at these times for prophet Muhammad (MPBUH) said :

" Who has forgotten the prayer should pray it whenever he remembers it ." (Bukhari and Muslim) . Moreover , the extra (Nafl) prayer cannot be offered once the second call to prayer (Iqamat) for obligatory (Fard) prayer has been said . Abu Hurairah (May Allah be pleased with him) narrated that the Messenger of Allah (MPBUH) said :
" When the Iqamat has been said , there is no prayer valid (Nafl or Sunnat) except the obligatory (Fard) prayer for which the Iqamat was said . " (Ahmd and Muslim) .

Feasts are important social events known in every human society . In Islam , Allah established two feasts related to major religious practices : the Lesser Bairam (Al - Fitr feast) following the fasting of Ramadan , and the Greater Bairam (Al - Adha feast) following the most important ritual of the pilgrimage which is going to Arafat.

The feast (Eid) prayer is a Sunnah for all those who can pray . It should be offered outdoor in the open , e.g. in a park , field , or a desert , etc. . If it is wet or not possible to find a suitable outdoor place it can be prayed in a mosque, as Abu Hurairah (May Allah Be pleased with him) said : " It rained on the feast day and therefore the prophet (MPBUH) led the prayer in the mosque . "

The Feast Prayer

by: Nahed Mohamed wasfi Ph. D.

It is a well known fact that prayer is one of the five basic pillars of Islam . It is the most important and most primary pillar on which the edifice of Islam rests . There is no doubt that prayer strengthens the foundations of one's faith and it prepares the believer for the observance of life of virtue and obedience to Allah . It refreshes that belief from which springs , courage , sencerity , purity of heart and the advancement of the soul .

There are two types of prayers : the obligatory (Fard) prayer and the extra (Nafl) prayer . The obligatory (Fard) prayers are the five daily prayers : dawn (Fajr) prayer , noon (Zuhr) prayer , afternoon (Asr) prayer , sunset (Maghrib) prayer , and night (Isha) prayer . Each of these daily prayers must be offered at or during its proper time . No prayer of the daily prayers can be offered before its time .

Nafl prayer is an extra prayer . There is a reward for praying it and no sin for leaving it . It can be offered at any isolated instance according to the time and capacity of the believer . Prophet Muhammad (MPBUH) encouraged Muslims to pray these extra (Nafl) prayers to help to make up for any minor omissions or other defects in the obligatory prayer .

Extra (Nafl) prayers are divided into two categories :

(1) Compulsory extra prayers (Sunnah Mu'akadah) and these are those prayers which are emphasized by the holy prophet (MPBUH) and offered regularly by him before or after the obligatory (Fard) prayer .

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 67 Part XI
Zil Kei'da, 1415 Hijrah — April, 1995

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس

● الافتتاحية : أين التناقض !؟
لفضيلة الدكتور / على أحمد الخطيب .. ١٤٥٧
● مضامين كلمة الرئيس فى ليلة القدر
إعداد الأستاذ / محمود الفشنى ١٤٦٠
● مع الإمام الأكبر ●
كلمة فضيلته فى ليلة القدر ١٤٦٥
الحج مؤتمر عام للمسلمين ١٤٦٦
فتوى فيما يحل أكله من الذبائح ١٤٦٨
● آداب صيانة العرض
للأستاذ الدكتور / حسن أليك ١٤٧٦
● قبس من أنوار النبوة الحجاج والعمار وفد الله
لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم . ١٤٨٨
● الهلال فوق المئذنة
للأستاذ / أحمد رجب محمد على ١٤٩١
● ظاهرة التجاوز فى البناء الفكرى
للدكتور / عبدالله مبروك النجار ١٤٩٥
● الإمام ابن عطية بين التفسير والتأويل
للدكتور / عبدالفتاح أبو سنة ١٥٠١
● النبى الرحمة ـ صلى الله عليه وسلم ـ
للأستاذ / محمد زين العابدين العزازى .. ١٥٠٦
● خلق المسلم
للدكتورة فاطمة عمر نصيف ١٥٠٩
● الفتاوى.. للأستاذ عبدالمنعم فودة ١٥١٦
● من أعلام الأزهر د. (عبدالجليل شلبى)
للأستاذ محمود عبدالعظيم طمان ١٥١٨
● طرائف ومواقف
للأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم . ١٥٢٢
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
للأستاذ / عبدالفتاح حسين الزيات ... ١٥٢٤
● الشعر والشعراء ●
● فى الإيمان أمان
للشاعر / محمد عبدالرحمن صان الدين . ١٥٢٨
● إلى حفيدى (مهند)
للشاعر رشاد محمد يوسف ١٥٣٠
● عشرةُ الكتب
للأديب الراحل عباس محمود العقاد ... ١٥٣١
● العلوم الكونية ●
تصنيف علوم الطب فى تراث المسلمين (٢)
ا.د. أحمد فؤاد باشا ١٥٣٢
● من أمراض الطفولة «أمراض الدم»
د. جيهان أحمد مصطفى ١٥٣٦
● الجديد فى العلم والتقنية
د. نجوى السيد أحمد ١٥٣٩
● اللغة والأدب والنقد
اللغة العربية فى تاريخها.
ا.د. توفيق شاهين ١٥٤٢
● الأثر العربى فى الأدب السواحيلى
للأستاذ / عادل رفاعى خفاجة ١٥٤٧
● مع فضيلة الدكتور عبدالوهاب عزام
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ١٥٥١
● نظرات فى كتاب
لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم . ١٥٥٥
● بين المجلة والقارىء
للدكتور / محمد عبدالحكيم محمد ١٥٥٨
● أنباء وآراء ●
أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
إعداد الأستاذين : عمر بسطويسى ،
مصطفى عبدالمجيد ١٥٦٥
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير ١٥٦٩
● القسم الفرنسى ١٥٧٥
● القسم الإنجليزى ١٥٨٣

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

سلامة المؤمن

ثنتان تدمّران سلامة الحياة الروحية للنفس المسلمة : اليأس من رَوْح الله - تعالى - أى فرجه ورحمته ، والأمن من عقابه ، أى الطمأنينة وركون الإنسان إلى عدم الخوف من الله - عز وجل .

وفى كلتيهما الهلاك المبين ؛ ففى اليأس من رَوْح الله وفرجه ورحمته كُفْرٌ ، وفى الأمن من سطوته - جل وعلا - خسران .

وما حياة المرء بين كفر وخسران .. ؟!

جاء فى القرآن الكريم قوله - تعالى - :

﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾

يوسف - ٨٧

وقال - سبحانه :

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

سورة الأعراف

يعنى المكر ـ فى الآية ـ أى استدراجه ـ سبحانه ـ للضالين المستنكفين عن طاعته ـ بما أنعم عليهم من نِعمِهِ ، وهم متمادون فى طغيانهم وشهواتهم ، فيأتيهم عذابُهُ وهم لاهون .

لكن المؤمن والمؤمنة بين الاثنتين ، حيث لا يأس من رحمة الله ، بل أمل ورجاء فى فرجه ورحمته ، ولا استهتار بعقوبة ، بل حذر شديد من بطشه .

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ سورة الفجر

فهو ـ سبحانه ـ يُحْصِى ويجازى .

قال علماؤنا ـ رحمهم الله ـ :

« والنجاةُ فى هذه الوسطية دون أن يغلب الرجاءُ الخوف » .

وهنا يكمن حُسنُ الظن بالله ـ ربنا ـ الرءوف الرحيم ـ أى توقع الخير على يديه ـ تعالى .

« دخل النبى ﷺ على شاب ـ وهو فى الموت ـ فقال : كيف تجدك ..؟

قال : أرجو الله ـ يا رسول الله ـ وإنى أخاف ذنوبى .!

فقال رسول الله ﷺ : لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ، وأمَّنَهُ مما يخاف . » رواه الترمذى .

قال حَيّان بن النضر :

خرجتُ عائدًا ليزيد بن الأسود ؛ فلقيت واثلة بنَ الأسْقَع ـ وهو يريد عيادته ـ فدخلنا عليه ، **فلما رأى واثلةَ بسط يده ، وجعل يشير إليه ؛ فأقبل واثلةُ حتى جلس ، فأخذ يزيدُ بكفَّىْ واثلة ، فجعلهما على وجهه ، فقال له واثلة :**

كيف ظَنُّك بالله ؟

قال : ظنِّى بالله ـ والله ـ حسن .

قال : فأبشر ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

قال الله ـ جل وعلا ـ :

« أنا عند ظن عبدى بى ، إن ظن خيرًا فله ، وإن ظن شرا فله »

رواه أحمد وابن حبان والبيهقى

إن حسن الظن بالله دافع إلى طاعته ، واستصحاب جلاله ، وإن قوما تركوا **الطاعات ، وقالوا : نحن نحسن الظن بالله ، كَذَبُوا . لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .**

نسأل الله ـ سبحانه ـ دوام طاعته وحسن الظن به .

د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

هذا العيد

بشير الأمل

داعية الطاعة

مذكر بكمال الدين وتمام النعمة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق علي جاد الحق / شيخ الأزهر

كلما أهل علينا العيد وجه مشاعرنا إلى الله ، والجد فى طاعته والتسليم له ــ سبحانه ، والثقة بنصره ، واليقين بتمام النعمة وكمال الدين ؛ فلا حاجة بنا إلا إلى الإسلام ، ولا عاصم لنا من الشر الذى أحاط بالعالم إلا بالاعتصام بهدى الله وحبله المتين .

وإن لنا فى إبراهيم ــ عليه السلام ــ أبينا وأبى الأنبياء ، وأول من شرع له الفداء فى مثل هذا الموسم ــ لنا فيه أسوة حسنة ؛ فقد كان على بصيرة من أمره ، فلما كاد له قومه رغب عنهم :

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ
يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)
فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾(١)

سلام على إبراهيم .

لقد امتحنه الله بما لا يُمتحن به إلا النبيون . واختبره فيما يمس ابنه ، ثمرة فؤاده ، وشغاف قلبه ، فاستسلم لأمر الله ولم يتخل عن الأمل فى رحمته ــ سبحانه .

عندئذ تولى الله أمره ، وأكرم أمله ، وجزاه إحساناً لإحسانه : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا

---

(١) الآيات من ٩٩ حتى ١١٠ من سورة الصافات .

﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾(٢)

كان إبراهيم إماما جامعا للخير ، وكان حنيفا ثابتا على الحق ، وكان قانتا مطيعا لربه ، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣)

من أجل هذا أمرنا أن نتبع إبراهيم ، وأن نتراءى عظمة الإمامة فيه ، ونلتمس سمت القنوت والطاعة لديه ـ عليه السلام ـ :

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٤)

لقد شرع هذا العيد جائزة على الطاعة ، وهو مرتبط بها ارتباطه بمناسك الحج ، إنه يوم الحج الأكبر ، وهو يوم أغر ينبغي أن نتذكر فيه أن رحمة الله ونعمته لا تتنزل إلا لطاعته ، وأنه كلما أخلص الناس فى الطاعة والسعى لها كانت جائزتهم من ربهم أكبر وأرضى ، وأعظم . قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾(٥)

إن هذا اليوم يوم تحقق فيه وعد الله ؛ من هنا كان عيدا .

وقد كان نبينا محمد ﷺ ـ فى كل أحواله ـ على يقين من وعد الله ، وأن الله مظهر دينه ، متم نوره ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾(٦)

إنه يوم بَشَّرَ الله المسلمين فيه بتمام النعمة وكمال الدين ، ونزل فيه قول الله ـ تعالى :

﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٧)

وإنه مما ينبغي أن نكون على بينة منه اليوم أن الله الذى أتم لنا الشريعة . وأكمل الدين لم يدع لنا حاجة إلى شرع آخر . ولا صلاحا فيما عدا دين الله .

وإنه ـ سبحانه ـ وهو الغفور الرحيم ـ لا يأذن لنا أن نظلم أنفسنا فنتجاوز فى شأن ولو هين من شئون هذا الدين إلا فى حال من الاضطرار والمخمصة ، حسية كانت المخمصة أو معنوية .

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٨) .

---

(٢) من سورة النحل .

(٣) الآية ١٣١ من سورة البقرة .

(٤) الآية ١٢٣ من سورة النحل .

(٥) الآيات من ٢٠٠ ـ ٢٠٢ من سورة البقرة .

(٦) الآيتان ٨ ، ٩ من سورة الصف .

(٧) الآية ٤ من سورة المائدة . (٨) الآية ٣ من سورة المائدة .

وإنه إذا كان المسلمون يمرون اليوم بشيء من الضوائق والمحن فإن هذه الضوائق تابعة لسنة الله فى الخلق ، نابعة من طبيعة البشر إذا حادوا عن المنهج الأمين .

ولعل هذه الضوائق مؤذنة بالعودة إلى الله ، وإصلاح الأمر والاعتصام بحبل الله المتين ، يقول ــ سبحانه : ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٩)

إننا فى هذا اليوم الكريم لنستمسك بأهداب الأمل ؛ إيمانا بوعد الله فى حفظ هذا الدين ، وبقاء الأمة وافرة الإيمان ، قوية اليقين ، باقية على الحق حتى يأتى وعد الله .

وإننى أوصى المسلمين فى هذا اليوم الكريم أن يلتزموا شعائرهم النقية النبيلة ، برا وتواصلا ، وإحسانا ورحمة .

وأن يستمسكوا فى عامة أمرهم بالطاعة والصبر والرضا والأمل ، واليقين بالله ، والاعتصام بحبله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

إن يوم عيد الأضحى يوم له موقع هام فى شعائر الإسلام ، إذ يعقب يوم وقفة عرفات .. اليوم والمكان الذى يجتمع فيه الحجاج من كافة شعوب المسلمين يلبون ويدعون الله ويستغيثون برحمته . ومن مقاصد هذا الجمع الكبير فى الإسلام أن يتشاوروا ويتحاوروا فى أمور المسلمين ، ويجمعوا كلمتهم على ما يصلح أمورهم ، حيث يعودون بعده إلى أوطانهم بعزم شديد على وحدة الصف ، والأخوة فى الله فى ظل الإسلام .

فهل استفدنا من هذا المؤتمر العام السنوى للإسلام والمسلمين فتجاوزنا خلافاتنا ، وقومنا المعوج من أمرنا ، واستشعرنا الأخطار المحدقة بالمسلمين فى كل مكان ؟

إن الآخرين فى هذا العالم قد وحدوا صفوفهم على باطل أمرهم يظاهر بعضهم بعضا ، وقد تفرقنا وتنازعنا مع أننا على الحق ، ولم نحذر مغبة الشقاق والنزاع ، والله يقول ــ مذكرا وآمرا : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾(١٠)

لقد عاش المسلمون قرونا عديدة أخوة مع تعدد المذاهب ؛ لأنهم عرفوا أن مرجعها جميعا إلى أصلين ثابتين : القرآن والسنة .

أما الآن فقد شاعت بيننا الخلافات المذهبية والعرقية ، ووقعت الفتنة واشتدت المحنة ، ولا عاصم لنا إلا رحمة الله ، ورحمة الله قريب من المحسنين .

---

(٩) الآية ١٦٨ من سورة الأعراف .

(١٠) الآية ٤٦ من سورة الأنفال .

باسم الأزهر الشريف ـ طلابه وعلمائه ـ أدعو أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء المسلمين . وأدعو علماء الأمة أن يعملوا جاهدين على إزالة أسباب الاختلاف ، حتى تتوحد الصفوف ، وتواجه الأمة الأخطار المحدقة بها ، وتحمى أرضها التى تنتقص من تحت أقدامها . ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

فى عيد الأضحى المبارك أهنىء المسلمين فى أرجاء الأرض شعوبا وملوكا ورؤساء وأمراء وقادة .

وأخص بالتهنئة الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية ، وأسأل الله أن يجرى الخير والصلاح والإصلاح على يديه .

وأهنىء شعب مصر والمسلمين فى كل مكان على أرض الله .. ربنا اجعل هذا اليوم مباركا طيبا ، بشيرا بالخير والأمن والأمان والوحدة والاستقرار والانتصار ، والسلام للمسلمين ولسائر خلق الله أجمعين .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

شيخ الأزهر الشريف
(جاد الحق على جاد الحق)

فتوى للإمام الأكبر في

غسل الميت وتكفينه ودفنه والدعاء له

رجلاً كان أو امرأة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعد ...

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة (فاكس) من السيد / صلاح الدين البعفراوى - رئيس المجلس الإسلامى فى ألمانيا جاء فيها الأسئلة الآتية :

١ - وجوب غسل الميت وكيفية غسله ؟

٢ - هل هناك فروق بين غسل المرأة والرجل وهل يمكن لرجل أن يغسل إمرأة أو العكس ؟

٣ - كيف يكفن الميت وبأية ثياب وكم كفنا يلبس الرجل وكم كفنا تلبس المرأة ؟

٤ - ما هو الدعاء الذى يقرأ على الميت وهل يصلى عليه وهل تعتبر الصلاة على الميت واجبة ؟

٥ - كيف تكون صلاة الجنازة وأين تتم ؟

٦ - هل يجوز أن يقتطع أى عضو فى الميت للتبرع به ؟

٧ - هل هناك قواعد تراعى فى القبر كالطول أو العرض أو العمق أو الجهة ؟

٨ - كيف يجب أن يظهر القبر فوق الأرض ؟ الحجم أو الإحاطة بالجدران .

٩ - كيف يوضع الميت المسلم فى القبر من حيث الجهة ووضع الرأس وهل يمكن أن يدفن ميت فى قبر ميت آخر ؟

١٠ - هل هناك وقت محدد لا يمكن تجاوزه عند دفن الميت وكم يمكن أن يبقى الميت دون دفن ؟

١١ - هل يجوز دفن الميت فى تابوت خشبى أو حديدى ؟

١٢ - هل هناك معلومات عن مشاكل يسببها الدفن دون تابوت (كالتأثير على المياه الجوفية أو البيئية ..) ؟

السؤال الأول :

وجوب غسل الميت ، وكيفية غسله ؟

الإجابـة :

غسل الميت فرض كفاية على الأحياء ، والمفروض غسله مرة واحدة بحيث يعم بها جميع

بدنه .

وكيفية الغسل أن يوضع على شيء مرتفع (منضدة ذات فتحات) ويلف الغاسل على يده خرقة (قطعة قماش طاهرة) يأخذ بها الماء ، ويغسل قبله ، ودبره ، ـ الاستنجاء ـ ثم يوضأ ، ويبدأ بوجهه ثم يضجع الميت على يساره ليبدأ بغسل يمينه ، فيصب الماء على شقه الأيمن من رأسه إلى رجليه ثلاث مرات حتى يعم الماء الجانب الأسفل ، ولا يجوز كب الميت(١) على وجهه لغسل ظهره ، وإنما يحرك من جانبه حتى يعمه الماء ثم يصب الماء على شقه الأيسر بالكيفية المتقدمة فإذا استوعبت جميع بدنه حصل بها فرض الكفاية ، ومن السنة أن يزاد على هذه الغسلة غسلتان أخريان فى إحداهما بطنه برفق ، ويغسل ما يخرج ، ولا بأس من استعمال المنظفات كالصابون وغيره ، وكذلك تدفئة الماء ، وبعد ذلك يجفف الميت ويوضع عليه الطيب(٢) إن وجد .

السؤال الثانى :

هل هناك فروق بين غسل المرأة والرجل ، وهل يمكن لرجل أن يغسل امـــرأة ، أو العكس ؟

الإجابـــــة :

ليس هناك فرق بين غسل الرجل والمرأة ، ولا يحل للرجال تغسيل النساء وبالعكس إلا الزوجين ، وإذا ماتت امرأة بين رجال ليس معهم امرأة غيرها أو زوج لها ، وتعذر احضار امرأة تغسلها فعلى الغاسل الأجنبى أن يضع خرقة على يده وييممها(٣) مع غض بصره عن ذراعيها .. أما إذا مات رجل بين نساء ليس معهن رجل ولا زوجة فإن كان معهن قاصرة لا تشتهى علمنها الغسل وغسلته ، وإن لم توجد قاصرة بينهن يممنه إلى مرفقيه مع غض بصرهن عن عورته ، ولكن إذا غسل الميت مع مخالفة شيء من ذلك صح غسله مع الإثم .

وإذا كان الميت صغيراً جاز للنساء تغسيله ، وإن كانت صغيرة جاز للرجال تغسيلها .

السؤال الثالث :

كيف يكفن الميت ؟ وبأية ثياب ؟ وكم كفنا يلبس الرجل ، وكم كفناً تلبس المرأة ؟

الإجـــابة :

تكفين الميت فرض كفاية ، وأقله ما يستر جميع بدن الميت ذكراً كان أم أنثى ، والكفن ثلاثة أنواع : كفن السنة ، وكفن الكفاية ، وكفن الضرورة .

وكفن السنة للرجال والنساء : قميص ، وإزار ، ولفافة ، والقميص من أصل العنق إلى القدم ، والإزار من قرن الرأس إلى القدم ومثله اللفافة ، ويزاد للمرأة على ذلك خمار يستر وجهها ، وقطعة قماش تربط ثدييها ، ولا تعمل للقميص أكمام ولا فتحات فى ذيله ، وتزاد اللفافة عند رأسه وقدمه حتى يمكن ربط أعلاها وأسفلها فلا يظهر من الميت شيء .

---

(١) بأن يكون ظهره أعلى وبطنه ووجهه إلى أسفل .

(٢) يقصد به ما كان طيب الرائحة ، المتداولة .

(٣) والتيمم ضربتان على تراب طاهر جاف ، يمسح بأولهما وجه المتوفى أو المتوفاة ويمم بالأخرى اليدان إلى المرفقين بحيث تمسح اليد اليمنى على اليد اليسرى ، وهذه على تلك على نحو غسل كل منهما فى الوضوء .

وأحب الأكفان أن تكون بالثياب البيض سواء كانت جديدة أو مستعملة نظيفة وكل ما يباح للرجال لبسه فى حال الحياة يباح التكفين به بعد الوفاة .

وينظر فى كفن المرأة إلى مثل ثيابها عند زيارة أبويها ، وإلى الرجل إلى مثل ثيابه لخروجه لصلاة العيدين .

كفن السنة للرجال والنساء ثلاثة أثواب على الوجه التالى : قميص ، وإزار ، ولفافة .

فالقميص عبارة عن ثوب من القماش الأبيض العادى يلبس بحيث يلتف حول الجسم من العنق إلى القدم ، يلبس للميت بحيث يكون ساتراً لجميع الجسد من أصل العنق إلى القـــدم ، ولا يعمل له أكمام ولا فتحات فى ذيله .

والمقصود بالإزار فى التكفين أن يستر الجسم من قرن الرأس إلى القدم ، ويـــوضع فوق القميص ، واللفافة مثل الإزار وتكون زائدة عن الإزار بحيث يمكن ربط أعلاها وأسفلها فلا يظهر من الميت شىء ، ويجوز ربط أوسطها بشريط من قماش الكفن إذا خيف انفراجها ، ويلف فيه المتوفى فوق القطعتين السابقتين ، ويزاد للمرأة على ذلك خمار يستر وجهها ورأسها وقطعة قماش يثبت بها الثديان .

وأما كفن الكفاية فهو الاقتصار على الإزار واللفافة مع الخمار وخرقة الثديين للنساء ، ويترك القميص فيهما ، فيكفى هذا بدون كراهة .

وأما كفن الضرورة فهو ما يُوجد حال الضرورة ولو بقدر ما يستر العورة ، وإن لم يوجد شىء يغسل ويجعل عليه أى شىء من النبات ويصلى عليه على قبره وإذا كان للمرأة ضفائر وضعت على صدرها بين القميص والإزار .

السؤال الرابع :

ما هو الدعاء الذى يقرأ على الميت ، وهل يصلى عليه وهل تعتبر الصلاة على الميت واجبة ؟

الإجـــابة :

الأمر المشروع هو صلاة الجنازة وهى فى حقيقتها دعاء للميت وهى فرض كفاية على الأحياء ، وهى أربع تكبيرات ، والدعاء يكون بعد التكبيرة الثالثة ، ولا يجب الدعاء بصيغة خاصة بل المطلوب الدعاء بأمور الآخرة ، والأحسن أن يدعو بالمأثور فى حديث عوف بن مالك وهو : « اللهم اغفر له ، وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلًا خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه ، وأدخله الجنة ، وأعذه من عذاب القبر ، وعذاب النار » ، فإن كان أنثى يبدل ضمير المذكر بضمير الأنثى ولا يقول : « وزوجاً خيراً من زوجها » .

وإن كان طفلًا يقول : اللهم اجعله لنا فرطاً ، اللهم اجعله لنا ذخراً وأجراً ، اللهم اجعله لنا شافعاً مشفعاً ، ويمكن للمصلى أن يدعو بما شاء .

السؤال الخامس :

كيف تكون صلاة الجنازة ؟ وأين تتم ؟

الإجـابة :

صلاة الجنازة ، أربع تكبيرات بتكبيرة الإحرام ، وصفتها أن يقوم المصلى بحذاء صدر الميت ، ثم ينوى أداء فريضة صلاة الجنازة ، عبادة لله تعالى ، ثم يكبر للإحرام مع رفع يديه

حين التكبير ، ثم يقرأ الثناء ـ سبحانك الله وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك ثم سورة الفاتحة ـ ثم يكبر تكبيرة أخرى بدون أن يرفع يديه ثم يصلى على النبى ﷺ بالصيغة التى تلك فى آخر التشهد ، ثم يكبر ثالثة بدون رفع يديه أيضاً ، ثم يسلم تسليمتين إحداهما عن يمينه وثانيهما عن يساره ولا ينوى السلام على الميت فى التسليمتين ويسر فى الكل إلا فى التكبير .

وعند المالكية يقف المصلى عند وسط الميت إن كان رجلًا وعند منكبيه إن كان امرأة وعند الشافعية يقف المصلى عند رأس الميت إن كان ذكراً وعند عجزه إن كان أنثى .

وتجوز صلاة الجنازة فى أى مكان ، وفى صلاتها بالمسجد مكروهة عند الحنفية والمالكية وأباحها الحنابلة إذا لم يخش تلويث المسجد ، وقال الشافعية : يندب الصلاة على الميت فى المسجد .

السؤال السادس :

هل يجوز أن يقتطع أى عضو من الميت للتبرع به ؟

الإجـابة :

يجوز شق بطن الإنسان الميت وأخذ عضو منه أو جزء من عضو لنقله إلى جسم إنسان حى آخر يغلب على ظن الطبيب استفادة الأخير بالجزء المنقول إليه ـ رعاية للمصلحة الراجحة التى ارتآها الفقهاء القائلون بشق بطن التى ماتت حاملًا والجنين يتحرك فى أحشائها وترجى حياته بعد إخراجه وإعمالًا لقاعدة الضرورات تبيح المحظورات[٤] .

وهذا إذا وجدت وصية من المتوفى قبل وفاته بإباحة جزء من جسده أو عرضه لطلاب الطب للتشريح كوسيلة تعلم أو بإذن من ولى المتوفى كالأب والجد لأب والإبن أو إبن الإبن أو الأخ الشقيق أو لأب ، فإذا لم يوجد أحد من هؤلاء عرض الأمر على جهة قضائية (النيابة العامة) ولها إذا رأت ضرورة لأخذ جزء من المتوفى لنفع إنسان آخر بطريق العلاج أذنت بذلك .

السؤال السابع :

هل هناك قواعد تراعى فى القبر ، كالطول أو العرض ، أو العمق ، أو الجهة ؟

الإجـابة :

دفن الميت فرض كفاية إن أمكن ، فإن لم يمكن : كما إذا مات فى سفينة بعيدة عن الشاطىء ويتعسر أن ترسو على مكان يمكن دفنه به قبل تغير رائحته فإنه يربط بمثقل ويلقى فى الماء .

وعند إمكان دفن الميت يجب أن يحفر له حفرة فى الأرض وأقلها عمقاً ما يمنع ظهور الرائحة ، ونبش السباع ، وأقلها طولًا وعرضاً ما يسع الميت ومن يتولى دفنه ثم إذا كانت الأرض صلبة فيسن فيها اللحد وهو أن يحفر أسفل القبر من جهة القبلة حفرة تسع الميت ، وإن كانت الأرض رخوة فيباح فيها الشق وهو أن يحفر فى وسط أسفل القبر حفرة كالنهر ثم يبنى جانباه بالطوب اللبن .

السؤال الثامن :

كيف يجب أن يظهر القبر فوق الأرض ؟ الحجم أو الإحاطة بالجدران أو البناء عليه ؟

---

(٤) بتصرف عن كتابنا : « الفقه الإسلامى » مرونته وتطوره ص ٢٥٢ .

الإجابـــة :

يظهر القبر فوق الأرض بارتفاع التراب فوقه بقدر شبر ويجعل كسنام البعير ، ويكره أن توضع أحجار أو خشب أو نحو ذلك إلا إذا خيف ذهاب معالم القبر ؛ فيجوز وضع ذلك للتمييز كما يكره أن تبنى على القبر حيطان تحدق به إذا لم يقصد بها الزينة والتفاخر وإلا كان حراماً ، كره الحنابلة البناء مطلقاً ، وبذلك فإن ما يفعله الناس هذه الأيام ولما ابتدعوه من التفاخر فى البنيان على القبور أمر لا تقره الشريعة إلا إذا تعذر الحفر بالأرض والدفن فى باطنها لقرب المياه الجوفية من سطح الأرض - فمثلا - عندئذ - يباح الدفن بوضع الميت على سطح الأرض داخل مقبرة محاطة بجدران وسقف يسع لوضع الميت ومن يقوم بدفنه .

السؤال التاسع :

كيف يوضع الميت المسلم فى القبر من حيث الجهة ، ووضع الرأس ، وهل يمكن أن يدفن ميت فى قبر ميت آخر .

الإجـابة :

يجب وضع الميت فى قبره مستقبلًا القبلة بوجهه (قبلة الصلاة - الكعبة) ، ويسن أن يوضع على جنبه الأيمن ، ويستحب أن يسند رأسه ورجلاه بشيء من التراب أو الطوب اللبن ، ويكره وضع وسادة أو فراش أو نحو ذلك فى قبره ويمكن دفن أكثر من ميت فى قبر واحد وكره الحنفية ذلك إلا للحاجة ، والشافعية والمالكية قالوا : يحرم ذلك إلا لضرورة ككثرة الموتى أو لحاجة كمشقة على الإحياء .

السؤال العاشر :

هل هناك وقت محدد لا يمكن تجاوزه عند دفن الميت وكم يمكن أن يبقى الميت بدون دفن ؟

الإجـــابة :

من السنة التعجيل بتجهيز الميت ودفنه ، وفى حالة الضرورة التى تحول دون ذلك يمكن تأخير الدفن ، وأقصى ما يمتد ذلك إلى ما قبيل أن تفوح رائحته ، وقد استحدثت هذه الأيام عقاقير وأدوية مختلفة بواسطتها يمكن احتفاظ جسد الميت بتماسكه وعدم تحلله لفترة طويلة - ولكن تأخير دفن الميت بلا ضرورة محرم على كل حال .

وإذا دعت ضرورة للتأخير فيحسن أن تتخذ إجراءات تبريده سواء بوضعه فى الثلاجات المعدة لذلك أو وضع الثلج على جسده إلى أن يوضع فى قبره .

السؤال الحادى عشر :

هل يجوز دفن الميت فى تابوت خشبى أو حديدى ؟

الإجـــابة :

لا يجوز أن يوضع الميت فى صندوق إلا لحاجة كنداوة الأرض ورخاوتها فعند ذلك يجوز وضعه فى صندوق .

السؤال الثانى عشر :

هل هناك معلومات عن مشاكل يسببها الدفن دون تابوت ، كالتأثير على المياه الجوفية أو البيئة ؟

الإجـــابة :

لا يوجد هناك أى دليل على أن الدفن فى الأرض بدون تابوت قد أحدث تلوثاً فى البيئة ، أو تأثيراً على المياه الجوفية ، فنحن نعلم أن الغابات والصحارى والفيافى والقفار وغير ذلك من أرض الله تذخر بالحيوانات البرية التى تنفق أعداد كبيرة منها وتأكلها الأرض بدون أن يحدث أى تلوث أو تأثير على امتداد التاريخ الطويل .

المبحث الأخير

آداب صيانة العرض

للأستاذ الدكتور/ حسن أليك (*)

تشريع الحجاب :

ميز الله الإنسان عن سواه من الكائنات وخصه بخصائص لاتوجد لغيره ، من تلك الخصائص مشروعية لبس الثياب لستر عورته ؛ تكريماً له ورفعة لشأنه ، وهذه فطرة فطر الله الإنسان عليها منذ بدء الخليقة .

وهذا من أهم ما يتميز به الإنسان عن الحيوانات ، ولقد أحاط الله المرأة بسياج من المنعة والتقية حيث أمرها بما يحفظ عليها كرامتها ويصون عرضها وشرفها ، ويحول بينها وبين عدوان الفسقة والذين لا يرقبون فيها إلا ولا ذمة .

ولهذه كانت المرأة المحجبة بمنأى عن العدوان عليها فلا يتسلط عليها أحد ، ولا يلتفت إليها إنسان ، كما نشاهد فى زماننا المعاصر .

والحجاب لغة : هو المنع من الوصول[٨٦] .

والمراد هنا : الستر الشرعى[٨٧] ، كما دلت عليه الآية الكريمة : ﴿ فاسئلوهن من وراء حجاب ﴾[٨٨] .

وللحجاب الشرعى شروط ، وهى :

---

* الكاتب : أستاذ بكلية الالهيات ـ جامعة مرمره باستنبول ـ تركيا .

(٨٦) المفردات : ١/١٥٥ .

(٨٧) « بصائر ذوى التمييز » : ٢/٤٣٣ ؛ يقول الفيروز آبادى : بعد ما بين الحجاب لغة : وقد ورد الحجاب فى القرآن على أوجه :
الأول : بمعنى الجبل الذى تتحجب به الشمس آخر النهار (حتى توارت بالحجاب) سورة ص: الآية : ٣٢ .
الثانى : بمعنى الستر الشرعى : (فاسئلوهن من وراء حجاب) الأحزاب : ٥٣ .
والثالث : بمعنى الأعراف للسور الذى بين الجنة والنار (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال) الأعراف : ٤٦ .
وقيل : ليس المراد بالحجاب ما يحجب النظر ، وإنما المراد ما يمنع وصول لذة الجنة إلى أهل النار ، وأذية أهل النار إلى أهل الجنة كقوله ـ تعالى : (فضرب بينهم بسور له باب) الحديد : ١٣ : انظر : « بصائر ذوى التمييز » : ٢/٤٣٣ .

(٨٨) الأحزاب : ٥٣ .

أولاً : أن يكون الحجاب ساتراً لجميع البدن إلا ما استثنى بدليل قوله ـ تعالى :
﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾(٨٩) .

وهذه الآية تدل بكل صراحة على وجوب ستر الزينة كلها وعدم إظهار شيء منها بغير تعمد(٩٠) .

قال ابن كثير : « **الخمر جمع خمار وهو ما يخمر به ، أى يغطى به الرأس وهى التى يسميها الناس** المقانع »(٩١) .

والمعنى :

وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن وأعناقهن .

والجيوب : النحور والصدور .

فالمراد بضرب النساء بخمرهن على جيوبهن : أى يغطين رؤوسهن وأعناقهن وصدورهن بكل ما فيها من زينة ، وهذا يخالف ما كانت عليه نساء الجاهلية . يقول الزمخشرى : « ويجوز أن يراد بالجيوب : الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ، والجيوب جمع جيب »(٩٢) .

قال القرطبى : « والجيب هو موضع القطع من الدرع والقميص ، وهو من الجوب بمعنى القطع »(٩٣) .

يقول الإمام ابن كثير : « ولقد كانت المرأة منهن ، من نساء الجاهلية تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء ، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها فأمر الله المؤمنات أن يستترن فى هيئاتهن وأحوالهن »(٩٤) .

يقول الزمخشرى : « كانت جيوب نساء أهل الجاهلية واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها ، وكن يسدلن الخمر من ورائهن ، فتبقى مكشوفة ، فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها »(٩٥) .

ويقول أبو السعود : فى تفسير هذه الآية : « إرشاد إلى كيفية إخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهى عن إبدائها ، وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن ، فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها ، فأمرن بإرسال خمرهن إلى جيوبهن سترا لما يبدو منها »(٩٦) .

وهذه الأقوال جميعا تشير إلى ضرورة ستر ما أمر الله بستره .

وعلى المرأة المؤمنة أن تتجنب من السلوك المؤدى إلى طريق أهل الجاهلية كما خالفت المؤمنات السابقات لنساء أهل الجاهلية بعد نزول هذه الآية الكريمة .

تقول عائشة ـ رضى الله عنها : « يرحم الله نساء المهاجرات الأول ، لما أنزل الله : (وليضربن

---

(٨٩) النور : ٣١ .

(٩٠) سأعقد بحثا خاصا عن الجزء المستثنى من الحجاب نظرا لطول الاختلاف فيه .

(٩١) تفسير مختصر ابن كثير : ٦٠/٢ ؛ وفى لسان العرب : الخمر : جمع خمار ، وهو : ما تغطى به المرأة رأسها ، كل مغطى مخمر ٢٥٨/٤ .

(٩٢) الكشاف : ٦٢/٣ .

(٩٣) تفسير القرطبى : ٤٦٢٢/٦ .

(٩٤) تفسير ابن كثير : ٢٨٤/٣ ، طبع الحلبى .

(٩٥) تفسير الكشاف : ٦٢/٣ .

(٩٦) تفسير أبو السعود : ١٧٠/٦ .

(•) سبق نشر البحوث السابقة لهذا المبحث ؛ بأعداد ذى الحجة ١٤١٤هـ ، وشوال ١٤١٥هـ ، وذى القعدة ١٤١٥هـ .

بخمرهن على جيوبهن) شققن مروطهن فاختمرن به[٩٧] .

وعن صفية بنت شيبة[٩٨] ، قالت : بينما نحن عند عائشة ، قالت : فذكرنا نساء قريش وفضلهن ، فقالت عائشة ـ رضى الله عنها : إن لنساء قريش لفضلا ، وإنى ـ والله ـ ما رأيت أفضل من الأنصار أشد تصديقا بكتاب الله ، ولا إيمانا بالتنزيل ، لقد أنزلت سورة النور (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) . انقلب إليهن رجالهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهن فيها ، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذى قرابة ، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل[٩٩] فاعتجرت به[١٠٠] ، تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتابه ، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ الصبح معتجرات كأنهن على رؤوسهن الغربان[١٠١] .

أمر الإسلام المرأة أن تخفى فى بيتها فلا تبدى من زينتها عند وجود الأجانب إلا ما استثنى ، كما دلت عليه الآية التى ذكرناها[١٠٢] .

لكن نراه يطالبها بمضاعفة الثياب الكثيفة زيادة على ما كانت عليه داخل البيت إن هى خرجت من بيتها حتى لا تشف تلك الثياب عن جسمها ولا تظهر من زينتها ضمانا لكرامتها وصونا لشرفها .

وهذه الثياب التى يطالب المرأة بلبسها هى الجلباب كما جاءت فى الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾[١٠٣]

يدنين عليهن : أى يسدلن ويرخين .

قال القاضى بيضاوى : « يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة »[١٠٤] .

وهذا لا يحصل إلا بالجلباب ، والجلباب : هو الثوب الذى يستر جميع البدن .

يقول ابن كثير : هو (الجلباب) الرداء فوق الخمار ، وهو بمنزلة الإزار اليوم »[١٠٥] .

وعلى المرأة المؤمنة أن تلبس جلبابها الكثيف والواسع إذا خرجت من دارها كما فعله نساء الأنصار بعد نزول هذه الآية فورا .

لأن الجلباب أستر لها وأنسب لسيرتها ، وبذلك تعرف المؤمنات العفيفات عن غيرهن من النساء كما دل عليه قوله ـ تعالى :

(ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ) .

ذهب جمهور المفسرين[١٠٦] إلى المراد من قوله ـ تعالى : (أن يعرفن) أى : يعرفن أنهن حرائر ويميزن عن الإماء ، وعلى هذا يكون الأمر بالحجاب موجها إلى الحرائر لا إلى الإماء .

أما أبو حيان فقد اختار وجها آخر غير الوجه الذى ذهب إليه الجمهور ، وهو يجعل الأمر

---

(٩٧) صحيح البخارى : تفسير سورة النور ١٣/٦ ؛ وروى أبو داود بنحوه : كتاب اللباس ، رقم الحديث : ٤١٠٢ ، ٦١/٤ ، والطبرى : ١٢٠/١٨ واللفظ للبخارى .

(٩٨) وفى رواية عن صفية بنت شيبة عن عائشة .. « أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشى فاختمرن بها » صحيح البخارى : تفسير سورة النور ١٣/٦ .

(٩٩) مروط مرحل : نقش فيه تصاوير الرحال .

(١٠٠) واعتجرت المرأة : لبست المعجر ، وهو الثوب ، الذى تشده على رأسها .

(١٠١) تفسير ابن كثير : ٤٨/٦ ـ ٤٩ : رواه أبو داود من غير وجه عن صفية بنت شيبة ، كتاب اللباس ، باب فى قوله ـ تعالى : (يدنين عليهن من جلابيبهن) الحديث : ٤١٠١ ، ٦١/٤ .

(١٠٢) النور : ٣١ .

(١٠٣) الأحزاب : ٥٩ .

(١٠٤) تفسير البيضاوى : ١٨٤/٧ ، بحاشية الشهاب .

(١٠٥) تفسير ابن كثير : ٤٧٠/٦ .

(١٠٦) انظر : تفسير القرطبى : ٥٣٢٦/٦٠ : زاد المسير : ٤٢٢/٦ ؛ تفسير البغوى : ٢٧٧/٥ مطبوع مع الخازن : الخازن : ٢٧٧/٥ .

بالحجاب موجها لجميع النساء سواء منهن الحرائر والإماء .

وعلى رأى أبى حيان : يكون معنى قوله ـ تعالى : (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) .

أى يعرفن بالعفة والتستر والصيانة ، فلا يطمع فيهن أهل السوء والفساد بما لا يليق من الكلام وغيره .

يقول : « والظاهر أن قوله ـ تعالى : (ونساء المؤمنين) يشمل الحرائر ، فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح .

وقوله : (أدنى أن يعرفن) أى : يعرفن لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن ولا يلقين بما يكرهن ؛ لأن المرأة إذا كانت فى غاية التستر والاحتشام لم يقدم عليها بخلاف المتبرجة ؛ فإنها مطموع فيها »(١٠٧) .

ويبدو لنا أن هذا الرأى يتفق مع أهداف الدين الإسلامى ، وعموم تعاليمه ولذلك فهو الأولى بالقبول .

وسبب نزول الآية : كما ذكره الواحدى وغيره : أن الفساق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل فإذا رأوا المرأة عليها قناع تركوها وقالوا : هذه حرة ، وإذا رأوها بغير قناع قالوا : أمة فآذوها فنزلت الآية(١٠٨) .

يقول ابن حزم : « أما الفرق بين الحرة والأمة ، فدين الله واحد والخلقة واحدة ، كل ذلك فى الحرائر والإماء سواء حتى يأتى نص فى الفرق بينهما فى شىء فتوقف عنده »(١٠٩) .

ثانياً : أن لا يكون الثوب زينة فى نفسه أو مبهرجاً ذا ألوان جذابة تلفت الأنظار ، يقول الله ـ تعالى : (ولا يبدين زينتهن) ؛ لأن الآية تنهى عن إبداء الزينة ، فلا يعقل حينئذ أن يكون الجلباب أو الرداء ، نفسه زينة ، والتستر بهذا الثوب لا يسمى حجابا ؛ لأن الحجاب الشرعى هو الذى يمنع ظهور الزينة .

ثالثاً : أن يكون الثوب كثيفا غير رقيق لا يشف ، ويراد بالكثيف الثوب السميك الذى لا يظهر ما تحته ليكون ساترا كما شرع له ؛ لأن الغرض من الحجاب الشرعى هو الستر ، والثوب الشفاف لا يمنع الرؤية ولا يحجب النظر ، بل يزيد المرأة فتنة وزينة وجاذبية .

رابعاً : وأن يكون الثوب فضفاضا غير ضيق ، لا يجسم ولا يصف حجم الجسم .

حكم القواعد من النساء :

كل ما جاء من أحكام الستر واللباس الذى ذكرناه مفصلا ، هو للمرأة الشابة ، فإذا جاوزت المرأة هذه السن ، وتقدمت فيها ، فإنه يخفف فى شأنها لقوله ـ تعالى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾(١١٠) .

والعلة فى التخفيف هى عدم الرجاء فى النكاح ، كما صرحت الآية وهو أن تبلغ المرأة سناً تقل فيها الشهوة الجنسية التى لا تشتهى ولا يرغب فيها عادة .

يقول أبو عبيدة : « والقواعد : جمع قاعد :

---

(١٠٧) البحر المحيط : ٢٥٠/٧ .

(١٠٨) أسباب النزول للواحدى : ص٢٨ ؛ ذكره السيوطى فى الدر : ٢٢٢/٥ .

(١٠٩) المحلى : ٢١٨/٣ ـ ٢١٩ .

(١١٠) النور : ٦٠ .

هن اللواتى قد قعدن عن الولد ولا يحضن »(١١١) ، والمراد بهن العجائز اللواتى لم يبق لهن مطمع فى الزواج لكبر سنهن ، ولا يرغب فيهن الرجال بسبب عجزهن ، فأما المرأة التى كانت فيها بقية من جمال ، وعندها رغبة فى الزوج ، فلا تدخل فى هذا الحكم .

رخص الله ــ تعالى ــ للقواعد من النساء أن يضعن بعض ثيابهن بعد النهى عن إبداء زينتهن ، قال بعض العلماء فى ذلك : نسخت قوله ــ تعالى : (ولا يبدين زينتهن) بقوله ــ تعالى : (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ....) .

ولكن القول بالنسخ ليس بصحيح كما بينه العلماء .

قال مكى بن أبى طالب : وقد يكون قوله ــ تعالى : (ولا يبدين زينتهن) مخصوصا فى غير القواعد ، وتكون آية القواعد خصصتها ، وبينت أنها فى غير القواعد من النساء ، ودليل ذلك : أن حكم الأولى لم يزل بكليته إنما زال بعضه ، وأكثر النسخ وبابه وأصله إنما هو بزوال الحكم الأول وحلول الثانى محله ، وباب التخصيص معناه : زوال بعض حكم الأول وبقاء ما بقى على حكمه ، فهذا بالتخصيص أشبه منه بالنسخ »(١١٢) .

وقال أبو منصور فى كتابه « الناسخ والمنسوخ » : « قال ابن عباس ثم نسخ منها ــ أى : من قوله ــ تعالى : (ولا يبدين زينتهن) ، القواعد من النساء بقوله : (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة) . وقال أكثر العلماء : هما محكمتان(١١٣) .

ولعل هذا هو الصواب ؛ لأن الآية الأولى ، وهى قوله ــ تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ حرمت على كل مؤمنة إبداء زينتها إلا ما ظهر منها وهى : الوجه والكفان على رأى الجمهور كما بينا فى محله ، وهذا كما يشمل القواعد من النساء اللاتى قعدن من الحيض والولد ، يشمل أيضا غيرهن ، فجاءت هذه الآية (والقواعد من النساء اللاتى) فأباحت للقواعد وضع الثياب ؛ وهو الجلابيب على الرأى العام ، بشرط أن لا يكون القصد من ذلك التبرج وإبداء الزينة .

إذن فهذه الآية ، رفعت بعض حكم الأول ، ولم ترفعه كله ، وهذا تخصيص وليس بنسخ .

وليس المراد من وضع الثياب أن تخلع المرأة ما عليها من الثياب ، لأن ذلك لا يجوز للعجوز أمام محارمها ، فكيف يكون عند الأجانب ؟ بل المراد بالثياب فى هذه الآية : هو الجلباب والرداء ، وهو الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وإلى ذلك ذهب أكثر العلماء(١١٤) .

---

(١١١) « مجاز القرآن » : ٦٩/٢ ؛ قال صاحب القاموس : إنها التى قعدت عن الولد وعن الحيض وعن الزواج ؛ وقال ابن قتيبة : والقواعد ؛ يعنى العجز ، واحدها : قاعد ، ويقال : إنما قيل لها قاعد ؛ لقعودها عن الحيض والولد ؛ تفسير غريب القرآن ؛ ص : ٣٠٧ .

(١١٢) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه : بتحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات ص : ٣١٩ .

(١١٣) الناسخ والمنسوخ : بتحقيق حلمى كامل أسعد .

(١١٤) ذكره الطبرى فى تفسيره : ١٦٥/١٨ ــ ١٦٧ ؛ عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما ؛ انظر القرطبى : ٤٧٠١/٦ ؛ تفسير غريب القرآن : ص٣٠٧ ؛ قال أبو حيان : فى قوله ــ تعالى : (أن يضعن ثيابهن) : الجلباب والرداء والقناع الذى فوق الخمار ، البحر المحيط ٤٧٣/٦ وقال ابن زيد : المراد به « الخمار » تفسير الطبرى ١٦٦/١٨ .

بينت الآية الكريمة بعد الرخصة للعجائز أن يضعن الجلباب ، أن الاستعفاف : أى : طلب العفة بلبس الجلباب والرداء[115] خير لهن ؛ لأن المرأة ولو كانت عجوزاً ، لا تشتهى ، ولا يرغب فيها إلا أن بعض النفوس قد تميل إليها وتشتهيها ، والإسلام ما منع من إبداء الزينة إلا قطعا للشهوات ، **وخوفاً من هذه الفتنة جعل الإسلام** الاستعفاف خيراً ، وسلكت المؤمنات العفيفات هذا الطريق .

روى عن عاصم أنه قال : « كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به ، فنقول لها : رحمك الله ، قال - تعالى : (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة) ، هو الجلباب ، قال : فتقول لنا : أى شىء بعد ذلك ؟ فنقول : (وأن يستعففن خير لهن) فتقول : هو إثبات الجلباب »[116] .

فإذا كان استعفاف العجائز - التى لا تشتهى ولا يرغب فيها - عن وضع الثياب الخارجية خيراً لهن ، فما بالك بالشابات ذوات الزينة ؟

والإسلام رخص للقواعد فى وضع الجلباب والرداء ، والتخفيف فى سترهن بشرط أن لا يكون القصد من هذا إبداء الزينة والتبرج ، كما أشارت إليه الآية الكريمة ، بقوله - تعالى : (غير متبرجات بزينة) ، وجاء فى آية أخرى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)[117] .

والتبرج : هو التكلف فى إظهار ما يجب إخفاؤه ، ثم استعمل فى خروج المرأة من الحشمة بإبداء مفاتنها ومحاسنها .

يقول أبو عبيدة : فى قوله - تعالى : (غير متبرجات) .

التبرج : أن يظهرن محاسنهن بما لا ينبغى لهن أن يظهرنها[118] .

ويقول الزمخشرى : « فإن قلت ما حقيقة التبرج ؟ قلت : تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه ، من قولهم ، سفينة بارج ، أى : لا غطاء لها ، والتبرج : سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله ، لا يغيب منه شىء ، إلا أنه اختص بأن تنكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها وإظهار محاسنها »[119] .

يقول الشيخ سيد سابق : [120] إن أهم ما يتميز به الإنسان عن الحيوان اتخاذ الملابس وأدوات الزينة .

يقول الله - تعالى : (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون)[121] .

الملابس والزينة هما مظهران من مظاهر المدنية والحضارة ، والتجرد عنهما إنما هو عودة إلى الحياة البدائية .

وإذا كان اتخاذ الملابس لازما من لوازم الإنسان الراقى ، فإنه بالنسبة للمرأة ألزم ؛ لأنه الحفاظ الذى يحفظ عليها دينها وشرفها وعفتها وحياءها ،

(١١٥) قال ابن قتيبة : وأن يستعففن : فلا يلقين الرداء ؛ تفسير غريب القرآن : ص: ٣٠٨ .
(١١٦) أخرجه البيهقى : فى السنن الكبرى : ٩٣/٧ .
(١١٧) سورة الأحزاب : ٣٣ .
(١١٨) مجاز القرآن : ٦٩/٢ .
(١١٩) الكشاف : ٧٦/٣ .
(١٢٠) فقه السنة : ٢٠٩/٢ - ٢١١ .
(١٢١) الأعراف : ٢٦ .

وهذه الصفات ألصق بالمرأة وأولى بها من الرجال ومن ثم كانت الحشمة أولى بها وأحق ، إن أعز ما تملكه المرأة ، الشرف والحياء والعفاف ، والمحافظة على هذه الفضائل ، محافظة على إنسانية المرأة فى أسمى صورها .

٤ – الترغيب فى النكاح والدعوة إلى الاستعفاف :

أمر – سبحانه وتعالى – بغض البصر وحفظ الفروج وحذر من مقارفة الفواحش ، وارتكاب الموبقات ، فنهى عن الزنى ودواعيه من النظر وكشف العورات ، وإبداء الزينة على النحو الذى أشرت إليه . وبعد ذلك أرشد – سبحانه وتعالى – إلى ما يحل للعباد من النكاح(١٢٢)

فقال – تعالى :

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ(١٢٣) الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

يقول أبو السعود : « بعد ما زجر الله – تعالى – عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة ، أمر بالنكاح ، فإنه مع كونه مناطاً لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك »(١٢٤) .

وفى الآيات نرى أن الله – تعالى – يأمر بإعفاف الشباب وتحصين الأحرار والإماء من الرجال والنساء وحيث كان الأمر بتزويج من لا زوج له مطلقا من أحرار الرجال والنساء ، ومن أهل الصلاح والتقى من العبيد والموالى ، والمراد بالصلاح هنا الإيمان(١٢٥) .

وإن كان هؤلاء الذين تزوجونهم فقراء ، فإن الله – تعالى – سيغنيهم من فضله ، فهو واسع الفضل ، كريم العطاء والسعة .

والخطاب هنا للأولياء على القول الصحيح بدلالة الخطاب المتلفظ به فى الآية .

يقول القرطبى : « والخطاب للأولياء ، وقيل للأزواج ، والصحيح الأول . إذ لو أراد الأزواج لقال : « وانكحوا » بغير همز ، وكانت الألف للوصل »(١٢٦) .

والمراد بالأيامى هو من لا زوج له مطلقاً من الرجال والنساء(١٢٧) .

---

(١٢٢) اختلف العلماء واللغويون فى معنى النكاح ، فقيل النكاح فى اللغة الضم . ومن قولهم : « تناكحت الأشجار » إذا انضم بعضها إلى بعض . وعلى هذا المعنى فاستعماله فى العقد والوطء ، مجاز لما فيهما من الضم . وقيل حقيقة فى الوطء ، مجاز فى العقد ، لأنه سببه . وقيل : بالعكس لأنه لم يستعمل فى القرآن إلا بمعنى التزوج ، والوطء ، سبب عنه . انظر : تهذيب اللغة : ٤/١٠٢ – ١٠٣ ، الصحاح : ١/١٩٩ ، المصباح المنير : ٢/٩٦٥ . والنكاح فى الشرع : هو عقد يفيد ملك المتعة قصدا . أى : يفيد حل استمتاع الرجل بالمرأة على سبيل الاختصاص . انظر : الفتاوى الهندية : ١/٢٦٧ ؛ حاشية الطحاوى : ١/٣١ ؛ مجمع الأنهر : ١/٣١٦ .

(١٢٣) النور : ٣٢ – ٣٣ .

(١٢٤) تفسير أبو السعود : ٦/١٧١ .

(١٢٥) زاد المسير : ٦/٣٦ .

(١٢٦) تفسير القرطبى : ٦/٤٦٣١ ، وانظر : أحكام القرآن لابن العربى : ٣/١٣٧٦ .

(١٢٧) قال أبو عبيدة : من الرجال والنساء الذين لا أزواج لهم ولهن ، ويقال : رجل أيم وامرأة أيمة وأيم أيضا . مجاز القرآن : ٢/٦٥ . وقال ابن قتيبة : والأيامى من الرجال والنساء هم الذين لا أزواج لهم . يقال رجل أيم وامرأة أيم ، ورجل أرمل وامرأة أرملة ، ورجل بكر وامرأة بكر ، إذا لم يتزوجا . ورجل ثيب وامرأة ثيب إذا كانا قد تزوجا . تفسير غريب القرآن : ٣٠٤ .

والعباد بمعنى العبيد(١٢٨) .

وقد اختلف العلماء فى دلالة الأمر فى الآية على الحكم الشرعى للنكاح . فذهب بعض العلماء إلى أن الأمر للندب(١٢٩) ، وذهب البعض الآخر إلى أنه للوجوب(١٣٠) .

يقول القرطبى : « واختلف العلماء فى هذا الأمر على ثلاثة أقوال : فقال علماؤنا : يختلف الحكم فى ذلك باختلاف حال المؤمن من خوف العنت ، ومن عدم صبره ، ومن قوته على الصبر وزوال خشية العنت عنه ، وإذا خاف الهلاك فى الدين أو الدنيا أو فيهما فالنكاح واجب ، وإن لم يخش شيئاً ، وكانت الحال مطلقة ، فإن الشافعى يرى أن النكاح مباح ، وقال مالك وأبو حنيفة هو مستحب(١٣١) .

حث ديننا الحنيف على الزواج ورغب فيه عند الاستطاعة ؛ لأنه أسلم طريقة لتصريف الدوافع الجنسية والفطرية بصورة شرعية صحية كريمة ، وهو الوسيلة المثلى لإخراج النسل وبقاء النوع وتكثير الأمة وبه تغرز عواطف الحب والود والشفقة والرحمة فى نفس الزوج والزوجة والأبناء وما يحيط بهم من أهل وأقارب .

وقد يتردد المرء فى قبول الزواج فيتركه خوفاً من ثقل التكاليف وهرباً من مشقة الأعباء وقوتها ، وبخاصة فى عصرنا الحديث التى تشابكت فيه الأمور وتعقدت مسائل الحياة ، وفى هذه الحالة يأتى الإسلام ويبدل الخوف أمناً والهرب إقبالًا ، ويجعل الزواج أمراً دينياً يتصل مباشرة بطاعة الله ورسوله ، ويؤكد أن الله ــ تعالى ــ سيجعل الزواج سبيلًا إلى الغنى ، فهو وحده الرزاق ذو القوة المتين .

---

(١٢٨) من عبادكم : أى : من عبيدكم يقال : عبد وعباد وعبيد ، تفسير غريب القرآن : ص : ٣٠٤ .

(١٢٩) زاد المسير : ٣٦/٦ ، والكشاف : ٦٣/٣ .

(١٣٠) تفسير ابن كثير : ٥٣/٦ ، جاء فعل الأمر فى القرآن للوجوب : أقم الصلاة « الإسراء » : ٧٨ ؛ للندب : فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا « النور ٣٣ » ؛ للإباحة : وإذا حللتم فاصطادوا « المائدة ٢ » : الإكرام : ادخلوها بسلام آمنين « الحجر ٤٦ » ؛ للتهديد : اعملوا ما شئتم « فصلت ٤٠ » ؛ للتعجيز : فادرؤوا عن أنفسكم الموت « آل عمران ١٦٨ » .

(١٣١) تفسير القرطبى : ٤٦٣١/٦ ، وانظر : أحكام القرآن لابن العربى : ١٣٧٧/٣ .

قال الزيلعى : وأما فى حالة الاعتدال اختلف مشايخنا ، فقيل : فرض كفاية ، وقيل : واجب على الكفاية ، وقيل : مستحب ، وقيل : سنة مؤكدة ، وهو الأصح . تبيين الحقائق ، شرح كنز الدقائق : ٩٥/٢ ؛ قال = الشيرازى : من جاز له النكاح من الرجال وهو جائز التصرف ، فإن كان غير محتاج إليه كره له أن يتزوج ، وإن كان محتاجه استحب له أن يتزوج . التنبيه فى الفقه على مذهب الإمام الشافعى ص : ١٠٢ . وفى بلغة السالك : فالراغب إن خشى العنت وجب عليه ولو مع إنفاق عليها من حرام أو مع وجود مقتضى التحريم غير ذلك . فإن لم يخش ندب له ، وغير الراغب إن خاف به قطعه عن العبادة فغير واجب ، وإن لم يخش ورجى النسل ندب ، فإن لم يرج أبيح . انظر : « بلغة السالك لأقرب المسالك » إلى مذهب الإمام مالك : ٣٧٣/١ ــ ٣٧٤ .

قال ابن قتادة : والناس فى النكاح على ثلاثة أضرب منهم :

من يخاف على نفسه الوقوع فى المحظور إن ترك النكاح فهذا يجب عليه النكاح فى قول عامة الفقهاء .

والثانى : من يستحب له : وهو من له شهوة يأمن معها الوقوع فى محظور . فهذا الاشتغال به أولى من التحلى بنوافل العبادة ، وهو قول أصحاب الرأى وهو ظاهر قول الصحابة ــ رضوان الله عليهم .

القسم الثالث : من لا شهوة له ، إما لأنه لم يخلق له شهوة كالعينين ، أو كانت له شهوة فذهبت بكبر أو مرض ونحوه ، ففيه وجهان :

أحدهما : يستحب له النكاح لعموم ما ذكرنا .

والثانى : التحلى له أفضل .

المغنى : ٤/٧ ــ ٦ ؛ بتحقيق : محمود عبدالوهاب فايد ، عبدالقادر أحمد عطاء ، مكتبة القاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٩م .

وقد أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ عن هذه الحقيقة فقال : ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ حيث جعل ـ سبحانه ـ النكاح سببا لنفى الفقر وحدوث الغنى . وتجارب الواقع خير شاهد على ما يحققه الزواج للناس وبخاصة الفقراء منهم . ومعنى الآية : لا تمتنعوا عن التزويج بسبب فقر الرجل والمرأة أو أحدهما .

يقول الإمام القرطبى : هذا وعد بالغنى للمتزوجين ، طلب رضا الله واعتصاما من معاصيه .

قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه : التمسوا الغنى فى النكاح ، ثم تلا هذه الآية :[١٣٢]

وقال عمر ـ رضى الله عنه : عجبى ممن لا يطلب الغنى فى النكاح .

وقد قال الله ـ تعالى : ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ﴾[١٣٣] .

وفى الحديث عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد فى سبيل الله ، والمكاتب الذى يريد الأداء ، والناكح الذى يريد العفاف »[١٣٤] .

فإن قيل : فنحن نرى كثيراً من الفقراء يتزوجون ويستمر فقرهم ولا يستغنون ؟ فالجواب : إن هذا الوعد مشروط بالمشيئة كما فى قوله ـ تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ﴾[١٣٥] .

كما أن هذا الغنى متعلق بصدق الأزواج فى إيمانهم وقصدهم القربى إلى الله من اقترانهم بالزواج .

يقول الشوكانى فى معنى هذا : « حث الله على النكاح ، وأعلن أنه سبب فى نفى الفقر ، ولا يلزم أن يكون هذا حاصلا لكل فقير إذا تزوج ، فإن ذلك مقيد بالمشيئة ، وقد يوجد كثير من الفقراء لا يحصل لهم الغنى إذا تزوجوا »[١٣٦] .

سلك الإسلام طرقاً متعددة فى توجيه الناس وجهة سليمة لحياة فضلى وشريفة ، تقوم على الكرامة والخلق الرفيع ، وعلى صيانة الحقوق والحرمات . فبغض فى الزنا ورغب فى النكاح ، وكان ترغيبه فى ذلك يأتى على صور متعددة ، فلقد جعله سببا للغنى ونفيا للفقر كما مر ، وأيضا فقد جعله الله ـ تعالى ـ فى سنن الأنبياء وهدى المرسلين ، إذ هم القادة الذين يتحتم علينا أن نقتدى بهم ، يقول الله ـ تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١٣٧] ، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[١٣٨]

وأيضا ، فقد جعل الله الزواج منة ونعمة أنعم بها على عباده ؛ حيث يقول :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾[١٣٩] .

---

(١٣٢) تفسير القرطبى : ٤٦٣٣/٦ .

(١٣٣) نفس المرجع .

(١٣٤) سنن الترمذى : أبواب فضائل الجهاد ، باب : ما جاء فى المجاهد والمكاتب والناكح وعون الله إياهم الحديث : ١٧٠٦ ، ١٠٣/٣ ، واللفظ له . وقال : هذا حديث حسن ؛ مسند أحمد : ٢٥١/٢ ؛ والنسائى : كتاب النكاح ، باب معونة الله الناكح الذى يريد العفاف : ٦١/٦ ؛ وسنن ابن ماجه : كتاب العتق ، باب : المكاتب ، الحديث ٢٥١٨ ، ٨٤١/٢ ـ ٨٤٢ .

(١٣٥) التوبة : ٢٨ .

(١٣٦) فتح القدير : ٢٨/٤ .

(١٣٧) الأحزاب : ٢١ .

(١٣٨) الرعد : ٣٨ .

(١٣٩) النحل : ٧٢ .

وفى النكاح ترويح وإيناس للنفس بالمجالسة والنظر والملاعبة وإراحة للقلب ، وتقوية له على العبادة ؛ فإن النفس ملول وهى عن الحق نفور ؛ لأنه على خلاف طبعها ، فلو كانت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت ، وإذا روحت باللذات فى بعض الأوقات قويت ونشطت ، وفى الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ، ولذلك قال الله ـ تعالى : ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾(١٤٠) ، (١٤١) وهكذا يجد كل واحد من الزوج والزوجة فى ظل الآخر سكينة النفس ، وسعادته الزوجية .

ونرى الإسلام قد وقف من الذين سلكوا طريق الرهبانية تبتلا وعبادة لله غازفين عن كل شأن من شئون الحياة ، قائمين الليل ، صائمين النهار ، معتزلين النساء . وقف منهم الإسلام موقفا إيجابيا ، حيث وجدهم يقيمون الحياة على السلبية التى لا يقرها الإسلام ولا يعترف بها أبداً .

فيبين لهم أن مسلكهم هذا وطريقتهم تلك منافية لفطرة الله ومغايرة لدينه ، لأن خاتم الأنبياء ، وسيدهم وهو أخشى الناس لله وأتقاهم له ، كان يصوم ويفطر ، ويقوم وينام ، ويتزوج النساء ، وأن من خرج من هديه فليس منه ، كما أشار إلى ذلك ﷺ بقوله الذى رواه أنس ـ رضى الله عنه ـ إذ قال : « إن نفرا من أصحاب النبى ﷺ سألوا أزواج النبى عن عمله فى السر ، فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا آكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، فحمد الله وأثنى عليه فقال : ما بال أقوام قالوا : كذا وكذا لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى(١٤٢) .

نرى من هذا الحديث وغيره أن شريعة الإسلام تحرم على المسلم أن يمتنع عن الزواج ، ويزهد فيه بنية الرهبانية ، والتفرغ للعبادة ، والتقرب إلى الله ، ولاسيما إن كان المسلم قادراً عليه متيسراً له أسبابه ووسائله .

والزواج عبادة يستكمل الإنسان بها نصف دينه ، ويلقى بها ربه على أحسن حال ، فالزوجة ولاسيما إذا كانت صالحة إنما هى فيض من السعادة تغمر البيت وتملؤه سروراً وبهجة .

فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله فى الشطر الثانى »(١٤٣) .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة »(١٤٤) .

ومن هنا يتبين أن الزواج هو أحسن وضع طبيعى وأسلم طريقة لإرواء الغريزة وإشباعها ليهدأ البدن من الاضطراب ، وتسكن النفس عن الصراع ويكف النظر عن التطلع عن الحرام وتطمئن العاطفة إلى ما أحل الله ويرضى . وبالزواج يسلم المجتمع من الانحلال الخلقى ويأمن الأفراد من التفسخ الاجتماعى . ولا يخفى على كل

---

(١٤٠) الأعراف : ١٨٩ .

(١٤١) انظر إحياء علوم الدين : ٣٠/٢ .

(١٤٢) صحيح البخارى : كتاب النكاح ، باب : الترغيب فى النكاح : ١١٦/٦ . طبع استانبول : ١٩٨١م ؛ صحيح مسلم : باب : استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ، ١٧٥/٩ بشرح النووى ، واللفظ لمسلم .

(١٤٣) المستدرك : كتاب النكاح ، ١٦١/٢ ؛ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

(١٤٤) صحيح مسلم : كتاب الرضاع ، باب : خير متاع الدنيا المرأة الصالحة : الحديث : ١٤٦٧ ، ١٠٩٠/٢ .

ذى إدراك وفهم أن غريزة الميل إلى الجنس الآخر حين تشبع بالزواج المشروع والاتصال الحلال ، تتحلى الأمة - أفراداً وجماعات - بأفضل بالآداب ، وأحسن الأخلاق ، وتكون جديرة بأداء الرسالة ، وحمل المسئولية على الوجه الذى يريد الله منها(١٤٥) .

وقال - عز من قائل :
﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١٤٦) ، فالمودة الكاملة والألفة الشاملة ، والسعادة الباقية لن تتحقق مطلقاً بين الزانى والزانية ؛ لأن محصنهما الأصلى هو الزواج الشرعى الذى يجمع بين الطرفين الحنان والعطف والحب والإخلاص والمودة .

وليس ذلك فقط ، بل الزواج أيضاً وسيلة لإنجاب الأولاد وتكثير النسل وعمران الأرض بالذرية الصالحة واستمرار الحياة مع المحافظة على الأنساب التى يوليها الإسلام عناية فائقة ، فبالزواج يستمر بقاء النسل الإنسانى ويتكاثر ، ويتسلسل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

يقول الغزالى : « الولد هو الأصل وله وضع النكاح ، والمقصود إبقاء النسل ، وأن لا يخلو العالم عن جنس الأنس » .

والزواج أيضاً معوان على رعاية الطفولة ومراقبتها ، بتحسين شأنها وتوجيهها وجهة سليمة صحيحة ، كما أن عاطفة الأبوة والأمومة لن تتكامل إلا فى ظلال الطفولة ، فتربى فيهم مشاعر العطف والود والحنان .

ومن فوائد النكاح مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الزوجات والصبر على أخلاقهن ، واحتمال الأذى منهن ، والسعى فى إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين والاجتهاد فى كسب الحلال لأجلهن ، والقيام بتربية أولاده ، فكل هذه عظيمة الفضل ، فإنها رعاية وولاية ، والأهل والولد رعيته وفضل الرعاية عظيم »(١٤٧) .

إن الطفل فى إطار الأبوين يحاط بالرعاية الكاملة ، فتتوفر له الرضاعة والحضانة والتربية وفق النظم الشرعية ، حيث يتحمل كل واحد من الأبوين مسئوليته المحدودة تجاه ولده ، وبالزواج يتعاون الزوجان على بناء الأسرة ، وتحمل المسئولية ، فكل منهما يكمل عمل الآخر .

خلاصة البحث :

وأخيراً ، نقول بحول الله : إن للزواج فوائد عامة ، ومصالح اجتماعية ، كالمحافظة على النوع الإنسانى ، وسلامة المجتمع من الانحلال الخلقى ، وسلامته من الأمراض السارية ، والتعاون بين الزوجين فى بناء الأسرة وتربية الأولاد . والزواج سنة الله منذ بدء الخليقة ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

يهتم الإسلام بحفظ العرض ويضع له من التوجيهات الأخلاقية والآداب التشريعية ما يصونه ويحفظه . ومن ذلك طلبه من المسلم الالتزام بالعفة ، بقوله - تعالى : ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ .

(١٤٥) انظر : تربية الأولاد للأستاذ عبدالله ناصح علوان ٣٠/١ .
(١٤٦) الروم : ٢١ .
(١٤٧) انظر : إحياء علوم الدين : ٢٤/٢ بتصرف .
(١٤٨) يقال : عف عن المحارم ، يعف عفة وعفافا وامرأة عفيفة أى : عفيفة الفرج ، لسان العرب ، ٢٥٣/٩ .

والعفة : هى الكف عمـــا لا يحل[١٤٨] ، والقصد هنا فى هذه الآية العفة عن اقتراف الشهوة المحرمة .

يأمر الله ـ تعالى ـ الرجال الذين لا يتيسر لهم سبل الزواج لعدم قدرتهم المالية بالعفة عن الفواحش ، والابتعاد عما حرم الله ، حتى يوسع الله عليهم ويسهل لهم أمر الزواج ؛ لأن العبد إذا اتقى الله جعل له من أمره مخرجاً ، كما قال ـ جل ثناؤه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾[١٤٩]

ومن علامات العفة فى المجتمع المسلم أن يلتزم الأفراد بالآداب التالية :

الأول : غض البصر عن العورات والحرمات .

الثانى : الالتزام بآداب الطريق والاستئذان .

الثالث : شعور بأن المؤمنين أخوة ، والكل مطالب بعدم العدوان على عرض أخيه ، والمحافظة عليه كأنه عرضه هو ، وقد رسم القرآن الكريم المنهج الأمثل لتحقيق العفة : فحرم النظر إلا الفجأة وأمر المرأة بعدم التبرج وإبداء الزينة وعدم التلين فى القول والحركة لكى تبقى النفس على فطرتها وحتى يستمر العفاف المطلوب بين المسلم والمسلمة وهذه الأمور كلها ذكرتها مفصلة فى محلها من البحث .

وهنا نذكر لوناً من هذه الآداب التى وضعها النبى ﷺ للعفة وهو الصوم . وقد شرع النبى ﷺ الصوم ليكون وجاء للشباب الذين لا يجدون قدرة على النكاح حتى يغنيهم الله من فضله .

عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « يا معشر الشبـــاب[١٥٠] من استطاع منكم الباءة[١٥١] فليتزوج فإنه أغضُ للبصر[١٥٢] ، وأحصن للفرج[١٥٣] ، ومـــن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[١٥٤، ١٥٥]

والحكمة فى أمر الرسول ﷺ بالصوم أن الإنسان الصائم يعيش فى ضيافة الله ـ تعالى ـ ويشعر بالمعية الدائمة ، ولذلك نجده لا يشتم ولا يخاصم ، وإنما يعلن لكل من شتمه أو خاصمه أنه صائم . وهذا يتضح من كلام النبى ﷺ . وعلى هذا فإن الشاب حين يقصد الصوم لعجزه عن الزواج إنما يضع نفسه تحت الإحساس بالرقابة الإلهية ، وبذلك تسكن الشهوة ويقوى الروح ، ويعيش إنساناً بعيداً عن التفكر فى المرأة كأنه قطع شهوته ويكون الصوم له وجاء حينئذ .

وعلى الجملة كذلك فإن من أهم الآداب المستفادة من «سورة النور» موضوع البحث «أدب العفة ، وصيانة العرض ، وإحاطة هذا الأدب بكل العوامل المحققة على النحو المشار إليه .

---

(١٤٩) الطلاق : ٤ .

(١٥٠) المعشر : الطائفة ، والذين يشملهم وصف واحد ، فالشباب معشر ، والشيوخ معشر ، والأنبياء معشر ، والنساء معشر .

(١٥١) الباءة : الجماع ، من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنته فليتزوج ، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنته فعليه بالصيام ، ليدفع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء .

(١٥٢) أغض للبصر : أشد غضا للبصر .

(١٥٣) أحصن للفرج : أشد حصنا للفرج .

(١٥٤) الوجاء : بكسر الواو بالمد ، والمراد هنا : أن الصوم يقطع الشهوة ، ويقطع المنى كما يفعله الوجاء ، النووى : ١٧٣/٩ .

(١٥٥) انظر للحديث : صحيح البخارى : كتاب النكاح :، باب : من لم يستطع الباءة فليصم ١١٧/٦ ، صحيح مسلم : كتاب النكاح ، باب : استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ١٧٥/٩ .

الأمة الواحدة في يوم عرفات

لفضيلة الشيخ/ محمد حافظ سليمان •

يقول الله تعالى : [إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾] سورة الأنبياء

ويقول : [وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾] سورة المؤمنون

المسلمون أمة واحدة : وإن اختلفت الألوان والأوطان : ربهم واحد لا شريك له ، وكتابهم واحد وليس بعد كتاب الله كتاب ، ورسولهم واحد وليس بعده رسول ، وقبلتهم واحدة ، وملتهم واحدة :

[شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾] « سورة الشورى » .

ولقد علمنا ديننا الإسلامى أن الإسلام تقوم عقيدته كما تقوم دولته على التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان : وذلك لأن النفس الأبية الطيبة البريئة من كل ما يرديها تأبى على المسلمين إلا أن يكونوا أجلاء بجلال الحق أعزاء بعزة الإسلام أقوياء بقوة الإيمان الذى يحيى القلوب ويعلى الهمم ، ويزكى الأعمال ، ويحقق الآمال ، ويبارك الآجال ، كما حدث فى أيام الإسلام الأولى التى صنعت بالإسلام من بين سكان الصحراء والبيداء أئمة الفضائل وأساتذة الأخلاق ، وهذه صورة الأمة المحمدية مرسومة على صفحات القرآن الكريم والله يقول :

[مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ

• المدير العام للوعظ والأرشاد سابقا .

فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا]

« آخر سورة الفتح اية ٢٩ » .

لأن الإسلام يسالم من يسالمه ويحارب من يحاربه ، ويحفظ للأمة وحدتها وقوتها ويصون لها هيبتها وهيئتها التى يريدها لها ربها دائما .

والحج مدرسة التوابين ومؤتمر المصلحين

فى جميع العبادات عقيدة ونظام : فقد فرض الله الصلاة لتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وفرض الزكاة لتطهير المال وتزكيته وتنميته ، وهى حق معلوم للسائل والمحروم ليدخل الإحسان كل دار ، وفرض الصوم ليكون فرصة لتربية النفس وترقية الحس وموسما للعطاء والسخاء ، وفيه تنمو عاطفة حب الخير للغير والإحسان إلى البائس الفقير فلا يستجيب المؤمن للشح الكريه ، ولكن يحسن طمعاً فى الأجر الكبير والثواب الكثير فلا يتحكم سلطان الشيطان عدو الإنسان لأنه يحبس فى شهر رمضان ، ولا يبخل فى شهر رمضان إلا من سفه نفسه وأحاطت به خطيئته !!

وأما الحج فهو امتثال لأمر الله تعالى : وتلبية لدعوة الله تعالى حيث يحرم الحاج بالحج ثم يهتف قائلا ضارعا خاشعا ملبيا قائلا :

جئناك يارب نسعى إليك ، ووقفنا ضارعين بين يديك ولبينا بقولنا : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك .

المؤتمر الإسلامى السنوى

وفى يوم الحج الأكبر يلتقى المسلمون الوافدون من جميع بلاد الدنيا يطيعون ربهم ويتدبرون أمرهم ويؤدون فرضهم ويستغفرون الله ويحمدونه والله يقول :

[يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾]
سورة الحج

وفى الحج ذكريات تتوافد وتتزاحم وتتواكب لتربط ماضى المسلمين بحاضرهم ، وليأخذوا أنفسهم بما يأمرهم به ربهم الذى بين لهم صراطه المستقيم ومنهاجه القويم الذى يبنى المجتمعات برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه على الإيمان الراسخ واليقين الثابت الذى جرب فى أيام الإسلام الأولى على يد أقوام كرام بررة قد شادوا به ألوية المجد وبنوا على أسسه صروح البر فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، واليوم نجد أن الإسلام هو الإسلام (لا تبديل لكلمات الله) ولكن المسلمين اليوم يوشك أن تتداعى عليهم الأمم بسبب هذا التمزق والتفكك وكأنهم لم يدركوا قول الله ــ تعالى ــ :

[وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾]
سورة الأنفال

وذلك لأن هذا الدين القيم القوى لا يقبل المسلمين متقطعين فى الأرض أمما ولا ينظر إليهم لا حول لهم ولا طول ، ولكن يريدهم أولى قوة وأولى بأس شديد وإعداد المستطاع من القوة وهذا ما يسمى : « بالسلم المسلح » والله ــ تبارك وتعالى ــ يريدهم كذلك فيقول :

[وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ..]

« من الآية ــ ٦٠ ــ من سورة الأنفال » .

والآخرون من دونهم الذين يعلمهم الله هم الذين يمدون الأعداء بالمعونة والمؤونة سرا وبوسائل القوة التى تستخدم ضد المسلمين كما يحدث فى شتى الدهور والعصور ؟! والله ــ تعالى ــ لم يخلق مخلوقا مهما كان ضعيفا بغير سلاح يدافع به عن نفسه ، والجهاد مشروع للدفاع عن الأمن والسلام ، وعن الأهل والأوطان ، والله ـ عز وجل ـ يقول :

[وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]

« الآية ١٣٩ من سورة آل عمران »

[ويقول ـ جل جلاله ـ :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ .. ﴾

«الآية ١٠٣ من سورة آل عمران»

ويقول ـ عز وجل ـ : [وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]

« الآية ١٠٥ من سورة آل عمران»

وتعاونوا على البر والتقوى

والأنانى من الناس من لا يشعر بغيره قط ولكنه يعيش لذاته وللذاته وأهوائه وشهواته ، « تقوده بطنه لا عقله » وتسوقه مطامعه ومنافعه بوسيلة مشروعة وغير مشروعة ، ولكن المؤمن يعيش لنفسه ولولده ولبلده وللأقربين وللناس أجمعين ، وبهذا يحيا حياة طيبة مباركة تسعده وتسعد أسرته والله يقول :

[وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ]

«من الآية ٢ من سورة المائدة»

وحينما يلتقى المسلمون عند أول بيت وضع للناس ببكة مباركا وهدى للعالمين ــ والقلوب صافية والنفوس راضية يكون الوقت قد حان للتصالح والتسامح ومطاردة الشيطان والهوى ومحاربة السلبية والأنانية والمصالح الذاتية ، والمآرب الشخصية ؟ لتتعاون الأمة المحمدية على بناء الوحدة الإسلامية التى ترفعها فى سماء المجد مكانا عليًّا ؛ ولتصبح ولتظل كما قال لها ربنا .

[كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ]

« من الآية ــ ١١٠ ــ من سورة آل عمران »

الحج ومحاسبة النفس

النفس البشرية لابد لها من وازع يربيها ويهذبها ويرقيها ويعاتبها ويحاسبها على ما قدمت وأخرت من قول أو فعل : ولو صلحت النفوس ــ بمراقبة الله سرا وعلانية ــ لاستقام السلوك وساد العدل وتحققت المساواة : لأن هدف الحج تطهير القلب وتزكية النفس من أدران الذنوب والعيوب بالتوبة إلى الله غافر الذنب وقابل التوب لمن تاب وأناب وعمل صالحا ، وسلك سبيل المؤمنين وطريق المتقين والله يقول :

[وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ]

« سورة طه ــ ٨٢ ــ » .

وبتلاوة القرآن فى كل مكان وزمان تشرق النفوس بنور ربها لأن القرآن ذكر وبذكر الله تطمئن القلوب : فالقرآن أعظم ما يقرب العبد من ربه :

[اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ]

« الآية ـــ ٢٣ ـــ سورة الزمر .

الحج المبرور

والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة : فهو طاعة وطاقة : وهو عطاء إلهى وفيض روحى وقبس نورانى يضىء جوانب النفس المطمئنة الراضية المرضية فلا تتبع الهوى المضل عن سبيل الله ولكنها تقيم من نفسها واعظا لنفسها .

[وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا]

« الآيات ٧ ـــ ١٠ـــ سورة الشمس »

والنفس الزكية هى القائلة :

يا نفس قد بعت القـــرب من إلهك
بثمـــــن بخس حقير هـــــــالك

وصاحب النفس الذكية يكون صورة حية صادقة للإسلام وللمسلم الذى ينأى بنفسه عن الدنايا والخطايا والزيغ والزلل ليمشى فى الحياة سويا على صراط مستقيم ابتغاء مرضاة الله بخطوات مسددة موفقة صابرة صادقة جادة .

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطــــم

والله يقول :

[وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ]

« الآيتان ١٣ ، ١٤ سورة الملك .

وللحج غاية نبيلة وحكمة سامية لو تيقظ المسلمون لذلك وأحسوا بحاجتهم إلى وحدتهم وطاعة ربهم ليرحمهم برحمته الواسعة فيصرف عنهم كيد الأعداء ومكر المخادعين ، ولؤم الأفاكين الكذابين لكيلا يبتعد المسلمون عن حقيقة إيمانهم بالله وينزلقوا إلى مستنقع الشيطان الذى يوقع بينهم العداوة والبغضاء لأنه للإنسان عدو مبين يحرص أتباعه على الشر ويصدهم عن سبيل الله وعن الصلاة .

الرسول يحذر من الوهن

يقول رسول الله ـ صلوات وسلامه عليه ـ (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير .. ولكنكم غثاء كغثاء السيل .. ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، قالوا وما الوهن يا رسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت) .

(رواه أبو داود عن ثوبان)

وإذا كان الوهن هو حب الدنيا وكراهية الموت فهل يكون الضعف إلا بالتمزق والأنانية وحب الذات ، والكذب والنفاق ، وحب الاستعلاء وعداء المصلحين والناجحين من المخلصين لله رب العالمين الذين تعمر بهم الدنيا فى كل وقت وحين ؟!!!

وهذا الإسلام قد نشأ عزيزا لا يقبل الضيم كريما لا يتحمل الذل والاستكانة والضعف والمهانة ، وهو يأبى استغلال الأفراد للأفراد واستعمار الشعوب للشعوب كما يحرم سرقة الأوطان بالقوة والنار والحرب والدمار ، لأنه دين الأمن والسلام وهو يعرض فضائله على الناس بحكمة ويخاطب العقل والروح بالمنطق والوضوح لأنه قد جاء بالهدى ودين الحق ؛ وفى كلمة لا إله إلا الله » تكمن قوته وفى هذا يقول رسول الله ﷺ : (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله) : والله – جل جلاله – يقول :

[وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾] سورة الأنبياء » .

الإسلام نظام إلهى

الإسلام هو نظام إلهى فى تشريعه ، اجتماعى فى بناء أمته بناء يؤسس على بناء الأفراد أولا فلا مفر من الاعتراف بقيمة الإنسان الذى كرمه ربه فى القرآن الكريم : بقول رب العالمين : (ولقد كرمنا بنى آدم) وقد منحه ربه الفطرة السليمة والعواطف النبيلة التى لم تلوثها نفس شريرة شاردة تجب مجاهدتها : للتغلب بهداها على هواها والله يقول :

[وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ]

« سورة ص ٢٦ »

[وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾]

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بنـــاء الإنسان

– ورحم الله – القائل :

إذا طالبتك النفس يوما بشهوة
وكان عليها للخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فإنما
هواها عدو والخلاف صديق

وقال آخر – رحمة الله عليه – :

إنى بليت بأربع ما سلطوا
إلا لأجل شقاوتى وعنائى
إبليس والدنيا ونفسى والهوى
كيف الخلاص وكلهم أعدائى

ولنتأمل قول الله – عز وجل – :

[وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ]

« ١٣ ، ١٤ سورة النساء »

إن طاعة الله ورسوله قوة كبرى يدركها رجال صدقوا ما عاهدوا الله فانتفعوا بأعمارهم وسعدوا بجميل أفعالهم وحميد أقوالهم ، وببناء شخصياتهم التى تأبى عليهم أن يكون أحدهم إمعة ، ولكن الإسلام يريده إنسانا فاضلا يطهر نفسه ويزكيها ويمنحها عزتها وعفتها لأن الله يقول :

[وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ]

« الآية ١٦ من سورة ق »

قبـــس من أنوار النبـــوة

نعمت المطية الدنيا

تبلغ الآخـــرة

لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم

عن زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من كانت همه الآخرة جمع الله له شمله ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا راغمة ، ومن كانت همه الدنيا فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له » .

(ابن ماجه ، جامع الأحاديث للسيوطى رقم ٢١١٢٧)

وعن طارق بن أشيم ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قال : « نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته حتى رضى ربه ، وبئست الدار الدنيا لمن صدته عن آخرته ، وقصَّرت به عن رضى ربه ، وإذا قال العبد قبح الله الدنيا ، قالت الدنيا : قبح الله أعصانا لربه » .

(الحاكم ، جامع الأحاديث للسيوطى رقم ٢٣٨٦٥) ،

الإسلام دين الوسطية والاعتدال ، ومن أبرز صور التوازن فى هذا الدين نظرته إلى الحياة الدنيا حيث يصورها فى صورتين مختلفتين عند من لا يمعن النظر ، ولا يدرك ما فيهما من العبر :

الصورة الأولى : فيها ذم للدنيا ، وتهوين لشأنها ، وتحذير من غرورها وخداعها ، وأنها دار لعب ولهو وتفاخر ، وتكاثر فى الأموال والأولاد ، وأن من اطمأن إلى زخرفها ؛ حرمته السعادة الدائمة . تجد هذا فى كثير من آيات القرآن الكريم ، من مثل قوله ـ تعالى :

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

سورة الحديد ـ آية : ٢٠

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ .

سورة النساء ـ آية : ٧٧

كما تجد ذمها والتنفير منها فى كثير من الأحاديث النبوية : من ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

رواه ابن أبى الدنيا ، والبيهقى

« الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر » .

(رواه الترمذى ومسلم)

وعن على بن أبى طالب ـ فيما أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق « ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون ؛ فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا » .

أما الصورة الثانية : للحياة الدنيا فتبرز قيمتها ، وتؤكد الرغبة فى الانتفاع بها .

تجد ذلك فى كتاب الله من مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ .

النحل ـ آية : ٩٧

﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

سورة القصص ـ آية : ٧٧

وقوله تبارك ـ وتعالى :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٩٥

وقال الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين سئل عن خير الناس ، فقال : من طال عمره وحسن عمله » رواه الترمذى .

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها** » ـ أحمد وغيره ـ .

إلى غير ذلك من النصوص التى تعلى من قيمة ما ينتفع به رصيدا للآخرة من هذه الحياة .

إن الإسلام حين يصور الحياة الدنيا فى صورتين متقابلتين إنما يسلك بأهل الإيمان طريقا لبيان المعرفة الصحيحة بما ينتفع به المؤمن من دنياه .

فالدنيا دار اختبار وابتلاء ، والشر والخير فتنة وامتحان لجوهر الإنسان ، ليظهر تمسكه بتعاليم دينه حين يقوم بدوره فى أداء تلك الأمانة التى أنيطت بعهدته من عمارة الكون ؛ فلو وقف الإنسان عند حد إبراز تفاهة الدنيا لهانت عليه وزهد فى حياته ، وحاول التخلص منها بكل سبب من الأسباب ومن هنا نبه الإسلام إلى جانب تأخذ فيه الحياة مكانة وشأنا فتصبح ذات حرمة ، لا يجوز الاعتداء عليها ولا الزج بها فى المخاطر ، بل يجعل منها مزرعة للآخرة بعمل الصالحات ، والمؤمن يوقن أن المزرعة تحتاج إلى

عمل وسعى ، والثمرة إنما تقطف فى الآخرة كاملة ، وإن أدرك بعضها فى الدنيا .

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةٗ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ ﴾ .

سورة الاعراف ـ آية : ٣٣

هكذا المؤمن يسخر الدنيا لنفسه ولا يسخر نفسه للدنيا ، المؤمن لا يتخذ الدنيا ربا فتتخذه الدنيا عبدا .

والحياة الآخرة لا ينالها الإنسان إلا بعمل الصالحات فى حياته الدنيا تلك هى مطية للآخرة .

قال رجل ليحيى بن معاذ الرازى ـ رحمه الله ـ إنك لتحب الدنيا ؛ فقال يحيى للرجل : أخبرنى عن الآخرة أبالطاعة تنال أم بالمعصية ؟ قال الرجل : لا بل بالطاعة . قال الرازى : فأخبرنى عن الطاعة أبالحياة تنال أم بالممات ؟ قال الرجل : لا . بل بالحياة . قال : فأخبرنى عن الحياة أبالقوت تنال أم بغير القوت ؟ قال : لا . بل بالقوت .

قال الرازى : فأخبرنى عن القوت أمن الدنيا هو أم من الآخرة ؟ قال : لا . بل من الدنيا . قال الرازى : فكيف لا أحب دنيا قدر لى فيها قوت اكتسب به حياة أدرك بها طاعة أنال بها الآخرة ..

فقال الرجل أشهد أن ذلك من كلام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن من البيان لسحرا » .

ولقد أوصى لقمان الحكيم ولده وهو يعظه :

« يا بنى إن الدنيا بحر عميق ، وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل ، وحشوها الإيمان بالله تعالى ، وشراعها التوكل على الله ـ عز وجل ـ ، لعلك تنجو وما أراك ناجيا ؟ .

وقال الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ :

« رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا » .

وقال : « من نافسك فى دينك فنافسه ، ومن نافسك فى دنياك فاجعلها فى نحره ﴾ .

وفقنا الله لصالح القول والعمل ..

اليهود وبيت المقدس

لفضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « تُقَاتِلُونَ الْيَهُودَ حَتَّى يَخْتَبِىءَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ ، فَيَقُولُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِىٌّ وَرَائِى فَاقْتُلْهُ »[1] .

جبل بنو إسرائيل على المكر والخديعة ، وطبعوا على الغدر والخيانة ، ومردوا على الظلم والبغى ، وكثيراً ما كانوا يقتلون النبيين بغير حق ، ويأكلون أموال الناس بالباطل ، وكان يدفعهم حرصهم على الحياة ، وحبهم للمال إلى أكل السحت والربا ، كما كانوا فى نزاع دائم ، وعدوان مستمر ، بدافع البغى المتأصل فى أعماق نفوسهم ، والرغبة الملحة فى سبيل الحصول على المال من أى طريق ، إرضاء لشهوتهم الجامحة إلى الشر ، وإشباعاً لنهمهم الجانح إلى العز ، وهم أينما كانوا ، وفى أى زمان وجدوا : طابعهم الخسة والنذالة ، والعداوة المتغلغلة فى صدورهم للمؤمنين ، قال الله تعالى :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[2]

ولهذا وقف اليهود من النبى ـ ﷺ ـ مواقف غير إنسانية ، وحاولوا الغدر به : أكثر من مرة ، والنيل من المسلمين فى الخفاء ، ولكن محاولاتهم الدنيئة : كانت تذهب سدى ، وتتكشف نواياهم الخبيثة العدوانية : للنبى ـ ﷺ ـ مما أوغر صدور المسلمين عليهم ..

إن المعركة بين اليهود والمسلمين قديمة ، إنها معركة ذات جذور عميقة ، فهى صراع بين العدل والظلم ، بين الحق والباطل ، معركة بدأها المجاهد الأعظم محمد ـ ﷺ ـ : فقد حارب اليهود ، وكان له معهم غزوات ، حارب يهود خيبر ، وحارب بنى النضير ، وحارب بنى قينقاع ، وحارب بنى قريظة ، حارب أولئك القوم لا لمجرد الحرب ، ولكن لما لمسه فيهم عن

(١) رواه البخارى ..

(٢) المائدة : ٨٢

كتب ، من غدر وبغى ، وظلم وخيانة ، ودس ووقيعة ، ونقض للعهود ، وتحالف مع المشركين ، رغبة فى إلحاق الضرر بالمسلمين ..

إن اليهود على ما عرفه المسلمون عنهم فى حروبهم عبر التاريخ ، يكرهون اللقاء فى الميادين المكشوفة ، ولا يعتمدون على تسيير جيوشهم فى العراء ، اللهم إلا إذا كانت معهم قوة استعمارية تؤيدهم وتشد أزرهم وتساندهم ، لقد ورثوا عن أجدادهم ، الجبن والحذر ، وضعف العزيمة ، كما ورثوا عنهم ــ أيضاً ــ القتال ، من وراء الجدر والحصون ، وفيهم يقول الله تعالى :

﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(٣)

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : « تُقَاتِلُكُمْ الْيَهُودُ ، فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى يَقُولَ الحَجَرُ : يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ »(٤).

فهذا الحديث : يتنبأ بمقتلة عظيمة تجرى بين اليهود والمسلمين ، ويتنبأ بكراهية معظم شعوب العالم لليهود ، كما يتنبأ بأن النصر سيكون للمسلمين ، والخذلان لليهود أعداء الدين ، ولا عجب . فالله تعالى يقول :

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾(٥).

ويقول جل شأنه :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٦)

إن اليهود قوم ينبىء تاريخهم الأسود : الملطخ بدماء الأنبياء والأبرياء عن أصالتهم فى الشدة وعراقتهم فى السوء ، وأنه لا أمل فى استقامتهم ، مالم تكسر قناتهم ، وتقلم أظفارهم ، ويحطم كبرياؤهم ، ويقضى على صلفهم وغرورهم !!

إن اليهود : هم خلفاء إبليس فى الأرض ، وهم أداته التى يستخدمها لإغواء بنى آدم ، وهم الطفحة الفاسدة : التى يتخذ منها حزبه وأعوانه ، يحادُّون أهل الخير ودعاته ، وإنهم فى كل بلد دُخَلاءُ فيه ، لا ينتمون إليه ، بل لهم رباط يربطهم ، يجتمعون به على عداوة الناس أجمعين !!

وقد اشتمل التلمود ــ وهو أفضل عندهم من التوراة ــ على أوامر فى منتهى الخطورة على الأديان السماوية كلها . بل على البشرية جمعاء ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر . إن أى شريعة غير الشريعة اليهودية فاسدة ، إن كل شعب غير الشعب اليهودى يكون قابضاً على السلطة فهو شعب غاضب » ولا عجب فهم لا يعرفون إلى الثقة والرحمة طريقاً ، لتجردهم منها ، إن الكتب الدينية التى وضعتها الأحبار والحاخامات ، واعتنقها اليهود دون التوراة تقول لهم ما نصه :

---

(٣) الحشر : ١٣ ، ١٤ .

(٤) رواه مسلم ..

(٥) المائدة : ٦٤ ..

(٦) الأعراف : ١٦٧

« اهدم كل شىء قائم ، لَوِّث كل طاهر ، احرق كل أخضر ، كى تنفع يهوديا بفلس ».. « اقتلوا جميع من فى المدن من رجل وامرأة ، وطفل وشيخ ، حتى البقر والغنم بحَـــدِّ السيف ».. « العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات فى اليوم »..

ويقول التلمود : « إن الله يستشير الحاخامت على الأرض عندما توجد معضلة لا يمكن حلها فى السماء » .

ويقول : « إن تعاليم الحاخامات لا يمكـن نقضها ، ولا تغييرها ، ولو بأمر الله » تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .. ولقد كان نبى الله موسى عليه السلام : يصف بنى اسرائيل بالشعب الغليظ الرقبة المتمرد على الله ورسله ، الكافر بأنعمه وفضله » .. وكان عيسى عليه السلام يقول لهم : « يا أولاد الأفاعى » .. وكان نبينا محمد ﷺ يقول لهم : « يا اخوة القردة والخنازير » وسجل عليهم اللعنة الأبدية فيما قرأه عليهم : من كلام الله المجيد حيث يقول :

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾(٧).

إن اليهود هم الشعب الوحيد الذى بعث الله إليه رسلًا كثيراً ؛ لأن الخديعة والمكر والضلال مركوز فى طباعهم ، وكان كل رسول لا يأتى إليهم بما تشتهيه أنفسهم يقتلونه .

﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾(٨).

هذا القتل ، وهذا المكر ، وهذا الضلال شأنهم منذ الأزل ، وسبيلهم منذ القدم ، وهـم لا يقنعون ، ولا يريدون أن يقنعوا ، بل يريدون أن يطبقوا على الأرض شريعة الغاب ..

إنهم بعـــد أن احتلـــوا فلسطين ، الأرض المقدسة : التى خطا على ثراها جبريل عليه السلام برسالات ربه : إلى أنبياء الله ورسله : يريدون السيطرة على الأرض بما فيها ومن عليها !! وإنما يؤديها ويردعها ، شىء واحد هو القوة : التى لا تعرف إسرائيل لغة غيرها ، وما أخذ بالقوة .. لا يسترد إلا بالقوة !!

وإذا كانت بعض الدول الاستعمارية قد شدت من أزر إسرائيل ، وأمدتها بالأسلحة والمال والرجال فإن العاقبة ستكون لنا معشر الأمة الإسلامية ، متى تآلفنا واتحدنا واستقمنـــا وتضامنا ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « يُقَاتِلُكُمْ يَهُودُ ، فَتَنْتَصِرُونَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرِ وَالْمَدَرُ وَالشَّجَرُ : يَا عَبْدَاللَّهِ ، يَاعَبْدَ الرَّحْمٰنَ ، يَا مُسْلِمُ ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِى ، تَعَالَ فَاقْتُلْهُ ، إِلَّا الْفَرْقَ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال : « لَا تَزَال عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِى : يُقَاتِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسْ ، وَمَا حَوْلَهُ لَا يَضُرُّهُمْ خِذْلَانُ مَنْ خَذَلَهُـمْ ، ظَاهِرِيـنَ عَلَـى الْحَقِّ : إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ » .

---

(٧) المائدة .

(٨) البقرة : ٨٧ ..

إن مما يدمى قلب كل مسلم : أن يحتل اليهود فلسطين ، وأن تقع مدينة القدس ، وفيها المسجد الأقصى ، وغيره من المقدسات الإسلامية فى أيدى شذاذ الآفاق ، وقتلة الأنبياء ، وتجار الحروب ، ومُوقِدى نار العداوة بين الشعوب !!

وإن مما يفتت الأكباد ، ويمزق نياط القلوب أن تقع هذه الأرض المقدسة ، فلسطين الحبيبة ، فى أيدى العصابات الصهيونية ، التى أوجدها الاستعمار فى قلب الوطن العربى ، وأمدها بجميع الإمكانات لتظل رأس رمح ، يُمَـزِّق وحدة العرب ، ونُقْطَةَ ارتكاز له ، يبث منها ، إلى كل بلد عربى حُرٍّ أبِىٍّ لتحقيق أغراضه وأطماعه .

لقد وقع المسجد الأقصى بيد اليهود الذين استباحوا حرمته ومشوا فى رحابه بالرجس والفجور ، كما سبق أن امتدت أيديهم الآثمة إلى محاولة إحراق ، وإلى إجراء حفريات تحت جدرانه ، وبالقرب منها !! إنهم يزعمون ، أن بيت المقدس لهم بمثابة الروح من الجسد ، وأن المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وأقيما فوق هيكل سليمان بن داود عليهما السلام .. وقد عبَّر عن ذلك بعض ساستهم بقوله : « لا إسرائيل بغير القدس ، ولا قدس بغير الهيكل » وكأنهم نسوا أو تناسوا ، أن المسجد الأقصى ، يعتبر من أعظم المقدسات الدينية التى عنى الإسلام بتعظيمها ، وحث على تكريمها ، ونَوَّه القرآن الكريم بسُمُوِّ منزلته ، وعلو مكانته فى قوله جل شأنه :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٩).

واشادت السنة النبوية الصحيحة بعظيم فضله ، واعتبرته أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تقاتلون اليهود »(١٠) الخطاب وإن كان موجها للمسلمين المعاصرين لرسول الله ﷺ ولكن المراد غيرهم من أمته ، وهم الذين سيكونون وقت وقوع الحادث ، لأنه من المعلوم أن الوقت الذى أشار إليه النبى ﷺ لم يكن قد خلق بعد ، بدليل ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِىُّ : يَا مُسْلِمُ ، هَذَا يَهُودِىٌّ وَرَائِى فَاقْتُلْهُ »(١١).

وهذا على حد قول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾(١٣).

فالخطاب للموجودين : وقت نزول الوحى ، وإن كانت النجاة لمن قبلهم من أجدادهم ..

فواجب على الأمة الإسلامية أن تقلم أظفار الاستعمار والصهيونية بجميع الأسلحة الروحية والمادية ، وأن تكون على يقظة تامة من مكرهم وألاعيبهم وخداعهم ، حتى ينصر الله جنده ، ويُعْلى كلمته ، ويعز بيته ، ويعود الإسلام الحقيقى إلى مدينة السلام ..

---

(٩) الإسراء : ١ .
(١٠) أخرجه البخارى ومسلم ..
(١١) رواه البخارى ..
(١٣) البقرة : ٤٩ ..

إسهام الإسلام في بناء السلام العالمي *

إعداد أ.د/ محمود حمدى زقزوق *

١ ـ تمهيد : مفهوم السلام فى التصور الإسلامى :

لقد أرسل الله منذ بدء الخليقة رسله وأنبياءه بالوحى إلى الناس لهدايتهم إلى طريق الحق والرشاد ، وإبعادهم عن طريق الغواية والضلال . والإسلام يعترف بكل أنبياء الله الذين حملوا رسالته إلى الناس على مر العصور . والرسالات الإلهية جميعها تتضمن محبة الله لخلقه بدعوتهم إلى اتباع تعاليمه الأخلاقية والدينية من أجل مصلحتهم ، وتهدف هذه التعاليم كلها إلى جعل الناس يتجهون إلى طريق السلام ، وهو الطريق ذاته الموصل إلى مصدر السلام وهو الله .

ويمكن تلخيص التصور الإسلامى للسلام فى صورة ثلاث دوائر متداخلة .

أما الدائرة الأولى فإنها تتمثل فى السلام النفسى الذى يحظى به الإنسان فى داخله ، وهذا السلام النفسى يكون ممكنا عن طريق الدائرة الثانية وهى السلام مع الله ، كما يتمثل ذلك فى العقيدة الدينية ، وكلتا الدائرتين يجعلان الدائرة الثالثة ممكنة وهى التى تتمثل فى السلام مع الآخرين ومع العالم الذى يحيط بنا .

والعقيدة الدينية الإسلامية تهيىء للإنسان المناخ الذى يستطيع فيه أن يتواءم مع ذاته ومع العالم الذى يعيش فيه ، فالإسلام فى حقيقته

---

* ورقة مقدمة إلى مؤتمر حوار الأديان من أجل السلام الذى تنظمه هيئة اليونسكو الدولية وفرعها بمقاطعة « كتالونيا بأسبانيا » حول موضوع « مكانة السلام فى الأديان والحضارات » برشلونة ـ أسبانيا ١٢ ـ ١٨ ديسمبر ١٩٩٤

* عميد كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر بالقاهرة

يعنى إسلام المرء وجهه إلى الله ، وبهذا التوجه يكون المسلم قادرا على أن يسلك الطريق إلى تحمل مسئولياته وأداء واجبه الحقيقي ، والعقيدة الدينية تجعله واثقا من العون الإلهى ، ومن هنا يكون قادرا على تذليل الصعاب والانتصار على كل العقبات ، الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى بناء السلام .

والإسلام يعلمنا أن الطريق إلى السلام طريق مستقيم لا اعوجاج فيه . وكل إنسان يسعى إلى السلام لا يستطيع أن يفعل ذلك فى حقيقة الأمر إلا إذا هيأ المناخ المناسب للسلام ، بمعنى أن يجعل له مكانا فى حياته ، وهذا يعنى أنه يتحتم عليه أن يسمح للآخرين المشاركين له فى الإنسانية أن يكون لهم نفس الهدف وأن يساعدهم على ذلك ، فإذا لم يفعل فإنه يكون قد تخلى عن طريق السلام .

وهذه الفكرة توضح لنا أن السلام ليس فقط هدفا مشتركا لكل الناس ، وإنما هو فى الوقت نفسه أيضاً ـ فى التصور الإسلامى ـ الطريق الوحيد لبلوغ السلام ، فهو هدف وطريق فى الوقت نفسه .

والسلام طبقا للتصور الإسلامى يعد عملا من أعمال الإنسان ، وفى الوقت نفسه يعد نعمة من نعم الله على البشر ، وقد وصف الله نفسه فى القرآن الكريم بأنه « السلام » . والمصطلح العربى للسلام مشتق من الأصل ذاته الذى اشتق منه لفظ الإسلام . فهناك تطابق تام بين الإسلام والسلام . وتحية المسلمين فيما بينهم هى : « السلام عليكم » ، كما أن المسلمين يتجهون فى نهاية كل صلاة من الصلوات الخمس اليومية بنفس التحية يمينا وشمالا ، الأمر الذى يرمز إلى نصف العالم يميناً ونصفه الآخر شمالا ، ويعبر عن أمنية المسلمين بالسلام للعالم كله .

٢ ـ نقطة الانطلاق نحو السلام :

ونقطة الانطلاق نحو السلام ـ فى نظر الإسلام ـ تتمثل فى الإنسان الفرد الساعى إلى السلام ، ليس لنفسه فحسب ، بل للعالم من حوله أيضا ، معتمدا على الثقة فى أن مصدر كل السلام وهو الله سيمنحه القدرة الروحية على الكفاح من أجل السلام ، والعقل الإنسانى الذى هو منحة من الله يمثل أكبر عون للإنسان فى تحمل مسئولية هذه المهمة الكبرى ، إذا ما أتاح الإنسان لهذا العقل الفرصة فى ممارسة دوره كاملا فى الحياة وقد وصف الفيلسوف والصوفى المسلم « الغزالى » العقل الإنسانى بأنه « أنموذج من نور الله »(١) .

وقد طلب القرآن من الإنسان أن يستخدم عقله فى التفكير فى ذاته وفى العالم من حوله وفى تاريخ الإنسانية وفى هدف الإنسانية .

والقرآن الكريم يبين لنا أن الله عندما خلق الإنسان نفخ فيه من روحه . (٣٢ / ٩) . ومن هنا فإن الإنسان الذى يتبع هذا الروح فى داخله يكون سائرا على طريق الله ، وذلك لأن هذا الروح حينئذ يدفعه إلى إقرار مبدأى العدل والرحمة ،

(١) « مشكاة الأنوار » للغزالى : ص ٤٤ ـ القاهرة ١٩٦٤ .

وكلاهما من صفات الله . وليس الأمر أمر إقرار قولى فحسب وإنما لابد أن يظهر أثر ذلك فى الأعمال الصالحة من أجل الدفاع عن المظلومين والمضطهدين من البشر ، ومن أجل العالم من حولنا ، إذ بدون ذلك لا تستطيع البشرية أن تستمر فى الوجود .

وفى هذا الصدد يرشدنا القرآن الكريم إلى خطة الخلق ، ويشير إلى أن الناس جميعا قد خلقوا فى الأساس من نفس واحدة (٤ / ١) ، وأن الإنسان الذى يقدم الخير لإنسان آخر فانه بفعله ذلك كأنه قدم الخير لجزء من نفسه . ومن هنا يبين القرآن أن من قتل إنسانا آخر دون حق فكأنه قتل الناس جميعا ، وفى المقابل من يقدم الخير لفرد واحد فكأنه يقدم الخير للبشرية كلها ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (٥ / ٣٢) . والتعاليم الأخلاقية الرئيسية ـ والتى يشتمل عليها كل دين من الأديان فى أى شكل من الأشكال ، والتى تتضمن حماية الحقوق الأساسية للإنسان ـ تعد شرطا ضروريا لإنسانية الإنسان ، وتنمية روحانيته ، وتنمية جهوده من أجل السلام .

وقد أكد نبى الإسلام على ضرورة أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه ، واعتبر ذلك أساسا لإسلام المسلم[٢] . كما أنه قد لخص رسالته كلها فى عبارة واحدة حين قال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[٣] .

وإذا كان الإنسان مطالبا بتحمل مسئوليته عن كل ما يفعله داخل دائرة مسئولياته فإن ذلك لا يعنى أنه معزول عما يشعر بأنه خارج عن دائرة هذه المسئوليات . ومن هنا فإننا عندما نرى ظلما واقعا على فرد أو جماعة أو شعب من الشعوب ، يجب علينا أن نحاول منع هذا الظلم بطريقة عملية ، فإذا لم نستطع فبطريقة قولية ، فإذا لم نستطع فعلى الأقل نستنكره بالقلب . وهذه الصورة الأخيرة يعبر عنها نبى الإسلام بأنها « أضعف الإيمان »[٤] .

وهكذا نرى أن النبى يعبر عن الكفاح ضد الشر وضد الظلم فى كل صوره وأشكاله إما بالفعل أو بالقول أو بالاستنكار القلبى حسب طاقة كل إنسان ، ويجعل هذه الصور الثلاثة صورا للإيمان ، فالإيمان مرتبط ارتباطا وثيقا بالعمل الصالح . وهذا ما يؤكد عليه القرآن الكريم تأكيدا واضحا لا غموض فيه . فالإيمان والعمل الصالح كلاهما يمثل الطريق السليم المؤدى إلى السلام .

٣ ـ السلام بوصفه هدفا :

وإذا كان الأمر كذلك فإن الإنسان الذى يؤمن إيمانا قلبيا مخلصا لا يمكن أن يكون هدفه النهائى فى هذه الحياة متمثلا فى ماديات هذا العالم . إنه يتطلع

---

(٢) راجع صحيح البخارى ١ / ٥٧ (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٨٠ هـ) .

(٣) البخارى : كتاب الأدب المفرد ص ٨٤ . مكتبة الأدب ـ القاهرة (دون تاريخ) .

(٤)صحيح مسلم : ١ / ٦٩

إلى ما فوق ذلك . فإيمانه بالله العادل الرحيم يجعله متطلعا إلى سيادة مبدأى الرحمة والعدل فى هذا العالم وصولا إلى السلام المنشود المتمثل فى الدوائر الثلاثة التى سبقت الإشارة اليها . والهدف النهائى للمسلم فى حياته ومماته وصلاته وأعماله كلها هو الله رب الخلق جميعا (٦ / ١٦٢) ومصدر كل السلام .

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وفى هذا الصدد يدعو القرآن الكريم أتباع الأديان أن يتحدوا فى الإيمان بالله وحـــده وألا يشركوا معه أحدا وألا يقبلوا ربوبية أحد غير الله (٣ / ٦٤) .

ويقرر القرآن فى وضوح مبدأ حرية العقيدة ، وفى ذلك يقول : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ (٢ / ٢٥٦) .

فالدين هو توجه الإنسان بكل كيانه وإرادته الحرة إلى الله والتسليم لإرادته ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٥) الكهف ٢٩ .

وهدف الدين هو بناء مجتمع يسوده السلام والعدل ، وإن عالمنا المعاصر قد أصبح الآن أكثر وعيا بضرورة إقامة السلام من أجل خير هذا العالم ، وحضارة السلام تنبنى على إرادة السلام ، وإرادة السلام ينبغى أن تكون هدف التربية لدى كل الأديان ، وعلى الأديان أن توحد جهودها من أجل الهدف المشترك وهو السلام ، ولا يعنى ذلك بأى حال من الأحوال توحيد الأديان أو تذويب ذاتية كل منها ، فهذا أمر غير وارد ، بل هو مستحيل . والأمر الواقعى هو توحيد الجهود فى سباق من أجل عمل الخير . وإذا ما تم ذلك فسيكون تحقيق الهدف المتمثل فى بناء السلام أمرا قريب المنال . وهذا أمر لا يمكن تحقيقه إلا فى مجتمع يتيح الفرص لدوافع الخير الفطرية الكامنة لدى كل الناس وبالتالى لحرياتهم ، وبذلك يمكنهم من المشاركة الفعالة فى تشييد صرح السلام ، ويصف القرآن الكريم مثل هذا المجتمع بأنه هو الذى يأمـــر بالمعـــروف وينهى عن المنكـــر لقوله ــ تعالى :

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ آل عمران

٤ ــ الطريق إلى السلام :

والقرآن الكريم يبين لنا أن وجود جماعات كثيرة وشعوب متعددة ينبغى أن يكون دافعا للتنافس فى سبيل الخير والقيم الأخلاقية . وفى ذلك يقول القرآن :

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ المائدة ٤٨ .

فاختلاف الناس فى أديانهم وحضاراتهم ينبغى ألا يكون سببا للصراعات فيما بينهم ، إنه ينبغى على العكس من ذلك أن يكون دافعا إيجابيا ومحركا لتنمية الإنسانية ، تلك التنمية التى تعبر عن نفسها فى قيم التسامح والاحترام وحب الخير لكل الناس ،

(٥) تمام الإيمان يتمثل فى قول الله ــ تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » البقرة / ٢٨٥ .

وأن بذل الجهد من أجل فهم الآخرين يؤدى إلى التدريب على الصبر مع الذات ومع الآخرين ، ويوسع من افاقنا الروحية ، ويقربنا من هدفنا فى إقامة السلام الذى لا يمكن أن يبنى إلا على أساس من الإنسانية ، لأن السلام لا يتوصل إليه إلا بطريق سلمى ، وهذا الطريق السلمى يتطلب بذل كل القوى والجهود .

والقرآن الكريم يقدم لنا مثالا واقعيا يوضح فيه الفرق بين السلوك السلبى الذى لا يفيد السلام فى شىء والسلوك الإيجابى الذى يمكن أن يكون له دوره الفعال فى بناء السلام ، وذلك من خلال عقد مقارنة بين شخصين من حيث سلوكهما الأساسى ، فأحدهما سلبى وعاجز عن تحمل المسئولية فهو لا ينجز شيئا . أما الآخر فهو على العكس من ذلك إيجابى جدا ، ويبذل قصارى جهده بلا كلل فى كفاحه من أجل إقرار العدل ودعوة الآخرين لذلك أيضاً ، ويكرس نفسه تماما على طريق الله الذى يمنحه السكينة التى هى راحة الضمير واطمئنان النفس (٤٨ / ٤) سورة الفتح . وهذه السكينة بدورها تجعله أكثر قدرة فى كفاحه من أجل السلام .

ويؤكد القرآن على ضرورة تطابق الأقوال مع الأفعال (٦١ / ٢ ، ٣) سورة الصف ٢ ، ٣ . فلا يكفى أن يعلم المرء شيئا من الناحية النظرية ، على الرغم من أن العلم فى حد ذاته أمر جدير بالحرص عليه والسعى إليه ، ولكن على المرء أن يعمل طبقا لما يعلمه ، وإلا فإن علمه يكون عديم القيمة ، وإن الروحانية ـ ونعنى بها التدين الحقيقى ـ لا يصل إليها الإنسان إلا عن طريق الأعمال الصالحة ، فلا يصبح المرء متدينا حاصلا على الروحانية لمجرد الإعلان عن شعارات أو قيم دينية أو غيرها من القيم . والقرآن الكريم إذ يؤكد على أن التقوى هى معيار التفاضل بين الناس عند الله (٤٩ / ١٣ ، ١٥) فإن نبى الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبين أن « التقوى حسن الخلق »(٦) . وفى المقابل يتمثل الشر فيما يقلق النفس وما يكره الإنسان أن يطلع عليه الآخرون ، كما يقول النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضاً(٧)

وقد أوصى الإسلام المسلمين بالتسامح إزاء كل الناس بصرف النظر عن أعراقهم وأديانهم ومذاهبهم/طالما أن هؤلاء لم يعتدوا على المسلمين ، وهذا ما يعبر عنه القرآن بقوله :

لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ (٦٠ / ٨) .

وفى هذه الآية يرتفع التسامح ليكون صنوا للعدل ، فالتسامح ثمرة الرحمة التى تعد الجانب الآخر للعدل ، والتسامح والعدل شرطان أساسيان لبناء صرح السلام .

وربما يرى البعض أنه من الصعب فهم الآخرين من أصحاب الديانات والحضارات المختلفة وطرائق التفكير الأخرى ، ولكن بذل الجهد فى هذا السبيل أمر مطلوب ، بل أصبح يمثل ضرورة حياتية فى عالم اليوم الذى صار مثل قرية كونية كبيرة ، فليس هناك خيار آخر أمام الشعوب المختلفة من أن يفهم كل منها الآخر حتى يمكن التعامل والتعايش والتعاون بين شعوب الأرض .

---

(٦) راجع على سبيل المثال : سنن « ابن ماجه » ٢ / ١٤١٨ . القاهرة ١٩٥٣ .

(٧) « صحيح مسلم » : ٤ / ١٩٨٠ .

وقد أكد القرآن الكريم على ذلك لدرجة أنه جعل هدف الخلق مشتملا على ضرورة تعرف كل شعب أو جماعة على الآخرين ، وفى ذلك يقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ سورة الحجرات

. هذا التعرف على الآخرين يتعلق بصفة خاصة بطرائق الآخرين فى الفكر وفى الاعتقاد نظرا لأن سلوكهم العملى ينبنى على ذلك ، والتعرف على الآخرين من مختلف الأجنـــاس والحضارات والأديان يوسع من أفق معارفنا ، ويصل بنا إلى فهم سليم لوجودنا الإنسانى ، وهذا يؤدى إلى فهم متبادل ، واحترام متبادل ، وتعاون مشترك من أجل سلام هذا العالم .

وإرادة السلام لا تعرف الحدود ولا القيود ، ومن هنا نجد أن القرآن الكريم يحث المسلمين على الرد الإيجابى على كل عرض للسلام من جانب أعدائهم :

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا ﴾ (٨ / ٦١) .

وحتى فى الوقت الذى لا يبدى فيه الأعداء رغبة فى السلام ، ويصبح الكفاح من أجل الدفاع عن الحقوق أمرا ضروريا فإنه لا يجوز للمسلمين أن يتجاوزوا فى كفاحهـم الـقيم الأخلاقيـة (٢ / ١٩٠) ، فالطريق إلى السلام لا يسمح إلا بالفعل الأخلاقى ، ومن هنا وجدنا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحرم على المسلمين فى الحرب التمثيل بالقتلى أو سوء معاملة الأسرى أو قتل غير المحاربين من الشيوخ والنساء والأطفال[٨] .

وإذا كان الإسلام أباح للمسلمين أن يدافعوا عن حقوقهم عندما تفرض عليهم الحرب ، فإن الحرب الدفاعية ضد العدو ليست هى نهاية الحرب ، فالهدف الأسمى للمسلمين هو محاربة العداوة والكراهية فى قلوب الأعداء ، ومن هنا لا يجوز للمسلمين أن يفقدوا الأمل فى ذلك ، لأن الأمل هو ملاذ السلام ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ (٦٠ / ٧) .

ويضع القرآن أمام المسلمين درجة عالية من التعامل مع الأعداء لا يستطيع أن يصل إليها إلا أصحاب المنزلة العالية فى الصبر والثبات والشجاعة ، وتتمثل هذه الدرجة فى مقابلة الإساءة بالإحسان ومقابلة الشر بالخير من أجل كسر سلسلة العداوة والبغضاء فى نفـوس المسيئين . ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ (٤١ / ٣٥) .

والنتيجة لهذه المعاملة أن ينقلب العدو إلى صديق حميم . ولكن الإسلام لا يطلب من أى إنسان أكثر مما تتحمله طاقته ، فالله لا يكلف أحدا فوق طاقته ، ولكن أقل أعمال الخير لا ينبغى أن يحتقرها الإنسان مهما ضؤلت ، ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق »[٩] فكل رحلة مهما بعدت مسافاتها تبدأ بخطوة كما هو معروف .

---

(٨) راجع : « سنن أبى داود » ٣٦/٢ كتاب « الجهاد » ، باب فى « دعاء المشركين » (طبع مصطفى الحلبى) .

(٩) راجع : صحيح مسلم . ج ٤ ص٢٠٢٦ .

٤ - كلمة ختامية :

وفى نهاية كلمتى أود أن أؤكد على أن الإسلام دين السلام ، ولا يجوز بأى حال من الأحوال الخلط بينه وبين الظواهر السلبية التى ظهرت فى العالم فى كل مكان فى عصرنا الراهن مثل ظواهر الإرهاب والتعصب والتى ظهرت - أيضا - فى العالم الإسلامى .

إن الإسلام دين لا يعرف التعصب ، بل يدعو إلى احترام الأديان وإقرار حقوق الإنسان الأساسية التى تتمثل فى حماية حياته ودينه وعقله وأسرته وممتلكاته(١٠) ، ويدعو إلى إقرار أسس العدل والرحمة بين كل الناس ، والتعايش فى سلام مع كل البشر ، وهذه المطالب يؤسسها الإسلام على وحدة الإنسانية ووحدة أهدافها .

والإسلام نفسه يعد إسهاما حقيقيا فى بناء صرح السلام فى العالم . والنظرة الموضوعية للإسلام من شأنها أن تبرز الوجه الحقيقى للإسلام ، وتزيل ما علق بالأذهان من مقولات خاطئة ومفاهيم مغلوطة ، ولابد لنا من التفريق تفرقة واضحة بين التدين من جانب والتعصب والإرهاب من جانب آخر .

إن إقامة نظام عالمى عادل لا يمكن أن يحدث عن طريق القهر والإرهاب واضطهاد الشعوب الضعيفة وتشريد أبنائها وممارسة التطهير العرقى ، لأن ذلك كله لن يؤدى إلا إلى فقدان الثقة فى إقامة العدل وبالتالى إلى إضعاف إرادة السلام .

والمشكلة الرئيسية فى المجتمع العالمى الراهن تتمثل فى كيفية ممارسة القوة دون عنف ، نظرا لأن أى عنف سيرتد علينا جميعا من حيث إننا جميعا نجلس فى زورق واحد ، وبالتالى فإن كل عنف سوف ينعكس علينا بشكل أو بآخر إن عاجلا أو آجلا .

وقد لفت نبى الإسلام محمد - صلى الله عليه وسلم - نظرنا إلى ضرورة أن يقوم الناس بتطوير أسلوب للتضامن فيما بينهم إذا أرادوا ألا يكونوا عرضة للهلاك . وقد صور الإنسانية كلها كأنها تتجمع فى سفينة واحدة ، وقد استقر البعض فى أسفلها والبعض الآخر فى أعلاها ، وكان الذين فى أسفل السفينة إذا احتاجوا ماء صعدوا إلى أعلى السفينة ومروا على من فوقهم ، وقد تعبوا من هذا الصعود والهبوط وإزعاج الركاب فى أعلى السفينة ، وقرروا إحداث خرق فى أسفل السفينة يأخذون منه حاجتهم من الماء . ويقول النبى - صلى الله عليه وسلم - ما معناه : إنه إذا ترك الناس هؤلاء يفعلون ما أرادوا هلك الجميع ، وإن منعوهم مما أرادوا نجا الجميع من غرق محقق(١١) .

وعالمنا الذى نعيش فيه فى أشد الحاجة إلى يقظة حقيقية تقودها الأديان فى العالم ، لإنقاذ البشرية من المحن التى تحيط بها من كل جانب ، وللأخذ بيد العالم إلى شاطىء السلام .

وإذا أردنا أن نقيم السلام فى العالم فلا يجوز لنا أن نعيد الحياة من جديد إلى عداوات الماضى السحيق أو القريب وما سببته من عقد مختلفة وعواقب وخيمة ، وبدلا من ذلك ينبغى أن نتجه إلى بناء المستقبل بفكر إيجابى من أجل العثور على فرص جديدة لإحلال السلام فى العالم .

---

(١٠) راجع : الموافقات للشاطبى ج ٢ ص٨ - ١٠ . دار المعرفة بيروت . دون تاريخ .

(١١) راجع : « فتح البارى بشرح صحيح البخارى » ج ٥ ص١٣٢ .

الأهلة والنجوم في الفن الإسلامي

د. أحمد رجب محمد على(*)

انتشرت رسوم الأهلة والنجوم فى الفن الإسلامى وخصوصاً فى العصر العثمانى على معظم الفنون التطبيقية سواء كانت منسوجات أو سجاد أو أخشاب أو خزف أو أحجار .. الخ كعناصر زخرفية جمالية ولم يكن لها أى مدلول دينى ، أو عقائدى ، وهو ما سنناقشه فى هذا البحث

رسوم الأهلة والنجوم على المنسوجات الإسلامية

انتشرت رسوم الأهلة والنجوم على المنسوجات الإسلامية ، خصوصا فى العصر العثمانى .. ومن أمثلة المنسوجات التى اشتملت على رسوم نجوم وأهلة : قطعة من النسيج محفوظة «بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة» (رقم سجل ٨٢٠٢) من القطن المطبوع عليها أشكال نجوم بداخلها نسور(١) وقطعة أخرى من النسيج الإسلامى بالأندلس محفوظة «بمتحف الفنون التطبيقية ببرلين»(٢) عليها أشكال نجوم بالإضافة لأشكال نمور وزراف ، وزخارف نباتية مختلفة مما يدل على أن رسوم النجوم هنا جزء من التكوين الجمالى لزخرفة النسيج شأنها فى ذلك شأن رسوم الحيوانات ورسوم النباتات ، حيث لم تميز رسوم النجوم عن باقى الرسوم فى هذه القطعة سواء من حيث العدد أو الموقع أو الحجم وإنما ساهمت مع باقى العناصر فى تكوين الشكل الجمالى للقطعة النسجية .

ومن أمثلة المنسوجات فى العصر العثمانى ، قميص طفل من العصر العثمانى عليه رسوم أهلة ونجوم وسحب(٣) وقفطان السلطان محمد الثالث ، وهو مصنوع من القطيفة وعليه رسوم

---

* الباحث مدرس مساعد بقسم الآثار الإسلامية بكلية الآثار – جامعة القاهرة .

(١) د/ سعاد ماهر محمد : «النسيج الإسلامى» . القاهرة ١٩٧٧ – لوحة ١٠٠ .

(٢) نفس المرجع : لوحة ١٤٥ .

(٣) د/ محمد عبدالعزيز مرزوق : «الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى» القاهرة ١٩٨٧ – شكل ٣٣

أهلة ونجوم وأزهار[٤] وفى متحف (طوب قابوسراى - استانبول) سروال ينسب إلى السلطان العثمانى سليمان القانونى (١٥٢٠ : ١٥٦٦ م) مصنوع من الديباج ومزخرف برسوم أهلة ونجوم[٥] .

وأخيرا نستطيع القول بأن رسوم الأهلة والنجوم على المنسوجات الإسلامية لم يكن لها أى مدلول دينى ، وذلك للأسباب الآتية .

١) قلة رسوم الأهلة والنجوم فى العصور الإسلامية الأولى ، ولم تنتشر بكثرة إلا فى العصر العثمانى .

٢) عدم تمييز أشكال الأهلة والنجوم عن باقى العناصر الزخرفية على المنسوجات ؛ حيث ساهمت جنبا إلى جنب مع رسوم الأزهار والنباتات والرسوم الهندسية وغيرها فى تكوين الشكل الجمالى ولم تميز عنها .

٣) وجود أهلة ونجوم على منسوجات لايمكن أن يرسم عليها رسوم ذات طابع دينى مثال ذلك : السراويل مما يدل على أنها ليس لها أى قيمة دينية ، بل وأكثر من ذلك لم تشتمل كسوة الكعبة على رسوم أهلة ونجوم فى أى عصر من العصور ، وهذا دليل آخر على أن الأهلة والنجوم ماهى إلا عناصر زخرفية ليس لها أى مدلول دينى ولو كان لها مدلول دينى لوجدت على كسوة الكعبة وليس على السراويل .

رسوم الأهلة والنجوم على الأحجار .

وجدت رسوم الأهلة والنجوم على الأحجار سواء فى مصر أو خارجها ففى مصر وجدت رسوم النجوم على الرخام الذى يزين أرضيات المنازل العثمانية بمدينة القاهرة ، ومثال ذلك أرضية قاعة الاحتفالات ببيت الكريدلية بمنطقة ابن طولون بالقاهرة والذى يرجع إلى القرن ١١ هـ ١٧ م .

وفى خارج مصر انتشرت رسوم النجوم على أرضيات المنشآت التركية[٦] كما وجدت رسوم نجوم على جدران مسجد الجمعة فى هراة بإيران[٧] .

وأخيرا نستطيع أن نقول إن رسوم الأهلة والنجوم على الأحجار لم يكن لها أى مدلول دينى حيث وجدت على أرضيات المنشآت فى مصر وتركيا ، ووجودها على هذا النحو الذى يجعلها تداس بالأقدام ، وفى أماكن لا يتوفر فيها طابع القداسة مثل قاعات الاحتفالات بالبيوت العثمانية ينفى عنها أى طابع دينى .

رسوم الأهلة والنجوم على السجاد .

انتشرت رسوم الأهلة والنجوم على السجاد ومن أمثلة ذلك سجادة فى مسجد علاء الدين فى (قونية بتركيا) ترجع للقرن ٧ هـ ١٣ م . وسجادة أخرى فى (متحف جلال الدين الرومى) فى (قونية) ترجع للعصر السلجوقى عليها رسوم

(٤) نفس المرجع : لوحة ٣٦ .
(٥) نفس المرجع ص ١١٤ ، لوحة ٣٢ .
(٦) سمير الصايغ : الفن الإسلامى - قراءة تأملية فى فلسفته وخصائصه الجمالية ، بيروت ١٩٨٨ م ص ١١٤
(٧) نفس المرجع السابق ص ٢٢٣ .

نجوم[٨] كما وجدت رسوم أهلة ونجوم على النسجاد الإيرانى ومن أمثلة ذلك سجادة من (هراة) ترجع للقرن ١٢ هـ ١٨ م فى مجموعة الدكتور على باشا إبراهيم محفوظة «بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة» الآن[٩] .

وأخيرافما قلنا عن رسوم الأهلة والنجوم على الأحجار يمكن أن يقال على السجاد حيث إن وجود هذه الرسوم على الأرض وتعرضها لأن توطأ بالأقدام ينفى عنها أى طابع للقداسة ويدل على أنها فقط مجرد عناصر زخرفية جمالية مستوحاة من الطبيعة شأنها شأن الأزهار والنباتات .

رسوم الأهلة والنجوم على الخزف

شاع استخدام رسوم الأهلة والنجوم على الخزف الإسلامى سواء فى مصر أو خارجها . ففى مصر وجدت رسوم أهلة على قِدْرٍ من العصر الفاطمى يرجع للقرن الخامس الهجرى[١٠] وعلى الخزف التركى وجدت أشكال النجوم على طبق محفوظ الآن (بمتحف اللوفر) بباريس يرجع للقرن ٩ هـ ١٥ م[١١] وعلى الأطباق الخزفية الإيرانية وجدت رسوم نجوم على طبق من (مدينة قاشان) محفوظ الآن بمتحف فكتوريا والبرت ـ لندن يرجع للقرن ٧هـ ١٣ م[١٢] كما وجدت رسوم نجوم على طبق من الخزف من مدينة جرجان[١٣] وعلى الخزف الصينى وجدت أيضا أشكال نجوم على الأطباق الخزفية[١٤] .

وأخيراً فمن العرض السابق لرسوم الأهلة والنجوم على الخزف الإسلامى نستطيع أن نقول أن رسوم الأهلة والنجوم على الخزف الإسلامى لم يكن لها مدلول دينى حيث إن هذه الرسوم قد وجدت فى أغلب الأحيان على الأطباق والقدر ، وهى أشياء تمتهن أحيانا بما يوضع فيها وتتعرض للكسر أحيانا أخرى ووجود رسوم الأهلة والنجوم عليها ينفى عنها أى طابع للقداسة .

رسوم الأهلة والنجوم على الأخشاب

وجدت رسوم الأهلة والنجوم على الأخشاب خصوصا فى العصر المملوكى والعصر العثمانى حيث كانت الأشكال النجمية هى العنصر الزخرفى الأول على الأخشاب ، سواء التى توضع فى المنشآت الدينية أو المنشآت المدنية . فى المساجد والقصور والزوايا بل وفى الحمامات العامة وهو ماينفى عن هذه الرسوم أى طابع للقداسة .

خاتمة

وأخيراً وختاماً لهذا العرض الموجز لرسوم الأهلة والنجوم على الفنون التطبيقية الإسلامية

---

(٨) أو قطاى آحلان آبا : «فنون الترك وعمائرهم» ترجمة أحمد عيسى ـ استانبول ١٩٨٧ ـ لوحة ١٣ ص ٢٧٤ . ولوحة ١٧ ص ٢٧٥ وانظر د/ ذكى محمد حسن : «أطلس الفنون الزخرفية والتصادير الهندسية» شكل ٦٨٥ .

(٩) د/ زكى محمد حسن : «الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى» القاهرة ١٩٤٠ ـ شكل ٧١ .

(10) Butler : Islamic Potteris, a study mainly historical, London 1926, Plate XXX.

(11) Arther Lane : Later Islamic Pottery, persia, Syria, Egypt, Turkey, London, PL 17.

(12) Arthur Pope : A survey of Persian Art volume V, Bowls black painted. PL 6.

(13) Dr. Mehdi Bahrani : Gurgan Faiences - Ceramic, 1949, PL LXIX, LIV, XXX III.

(14) William Bonyer Honey : The ceramic art of China and other countries of the Far East. London, PL 23.

يتضح لنا أن رسوم الأهلة والنجوم لم يكن لها أى قدسية فى الإسلام ، حيث وجدت كما سبق أن ذكرنا فى أماكن لايتوفر لها طابع القداسة سواء الأرضيات الرخامية أو السجاجيد أو على السراويل وهو مايدل على أنها مجرد عناصر زخرفية مستوحاة من الطبيعة حيث لاحظ الفنان المسلم شكل الهلال والنجوم فى السماء خصوصا مع ارتباط هذا العنصر بأحداث عزيزة عليه ، مثل شهر رمضان ، وعيد الفطر إلا أنه لم يكن له أى قدسية لديه . ولم تكن الأهلة والنجوم هى العناصر الوحيدة التى رسمها الفنان بعد أن تأمل السماء بل نجده أيضاً يرسم قرص الشمس ، والسحب ، والأقمار .. فهى مجرد عناصر استوحاها الفنان من الطبيعة شأنها شأن الورود والأزهار والنباتات والأشجار .. الخ .

ومن الجدير بالذكر أن الفنان المسلم لم يكن أول من استخدم الأهلة والنجوم كعناصر زخرفية ، بل وجدت فى حضارات أخرى من قديم الزمان حيث وجدت فى الفن الفرعونى . كما وجدت أشكال النجوم على العملات الرومانية(١٥) لذلك وجدت فى الفن القبطى فى مصر رسوم الأهلة والنجوم فى نفس الوقت الذى انتشر فيه الفن الإسلامى ، ومن أمثلة ذلك (نافذة جصية) موجودة بكنسية الأنبا شنودة عليها رسوم نجوم ترجع لعصر الناصر محمد بن قلاوون خلال فترة بطرياركية (بنيامين الثانى ١٣١٩ ـ ١٣٢٢م)(١٦) كما وجدت رسوم أطباق نجمية بالكنيسة المعلقة وكنيسة أبو سرجة (ق ٥ هـ ١١ م)(١٧) وعلى الفنون التطبيقية القبطية وجدت رسوم أهلة ونجوم ، ومثال ذلك مسرجة معدنية من البرونز لها مقبض على هيئة هلال بداخله صليب يرجع للقرن ٧هـ ١٣ م(١٨) ومسرجة أخرى لها قمة على هيئة هلال بداخله صليب(١٩) وعلى المنسوجات وجد رسم الهلال على ستارة من الكتان ترجع للقرن ٧هـ ١٣ م(٢٠) ووجود الأهلة والنجوم فى الفن القبطى سواء فى العمارة أو الفنون التطبيقية ـ فى نفس الوقت الذى انتشرت فيه الأهلة والنجوم فى الفن الإسلامى ـ يثبت بما لايدع مجالا للشك أنه مجرد عنصر زخرفى نابع من فكر الفنان وروح العصر ، وليس رمزا دينيا حيث إنه لم يكن قاصراً على الفن الإسلامى فحسب ، بل وجد فى الفنون الأخرى .

---

(15) Bichard Baece : Roman Coins, London 1970 PL 5 N105, PL 62 N956.

(١٦) د/ مصطفى عبدالله شيحة «دراسات فى العمارة والفنون القبطية» ـ سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ـ مشروع المائة كتاب ـ هيئة الآثار المصرية ـ وزارة الثقافة ـ القاهرة ١٩٨٨ ـ لوحة (١١).

(١٧) الفريد بتلر «الكنائس القبطية القديمة فى مصر» ، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم ـ مراجعة وتقديم نيافة الأنبا غريغوريوس ـ الجزء الأول ـ القاهرة ـ ١٩٩٣ ص ١٨٦ شكل ١٤ ، ص ١٦١ وانظر د/ مصطفى عبدالله شيحة : المرجع لوحة ٢٦ ، لوحة ٢٨ .

(١٨) محفوظة بالمتحف القبطى بالقاهرة تحت رقم سجل/ ٥١٨٥ معادن .

(١٩) محفوظة بالمتحف القبطى بالقاهرة تحت رقم سجل ٩١٢٣ معادن .

(٢٠) محفوظة بالمتحف القبطى بالقاهرة تحت رقم سجل ٨٤٥٣ نسيج .

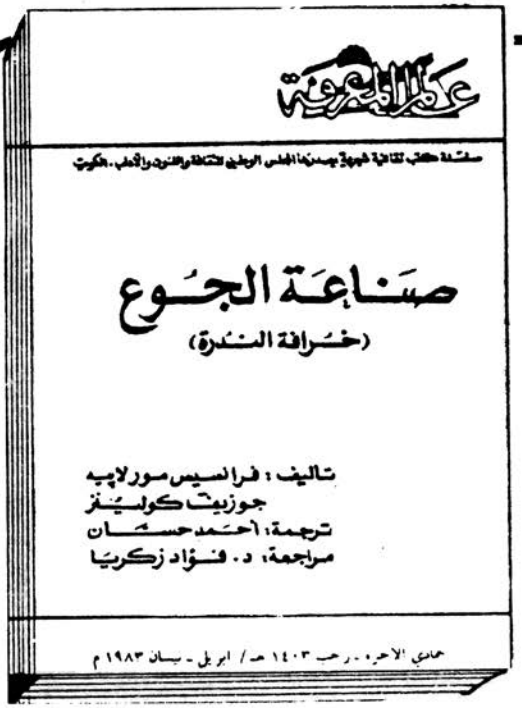

عرض وتحليل الأستاذ مصطفى دسوقى كسبة

٣

(٣)

تناولنا فى عددى (شعبان ١٤١٥هـ ، ص ١١٣٤ ، وشوال ١٤١٥هـ ، ص ١٤٢١) الجزءين الأول والثانى . وفيهما تم عرض وتحليل الأبواب الثلاثة الأولى من الكتاب . وفى هذا الجزء الثالث والأخير نتناول الأبواب الباقية من الكتاب ونبدأ بـ :

الباب الرابع : تحديث الجوع

وفيه يكشف المؤلفان عن سخافة التركيز الضيق على المزيد من إنتاج الغذاء .

فيقرر المؤلفان فى هذا الفصل أن الحقائق البسيطة لإنتاج الغذاء فى العالم توضح أن اعتبار الازدحام السكانى سبباً فى ندرة الغذاء ليس صحيحاً . فإنتاج الغلال العالمى الآن وحده يمكن أن يزود كل شخص على الأرض بأكثر من ٣ آلاف سعر حرارى يومياً .

وفى حديثهما عن نتائج الثورة الخضراء تبين أنه :

فى عديد من البلدان أدت الاستثمارات الرأسمالية الضخمة التى خصصت لتحديث الإنتاج إلى زيادة فعلية فى محاصيل كثير من الزراع الميسورين . لكن ماذا حدث لأغلبية الإنتاج الزائد ؟

- جزء ذهب إلى المجموعات الحضرية ذات الدخل المتوسط والمرتفع .

- جزء يحول إلى منتجات ترفيه لايقدر على شرائها الفقراء .

- جزء يستخدم غذاء للماشية لإنتاج اللحم الذى لاتقدر على شرائه أغلبية السكان المحليين .

- بعض الإنتاج الزائد يصدر .

- بعض الإنتاج الزائد يلقى ببساطة فى القمامة .

وعن تقويض أمن العالم الغذائى ، يرى المؤلفان أنه لن يكون هناك أمن غذائى حقيقى ، مهما بلغ الإنتاج ، مادامت موارد إنتاج الغذاء يسيطر عليها أقلية ضئيلة ، وتستخدم فقط لإثرائها . ففى مثل هذا النظام سيتحقق الربح الأكبر دائما من تلبية مطالب أولئك الذين يمكنهم دفع أكبر ثمن وليس الجوعى .

هذا وفى حديثهما عن ميكنة الزراعة يريان أن مايهم هو «الإنتاجية» لكل فدان ، وزيادة إنتاجية الفدان عادة مالاتكون مسألة آلة حديثة ، بل مسألة زراعة كثيفة وحرص من جانب أفراد تعتمد حياتهم على الإنتاج .

وفى الحديث عنه : عدم فاعلية اللامساواة - بدءاً بالاهتمام بـ : إنتاجية المزارع الكبيرة والصغيرة :ك وهنا يقرر المؤلفان أنه على عكس الاعتقاد الشائع ، تبين الدراسات من كل أنحاء العالم أن الزارع الصغير فى معظم الأحيان ينتج لكل وحدة أرض أكثر ماينتجه الزارع الكبير . وتفسير ذلك عندهما هو حاجة الزراع إلى البقاء اعتماداً على مواردهم الهزيلة المسموح لهم بها . والزراعة بالنسبة للعائلة ليست حساباً مجرداً للربح ليوازن الاستثمارات الأخرى ؛ بل هى مسألة حياة أو موت .

وصغار الزراع لا يستطيعون عادة أن يحققوا مزيدا من التقدم لأن مبادراتهم يعوقها نشاط النخبة المالكة للأرض ، التى يهددها أى تقدم قد يجعل صغار زراع القرية أقل اعتماداً عليهم . كما أن ضرورات مثل : السماد والماء لاتصل إلى صغار الزراع لأنهم لا يملكون لا النقود ولا القروض لشرائها .

وغالباً ما تشترط القروض من البنوك الحكومية حداً أدنى لحيازة يستبعد صغار الزراع . فالزارع الصغير يفتقر إلى أية وثيقة مسجلة تثبت ملكيته للأرض مع أنه بدونها لا يستطيع الحصول على قروض المحصول من مؤسسات الإقراض . والأهم أن صغار الزراع يحجمون عن استخدام أرضهم كضمانة للقروض على أية حال . فالزارع الصغير يقرر عن صواب تماماً أنه لايريد المخاطرة بفقدان أرضه . هذا وباستبعاد صغار الملاك عن مجال القروض الرسمية يتركون للاعتماد على مقرضى النقود والتجار الأفراد الذين يفرضون فوائد ربوية عالية .

وبالإضافة إلى ذلك يمكن للتجار المقرضين زيادة الفائدة ببخس قيمة المنتجات الزراعية المستخدمة فى دفع الديون وبالمبالغة فى قيمة البضائع التى يشتريها منهم المدينون وعلى النقيض من ذلك قد لايدفع المقترض الكبير أية فائدة ، أو حتى يربح باقتراض النقود وحين يتم حساب معدلات الفائدة الاسمية على القروض المتاحة لكبار الزراع من المؤسسات التجارية بالنسبة إلى التضخم يكون معدل الفائدة الحقيقى سالبا فى العادة .

ورابطة الدَّيْن قد استخدمت لربط الفلاحين بالأرض ليضمن الملاك توفر قوة العمل خصوصاً فى الاقتصاديات التى تتسم بندرة العمالة . وهذا الأمر يقتل الحافز على زيادة الإنتاج ؛ لأن الزراع المتورطين يعرفون أن زيادة الإنتاج لن تفيدهم أبداً ؛ بل تفيد مالك الأرض أو مقرض النقود . كما أن عمل الفلاح وفاءً لدينه ، يجعله يعجز عن العمل

فى أرضه بصورة مناسبة ، ولايجد خياراً سوى التخلى عنها .

وبدون حد أدنى معين من ملكية الأرض ، وضمان الحيازة ، والقروض بفائدة معقولة ، والسيطرة على الناتج ، يتوصل الزراع إلى النتيجة الواقعية القائلة : إنه ليس من مصلحتهم شراء معدات لزيادة الإنتاج ، أو اتخاذ خطوات للحفاظ على خصوبة التربة . وهكذا فليس (التأخر) المزعوم للفلاحين هو ما يمنعهم من شراء السماد والمعدات الحديثة الأخرى بل الحس الاقتصادى الصرف .

ويقرر المؤلفان أن تركيز الأرباح الناتجة عن التحديث الزراعى فى أيدى فئة قليلة كان يعنى أن جزءاً كبيراً مما كان يمكن أن يعاد استخدامه فى التحسينات الزراعية يذهب بدلاً من ذلك إلى بضائع ترفيه لإشباع الحافز الاستهلاكى المفرط للأغنياء الجدد الريفيين وفى كل أنحاء العالم يمكن أن نجد المقاولين الزراعيين الجدد (يستثمرون) الأرباح الفائضة فى المنتجعات السياحية ، والبارات بأساطيل التاكسى ، ودور السينما ، ووكالات السفر .

ويرى المؤلفان أن حفز الناس على التعاون باتجاه هدف مشترك هو ماتعتمد عليه كل تنمية فى نهاية الأمر . لكن نظاماً اجتماعياً يمنح ميزات تفضيلية فى الحصول على الأرض ، والمعدات الزراعية والبرامج الحكومية لِقِلَّة يحد من أية إمكانية للتعاون والتعلم المشترك .

ويرى المؤلفان أن الإيحاء بأننا ببساطة لانملك تحقيق مساواة أكبر إذا أردنا زيادة الإنتاج يتجاهل أهم معوقات الإنتاج فى إطار نظام السوق ، أى أن نقص المشترين الذين يملكون النقود لدفع ثمن زيادة الإنتاج . هذا الإيحاء يتضمن أن (القليل من اللامساواة شىء حسن) أو على الأقل شر لابد منه .

وفى تساؤلهما : هل الإصلاح الزراعى ضد الإنتاج ؟

يرى المؤلفان أنه ــ تاريخياً ــ أدت الإصلاحات الزراعية الحقيقية إلى إنتاج زراعى أكبر لأنها عالجت (أوجه النقص الناجمة على اللامساواة) والتى تعوق الإنتاج .

ويطرح المؤلفان السؤال التالى . لماذا يعتقد الكثير أن الإصلاح الزراعى يخفض الإنتاج ؟ ويجيبان عن هذا السؤال بمايلى :

أولاً : لأن قوانين الإصلاح الزراعى فى بعض البلدان لم تكن كُفْئاً وصالحة لإحداث التغيير المطلوب .

ثانياً : لأن معظم المعايير الرسمية للإنتاج تقتصر عادة على الغلال التى تدخل السوق ولاتدخل الجزء المستهلك ذاتياً من قبل الأفراد الذين استفادوا من الإصلاح الزراعى .

ثالثاً : إن التقدم يقاس عادة بإنتاج الغلال وحده ، ويهمل التحسن الغذائى الناتج من استهلاك الخضروات والفواكه .

ويخص المؤلفان بابا للحديث عن : لعبة التبادل التجارى فيريان : أنه من أكثر الخرافات الغذائية ظلماً ، تلك التى تقول : إن البلدان المتخلفة لايمكنها أن تزرع سوى (محاصيل مدارية) ، ولابد لها من استغلال هذه الميزة الطبيعية بأن تصدرها . وفى الحقيقة فإن بإمكان هذه البلدان أن تزرع مجموعة شديدة التنوع من

المحاصيل : (الغلال ، والبقول عالية البروتين ، والخضروات والفواكه) .

معظم البلدان النامية تعتمد ـ وقت تأليف الكتاب ـ فى الحصول على ما بين ٥٠ و ٩٠ فى المائة من حصيلة تصديرها على محصول واحد أو محصولين ـ والتركيز على عدد محدود من المحاصيل يولد حالة من ضعف البنية الاقتصادية تتميز بها البلدان النامية وضعف البنية هنا يعنى عدم القدرة على السيطرة على مصيرها .

فبالإضافة إلى سهولة التأثر بتقلبات السوق ، الناجمة عن الاعتماد على محاصيل قليلة جداً هناك المشكلة الكبرى للانخفاض الكلى فى قيمة السلع الغذائية التى تصدرها معظم البلدان النامية ؛ فضلاً عن أن أسعار المحاصيل التى تبيعها الدول الصناعية أساساً (الغلال) قد ارتفعت أسرع بكثير من أسعار السلع التى تصدرها البلدان النامية . وخلاصة القول : إن زراعة التصدير التى تسود اقتصاديات البلدان النامية تخدم المصالح الأجنبية بنفس الطريقة التى ظلت تخدمها بها مئات السنين .

ومن هنا أفرد فصلا بعنوان : (الخاسرون)

إعطاء الأولوية لمحاصيل التصدير يعنى اعتماد العائلة الزراعية على النقود التى تأتى مرة أو مرتين فقط فى السنة وقت الحصاد . لكن تلك المدفوعات المجمدة تحول الفلاحين إلى أهداف مكشوفة أمام التجار المستغلين الذين يتاجرون بالأدوات والأغذية الباهظة الثمن . وهكذا ؛ فإن تنوع المحاصيل الغذائية هو الضمان الوحيد للأمن الغذائى على مدار العام للعائلة الريفية .

ثم الرابحون :

ويرى المؤلفان أن الخرافة القائلة : إن زراعة التصدير هى الطريق إلى التنمية تخدم فقط ملاك المزارع الضخمة ، والشركات المتعددة الجنسية ، وشركات التسويق الحكومية فى البلدان النامية وتعمل على تخفيض أجور العمال الزراعيين حتى يمكن لمنتجاتها أن تدخل مجال المنافسة فى الأسواق الدولية .

الفصل العشرون : تغيير اللعبة

ـ زراعة التصدير تمكن النخبة أن تربح فى كل الأحوال لوجود مشترين فى أسواق أجنبية مجزية تزود مجموعات النخبة المحلية والأجنبية بالحافز على تشديد سيطرتها على الموارد الناتجة عن أرباح التصدير ، وعلى المقاومة الحازمة لأية محاولات لإعادة توزيع السيطرة على الأصول الإنتاجية .

ـ البلدان المتخلفة لا تستطيع المافسة فى أسواق التصدير إلا باستغلال قوة العمل ، وخصوصاً النساء والأطفال ولن يقف الملاك والحكومات الخاضعة للتصدير عند حد لسحق جهود العمال لتنظيم أنفسهم .

ثم كان ضرورياً أن يتساءل المؤلفان عن :

الولايات المتحدة .. هل هى سلة غذاء العالم ؟ فيقولان : الولايات المتحدة الأمريكية واحدة من أكبر البلاد المصدرة للغذاء ، بحيث شبهها البعض بسلة غذاء للعالم . والانطباع العام هو أن جزءاً كبيراً من الذهب يذهب إلى البلدان الجائعة فى (برنامج معونة) متميز بكرمه . لكن هناك فجوات واسعة فى هذه الصورة التى تسود العالم الثالث خاصة محلياً وأهمها :

١ ـ أن ما يصدر من الغذاء على أساس

المعونة (أى بتمويل طويل الأجل ، منخفض الفائدة) هو مجرد نسبة ضئيلة من الصادرات التجارية .

٢ ـ أقل من (٣٠) بالمائة من الصادرات الزراعية يذهب إلى البلدان الأقل تطوراً .

٣ ـ رغم أن الولايات المتحدة هى أكبر مصدرى الغذاء فى العالم ، فإنها كذلك واحدة من أكبر مستوردى الغذاء فى العالم .

ثم يرى المؤلفان أننا نعيش عصراً تتغلل الشركات المتعددة الجنسية الزراعية فى العالم بأسره ، وتربط مزارع البلدان النامية بأسواق الغذاء العالمية . وبقدر ما تتحدث الشركات الزراعية عن إنتاج الغذاء فى البلدان النامية ، فإنها لاتتحدث عن الأغذية الأساسية التى يحتاجها الجياع ؛ بل تركز على المحاصيل الترفيهية : كالفراولة ، والطماطم والمانجو ، والدجاج ، والأزهار .

هذا فضلاً عن أن خبرة الشركات الزراعية ليست فى الإنتاج بقدر ماهى فى التسويق .

ثم يتساءلان :

صدقات المساعدة : المعونة لمن ؟

فيورد المؤلفان فى هذا الباب وهو الأخير فى هذا الكتاب . أن هذا الكتاب بأكمله إنما هو رد على نظرية الثالوث .

١ ـ أن المعونة الخارجية شديدة الانتقاء بالفعل ، وتذهب لخدمة المصالح السياسية والاقتصادية الضيقة لمجموعات معينة فى الغرب . وليس بدوافع إنسانية كما تفترض نظرية ثالوث المعونة .

٢ ـ يفترض الثالوث أن البلدان النامية من الطرف المتلقى للمعونة فقط ، بينما الحقيقة أن عديداً من البلدان النامية مصدرة للغذاء ، خصوصاً للأغذية عالية البروتين مثل : اللحوم ، والأغذية البحرية والبقول ، وهو يؤكد فكرة أن هذه البلدان هى العبء الأكبر .

٣ ـ أن الثالوث يقوم على أساس (مقولة الرعب القائلة : بأننا ندخل عصر الندرة المطلقة) وبناء على هذه النظرية ، يجب توزيع الغذاء بحرص لضمان بقاء أنفسنا لكن العالم لم يبلغ هذه النقطة وذلك يرجع «لعدم كفاءة اللامساواة» أى أن الضغط الرئيسى على إنتاج الغذاء هو التفاوتات الكبيرة فى السيطرة على موارد إنتاج الغذاء فى العالم . إذ تتناقص باستمرار سيطرة الجياع على عملية الإنتاج ، والنتيجة : تبديد هائل متمثل فى قلة استخدام الأرض ، وتوسع فى محاصيل الترفيه والمحاصيل غير الغذائية لإطعام (الشبعانيين) فعلاً وإطعام أكثر من ثلث إجمالى قمح العالم ومالايقل عن ربع صيد العالم من الأسماك للماشية ، وطالما ظل لدينا نظام يقوم بنشاط (يخلق الندرة من قلب الوفرة) ؛ فإن القول بأننا نبلغ الحدود القصوى للطبيعة ، من مجرد التضليل فالإيحاء بذلك يسمح للنظام الحالى الذى يولد الندرة بالاستمرار دون أن يفهم حقيقته .

وفى نفس الوقت يجرى خداع الناس بصورة مرعبة عن (النقص) ، (والانفجار السكانى) لصالح قلة من الأفراد استولوا على السلطة والثروة لأنفسهم ؛ وهى القوى التى تخرب باستمرار رفاهية الناس فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى البلدان النامية .

دولــة الشيشــان المسلمة

الإمام . منصور الشيشاني
قائد الشيشان في القرن الثامن عشر

التعصب الذميم وحقد الحكام فى روسيا وراء حروبهم لها طيلة ثلاثة قرون

للمستشار محمد عـزت الطهطـاوى

دولة الشيشان أو الشيشين عريقة فى التراث الحضارى منذ العصور القديمة ، وامتد سلطانها حتى القرن السادس قبل الميلاد ، قامت نشأتها الأولى جنوبى البحر الأسود وشرقه ، وامتد نفوذها حتى شمال بلاد الشام وإقليم العراق وإن لم يطل عمرها ، وربما كانت أقدم دول المنطقة المحيطة بها ، ولقد عاصرتها وعمرت بعدها دولة المصريين القدماء التى بلغت أوجها فى عصر الملك رمسيس الثانى فرعون مصر المتوفى ١١٦٠ قبل الميلاد .

لذلك كان شعب الشيشان من الشعوب القديمة التى سكنت فى القوقاز منذ آلاف السنين ويشكلون واحداً من الشعوب الأصيلة لمنطقة القوقاز التى تشمل أيضاً شعوب الشراكسة والداغستان والأنجوش وشعب أوستيا الشمالية والجنوبية إضافة لشعب « الكارتفيل » وهو العرق الأصلى للشعب الجورجى ، وقد انكمشت دولة الشيشان فى زماننا المعاصر فأصبحت مساحتها ١٩,٣٠٠ كيلو متر مربعا[١] .

(١) موسوعة أطلس تاريخ الإسلام تأليف الدكتور حسين مؤنس نشر دار الزهراء للإعلام العربى ١٤٠٧ هـ ، ١٩٩٥ م

حدودها :

يحدها من الشمال منطقة «ستافروبول» الروسية ، ومن الجنوب «جورجيا» ومن الشرق «داغستان» ومن الغرب «أوستيا» الشمالية ، وهى مقسمة إلى (١٢) مقاطعة وعدد سكانها لا يتعدى مليون ، ٢٣٥ ألف نسمة ، يشكل الشيشان فيها (٧٣٥) ألف نسمة «والأنجوش» (١٦٤) ألف نسمة «والروس» (٢٩٤) ألف نسمة «والأرمن» (١٥) ألف نسمة «والأوكرانيون» (٢٧) ألف نسمة .

منتجاتها :

إنتاجها الاقتصادى يشمل الصناعات البترولية والمعدات الثقيلة والفواكه والخضروات والذرة والأرز وقصب السكر وتربية الماشية[٢] .

الأصل الذى ينحدر منه الشيشان :

تشير الروايات القديمة إلى أن شعب الشيشان ينحدر من سلالة بطل وطنى قديم اسمه (توربالو ـ نختشو) وأن هذا الرجل عاش فى جبال القوقاز ، وكان يتصف بالشجاعة التى جعلته يعيش مع الذئاب الجبلية ، وهذا ما يفسر وجود الذئب على علم جمهورية الشيشان الإسلامية ذى اللونين : الأخضر والأبيض ، كما أن النشيد الوطنى لهذه الجمهورية يشير إلى انحدار شعبها من جدهم « توربالو نختشو » وبالإضافة إلى الشجاعة التى يتميزون بها يتصفون بالذكاء والمرح وإشاعة المساواة فيما بينهم[٣] .

كيف وصل الإسلام إلى بلاد الشيشان ؟

برغم أن الفتوحات الإسلامية امتدت إلى «أذربيجان» والأجزاء الشرقية منها وهى «داغستان» «وجورجيا» «وأرمنيا» منذ القرن السابع الميلادى إلا أن انتشار الإسلام فى القوقاز كان بطيئا بسبب الطبيعة الجبلية لبلاد القوقاز التى لم تكن مألوفة للمسلمين ، ولوجود دولة « الخزر » ذات الأصول اليهودية فى منطقة أذربيجان وبحر قزوين وكانت تقاوم الفتوحات الإسلامية فى الداغستان وأذربيجان ، كما أن دولة جورجيا المسيحية فى المنطقة ـ وكانت تسمى دولة الكرج ـ قاومت هى الأخرى المد الإسلامى فى منطقة القوقاز .

وبعد فإن الإسلام وجد طريقه للشيشان فى القرن السابع عشر للميلاد من خلال الدعاة والمبشرين المسلمين من أهل السنة الواردين من جمهورية الداغستان ومن مدينة « بخارى » ومن شبه جزيرة القرم .

باعتناق شعب الشيشان للإسلام أصبح قوة كبرى فى منطقة شمال القوقاز حيث صارت جموع هذا الشعب الصلب حماة هذا الدين ، وأكثر شعوب شمال القوقاز تمسكاً به والصخرة الصلبة التى تحطمت عليها الدعوات الهدامة فلا قياصرة الروس النصارى استطاعوا تنصيرهم ، ولا الشيوعية الملحدة بعد القياصرة أفلحت فى

(٢) فى بحث (الشيشان وكبرياء المواجهة) إعداد مركز الدارسات والأبحاث لروسيا الاتحادية وجمهوريات آسيا الوسطى بدولة الكويت ، نشر بمجلة « الوعى الإسلامى » شهر رمضان ١٤١٥ هـ ، فبراير ١٩٩٥ م .

(٣) ملف (الشيشان عبر التاريخ) بحث بقلم الدكتور أحمد موسى عادل الشيشانى ، نشر فى مجلة الحرس الوطنى السعودى فى شهر رمضان ١٤١٥ هـ ، فبراير ١٩٩٥ م .

إبعادهم عن الإسلام برغم منع طغاة الشيوعيين لهم من ارتياد المساجد أو الصلاة فيها ؛ مما اضطر شعب الشيشان أن يجعل فى بيوته المساجد التى يتعبد ويقيم الصلاة فيها[٤] .

قِدَم عداء الروس للشيشان

داعبت حكومة القياصرة فى روسيا منذ القرن الثامن عشر أحلامها فى حماية حدودها الجنوبية من غزو الإيرانيين ومن غزو الأتراك العثمانيين ، وذلك لا يكون إلا باحتلال القوقاز وجعله خط الحماية الأول ، كما طمعت فى احتلال الهند وفتح طرق التجارة إليها عبر القوقاز ، وتطلعت أيضاً إلى استرجاع مدينة القسطنطينية من العثمانين الذين أسموها (إسلام بول) أى مدينة الإسلام كما تطلعت إلى تخليص مدينة القدس من حكم المسلمين حيث كانت روسيا القيصرية فى عهد الإمبراطورة « كاترينا الثانية » وابنها « بول » وحفيدها « القيصر الكسندر الأول » متعصبين بشدة للكنيسة الأرثوذكسية ، ويعتبرون أنفسهم حماة النصرانية فى العالم .

ساعد فى تحقيق بعض أحلام هؤلاء الطغاة أن القيصر بطرس الأكبر زوج الأمبراطورة كاترين السابق الإشارة إليها قبل وفاته مهد الطريق لخلفائه فى غزو القوقاز من خلال بنائه القلاع والمستوطنات على امتداد نهر «التيرك» الفاصل بين روسيا والقوقاز ثم قام بنقل شعوب القوزاق النصرانية التى كانت تسكن حول «موسكو» وفى «أوكرانيا» «وبولندا» ، إلى تلك المستوطنات بعد إخضاعها لحكمه ، وبعد أن قاد بنفسه حملة عسكرية ١٧٢٢ ميلادية إلى بحر قزوين واحتل بها مدينة « دربند » أو «باب الأبواب» إلا أن بعض قواته ضلت الطريق عند رجوعها فدخلت بلاد الشيشان ، فهاجمها الشيشانيون وكادوا يبيدونها عن آخرها لولا وصول قوات روسية كبيرة أفلحت فى إنقاذها وتخليصها والنجاة بها[٥] .

الحملات العسكرية التى وجهتها الحكومات الروسية إلى بلاد الشيشان :

أولى هذه الحملات العسكرية قامت بها الإمبراطورة « كاترينا الثانية » قيصرة روسيا فعملت أولا على طرد الأتراك من أقاليم « جورجيا » و «وأبخازيا» وشبه «جزيرة القرم» ثم وجهت القوات الروسية لاحتلال بلاد الشيشان وبلاد الأنجوش «والقبارطاى» ولكن جيوشها التى وصلت بلاد الشيشان ١٧٨٥ م منيت بهزائم متكررة ساحقة على يد قوات الإمام المسلم منصور الشيشانى الذى تلقى علومه الدينية فى مدينة « بخارى » ، وكان يدعو قومه إلى التمسك بشريعة الإسلام ، لأن فيها خلاص المسلم فى الدنيا والآخرة .

وقد استغاث السلطان العثمانى ١٧٩١ م بالإمام منصور الشيشانى لنجدة الجيوش التركية المحاصرة من قبل القوات الروسية فى « ميناء أتابا» على ساحل البحر الأسود فتوجه الإمام « منصور » على رأس قوة من الشيشان وهاجم القوات الروسية من الخلف واستطاع بذلك فك الحصار عن «ميناء أتابا» مما أتاح للعثمانيين إرسال قواتهم العسكرية لدعم صمود ذلك الميناء لكن الإمام منصور سقط جريحا وهو يحارب الروس فى إحدى القلاع ، فتمكنوا بذلك من أسره ونقله مقيدا بالسلاسل إلى مدينة بطرسبرج عاصمة القياصرة وقتئذ ، وهناك طلبت الإمبراطورة

(٤) (٥) المرجع السابق .

مشاهدة ذلك البطل أسيرا وهو الذى ألحق بجيوشها الهزائم المتكررة فى شمال القوقاز ثم أمرت بعد ذلك بسجنه فى جزيرة نائية وهناك تم قتله عام ١٧٩٤ م .

ومع ذلك لم يتمكن الروس فى عهد امبراطورتهم المشار إليها من احتلال القوقاز الشمالى لذلك عملت على زيادة القلاع والمستوطنات لرعاياها القوزاق النصارى على طول امتداد نهر التيرك «ونهر الكوبان» حتى اكتمل فى عهدها بناء ما يسمى خط القوزاق العظيم الذى امتد من بحر قزوين شرقا إلى البحر الأسود غربا[٦] .

انسحاب الجيش الروسى بعد وفاة الإمبراطورة كاترينا الثانية

لما تولى حكم روسيا القيصر بول ابن الإمبراطورة كاترينا الثانية أمر بسحب الجيوش الروسية من شبه جزيرة القرم ومن أذربيجان ومن داغستان الشرقية ، لكن هذا القيصر لم يعمر طويلاً لأنه قتل خنقا نتيجة مؤامرة داخلية ضده إذ كان ينوى التحالف مع نابليون امبراطور فرنسا وقتئذ ضد انجلترا حتى يقوم الاثنان بغزو الهند وانتزاعها من قبضة الانجليز ، ثم غزو تركيا العثمانية لاستعادة مدينة القسطنطينية من الأتراك المسلمين ليقدمها نابليون هدية منه للقيصر بول .

ولما تولى حكم روسيا القيصر الكسندر الأول خلفا لوالده بول كان يحلم هو الآخر مثل جدته كاترينا باستعادة مدينة القدس من المسلمين وإحياء الكنيسة فى القسطنطينية بعد استعادتها من العثمانيين لكن بدون التحالف مع نابليون الذى قام حينئذ بمهاجمة روسيا والاستيلاء على موسكو ، وفى انشغال حكومة روسيا بحرب نابليون أصبح القوقاز الشمالى والجنوبى خارج السيطرة الروسية .

لكن بعد هزيمة نابليون ١٨١٤ م وانتصار الحلفاء ، أصبحت روسيا القيصرية أقوى دولة عسكرية فى أوروبا[٧] .

أطماع الروس تراودهم مرة أخرى لغزو الشيشان

بعد خلو الساحة الأوروبية من نابليون ومعاركه العسكرية قام القيصر الكسندر الأول بتعيين قائد حرسه الحديدى (برملوف) ١٨١٨ م ليعاود الحرب ضد الشيشان بوصفهم ألد أعداء روسيا فى شمال القوقاز ، وقد استخدم ذلك القائد فى حربه سياسة غير إنسانية وهى أسلوب (الأرض المحروقة) فكان يدك القرى والبيوت بالمدفعية مما مكنه من إخضاع أجزاء السهول فى تلك البلاد فهرب السكان إلى الجبال التى تشكل الجزء الأكبر من بلاد الشيشان ، ومن هناك شنوا حرب العصابات بقيادة (تيمى بيبولت) ويدعونه صاعقة القوقاز فأنهك بهجماته الخاطفة (برملوف) وقواته الروسية ، وكبدها الخسائر الفادحة ، فتآمر الروس ضده وأفلحوا فى اغتياله ، ومع ذلك استمر الشيشان فى مقاومتهم الباسلة دون أن يستطيع « برملوف » إخضاعهم مما دعا «القيصر نيقولا» الثانى ١٨٢٧ م إلى عزله مكتفيا بما سبق احتلاله من السهول دون باقى بلاد الشيشان وحول ذلك القيصر المشار إليه اهتمامه إلى طرد الإيرانيين والأتراك العثمانيين من أذربيجان وجورجيا وأرمينيا وشبه جزيرة القرم ، وتم له كل ذلك عام ١٨٢٩ م ، وبسقوط جنوب القوقاز بأكمله فى

أيدى الروس أصبحت جميع منطقة القوقاز الشمالى والجنوبى تحت الحكم الروسى فيما عدا الأجزاء الجبلية فى الداغستان ، وبالتحديد «منطقة أفاريا» التى فى الجزء الغربى منها ، وكذلك الأجزاء الجبلية من بلاد الشيشان[٨] .

اصطدام الروس مع الشيشان فى حرب القوقاز الأولى

اعتقد الروس بعد نجاحهم فى طرد الإيرانيين والأتراك من القوقاز الجنوبى وشبه جزيرة القرم أنهم سيطروا على جميع القوقاز ، وحاولوا بعد ذلك الاستيلاء على «أفاريا» وباقى بلاد الشيشان الجبلية تمهيداً لقيامهم بغزو الهند لكنهم لم يفلحوا فى إخضاع « أفاريا » وباقى بلاد الشيشان واستمرت المقاومة منهم طيلة ثلاثين سنة فقد الروس فيها أكثر من نصف مليون جندى وضابط وجنرال ، وقد سُمِّيت هذه الحرب فى كتب التاريخ الروسية والأوربية بحرب القوقاز الأولى ، وأعلن فيها الشيشان والداغستان الجهاد المقدس . بقيادة (الإمام غازى محمد وتلميذه الإمام شامل) وقد ألحقا بالقوات الروسية العديد من الهزائم إلا أن الروس تمكنوا ١٨٣٢ م من محاصرة قرية (غمرى) معقل المقاومة حيث دارت معركة رهيبة من بيت لبيت نجح الروس بنهايتها فى القضاء على جميع سكان تلك القرية واستشهد فى هذه المعركة الإمام غازى محمد لكن تلميذه الإمام شامل تمكن من الفرار رغم إصابته بجرح بالغ .

بعد شفاء الإمام شامل قاد المقاومة الوطنية فى الداغستان واستمر فى حرب الروس ، إلا أن الروس أفلحوا فى إلحاق الهزيمة به ١٨٣٩ م ومع ذلك لم يستسلم بل توجه إلى بلاد الشيشان فنادوا به زعيما وإماما عليهم ، ونزلوا من الجبال بأعداد كبيرة بحيث تجمع للإمام شامل جيش كبير من المحاربين الشيشان الأشداء ، وبهذا الجيش ألحق الهزيمة بالجيوش الروسية واسترجع جميع بلاد الداغستان ، وحَرَّرَ الأجزاء السهلية من بلاد الشيشان ، وبذلك طرد الروس من معظم شمال القوقاز .

شجعت انتصارات « الإمام شامل » الشراكسة فى الغرب على سواحل البحر الأسود على مقاومة الروس فقاموا بمهاجمة القلاع الروسية ، وأبادوا جميع من فيها من قوات واستمر الإمام شامل فى حربه ضد الروس فى شمال القوقاز حتى عام ١٨٥٩ م إذ جمع الروس جموعهم الكثيرة وتقابلوا معه فى معركة (غوتيت) فتمت الغلبة لهم ، واستسلم الإمام شامل لكن الشيشان لم يخضعوا للهزيمة ولجئوا مرة أخرى للجبال وعادوا لحرب العصابات بقيادة (بويسفر الشيشانى) واستمروا فى المقاومة حتى عام ١٨٦٤ م حيث تمكن الروس من أسره وقتله مع رجاله وبهذه النهاية المؤسفة انتهت حرب القوقاز الأولى التى كان شعب الشيشان ضحيتها إذ دمرت بلادهم وقتل الكثير منهم وهبط تعدادهم من جراء هذه الحرب إلى النصف فى الجبال وإلى الربع فى السهول[٩] .

استمرار مقاومة الشيشان للروس بعد ذلك

برغم تلك الخسائر الباهظة فى صفوف الشيشان من جراء حرب القوقاز الأولى التى تمت الإشارة إليها فيما سبق فإنهم كانوا دائما وكلما أتيحت لهم الفرصة وتوفرت لهم القوة يقومون بمقاومة الحكم الروسى ، وأشهر حركات المقاومة تلك التى قادها الشيشانى (علباك حجا) ١٨٧٧ م

واستمرت عاما واحدا لكن الروس قضوا عليها وأعدموا قائدها وجميع رجاله .

كما قامت حركات للمقاومـــة الشيشانيـــة ١٩٠١ م وكذلك ١٩٠٥ م لكنها فشلت جميعها إذ قام الروس بقمعها بمنتهى الشدة وأعدموا كل من شارك فيها[١٠] .

مظاهر الحقد والتعصب الروسى ضد شعب الشيشان فى زماننا المعاصر

١ ـ عندما اندلعت الثورة الشيوعية فى ١٩١٧ م قام المستوطنون الروس باحتلال السهول الشمالية لبلاد الشيشان لاسيما بعد اكتشاف النفط فى منطقة العاصمة «جروزنى» وجذب ذلك أيضاً عدداً كبيراً من عمال الروس إلى هناك .

٢ ـ وفى عام ١٩٣٦ م قرر الاتحاد السوفيتى اعتبار بلاد الشيشان جزءاً من الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، لكن بعد انتصاره مع الحلفاء أصدر ستالين رئيس الاتحاد السوفيتى ١٩٤٦ م قراراً بالغاء جمهورية الشيشان من الوجود وتشتيت شعبها وإبعادهم عن وطنهم إلى مناطق التعمير الخاصة فى أواسط آسيا ، وقد هلك ثلث شعب الشيشان فى تلك الرحلة المشؤومة .

٣ ـ بعد هلاك الطاغية ستالين أعيد شعب الشيشان إلى بلاده وكان ذلك فى عام ١٩٥٧ م ، وفى عام ١٩٦٠ م تمت إعادة ذلك الشعب إلى إرضه على مرحلتين[١١] .

٤ ـ لما انفرط عقد الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٩١ م أعلنت جمهورية الشيشان استقلالها الكامل عن الاتحاد الروسى الجديد ورفض زعيمها (جوهر دوداييف) التوقيع على المعاهدة الاتحادية مع الروس ، كما تقدم بمشروع خاص للإصلاح الدستورى فى بلاده نص فيه علي إعلان (الإسلام دين الدولة) وأدخل نظام المحاكم الشرعية إلى جنب المحاكم المدنية ، وفتح جميع المساجد التى أغلقها الشيوعيون .

٥ ـ إزاء فشل الروس فى حمل زعيم الشيشان على الإذعان لأوامراهم قاموا مؤخرا فى ١١ ديسمبر ١٩٩٤ م بالهجوم الضارى بجيوشهم على بلاد الشيشان فرد عليهم الجنرال « جوهر دودايف » بتعبئة مقاتلى الشيشان وطرد أعوان الحكومة الروسية من بلاده وكشف فى وقت سابق يوم ١٦ نوفمبر ١٩٩٤ م عن وثيقة روسية قذرة وضعها أمام الرأى العام العالمى وتقضى صراحة بتعاون كافة الأجهزة والمؤسسات الروسية المختلفة لتهجير جميع شعب الشيشان تهجيرا إجباريا من أرضه وتوزيعه على مختلف أرجـــاء الأراضى الروسية .

٦ ـ وبرغم أن حجم دولة الشيشان ضئيل إذا قورن بحجم الدولة الروسية المعتدية إلا أن رجال الشيشان قاتلوا قوات الروس قتالا أذهل العالم بشجاعتهم ومازالت المعارك مستمرة سجالا بين الطرفين حتى الآن بين مليون شيشانى يقفون أمام ٢٠٠ مليون روسى[١٢] .

---

٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) المرجع السابق .

(١١) (الشيشان وهل يعيد التاريخ نفسه) مقال بقلم الدكتور عبد الحميد صالح حمدان أستاذ سابق لمادة التاريخ الإسلامى ، نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ٨ شعبان ١٤١٥ هـ ـ ٩ يناير ١٩٩٥ م .

(١٢) (الشيشان : لماذا الدفاع عن الذات) مقال بقلم الدكتور محمد حرب رئيس المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث : العالم التركى والبلقان ، نشر بجريدة الأهرام فى ٢٢ رمضان ١٤١٥ هـ ـ ٢٢ فبراير ١٩٩٥ م .

وبعد ، فإنه إذا كان من المؤسف أن المسئولين فى النظام العالمى الجديد وعلى قمته الولايات المتحدة الأمريكية يغضون الطرف عما يجرى فى بلاد المسلمين عامة ، وفى بلاد الشيشان بما حشدته روسيا من قوات وطائرات ودبابات ومدفعية لسحق السكان المسلمين وإبادتهم وتدمير المرافق هناك دون أن ترحم فى ذلك طفلا أو امرأة أو عجوزا ، ولم تفرق بين مستشفى أو مسجد أو مخبز أو مصنع وبين الأهداف العسكرية ، ودون احترام لأبسط مبادىء حقوق الإنسان فى القانون الدولى .

بل إن الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت على لسان رئيسها (كما ذكرته وسائل الإعلام المختلفة فى حينه) أن ما يحدث فى الشيشان مسألة داخلية برغم أنه لا يوجد بين شعب الشيشان وبين الشعب الروسى أى عناصر مشتركة فى اللغة والجنس والدين والتقاليد والتاريخ ، أو غير ذلك من العناصر ؛ بل بين الشعبين تدابر روحى وتنافر جسدى ، إذا كان ذلك مؤسفا فإن من المؤلم ، بل من المخجل حقا أن يُطْبِقَ الصمت الثقيل على جميع الدول الإسلامية والدول التى تزعم أنها محبة للسلام فلا تتحرك أى منها بإدانة العدوان الروسى ، أو بقطع العلاقات السياسية أو الاقتصادية أو حتى بمجرد الاحتجاج ، وهو أضعف الإيمان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وإذا رجعنا إلى قواعد القانون الدولى الإنسانى المطبق فى المنازعات المسلحة الواردة باتفاقيات جنيف ١٩٤٩ م والملحقين أى (البروتوكولين) الإضافيين الموقعين فى جنيف ١٩٧٧ م والتى اشتركت فى إعدادها وتوقيعها دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، نجد الملحق الثانى قد أسهب فى شرح أوجه الحماية الواجبة للسكان المدنيين من أحطار مثل هذه الحروب ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ إنه لا يجوز أن يكون السكان المدنيون محلا للهجوم .

٢ ـ حظر أعمال العنف وبث الذعر بين السكان .

٣ ـ يحظر تجويع المدنيين .

٤ ـ يحظر مهاجمة أو تدمير مصادر الغذاء ومياه الشرب وأشغال الرى .

٥ ـ ألا تكون المنشآت التى تحوى قوى خطيرة محلا للهجوم حتى لو كانت أهدافا عسكرية حتى لا يعرض تدميرها السكان للخطر .

وقد انتهك الروس كل هذه القواعد ولم يراعوا احترامها على الإطلاق فى عدوانهم الآثم على بلاد الشيشان[١٣] .

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾

الشعراء ـ ٢٢٧ .

(١٣) عن مقال (حرب الإبادة فى الشيشان والبوسنة والقانون الدولى الإنسانى) بقلم الدكتور سمير محمد فاضل خبير القانون الدولى ، نشر بجريدة الاهرام بتاريخ ٢٥ / ٢ / ١٩٩٥ م .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السؤال من السيد ج . س . ح

أرغب فى الزواج من إحدى قريباتى ولكنى قد علمت أنها رضعت من أمى مع أختى وقد سألت أمى عن عدد الرضعات ولكنها لا تتذكر عدد الرضعات .

فهل يجوز لى التزوج منها أو إحدى أخواتها ؟ أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد ..

فنفيد بأنه برضاع هذه الفتاة من أم الفتى خمس رضعات متفرقات أصبحت أختا لهذا الفتى وبنتاً لهذه المرضعة وحرمت على كل أبنائها وعلى ذلك فلا يجوز لهذا الفتى أن يتزوج من هذه الفتاة والله ـ تعالى ـ أعلم .

السؤال من السيد ع . ع . م

من المعلوم أن الرسل الذين يجب الإيمان بهم هم خمسة وعشرون كما ورد ذكرهم فى القرآن الكريم ولكن الكتب السماوية نزلت على أربعة منهم فقط .

فالزبور على سيدنا داود ، والتوراة على سيدنا موسى ، والإنجيل على سيدنا عيسى ، والقرآن على سيدنا محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

فما بال بقية الرسل فعلى أى شىء يعتمدون فى إبلاغ دعوتهم إلى أقوامهم ؟

وما المقصود بالصحف التى نزلت على سيدنا إبراهيم وعلى سيدنا موسى ؟

وما الفرق بينها وبين الكتب ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الإجابة :

جميع الأنبياء مائة ألف نبى وأربعة وعشرون ألف نبى منهم المرسلون بالوحى شفاهاً ثلثمائة وخمسة عشر نبياً ، وجميع ما أنزل الله ـ تعالى ـ من الكتب مائة كتاب وأربعة كتب ، من ذلك مائة صحيفة أنزلها الله ـ تعالى ـ فيما بين آدم وموسى .. فأول كتاب منها أنزله الله اسمه صحف آدم ـ عليه السلام ـ وهى إحدى وعشرون

صحيفة ، والكتاب الثانى أنزله الله على شيث ـ عليه السلام ـ وهو تسع وعشرون صحيفة ، والكتاب الثالث الذى أنزله الله ـ تعالى ـ على أخنوخ وهو إدريس ـ عليه السلام ـ وهو ثلاثون صحيفة ، والكتاب الرابع أنزله الله على إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو عشر صحائف ، والكتاب الخامس أنزله على موسى وهو عشر صحائف فذلك خمسة كتب ومائة صحيفة ثم أنزل الله ـ تعالى ـ التوراة على موسى بعد الصحف بزمان فى عشرة ألواح .

وأساس دعوة الأنبياء والرسل جميعاً افعل ولا تفعل أمر ونهى وألا يعبد الإنسان إلا الله ـ تعالى ـ وكل ما سواه فهو باطل .

السؤال من السيد أ . أ . ح من السنبلاوين ـ الدقهلية :

يقول رسول الله ﷺ : « ليس فيما دون خمسة أو سق صدقة ، وليس فيما دون خمس أواق ، وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة .

(أ) ١ ـ مانصاب الزرع والحبوب بالكيلو جرام : من :

القمح ـ القطن ـ البرسيم ـ الموالح ـ الزبيب ـ التمر .

ومتى يخرج الزكاة ، وماقيمة الزكاة إذا كانت الأرض بالإيجار أو ملك ، وهل يخرج قيمة الإيجار من المحصول أولًا ، ثم يخرج الزكاة من الباق إذا بلغ النصاب .

٢ ـ البرسيم يحش أربع مرات أو أقل فما تكون قيمة الزكاة ، وهل تكون زكاة البرسيم على كل (حَشَّة) أم آخر حشة .

(ب) ١ ـ ما نصاب المواشى من :

الجاموس ـ البقر ـ الجمال ـ البغال ـ الحمير ـ الخيل .

وما قيمة الزكاة ومتى تخرج ، وهل يجوز إخراجها لطلاب العلم ؟

٢ ـ هل على الجاموس زكاة ؟

(جـ) ١ ـ ما نصاب الفلوس والأوراق النقدية والذهب والفضة ؟

٢ ـ هل على فلوس البنك زكاة ، أم البنك يخرج الزكاة عنها من أسهم ـ ودائع ـ أمانات ـ أرباح ؟

(د) ١ ـ اتفق جمهور العلماء والفقهاء على أن مسافة القصر (٤) برد أو (٤٨) ميل نرجو المسافة بالكيلو مترات ، ومتى يبدأ وينتهى ؟

٢ ـ هل على طلاب المرحلة الثانوية القصر فى الصلاة والجمع والتقديم علماً بأن الدراسة فى الفترة المسائية وتبعد المدرسة عن هذا البلد عدة كيلو مترات ، علماً بأن الظهر يؤذن وطلاب المدرسة بداخل المدرسة والعصر أيضاً وليس فى المدرسة مسجد ، هل يصلون الظهر قبل آذان الظهر ، أم يصلون الظهر مع العصر فى وقت العصر ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الإجابة :

السؤال الأول :

ماهو نصاب الزرع والحبوب بالكيلو جرام .

الجواب :

زكاة الزرع والثمار ثبتت فرضيتها بالدليل العام للزكاة وزيادة على ذلك بدليل خاص من الكتاب

والسنة قال ـ تعالى : ﴿وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ وقال ﷺ : « ما سقت السماء ففيه العشر وماسقت غرب (دلو) ففيه نصف العشر ، وشروطها شروط الزكاة العامة ـ العقل والبلوغ ولكن هذين الشرطين غير معتبرين فى زكاة الزرع والثمار فتجب فى مال الصبى والمجنون ، ولا يشترط فيها نصاب ولا حولان الحول وهذا أنفع للفقير وعند من رأى أنها تجب فيما يقتات اختياراً كالبر والشعير فقد جعل نصاب ذلك بالكيل المصرى أربعة أرادب وكيلتين وبذلك يكون بحساب الكيلو جرام ٦٢٤ كيلو ويخرج زكاتها يوم الحصاد فى كل ما أخرجته الأرض سواء كانت الأرض ملكاً أو إيجاراً ويخرج الزكاة بصرف النظر عن دفع قيمة الإيجار مقدمًا وبدون أن تخصم منه النفقات .

السؤال الثانى :

البرسيم يحش أربع مرات أو أقل فما يكون قيمة الزكاة وهل تكون زكاة البرسيم على كل حشة أم آخر حشة ؟

الجواب :

الواجب فى ذلك تطبيقاً للقاعدة السابقة التى قال بها الحنفية أن الواجب إخراجه من البرسيم عند كل حشة العشر إذا كان يسقى بغير آلة ونصف العشر إن كان يسقى بآلة .

السؤال الثالث :

ماهو نصاب المواشى من : الجاموس ـ البقر ـ الجمال ـ البغال ـ الحمير الخيل .

الجواب :

نصاب البقر والجاموس ثلاثون وليس فيما دون ذلك زكاة ونصاب الجمال خمسة وليس فيما دون ذلك زكاة .

ولاتجب الزكاة فى البغال والحمير والخيل .

السؤال الرابع :

ماهو نصاب الفلوس والأوراق النقدية والذهب والفضة ؟

الجواب :

جمهور العلماء يرون وجوب الزكاة فى الأوراق المالية لأنها حلت محل الذهب والفضة فى التعامل ولم يخالف فى ذلك إلا الحنابلة وقالوا لا تجب زكاة الورق النقدى إلا إذا صرف ذهباً أو فضة ووجبت فيه شروط الزكاة .

والنصاب من الذهب عشرون مثقالًا وهذا يساوى ٨٤,٤ جراماً يضرب فى سعر يوم إخراج الزكاة .

ونصاب الفضة مائتا درهم ، ولا فرق بين أن يكون الذهب والفضة مضروبين أو غير مضروبين ، وهذا فى غير الحلى ، أما الحلى ففى زكاته تفصيل .

السؤال ٢ ـ جـ

هل على فلوس البنك زكاة ؟ إلخ ..

الجواب :

نعم فالأوراق المالية من قبيل الدين القوى الذى تجب فيه الزكاة .

السؤال ١ مجموعة (د)

اتفق جمهور العلماء والفقهاء على أن مسافة القصر (٤) برد أو (٤٨) ميل نرجو توضيح المسافة بالكيلومترات ومتى يبدأ ومتى ينتهى ؟

الجواب :

المسافة التى تشترط لصحة قصر الصلاة بالكيلو مترات هى ثمانون كيلو ونصف كيلو ومائة وأربعون متراً ، ويقصر الصلاة متى جاوز العمران من موضع إقامته وينتهى عند وصوله إلى المكان الذى ينوى الإقامة فيه .

السؤال ٢ من المجموعة (د)

هل على طلاب المرحلة الثانوية القصر فى الصلاة والجمع والتقديم علماً بأن الدراسة فى الفترة المسائية وتبعد المدرسة عن هذه البلد عدة كيلو مترات علماً بأن الظهر يؤذن له والطلاب بداخل المدرسة والعصر أيضاً وليس فى المدرسة مسجد هل يصلون الظهر قبل الأذان أم يصلون الظهر مع العصر فى وقت واحد ؟

الإجابة :

إجابة على هذا السؤال نقول إن شروط قصر الصلاة الرباعية فى هذه المسألة لا تنطبق عليها وبالتالى لايجوز القصر ولا الجمع ، كما لاتجوز الصلاة قبل الأذان والعلم بدخول الوقت ــ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا ــ وعلى طلاب مثل هذه المدارس أن يغتنموا أدنى فاصل زمنى بين فترات الدراسة لأداء الصلاة .

السؤال من السيد : ح . ع . أ

ما حكم الحروف المتقطعة فى القرآن الكريم وماعددها ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

عدد الحروف المتقطعة التى ابتدأت بها سور القرآن الكريم ٢٩ وحكمها التوقف في بيان معانيها وإن كان المفسرون قد اجتهدوا كثيراً فى ذلك ولهم أراء وأقوال فى بيان ماتشير إليه وتجدها مذكورة فى كتب التفاسير .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

آثار الحسنة ... وآثار السيئة

قال ابن عباس – رضى الله عنهما:

إن للحسنة لنوراً فى الوجه ، وقوة فى البدن ، وزيادة فى الرزق ، ومحبة من الخلق .

وإن للسيئة : لغَبَرةً فى الوجه ، ووهنا فى البدن ، ونقصاً فى الرزق وبغضا من الخلق .

هى أحسنت إلى ... وأنت أسأت

غضب أعرابى على ولده ، فقال له : أتعصانى وتشمخ بأنفك يا ابن الأمة ؟

فأجاب الولد : يا أبت هى والله خيرٌ لى .

فقال الوالد : وكيف يكون هذا ، وهى أمة وأنا حر ؟

فأجاب الولد : ذلك لأنها أحسنت إلى فولدتنى من حر ، وأنت أسأت إلى وأخطأت لاختيار فولدتنى من أمة .

فى طلب الرزق

دعا أعرابى ربه فقال : اللهم إن كان رزقى نائيا فقربه أو قريبا فيسره ، أو ميسرا فعجله أو قليلا فكثره أو كثيرا فثمره .

«حقاً»

قال على بن الجهم :

كم من عليل قد تخطاه الردى
فنجا ومات طبيبه والعُوَّدُ

ماتركت لى موضعا

قال شاعر لعَبد الملك بن مروان :

إنى أريد أن أسر إليك شيئا ؟

فقال عبدالملك لأصحابه : انهضوا ، وأُخلى المجلس ، وقال للشاعر :

قل ماشئت فأنت فى حل .

قال الشاعر :

والله إنى أريد أن أمدحك ؟

فقال عبدالملك :

قف لاتمدحنى ، فأنا أعلم بنفسى منك ولاتكذبنى فإنه لا رأى للكذوب ولا تغتب عندى أحدا ، فإن المغتاب عند الله ذميم .

فقال الشاعر : والله ماتركت لى موضعا للكلمة .

«ميـــل»

الطرب : خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو شدة الجزع ، وليس فى الفرح فقط كما تظنه العامة

قال النابغة :

وأرانى طربا فى إثرهم
طرب الواله أو كالمختبل

«بين أمير وصاحب حاجة»

دخل رجل من الفصحاء صاحب حاجة على أمير فقال : السلام على الأمير ورحمة الله .

فرد الأمير السلام ، وقال : خيرا ياأعرابى إن شاء الله ، هل لك حاجة ؟

فقال الأعرابى : إن حاجتى بين يديك

قال الأمير : قل وأوجز .

فقال الأعرابى : أيها الأمير ، لو أردت أن استشفع إليك ببعض مايثقل عليك لوجدت ذلك سهلا ، ولكنى استشفعت إليك بقدرك واستعنت عليك بفضلك ، فإن أردت أن تضعنى من كرمك بحيث وضعت نفسى من رجائك فافعل ، فانى لم أكرم وجهى عن مسألتك فأكرم وجهك عن ردى .

بين أبى العيناء وشاعرة

عرضت على المتوكل جارية شاعرة ، فأمر أبو العيناء الشاعر ليختبرها .

فقال أبو العيناء للشاعرة :

أتقولين الشعر كما يقولون ؟

فقالت الجارية : نعم أقوله وأجيده .

فقال أبو العيناء : إليك شطرا واحدا من بيت واحد فأكمليه :

الحمد لله كثيراً

فقالت الجارية :

حيث أنشأك ضريرا

على البديهة

قال رجل « لصالح بن عبدالقدوس » أسألك على البديهة :

الموت باب وكل الناس داخله
فليت شعرى بعد الباب : مالدار

فقال صالح بن عبدالقدوس :

وأنا بدورى أرد عليك على البديهة :

الدار جنات عدن إن عملت بها
يرضى الإله وإن خالفت فالنار

«نصيحة»

قال أبو الأسود الدؤلى لابنه :

يابنى ، إن كنت فى قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك .

ولا بكلام من هو دونك فيزدروك .

«دعاء»

اللهم إنى أعوذ بك من شر الخلق وهم الزرق ، وسوء الخلق ياأرحم الراحمين ، ويارب العالمين .

من الأعلام المعاصرين

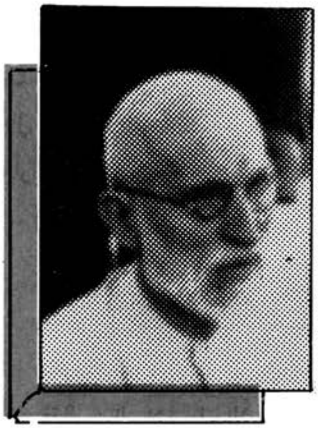

شيخ الإسلام ....

مصطفى صبري

الأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

حين كتبت بحثى المتواضع عن الشيخ محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة الإسلامية « بتركيا » ؛ كتب إلىّ بعض الفضلاء من المخلصين يرجون كتابة بحثٍ تالٍ عن الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام فى دولة « آل عثمان » ، ويعلم الله أن الرجل الكبير لم يكن غائباً عن ذهنى ، ولكنىّ أشفقت من الحديث عنه لتشعّب ميادينه ، واستعصاء ساحاتها الرحيبة على أن أحيط بها خُبْراً ، على أنّ فى الاجتزاء بالخطوط الواضحة مايشفع فى إغفال الملامح الدقيقة ، والغضون الناحلة التى تلوح وتختفى فى الجبين العريض .

إنىّ ماذكرتُ الشيخ الكبير إلا توافدَ على ذهنى هذا الوصف العربى القديم لصاحب الصيحة المجلجلة فى المأزق الضائق وهو (النذير العريان) إذ كان من عادة الأسلاف حين تلوح بوادر الخطر ويتنبه لها ذو بصر سديد أن يخلع ثيابه ، ويقف صائحا فوق مرتفع من الأرض ، ويقول مشيراً إلى ثوبه المخلوع وقد جعل يحركه عن يمين وشمال : « لقد حانت الكارثة ، أنا النذير العريان » ، فيعلم السامعون أن الأمر جدّ ، ويسرعون للتأهب العاجل دون انتظار .

لقد انتصر مصطفى كمال فى موقعة « أزمير » ، فضج العالم الإسلامى بالفرحة ، ولم يذر أنّ الرجل بتاريخه الماضى المريب سينقلب على تعاليم الإسلام انقلابة الكاره الجحود ، فرنت

القصائد مادحة للمنتصر ، وتوالت المقالات مقرظة مهنئة ، وعَرف مصطفى صبرى وحده ما ستأتى به الأيام من كوارث ماحقة ، فوقف موقف النذير العريان ؛ ليعلن ما يتوقعه من الخطر الماحق ، ويحدد أبعاد الكارثة المنتظرة ، فكان النذير العريان حقاً مع فارق فاجع هو أن النذير القديم كان يجد المستمع المؤيد ، والمستجيب المتحمس ، أما شيخ الإسلام فلم يجد غير التراب يلقى فى وجهه ، إذ وقف المخدوعون يحصبونه فى غير هوادة ، ويلجون إلى الضمائر فيتهمونه بالغرض اللئيم « والحقد المتأجج » ويكيلون الأمداح للذئب الأغبر المتربص فى « أنقره » ، وفيهم من يجعل الشيخ باكيا على مجده الغابر ، وحزيناً على مشيخة الإسلام التى فارقهما باختياره ؛ كانت الحرب ضروساً زبوناً لاتعرفُ الهوادة ولا وقود لها غير كرامة الرجل وسمعته وماضيه ، فلم ينثن عن عزمه ، وواجه الجموع المتراصة فى عدة جرائد يومية مواجهة المؤمن بحقه ، الواثق برأيه ، ولاتسل عن انحدارات الأقلام فى صحائف استعمارية لا تكن للإسلام قدراً ضئيلا من الإنصاف ! فقد هبت جميعها تلعن من قالت عنه : (الشيخ الهارب) ووجدت من القراء من وافق وأيد؛ لأن مصطفى كمال قد خدع الألباء حيناً من الدهر ، فكيف بالدهماء ؟ ، خدع شعراء الصف الأول من أمثال: أحمد شوق ،وأحمد محرم ، وأحمد الكاشف ، وخدع شيوخاً لم يعرفوا تاريخ الذئب الأغبر وصدقوا الإعلام التركى السفيه ، حتى إذا وقعت الكارثة ، وسقطت الخلافة ، وحوربت الشريعة وامتهنت الحدود الإسلامية ، رجع التائهون إلى عقولهم الغائبة وعضوا بنان الندم على ما أسلفوه ، وكان شوقى أبرع من صور هذه الرجعة الحميدة حين قال عن الزعيم الخادع فى غضب واستنكار .

أدوا إلى الغازى النصيحة ينتصح ... إن الجواد يثوب بعد جماح
إن الغرور سقى الرئيس براحه ... كيف احتيالك فى صريع الراح ؟
تركته كالشبح المؤله أمة ... لم تسل بعد عبادة الأشباح
هم أطلقوا يده كقيصر فيهمو ... حتى تناوله كلٌّ غير مباح
غرته طاعات الجموع ودولة ... وجد السواد لها هوى المرتاح
مالى أطوقه الملام وطالما ... قلدته المأثور من أمداحى
الحق أولى من وليك حرمة ... وأحق منك بنصرة وكفاح

ولد شيخ الإسلام فى (توقاد) من بلاد الأناضول سنة ١٨٦٩م ، ونشأ نشأة علمية فى كنف والد حريص على أن يكون ابنه من كبار الفقهاء فى المذهب الحنفى ، فأبدى نبوغاً مبكراً اجتاز به دور الطلب سريعاً ؛ حيث صار مدرساً بجامع السلطان محمد الفاتح فى سن الثانية والعشرين من عمره ، وقد كان متيقظاً لأحداث عصره السياسية ، مشاركاً بقلمه فى إيضاح الرأى الإسلامى ، ومكافحاً مايراه من دلائل الظلم والنفاق والمروق ، وقد بدأ عمله السياسى

بعد إعلان الدستور العثمانى الثانى سنة ١٩٠٨ حيث انتخب نائباً عن بلدته (توقاد) وكانت لمقدرته الخطابية آثار هامة فى اجتذاب فريق من النواب إلى رأيه المعارض فى مجلس النواب، لأن القائمين على سياسة الدولة حينئذ من الاتحاديين قد عملوا على محاربة من دون الترك من تابعى الدولة، وأذكوا نار العصبية للطورانية وحدها، وهو ماينكره علماء الإسلام، وظهرت مؤلفات تهاجم العرب والأروام والكرد والألبان من المسلمين وتعدهم فى الدرجة الثانية التى لاتلحق بالطورانيين هذا إلى السيطرة البالغة على أدوات الإعلام من صحافة وكتب وأندية تلقى بها المحاضرات، وقد خدع المسلمون فى العالم الإسلامى بما يتشدق به الاتحاديون من مبادىء الحرية والاستقلال، تشدقا ينتسب إلى القول وحده، دون الواقع المرير، حتى رأينا مؤلفات مستقلة تتحدث عن شوكت ونيازى وأنور من زعماء الاتحاديين، وكأنهم معجزة الانقاذ للكون كله لالتركيا والعالم الإسلامى، وظهر من كتاب الاتراك فلاسفة يؤصلون النزعة الطورانية، ويحتفلون بذكرى «جنكيزخان» و«تيمورلنك» و«هولاكو» ناسين خلفاء الدولة العظام الذين سيطروا على نصف أوربا حيناً من الدهر، والسبب فى ذلك أنهم خلفاء يعتزون بالإسلام، وفى صحف مصر ـ حينئذ ـ قصائد رنانة خدع أصحابها بالاتحاديين، فكانوا يمجدونهم فى كل مناسبة على نحو ما قال حافظ إبراهيم كمثل مما قيل:

إذا «شوكت» الفاروق قام مناديا ... إلى الحق لباه «نيازى» وصاحبه[1]
ثلاثة آساد يجانبها الـــردى ... وإن هى لاقاها الردى لاتجانبه
رجال من الإيمان ملاى نفوسهم ... وجيش من الأتراك ظمأى قواضبه

وإذا كان مصطفى صبرى قد كشف نيّات هؤلاء العُنْصريّين، ووقف على ما يُدبرّون لمن عداهم من المسلمين، فقد بات مهدداً بالاغتيال؛ ففرّ إلى مصر سنة ١٩١٣م. وكَتَبَ فى الّصحف ما يكشفُ سوءات هؤلاء، ولكن بعض الغافلين قد ناقضوه وأقلقوا مقامه، فسافر إلى أوروبا دون أن يترك صيحاته المحذرة، وجاء إعدام الشهداء فى سوريا على يد جمال السفاح مؤكداً لما قاله شيخ الإسلام، ثم اندلعت الحرب العالمية الأولى فتسرع الاتحاديون إلى الانضمام إلى ألمانيا عن نزق عجول، لم يزن الواقع السياسى بميزان الاتئاد المطمئن، لأن إعلان الحرب ليس ملهاة يقوم بها ثلاثة أو أربعة ممن يلون الزمام انخداعاً بأوهام يلفقها سفير محنك ليضم البلهاء إلى صفه! وكانت الكارثة محققة حين هزمت تركيا وفر زعماء الاتحادين من البلاد مكللين بالعار، ومن مضحكات الزمن أن يكتب علمانى جهول عن الخلافة العثمانية فيدعى أنها جرت الهزيمة على تركيا! مع أن الذى أعلن الحرب هم الاتحاديون ذوو الأمر والنهى، إذ نزعوا السلطة من الخليفة، وأصبح معزولاً لا يقوم بغير صلاة الجمعة كل أسبوع!! وهكذا صدقت فراسة مصطفى صبرى فى هؤلاء الأغرار، ورأى ببصيرته الجو صالحاً لعودته بعد فرار الاتحادين، فرجع سريعاً ليزاول نشاطه السياسى فى الأستانة،

(١) «شوكت» و«نيازى» كانا من ضباط جمعية الاتحاد والترقى التركية، ويريد بالصاحب: أنور باشا القائد المعروف.

وسارت له إذ ذاك سمعة ممتازة بين عارفى فضله ، ومقدرى كفاحه ، فعين عضواً فى مجلس الشيوخ ثم اختير شيخاً للإسلام والمسلمين وناب عن (الصدر الأعظم) فى رياسة الوزارة حين سافر إلى المفاوضات ! وتصدره فى هذه المجالات الساطعة المرموقة لم يأت من فراغ ، فبين علماء الإسلام فى تركيا من كانوا فى مرتبة أساتذته ، ولكنهم عكفوا دائبين على دروسهم العلمية فى المساجد فانحصرت جدواهم فى الدائرة العلمية وحدها ، أما السياسة فلها من نوابغ العلماء من عايشوا العصر معايشة الخبير الدارس ، وقد يكتوون بنار السياسة ، ولكنهم فرحون بما يلقون كل آية من عناء ، لأنهم ـ حقيقة ـ ورثة الأنبياء .

توارى الاتحاديون ، وجاء الكماليون ، وشيخ الإسلام يعرف جيداً تاريخ مصطفى كمال ، ويعلم أنه مغامر منتهز ، وقد أرضى بريطانيا وفرنسا بما بذله من وعود تحقق آمال أوروبا كلها فى إسقاط الخلافة ! حيث لم ير الأوروبيون أن يكتفوا بعزل الخليفة دون قرار رسمى عن شئون الدولة ، واختصاره على المظاهر الدينية وحدها ، بل آثروا البتر النهائى للخلافة !! تلك التى تجمع كلمة المسلمين فى المشرق والمغرب ، ولئن ضعفت الآن فقد تأتى الأيام بما يعيد لها القوة والنفوذ فتكون شجى فى الحلوق ، ووقراً فى الآذان ، ولم يطل الوقت ، حيث خطا مصطفى كمال الخطوة الأولى إذ أعلن رسمياً فصل السلطة عن الخلافة ، مدعياً أن مجلس الأمة هو الذى سيدير دفة الحكم ، فلا تصير بذلك فى يد واحدة ، وهنا عرف مصطفى صبرى أنه لا يستطيع المعارضة فى أنقرة ، فاتجه إلى مصر ليواصل جهاده الطويل .

هاجر شيخ الإسلام مصطفى صبرى إلى مصر لا ليجد الراحة بعد العناء ، بل ليرى الإرهاق المتواصل ، والكد المتشعب ، فقد كان عام ١٩٢٣ م الذى سبق إلغاء الخلافة ، ومهد للأذهان بقبول هذا الإفك الصارخ ، أشق الأعوام بأساً فى حياته النضالية ، لأنه أتى إلى مصر ليفضح ستائر التمويه التى أسدلها الكماليون على ضغائنهم المستترة ، فرأى الجو مسمماً بالتهريج السطحى الهاتف بأعمال كمال أتاتورك ، فالملاحدة من ذيول الغرب يرون فيه المثل الأعلى للإنقاذ العاجل من سنوات التقهقر والانحدار ، كما يرون معارضيه أمثلة متخلفة للرجعية والجمود ومناوءة التقدم ، ولهم جرائدهم الذائعة ، وجاههم الممتد فى المناصب والمحافل والندوات ، وإذا كتب المهاجر المخلص ردوده على مزاعم هؤلاء لم تنشر على وجهها الصحيح ، وإذا نشر بعضها دون بعض تلقفها الشتامون المتخرصون لينتقلوا من الموضوعية إلى الذاتية فيقول قائلهم : إن شيخ الإسلام التركى يبكى سلطانه الجائر حين كان أداة الطغيان فى أيدى الظلمة من السلاطين ، وهو يحن إلى عهود السيطرة الغاشمة ليكون صاحب الكلمة المسموعة ونائب الصدر الأعظم ! وقد رأى الشيخ المهاجر أن يترك الرد الصحفى حيث لا يتاح له أن يقول كل ما لديه ، إلى تأليف كتاب مستقل تحت عنوان : (النكير على منكرى النعمة ، من الدين والخلافة والأمة) وإذا استنكر ذوو الغرض صدور هذه الصيحة الجريئة بين نهيق الهتَّافين ، وصراخ الوصولين ، فإن ذوى الغيرة من أنصار الحق قد احتضنوا الكتاب

الرائع على قلتهم القليلة ! ولعلنا نذكر بالخير الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين ـ رحمه الله ـ حين أفرد فصلاً هاماً عن هذا الكتاب ، ليقيم فى الجزء الثانى من كتابه[1] (الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر) كما نذكر بالإعجاب الدكتور مصطفى حلمى حين خص هذا الكتاب بتحليل كاشف فى مؤلف مستقل تحت عنوان : (الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة الإسلامية)[2] ثم أتبع تحليله الذكى بنص تام للكتاب محاطاً بمزيد من الشروح والتعليقات ، وضحت كثيراً من الغوامض الخافية ، وقد أحسن الدكتور محمد محمد حسين حين حدد أغراض الكتاب فى مسائل أربع هى :

١ ـ الكلام على فساد الدين لدى الكماليين .
٢ ـ الكلام على عصبيتهم للجنس التركى ، ومحاربتهم للعصبية الإسلامية .
٣ ـ إيضاح أن الكماليين والاتحادين اسمان مختلفان لشىء واحد .

٤ ـ صلة اليهود بالكماليين من ناحية وتواطؤهم مع الإنجليز من ناحية ثانية ، وجميع هذه النقاط قد أوضحها شيخ الإسلام إيضاحاً كاشفاً فى جرأة بالغة لا تعرف الإغضاء ، فقد أكد شيخ الإسلام أن الذين نصحوه بالإغفاء عن مثالب مصطفى كمال لتعلق العامة به مخطئون ، لأن من وظيفة العلماء إيضاح الحق ، وكشف المثالب ، وليس من وظيفتهم محاباة العامة ، ومجاراة الدهماء ! والمسألة هنا ليست مسألة الدهماء فقط ، فإن أبواق أتاتورك فى مصر كانوا من صفوة المرموقين فى الصحافة والمجتمع والمناصب ، ولهم أسماؤهم الرنانة ذات البريق الأخاذ ، كما أفاض المؤلف فى إيضاح الاحتذاء السافر لدى الكماليين للغرب فى التخلص من السلطان الدينى لأنه فى رأيهم عامل التقهقر والجمود ، حيث جعلوا لرجال الإسلام وعلمائه سلطة جبارة لسلطة الكنيسة التى كانت ماثلة فى أوروبا ، والإسلام برىء من تسلط العلماء ، واستبداد الخلفاء ، وإذا وقع ذلك فى عهد ما ، فهو مخالف لمنطق الإسلام ، ولا يمكن أن يؤاخذ به ؛ أما تحريم ما أحل الله من تعدد الزوجات مع إباحة الاختلاط السافر بين الرجال والنساء فى أحقر مشاهد التبرج والابتذال فليس الغرب هو المثل المحتذى فى ذلك حتى ينقل عنه الكماليون كل انحدار ، وقد قال مصطفى كمال : إن الخلافة الإسلامية سبب شقاء الأتراك ، وأن نبى الإسلام أمر تلاميذه أن يدعوا الأمم إلى الإسلام ، ولم يأمرهم أن يتولوا حكومتهم ، وقد أفسد الشيخ هذا المنطق بأدلته ، وقال : إن التعبير عن صحابة رسول الله بالتلاميذ يدل على أن الرجل يعد سيد الخلق مدرساً فى مدرسة وليس صاحب دعوة لإنقاذ البرية من الضلال إلى الهداية ، وما كتبه الشيخ عن عداوة الكمالين للإسلام باعتباره ديناً عربياً حق لا مرية فيه ، حيث انطلقت أبواقه لتحيى العقائد الوثنية التركية القديمة ، وكأنها وحدها بديل يمحو تاريخ الإسلام ! وأغرب شىء

(١) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين ط ٢ ص ٦٩ إلى ص ٨٠ .
(٢) الأسرار الخفية للدكتور مصطفى حلمى ، دار الدعوة للطبع والنشر سنة ١٩٨٥م .

فى هذا المضمار أن «أتاتورك» قد ألف مجمعاً لتنقية اللغة التركية من مختلف الألفاظ العربية والفارسية!! مع الاستعانة بالألفاظ الانجليزية والفرنسية !! فلو كانت الدعوة إلى التخلص من العربية والفارسية تأصيلاً للغة التركية وحدها ! فكيف استساغ أن تملأ الألفاظ الإنجليزية والفرنسية اللغة الجديدة التى ارتضاها أتاتورك ! بحيث أصبح هناك فارق بين اللغة التركية العثمانية ، واللغة التركية الكمالية ! فالأولى تشمل ألفاظاً من العربية والفارسية ، الثانية تشمل ألفاظاً أوروبية ، وليست المسألة فى ذلك مسألة مصطلحات علمية حتى يقال : إنه يضم ألفاظ الحضارة المزدهرة فى هذه الآونة ، فالأسماء العلمية لا خلاف عليها ، ولكنها المحاولة الجريئة للتنكر الصارخ لكل ما هو إسلامى ، ومما أوضحه المؤلف تقريره الجازم بصلة الكماليين ومن قبلهم الاتحاديون باليهود ، حيث عمل مصطفى كمال على مصادقة اليهود وحدهم دون الأجناس التى كانت تندرج تحت راية الخلافة الإسلامية ، وقد رجع فيما أكد إلى ما كتبه أنصار أتاتورك ، لا إلى ما كتبه خصومه ، وفى مقدمة هؤلاء الأنصار (آرمسترونج) فى كتابه (الذئب الأغبر) الذى يتضمن سيرة الزعيم بإطراء لا يقف عند حد ، فقد أكد هذا المؤلف أن جماعة الاتحاد والترقى كانت تعقد اجتماعاتها فى بيوت اليهود المنتمين للجنسية الإيطالية ، وقد كان وزير ماليتهم (يافيد) يهودياً ، أما وزيرة المعارف فى عهد الكماليين فهى من أصل يهودى ، ولها اهتمامات ثقافية ــ فى مؤلفاتها ــ المنتشرة بالفكر اليهودى ، ويقول الشيخ بعد ما قدم:

« ولم يسلم من اعتدائهم ــ يريد الكماليين ــ فى تركيا ما بين ألبانها وعربها وكردها وأرمنها وأروامها وشراكستها وأتراكها إلا اليهود » فما مدلول هذا الواقع المشاهد ؟!

أما فصل الدين عن الدولة فقد كان المجال الفقهى الرائع الذى دحضه الشيخ مصطفى صبرى بأدلة نافذة ، وإذا كانت هذه المسألة الآن من الوضوح السافر بحيث لا تتحمل النقاش ، بعد أن صدر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) فى مصر ، وأوضح الناقدون خطأه الجرىء ، فإن الحديث عن هذا الفصل قبل سقوط الخلافة كان جديداً مفيداً ، وكان الشيخ أول من أبطل ادعاءات ذوى الإصلاح الموهوم ، وله فى ذلك سبقه المشكور ، وجهاده المدخر ثوابه عند ربه ، فهو لا يضيع أجر المحسنين .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

أثر الصحافة والسينما في توجيه المجتمع

للأستاذ/ محب الدين الخطيب

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات

الفن رسالة سامية ، وهدف تسعى إليه كل أمة فى سبيل تربية أبنائها ، وتنشئتهم النشأة القويمة القائمة على الخلق والدين والفن بأنواعه المختلفة ، معظمه أداء ، ونتاج عمل ، يخضع بالدرجة الأولى ، لنفسية وخُلق صاحبه ، ولا يمكن الفصل بينهما بحال من الأحوال ، فالإناء لا ينضح إلا بما فيه ـ هذه حقيقة لكن البعض ، قد يجمح به الخيال ، ويشط به الهوى ، ويتراقص شيطان الغواية أمامه ، مزينا له ارتياد بعض المحارم ، واجتياز الخط الأحمر ، تحت دعاوى الحرية ، والإبداع ، والفن للفن ، ولأن الكلمة المقروءة أو المسموعة أشد تأثيرا فى النفس سرعان ما تنساق وراء هذه الدعاوى فئة ثم فئات ، وهلم جراً .

إن الدين لا يصادم الحرية ولا يعاديها ، ولكنه يضبطها ويهذبها ويرعاها ، ويدافع عنها ، مادامت لا تخرج عن تعاليمه وقيمه ومثله .

قال الأستاذ ـ رحمه الله ـ :

يلقبون الصحافة « بذات الجلالة » منذ رأوا أثرها الظاهر فى تكوين المجتمع وتوجيهه ، فهى تغشى المنازل فتتداولها أيدى الرجال والنساء والبنين والبنات ، ويقرأها الناس وهم فى عربات

الترام والسيارات الخاصة والعامة وفى قطارات السكة الحديدية التى تجرى بين الشمال والجنوب . وتراها فى أيديهم وهم فى الأندية والمدارس والمقاهى ، والمتنزهات وفى كل مكان .

كانت صحفنا اليومية قبل الحرب العالمية الأولى تطبع الواحدة منها عشرة آلاف نسخة فى المتوسط ، فوثبت بعد الحرب العالمية الثانية إلى عشرة أضعاف هذا العدد بل أكثر .

كنت فى زيارة الأستاذ أميل زيدان بعد الحرب العالمية الأولى ، وكانت « دار الهلال » يومئذ مجاورة لدار « جمعية الشبان المسيحية » فى شارع إبراهيم باشا ، فحدثنى عن الخطوة الصحفية التى يود أن يخطوها ، وقال : إن إصدار صحيفة يومية فى بيروت أو دمشق ميسور لمن شاء لأنه سينافس صحفا ذات رأس مال متواضع ، أما الذى يريد إصدارها فى مصر إلى جانب صحيفة « الأهرام » وأمثالها فإنه يحتاج إلى رأس مال ضخم وإلى استعداد أضخم ، ثم رأينا صاحبى « دار الهلال » يزوران بلاد الغرب وينقلان منها إلى مصر هذا النوع الجديد المصور من الطباعة ويصدران مجلاتهما الواحدة بعد الأخرى ، وتخطو الصحف اليومية ـ الأهرام ثم زميلاتها ـ هذه الخطوات السريعة فى الطباعة والتصوير واستيراد أخبار العالم من مصادرها . وتقوم فى القاهرة دور أخرى للنشر تنافس مجلات « دار الهلال » فى الأناقة والتصوير ، وتلقى الناس ذلك على أنه تقدم فى مهنة الصحافة . والواقع أنه تقدم فى الشكل والمظهر ، لكن التنافس المادى دفع أهل هذه المهنة إلى التسابق فى كسب العدد الأكبر من القراء ومجاراتهم فى أهوائهم ، فتحولت الصحافة عن وظيفة الإرشاد والتوجيه نحو الأصلح إلى الاهتمام بعرض ما يوافق أهواء الجماهير من مواد قليلة العمق وإن كانت هزيلة النفع ، ومن صور لنجوم وكواكب السينما وللمصطافين والمصطافات على كورنيش الاسكندرية إلى غير ذلك مما يجرىء الشبان والشابات على الاستخفاف بالقيم الخلقية والاندفاع نحو الرغبة فى الملذات ، أضف إلى ذلك ما ينشر من القصص الغرامى الذى تمليه على الأقلام الفاجرة نفوس لا تخاف الله ولا ترعى فى الشباب حقوق الإنسانية والوطن ، فيتلقى عنها الشباب من الجنسين دروسا يستقر منها فى النفوس أن العفاف والصون خرافة من الخرافات ، وأن طلب الملذات هو أمنية الجميع المسلم بها حتى من حملة الأقلام الذين يوجهون الناس ويعلمونهم ما يحسن بهم فى طريق الحياة .

وإذا أضفنا إلى ذلك الدور الذى تمثله شاشة السينما فى الليل والنهار ، وتمليه على طبقات الأمة من سوء القدوة والأسوة ، تبين لنا سبب هذه الحوادث المخجلة التى تكشفها المصادفة بين الحين والحين ، فنعرف منها أى داء دوى ، وأى مرض وبيل أصاب المجتمع من طريق الصحافة والسينما بين الحربين العالميتين وبعدهما .

هذه آنسة من كلية التجارة فى جامعة الإسكندرية ترسل على الناس صيحة من الأهرام تصفها الأهرام بأنها قد اختلطت فيها الحسرة والألم بالنظرة الفاحصة الواعية ، والكلمة المصلحة الصادقة ، فهى تتحسر لما ترى وتسمع كل يوم من إجرام نصف المجتمع فى حق نصفه الآخر ، بل فى حق نفسه أيضاً ، فهى تقول :

« إن سيدات كثيرات أكثر مما يمكن تصوره يخن أسرهن بهذه الطريقة المجرمة ، نرى الخيانة من زوجة ثرية تزوجت بمن تريد وأنجبت منه أطفالا ، ثم تعشق غير زوجها ، وتغيب عن بيتها ، وتبوء بجرمها .. أو زوجة مدرس تخونه مع تلميذه .. وهن يقدمن على هذه الخيانة الدنيئة بكل سهولة » .

وتتساءل الآنسة : « إلى متى تلعب أولئك الزوجات بالنار التى تحرق مجتمعنا ؟ إلى متى يستمر شبابنا فى الإضراب عن الزواج ؟ إلى متى يظل أولئك الأزواج نائمين فى هدوء ؟ .

« أكتب إليكم جميعاً .. أكتب إلى الأزواج ليفتحوا عيونهم ويرعوا أسرهم ، ويتجنبوا هدم مجتمعهم . لتكن حملة شديدة لعلاج هذه الحالة الوبيلة ... لينبه كل شخص الزوج النائم الذى تخونه امرأته حتى تخاف .. ليتكلم ـ الراديو ـ إلى الزوجات فى توجيهات وتمثيليات عن مصير الزوجات الخائنات .. وليكن فى القانون عقاب صارم لكل زوجة مجرمة .. » .

« إن مجتمعنا مريض ، وسيودى به مرضه إلى هاوية إن لم نتداركه بالعلاج ، ونمحو منه هذا الجرم الفظيع » .

أجل ياآنسة : إن مجتمعنا مريض ، ولكن ليس المهم تدارك الموبوئين من أفراده بالعلاج وحسب ، فإن هؤلاء الموبوئين ضحية لغيرهم ، ولم يكن مجتمعنا مريضا بسببهم ، بل لأن وراءهم أقلاماً نقلت إليهم جراثيم المرض ، بما أيقظت فى النساء والشباب من غرائز ، وبما هونت عليهم من أمر العفة والصون ، ففى كل دقيقة تقع الأنظار على صور للقبلات الفاضحة ، والعورات التى أمرت الشرائع بسترها . إن كل أنواع اللحوم ارتفعت أثمانها بعد الحرب ، إلا لحوم النساء فإنها ابتذلت بعد ارتقاء الطباعة ، وبعد أن صارت صور السيقان ومفاتن النسوان مادة أصلية من مواد النشر والكسب بالعرض على الأنظار . وهذا فى الصحافة فما بالك بالسينما !

إنهم أقنعوا النساء ، وأشباه النساء من الرجال، إن استنكارنا لهذا الفاحش الفاجر رجعية وتأخر وغباء ، فمضت الجماهير فى الإقبال على هذه الصحافة المهيجة للشهوات والغرائـــز واندفعت وداد وأشجان وعشرات الألوف من مثيلاتهما فى السبيل التى دفعهن إليها تجار لا يخافون الله ، ولا يرعون هذا الوطن فى بنيه وبناته وفى رجاله ونسائه ، فكان ما تسمينه ـ ياآنسة ـ لعباً بالنار التى تحرق المجتمع ..

قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية كتب كاتب متوثب مقالاً فى إحدى مجلات « دار الهلال » وكان يعمل فيها قبل أن يعينه أهل المقدرة على إنشاء دار للنشر تنافس « دار الهلال » ـ كتب هذا الكاتب فى تلك المجلة من صحف « دار الهلال » يحرض المجتمع على استقبال عهد السلم بعد انتهاء الحرب بالتحلل من الأفكار الرجعية وأخذ الحضارة الغربية بحذافيرها ، ودفع المرأة إلى خوض لجج التحرر من قيود الرجعية ... الخ . فرد عليه الدكتور يحى أحمد الدرديرى « المراقب العام لجمعيات الشبان المسلمين » ، ونصح له بأن يتقى الله فى هذه الأمة ، فقابله بشواظ من نار السلاطة

والسخرية والاستهزاء ، مما لا يمكن أن يجاريه فيه رجل يحترم نفسه ، ثم رأينا تحقيق تلك الدعوة على صفحات صحف ملئوا بها الأسواق والبيوت والمجامع ، وتطوع فيها عدد من حملة الأقلام الذين لا يعرفون الحياة الزوجية ، فكانت نفثات أقلامهم سموما تعمل عملها فى نفوس عشرات الألوف من أمثال وداد « وأشجان » ، وكان أثر ذلك يفتك فى هذا المجتمع المريض فيخفى عن الناس حينا وتفضحه المصادفات حينا .

وإذا افتضح – بطريق المصادفة – شىء من هذه الجرائم بادر دعاة الفاحشة والتحلل إلى تهوين ذلك على المجتمع والتخفيف من وقعه فى النفوس الجريحة ، كما رأينا فى يوميات إحدى صحف الصباح التى يقول كاتبها : لا يجوز أن نعتبر حادثاً واحداً دليلا على انهيار جيل كامل ، فهذه الجرائم البشعة لا تصور الجيل ، وإنما تصور شخصيات منحلة فى مجتمع صحيح . بل يقول لمن يشكون من انحطاط الأخلاق كلما وقعت حادثة مثل حادثة مقتل زوجة مأمور الضرائب : إن هذا الاشمئزاز الذى تشعر به وأنت تقرأ أخبار هذه الجرائم دليل على أن المجتمع غدا ملوثا ويضيف إلى ذلك أن الذى يقرأ صحف العالم بانتظام يجد أضعاف هذه الجرائم فى بلاد أخرى يقولون إنها متمدينة ، ثم يصرف أذهان الناس عن الموقف الحقيقى للصحف من هذه الجرائم ، خشية أن ينتبهوا إلى دور التحريض الذى تمثله بعناية وانتظام ، فيتكلم عن الدور الآخر للصحف وهو نشر أخبار هذه الجرائم بعد وقوعها فيسوق الأدلة على أن الصحف معذورة فى ذلك .

أن الذى نؤاخذ به الصحف ليس نشر أخبار الجرائم الجنسية بعد وقوعها ، وإنما نؤاخذها بما كانت تبثه قبل وقوع الجريمة من أفكار تهون على الناس أمر الأعراض ، ومن صور وفقرات تهيج الغرائز فى الأحداث والشباب وفى العامة الذين ليس لهم من عقولهم ودينهم وازع يعصمهم من التأثر بهذه الدعايات الخبيثة المتواصلة بحذق وبراعة وتصميم ، حتى صار أمر الأعراض هيناً على الجماهير ، وحتى صارت الغرائز فى حالة انتباه مستمر ، ومن هنا كان ما تسميه الآنسة التى كتبت فى الأهرام « لعباً بالنار سيحرق المجتمع »، و« مرضا وبيلا سيؤدى بالمجتمع إلى الهاوية ، إن لم يتداركه العقلاء بالعلاج » .

ولا يكاد القراء ينتهون من مقال « اليوميات » حتى تطلع عليهم تلك الصحيفة فى اليوم التالى بمقال : « من فكرة إلى فكرة » زاعما كاتبه بأن النشر لا ذنب له فيما يقع من هذه الجرائم ، لأن هذه الجرائم ليست فى مصر وحدها ، ومنشأها فى السنوات الأخيرة انهيار الأعصاب ، والمسئول عن انهيار الأعصاب هو الحرب ، فإنها حطمت أعصاب الناس وهزت اتزانهم وزعزعت إيمانهم فدفعتهم إلى هذه الجرائم .

هذه قطرة من القطرات فى سبيل تهوين أمر الحياء والعفة والدين على صغار العقول من النساء وأشباه النساء من الرجال ، ومجموع هذه القطرات بين الحربين وبعد الحربين طغى بهذا السيل الجارف من الفاحشة التى أدت إلى ما نرى من إجرام ، وإلى ما يشكو الناس من عواقبه .

كتب لهم الأستاذ السيد صبرى كلمة فى

الأهرام عنوانها « اتقوا الله ... وكفى » وتابعه الأستاذ جمال العطيفى المحامى فى اليوم التالى بكلمة أخرى بنفس العنوان يقول فيها عن الأستاذ السيد صبرى : « لا شك أن سيادته يعبر بهذه الكلمة عما يجول بخاطر معظم المواطنين الذين لا يقل استنكارهم للحادث ودوافعه وأسبابه ، عن أسفهم للآثار التى تترتب على هذا (النشر) من الناحية الاجتماعية والخلقية » .

وقد اعترف الأستاذ محمد زكى عبدالقادر فى إحدى فقرات : « نحو النور » بأن من المؤكد أنه لولا وقوع جريمة « فندق شارع عماد الدين » لاستمر الوضع الذى كان قائما على ما هو عليه . ومن يدرى لعل هناك حالات كثيرة مشابهة ـ وربما أسوأ وأشد فحشا ـ غير معروفة . فالمسألة لا ينبغى أن تؤخذ فقط للتسلية أو التعجب أو إبداء الأسف والاشمئزاز ، ولكن لابد من أن يتدخل لبحثها رجال التربية وعلماء النفس والإجرام .

فلعل الأمر يرتد فى أساسه إلى أشياء كثيرة تتعلق بالوسط والمجتمع ، ولعل بحثها يؤدى إلى إصلاح عميق ، أو دعوة إلى تعديل فى أساليب التربية وطريقة التناول والتعريف للعلاقات الجنسية بالنسبة للأولاد والبنات فى سن المراهقة .

ومن العجيب أن تذهب الأفكار فى تعليل هذه الجرائم إلى كثير من الأسباب ، وأن يبقى السبب الحقيقى الأول مسكوتاً عنه ، وهو الدور الذى يمثله القائمون على دور النشر بما ينشرونه من صور تهيج الغرائز ، ومقالات وفقرات وقصص تهون أمر الأعراض ، وتدفع الأحداث وصغار العقول نحو الشهوات الجنسية دفعاً ؛ يضاف إلى ذلك سوء استعمال شاشة السينما فى هذا الوطن المظلوم ، وما تقدمه لأبناء الجيل القائم والجيل الآتى من قدوة سيئة ليس عجيباً أن يكون لها فى مجتمعنا هذا الأثر المحزن الذى أقام البلاد وأقعدها .

إن شاشة السينما كان يمكن أن تقود الأمة إلى ميادين الرجولة ، وأن تنهض بالبنين والبنات إلى مستوى رفيع من ميادين العمل لإنهاض الوطن ، ولكن انهيار الصحافة إلى المستوى الذى يشكو منه الناس جعل القائمين على السينما يسابقون صاحبة الجلالة فى غزو السوق ، واستمالة الجماهير بمجاراة أهوائها ، حتى بلغنا هذه الدركة من الاستهتار والتحلل ، ونحن نحسب أننا نحسن صنعاً .

قبل إعلان الدستور العثمانى فى سنة (١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م) كان الأستاذ محمد كرد على مقيماً فى مصر يشارك فى تحرير جريدة « المؤيد » ، فبادر عند إعلان الدستور بالسفر إلى « دمشق » وأصدر فيها جريدة يومية اسمها (المقتبس) ، فكتب إليه شيخنا طاهر الجزائرى ـ رحمه الله ـ ينصح له بتصغير حجم الجريدة ودعوة زملائه إلى تصغير أحجام جرائدهم ليضطروا إلى الإيجاز فى لغو الكلام ، وإلى أن لا ينشروا إلا الصحيح النافع من الأخبار والأفكار ، وقال لهم : إن ذلك هو عنوان الترقى والتقدم فى الصحافة ، فهل ما عليه صحافتنا الآن يعد ارتقاء أم انحطاطاً ؟

هذا سؤال جدير بأن تمتحن به أنظار الناس وأفهامهم ..

الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشـاد يوسـف

الملك لله وحده

للشاعر: عبد الستار محمد سليم

الملك لله وحده … أحصى مداه .. وَ .. عَدَّهْ
إن شاء أعطاك منه … أو شاء .. منك استردّه
فَهْوَ المقدر فينا … صاب المعاش وشهده
كل له مقدار … فى ثابت اللوح عنده

★ ★

ما من مليك عزيز … أثرى وكثّر جنده
وعظمته الموالى … وحاذرته الأشده
أو جال فى الأرض تيها … علا .. وصعّر خده
أو حاز فى العمر نُعمى … يغشى من العيش رغده
إلا يحول سرابا … قد أخطأ الركب ورده

★ ★

وصرف هذى الليالى … أباح فى الخلق أسده
قد راش للناس سهما … وقلما جاز قصده
مامن شباب قشيب … قد رصّع الحسن عقده
إلا سقته الليالى … حر الشراب وبرده
لكل عمر كتاب … ولن يؤخَّرَ بعده
وعدُ المهيمن حق … وليس يخلف وعده
سبحانه وتعالى … لاشىء يدرك جده

تحية

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمناسبة تسلمه

جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام

شعر : شوق محمود أبوناجى

اجهــــر بصوتك فوق عود المنبــــرِ يسرى ضيـــــاءً فى ظلامِ الأعصر
هل يجتــرى الصمت المصفَّــد أنْ يُرى بفــمٍ يعــفُ عن الـــفضول مُطهَّــرِ
لحيــانِ بينهمـــا توارثْ مضغـــةٌ ما فوَّهتْ باللفــظِ غيــرِ معطــرِ
الصدق ديدَنــــه ولـــو حفَّتْ به نارٌ تؤْجــج من ظلـــوم مُفتــرِ
فى نهجــه أن الـــذى يرجــو الهدى لا بدَّ من طرح الخنـــا والمنكـــر
فإذا ارتجى الظمـــآن محلـــوَّ الجنـــى وهفــا الفــؤاد إلى رحيــق الكوثـــر
نبعـــان ـ ليس سواهما يروى الصدى : هدْىُ الكتـــاب وسنَّـــةُ المدَّثــر

• • •

مَنْ ذلك الداعـــى الـــذى بيمينــه نثر الهدايـــة فى الظـــلام المقفـــر
مَنْ ذلك الساعـــــى على درب الهدى هو حامـــل المصبـــاح شيـــخ الأزهـــر
يا للفقيـــه وقـــد ســمـــا بوقـــارهِ ويـــرقّ حاشيـــةً بلطــــف المعشر
أمـــا إذا اجتـــرأت بذاءة فاسق فهـــو الســهـــام تصوبت للمنحـــر
ذلـــق اللســـان إذا أطـــلت ريبـــةٌ لا بدَّ من دحض الهوى المتـــجبر

• • •

يا قوم جادَ الحقَّ بالرجـــل الـــذى قد يلتقـــى بالأمـــر غير مُيَسَّر
فإذا بحكمتــــه تذلـــل ما قَسَـــا وتعيـــد كلَّ مضلَّـــل متــحير
أسمَـــوْه « جاد الحق » نِعْـــم اسماً على نِعْـــمَ المسمـــى للإمـــام الأكبر
فلئـــن دَنَتْ ترجـــو الجوائـــز قُربَـــه لم يسعَ نحو دعايـــةٍ أو مظهـــر
وهـــو التَّقِـــىُّ ويـــرتجى من ربِّـــه خير الجوائـــز عنـــد يوم المحشر

• • •

الإنسان ... لا الزمان

شعر

للشاعر/ محمد عبد الرحمن صان الدين

يازمانا عشت فيه لست منى لست منكا
نصب عينى لا أرى إلا أحابيلا وإفكا
لستُ أبغى يازمانى منك أزهارا ومسكا
قد ملأت النفس فى المنظور والمعقول شكا
رغم أنى فى رغيد الرزق ألقى فيكَ ضنكا

* *

آفتى الكبرى إباء عن تَرَدٍّ وانحلال
ليس يغرينى بريق العيش فى تيه الضلال
أو متاع تشتهيه النفس ينبو عن خصالى
.. قال لى من يرتضى الإبحار فى أى مجال
أنت يامسكين تحيا فى متاهات الخيال

* *

هل تظـــن الأرض يحيـــا فوقهـــا أهـــل الخلاق
فى سلام وأمـــــان فى انفتـــاح وانغـــلاق
مثـــل غفـــل النـــاس يمضى دون شد .. للوثـــاق
أو بلا كيـــد وطعـــن فى الـــكلى أو فى التـــراق
فى اتجاه الـــريح سِرْ واسبـــح بمجـــداف النفـــاق

★ ★

ليس ميـــزانى نسيـــج العقـــل فى عيشى ودربى
إنما الميـــزان عنـــدى فى سلوكـــى وحـــى ربى
إن نسج النـــاس يحوى من قصور .. كل عيب
كان هذا عنـــد جُلِّ الأهـــل والأتـــراب ذنبـــى
فقضيت العمـــر أمشى فوق أشواكٍ وجـــدب

★ ★

إن يكـــن قد صَدَّ عنـــى ذاك أو هذا ومـــالا
ورمـــانى من رمـــانى بسهـــام واستطـــالا
فاعتصامـــى بخلاق كان أنسا وجـــلالا
ومعينـــا أستقـــى من فيضه ماء زلالا
إن فى الإيمان والأخـــلاق روضا وظـــلالا

★ ★

مُدَّعِـــى نصحـــى وإرشادى بفكـــر منك أعـــوجْ
ياغَـــوِىَّ الوعـــظ دعنـــى أنت للتقـــويم أحـــوج
فى وعـــور ووهـــاد هل يقود الركب أعرج ؟
أو سليـــط أزْعَـــن التفـــكير والمنطـــوق أهـــوج
ألـــف كلا ، مايظـــل التائـــه الحران عَوْسج

أشواق عربية

بقلم الفريق - يحيى عبد الله المعلمى (*)

اسم ديوان جديد أصدره الأستاذ الشاعر « محمد التهامى » ، وقد أعرب الشاعر فى هذا الديوان عن عواطفه المحتدمة نحو إخوته العرب وعبر فيه عن أرومته العربية الأصيلة وحماسته المتدفقة .. ولاغرو ولا عجب فالشاعر التهامى قد عانق العربية إيمانا وعقيدة وتطلعا ، وعايش بعض الأحداث والعمل العربى ثلاثين عاما فى الجامعة العربية وشارك فى اللقاءات والمؤتمرات والمهرجانات الأدبية على طول البلاد العربية وعرضها ، وهو كما قال عن نفسه :

«يحلم بالوحدة العربيية ويتشوق إليها ويغنى لها بكل طاقة الموهبة وانطلاق الإبداع » .

وقصائد هذا الديوان كلها عواطف جياشة ومشاعر فياضة بحب العرب والمسلمين والعروبة والإسلام ، ويكفى أن نلقى نظرة على عناوين القصائد لنرى أى إحساس كريم يغمر الشاعر التهامى نحو إخوانه العرب والمسلمين .

ويطير الشاعر « محمد التهامى » إلى سوريا ويحط رحاله فى (حلب) و(الفيحاء) ويهتف (هنا إخوتى) عندما يلقاهم (فى مهرجان الوحدة) ويقف على باب العروبة ليتبرأ من (عار الانفصال) ثم يروح فى (تأملات) لايخرجه منها إلا صوت (الشاعر القروى) الذى يدعوه إلى منتدى السيدة « ثبيا الحافظ » صاحبة «منتدى سكينة» فيخاطب (ربة المنتدى) قائلا :

وقفت فى صدره تلقين من وفدوا ... وحولك الحب وثاب ومنطلـــق
قد ضقت بالظلم كذابا ومختلقا ... يا «ربة المنتدى» ياخير من صدقوا
عند الصباح يعود الحق منتصرا ... ويرجع «المنتدى». حرا وينطلــق

ثم طار الشاعر إلى الجزائر فحيا (بطل الجزائر) المقاتل الشهيد وحيا بطلة الجزائر المناضلة (جميلة بوحريد) ورأى (فرحة النصر) تنطلق من (أوراس) لتغمر الجزائر بل الأرض العربية كلها فقال :

(*) عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

تنفس الصبح فى (الأوراس) وابتسما		وقبّل الأرض لما أن رأى العلما
لما رآه قد امتدت غلالته		وظللت بحماها السفح والقمما
وكبرت فى سماء المجد صائحة		فيه الجزائر قد أرست لها قدما

وجاء الشاعر إلى السعودية : (البلد الأمين) وصودف أن دخلت الطائرة التى كانت تقله فى عاصفة ولكن الحب الكبير الذى كان يملأ قلبه لهذه البلاد الطاهرة قد أضفى عليه شعوراً بالأمان والاطمئنان فهبطت الطائرة فى سلام ، وحيا الشاعر (رسول الحب) .

وقد عبر الشاعر عن أحاسيسه فى أثناء العاصفة فقال مخاطباً صديقه ورفيقه فى الرحلة الأستاذ إمام عبدالمجيد قائلا :

ودعا إماما : ياإمامُ عيون ربك ساهرة
فدع التشاؤم ، أنت فى أرض النبى الطاهرة
أولا تشم العطر فى هذى السماء العاطرة
الوحى ضمخها وفاح على الروابى الزاهرة

ومالبثت الطائرة أن هدأت واستقرت ..

وتربعت فى الجو فوق الثائرات الهادرة
ومضت على غول العواصف فى المسالك ظافرة
مهما تقلب فهى من فوق التقلب قادرة
ومشى بساط الريح تحمله أكف ساحرة
وتديره فوق الرياح الهوج كف قادرة

إن الشاعر « محمد التهامى » ليستحق بجدارة أن يسمى (شاعر العروبة) فقد غنت قصائده للأقطار العربية وأنشدتها مدن العرب وعواصمهم الكبرى ، وحفظها تلامذة المدارس فالشباب الفلسطينى يحفظ قصيدته عن (العودة) التى مطلعها :

ان الذى زيفوه كله كذب		ما لليهود بدار أهلها عرب

وشباب الجزائر يحفظون قصيدته عن (بطل الجزائر) التى مطلعها :

إلى متى نعظم البلوى ونحتمل		«أوراس» لم يبق إلا أنت والأمل

وشباب سوريا يحفظون قصيدته (أخى فى سوريا) التى مطلعها :

أخى فى ربى الشام والغوطة		فديتك بالروح والمهجة

ولغة الشاعر جزلة فخمة ، وقوافيه محكمة ، مع أن بعضها من القوافى الصعبة ، ولكن قدرة الشاعر وتمكنه من اللغة وتدفق الشعر على لسانه يروض ماصعب من القوافى ويسلس فى يده قياد ماشمس منها ..

فهاهو ينظم قصيدة على روى الياء المشددة المضمومة يبلغ عدد أبياتها ستين بيتاً فلا نرى فى قصيدته كلمة جافة عن موضعها أو مستكرهه على الحلول فى مكانها .

يقول من قصيدة : (فى وهج الذكرى) :

نداؤك لا يغـــــــيب له دوى ... (كـــأنك) بعـــد مادفنـــوك حيٌّ
ومادفنـــــــوا سوى جسد كريم ... ومأجسادنـــا فى الذكـــرى شىّ
لقـــد حلـــقت عملاقـــاً كبيراً ... ومالضخامـــــة العمــــلاق طيُّ
لك الـروح التى بلغت مداهـــا ... وحـــق لها الخلـــود السرمـــديُّ
أراك وقـد وقـفت هنـــا حيـــالى ... جليـــلاً ، قد أضاء بك النـــديُّ
كأنك قد دعـوت النـــاس فيـــه ... فأنت بكـــل من تلقـــى حفـــيُّ
فتحت رحـاب صدرك فى اشتيـاق ... كما يتهلـــــل الخل الوفـــــيُّ
ويكفـــى كل من توليـــه حبـــا ... إذا انـــتسب انتماء يعربــــيُّ

وهكذا تمضى القصيدة على هذه النغمة الموسيقية الجميلة ليس فها قافية قلقة ولاروى مضطرب ولاكلمة معتسفة ولانبرة ناشزة ولامعنى مستغلق ، وإنما هو الجمال والوضوح .. بل هو الشعر وكفى ..

العلوم الكونية

تصنيف علوم الطب في تراث المسلمين

٣

بقلم ا. د أحمد فؤاد باشا

سادسا : طب العيون :

أخذ أطباء الحضارة الإسلامية بنظام التخصص وعدم السماح بممارسة الطب إلا بعد اجتياز امتحان دقيق فى كتب التخصص المعروفة للتأكد من المستوى العلمى المطلوب للدارسين نظريا وعمليا وللوثوق من مهارتهم ومقدرتهم على التشخيص والعلاج قبل تأديتهم القسم وحصولهم على شهادة مكتوبة تحدد لهم الأمراض والعمليات الجراحية التى يمكنهم التصدى لها ، فكان هناك الجراح والفاصد والخاتن والحاقن والحجام والكواء والمجبّر ، وكان هناك من تخصص فى أمراض النساء والتوليد وطب الأطفال وطب الأسنان والأمراض الباطنية والجلدية والأمراض العصبية والعقلية ، وكان هناك الكحال ، أى طبيب العيون . كذلك اشتهرت المؤلفات المتخصصة فى مختلف فنون الطب ، وكان من بينها فى مجال طب العيون كتاب « المنتخب فى علاج أمراض العين » لعمار بن على الموصلى و« تذكرة الكحالين » لعلى بن عيسى الكحال .

وتميز طب العيون شأنه شأن باقى فروع الطب الإسلامى بأنه لا يختلف عن أسلوب الطب الحديث من حيث المنهجية التى يتبعها الأطباء المعاصرون فقد كان الرازى على سبيل المثال يرى أن الطبيب يحتاج فى استدلال علل الأعضاء الباطنة الى العلم بجواهرها أولا بأن تكون شوهدت بالتشريح ، وإلى العلم بمواضعها من البدن والى العلم بأفعالها (أى الفسيولوجيا أو وظائف الأعضاء) والى العلم بأعظامها وما تحتوى عليه (أى المورفولوجيا) والى العلم بفضولها التى تدفع عنها (أى الباثولوجيا أوعلم طبائع الأمراض) لأن من لم يعرف ذلك لم يكن علاجه على صواب . **ولقد رفض الرازى نفسه أن تجرى له عملية جراحية فى عينيه عندما فقد بصره فى آواخر أيامه وذلك لأنه سأل الجراح قبل أن يشرع فى عمليته عن عدد طبقات أنسجة العين فلما اضطرب الطبيب وصمت قال له الرازى : «إن من يجهل جواب هذا السؤال عليه ألا يمسك بأية آلة يعبث بها فى عينى» .**

من ناحية أخرى كان أطباء الحضارة الإسلامية يخضعون لرقابة الدولة وفقا للائحة خاصة تنظم أسلوب تعاملهم مع الناس ، فكان المحتسب وهو

من أرق الموظفين فى الدولة مكلف بتحليفهم قسم «أبقراط» ويحرص على التأكد من حيازتهم الآلات المفروضة لصناعتهم واجتيازهم الامتحانات المفروضة عليهم وعلى ألا يسلموا آلاتهم إلى الدجالين غير المرخصين .

وكان أطباء المسلمين فى علاجهم لأمراض العين يميزون بين العلاجات العامة والعلاجات الموضعية ويصفون الراحة والسكون فى الحالات الشديدة ويعنون بغذاء المريض فيجعلونه خفيفا لطيفا ، ويستعملون الأشياء القابضة والمحللة والمنضجة والمخدرة ، فهذا هو على بن عباس يقول فى كتابه «كامل الصناعة» الذى صنفه للملك عضد الدولة : « .. إلا أن العين لما كانت عضوا زكى الحس لم يجز أن تستعمل فيها أدوية قوية ، ولا تورد عليها أدوية كثيرة دفعة ، أنظر فإذا كان السبب باديا أعنى من حر الشمس والغبار والدخان فإن بُرءه يكون أولا بزوال تلك الأسباب واستعمال الأدوية المبرءة المقوية للعين كالضماد بخرق مبلولة بماء ورد وشيء يسير من الكافور .. »

ولم يترك أطباء المسلمين مرضا من أمراض العين إلا وصفوا أعراضه والطرق الناجعة لعلاجه فتحدثوا عن الانتفاخ والحكة والقروح والبثر والنتوء والشعيرة والالتزاق والشعر الزائد والرمد بأنواعه وغير ذلك . وتحتوى كتب الكحالين «أطباء العيون» على شروح تفصيلية للعلاج والعمليات الجراحية من ذلك وصفهم لماء العين وأنواعه ومضاعفاته : فمنه ما لونه شبيه بلون الهواء ومنه ما يشبه لون الزجاج ومنه ما هو أبيض ومنه أخضر ومنه مائل الى الزرقة «وهى العلة المعروفة باسم «الجلوكوما» Glaucoma .. **والماء منه ما إذا قُدح أنجب ومنه مالا ينجب عند القدح** ، وامتحان ذلك بأن تضع يدك على إحدى العينين فإن رأيت ثقب العين الأخرى يتسع فاعلم أنه متى قدحت أنجب القدح فيها وأبصر الانسان وان لم يتسع فإنها اذا قدحت لم ينجب ولم يبصر الإنسان وتمتحنه أيضا بأن تقيم العليل فى الشمس وتأمره أن ينظر اليك جيدا وتضع ابهامك على جفنه الأعلى وتعرك بها العين وتنحيها بسرعة ثم تفتح العين وتنظر فإن تحرك الماء حين تنحى إبهامك عنه فتفرق فإن ذلك الماء لا ينجب فيه القدح وإن بقى مجتمعا لا يتفرق فإن الماء قد استحكم والقدح قد ينجب فيه . وعلامة أخرى أجود من ذلك أنك متى رأيت لون الماء كلون الحديد المجلى أو كلور الرصاص فاعلم ان الماء قد استحكم والقدح ينجب فيه أما ما كان لونه لون الجص فإنه جامد جدا ولا يصلح القدح فيه[1] .

سابعا : طب الفم والأسنان :

بدأ طب الفم والأسنان عند العرب فى عصر الحضارة الاسلامية ـ كما بدأت فروع الطب الأخرى بل وفروع العلوم الكونية كلها عندهم ـ من تراث ضئيل وصل إليهم نتيجة انفتاحهم على دول كثيرة ذات حضارات موروثة وبالرغم من أن طب الفم والأسنان كان واحدا من العلوم الطبية التى خصها القدماء بمزيد من الاهتمام إلا أنه لم

(١) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب بإشراف د. محمد كامل حسين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (بدون تاريخ للنشر) .

يصل إلى مرحلة متقدمة من التطور إلا فى عصر الازدهار العلمى للحضارة الإسلامية بدءاً من القرن التاسع الميلادى .

وقد برز أبوالقاسم الزهراوى فى العلاج الجراحى لأمراض الفم فهو يتحدث عن قطع اللحم الزائد فى اللثة فيقول : «كثيرا ما ينبت على اللثة لحم زائد .. فينبغى أن تعلقه بصنارة أو تمسكه بمنقاش وتقطعه عند أصله وتترك المادة تسيل والدم ثم تضع على الموضع زاجا مسحوقا أو الذرورات القابضة المجففة فإن عاد بعد ذلك اللحم وكثيرا ما يعود فاقطع باقية واكْوِه فإنه لا يعود بعد الكىّ إن شاء الله تعالى .

وتكلم الزهراوى فى موضع آخر من كتابه القيم «التصريف لمن عجز عن التأليف» عن الأورام تحت اللسان فقال : «قد يحدث تحت اللسان ورم شبيه بالضفدع الصغير تمنع اللسان عن فعله الطبيعى .. وربما عظم حتى يملأ الفم والعمل فيه أن يفتح العليل فمه بإزاء الشمس وتنظر من الورم فإن رأيته كمد اللون وأسود صلبا ولم يجد له العليل حسًّا فلا تعرض له فإنه سرطان ، وإن كان مائلا الى البياض فيه رطوبة فألق فيه الصنارة وشقّه بمبضع لطيف من كل جهة فإن غلبك الدم حين عملك فضع عليه زاجا مسحوقا حتى ينقطع الدم ، ثم عد الى عملك حتى تخرجه بكماله ثم يتمضمض بالخل والملح ثم تعالجه بسائر العلاج الموافق لذلك حتى يبرأ إن شاء الله تعالى .

وقدم الزهراوى وصفا تفصيليا لعلاج أمراض أخرى تعرض فى الفم مثل تحرير اللسان المعقود وكيف يقطع الشكال الرابط له تحته حتى يعود طبيعيا ويصف ما يتبع ذلك من دواء . ومثل إخراج العقد التى تعرض فى الشفتين على هيئة أورام صغار يشبه بعضها حب الكرسنة وبعضها أصغر ، ويصف ذلك بأن «تقلب الشفقة وتشق على كل عقدة وتعلقها بالصنارة وتقطعها من كل جهة ثم تحشو الموضع بعد القطع بزاج مسحوق حتى ينقطع الدم ثم يتمضمض بالخل وتعالج الموضع بما فيه قبض الى أن يبرأ الجرح إن شاء الله تعالى . ومثل جبْر الفك الأسفل إذا انكسر ، وخلع الأسنان وغير ذلك ويصف لكل عملية الآلات الجراحية اللازمة لها ويصورها صورا واضحة ومفصلة بما يقربها للدارسين أو القارئين ضاربا بذلك المثل فى السبق الى استخدام الأشكال والرسوم التوضيحية على نحو ما نجد فى كتب الطب الحديثة .

ومن الجدير بالذكر أن الزهراوى عرض لأول مرة فى التاريخ الطبى لوصف الألم المتنقل وخطره ، مما يضعه على مستوى متقدم بين علماء الطب حتى العصر الحاضر ، فهو يقول : « إنه ينبغى أن تعالج الضرس من وجعه بكل حيلة ... وكثيراً ما يخدع العليل المرض ويظن أنه فى الضرس الصحيح فيقلعها ثم لا يذهب الوجع حتى يقلع الضرس المريض »

ويبدو الزهراوى بارعاً دقيقاً فى وصفه لعملية القلع ذاتها ، وهو يستعمل لذلك الكلاليب والجفوت والروافع والمباضع ، وهو يشرح فى ذلك كل خطوة وكل آلة ، ويقول على سبيل المثال : « فإذا صحّ عندك الضرس الوجِع بنفسه فحينئذ ينبغى أن يشرط حول السن بمبضع فيه قوة حتى يحل اللثة من كل جهة ، ثم تحركه بأصبعك أو بالكلاليب اللطاف أولاً قليلاً حتى تزعزعه ، ثم تمكّن حينئذ فيه الكُلبتين الكبار تمكيناً جيداً

ورأس العليل بين ركبتيك قد تعقبه لا يتحرك ، ثم تجذب الضرس على استقامته لئلا تكسره ، فإن لم يخرج وإلا تتخذ أحد تلك الآلات ، فادخل تحته من كل جهة برفق ودُم تحريكه كما فعلت أولاً » . ثم يذكر أنه بعد القلع : « إن كان العظم به عفن فاجرده من عفنه واسوداده حتى ينقى ثم تعالجه حتى يبرأ » ، وهو فى ذلك يشير إشارة واضحة إلى كيفية معالجة العفن مع القلع أو بعده . وبمثل ذلك يشير ابن سينا أيضاً ويركز على أهمية التشخيص وخطر القلع إذا كان هناك عفن فى الفك ، فذلك يهيج الوجع الشديد ، وربما هيج وجع العين والحمى .

ولا يفوت الزهراوى ـ فخر الجراحة فى العصر الإسلامى ـ أن يحذر من : « أن تصنع ما يصنع جهّال الكلّابين فى جَسَـرهم وإقدامهم على قلعه (أى الضرس) من غير أن يستعملوا ما وصفنا ، وكثيراً ما يجذبون على الناس بلايا عظيمة ، وأشرّها أن ينكسر الضرس ويبقى أصولها كلها أو بعضها ، وأما أن تقلعه بعض عظام الفك ... » .

كذلك عرض أطباء المسلمين لعلاج الأضراس واللهاة المسترخية بالكيّ ، استناداً إلى قاعدة « آخر الدواء الكيّ » . وكان من الطبيعى أن يتحدثوا أيضاً عل التخدير والتسكين ، فقد عرفوا فى ميدان الجراحة ما يسمى « المرقد » ، وهو المخدر العام ، وكان ذلك يقوم على استعمال ما أسموه « بالاسفنجة المخدرة » التى توضع على أنف المريض فتمتص الأنسجة المخاطية موادها المخدرة ويدخل المريض فى سبات عميق . كما عُرف التخدير بالبرودة ، وقد وصفه ابن سينا بقوله : « ومن جملة ما يخدر من غير أذى الماء المبرد بالثلج تبريداً بالغاً ، أخذاً بعد أخذ حتى يخدر السن فيسكن الوجع البتة ، وإن كان ربما زاد فى الابتداء » .

وتزخر كتب الطب الإسلامى بتفاصيل أخرى كثيرة تتناول ترميم الأسنان المصابة بالتسوس وحشوها ، وعلاج القرحة فى جلدة الفم واللسان ، وعلاج كثرة البصاق واللعاب وسيلانه فى النوم ، وإزالة الرواسب عن الأسنان ، وتعويض الأسنان المفقودة ، ورد الأسنان وتقويمها إذا ما نبتت فى غير مجراها الطبيعى . ولم يفت علماء المسلمين أن يتحدثوا عن طب الأسنان الوقائى ويفردوا فى مؤلفاتهم فصولا فى حفظ صحة الفم والأسنان .

خاتمة :

إن ما عرضناه يمثل قليلا جداً من كثير مما حققه علماء المسلمين فى عصر الحضارة العربية الإسلامية التى غمرت بنورها كل أنحاء الدنيا . وليس هناك من شك فى أنّ تكثيف عمليات البحث والتنقيب فى تراث المسلمين وتحقيق مخطوطاته بلغة العصر ومصطلحاته ، سوف يساعد على اكتشاف المزيد من كنوز هذا التراث وأسراره ، ويعمل على إسقاط كل المحاولات الفاشلة للنيل من قيمة هذا التراث وأصالته ، ويظهر للأجيال والباحثين عن الحقيقة ومدى ما وصلت إليه الحركة العلمية فى عصر النهضة الإسلامية من تقدم وتطور ونضج وعمق وازدهار .

مراجع للاستزادة :

★ الطب العربى ، أمين أسعد خير الله ، بيروت ١٩٤٦م .

★ قطوف من تاريخ الطب ، بول غليونجى ، القاهرة ١٩٧٩م .

★ فى الطب والأقربازين ، أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية ، محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٧٠م .

★ فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية ، د. عامر النجار ، دار المعارف ١٩٩٤م .

★ التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، د. أحمد فؤاد باشا ، القاهرة ١٩٨٣م .

★ تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، د. سامى حمارنة ، القاهرة ١٩٦٧م .

★ تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، د. عبدالحليم منتصر ، دار المعارف ١٩٨٠م .

★ شمس العرب تسطع على الغرب ـ سيجريد هونكه ـ الترجمة العربية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨١م .

من أمراض الطفولة

٤

أمراض الدم

أنيميا الخلايا الضخمة

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى

تطرقنا فى المقال السابق إلى الحديث عن (أنيميا) الخلايا الضخمة الناجمة عن نقص (حامض الفوليك) ، واليوم نستأنف حديثنا عن هذا النوع من فقر الدم ، بإلقاء الضوء على نوعه الآخر ، وهو : (أنيميا) الخلايا الضخمة ، الناتجة عن نقص (فيتامين ب ١٢).

● **ماهية فيتامين ب١٢ :**

هو (فيتامين) قابل قليلا للذوبان فى الماء ، يوجد فى اللحوم واللبن ، والبيض والسمك ، والجبن .. وتقوم المعدة بإفراز عامل هام لامتصاص هذا الفيتامين ، يسمى بالعامل الداخلى : Intrinsic Factor حيث يتحد مع (الفيتامين) : ليتم امتصاصه فى الجزء الأخير من اللفائف Terminal ileum (وهو الجزء الأخير من الأمعاء الدقيقة) .

ومن الجدير بالذكر ، أن هذا الفيتامين ، يعد عاملا أساسيا للنضوج النووى ، وأيضا .. لتصنيع غشاء (الميلين Myelin Sheath) المحيط بالأعصاب وأيضا لحيوية الغشاء المخاطى المبطن للمعدة والأمعاء .

● **أسباب فقر الدم الناجم عن نقص (فيتامين ب١٢) :**

(١) (الأنيميا الخبيثة) لدى الأطفال Juvenile Pernicous Anemia : وتصيب الأطفال الصغار ، ما بين سن ٩ شهور و١٠ سنوات وتكون نتيجة عدم مقدرة معدة الطفل على إفراز العامل الداخلى اللازم لامتصاص الفيتامين ، ويعد هذا مرضاً وراثياً ؛ لأن غالبية الأطفال المصابين يكون لدى والديهم صلة قرابة ، ويختلف هذا المرض عن مثيله لدى البالغين ، والأطفال الكبار ، بأن المعدة تقوم بإفراز كمية طبيعية من حامض (الهيدروكلوريك) :

(٢) نقص فيتامين ب١٢ عند الأطفال الكبار : Vitamim B 12 Deficiency in older

Children:

ويحدث هذا نظراً لوجود أجسام مناعية مضادة فى أمصال ما يقرب من ٩٠٪ من هؤلاء الأطفال ضد الخلايا المبطنة لجدار المعدة ، التى تفرز العامل الداخلى اللازم لامتصاص الفيتامين .. وأيضا أجسام مناعية مضادة ، لمنع ارتباط الفيتامين بهذا العامل فى حوالى ٥٠٪ من أمصال هؤلاء الأطفال .

وبعض هؤلاء الأطفال يكون لديهم ضمور فى الغشاء المعدى Atrophy of gastric mucosa يؤدى إلى قلة إفراز حامض (الهيدروكلوريك) ، وقد يصاحب هذا المرض إصابة الطفل بفطريات الجلد Cutaneous Candidosis ونقصان فى نشاط بعض الغدد الصماء .

(٣) نقص فيتامين ب١٢ فى طعام الطفل :

ويعد هذا نادر الحدوث ، نظراً لتوافر الفيتامين المذكور فى كثير من الأغذية ، ويحدث هذا بين الأشخاص المعتمدين على البروتين النباتى فقط ، كمصدر للبروتين : Vegetarians ، وعند الأطفال المصابين بمرض سوء التغذية ، أو كانت الأم تعانى من نقص هذا الفيتامين ، ويكون الطفل معتمداً كلياً على الرضاعة من ثدى الأم .

(٤) قلة امتصاص الفيتامين من اللفائف (الجزء الأخير من الأمعاء الدقيقة) :

ويحدث هذا فى الحالات الآتية :

(ا) إصابة هذا الجزء من الأمعاء ، بالالتهابات مثل : إصابته بميكروب الدرن .

(ب) وإذا تم استئصال هذا الجزء من الأمعاء .

(جـ) وفى حالة إصابة هذا الجزء بمرض وراثى يحدث فيه قلة عدد المستقبلات Receptors الموجودة فى جداره ، التى يتحد معها الفيتامين ؛ ليتم امتصاصه .

(د) وزيادة نمو البكتريا فى أمعاء الطفل Blind Loop syndrome حيث تتغذى على هذا الفيتامين . ويعالج الطفل فى هذه الحالة بواسطة عقار التراسيكلين Tetracycline :

(٥) إصابة الطفل بأحد أنواع الديدان الشريطية المسماة بالدودة ذات الورقتين المحفورتين Diphyllobothrium Latum حيث تحدث هذه الأنيميا فى حوالى ½٪ فقط من الأطفال المصابين بهذه الدودة .

(٦) نقص البروتين الذى يتحد مع الفيتامين ، واللازم لامتصاصه ونقله . Trans Cobalamin .

● أعراض المرض :

(١) أعراض عامة : مثل إصابة الطفل بـ(الشحوب) وفقدان الشهية والخفقان وسرعة شعوره بالتعب وصعوبة التنفس عند بذل أقل مجهود .

(٢) إصابة الجهاز الهضمى مثل :
أن يكون لسان الطفل أحمر اللون وناعم الملمس red smooth نظراً لضمور حُلَيمات اللسان .

ـ قد يصاب الطفل بإسهال ، وسوء هضم مع تناقص الوزن .

ـ قد يصاب الطفل بالتهاب الفم Stomatitis .

ـ وفى حالات قليلة قد يتضخم الكبد والطحال Hepato Spleenomegaly .

(٣) إصابة الجهاز العصبى المركزى كالآتى :

قد يصاب الطفل بالتهاب أعصاب الطرفين Peripheral neuropathy ويؤدى هذا إلى فقدان الإحساس فى أطرافه .

حدوث مرض « الترنُـــح المخيخــــى » Cerebellar ataxia حيث يصاب الطفل بعدم القدرة على حفظ توازن جسده مع صعوبة وترنح فى المشى .

قد يحدث ضعـــف فى عضلات الجسد Muscle weakness نتيجة الإصابة الحزمة الهرمية العصبية Pyramidal tract .

(٤) قد يصاب الطفل بالنزف (من الفتحات أو تحت الجلد) نتيجة لقلة عدد الصفائح الدموية ، وتكرر إصابته بالالتهابات نظراً لقلة عدد كُرات الدم البيضاء .

● كيفية تشخيص المرض :

(١) القيام بعمل (صورة) دم كاملة كى يتجلى فيها الآتى :

(ا) قلة نسبة (الهيموجلوبين) وعدد كرات الدم الحمراء وتكون كبيرة الحجم ومحتوية على نسبة كبيرة من الهيموجلوبين .

(ب) قلة نسبة فيتامين ب١٢ فى مصل الطفل المريض عن (١٠٠ بيكوجرام) فى (المليليتر) .

(٢) القيام بعمل (بزل ـ سحب) للنخاع العظمى :

وتكون الخلايا الحمراء كبيرة الحجم مع زيادة نسبة (السيتوبلازم) وقلة نضوج نوى الخلايا مع زيادة نسبة الخلايا غير الناضجة .

(٣) القيام بعمل اختبار «شيلنج» Schilling Test :

حيث يتم إعطاء الطفل كمية كبيرة من (فيتامين ب١٢) عن طريق الحقن وفى نفس الوقت يعطى الطفل كمية صغيرة من الفيتامين المتحد مع مادة مشعة Radiolabelled عن طريق الفم وإذا كان الطفل غير مصاب بهذا المرض فإن (١٠ ـ ٣٠٪) من هذا الفيتامين المتحد مع المادة المشعة يتم إفرازها فى بول الطفل . أما إذا كان الطفل يعانى من قلة امتصاص الفيتامين فإنه سيتم إفراز كمية ضئيلة منه فى بول الطفل .

ولمعرفة سبب قلة امتصاص الفيتامين يتم إعادة الاختبار مع إعطاء الطفل العامل الداخلى اللازم لامتصاص الفيتامين مع الفيتامين المتحد مع المادة المشعة فإذا زادت كمية الفيتامين فى البول يكون سبب المرض قلة إفراز هذا العامل الداخلى ، أما إذا لم يزد إفرازه فى البول ، يكون سبب المرض إصابة اللفائف (الجزء الأخير من الأمعـــاء الدقيقة) .

● العلاج :

يتم علاج الطفل المريض عن طريق حقنه ـ فى العضل ـ بفيتامين ب١٢ كالآتى :

(١) فى الأسبوعين الأولين يتم حقن الطفل بالفيتـــامين بكميـــة تتـــراوح بين ١ : ٥ (ميكروجرام) يوميا ، إذا كان الجهاز العصبى المركزى غير مصاب ، أما فى حالة إصابة الجهاز العصبى المركزى يتم حقن الطفل بـ(١ ملجم) يومياً .

(٢) ثم يتم حقن الطفل بالفيتامين شهريـــاً بـ ١ ملجم من الفيتامين .

وبالله التوفيق

«وَيخلق مَا لا تعلمُونَ ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد . د / نجوى السيد أحمد *

آلة قياس متعددة الوظائف

أنتجت إحدى الشركات اليابانية آلة قياس جديدة متعددة الوظائف ، وهى عبارة عن مسطرة مرقمة طولها ٣٠ سنتيمتر مزودة بآلة حاسبة وذراع زالق يدور بزاوية ١٨٠ درجة حول محور ثابت فى وسط المسطرة ، يساعد هذا الذراع على رسم الدوائر والأشكال الهندسية الأخرى . أما حساب الدوال المثلثية فيتم على لوحة ملامس مجهزة بشاشة تظهر عليها النتائج وتستعمل هذه الآلة فى الملاحة البحرية والجوية .

ماكينة تصوير مستندات حديثة

طورت إحدى الشركات اليابانية ماكينة لتصوير المستندات وعرفت باسم « الطابعة البارعة » ، وتتميز بأنها اقتصادية وتقلل تكاليف النسخ إلى الحد الأدنى وسهولة استعمالها وإمكانية استبدال قاطع الاستنسل برأس حرارى ، كما أنها

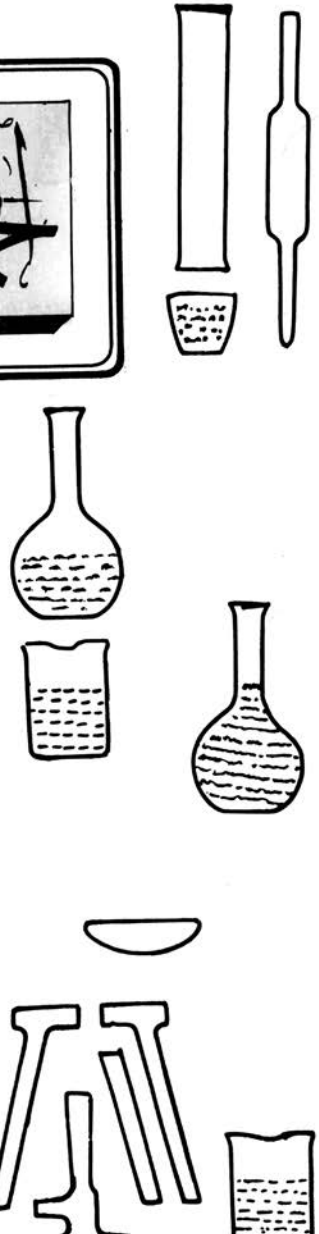

★ باحثة بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

تتميز بسرعتها وطباعتها ذات القيمة العالية وقدرتها على استخراج صور فائقة الوضوح من مستندات ذات أصول غير واضحة ، وانتاج داخلى حتى ١٢٠ صفحة فى الدقيقة ، وطاقة استيعاب علبة ادخال الورق حتى ١٠٠٠ ورقة بالإضافة إلى جميع وظائف الحذف والتظليل وعمليات قلب الورق والتصغير والتكبير « الأتوماتيكى » .

آلة حاسبة مصرفية

نجحت إحدى الشركات الأمريكية فى إنتاج آلة حاسبة صغيرة يستفاد منها فى أمور مصرفية كثيرة ولا يتطلب استخدامها أية معرفة متخصصة ، وبفضل بطاقات دليلية مدمجة فى الآلة يمكن للشخص الذى يستخدمها اجراء حساباته الاستثمارية بسهولة وتحديد القروض والمدخرات والقيام بالمقارنات بين عروض الاعتمادات واختيار الأفضل منها وتعمل هذه الآلة بالخلايا الشمسية .

الجمال لإزالة الأعشاب الضارة

قامت أحد المراعى فى ولاية « نيومكسيكو » فى الولايات المتحدة الأمريكية باستيراد عدد من الجمال للقيام بوظيفة نافعة جدا فى خدمة المراعى ، حيث تقوم هذه الجمال بتنظيف أراضى رعى الأبقار من الأعشاب الضارة مثل أشواك المسكيت والأعشاب الثعبانية التى لا تأكلها الأبقار والواقع أن هذه الأعشاب قد غزت خلال السنوات الأخيرة أراضى المراعى فى تلك المنطقة وطغت على أعشاب رعى الأبقار . ويعتقد هؤلاء الخبراء أنه إذا ما قضت الجمال على الأعشاب الضارة التى غطت المراعى ، فإن أعشاب رعى الأبقار ستستعيد قوتها ووفرتها السابقة .

معدن من الهيدروجين المضغوط

توصل الفيزيائيون الأمريكيون ـ للمرة الأولى ـ إلى دليل قوى ومفصل يؤكد أن الهيدروجين عبارة عن معدن عندما يكون خاضعاً لضغوط عالية ، حيث وجدوا أن ضغطا ثابتا مساويا لـ ٢,٥ مليون مرة قوة الضغط الجوى يمكنه أن يحول الهيدروجين إلى مادة سوداء صلبة ، ويمكن لهذا البحث أن يساعد فى حل بعض مشكلات الفيزياء النظرية وعلم الكواكب .

تقنيات جديدة لصناعة الورق وحفظه

معظم الكتب التى طبعت خلال السنوات الماضية سيكون مصيرها التلاشى بسبب الحموضة الموجودة فى ورقها والتى تؤدى إلى تدميرها تدريجيا . وقد صمم عالم كندى طريقة جديدة تقوم على أساس تجفيف الكتب ثم اغراقها بمركب معين من مركبات المغنسيوم الذى يعمل على تحييد الحمض ، وهذه الطريقة لا تشكل خطرا يذكر على الحبر أو على التغليف فضلا عن أنها تساعد فى إنقاذ ملايين الكتب والصحف المهددة بالفناء بسبب ورقها الحمضى .

أصغر مقياس شخصى لسرعة الرياح

ابتكرت إحدى الشركات الفلكية الفرنسية مقياساً صغيراً لسرعة الرياح معد للاستعمال

الفردى بوضعه على سطح المنزل أو على الشرفة . وهذا الجهاز مجهز بدوارة هواء ومسبار حرارى يوضعان فى الخارج ويتصلان مع الداخل بسلك ينتهى بصندوق القراءة الذى يحول المعلومات إلى ذبذبات سريعة ويرسلها إلى لوحة التحكم حيث تدون سرعة الرياح واتجاهها ودرجة الحرارة على شاشة بلورية .

رادار يتخطى الأفق

نجح فريق من العلماء الروس فى تطوير رادار يتخطى الأفق ويصل مداه إلى أضعاف المدى الذى تغطيه الرادارات الأخرى ، حيث يرسل هذا النوع من الرادارات حزماً راديوية إلى الغلاف « الأيونى » Iono sphere (وهو طبقة من الغلاف الجوى تحتوى على ذرات مشحونة وتبعد حوالى ٧٥ كيلومترا عن سطح الأرض) تنعكس الاشارات بواسطةت ؟ طلغثغ (وهو طبقة من الغلاف الجوى تحتوى على ذرات مشحونة وتبعد حوالى ٧٥ كيلومترا عن سطح الأرض) تنعكس الاشارات بواسطة الغلاف الأيونى عبر الأفق ، وعندما تصطدم بأجسام ترتد ثانية إلى الرادار المزود بحاسوب يسمح بتسجيل شدة الغلاف الأيونى وسماكته وظروف الطقس ويحدد أنسب تردد راديوى يجب استخدامه للحصول على أفضل أداء له .

نيون متعدد الأضواء

أنتجت شركة يابانية لصناعة الأدوات الكهربائية أنابيب « نيون » متعدد الأضواء بواسطة تغيير التيار الكهربى ، حيث يولد هذا النظام خمسة تداخلات لونية فى الأنبوب «النيونى» الواحد ، ويتألف من محول ومحكام يعمل آلياً وأنابيب يستخدم فيها بخار الزئبق بدلا من غاز الأرجون التقليدى .

الورق لصناعة أقلام الرصاص

استخدمت شركة أمريكية لصناعة أقلام الرصاص الورق وألواح الكرتون المعاد معالجته فى صنع أقلام الرصاص بدلا من الخشب ، وهو ابتكار فريد فى مجال هذه الصناعة ، ويتألف قلب القلم من الجرافيت والشمع والطباشير .

الشَّواهِدُ النَّحْوِيَّة

بين الأدلة اللغوية والمتعة الأدبية

لفضيلة الشيخ/ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

كنا ونحن طلاب نقرأ كتب النحو ونستوعبها ، وتمر بنا الشواهد النحوية التى تدور حول القاعدة النحوية مثبتة أو مناهضة ، فلا نعيرها اهتمامًا إلا بالقدر الذى يتعلق بالقاعدة التى جاء الشاهد من أجلها ، وكان سؤال الامتحان لا يطلب منا إلا أن نذكر موطن الشاهد وسبب الاستدلال ، وكنا نستظهر ذلك استظهاراً ، ولا يحدث أن يتأمل الكثير منا فى مفهوم الشاهد ، ولا مايدعو إليه من فكر ، وما يحتوى عليه من إشارات أدبية أو فنية .

والذى أغفلنا عن ذلك أن أسئلة الامتحانات فى آخر العام لا تعنى بالنواحى الفكرية فى الشاهد ، ولا تطلب من الطلاب مثلًا الإجابة عن صاحب النص إن كان شعراً ، ولا مناسبته ، ولامفهومه ، ولا ما يتصل به من معنى طريف ، أو حكمة رائعة ، أو إشارة أدبية ممتعة ، أو غير ذلك مما ينبغى أن يكون ليخفف من جفاف القواعد النحوية ، ويلفت الأذهان إلى الصور الجميلة والمعانى الرائعة التى تحفل بها هذه الشواهد.

ولكن حين أقبلنا على قراءة كتب النحو بعد تخرجنا قرأناها بروح جديد وفكر جديد ، والتفتنا إلى هذه الشواهد الرائعة التى هى من « القرآن الكريم » أو « الحديث الشريف » أو من « عيون الشعر » ، و « الحكم والأمثال » .

ولكنه ـ والحق يقال ـ حاول بعض أساتذتنا الأفاضل وعلمائنا الأجلاء من أمثال : الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ـ رحمه الله ـ أن يلفت أنظار الطلاب إلى أهمية الشواهد النحوية من الناحية الأدبية ، وإلى ما فيها من دلالات فكرية ، فقام بتحقيق كتب النحو المقررة على طلاب المعاهد الدينية فى الأزهر الشريف ؛ تحقيقاً يقوم على إلقاء الضوء على هذه الشواهد ، فيشير إلى رقم الآية من السورة إن كان الشاهد من القرآن الكريم ، ليحفز الطالب على تطلب الآية فى سياقها فيستخرج منها عبرة روحية إلى جانب دلالتها اللغوية .

وإن كان الشاهد حديثاً شريفاً خَرَّجه ، وإن كان بيتاً من الشعر أشار إلى قائله ، ومناسبته ، وشرحه لغوياً وفكرياً .

وقد قام بهذه المهمة خير قيام بالنسبة لكثير من كتب النحو مثل : « قطر الندى » ، « وشذور

الذهب » ، « ومنار السالك » ، « وشرح ابن عقيل » ، وغيرها .

ولايخفى أثره الطيب الذى قام به ، والذى مازال يثير طيب ا' ء والترحم عليه جزاء ماقدم من علم نافع وجهد مشكور .

جهود الأئمة السابقين :

وقد سبق هذا العالم الجليل أئمة أجلاء قدامى : كجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ والشيخ عبد القادر بن عمر البغدادى نزيل مصر سنة ١٠٩٣هـ ، وغيرهما ممن توفروا على شرح الشواهد النحوية فى كتب مستقلة ، والتعليق عليها بما حَوَّلها إلى كتب أدبية جديرة بالقراءة والاطلاع والاقتناء أيضاً ، للرجوع إليها طلباً للمتعة الأدبية وترويحاً للنفس والذهن من عناء الكد .

ولنتقدم إلى قرائنا الكرام بنموذج لذلك من كتاب شرح شواهد « المغنى » لجلال الدين السيوطى .. يشير إلى غزارة علم السيوطى وسعة ثقافته ، وكثرة اطلاعه .

وكتاب « المغنى » الذى نعنيه : هو كتاب : « مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب فى النحو » ومؤلفه الشيخ جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوى المتوفى سنة ٧٦٢هـ .

قال حاجى خليفة فى كتابه الحافل : « كشف الظنون » فى سبب تأليف هذا الكتاب : كان ابن هشام قد أنشأ فى سنة ٧٤٩هـ بمكة المكرمة كتاباً فى الإعراب ، فأصيب به فى منصرفه إلى مصر ، ثم لما عاد إلى الحرم بعد ذلك بسبع سنوات صنف هذا الكتاب على أحسن إحكام .

وهذا الكتاب قائم على شرح الحروف المستعملة فى النحو ، وهو حافل بالاستشهادات على هذه الاستعمالات .

وهو كتاب جليل الشأن باهر البرهان ، اشتهر فى حياة صاحبه ، وأقبل عليه الناس .. .

أما السيوطى شارحه فهو الإمام الحجة : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ ، صاحب المؤلفات الرائعة فى مختلف الفنون والعلوم ، ولقد ترك من المصنفات مايزيد على خمسمائة مؤلف ـ فيما يحكيه صاحب : « درة الحجال فى أسماء الرجال » .

لقد ألف السيوطى كتاباً شرح فيه شواهد « المغنى » وسماه بهذا الاسم . وأشار إلى منهجه فقال : كنت قد وضعت أولًا شرحاً مبسوطاً أوردت فيه عند كل بيت القصيدة بتمامها ، واتبعتها بفوائد ولطائف يبهج الناظر حسن نظامها ، فرأيت الأمر فى ذلك يطول ، فعدلت إلى طريقة وسطى ، فأورد البيت المستشهد به ، ثم أتبعه بتسمية قائله ، وسببه ، ثم أورد من القصيدة أبياتاً أستحسنها ، إما لكونها مستشهداً بها فى مواضع أخر من الكتاب ، أو فى غيره من كتب العربية ، أو لكونها مستعذبة النظم مستحسنة المعنى لاشتمالها على حكمة أو مثل أو نادرة ، ثم أتبع مأأورده من الأبيات بشرح ما اشتملت عليه من الغرائب والمشكل وبيان ماتضمنته من الاستشهادات العربية ، ثم أتبع ذلك بالتعريف بقائلها وترجمته .. ثم قال : أرجو أن يكون جامعاً فى هذا الباب ، مغنياً للطلاب

عن التطلاب .

وقد رجع السيوطى فى كتابه هذا إلى مراجع وكتب لا حصر لها ذكرها فى مقدمة كتابه .

مثال :

ولنقدم للقارىء الكريم شاهداً يشير إلى صدق ماذكره ..

قال : أنشد ابن هشام فى باب الهمزة قول الشاعر :

أفاطم مهلًا بعض هذا التدلل

ــ والشاهد فى هذا الشطر أنَّ من معانى الهمزة أن تكون للنداء ــ

قال السيوطى فى شرحه :

هذا صدر بيت لامرىء القيس بن حجر الكندى ، من معلقته المشهورة ، وتمامه :

وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى

وبعده :

وإن كنت قد ساءتك منى خليقة فَسُلِّى ثيابى من ثيابك تنسلى
أغرك منى أن حبك قاتلى وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

قال : وقد استشهد المصنف من هذه المعلقة بنحو من عشرين بيتاً تأتى فى محالها ، وسيأتى ذكر مطلعها فى باب الفاء .

من فاطم ؟

وفاطم بالفتح منادى مرخم على لغة الانتظار ، وهى : فاطمة بنت العُبيد بن ثعلبة العذرية ..

ثم قال : عن الأصبغ بن عبد العزيز قال : سألت نصيباً الشاعر : أى بيت قالت العرب أنسب ؟

فقال : قول امرىء القيس : أفاطم مهلا ..

التعريف بامرىء القيس

قال : وامرؤ القيس هذا هو ابن حجر ــ بتقديم الحاء المضمومة على الجيم الساكنة ــ ابن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار .... ثم ذكر بقية نسبه .

قال : ويكنى أبا يزيد ، ويقال : أبو وهب ، ويقال : أبو الحارث ، وبه جزم ابن دريد فى « الوشاح » .

ومن الطرائف التى ذكرها حول امرىء القيس :

قال : ويقال : إن اسمه مليكة ، وكنيته أبو كبشة ، وأن أباه كان ينهاه عن قول الشعر ، ويرفع نفسه وولده عن ذلك ، وأنه سمع منه شعراً ، فأمر غلاماً له بقتله ، وأن يأتيه بعينيه .

فانطلق الغلام فاستودعه جبلًا منيفا ، وعلم أن أباه سيندم على قتله ،وعمد إلى جؤذر كان عنده فنحره ، وامتلخ عينيه ، فأتى بهما حُجْراً ــ حتى هم بقتل الغلام ، فقال له : أبيت اللعن ، إنى لم أقتله .

قال : أين هو ؟

قال : استودعته جبل كذا .

قال : فائتني به .

فأتاه به . فلم يقل بعدها شعراً حتى مات أبوه .

قال الأصمعي : وكان يقال لامرىء القيس : الملك الضِّلِّيل ، ولجده عمرو : الملك المقصور ، لأنه اقتصر على ملك أبيه .

ثم استطرد السيوطي إلى قصته بعد مقتل أبيه وطلبه بثأره وموته غريباً طريداً ..

قال : ومن الأقوال في اسم امرىء القيس : حندج .

وفي النسب إلى امرىء القيس : مرقسي .

وأشعر المراقسة ــ يعني الشعراء المسمين بامرىء القيس ــ ابن حُجْر ، وبعده امرؤ القيس الذائد . وهو أول من تكلم في نقد الشعر .

أشعر الشعراء

قال : واتفقوا على أن أشعر الشعراء امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأعشى .

فامرؤ القيس من اليمن ، والنابغة وزهير من مُضر ، والأعشى من ربيعة .

قال ــ والكلام للمرزباني الذي نقل عنه ــ : وأشعر الأربعة امرؤ القيس ، ثم النابغة ، ثم زهير ، ثم الأعشى ، ثم بعدهم جرير والفرزدق والأخطل .

ونسب إلى يونس قوله : كان علماء البصرة يقدمون امرأ القيس ، وأهل الكوفة يقدمون الأعشى ، وأهل الحجاز والبادية يقدمون زهيراً والنابغة .

وقال ابن سلام : مر لبيد بالكوفة ــ في بني نهد ــ فسألوه : من أشعر الشعراء ؟ فقال : الملك الضليل ــ قيل : ثم من ؟ قال : الغلام القتيل ــ يعني طرفة بن العبد ، قيل : ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل الجليل ــ يعني نفسه .

ثم استطرد السيوطي إلى ذكر امرىء القيس وموقف الإسلام منه .

فقال : أخرج ابن عساكر في « تاريخه » من حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ مرفوعاً : امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار ؛ لأنه أول من أحكم قوافيه .

قال السيوطي : وأصل الحديث في الصحيح بدون آخره . بلفظ : حامل لواء الشعر إلى النار .

وقال ابن أبي شيبة في « المصنف » : « حدثنا أبو أسامة عن أبي سرواعة عن عبادة ابن نسي قال : ذكر الشعراء عند النبي ﷺ فذكروا امرأ القيس ، فقال النبي ﷺ : مذكور في الدنيا منكور في الآخرة ، حامل لواء الشعراء إلى جهنم يوم القيامة » .

ومن الفوائد التي ذكرها

قال : المسمون بامرىء القيس غير هذا جماعة ، منهم امرؤ القيس مهلهل بن ربيعة وسيأتي

الاستشهاد بشعره فى (لو) .
وامرؤ القيس بن حمام بن عبيدة بن هبل بن أبى زهير بن جناب ، وكلاهما جاهلى .
وامرؤ القيس بن عمرو بن معاوية بن السمط .
وامرؤ القيس بن النعمان بن الشقيقة .
وامرؤ القيس بن عانس الكندى ــ أدرك الإسلام وله صحبة .
وامرؤ القيس بن الأصبغ الكلبى ــ صحابى أيضاً .
وامرؤ القيس بن بكر الذائد بن كندة ــ جاهلى .
وامرؤ القيس بن الفاخر بن الطماح الخولانى ــ صحابى .
وامرؤ القيس الكندى الملقب بالجفشيش ــ بالجيم ، ويقال بالحاء ، ويقال بالخاء ــ له صحبة .
وامرؤ القيس بن عدى من بنى عليم ــ أسلم فى زمن عمر .
وامرؤ القيس بن جبلة السكونى .
وامرؤ القيس بن عمرو السكونى .
وامرؤ القيس بن بحر الزهيرى .
وامرؤ القيس بن كلام بن رزام العقلى .
وامرؤ القيس بن مالك النميرى .
فانظر إلى هذا الاستقصاء الذى يدل على دراية وعلم .

طبقات الشعراء :

قال السيوطى ــ قال الجاحظ : كان الشاعر من العرب يمكث فى القصيدة الحول ، ويسمون تلك القصائد الحوليات ، والمنقحات ، والمحكمات . يصير قائلها فحلًا خنذيذا ، وشاعراً مفلقا .

قال : وفى بيوت الشعراء الأوابد ، والأمثال ، ومنها الشواهد والشوارد .

والشعراء عندهم أربع طبقات : أولهم الفحل الخنذيذ وهو التام ، ودون الخنذيذ الشاعر المفلق ، ودون ذلك الشاعر فقط ، والرابع الشعرور .

هذا الاستطراد الذى اختصرناه حول شطر بيت ذكره ابن هشام فى المغنى ، يدل على غزارة علم السيوطى ، وكثرة مادته ، وسعة ثقافته .

وإن دراسة الشواهد بهذه الصورة يخرج بالقارىء إلى دائرة معارف واسعة تنمى عقله ، وتثرى ثقافته ، وتربى موهبته ، وتوقظ ملكته ، وتخرج به من تلك الدائرة الضيقة المحدودة ، دائرة الاستشهاد النحوى إلى محيط واسع لاحد له من المعارف الأدبية التى ترضى الذوق والوجدان ، وتملأ النفس بهجة وانشراحاً ..

وأرجو أن يكون لنا لقاء آخر مع البغدادى وكتابه الممتع « خزانة الأدب فى شرح شواهد الرّضى » .

وبالله التوفيق .

أدب الرحلة

فى تراث الدكتور عبد الوهاب عزام

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

أدب الرحلة أصيل فى الآداب العالمية ، وله سماته وخصائصه المتميزة .. وقد حفل التاريخ الأدبى بأسماء الكثير من أعلام هذا الأدب ورواده ، الذين قاموا برحلات متعددة خارج ديارهم ، وطافوا فيها بأنحاء شتى من العالم .. من أمثال الرحالة العرب ابن بطوطة ، وابن جبير الأندلسى ، ومن الغرب : كريستوفر كولومبس وماركو بولو وغيرهم .

وللعلامة (الإدريسى) كتاب مشهور يحمل عنوان : « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » وهو من أهم كتب الرحلات .

ولسنا فى معرض الحديث ، بإفاضة ، عن أدب الرحلة اليوم . ولذا نقتصر على ذكر إسهام بعض كبار أدبائنا المعاصرين بمؤلفات لهم فى هذا الأدب . فللدكتور هيكل : (ولدى) و (فى منزل الوحى) ، وللمازنى : (رحلة الحجاز) وللدكتور زكى مبارك : (ذكريات بغداد) و (ذكريات باريس) ، وللدكتور حسين فوزى : (السندباد البحرى) ، وللدكتور عبد الوهاب عزام : (رحلات عبد الوهاب عزام).

هذا ؛ وينفرد الأستاذ العقاد برأى مخالف فى (أدب الرحلة) ، حين يقول :

« أعتقد أن ملكة الرحلة غالبة على الرَّحالين وغير الرحالين ، ولكنها تظهر فى صور كثيرة ، غير صورة الرحلة الخارجية ، ومنها الرحلة إلى داخل النفس ، أو فى عالم الخيال ... والظاهر — لا ، بل المحقَّق — إننى أنا أحد الرحالين بغير انتقال .. ومع هذا ، يحلو لى أن أقول : إننى طفت العالم من مكانى الذى لا أبرحه ؛ لأننى رأيت من هذا المكان ما لايراه الرحالة المتنقِّلون » .

ولعل العقاد ، فى قوله هذا ، يحاول أن يبرز إيثاره للعزلة والانفراد ـ مع أقلامه وأوراقه ـ على القيام برحلات للعالم الخارجى ، فمن قرأ ، ليس كمن رأى وسمع ، وانفعل ، ومزج كل شىء حوله ، بمشاعره وتأملاته وخواطره ..

ومن هذا المنطلق ، نحاول أن نلج إلى العالم الرحيب ، للدكتور عبد الوهاب عزام ، وفى رحلاته ، بعد أن تمحَّص للخير والحق والجمال ، بالمعنى السماوى السامى ، للجمال والجلال ..

* * *

يقول الدكتور عزام بمستهل كتابه (رحلات عبد الوهاب عزام) : « بدأت أسفارى فى البلاد الإسلامية ... من سنة ١٣٥٨ للهجرة ، إذ سافرت إلى اسطنبول ١٩٣٩ ، وتتابعت الأسفار من بعد ، فسافرت إلى الشام بعد سنة ، وإلى العراق السنة التالية ، ثم سافرت إلى إيران ١٩٣٤ ؛ للمشاركة فى حفلات الفردوس ، وإلى العراق السنة التالية ، فأقمت فيها سبعة أشهر ، ثم عاودت السفر إلى تركيا ١٩٣٧ ، وجُلْتُ فى أرجاء الأناضول .. وكان طريق الذهاب والإياب إلى الشام ، فَتَلَبَّثْتُ فيها قليلًا ، كما حرصت على المرور بها ، فى كل أسفارى : إلى العراق وإيران .

وشَرُفْتُ بالسفر إلى الحجاز عام ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م) ، وعدت إلى العراق فى العام نفسه ، للمشاركة فى تأبين الملك غازى رحمه الله .

« أما أسفارى إلى أوربا ، فقد تكررت بين عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٧ ، ثم كانت سَفْرتى إلى بروكسل ـ لحضور مؤتمر المستشرقين ـ صيف عام ١٩٣٨م » .

* * *

حرص عزام على تدوين تفاصيل أسفاره ، وانطباعاته وانفعالاته فى أسفاره الشرقية ، بصفة خاصة ، بدقة الوصف وبلاغة التعبير ، مع التعريف بالبلاد الإسلامية وآثارها ـ والمُقدَّسة منها بصفة أخَصَّ ـ وأحوالها عامة ، وما مرت به من انتصارات وانكسارات .. خُذْ مثلًا قوله فى وصف أحاسيسه ومشاعره ، بعد أن صار قاب قوسين أو أدنى من دمشق : « .... وغربت الشمس ، وأظلم الأفق .. فَلَاح على بُعْد نور دمشق ، ثم دخلناها ، والنفس مقسمة بين عين تجهد لترى دمشق ، وقلب يخفق لرؤية دمشق ، وفكر يبحث فى ثنايا التاريخ عن دمشق وحظَّها من عِبَرِ الزمان .. وها هو ذا بَرَدَى ، حقيقة لا خيالا ...»(١) .

وهكذا نرى أن الدكتور عزام لم يكن يعمد فى تدوين خواطره ، أثناء رحلاته ، على مجرد السرد السطحى ، بل كان يغوص إلى الأعماق والأغوار ، حيث تمتزج المشاهد بوجدانه ، فيصوغها بلواعجه واختلاجاته .. ولأن الشعر ـ كما يقول سومرست مُومْ ـ يُعدُّ من الآداب جميعها ـ قمتها الباهرة ، وتاجها المتلألىء .. لأنه منها بمثابة الهدف والغاية ، فهو أسمى مايرقى إليه

(١) رحلات عبد الوهاب عزام ص ١٢ طبعة ١٩٥٠م .

الذهن البشرى ، من ضروب الإبداع .. لهذا كله ، عمد عزام إلى سكب خواطره وانفعالاته ، فى عيون قصائده أثناء رحلاته ومن ذلك قوله فى قصيدته عن (دمشق) ، بدفقة شعورية حارة :

هذى دمشق فَخَلٍّ القلبَ يمتارُ طالت على القلب أشواق وأسفار
حُطَّ الرحالَ ، فهذا جَهْرَةٌ : بَرَدى وذى دمشق هناك الأهل والدار
وَرَدْتُ (جِلَّقَ) مُلتاعا .. ومُغتبطا تطفو بنفسى آمالٌ وأفكار
دمشق مجتمع الأعْصار قد زَخَرتْ فيها .. كما انْدفقتْ فى البحر .. أنْهارُ
وكان مجلسنا أيْكًا على بَرَدَى تجاوبت فيه أفنان وأطيار

وفى خضم رحلاته ، نراه يقول عن العرب والعروبة :

« ذاك ماض مجيد ، يجد حاضرًا مجيداً » .

وذاك تاريخ يتدفق من قمم المجد الشاهقة ، فى مجرى العزمات الماضية ، إلى المستقبل الوضاء ..

ومن ذا يصدُّ السيل إذا هدر ، أو من ذا يرد على الله القدر ..؟

بل مَن يُسَلْسل البحر بأمواجه ، أو يردُّ الحُرَّ عن منهاجه ؟

دار السلام لاعداك المجدُ
وارفة ظلاله .. تمتدُّ
ولا حدا نجمك إلا السعدُ
موصولة الآجال ، بالأجيال

وأريد هنا أن أقف قليلًا ، أمام البيت الثانى من قصيدته (الدمشقية) ، الذى يقول فيه :

حُطَّ الرحال ، فهذا ـ جهرةً ـ بَرَدى وذى دمشق .. هناك الأهل والدار

ففى هذا البيت الفريد ، جُماع خصائص وأفانين أدب الرحلة ، ومُعطياته ، وتميّزه فى تقديرى ؛ فرؤية الدكتور لنهر بَرَدَى : جهرةً ، هو الذى أَوْحى له بهذه الفلتة الشعورية العميقة ، بعد أن تحقق الأمل الذى كان يهفو له ، بتوق ووَجْد ، يتمثلان فى قوله ، قبيل وصوله إلى دمشق :

« وكان القلب يخفق كلما سألنا السائق ، فأخبر أن المدينة قد اقتربت .. » .

وكثير من السؤال اشتياق وكثير من رَدِّه تعليلُ ، كما يقول المتنبى ..

فرحلته تلك لم تكن لمجرد النزهة ، أو الترفيه عن النفس ، أو محاولة الهروب من شىء يرغب فى نسيانه ، والبُعد عن مواطن التذكير به .. بل كانت هذه الرحلة ليرى خلالها بلداً عزيزاً عليه ، يحرص على رؤيته رأى العين ، عن كثب ، ليعيش فيه مع عزيز الذكريات .. وهكذا يرتفع الدكتور عزام ، برحلته تلك ، فوق إيقاع الحياة العادية ، ويُشْبع توقه إلى الاستزادة من العلم والمعرفة ، بطريقة عملية واقعية ..

والانتقال من مواطن إلى آخر ، فى العالم الذى نعيش فيه يُعطى للرحَّالة بهجة تفوق بكثير ما يمكن أن يحصل عليه من معلومات وأوصاف عن البلاد والأماكن الأثرية ، والرحاب المقدسة .. مهما وصف الواصفون ، وأبدع المصورون .

فكل منا ، على سبيل المثال ، يرى الوردة فى صورة تكاد تنطق بالجمال والروعة ، ولكنه ــ مهما أمعن النظر لها ــ فلن يتسلل منها ، إلى حاسة الشم لديه ، أى قدر من رفيف الوردة فى بستانها ، وهى تُفْعم ما حولها ، بعبيرها وشذاها .

وكذلك قد نشاهد فى صور بديعة ، مساقط المياه والشلالات ، فى لوحات نادرة خالدة ، ولكن يبقى ماعجزت هذه الصور عن توصيله إلى أسماعنا ، من هدير وخرير ، وجيشان .. وحياة .

وقد نرى صورة رائعة لفراشة تستقر فوق أوراق زهرة ، ولكن الصورة لن تُغْنى عن الأصل ، والأروع للفراشة .. وهى تلتفت وتتحرك مزهوة فَوق الزهرة ، وكأنهما معاً ــ الفراشة والزهرة ــ تتباريان فى منافسة ، أمام العين ، وتريد كل منهما أن تظهر أنها الأجمل ، فى التحبير والزركشة والبهاء .

ومهما يكن من أمر ، فلعل الدكتور عزام ــ برحلاته ــ لم يكن يقنع بصحبة أصدقائه ، فى وطنه فحسب ، لطموحه إلى صداقات الرجال ــ والأعلام منهم بصفة خاصة(٢) ــ فى كل صقع من أصقاع الأمة الإسلامية ــ للترابط والتضافر ، ولاسترجاع المجد الغابر ، بالتعارف وتبادل الآراء واكتساب الخبرات وترشيد المسار وتقويمه ..

بل لعل الدكتور عزام ، كان يهدف إلى التجديد والتحليق فى شتى الآفاق ، وإدمان التفكير ــ فى عزلة بعيدة فيما مضى ، لتطوير وتشذيب ماهو آت ، وتحسينه ، بعد ازدياد النضج والبحث المُتاح ، فى شتى المصادر ، والنأى ــ ما أمكن ــ عن كل ما هو مألوف ومعروف فى مكان واحد ، يُحاصر الأعمار ، ويحدُّ من الطموح والقدرات والوثبات .. ولله در الإمام الشافعى حين يقول :

سأضرب فى طول البـــلاد وعرضهـــا ... أنـــال مُرادى ، أو أمـــوت غريبـــا

فإنْ تلِــفَتْ نفسى ، فللـــه درُّهـــا ... وإن سلــمتْ .. كان الرجـــوع قريبـــا

وقوله المشهور فى تفصيل ما أوجزه هذان البيتان :

سافـــر تجد عوضاً عمـــــن تفارقـــــه ... وانصب .. فإن لذيذ العيش فى النصب

إنى رأيت وقـــــــوف الماء يفسده ... إن سال طاب .. وإن لم يجر .. لم يطب

والأسد لولا فراق الغاب .. ما افترست ... والسهـــم لولا فراق القـــوس . لم يُصب

والتِّبْـــر كالتُّـــرب .. ملقـــى فى أماكنـــه ... والعـــــود فى أرضه .. نوعٌ من الحطب

فإن تغـــــرَّب هذا .. عَزَّ مطلبـــــه ... وإن تغـــرب ذاك .. عز .. كالـــذهب

(٢) وهذا هو الذى حَذَا بالأستاذ عبد المنعم خلاف ، أن يقول فى رثائه د . عزام : « إنه كان ألْسنة العرب والفرس ، والترك والهند ، فكانت داره دارهم ، وموائده قِرَاهم .. وترجمان التعارف والأخوَّة بينهم ، كالرحم الواصلة الموصَّلة فيهم .. وكالفكرة والعقيدة الموحدة لهم ، فى زمن أصاب المسلمين فيه داء الأقوام : من النعرات القومية ، والوثنية الاقليمية ، والمنافرات الشعوبية .

كان يصل الصلات المقطوعة بين أرض العروبة ، ويوقظ الغافلين ، ويعلم الراغبين ، ويأخذ لنفسه زادها من المعرفة والأخوة ، ثم يُعطيه لأمته : درساً ومقالات ، وخُطبا ، وقصائد .. » .

فقه تغيير المنكر

عرض وتقديم/ أحمد عبد الهادي الأبيض

يقع الكتاب فى ١٣٤ صفحة من القطع المتوسط ويحتوى على تقديم ، وتمهيد ، وفصلين ، ثم خلاصة له .

فى المقدمة يتحدث المؤلف عن خيرية الأمة الإسلامية وتمييزها وقوامها وكيانها وخلودها، مبيناً أن ذلك منوط بقيامها بالحق والدعوة إليه والدفاع عنه . حيث لم يرض الله لها . وهى الأمة الخاتمة أن تكون صالحة فى ذاتها لذاتها ، بل لابد أن تكون صالحة فى ذاتها مصلحة لغيرها ، مضحية فى سبيل تمكين الحق والدفاع عنه .

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

آل عمران الآية ١١٠

وخيرية الأمة نابعة من تحرير علاقة الإنسان بالله ، ـ تعالى ـ والإنسان والسلطة ، فعلاقة المسلم بربه علاقة عبودية ، وعلاقته بالسلطة علاقة مساواة ، وهو الدرس الذى فهمه ووضحه الخليفة الأول فى الإسلام أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ بقوله «وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأطيعونى ، وإن أسأت فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله ، فإن عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ، ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» والإسلام لم يكتف بإباحة عملية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإنما أوجبها ، وإنما تكون ألزم بالحاكم المسلم ، وبذلك يكون المجتمع الإسلامى قائماً على هذه الفكرة حفياً بها وملتفاً حولها .

والأمة الإسلامية تعتمد على تقويم سلوكها على هدايات الوحى وأخذ العبرة واستنباط العلل والظواهر التى حكمت السقوط والنهوض الحضارى حتى تأخذ حذرها .

وماتتعرض له الأمة الإسلامية فى هذه الأيام من هزيمة نفسية وتراجع يرجع إلى تهميش الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وأصبح القائم على الحق غريبا ومستغربا ومتشددا ومتطرفا وأصوليا .. الخ .. هذه المصطلحات التى لاعلاقة لها بنا ولعل هذا هو أخطر ماتتعرض له الأمة .

والأمة الإسلامية تدرك أهمية «حسبة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» فهى قائمة وإن تضافرت ضدها الجهود لأنها مستمدة من الوحى الألهى الثابت المحفوظ ، ولكن مايخشى عليه هو أن يتحول المسلم من منتج إلى مستهلك فتتسلط عليه الأمم لتعوق نهوضه وتقدمه ، لذا يرى الكاتب . أن حسبة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تعنى امتداد مرحلة الروح وفاعلية الفكرة واستمرارها وتجديدها وعدم انقطاعها ، فقد تضعف الأمة زمناً ، لكن روحها الإسلامية تظل آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر ، وفى هذا حياتها من جديد .

تمهيد :

وفى التمهيد يوضح الكاتب أن «تغيير المنكر» مهمة عظيمة والقيام بها يحتاج إلى الفقه والحكمة ، ومن ثم كان «تغيير المنكر» غاية ووسيلة فى ضوء الكتاب والسنة ، المسلم لايسلم بشىء أو يرده إلا بعد عرضه على القرآن الكريم والسنة النبوية فما كان متفقا معهما أخذه والتزم به ، وما خالفهما تركه .

الفصل الأول : التغيير ضرورة وغاية .

يرى المؤلف أن منهج الإسلام فى بناء المسلم يكون عقيدة وسلوكا : لايرمى من وراء ذلك أن يجعل المسلم صالحا فى نفسه فقط . بل يجعله صالحا فى نفسه مصلحا لغيره ، يقول تعالى

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾

سورة التوبة

ويقول رسول الله ـ ﷺ ـ «خير الناس أقرؤهم وأتقاهم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم» .

(أحمد ٦/٤٣٢)

ويقول الله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

« آل عمران آية ١١٠ »

الفصل الثانى : التغيير وسيلة ومنهاجا

فى هذا الفصل يبين الكاتب أن وجود المنكر فى المجتمع أمر طبيعى لايخلو منه أى مجتمع فى أى حقبة من حقب التاريخ ، ولكن ليس من الطبيعى أن يرى أبناء المجتمع المنكر فلا يسعون لتغييره ، لأن فى التغيير حياة للأمة على النحو الذى يحبه الله ويرضاه ، وتغيير المنكر يُبقى الأمة على المحجة البيضاء .

يقول الرسول ﷺ : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم ٦٩/١ والترمذى والنسائى وغيرهم .

مفهوم المنكر :

المنكر ماخالف كتاب الله وسنة نبيه ﷺ مخالفة قاطعة فكل ما أنكره الشرع يجب تغييره ، وهو ماظهر ووقع ، أما ماخفى ولم يطلع عليه أحد كالذى يقترفه بعض الناس سرا فلا يفتش عنه لقول رسول الله ﷺ : « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لاتغتابوا المسلمين ، ولاتتبعوا عوراتهم فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيته » (سنن أبى داود فى الأدب باب الغيبة) ،

وحقيقة التغيير : استبدال شيىء مرغوب فيه بشىء غير مرغوب فيه .

ضرورة تغيير المنكر :

يشبه الرسول - ﷺ - القائم على حدود الله والواقع فيها بحال راكبى سفينة فعن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - عن النبى - ﷺ - قال : مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وماأرادوا هلكوا جميعا ، وإن يأخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعا (البخارى - الشركة يقرع فى القسمة) وذلك بيان واضح فى نوع التغيير المطلوب ، ولكن حينما يكون فى ذلك خروجا على حدود الله أو تجاوزا فى استعمال الحق ، فإن الإسلام يضع القيود التى تصحح ذلك ، فعن سمرة بن جندب أنه كانت له عضد من نخلة فى حائط رجل من الأنصار ، - قال ومع الرجل أهله - قال : فكان سمرة يدخل إلى نخلته فيتأذى به ويشق عليه ، فطلب إليه أن يبيعه ، فأبى فطلب إليه أن يناقله فأبى ، فأتى النبى - ﷺ - فذكر ذلك له ، فطلب إليه النبى - ﷺ - أن يبيعه فأبى ، فطلب إليه أن يناقله ، فأبى ، قال : فهبة له ، ولك كذا وكذا - أمراً رغبة فيه - فأبى فقال : «أنت مضار» فقال رسول الله - ﷺ - للانصارى : اذهب فاقلع نخله .

(اخرجه أبو داود ـ الأقضية ـ أبواب من القضاء) .

ويرى الكاتب فى شروط التغيير أن يكون إيمانا واحتسابا وابتغاء مرضاة الله وبالحكمة وبالموعظة الحسنة وإخلاص النية وموافقة الشرع .

أما القائم بالتغيير فلابد أن يكون مسلما ، بالغا عاقلا ، غير مرتكب للمنكر ، عملا بقول الله تعالى :

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾
البقرة ـ ٤٤

والواقع فى المنكر لايشترط فيه التكليف فالصبى ممنوع من إتلاف ماله ونفسه ، ووسائل التغيير : اليد واللسان والقلب ، ومراتب التغيير : الحكمة والموعظة الحسنة ، ثم ينتقل إلى ماهو أشد كالأعراض وإظهار التجهم .

التغيير باليد :

يكون لمن له ولاية خاصة كالأب على أولاده ، أو من له ولاية عامة كالحاكم .. يقول رسول الله ـ ﷺ ـ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الامام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته .. (البخارى ومسلم) .

وإن كان الواقع فى المنكر صاحب الولاية العامة كالحاكم ؛ فالعلماء مطالبون بتقديم النصح له وتوضيح خطأه .

والتغيير باللسان :

يكون بالتعليم والنصح والدعوة إلى الخير بالحسنى وهذا يختلف من شخص إلى شخص ، فالحاكم ومن مثله من أصحاب الولاية ـ الخاصة أو العامة ـ وكذا العلماء لا يحتاجون إلى إذن خاص فى التغيير ، أما غير هؤلاء فلابد من إذن حتى لا يحدث الانتشار للفوضى والتنافر بين أفراد المجتمع .

التغيير بالقلب :

يكون بالإعراض عن المنكر وأصحابه والاعتصام عن الاختلاط بالواقع فى المنكر ، واحتقاره مادام على حاله ، ولا سيما إذا كان مجاهراً بالمنكر .

وهذا أمر يسير لايعجز عنه أحد أبدا وبه يفسر (أضعف الإيمان) أى أيسر ، فمن عجز عن التكليف بالأعلى « التغيير باليد أو باللسان » ، وقام بالتكليف الأدنى « التغيير بالقلب » لا يُسمى ولايوصف بأنه ضعيف الإيمان ؛ لأنه أتى بما هو أيسر له فهو أضعف اجراً ، وإذا عجز المسلم عن تغيير المنكر باليد أو اللسان ووجد الصبر على ذلك أولى وأصلح له ولأمته فعليه بالصبر والتغيير بالقلب واللجوء إلى الله ـ عز وجل ـ بتخليص الأمة من المنكر والواقعين فيه .

عرض وتقديم الأستاذ
عادل فهمي خفاجة

تقع جمهورية الشيشان فى الشمال الشرق من القوقاز ، وتبلغ مساحاتها ١٣,٣٠٠ كم٢ وعدد شكانها ـ حسب إحصاء ١٩٩١ ـ ١,٤٥٠,٠٠٠ نسمة ، والبلاد المجاورة لها والمحيطة بها هى : « داغستان » فى الشمال وفى الشرق ، و« جمهورية الأنجوش » و« أوسيتيا » الشمالية فى الغرب ، و« جورجيا » فى الجنوب(١) . و« الشيشانيون من الشعوب القديمة التى سكنت القوقاز منذ آلاف السنين ، ويشكلون أحد الشعوب الأصلية لمنقطة القوقاز ، ويمتاز الشيشانيون بطول القامة ، والنحافة ، وقوة البنية والوسامة ، ويتمتعون ببديهة حاضرة وشجاعة نادرة ، وكان كرم الضيافة ولازال واجباً يستمسكون به ، وسلوكياتهم تتسم بالشرف إلى درجة لم تعرف لدى الشعوب المتمدنة(٢) والشيشانيون مسلمون سنيون يتبعون المذهب الشافعى .

بعدَ انهيار الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٩١ تمت انتخابات برلمانية جديدة كما تم انتخاب رئيس للجمهورية بوجود مراقبين من جمهوريات (لتفيا) و(روسيا) و(الدانمارك) ، وفاز الجنرال (داوديف) بمنصب الرئاسة بنسبة ٨٠٪ وأقسم اليمين القانونية فى ١٩٩١/١١/٢م .

وعلى إثر ذلكَ قام الرئيس الروسى (يلتسن) بإنزال ألفين من قوات أمن وزارة الداخلية فى أراضى (الشيشان) فى ١٩٩١/١١/٨م ليفجر بذلك الأزمة الشيشانية .

من هنا كان اختيارنا لكتاب « أزمة الشيشان والحظر المحدق بمسلمى آسيا » للواء أ.ح.د. فوزى محمد طايل .

---

(١) د/ محمد حرب : معلومات أساسية لفهم المسألة الشيشانية ـ مجلة الأزهر عدد شعبان ١٤١٥ هـ ص ١٠٧٥

(٢) مصطفى كسبة : الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين ملحق مجلة الأزهر العدد ذى العقدة ١٤١٥هـ

المؤلف :

مؤلف هذا الكتاب هو اللواء أ.ح.د. فوزى محمد طايل أستاذ الاستراتيجية الشاملة بأكاديمية ناصر العسكرية . تخرج فى الكلية الحربية سنة ١٩٦٠ وكلية حقوق القاهرة سنة ١٩٧٨ ، وحصل على درجة الدكتوراه سنة ١٩٨٦ وعلى درجة الزمالة بكلية الدفاع (أكاديمية ناصر العسكرية العليا) سنة ١٩٨٧ من مؤلفاته :

- أهداف ومجالات السلطة فى الدولة الإسلامية .
- النظام السياسى فى اسرائيل .
- البوسنة والهرسك أندلس جديدة فى أوروبا .
- آثار حرب الخليج على منظومة القيم الإسلامية العليا .
- آثار تفكك الاتحاد السوفيتى على أمن الأمة الإسلامية .
- ثقافتنا فى إطار النظام العالمى الجديد .
- وهذا الكتاب الذى نعرض له .
- أزمة شيشان والخطر المحدق بمسلمى آسيا .

وله ترجمات منها :

- البعد الإسلامى فى حرب الخليج (عن الفرنسية) .
- الجواسيس غير الكاملين - تاريخ مجتمع الاستخبارات الإسرائيلى (عن الإنجليزية) .

بالإضافة إلى العديد من المقالات فى الصحف والمجلات .

الكتاب :

يقع الكتاب فى سبع وثمانين صفحة من القطع المتوسط ، وقد صدر عن مركز الإعلام العربى ، ويُعد استكمالاً لبحث سابق للمؤلف بعنوان « آثار تفكك الاتحاد السوفيتى على أمن الأمة الإسلامية » الذى تقدمت دراسة عنه بمجلة الأزهر - شهر صفر ١٤١٥هـ .

وهذا الكتاب عن أزمة الشيشان يعد بمثابة متابعة لبحثه هذا السابق ومكملا له .

قسم المؤلف كتابة إلى مقدمة ومبحثين :

الأول : التدخل والتنافس الدولى فى الجمهوريات والأقاليم الإسلامية بالاتحاد السوفيتى (السابق) .

والثانى : أزمة شيشينيا

تناول المؤلف فى المبحث الأول الظروف الدولية التى نشأت عن تفكك الرابطة الاتحادية السوفيتية ، وعلاقة هذا بكل من العلو الصهيونى العالمى ، وتزايد الرغبة فى استعادة مجد الأمة الإسلامية ؛ فقدم ملاحظات عدة جوهرية بين يدى بحثه ، ولعل أهم تلك الملاحظات قوله :

● برغم أن اسرائيل دولة غربية إلا أننا نلاحظ قدراً من التنسيق بينها وبين الغرب بصفة عامة ، وأمريكا بصفة خاصة فى نفس الوقت الذى يصدق فيه عليهم جميعاً قول الله - تبارك وتعالى :

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ الحشر / ١٤

فلكل منهم أهدافه التى يسعى لتحقيقها .. وهم جميعاً يركبون سفينة النظام العالمى الجديد التى يقودها النظام الصهيونى العالمى .

ويحلل الكاتب الأوضاع العالمية على النحو التالى :

● أوروبا الغربية فى حالة قد تؤدى بها إلى التوحد أو إلى فوضى عارمة .

● الأمم المتحدة قد تحولت إلى منتدى يسير أعضاؤه على مقتضى تعليمات من الولايات المتحدة

الأمريكية .. أو بقول أدق .. من الصهيونية العالمية .

● إسرائيل توشك أن تفرض هيمنتها على الشرق الأوسط الذى أصبح يضم - بالمفهوم الصهيونى - الجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفيتى (سابقاً) .

● هناك تحالف غير مقدس بين الصهيونية العالمية والصليبية الغربية لضرب الإسلام ضربات حاسمة فى المجالات الاقتصادية والثقافية والبشرية والسياسية ، فضلاً عن انتزاع أحد مقدساته (المسجد الأقصى) .

ثم هو يدلف بعد ذلك - فى شىء من التفصيل - إلى الظروف التى يجرى فى ظلها التدخل والتنافس ، فيذكر منها :

١ - تفكك الرابطة الاتحادية السوفيتية ، وأسباب هذا التفكك الذى لم يأت نتيجة حرب نووية أو تقليدية أو حتى حرب أهلية بل جاء بطريقة قانونية هادئة فيما سمى باتفاقية « مينسك » Minsk (عاصمة روسيا البيضاء) .

٢ - تمزق الأمة الإسلامية :

إذ لازالت الرغبة فى النهضة واستعادة المجد الإسلامى مستقرة فى القاعدة الشعبية لاتلقى التأييد أو الترحيب من جل القيادات السياسية فى الأمة الإسلامية ؛ لذا تجد هذه الرغبة صعوبة واضحة فى الانتقال إلى مرحلة النهضة والتأثير الحقيقى فى مجريات الأمور ؛ بل هى ماتزال قاصرة - حتى الآن - عن دفع العدوان الذى يحيق بها من كل جانب : فى البوسنه وفلسطين والعراق والخليج والقرن الإفريقى والقوقاز وآسيا الوسطى .

فأدى ذلك إلى تعرض معظم أراضى الأمة الإسلامية للاحتلال فى شكله الجديد (الاحتلال المهذب) .

٣ - محاولة فرض النظام العالمى الجديد :

وذلك كى تحقق الولايات المتحدة قيادتها لهذا الكوكب الأرضى من خلال محورين :

الأول : فتح الأسواق العالمية أمام المنتجات والشركات الأمريكية كى تحوز أمريكا لنفسها القوة التصديرية العالمية العظمى .

الثانى : حمل العالم كله على السير وفقا للقيم الأمريكية (بالولايات المتحدة) .

ثم يتناول طبيعة الصراع ، والتحالف الأمريكى - الأوروبى - الإسرائيلى الذى يسعى إلى هدم روسيا الاتحادية استكمالا لعملية تفكيك الاتحاد السوفيتى ، والوصول بـ (روسيا الاتحادية) إلى جعلها دولة حارسة تسيطر على الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز والقرم لصالح الغرب اقتصاديا وثقافيا ، وتحول دون أن يملأ الإسلام الفراغ العقائدى و (الأيدولوجى) الذى خلفه انهيار الماركسية .

ثم ينهى هذا الجزء الأول من الكتاب بأن شعوب الأقاليم والجمهوريات الإسلامية التى كانت تابعة للاتحاد السوفيتى فى حاجة إلى دعم ثقافى مركز ، ودعم مادى يسير فى قنوات آمنة ، وإن العمل على عودة هذه البلاد إلى أمتها هو نوع من الإعداد وابتغاء القوة التى أمرنا الله تعالى بها .

﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

الأنفال/٦٠

وفى القسم الثانى من الكتاب الذى خصصة المؤلف للحديث عن شيشينيا يوضح عدة نقاط هى :

١ ــ لماذا شيشينيا ؟

٢ ــ لماذا الآن ؟

٣ ــ الأطراف الظاهرة للأزمة الشيشانية ومحركوها الحقيقيون .

٤ ــ احتمالات تطوير أزمة شيشينيا .

وبعد عرض مستفيض يخلص المؤلف إلى أن هذه أزمة قد اصطنعت فى (شيشينيا) بالذات لأسباب عقدية ثقافية ــ جيوستراتيجية فى آن واحد ، وأن الأزمة تدخل فى إطار إدارة الصراع الدولى ؛ لاستكمال إقامة مايسمى بالنظام العالمى الجديد .

وفى إجابته عن «لماذا الآن» ، استعرض المؤلف خمسة أبعاد هى : البعد السياسى (داخليا وخارجيا) ــ البعد الاقتصادى ــ البعد الزمنى ــ البعد المناخى ، ثم البعد العسكرى .

وبعد الكلام عن طرفى الأزمة الظاهرين وهما : (جمهورية شيشينيا ، وجمهورية روسيا الاتحادية) يوضح الأطراف الضالعة فى هذه الأزمة .

● فيؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية استغلت غطرسة وجهل القيادة الروسية ؛ لتدفع بها إلى أزمة ثم تتولى الولايات المتحدة معالجتها فى مرحلة لاحقة بما يحقق لها التدخل الكامل فى منطقة القوقاز .

● أما الاتحاد الأوروبى فيحبذ قيام حرب طويلة المدى فى القوقاز بين الروس والمسلمين ، يمكنهم من خلالها :

ا ــ التدخل العسكرى وغير العسكرى هناك .

ب ــ التخلص من التزامهم بتقديم العون الاقتصادى الذى تعهدوا به .

جـ ــ أن ينجح الشيشان فى الانفصال عن روسيا ليصبح هذا بمثابة سابقة تؤدى إلى تفكك الاتحاد الروسى .

● ثم يلقى المؤلف بالائمة على الأمة الإسلامية ويجعلها ثالثة الأطراف الضالعة فى هذه الأزمة ؛ فهى ماتزال فى غفلة من أمرها ؛ حيث اكتفت (منظمة المؤتمر الإسلامى) ــ بعد مرور أسبوعين ــ على بدء اقتحام القوات الروسية لجمهورية شيشينيا ــ بمناشدة المجتمع الدولى بأن يمارس نفوذه السياسى لوضع حد للنزاع وتسوية الأزمة .

● أما إسرائيل فهو يرى أنها استغلت هذه الظروف لإعادة ترتيب الأوضاع واستكمال تهويد القدس .

● أما الأمم المتحدة فإنها تدعو بصوت خفيض إلى سحق الشيشان بتأييدها وحدة روسيا .

وخلاصة القول : أن (السلاف) وجدوا أنفسهم يقومون بقتال المسلمين ــ سواء أرادوا ذلك أو دفعوا إليه ــ بالوكالة عن النظام الصهيونى الصليبى فى أمريكا وأوروبا .

أما عن احتمالات تطور أزمة شيشينيا فيقول المؤلف بعد عرض سريع لاستراتيجية تعامل الغرب مع روسيا فى المرحلة القادمة والتى تعتمد على إثارة الحروب من النوع منخفض المستوى أو الحروب الصغيرة (Minor Wars) يقول :

وجماع هذا كله أن أزمة شيشينيا تعد بمثابة بداية الانهيار الوشيك للاتحاد الروسى ، الذى لن يقوى اقتصاديا ولا اجتماعيا على مواصلة التورط فى

أزمة قد تستمر عدة أسابيع[3] ، وربما عدة أشهر وغالب ظنى أنها ستستمر عدة سنوات حتى يتفكك الاتحاد الروسى ، ويعود الشيشانيون إلى بلادهم .

فإذا ما انهار الاتحاد الروسى فإن المواجهة ستكون مباشرة بين الأمة الإسلامية وبين التحالف الصهيونى - الصليبى الغربى .

ثم يختتم المؤلف كتابه بقول الله تبارك وتعالى :

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾
المائدة الآية ٥٤

ويرجو أن يكون هؤلاء القوم هم شعوب الترك ومسلمو أوروبا ، ومن أخلص الإيمان لله تعالى من غيرهم .

ويقدم للمسلمين نصيحة متمثلة فى قول الحق - تبارك وتعالى - :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾

المائدة الآية ٥٧

وبعد ، فالكتاب يعد من الكتب التى تضع المواطن وجها لوجه أما المعلومات الجادة ليكون له منها موقف مصيب ، وقد ساق له المعلومات فى إطار من بساطة التناول وسهولة العرض ، فجمع إلى جانب البعد الأكاديمى بعدا جماهيريا هاما .

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية أن تعلن عن صدور الأجزاء الأربعة من الموسوعة الفقهية :

«بحوث وفتاوى إسلامية فى قضايا معاصرة»

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق - شيخ الأزهر

ويمكن للسادة راغبى الشراء ، أفراداً وجماعات ، التوجه إلى «مبنى الإدارة العامة للمشتريات والمخازن للأزهر الشريف ، شارع الفردوس امتداد شارع أحمد سعيد أمام نادى مرفق مياه القاهرة [٤٨٢٤٢٦٠] .

(٣) قدم هذا البحث فى يناير ١٩٩٥ م - فى ندوة حول أزمة شيشينا - بجامعة الأزهر .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

بين يدى هذا الباب

.... أليست المجلة علامة بارزة فى هذا الاتجاه؟

تلقى الباب من الأستاذ / يحيى السيد النجار ـ من دمياط ـ اقتراحاً بتخصيص باب ثابت بعنوان « اعرف عدوك » هدفه إعطاء الواقع حقه بما يتطلبه منا كتاب الله الكريم وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهو اقتراح طيب أعتقد أنه يستحق هذه الوقفة :

فالحق أنه كثيراً ما تنشر « مجلة الأزهر » فى مادتها ـ بالمقالة والخبر والتقرير ـ ما يبصر المسلمين بأعدائهم ويكشف لهم عن خططهم وأساليبهم ليأخذوا حذرهم .

لكنه قد راعها أولئك الذين يتاجرون بالإسلام ـ من بنى جلدته ـ يشوهون صورته حينا ، ويعلنون حينا آخر ـ فى وقاحة ـ معاداتهم له ولقيمه وتعاليمه .

من هنا كان واجب « مجلة الأزهر » فى مناوئة هذه التيارات المنحرفة تبصيرا لأمتنا ، وتحصينا لشبابنا من زيف الشعارات البراقة التى يروجها أعداؤه .

ومجلة الأزهر إنما تسهم بهذا الدور مؤصلا برؤية العلماء وقادة العمل الإسلامى ؛ حتى تظل قائمة برسالتها التى صدرت من أجلها عام ١٣٤٩ هـ ـ منذ أكثر من خمسة وستين عاما ـ ، وهى أن تكون « الحارس الأمين على تعاليم الإسلام من أعداء الإسلام » تلك الرسالة التى لا تزال « مجلة الأزهر » ـ بفضل من الله تعالى ـ تفرض وجودها بها على الساحة الفكرية والثقافية فى مصر والعالم الإسلامى ، ويتزايد عليها الطلب من أجله .

ومن ثم نرى أن تخصيص باب ثابت عن « أعداء الإسلام » يُعَدُّ قيدا يخرج عنه بقية مواد المجلة المتضافرة فى خدمة هذا الاتجاه .

كذلك تلقى الباب كلمات عدة ، تجد ـ عزيزى القارىء ـ صدىً لها فيما يقبل من صفحات ، فتجد كلمات عن : جمال الحق ـ عز وجل ـ ودور الإعلام والتعليم فى خدمة المجتمع الإسلامى ، ومكانة العقل فى الإسلام ، وأصناف الناس فى إنفاق المال ، وآداب الترويح عن النفس ، وأخرى عن أنواع القلوب ، إلى غير ذلك من إبداعات القراء فى الشعر ، وزاوية الردود والتعليقات والإجابة عن الاستفسارات والله ـ تعالى ـ من وراء القصد ..

المحـــرر

جمال الحق ـ عز وجل ـ

وكتب الاستاذ/ حسن احمد مكرم ـ معهد إعداد الدعاه بأسيوط ـ هذه الكلمة عن جمال رب العالمين ، جاء فيها :

من أعز أنواع المعرفة معرفة الرب ـ سبحانه وتعالى ـ بالجمال ، وهى معرفة خواص الخلق ، وكلهم عرفه بصفة من صفاته ، وأتمهم معرفة ؛ من عرفه بكماله وجلاله وجماله ، سبحانه ، ليس كمثله شىء فى سائر صفاته .

ويكفى فى جماله أن كل جمال ظاهر وباطن فى الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته ، فما الظن بمن صدر منه هذا الجمال .

ويكفى فى جماله أنه له العزة جميعا ، والقوة جميعا ، والجود كله والإحسان كله ، والعلم كله ، والفضل كله ، ولنور وجهه أشرقت الظلمات كما قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى دعاء الطائف :

« أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة »(١) .

قال عبدالله بن مسعود : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات والأرض من نور وجهه ، فهو سبحانه نور السموات والأرض ، ويوم القيامة إذا جاء لفصل القضاء تشرق الأرض بنوره .

وفى الصحيح عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **إن الله جميل يحب الجمال** » رواه مسلم ، وابن ماجه ، وأحمد بن حنبل .

وجماله سبحانه : جمال الذات ، وجمال الصفات ، وجمال الأفعال ، وجمال الأسماء . فأسماؤه كلها حُسنى ، وصفاته كلها صفات كمال ، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة .

---

(١) الحديث مشهور فى الأعلام وكتب السيرة النبوية كالسيرة النبوية لابن كثير ـ رحمه الله ـ وغيره .

دور الإعلام والتعليم

وكتب الأستاذ/ كمال عبدالمنعم محمد خليل هذه الكلمة عن دور الإعلام والتعليم فى خدمة الإسلام .

لا شك فى أن التعليم والإعلام من أهم ركائز المجتمع المسلم ، فبالنسبة للتعليم فإن الله تعالى ميز العلماء ورفع منزلتهم فقال سبحانه .

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾

المجادلة آية ١١

والعلم الذى يجب تعلمه وتعليمه لأجيال المسلمين هو العلم النافع للدنيا والآخرة ، والذى يصل بصاحبه إلى مرتبة العبودية الحقة لله تعالى ، وأفضل مايجب تعلمه هو كتاب الله تعالى وهدى نبيه ﷺ حتى ينشأ العبد على طاعة الله عز وجل ، وحتى يكون ذا عقيدة راسخة لاتزعزعها أراجيف المبطلين والعلمانيين ويجب على العالم الإسلامى أن يخطو خطوات متقدمة تجاه العلوم الكونية والتجريبية فى إطار من القواعد والأسس الإسلامية التى تحكم هذا الأمر وأهمية تجنب التقليد الأعمى للغرب .

أما بالنسبة للإعلام فهو الذى يشكل عقلية المجتمعات ويؤثر فيها سلبا وإيجابا ، فهو سلاح ذو حدين ، ومن ثم نجد فيه النفع والفائدة إن استعملت مساحته فى خدمة الإسلام ورفع شأن المسلمين .

● نرجو أن يعلم حضرات الكتاب لهذا الباب أن ذكرهم لأحاديث شريفة دون ذكر مصدرها يكون سببا فى عدم النشر ، كما أن كتابة الكلمات بخط غير واضح ويحتاج إلى من يفك رموزه مما يحول - أيضا - دون قراءته وبالتالى دون نشره .

التسبيح فى القرآن والسنة

كتب الأستاذ/ رمضان الأقرع - الخطيب بطنطا - هذه الكلمة الموجزة عن مكانة التسبيح فى الكتاب والسنة :

« روى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين . وحمد الله ثلاثاً وثلاثين . وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فتلك تسع وتسعون . وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » رواه مسلم .

وقال النبى ﷺ : « التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملؤه . ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه » رواه الترمذى عن ابن عمر .

وقد ورد لفظ التسبيح فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة .. منها قوله تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن

لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ الاسراء: ٤٤

وقوله تعالى :

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾

سُورَةُ طه

مكانة العقل فى الإسلام

وكتب الأستاذ/ محمد غلى البلجيهى ـ من أويش الحجر بالمنصورة ـ تلك الكلمة عن مكانة العقل فى التشريع الإسلامى :

« خلق الله الإنسان ، وأنعم عليه بالعقل ، فهو نعمة كبرى ، يعرف به الإنسان الخير ، وينكر به الشر ، ويميز به بين الصحيح والسقيم ، والحسن والقبيح ـ ولقد أشار القرآن الكريم إلى العقل بمعان مختلفة منها الحكمة ، الذكر ، أولو الألباب . وغيرها .

قال الله تعالى :

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

الآية ٢٦٩ من سورة البقرة

وقد أوجب الإسلام حفظ العقل لأنه لا يستقيم الكون ولا يزدهر إلا به ، ولذلك فقد حرم الإسلام كل ما يعطل وظيفة العقل ، فحرم شرب الخمر ، وتعاطى المخدرات ، كذلك منع المسكرات التى تذهب العقل وتضعفه .

صنفان فى إنفاق المال

كذلك كتب الاستاذ/ عماد ميزار عبدالعظيم جابر ـ من قرية الاعلام بالفيوم ـ هذه الكلمة :

١ ـ صنف ينفق المال فيما لا يجب أن ينفق فيه وهؤلاء المبذرون .. يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء ـ الآية ٢٧] .

٢ ـ صنف ينفق المال فيما يجب ويحبسه عما لا يجب ، فينفق حيث يجب الإنفاق ويمسك حيث يجب الإمساك وهذا هو حد الاعتدال المطلوب .

يقول تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾

سُورَةُ الفُرْقَان

ويقول تعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ سُورَةُ الإسْرَاء

من أدب الترويح عن النفس

كتب الأستاذ/ أحمد محمد محمد سلام ـ الحاصل على ليسانس الدعوة الإسلامية ـ جامعة الأزهر ـ هذه الكلمة عن أدب الإسلام فى الترويح عن النفس ، بالمزاح والضحك والتبسم ، والقدر اللازم فى كل :

ا ـ المزاح :

- الملاطفة بالقول فى المزاح ، ومداعبة الإخوان والخلان ، مما يضفى على الحياة الاجتماعية روحا

شفافة ، تستمتع النفوس بجمالها ، وتتذوق معنى السعادة فى ظلالها ، وشرط ذلك فى أدب الإسلام أن لايجافى الحقيقة ، وأن يكون بقدر . قالوا يارسول الله ، إنك تداعبنا ، قال : إنى **لا أقول إلا حقا**(١) .

وأتى رجل إليه ـ ﷺ ـ فقال : يارسول الله ، احملنى ، فقال ـ ﷺ ـ **«إنا حاملوك على ولد ناقة»** . قال : ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال ـ ﷺ ـ **«وهل تلد الإبل إلا النوق؟»**(٢)

وهكذا أجاب ـ ﷺ ـ الرجل إلى طلبه ، ومزح معه فى الجواب ، حتى تساءل الرجل ـ ماذا أصنع بولد الناقة ؟ أى لايقوى على حملى ، فكان الجواب لطيفا صادقا **«وهل تلد الإبل إلا النوق؟»**

وكـــذلك قال ـ ﷺ ـ لأنس : **«ياذا الأذنين»**(٣) فهذا مزح ، ولكنه مزح لايدخله الكذب ، فكل إنسان له أذنان ، ورسول الله ﷺ صادق فى وصفه إياه بذلك(٤)

وأتت أمرأة عجوز إلى الرسول ـ ﷺ ـ فقالت : يارسول الله ، أدع الله تعالى أن يدخلنى الجنة فقال : «يا أم فلان ، إن الجنة لاتدخلها عجوز ، فولت تبكى ، فقال : ـ أخبروها إنها لاتدخلها وهى عجوز ، إن الله تعالى يقول «إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا»(٥) .

والرسول ـ ﷺ ـ فى هذا كله لم يقل إلا حقا ، فمثل هذا المزاح تطيب به نفس المخاطب ، وتكون المؤانسة .

ولايجوز الإفراط فى المزاح والمداومة عليه ، لأنه يشغل عن مهمات الحياة ، دنيا وأخرى ، ويؤذى الناس ويسقط المهابة والوقار . وهذا هو الذى ورد فيه النهى «لاتمـــار أخـــاك ولا تمازحه»(٦) .

ب ـ التبسم :

الابتسامة العذبة التى تعلو الوجه فى لقاء الأحباب ، ومعاشرة الإخوان تضفى على الحياة مرحا طيبا ، فى أنس الأخ لأخيه وسروره بلقائه ، وهى أمر مشروع يذهب بالجفاء ، ويروح عن النفس فأما التجهم فإنه يورث الناس وحشة تباعد بين قلوبهم ، وتفسد ذات بينهم وكان رسول الله ـ ﷺ ـ فى لقائه مع صحابته ، يبتسم فى وجوههم ، يقول ابن عبدالله البجلى : «مارآنى رسول الله ـ ﷺ ـ منذ أسلمت إلا تبسم فى وجهى»(٧) .

الضحك :

الضحك فوق التبسم ودون القهقهة ، فالتبسم انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور دون صوت ، وهو أول مبادىء الضحك ، والضحك مايكــــون بصوت لايسمعـــه إلا القريب(٨)

والضحك ـ وكذا البكاء ـ من الفطرة(٨) «وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ»(٩)

---

(١) أخرجه الترمذى
(٢) اخرجه أبو داود والترمذى
(٣) اخرجه ابو داود والترمذى كذلك .
(٤) راجع كتاب الحديث والثقافة الإسلامية .
(٥) الآيات ٣٥ : ٣٧/ الواقعة ، والحديث روا الترمذى فى الشمائل .
(٦) اخرجه الترمذى .
(٧) متفق عليه .
(٨) والحيوانات تضحك ايضا وذلك بأن تصدر اصواتا مختلفة ، وتحريك الآذان واهتزاز الذيل للكلب ، وانتفاض الاجنحة للطيور ، وضرب الأرض للأرانب ، والضبع يصدر اصواتا عند الضحك تشبه صوت الإنسان ، ويضحك الطفل مابين الشهر الأول والثالث ، راجع كتاب «سيكلوجية الضحك» .
(٩) آية ٤٣/ النجم .

ولـلضحك أسباب مختلفة كالتعـجب أو الاحتجاب ، أو الملاطفة بطلاقة الوجه .

ولا بأس بالضحك عند توافر دواعيه ودون إفراط بما لايصل إلى القهقهة ودون أذى من سخرية أو غيرها فقد ضحك ـ ﷺ ـ عندما دخل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ والنسوة يسألن رسول الله ـ ﷺ ـ ويكثرن من المسألة ، فاحتجبن(١٠) وضحك ـ ﷺ ـ عندما كان بالطائف وقال لأصحابه إنا راجعون غدا للقتال إن شاء الله ، فسكتوا(١١) .

وعندما جبذه أعرابى بردائه جبذة شديدة أثرت فى عنقه ، فالتفت إليه ـ ﷺ ـ وضحك(١٢) ثم أمر له بعطاء ، والذى يظهر من الأحاديث أن النبى ـ ﷺ ـ كان فى معظم أحواله لا يزيد عن التبسم ، وربما ضحك أحيانا .

أما الاكثار من الضحك والإفراط فيه فإنه يذهب الوقار ، وهو ماورد النهى عنه « لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب »(١٣)

أنواع القلوب

وكتب إلينا الشيخ/ خيرى محمد أبو الروس من كفر الشيخ ـ كفر الجرايدة/ بيلا ـ بعض اجتهادات العلماء فى تقسيم القلوب :

إن القلوب ثلاثة أنواع : القلب السليم ، والقلب المريض ، والقلب الميت .. وإليك بيانا بهذه الأنواع :

النوع الأول : « القلب السليم » هو القلب الذى امتلأ بالرضى والطمأنينة والسكينة فلا يعرف غلًا ولاحسداً ولا حقداً ولا أنانية .

وهو الذى يقول فيه الله ـ عز وجل ـ على لسان خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ سورة الشعراء

النوع الثانى : « القلب المريض » وهو إما أن يكون مرضه مرض شهوة وإما أن يكون مرضه شبهة . أعاذنا الله منهما ، أما مرض الشهوة فيفهم من قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [سورة الأحزاب الآية ٣٢] ، وأما مرض الشُبْهَةِ ، فهو مرض النفاق ، وهو الذى لا يجعل القلب ثابتاً على معرفة الله وطاعته ، وفى هؤلاء يقول القرآن الكريم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة البقرة

النوع الثالث : فهو القلب الميت ، وهو الذى ختم الله عليه فأظلم وأصبح فى حكم الميت ، يقول جل شأنه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة ٦ ، ٧] . نسأل الله ـ عز وجل ـ أن يجعل قلوبنا نقية متصلة به حتى نأتِهِ يوم القيامة بقلب سليم .

(١٠) روى هذا الحديث فى الصحيحين .
(١١) رواه البخارى
(١٢) مخرج فى الصحيحين .
(١٣) رواه البخارى فى الأدب المفرد وكذلك ابن ماجه .

من إبداعات القرّاء

من قصيدة

نافخ الكير

للشاعر/ جابر محمد الكردى

أقصد المخلوق الشرير الذى ينفث الشر والفتنه فيتقرب منه ضعاف الإيمان على حساب دينهم ..

يا نافـــخ الـــكير إنَّ الـــكير يلفحنــــا ... بحرٌ نارك والــــــنيران تَرْمينـــــا
هلَّا سكـــــنت بقفـــــرٍ ليس يقطنـــــه ... غيـــرُ الأراقـــم . فارحـــل عن أراضينـــا
إنَّـــــا ابْتلينـــــا بشرٍّ منك تنفثـــــه ... مثـــل الأفاعـــى تريـــد السمَّ يَفنينـــا
توبـــوا إلى الله كى تعلـــو مكانتكـــم ... ويسعـــــد الخلـــقُ والأرزاق تأتينـــا
بطانـــــة السوء لا تعلـــو مكـــــانتهم ... عنـــد الإلـــه ولـــو فى النـــاس أعلينـــا
فالـــكير أضحـــى ولُـــودًا كم يؤرِّقنـــا ... ويـــنشر السوء ، فى الأخـــلاق يؤذينـــا

من قصيدة

أنا مسلم

للشاعر/ محمدى حسن الشافعى

أنـــا مسلـــم عفُّ الــــلسان عن البـــذىء من الكلـــم
.. بالعـــــدل والإحسان فى كل المواقـــــف ألتـــزم
وإلى كتـــــاب الله فى شتَّـــــى أمـــــورى أحتكـــم
.. أنـــــا مسلـــــمٌ ـ بالله ربى أستـــــعين وأعـــــتصم
وعلى طريـــــق الحق أخطـــــو واثقـــــاً .. لا أنهزم ..
.. أنـــا مسلـــم ـألقـــى الشدائـــــد فى شموخ ، أبـــتسم
فإذا السعـــــادة فى فؤادى تستقـــــــر وتنسجـــــم
وإذا السرور على جبينـــــــــــــــــى* فى هدوء يرتسم
فأقـــــول : حمداً للإلــــه الحق .. وهـــــو المنتقـــــم ..
وبـــــنصره سبحانـــــه .. دومـــــاً جراحـــــى تلتئـــــم

استدراك

نشرت المجلة فى العدد الماضى ـ ضمن محتوى هذا الباب ـ تنويهاً عن كتيب « توحيد اللسان فى قراءة القرآن » لمؤلفه الأستاذ/ نبيل محمد عبد الخالق ، وكعادة نهج المجلة ـ مع مثل هذه الإصدارات أن تشير إلى دار الطبع والنشر ليس غير ؛ فأما ما عدا ذلك فإنه يدخل فى (الإعلان) ومجلة الأزهر لا تقدم إعلاناً .

لذا نأسف لطلب السيد المؤلف . ونرجو أن يلتقى وخطة المجلة .. وشكراً .

ردود وتعليقات

● القارىء محمد عبد الحكيم حسن ـ قرية مهدية ـ محافظة المنيا .

نرجو أن تتسع لنا مستقبلًا مساحة النشر لشتى الأجناس الأدبية ذات الطابع الذى يتفق ومجلة الأزهر ، فنحن ندرك مدى أهميتها وقيمتها ، ولكن ضغط المادة المقالية مع قلة المساحة مما يحول دون ذلك .

● القارىء محمد أحمد ضيف ـ بمنشية ناصر ـ القاهرة .

يمكنكم الحضور إلى مقر مكتب مجلة الأزهر بالجامع الأزهر لبحث مطلبكم .

● القارىء أسامة عبد المولى سند ـ بالمعهد العالى للتعاون الزراعى بشبرا الخيمة .

« هذا بيان للناس » كتاب من جزأين ويمكنكم شراؤه بثمانية جنيهات من قسم بيع الكتب بالإدارة العامة للتوريدات خلف مدينة البعوث بالقاهرة ـ بجوار مصنع تاكى .

● السادة قراء المجلة من هواة الشعر ونظمه .

أفاد الأستاذ « رشاد محمد يوسف » مقدمُ باب « الشعر والشعراء » بالمجلة أنه اطلع على كل التجارب الشعرية التى تلقاها من هذا الباب ، وأبدى إعجابه بها كمحاولات جادة على هذا الدرب ، غير أنه ينصح زملاء المستقبل بحكم خبرته الطويلة فى نظم الشعر وقراءته ؛ بأهمية البعد عن المعانى المستهلكة والابتعاد عن التقليد والتكرار ، مع أهمية الاهتمام بالأوزان وحفظ الكثير من الشعر العربى قديمه وحديثه .

● القارىء فهمى أحمد سلطان ـ كلية اللغة العربية ـ أسيوط .

معهد الدراسات الإسلامية ـ مقره : ميت عقبة بالزمالك ـ يمنح الدبلوم والماجستير بمصروفات ، ويشترط الحصول على مؤهل عال من إحدى الجامعات أو المعاهد العليا .

● القارىء محمود عبد العزيز عبد المجيد من دار البلدية بكفر الشيخ .

تلقيت قصيدتكم التى مطلعها « لن يطفىء النار من زاد اللظى حطباً » وقد أعجبت بمعانيها الفياضة ، وفى انتظار إبداعاتكم .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

شيخ الأزهر تسلم جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

تسلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا العام ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م وذلك فى حفل كبير أقيم فى الرياض بالمملكة العربية السعودية بمناسبة تسليم جائزة الملك فيصل للفائزين بها .

حضره الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام، وعدد من الأمراء والوزراء والمسئولين .

وقد قام الأمير سلطان بتسليم الجائزة لفضيلته والتى جاءت تقديراً لجهوده البارزة والرائدة ولتعدد مجالات عمله فى خدمة الإسلام والمسلمين ثم ألقى فضيلته كلمة أكد فيها على ضرورة قيام العلماء بدورهم المنشود فى التبشير بمنهج الإسلام الإصلاحى فى المجتمع .

كما ألقى الأمير خالد الفيصل مدير عام «مؤسسة الملك فيصل الخيرية» ورئيس هيئة الجائزة كلمة عبر فيها عن شكره وتقديره للعلماء الفائزين بالجائزة الذين أثروا العلم وقدموا خدمات جليلة للإنسانية جمعاء ، وجوائز الملك فيصل العالمية تمنح للشخصيات البارزة والعلماء الذين لهم إسهامات غير مسبوقة فى مجال تخصصهم، ويتم التقدم لها بترشيح من جهة علمية معترف بها : كالجامعات والهيئات العلمية .

رسالة شكر من أمير «ويلز» لشيخ الأزهر الشريف

بعث الأمير تشارلز أمير (ويلز) وولى عهد بريطانيا برسالة إلى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف يشكر فضيلته على حفاوة اللقاء به أثناء زيارته للقاهرة وللأزهر الشريف مبينا أنه قد أسعده فرصة اللقاء بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ومناقشة الموضوعات المشتركة الهامة التى تهم الإسلام والعالم الغربى ، ويأمل بشدة أن يتولى

فضيلة الإمام الأكبر شخصياً تقوية الروابط بين مصر ومركز أكسفورد للدراسات الإسلامية التى دار الحديث حولها ، وأكد أنه يشعر بمزيد من الامتنان على الهدايا الكريمة والجميلة التى مُنِحَت لسيادته من شيخ الأزهر الشريف إذ ستبقى ذكرى تُذَكِّره بهذه المناسبة الهامة التى لا تنسى كما بعث بخالص تحياته وتمنياته الشخصية وشكره العميق على كرم اللقاء به .

شيخ الأزهر الشريف افتتح المؤتمر الدولى للعلوم والتنمية

طالب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بضرورة

لقاء فضيلة الإمام الأكبر والسيد سفير بنجلاديش بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد السفير طفيل حيدر سفير جمهورية بنجلاديش بالقاهرة، وقد أعرب السيد السفير عن شكره وامتنانه لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر الشريف على ما يقدمه من خدمات للإسلام والمسلمين وعن شعوره بالراحة النفسية والغذاء الروحى فى زيارته لفضيلة الإمام الأكبر .

وعرض السيد السفير إمكانية إرسال عدد من المدرسين لتدريس العلوم العربية والدينية لفترة عام دراسى كامل ، وذلك للعمل مع المدارس التى تشرف عليها وزارة الأوقاف والشئون الدينية فى بنجلاديش .

وقد استجاب فضيلة الإمام الأكبر ووعد بدراسة هذا الموضوع وقال : إن الأزهر يعاون على إرسال المدرسين لخدمة اللغة العربية وعلوم الدين فى كل مكان .

كما تم التباحث فى موضوع المنح الدراسية لطلاب بنجلاديش، وقد وعد فضيلة الإمام بدراسة الأوراق تمهيدا لاتخاذ ما يلزم .

الأخذ بكل وسائل التقدم العلمى ، وحث العلماء على مسايرة التقدم العلمى فى العالم وذلك من أجل النهوض بالمجتمعات الإسلامية ، ودفع عجلة التنمية، وزيادة الإنتاج حتى لاتظل مجتمعاتنا معتمدة على غيرها مؤكدا : أن الإسلام يحث على طلب العلم والأخذ بسبل التقدم .

جاء ذلك فى افتتاح المؤتمر العلمى الدولى الأول بكلية العلوم بنين ـ جامعة الأزهر .

وقد شارك فيه ١١٠٠ عالم وباحث من ٣٢ دولة ، والموضوعات التى ناقشها المؤتمر ترتبط باحتياجات المجتمع، وتؤكد التواصل بين البحث العلمى وقضايا الوطن، ويناقش ٣٢٥ بحثاً تتناول أمراض السكر وتأثير العوامل الوراثية على المعدة ، والأمراض الناتجة عن تلوث الهواء والأصباغ وتأثير الإشعاعات على دودة القطن،واستخدام الرنين النووى المغناطيسى فى التسخين والتبريد ، وتأثير المناخ على النمو الزراعى والعوامل التى تساعد على الاكتشاف المبكر لأمراض الكبد واستمر ثلاثة أيام .

وقال الدكتور جميل أبوالعلا «نائب رئيس جامعة الأزهر» : إن انعقاد المؤتمر يؤكد استمرار عطاء الأزهر العلمى والثقافى مشيراً إلى أن الإسلام يدعو إلى تعلم مختلف العلوم على أن تكون

تطبيقاتها فى صالح البشرية ، وحذر من أن تتحول بلدان العالم الثالث إلى معمل للتجارب .

وفى ختام المؤتمر احتفلت الكلية بمرور ٢٥ عاما على إنشائها وأطلق على هذا الاحتفال « يوم الوفاء » وتم تكريم عمداء ووكلاء ورؤساء الأقسام والأساتذة البارزين فى مختلف الأنشطة ، وتم تكريم خريجى أوائل الدفعة الأولى ، وأوائل خريجى دفعة ٦٤ وتم توزيع الجوائز وشهادات التقدير عليهم وستنظم الكلية للمؤتمر الدولى الثانى تحت شعار العلوم والتنمية عام ١٩٧٧م .

الإمام الأكبر يستقبل وفد جمهورية أزربيجان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بمكتبه وفد جمهورية (أذربيجان) برئاسة السفير اسرافيل فاليكوف سفير (أرذبيجان) بالقاهرة وبمصاحبة الأستاذ زينى العتيبى نائب رئيس لجنة مسلمى آسيا بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية .

وقد تناول اللقاء بحث إنشاء جامعة إسلامية فى مدينة (باكو)عاصمة أذربيجان لتكون إشعاعاً ثقافياً إسلامياً لمنطقة القوقاز وما حولها من جمهوريات إسلامية على أن تبدأ هذه الجامعة بمعهد لإعداد الدعاة والمعلمين لخدمة آلاف المساجد المفتتحة حديثاً ، ولسد النقص الكبير فى مجال الدعوة الإسلامية الصحيحة ، ثم يبدأ بعدها إقامة فرع للتعليم الأزهرى تحت إشراف الأزهر الشريف ليكون نواة للوصول إلى الجامعة المرجوة .

هذا وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على إمداد المعهد عند إتمام بنائه وتجهيزه بالمدرسين والكتب الدراسية على نفقة الأزهر الشريف .

كتاب جديد لفضيلة الإمام الأكبر

صدر بحمد الله وتوفيقه الجزء الرابع من سلسلة (بحوث وفتاوى إسلامية فى قضايا معاصرة) لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ويتضمن إجابة فضيلته على الأسئلة التى ترد إلى مكتب فضيلته من جهات وهيئات مختلفة داخل مصر وخارجها حول القضايا المعاصرة التى تواجه المسلمين فى مختلف بلاد العالم .

يقع الكتاب فى أكثر من ٧٠٠ صفحة وهو بحق موسوعة إسلامية كاملة ، وهو جزء من حصيلة فتاويه التى كتبها وأجاب عنها منذ ولى مشيخة الأزهر الشريف عام ١٩٨٢ .

قام بجمع مادته العلمية وترتيبها ومراجعتها « الادارة العامة للشئون الفنية بمكتب فضيلته » وأشرفت على طبعه « الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف » ، ويتم الآن إعداد وتجميع ومراجعة الجزء الخامس من هذه الموسوعة ليكون تحت الطبع قريباً إن شاء الله

على هامش زيارة الإمام الأكبر لجمهورية السنغال

للأستاذ/ عمر البسطويسي

● فى مساء الخميس السادس من ذى القعدة ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٥/٤/٦م زار فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف السنغال بدعوة كريمة من السيد الرئيس عبده ضيوف رئيس جمهورية السنغال يصاحبه وفد من العلماء والسيد السفير نبيل محمد بدر ، وذلك لدراسة النظم التعليمية للغة العربية والدراسات الإسلامية فى السنغال ولإبداء المشورة فى ذلك وتوثيق أواصر العلاقات الممتدة بين مصر والسنغال .

● هذا وقد قلد الرئيس السنغالى فضيلة شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق وسام السنغال من طبقة أسد . وهو وسام يمنح لكبار الشخصيات بوصفه أكبر رمز إسلامى .

وقد أشاد الرئيس السنغالى خلال المقابلة بالرئيس حسنى مبارك وجهوده على الصعيدين الافريقى والإسلامى ودوره فى منظمة المؤتمر الإسلامى لنشر الإسلام وحل النزاعات .

● وقد تم فى لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر : والسيد الرئيس عبده ضيوف بحث أوجه التعاون بين الأزهر الشريف والسنغال والاتفاق على :

١ ــ زيادة المنح الدراسية مع العلم بأنه يدرس فى الأزهر من السنغال ٢٠ ألف طالب .

٢ ــ إنشاء معهد أزهرى والأزهر على استعداد لإمداده بالمدرسين والمناهج والكتب الدراسية ورحب الرئيس بهذه الفكرة ووافق عليها .

٣ ــ معادلة الشهادات للمعاهد التى تعتبر نظامية أو شبه نظامية ، التى تسير على نسق الأزهر .

٤ ــ التعاون على دعم تعليم اللغة العربية ، وأن تأخذ حظها من التعليم العام .

٥ ــ توثيق التعاون بين جامعة الأزهر وجامعة داكار من حيث تبادل الأساتذة والتعاون فى إنشاء قسم دراسات إسلامية/ قسم لغة عربية/ ومعادلة الشهادات .

٦ ــ تجربة إيفاد الأطباء والخبراء الزراعيين من جامعة الأزهر ، وذلك بالاتفاق مع الصندوق الفنى والأزهر على أن يشمل ذلك التخصصات التالية :

ــ أطباء/ أسنان/ أمراض نساء/ إلى جانب التثقيف الحرفى/ الهندسة/ والمهندسين الزراعيين.

٧ ــ عرض عمل معرض فنى يشمل : ــ خطوطا عربية وصوراً للفنون الإسلامية وزخارف إسلامية .

٨ ــ يتحمل الأزهر نفقات المدرسين والكتب ويقوم بتعديل مواعيد الأجازات بحيث تتفق والاجازة بـ (السنجال) .

٩ ــ مواصلة تدريب الأئمة والدعاة بالأزهر الشريف فى دورات اللجنة العليا للدعوة .

وقد أشاد السيد الرئيس عبده ضيوف بدور الأزهر الشريف ممثلا فى فضيلة الإمام الأكبر وشكر فضيلته على ما أداه الأزهر للسنجال من خدمات إسلامية صادقة..

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ مجدي عبد الحميد بشير

مجازر فى الشيشان

تواصل القوات الروسية عدوانها البربرى على جمهورية الشيشان الإسلامية ، وحسبما نقلته هيئة الإذاعة البريطانية فإن الجيش الروسى قد داهم قريتى : (شالى وقرشى) حيث سوى المنازل فيها بالأرض ، **كما أن الجنود الروس أخذوا يلقون بجثث الشيشان من الطائرات بعد أن غلفوها بالأكياس البلاستيكية .**

هذا فى الوقت الذى كانوا قد أنهوا مذابح وفظائع فى قرية (سَمَاسُكى) بعد أن فشلت المفاوضات مع وجهاء القرية ، آل المقاتلون الشيشان على أنفسهم الدفاع عنها حتى الموت ، هذا ، وقد فشلت القوات الروسية فى اقتحام قرية (ياموث) أمام قوة المقاومة الشيشانية ، مما اضطر الأهالى من النساء والأطفال إلى النزوح لجمهوريتى : داغستـــان والأنجوش المجاورتين فى الوقت الذى صعد فيها الآخرون قمم جبال يصل ارتفاعها إلى ٤٠٠٠ آلاف متر مخاطرين بحياتهم فى طرق وعرة زرعت بالألغام .

وقد صرح الرئيس الشيشانى جوهر داوود الذى نجا من محاولة اغتيال بأن قواته لن تستسلم أبدا حتى اخر رجل .

١ ــ أمريــكا

أخذ الإسلام طريقه إلى البيت الأبيض حيث صرح الرئيس الأمريكى كلينتون أن ابنته « شِلِي » البالغة من العمر سبعة عشر عاما تدرس تاريخ الإسلام وتقرأ القرآن الكريم ، وقد تجلى ذلك واضحا فى لقائه برئيسة الوزراء الباكستانية « بى نظير بوتو » أثناء زيارتها مؤخرا لواشنطن حيث أبدت إعجابها الشديد بهذا التوجه .

٢ ــ جامعة الأزهــر

وافق رئيس جامعة الأزهر على تخصيص مقر مدينة نصر للمركز الإقليمى للفطريات ، وصرح الدكتور عبدالرازق أبوسعدة مدير المركز والأستاذ بعلوم الأزهر بأن المركز سينظم دورات تدريبية ويقبل التسجيل لمرحلة الدراسات العليا .

٣ ــ ومن أخبار جامعة الأزهر أيضا

صرح رئيس جامعة الأزهر بأنه سيتم خلال ذى القعدة/إبريل الحالى افتتاح أحدث مستشفى تعليمى بسعة ٤٠٠ سرير وبتكلفة خمسين مليون جنيه ، وتضم كافة التخصصات الطبية لتدريب طلبة طب الأزهر .

جاء ذلك خلال حفل علوم الأزهر بمرور ربع قرن على إنشائها ، وكان الاحتفال تحت شعار يوم الوفاء وعيد الخريجين ، حضره رئيس الجامعة ونوابه وعميد علوم الأزهر .

Dans certains versets, le verbe "Tomber prosterné" acquiert le sens d'une obéissance totale et immédiate à l'ordre d'Allah. On constate là une très grande différence entre la prosternation des obéissants et celle des désobéissants.

Voici des versets où est mentionnée la prosternation des vrais croyants :

"Le Prophète David comprit que nous avions seulement voulu l'éprouver. Il demanda pardon à son Seigneur, il tomba prosterné et se refugia auprès d'Allah" Sourate "Çad" le sens du verset 24 "Il fit montrer son père et sa mère sur le trône et ses frères tombèrent prosternés devant lui "Sourate Yussuf" le sens du verset 100. Ils tombaient prosternés en pleurant quand les versets du Miséricordieux leur étaient récités" Sourate "Mariam" (Marie) le sens du verset 58 "Seuls croient en Nos Signes ceux qui tombent prosternés lorsqu'on les leur rappelle" Sourate "Al Sagda" la Prosternation" le sens du verset 15.

Ainsi les vrais adorateurs du Miséricordieux sont ceux qui se soumettent avec humilité à Allah. C'est cette soumission absolue à leur Créateur qui est la raison même de leur noblesse morale.

Ceci n'est possible que grâce à une perception complète au moyen des sens de l'ouie et de la vue, car toute chose perçue par ces deux sens nous est, en fait, acceptable, et laisse une plus grande impression sur l'âme. L'utilisation du terme "El Kerour" (ou l'écroulement) dans le verset, nous met en garde contre les défauts des ignorants, des incroyants et de tous ceux qui ne respectent pas les ordres d'Allah.

S'écrouler, c'est faire une chute désordonnée d'un lieu élevé, ce qui signifie l'anéantissement, pour mieux souligner les conséquences funestes de la désobéissance.

Ceux qui s'exposent à l'écroulement d'un plafond perdent la vie, car ils sont exposés à la chute brusque et inattendue d'un corps lourd sur eux, ce qui les empêche d'y échapper ou de s'en préserver.

C'est en effet une image réussie pour montrer ceux qui, lorsque les pieux attirent leur attention sur les Signes d'Allah, s'en détournent comme s'ils ne les voyaient pas ni ne les entendaient. Or ce refus très grave et maladroit les mènera à leur perte.

Les adorateurs du Miséricordieux se comportent différemment lorsqu'on leur rappelle les versets de leur Seigneur. Ils font preuve de raison lucide et d'optimisme, dans l'espoir de recevoir la miséricorde d'Allah en récompense pour leur obéissance.

Ce sont là des qualités particulières à la personne elle-même; cependant, elles ont d'importantes répercussions sur la société.

Le comportement des adorateurs du Miséricordieux est un modèle à suivre pour les autres; ils instituent ainsi une discipline de vertu qui régit la vie de tous les hommes.

renoncement au gaspillage et à l'avarice, l'éloignement du polythéisme, l'éloignement de tout ce qui peut amener à l'adultère et au meurtre, le repentir sincère, le pardon, l'offense, l'acceptation des exhortations, et enfin l'invocation d'Allah.

Ces qualités semblent en apparence particulières aux personnes elles-même, mais en fait, elles ont des répercussions sociales.

Ceux qui, lorsque les ignorants leur adressent la parole, leur répondent par le salut, invitent, en fait, à sauver la société des maux des ignorants, ou encore de ceux qui savent et renient. De même, ceux qui ne commettent pas l'adultère ne font, qu'assurer la protection de la famille et de la société de la déchéance morale.

Ainsi on n'a point de générations qui ne connaissent pas leur père, pour que ces derniers les prennent en charge.

Ces bâtards envient certes ceux qui connaissent leur origine. Or cela détruit la stabilité de la société et son progrès. On voit donc que chacune des qualités propres aux adorateurs du Miséricordieux, réparties précisément en trois cagétories, a d'importantes répercussions sur la société.

On trouve des signes explicites dans cette troisième catégorie des qualités des adorateurs du Miséricordieux visant une plus grande noblesse morale de l'humanité. Les preuves d'Allah sont Ses signes dans cet univers, et Ses enseignements mentionnés dans le Saint Coran, qui, lorsqu'ils sont suivis, signifient la mise en pratique du système établi par Allah dans l'univers, car ces enseignements poussent littéralement les croyants à obéir à Allah dans l'ensemble de Ses ordres et de Ses interdictions.

Les adorateurs du Miséricordieux

par Rania Nabil Al Moghazy

Certains sont saisis de terreur lorsqu'ils sont atteints d'un mal quelconque, cependant les croyants supportent cela de bonne grâce, car il se peut que cela leur soit utile.

Les qualités des adorateurs du Miséricordieux sont mentionnées dans les derniers versets de la Sourate "Al Forqan" (ou: "La Loi", et l'on peut répartir ces qualités en trois groupes :

La première catégorie est celle des qualités propres aux personnes elles-même qui se comportent avec modestie et, lorsque les ignorants tentent de troubler leur vie calme, ils demandent à Allah de les protéger contre ce mal qu'ils renient, et ils tentent de remettre ces ignorants sur la bonne voie.

La seconde catégorie concerne leur relation avec leur Seigneur: ces personnes passent, en effet, leur nuit en prières et en prosternations, ce qui montre qu'ils obéissent à Allah et qu'ils évoquent en toute circonstance.

La troisième catégorie recouvre des qualités multiples, visant une plus grande noblesse morale de l'humanité.

De multiples versets concernant les qualités des adorateurs du Miséricordieux mentionnent cette dernière catégorie. Certains ulémas ont dénombré les qualités des adorateurs du Miséricordieux telles qu'elles apparaissent dans les derniers versets de la Sourate "Al Forqan". Elles sont au nombre de onze, à savoir: la modestie, la tolérance, l'invocation d'Allah en pleine nuit, la crainte du supplice de la géhenne, le

— Nous voyons ainsi que les insoumis et les incroyants se valent, au cas où les premiers ne se repentent pas de leurs péchés. Dans un Hadith divin, Allah — Le Très-Haut dit : "Qui donc est venu à Notre porte et que Nous avons renvoyé? Qui s'est refugié auprès des Nous et que Nous avons refusé d'accepter? Je suis Celui qui pardonne les péchés et qui cache les défauts, et Je connais parfaitement ce qui est secret".

— Ô vous les musulmans, empressez-vous de vous repentir avant qu'il ne soit trop tard! Que diriez-vous si vous saviez que le Prophète Mohammad (b.s.) qui représente le musulman le plus parfait, recommandait aux hommes de se repentir en leur disant: "Quant à moi, je reviens à Allah repentant, soixante-dix fois dans la journée" !

Hâte-toi, Ô musulman, de te repentir avant que vienne le Jour du Jugement où tu te présenteras devant ton Seigneur, le Maître du Royaume. Certains viendront le Jour du Jugement Dernier en ayant fait de bonnes actions aussi hautes que les montagnes mais qui ont insulté les uns, commis une injustice envers d'autres ou encore se sont emparés injustement des biens d'autrui. Ce jour-là, prendra les bonnes actions qu'il a accomplies pour les ajouter à ceux qu'il a opprimés; et il est même possible que les péchés de ses victimes lui soient attribués! Ainsi celui qui ne se repent pas durant sa vie n'aura pas fait le compte de la vie future !

Voici une invocation qui, selon le Messager d'Allah (b.s.) renferme la meilleure formule du repentir :

Ô Allah! Tu es mon Seigneur. Tu m'a créé et je suis ton serviteur. Je respecte mes engagements et ma promesse envers toi autant que je le peux. Je cherche une protection auprès de toi contre les mauvaises choses que j'ai pu faire. Je reconnais Tes bienfaits envers moi et je recommais ma faute. Paradonne-moi, car Toi seul pardonnes les péchés.

Ô Allah fais que nous soyons parmi les repentants et parmi les purs. Accorde-nous un repentir sincère avant la fin de notre vie!

Qu'Allah accorde Sa bénédiction et Son salut à Son Prophète, ainsi qu'aux membres de sa famille et à ses compagnons.

«Le Mérite du Repentir»

par "Dr. Rokeya Gabr"

— 2 —

Allah, par Sa grande miséricorde, transforme les péchés du repentant sincère en bonnes actions; ainsi, Il nous apprend dans le Saint Coran :

> *[Sauf celui qui se repent, qui a la foi et qui fait le bien, ceux-là, Allah transformera leurs mauvaises actions en bonnes actions; car Allah est Celui qui pardonne; Il est infiniment miséricordieux]* **Sourate "Al Furquan" (La Loi), le sens du verset 70.**

Le repentir n'est sincère que lorsque celui qui se repentit accomplit des actions vertueuses et non lorsqu'il persiste dans le péché. Allah confirme cela dans le verset suivant de la même sourate !

> *[Celui qui se repent et accomplit des oeuvres bonnes revient vers Allah en se repentant]* **Sourate "Al Furquan, les sens du verset 71].**

Allah s'est engagé lui-même à accepter le repentir de ceux qui reviennent à Lui si ces derniers sont sincères dans leur repentir avant leur mort. Il dit [gloire à Lui] : [Mais Allah ne s'engage à pardonner qu'à ceux qui font le mal par ignorance puis qui s'en repentant aussitôt. A ceux-là, Allah pardonne leurs péchés [Allah est l'Omiscient et le Sage] Sourate "Al Nissa" Les Femmes, le sens du verset 17.

Allah accepte le repentir si ce dernier a lieu avant l'agonie; quant à celui qui attend le moment de mourir pour se repentir, celui-là son repentir ne servira à rien. Allah le Très Haut nous apprend :

> *[Mais le pardon n'est point accordé à ceux qui font le mal, jusqu'au moment où l'un d'entre eux voit venir la mort alors il dit : "Maintenant je me repens!" ni à ceux qui meurent en étant incroyants. Pour ceux-là, nous avons prévu un supplice douleurieux]* **Sourate "Al Nissa" le sens du verset 18.**

REVUE AL-AZHAR

VOL. 67 PART XII
ZUL HEJAH, 1415 HIJRAH

Comité de Rédaction :

**Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques**

such an abolition — a situation such as we meet with in the countries where divorce is not permissible.

Let the critics, who want to withdraw the right of divorce from the husband, first consult the conditions laid down by Islam in respect of divorce. Certainly they will find convincing answers to their misconceptions. The court of law has every right to revoke divorce if it does not conform Islamic Law. The Prophet himself revoked divorce which had not agreed with the rules of Islam.

According to Bukhari and Muslim, Abdullah Ibn Umar was reported to have divorced his wife while she was in her menses; and the matter was referred to the Prophet (PBUH) who exasperated at the levity of the man's conduct, said :

> *"Let him take her back and retain her till she be pure and again have her courses and afterwards gets pure. Then, if he thinks it prudent, he may divorce her, but he should do so when she is clean and has not been approached."*

Islam holds that if a man trespasses on a woman's rights by divorcing her without cause, he is abusing his power and is therfore liable to be held responsible for committing a breach of duty. Islamic courts are allowed to censure and fine the man for misusing the right of divorce.

From this talk about divorce we come to the conclusion that divorce is prescribed as a remedy to cure the family from an unavoidable breach that may develop into a crime. On sound authority, the Prophet was reported to have said :

> *"Of all things allowed to man, divorce is most hated by Allah."*

mic Law has impressed upon her that she cannot achieve perfection without a comprehensive knowledge of both her rights and obligations.

What has previously been said is sufficient to refute the allegation that Islam accords woman only a secondary status or that she is treated as subservient to man or that her role in life is, in the eyes of Islam, of no importance at all. Had it been so, Islam would not have attached so great an importance to the acquisition of knowledge by women. It is, therefore, understood that most of the woman's rights and obligations are balanced with similar rights and obligations which man has to enjoy or discharge with respect to her. The woman's status in married life is equal to that of her husband. Both are fully responsible for the house, the children and for each other.

Some people, who are not fully aware of the regulations laid down by Islam in respect to divorce, wonder why the husband's right to pronounce divorce should not be abolished ? Isn't it, they say, then, desirable that this dangerous weapon which man may play with recklessly and wreck the life of a peaceful, patient woman — besides darkening the future prospects of his young innocent children, should be taken from him ?

We admit that divorce does lie at the root of the family suffering, but we should not overlook the fact that every member of the family takes his or her share of suffering, the wife, the children and the husband. In societies where people are aware of the Islamic Law, no such miseries take place. Therefore, the problem is not the man's right to pronounce divorce, it is, in fact, man's ignorance of Islamic Law. Suppose we withdraw the right of divorce from man, how are we to meet the Principal situation that might as well result from

The husband is forbidden to take back from her anything he has already given her for herself. The wisdom behind all these merits is to protect the woman from financial embarrassment as a result of divorce. Moreover, the husband, by supporting and providing lodging for her during her waiting term, may ease the tension of the breach, and perhaps both parties may get reconciled to each other again and revoke divorce.

Even if the reunion does not take place, faithfulness to the sacred tie of marriage requires the husband to keep supporting his divorcee up to the last moment of the term. Had Islam not imposed this obligation on a husband, conjugal lives would have been deteriorated to a temporary realtionship (between huband and wife) that could be terminated at any time by the mere pronouncement of repuddiation of divorce. Married life, according to the concepts of Islam, is perpetual bond of relatinship based on intrinsic and mutual love, sympathy and tolerance.

Before the advent of Islam, woman had to adopt many a subterfuge to free herself from her husband who held her in a state of perfect bondage, for neither the law of the land nor the common law gave her the right to relinquish her husband by securing a separation. Islam gave her this right in clear and unequivocal terms and thus she could have recourse to it whenever she needed it. Not content with this, Islam even went a step further. It gave the woman the right to propose her marriage to any man she found him suitable to her.

It should be understood that at a period when the entire world was lost in ignorance and darkness, it was Islam that stressed the importance of knowledge for mankind, not as a special privilege of a particular class or sex but as an essential and unavoidable need for each and every person. To acknowledge a separate and independant status for woman, Isla-

REASONABLE PROVISION FOR THE DIVORCEE

By :
MOHAMMED HIGAB

It is clearly understood that Islam does not allow the husband to kick his wife out as soon as divorce is resorted to. In fact, Islam had made it obligatory to the husband to maintain his wife in the marital home during her waiting term: and even the term is over and it is time for her to go, the Qur'an commands him to be generous to her and provide her with financial help According to his position :

وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ سُورَةُ البَقَرَة

"Reasonable provision should be made for divorced women. That is incumbent on righteous men." **(Sura 2:241)**

The Muslim legislator has not ignored the necessity of supporting the divorced woman during her pregnancy and of paying all her costs of required suckling and nursing of the child or children :

وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ

"If they are with child, maintain them until the end of their confinement: and if, after that, they give such to their children, give them their pay and consult together in all reasonablencess." **(Sura 65:6)**

that has been held in Copenhagen in March to be sincer and honest in their endeavours to eradicate poverty all over the world. We hope that this Summit would be a Zenith point in the history of development and that it would mark the beginning of new era of people — centered development and true development cooperation. We hope, as well, that this Summit would help bridge the growing divide between rich and poor as the world is stumbling towards the 21st century and that it would be a clear message of hope for the dispossessed.

A final say in this context is that now and more than any other time, the people of the world are asked to join their hands and to cooperate so as to spread peace, justice, interdependency and mercifulness among all humanbeings; otherwise the entire world is going to face its complete downfall. Allah, Almighty, says :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٤

"Verily Allah will not deal
Unjustly with man in aught :
It is man that wrongs
His own soul !"

"Surah : Yunus, verse : 44"

(Yusuf Ali, P. 492)

فَأُولَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ
فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً

"When angels take
The souls of those who die in sin
Against their souls,
They say : "In what (plight) were ye?"
They reply : "Weak and oppressed
Were we in the earth."
They says : "Was not the earth of Allah
Spacious enough for you
To move yourselves away (from evil)?" Such men
Will find their abode
In hell — What an evil
Refuge!
Except those who are
(Really). weak and oppressed –
Men, women, and children
Who have no means
In their power, nor (a guide post)
To direct their way
For these, there is hope
That Allah will forgive :
For Allah doth blot out (sins)
And forgive again and again
He who forsakes his home
In the cause of Allah
Finds in the earth
Many a refuge, wide and spacious.

"Surah : Al Nisa, Verses 97-100"
(Yusuf Ali, PP. 217-218)

As the issue of poverty is a thorny issue we, thus, call upon those who have taken part in the World Social Summit

because eloquent words and speeches did not either feed them or solve their problems. Likewise, the recommendations made and the resolutions taken did not improve the worsening conditions of those wretched miserable poor people. In the meantime, it is quite evident that philosophers and politicians are still receiving prizes and words of praise while this disgusting reality is not altered and these shocking sad facts are not vieled. Furthermore, no one should even forget that Allah the creater of this Universe and the All Knowing of all that happened in the past, happens in the present, and will happen in the future, knows the true facts and all that the hearts hide. He says, through Moses words to his people :

قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾

"Said Moses to his people :
"Pray for help from Allah."
And (wait) in patience and constancy :
For the earth is Allah's,
To give as a heritage
To such of His servants
As He pleaseth; and and the end
Is (best) for the righteous."
"Surah : Al A'raf, verse . 128"
(Yusuf Ali, P. 379)

As for those migrants who cannot find anywhere to shelter them in spite of the wide earth that Allah has created, Allah says about them :

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ
قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾
إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾

rable, disgusting reality is not due to the narrowness of the earth area or the decrease of resources, but because man everywhere began to build his relations with the others according to his own interest, his own benefits and his own whimps. Allah, Almighty, say ·

وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ

"If the truth had been
In accord with their desires
Truly the heavens and the earth,
And all beings therein
would have been in confusion
And corruption."

"Surah : Al Mu'minun, verse 71"
(Yusuf Ali, P. 855)

Though the countries of the North and those of the South have met many times to discuss the relation between the two worlds, that of the poor and that of the rich, and though many years have passed since this time, yet the world is still witnessing mutual deterioration in their relations.

At the time in which Rome has foretold the emergence of a Fourth World that comprises 31 poor countries, 21 of which are in Africa, 8 in Asia, and 1 in America; yet this foretelling and this classification did not solve the problems of these countries. They are still deteriorating and most of them are still depending on the relief startegy, foriegn aid, and exporting emigrants and refugees to the Northern World.

Hundreds of meetings, seminars, and conferences have been held, in the United Nations and other organizations, to discuss human rights as well as the issues and tragedies of the poor people of the world whether children or women, whether emigrants or refugees. However, still the children of the world, the refugees, the emigrants, and the victims of disasters, discrimination and war, are suffering from hunger

obviously means that poverty and human deprivation in the Third World are no longer issues of national concern; they have become a global issue of human security world-wide.

In this context, it is noteworthy to mention that at the time in which millions of people, nearly 30 million according to the estimations of the international organizations, are facing death because of hunger; yet the world is spending billions of dollars on buying distructive weapons, and many countries are getting rid of their excess in crops and products. For example, Italy gets rid of a quarter ($1/4$) of its peach crop, France excutes a fifth ($1/5$) of its apple crop, whereas the Netherlands spoils thousands of tons of cheese and millions of liters of milk and the United States throws into the occean nearly one sixth ($1/6$) of its wheat crop. Moreover, some wealthy rich people in the Islamic World spend millions on their parties and their deceiving worldly life. Amidst these tragic, contradicting conditions, thousands of people die daily because of hunger which is due to starvation. This starvation, in fact, might have resulted because of economic or political conditions, or because of the vicissitudes of nature such as drought, or because many people flee from their countries to escape the scourages of war which in different parts of the world yearly harvests the lives of tens of thousands.

During the elapsing 20 years, millions of people because of hunger, social injustice and religious discrimination, were forced to abandon their homes in search for a secure peaceful place and good livelihood. During this period, the doors of Allah's huge earth were widely open for those miserable creatures and the entire world was exerting its utmost efforts to lessen their sufferings, alleviate their pain and heal their wounds. However, nowadays and for the first time in history, the doors of Allah's wide spacious earth are shut infront of those who have nowhere to go. In fact, this degrading, mise-

The Widening gap between the world of the poor and the world of the rich

By Nahed Mohamed Wasfi Ph.D

At the time in which millions of people, like their ancestors, decide to immigrate leaving their homes and resorting to other places, whether willingly or unwillingly, the world has changed, everything has altered, and today has differed from yesterday. In other words, many countries began to narrow and tighten the inlets to their borders and to increase their restriction so as to prevent and curb the entrance of new comers as well as to send back the old emigrants to their countries. Taking such measures, certainly, reveals but one important fact, namely, that the wide earth of Allah is now seriously becoming narrower, i.e. it cannot afford any more to provide the essential, vital means needed by its inhabitants to lead a happy, easy and comfortable life. In fact, this prevailing trend is not due to lack of wealth or resources but due to the policies, resolutions, and options made by man upon whom Allah has bestowed this vicegerency on earth.

No doubt, because of man's mismanagement of natural, human and environmental resources, the greatest part of our world, now, comprises many poor people. Henceforth, talking about a poor Third World is no more of interest when talking about the existence of a fourth world that contains 300 million people who are the poorest of the world population, i.e. they live below the poverty line. This number, in fact, represents one eighth ($^1/_8$) of the Third World population. This

---

The infarmation included herein is mainly based on the article written by Dr. Farid Yassin Qurashi under the title "The Spacious earch of Allah between the World of the poor and the weak and the World of the rich and the powerful".

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 67 PART XII
ZUL HEJAH, 1415 HIJRAH — MAY 1995

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس الســـنوى
للمجلـــد الســـابع والســـتين
١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤ ـ ١٩٩٥ م

إعـداد الأســاتذة
ا. محمــود الفشـنى
ا. أيمـن سـعد زغلول
ا. عز الرجـال المرسى

حـرف الألف

إبراهيم عيسى (الشاعر)	الله .. (قصيدة)	١٢٢٧
	حللت أهلاً (قصيدة)	١٢٢٧
	ألحان بلا أوتار (قصيدة)	١٣٨٦
أحمد رجب محمد على (الدكتور)	الهلال فوق المئذنة	١٤٩١
	الأهلة والنجوم فوق المئذنة	١٦٢٨
أحمد عبـــدالهادى الأبـــيض (الأستاذ)	أسباب تحريم نقل وزراعة الأعضاء (عرض كتاب)	٩٦٥
	عرض كتاب « فقه تغيير المنكر »	١٦٨٩
أحمد عبده عوض (الدكتور)	فضل اللغة العربية	٦٥٦
أحمد عبدالفتاح عبدالمعطى (الأستاذ)	حول حديث العرض على كتاب الله	١٠٥٢
أحمد فؤاد باشا (الدكتور)	كوكب الزهرة توأم الأرض	٦٨
	الحسن بن الهيثم	٢١٢
	نعمة الماء أصل الحياة وأكسيرها	٣٤٦
	فريضة العلم الغائبة	٥٠٤
	التأصيل الإسلامى لعلم الوراثة	٦٢٨
	القمر أقرب الجيران إلى الأرض	٧٩٨
	الحسن بن الهيثم	٩٦٠
	آيات الله فى الكون	١١٠٨
	وفى الأرض آيات للموقنين	١٢٤٤
	تصنيف علوم الطب فى تراث المسلمين	١٣٩٢ ـ ١٥٣٢ ـ ١٦٦٩

أحمد بن محمد طاحون	فى ظلال فاتحة الكتاب	١٤٣
(الشيخ)	لا إيمان لمن لا أمان له	٢٩٣
	دراسة فى ظل حديث شريف « من أكرم الناس ؟ »	١١٩٤
أحمد مصطفى حافظ	خرافة الوحدة فى الشعر الغربى	٩٥
(الأستاذ)	خرافة الوحدة فى الشعر الغربى	٢٢٥
	الأزهر والمراصفة والأد ب	٣٥٨
	من أعلام الأزهر (سيد المرصفى)	٤٨٨
	الشيخ سيد بن على المرصفى	٦١٥
	الأزهر والمراصفة والأد ب	٨٢٩
	الأزهر والمراصفة والأد ب	٩٨٠
	من أعلام الأزهر د. عبدالوهاب عزام	١٠٩٨
	من أعلام الأزهر د. عبدالوهاب عزام	١٢٠٠
	تداعيات الصلة الوجدانية بين شاعرين	١٤١١
	مع فضيلة الدكتور/ عبدالوهاب عزام	١٥٥١
	أدب الرحلة فى تراث د . عزام	١٦٨٥
أسامة كامل الخريبى (الأستاذ)	فى بلاط سيف الدولة الحمدانى	٤٩٨
أسماء أبو بكر محمد (الباحثة)	من شعر أبى طالب دفاعاً عن رسول الله	٣٧٠
البسيونى قنعان (الشاعر)	خواطر فى ليلة القدر	١٢٢٨
السيد الجميلى (الدكتور)	شهادة المرأة	٣٠٨
السيد صديق حافظ (الأستاذ)	شاهد زور	١١٥٦
السيد عبد الرءوف (الأستاذ)	مؤتمر السكان « كلمة أخيرة »	٤٥٤
السيد عبدالفتاح خضير (الشيخ)	فضيلة التقوى	١٨٤

السيد عبد المقصود عسكر	من هم السفهاء ؟	١٠٣٩
(الشيخ)		
الفاغ بن محمد ولد الشيبانى	موريتانيا .. بلد المنارة والرباط	٩٢٤
(الأستاذ)		

حرف التاء

تحسين فندا أوغلو	الملكية فى الفقه الإسلامى	١٦٠
(الدكتور)		
توفيق محمد شاهين	اللغة العربية وتاريخها (١)	١٢٦٣
(الدكتور)	اللغة العربية وتاريخها (٢)	١٤٠٤
	اللغة العربية وتاريخها (٣)	١٥٤٢

حرف الجيم

جاد الحق على جاد الحق	كانت الهجرة تخطياً للعقبات	٤
فضيلة الإمام الأكبر	فتوى فى واجبات الآباء والأمهات بأولادهم	٨
(شيخ الأزهر)	بيان الأزهر بشأن البوسنة	١١
	بيان الأزهر لما يحدث فى اليمن	١٣
	الإسلام . ومشكلات الشباب	١٣٢
	فتوى فى نفقة الزوجة على الزوج	١٣٤
	الأسوة الحسنة	٢٠٨
	فتوى فى شروط من يتصدى للفتوى	٢٨٣
	كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى ذكرى المولد النبوى	٤٣٩
	فتوى لفضيلة الإمام الأكبر	٤٤٠
	بيان مجمع البحوث الإسلامية بشأن المؤتمر الدولى للسكان والتنمية	٤٤٣
	قرار مجمع البحوث الإسلامية بشأن تحديد النسل	٤٤٦
	بيان من جبهة علماء الأزهر الشريف بشأن السكان والتنمية	٤٤٧

	بيان من جبهة علماء الأزهر بشأن حجاب الفتاة المسلمة	٤٤٩
	تعقيب وإيضاح لفضيلة الأمام الأكبر	٤٥١
	سماحة الإسلام فى القرآن	٧٢٤
	القبض فى الصلاة أرجح ولا حرج فى السدل	٧٢٨
	فى ذكرى الإسراء والمعراج	٨٦٨
	فتوى فى حكم القصر فى الصلاة الرباعية	٨٧٢
	كلمة فضيلته فى مؤتمر جراحة العظام	٨٧٥
	بيان من الأزهر لإغاثة المنكوبين	٨٧٧
	ليلة النصف من شعبان	١٠٢٠
	فتوى (عدم الإنجاب لايجيز الفسخ)	١٠٢٣
	كلمة فضيلته فى المؤتمر الطبى السادس	١٠٢٧
	هدية الله وهدايته للمسلمين فى رمضان	١١٨٠
	فتوى الإمام الأكبر	١١٨٥
	فتوى فى حلق اللحية وسماع الأغانى	١٣١١
	كلمة فضيلته فى ليلة القدر	١٤٦٥
	الحج مؤتمر عام للمسلمين	١٤٦٦
	فتوى فيما يحل أكله من الذبيحة	١٤٦٨
	كلمة فضيلته فى عيد الأضحى	١٥٨٨
	فتوى فى غسل الميت	١٥٩٢
جليلة رضا (الشاعرة)	ديوان صدى الأيام للدكتور محمد رجب بيومى	١٩٥
	نداء الزيتون (قصيدة)	٤٩٩
	تحريك المياه الساكنة	١٣٩٠
جمال عبدالعزيز أحمد (الأستاذ)	دور النشر وتشويه التراث	٢٢٠
	القرآن أعلى مستويات الفصحى	٨٨٢
جيهان أحمد حافظ (الدكتورة)	من أمراض الطفولة	٣٥١
	الحمى الروماتيزمية	٥٠٩
	الحمى الروماتيزمية	٦٤٢

	البنسلين وعلاقته بالحمى الروماتيزمية	٨٠٨
	البنسلين وعلاقته بالحمى الروماتيزمية	٩٦٩
	البنسلين وعلاقته بالحمى الروماتيزمية	١١١٨
	من أمراض الطفولة	١٢٥٧
		١٣٩٦
		١٥٣٦
		١٦٧٤

حرف الحاء

حسن أليك (الدكتور)	أدب الاستئذان فى سورة النور	١٣٢٦
	آداب صيانة العرض	١٤٧٦
		١٥٩٧
حسنى عبد الحافظ (الأستاذ)	جراحة الأنف والأذن والحنجرة	٦٣٤

حرف الخاء

خالد محمد عزب (الأستاذ)	الآثار الإسلامية فى يوغوسلافيا	٨٠٢
خليل فؤاد (الشاعر)	دعاء (قصيدة)	٦١

حرف الراء

رشاد محمد يوسف (الشاعر)	هلال محرم (قصيدة)	٥٩
	أذن بلال (قصيدة)	١٩٢
	فى رحاب النور (قصيدة)	٤٩٥
	يا أزهر الخير (قصيدة)	٦٢٢
	سبحان من اسرى به (قصيدة)	٩٥٦
	تقدموا إخوة الشيشان (قصيدة)	١٢٣٢
	يا عيد أقبل (قصيدة)	١٣٨٧
	إلى حفيدى (قصيدة)	١٥٣٠

حرف الزاى

زكريا أحمد نور (الشيخ)	مؤسسات فى خدمة الإسلام	٩٢٠

زينب الأشوح (الدكتورة)	عمـــل المــــرأة بين التشــــريع الإسلامى والقانون المصرى	٤٦٦
	عمـــل المــــرأة بين التشــــريع الإسلامى والقانون المصرى	٩٠١
	عمـــل المــــرأة بين التشــــريع الإسلامى والقانون المصرى	١٢١٣

حرف السين

سعاد إبراهيم صالح	ضوابط الحرب والسلام فى الإسلام	٧٦٦
(الدكتورة)	شـــهادة الأصـــول للفــروع	١٢١٠
سعد ظلام (الأستاذ الدكتور)	يتساقطون تساقط الأزهار (قصيدة)	٣٤٢
سيـــــف النصر عبد العزيـــــز المجلى (الشاعر)	قل للرسول تحية وسلاماً (قصيدة)	٤٩٦
	من أعـــــــلام الأزهــــــــــر (الشيخ عبد العزيز عيسى)	١٠٨٣

حرف الشين

شوق محمود أبو ناجى	إلام نظـــل نرتقب	٦٢٤
(الشاعر)	تحية شيخ الأزهر	١٦٦٣

حرف الصاد

صالح محمد السيد على (الشيخ)	تحيـــة الأزهـــــر	٩٥٨
صفوت حسن لطفى (الدكتور)	السمع والبصر فى عصر الأطباق	١٠٧١

حرف العين

عادل رفاعى خفاجة	الســـــحر الحـــلال عرض كتاب	٨٣
(الأستاذ)	الإســـــلام كبـــديل	٢٢٨
سكرتير التحرير	الإســـــلام كبـــديل	٣٨٣
	الاجهـــــاض	٤٥٦

	الأثر الحضارى للهجرات فى شرق إفريقيا	٧٦٠
	الإسراء والمعراج فى الأدب السواحيلى	٩٣٥
	الأثر العربى فى اللغة السواحلية	١١٢٤
		١٢٨٠ ١٤١٦ ١٥٤٧
	أزمة الشيشان	١٦٩٣
عباس محمود العقاد	عشرة الكتب (قصيدة)	١٥٣١
(الأديب)		
عبد الجليل شلبى	مع سورة الأنفال	٢٢ ـ ١٣٩ ـ ٢٨٦
(أ. د)	مع سورة المجادلة	٤٧٢ - ٧٣٥ ـ ٨٧٨ ـ ١٠٢٩ ـ ١١٨٨
عبد الجواد فلاطورى	الإسلام فى كتب أوروبا	٣٧
(أستاذ دكتور)	الإسلام فى كتب أوروبا	١٨١
عبدالحفيظ فرغلى	من فضائل العشرة المبشرين بالجنة	١٥٥
(الشيخ)	العلماء وشذوذ العبقرية	٧٧٣
	الشواهد النحوية بين الدلالة اللغوية والمتعة الأدبية	١٨٦٠
عبد الحفيظ محمد عبدالحليم	طرائف ومواقف	٥٥
(الأستاذ)		١٩٠
		٣٤٤
		٥٢١
		٦٤٨
		٧٩١
		٩٤٨
		١٢٣٤
		١٣٧٨
		١٥٢٢
		١٦٤٨
عبد الحميد عبد المنعم فارس	يا رسول الله (قصيدة)	٤٩٧
(الشاعر)		
عبد الرحمن العدوى	زكاة الزروع والثمار	١٢٠٥
(أستاذ دكتور)		
عبدالستار محمد سليم	فضل الشيخ (قصيدة)	١٩٣
(الشاعر)	الملك لله وحده	١٦٦٢

عبد السلام ناصف	يوميات ألمانى مسلم	٨٩
(الأستاذ)	أثر تفكك الاتحاد السوفيتى	٢٣٤
	السجائر حرام أم حلال	٣٧٧
	بين المجلة والقارىء	٥٤١
	كتاب التربية النفسية	٦٧٨
	كتاب الفكرى السيكلوجى المعاصر	٨٣٤
	كتاب عبد الرحمن بن خلدون (١)	٩٧٦
	كتاب عبد الرحمن بن خلدون (٢)	١١٣٩
	أهل البيت فى مصر	١٢٦٩
	وضع الأطفال فى العالم	١٤٢٥
عبد السميع عبد الوهاب (أستاذ دكتور)	المرأة والشهادة فى الفقه الإسلامى	٣١٠
عبد العزيز الخياط (أستاذ دكتور)	التكافل فى المجتمع الإسلامى	٤٧٤
عبد العظيم الخياط (الشيخ)	التجويد بين العامة والخاصة	١٣٣٥
عبد الفتاح أبو سنة (الدكتور)	الإمام ابن عطية بين التفسير والتأويل	١٥٠١
عبد الفتاح الزيات (الأستاذ)	(من روائع الماضى) المثالية والواقعية فى الفكرة الدينية للأستاذ محمد فتحى محمد عثمان	٦٢
	من نحن ؟ للأستاذ محب الدين الخطيب	٢٠٧
	كيف نحيي المولد النبوى ؟ للأستاذ/ أمين الخولى	٣٣٧
	معنى الإنسان فى مختلف الآيات لصاحب الفضيلة الدكتور/ طه الزينى	٥١٦
	إسقاط الأحكام الشرعية بالتحايل (ممنوع) لصاحب الفضيلة/ عبدالله المراغى	٦٥٠
	إلى أين ؟ المادة .. الروح .. العلم .. الدين لفضيلة الشيخ محمد أبو المكارم	٧٩٣

	مشكلة التشرد والأوضاع الاجتماعية للأستاذ أحمد طه السنوسى	٩٥٠
	رسالة المعلم للأستاذ/ محب الدين الخطيب	١١٠٠
	أولادنا للأستاذ الدكتور/ على العمارى	١٢٣٦
	العالم الذى نوه الدين بذكره وخطأ الناس فى ذلك لصاحب الفضيلة الشيخ/ يوسف الدجوى	١٣٨٠
	رسالة الأستاذ الأكبر إلى شعوب العالم الإسلامى لفضيلة الإمام شيخ الأزهر الأسبق الشيخ عبدالمجيد سليم	١٥٢٤
	أثر الصحافة والسينما للأستاذ محب الدين الخطيب	١٦٥٦
عبد الفتاح عمرو شعيب (الدكتور)	البوسنة والهرسك (قصيدة)	٦٠
عبد الله مبروك النجار (الدكتور)	ظاهرة التجاوز فى البناء الفكرى	١٣٦٠
		١٤٩٥
عبد الله نجيب محمد (الدكتور)	العمل بسهم المؤلفة قلوبهم	٥٧٦
عبد المنصف عبد الفتاح (الشيخ)	الشباب بين الدين والتطرف	٤٠
	رحمة الله للرحماء	٦٠١
	التأسى بإمام الأنبياء وخاتم المرسلين	٣٠٢
	من المعجزات إلى العالم الحديث	٩٠٨
	فى رحاب نعمة الأمن	١٣٤٩
	اليهود وبيت المقدس	١٦١٧
عبد المنعم حافظ فودة (الأستاذ)	الفتـــاوى	٤٨
		١٨٧
		٣٢٣
		٤٨٥
		٦١٣
		٧٧٩
		٩٣٩
		١٠٨١
		١٢٢٥
		١٦٤٤

	الفتـــاوى	١٣٧١
		١٥١٦
		١٥٤٤
عبده حسن التناغى (الأستاذ)	ستمائة عام من الإسلام فى يوغوسلافيا	٦٠٥
عبير محمـــد عبـــد الواحـــد (الأستاذة)	الإسلام ووسائل الاعلام الغربى	٧٧٠
عزت شندى موسى (الشاعر)	فى مهجر الرسول	٥٨
عطية محمد صقر (الشيخ)	الـــزار	١٠٦٣
على أحمد الخطيب (الدكتور) رئيس التحرير	الافتتاحية (الهجرة فواتح خير)	١
	أثر الإسلام فى حياة بريطانيا	١٢٩
	أثر الإسلام فى حياة بريطانيا	٢٧٣
	الغرب والنسل	٤٢٥
	الإعلام (منهج المؤمنين بالله)	٥٦٩
	ألف باء علم الحديث	٧٢١
	(أسرع العقوبة)	٨٦٥
	(ثلاثة فى أصحابها)	١١١٧
	رمضان ربيع الإيمان	١١٧٧
	(المؤمن وثقوب فى السعادة)	١٣٠٥
	(أين التناقض)	١٤٥٧
	سلامة المؤمن	١٥٨٥
على أحمد مرعى (الدكتور)	ملاحظات على كتاب تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة جـ ١ ـ جـ ٢	٥٢٤ ، ٦٦٣
على حامد عبد الرحيم (الشيخ) مدير التحرير	« قبس من أنوار النبوة » عناية الإسلام باليتيم والمرأة	٢٦
	العلم النافع سبيل السعادة	١٥٢
	نماذج ثلاثة ممن يحبهم الله	٢٩٠

	نعيم القبر وعذابه	٤٦٣
	بالنية يكتب لك أو عليك ما لم تفعل	٥٨٠
	سبل النجاة	٧٣٩
	المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة	٨٩٢
	الإسلام ينهى عن تتبع العورات	١٠٥٤
	مع الرسول فى رمضان	١١٩١
	ظلم النفس أو الغير ظلمات	١٣٣٨
	الحجاج والعمار وفد الله	١٤٨٨
	نظرات فى كتاب معانى جزء عم	١٥٥٥
	نعمت المطية الدنيا تبلغ الآخرة	١٦١٤
عمر البسطويسى (الأستاذ)	(أنباء مكتب الإمام)	١٠٨ - ٢٥٠ - ٤٠٠ - ٥٤٦ - ٦٩٠ - ٧١٠ - ٧٤٦ - ١١٥٣ - ١٢٩٣ - ١٤٣٧ - ١٥٦٥ - ١٧٠٦
	على هامش المؤتمر الأول للدعوة والدعاة	٤٠٣
	المجلس الإسلامى الأعلى	٩٩٣
	على هامش المؤتمر الإسلامى	١١٥٠
عمر عسل (الشاعر)	فى المولد النبوى	٣٤٠

حرف الفاء

فاطمة عمر نصيف (الدكتورة)	خلق المسلم	١٥٠٩
فوزى محمد طايل (لواء ا.ح.د)	المنهج القرآنى والأزمات الدولية	١٤٨

حرف الكاف

كارم السيد غنيم (الدكتور)	العلم هو الخاصية المميزة للإنسان	١٢٧٣
كامل أمين محمد (الشاعر)	ذكرى الرسول ﷺ (قصيدة)	٤٩٤

حـرف الميـم

محمد إبراهيم الفيومى (الدكتور)	حول حوار طاهر بن جلون	٥٩٧
محمد التهامى (الشاعر)	محمد صلى الله عليه وسلم (قصيدة)	٣٤١
محمد حافظ سليمان (الشيخ)	الكلمة الطيبة سمة المؤمن	٣٤
	المؤمن ليس من أهل الأهواء والتفرقة	٢٩٨
	أدب الحوار فى الإسلام	٥٩١
	أدب الاستئذان	١٠٥٧
	الأمة الواحدة فى عرفات	١٦٠٩
محمد حرب (الدكتور)	معلومات أساسية لفهم المسألة الشيشانية	١٠٧٥
محمد حسن عبد الخالق (الدكتور)	المسيح المنتظر عند اليهود	١٠٦٨
محمد حسنى مبارك (الرئيس)	كلمة السيد الرئيس فى ذكرى المولد النبوى	٤٣٠
محمد دميرجى حسن (الدكتور)	المقاصد العلية	١٧٤
محمد رجب البيومى (أستاذ دكتور)	الإمام الأكبر فى فتاواه	١٦
	الإمام الأكبر فى فتاواه	٢٠١
	« من أعلام الأزهر » محمد صادق عرجون	٣٣١
	الإمام الأكبر عبدالرحمن تاج	٧٨١
	« من أعلام الأزهر » الإمـــام الأكبر عبد الرحمن تاج	٩٤١
	النص القرآنى هو الفيصل	١٠٣٤
	النص القرآنى هو الفيصل	١٢٣٩
	« من أعلام الأزهر » د. محمد البهى	١٣٧٣
محمد زين العابدين العـــزازى (الأستاذ)	التيسير فى العبادة	٤٥٩
	النبـى الرحمـة	١٥٠٦
محمد سعاد جلال	النسخ فى الشريعة الإسلامية	٨٩٤

(أستاذ دكتور)	النسخ فى الشريعة الإسلامية	١٣٥٣
محمد شامة	من يحق له أن يتحدث باسم الإسلام	١٧٧
(الدكتور)		
محمد شهاب الدين الندوى	الأجرام السماوية تشهد للقيامة	١٢٤٩
(الشيخ)		
محمد عبدالحكيم	بين المجلة والقارىء	١٠٠
(الدكتور)		٢٤٢ ـ ٣٩٣ ـ ٨٣٨ ـ ٩٨٣ ـ ١٠٤٤ ـ ١٢٨٦ ـ ١٤٣٠ ـ ١٥٥٨ ـ ١٦٩٨
	حول كتاب الغزو الثقافى والمجتمع الغربى المعاصر جـ ١	٥٣٣
	جـ ٢	٦٧١
مجدى عبد الحميد بشير	أنباء العالم الإسلامى	١١١
(الأستاذ)		٢٥٣ ـ ٤٠٩ ـ ٥٥٣ ـ ١١٥٧ ـ ١٢٩٦ ـ ١٤٤٠ ـ ١٥٦٩ ـ ١٧١٠
محمد عبد الرحمن صان الدين	به اتغنى (قصيدة)	٩٥٤
(الشاعر)	تنوير وتضليل (قصيدة)	١١٠٥
	فى حظيرة الدجاج (قصيدة)	١٢٣٠
	يا حيـــاة (قصيدة)	١٣٨٨
	فى الإيمان آمان (قصيدة)	١٥٢٨
	الإنسان .. لا الزمان	١٦٦٤
محمد عبدالفتاح حمادة	عاشق الأزهر (قصيدة)	١٩٤
(الشاعر)		
محمد عبد المنعم حفاجى	ليـلة الإســراء	٩٥٥
(أستاذ دكتور)		
محمد عبد المحسن التقاوى	تكريم الله للإنسان	١٦٨
(الأستاذ)		
محمد عبد الوهاب	وقفة مع ديوان شراع فى بحر الهوى	٣٦٣
(الأستاذ)	جليلة رضا والعودة إلى الحارة	١١٢٨
	فى ذكرى مصطفى صادق الرافعى	١٢٧٧

محمد عزت الطهطاوى	محمد بن القاسم	٤٨٠
(المستشار)	دولة الشيشان المسلمة	١٦٣٧
محمد فتحى عبد الصادق	الأســرة والمجتمع	٤٤
(الشيخ)		
محمد كمال الدين إمام	صلى الله عليه وسلم (قصيدة)	١١٠٤
(الدكتور)		
محمد محمد عتريس	لماذا يدرس الغرب النظام المالى الإسلامى	٥٨٣
(الأستاذ)	ملحوظات حول الصيغة الإنجليزية	٧٦٤
	أنبـــاء وآراء	٩٩٨
محمدى حسين الشافعى	إلاَّ أن يرحمنى الله (قصيدة)	٩٥٧
(الأستاذ)		
محمود السباعى	الغارة التنصيرية على أندونيسيا المسلمة	٣٢٣
(الأستاذ)		
محمود الفشنى	مضامين كلمة الرئيس فى ليلة القدر	١٤٦٠
(الأستاذ)		
محمود حمدى زقزوق	إسهام الإسلام فى السلام العالمى	١٦٢١
(ا.د.)		
محمـــود عبـــد العـــظيم طمـــان	من أعلام الأزهر	
(الأستاذ)	(د . عبد الجليل شلبى)	١٥١٨
محمود رسلان	سيدنا محمد بين التحامل والانصاف	٣٠
(الدكتور)		
مصطفى الشيخ	**أدب الصحبة**	١٣٤٠
(الشيخ)		
مصطفى دسوقى كسبة	صـــناعة الجـــوع	١٠٣٤
(الأستاذ)	**صناعة الجوع**	١٦٣٢
مصطفى عبد المجيد	نفس موضوعات الأستاذ عمر البسطويسى	
(الأستاذ)		
ملك حفنى ناصف	إلى الأخت المسلمة (قصيدة)	٦٢٧
(الشاعرة)		
منذر محمد عبد الرحمن	البعوض ما له وما عليه	٢٧٠
(الأستاذ)		

حرف النــون

نبيل صلاح العربى — تقنية الحاسوب فى خدمة علوم الشريعة — ٨١٠
(أستاذ دكتور) — تقنية الحاسوب فى خدمة علوم الشريعة — ١١١٣
نجوى السيد أحمد — الجديد فى العلم والتقنية — ٧٩ ـ ٢١٧ ـ ٣٥٤ ـ ٥١٣ ـ ٦٤٥ ـ ٨١٨ ـ ٩٧٢ ـ ١١٢١ ـ ١٢٦٠ ـ ١٤٠٠ ـ ١٥٣٩ ـ ١٦٧٧
(الدكتورة)

حرف الهاء

هدى الغاياتى — والدى على الغاياتى — ٧٨٧
(الأستاذة)
هشام مخلوف — الهجرة والمشكلة السكانية — ٦٠٩
(الأستاذ)

حرف الياء

يحيى عبد الله المعلمى — الغزل فى شعر العلماء — ٥٠٠
(الفريق) — أشواق عربية — ١٦٦٦

هدايا صدرت مع المجلة عام ١٤١٥ هـ

عنوان الهدية	المؤلف	شهر الإصدار
١ ـ مقدمة بين يدى الهجرة (الحلف والإيلاف)	فضيلة الدكتور ـ على أحمد الخطيب	المحرم
٢ ـ مقدمة بين يدى الهجرة (الجوار)	فضيلة الدكتور ـ على أحمد الخطيب	صفر
٣ ـ الإخاء فى الإسلام	الأستاذ/ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى	ربيع الأول
٤ ـ العلمانية والإسلام	الأستاذ الدكتور/ محمد البهى	ربيع الآخر
٥ ـ الختان	فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق	جمادى الأولى
٦ ـ من سجل الخالدين	الأستاذ الدكتور/ مصطفى مجاهد عبد الرحمن	جمادى الآخرة
٧ ـ العقيدة الدينية	الأستاذ الدكتور/محمود حمدى زقزوق	رجب
٨ ـ بداية الهداية	للإمام أبى حامد الغزالى ـ تحقيق الشيخ/ أحمد عبدالهادى الأبيض	شعبان
٩ ـ السياسة الشرعية والفقه الإسلامى جـ ١	فضيلة الشيخ/عبد الرحمن تاج	رمضان
١٠ ـ السياسة الشرعية والفقه الإسلامى جـ ٢	فضيلة الشيخ/عبد الرحمن تاج	شوال
١١ ـ الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين	الأستاذ/ مصطفى دسوقى كسبة	ذو القعدة
١٢ ـ الحسبة ودور الفرد فيها فى ظل التطبيقات القانونية المعاصرة	الدكتور/ عبد الله مبروك النجار	ذو الحجة

الفهـــرس

الافتتاحية (سلامة المؤمن)
لفضيلة الدكتور على أحمد الخطيب ١٥٨٥
● مع الإمام الأكبر
هذا العيد ١٥٨٨
فتوى للإمام الأكبر ١٥٩٢
● آداب صيانة العرض
للدكتور حسن أليك ١٥٩٧
● الأمة الواحدةفى يوم عرفات
للشيخ محمد حافظ سليمان ١٦٠٩
● قبس من أنوار النبوة (نعمت المطية الدنيا..)
للشيخ على حامد عبد الرحيم............. ١٦١٤
● اليهود وبيت المقدس
للشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح ١٦١٧
● إسهام الإسلام فى بناء السلام العالمى
ا.د. محمود حمدى زقزوق ١٦٢١
● الأهلة والنجوم فى الفن الإسلامى
للأستاذ/ أحمد رجب محمد على ١٦٢٨
● صناعة الجوع
للأستاذ/ مصطفى دسوق كسبه.......... ١٦٣٢
● دولة الشيشان المسلمة
للمستشار محمد عزت الطهطاوى ١٦٣٧
● الفتاوى
للأستاذ/ عبد المنعم حافظ فوده ١٦٤٤
● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبد الحفيظ محمدعبد الحليم ١٦٤٨
● من أعلام المعاصرين (مصطفى صبرى)
ا.د. محمد رجب البيومى................. ١٦٥٠
● من روائع الماضى (أثر الصحافة والسينما...)
للأستاذ محب الدين الخطيب
إعداد الأستاذ/ عبد الفتاح الزيات ١٦٥٦
● الشعر والشعراء ●
تقديم الأستاذ رشاد محمد يوسف ١٦٦٢
ـ الملك لله وحده
للشاعر عبد الستار محمد سليم............ ١٦٦٢
ـ تحية شيخ الأزهر
للشاعر شوقى محمود أبو ناجى ١٦٦٣
ـ الإنسان.. لا الزمان
للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين ١٦٦٤
● أشواق عربية
للفريق يحيى المعلمى ١٦٦٦
● تصنيف علوم الطب (٣)
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ١٦٦٩
● أمراض الدم
للدكتورة جيهان أحمد حافظ ١٦٧٤
● الجديد فى العلم والتقنية
للدكتورة نجوى السيد أحمد ١٦٧٧
● اللغة والأدب والنقد ●
● الشواهد النحوية بين الدلالة اللغوية والمتعة الأدبية
للشيخ عبد الحفيظ فرغلى القرنى ١٦٨٠
● أدب الرحلة فى تراث د. عزام
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ١٦٨٥
● فقه تغيير المنكر (عرض كتاب)
للأستاذ/ أحمد عبد الهادى الأبيض ١٦٨٩
● كتاب «أزمة شيشان»
عرض وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة ١٦٩٣
● بين المجلة والقارىء
للدكتور/ محمد عبد الحكيم محمد ١٦٩٨
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذين/ عمر البسطويسى على
ومصطفى عبد المجيد ١٧٠٦
● على هامش زيارة الإمام للسنغال
تقديم الأستاذ عمر البسطويسى ١٧٠٩
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ١٧١٠
القسم الفرنسى............................ ١٧١٧
القسم الانجليزى.......................... ١٧٢٨